الروايات الاجتماعية



المجموعة الثالثة

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

الروايات الاجتماعية

المجموعة الثالثة

جمال شاهين

جمع ٢٠٢٢

الحفل بالقط الاسود

الشقق السوداء



رهاب الطلاق

عرض زواج

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين

الروايات الاجتماعية

المجموعة الثالثة



منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤



جمال شاهين

الحفل بالقط الأسود

الحفل
بالقط الأسود

سندخل في هذه القصة حياة فئة من **الأرستقراطيين** الفئة المخملية من المجتمع في مجتمع **زريق** القمر الساطع ، ونسمع ونرى **أفكارهم** وأهدافهم **وإباحيتهم** وحياتهم الخاصة ؛ فترى فحشهم وابتذالهم وكلامهم وهمهم ومجالسهم ، سيكون بعض الجلاء والبيان والعمق **وقس** على ذلك كل المدن والحضر المعاصر والحديث وغالب تجمعات العصرانيين **ولهثهم** حول الشهوات والملذات المحرمة ، وسترى بعدهم عن **الأخلاق** الحسنة والتدين والعادات والتقاليد الحسنة والشرعية ، وترى الليالي الحمراء والخضراء **والصفراء** ، فالعالم يعاني من **الإباحية** وفشل منظومات **الزواج** على مستوى العالم واطلاق الغرائز بدون حياء ، وسمعت وقرأت واقعيا **عشرات** القصص لا يستطيع المرء البوح بتفاصيلها في زمن كهذا حتى لا يسأ **فهمه** مع أن كتب التاريخ والأدب تجد **مثلها** وافحش منها ، وتخجل **الكاتب** من نقلها ولتبقى في تلك الدواوين وعلى رفوف المكتبات ، **وللآسف** العالم ملئ بأفلام الإباحية فلا عاد **نفع** للكتابة والتحذير من شرها وضررها .

حق الجنس **والجماع** جزء مهم من حياة الإنسان والحيوان والنبات ، فهو يسبب التكاثر والانتشار ؛ فلذلك أباحته **الشرائع** ونظمته **وضبطته** ؛ لأنه من سعادة الحياة الدنيا **والآخرة** وحق الفسق **والفجور** من أسباب الشقاء والتعاسة رغم **لذته**، فهو حاجة مهمة للإنسان كالأكل والشرب والنوم ، **فالانحراف** الشهواني مرض **ينخر** في الأمم والشعوب مما يثير **الشجن** والحزن . . **اللهم نسألك العافية والسلامة والمغفرة .**

قصر الطالع

الأضواء الشديدة الإضاءة تسطع في داخل القصر وخارجه ، وكان المكان قبل حين يسير قد شهد حفلة خاصة في قصر السيد نذير خاتم كيسون ، وكانت الساعة قاربت الثالثة فجرا عندما طفق الضيوف يغادرون القصر يترنحون من كثرة ما شربوا من خمر ، وطعموا من طعام وحلوى وتعبوا من رقص وطرب ، وكان الخدم يصحبونهم إلى سياراتهم ، والحرس يساعدونهم في ركوبها ، فقد اسرفوا في المشروبات والخمر بهذه المناسبة العجيبة، فقد كانوا يحتفلون باستيراد قط أسود من أوروبا من ألمانيا ، فقد هلك لصاحبة القصر السيدة الألمانية التركية الأب سلوفانا قط أسود فجأة ؛ فكتبت وخاطبت شركة لتهجين القطط وبيعها حسب رغبة الزبائن تطلب قطا ألمانيا ، ولما وصل القط المطلوب القصر أقامت السيدة على شرفه حفلة للأصدقاء والمعارف وبعد الرقص والطعام والسكر ، كان وضع المحتفلين بهذه المناسبة يرثى له ، وقد شربوا حتى الثمالة ، وكان آخر المغادرين صديق العائلة بسيل مجديان وزوجته الثانية ريما برسوم . وأغلق الحرس بوابة القصر ، وأغلق الخدم القصر نفسه ، وبدأت الأضواء تخفت رويدا رويدا ، وساقت خادمة السيدة سلوفانا سيدتها إلى حجرتها الخاصة ذات الأثاث الأوروبي ، وأخذ الخدم بتنظيف القاعة الخاصة بالحفلات والسهرات .

ودع السيد نذير قيم الخدم الهندي جومار ، ورد جومار : هل أوصلك إلى غرفتك سيدي .. أراك مرهقا متعبا ؟

قال : نعم ، شربت كثيرا ، ورقصت كثيرا ، كانت سهرة ممتعة .. أين ذهب القط الأسود ؟ ما اسمته سيدتك؟

قال : باريس ، على اسم باريس .

قال : فهي تحب تلك المدينة ؛ كما تتحدث عند ذكرها .

قال : ربما تحبها أكثر من برلين عاصمه بلدها يا سيدي !

قال : شكرا جومار .. الليلة أريد أن أنام في غرفة السيدة.

أمسك رئيس الخدم بيد سيده ، وصعد به إلى الطابق الأول ؛ حيث حجرة المدام سلوفانا التركية الأصل أو الأب والأم الألمانية المولودة في ألمانيا والتي عرفها في ألمانيا الغربية منذ سنوات قليلة ، خرجت الخادمة الفرنسية من غرفة السيدة ، وأدخلت السيد ، وأغلقت الباب خلفه ، كانت الخادمة قد ألبست سيدتها ملابس النوم، وقد استلقت على السرير ، وكانت في غاية الإعياء رقصت كثيرا وشربت كثيرا ، وغايتها التمتع بملذات الدنيا ، وشهوات الحياة.

قالت لزوجها : جئت إلى هنا ! لم تذهب إلى حجرتك.. أنا في غاية التعب يا نذير!

قال : فقط أريد النوم .. لا رغبه لي في المعاشرة اطمئني.

قالت باستنكار : لقد رأيتك تلحق فريدة إلى تلك الحجرة !

قال مبررا : ذهبنا نستريح بعض الوقت ، تعبنا من الرقص .

ضحكت وقالت باستهزاء : تعبت من الرقص .. أنا التي تعبت .. أنا رقصت مع الجميع .. ألم يحدث شيء بينكم ؟ إنها تعشقك ! نحن نساء ..لا نكتم شيئا عن بعض .. أو لا نستطيع كتم شيء حتى ولو معاشرتكم !

قال : سلوفانا صارحتك بعشقها لي .. هي مقبولة وجميلة وماهرة في الاتصال ؛ لكنها تسلم نفسها لأي عاشق ؛ لكنها تلزم الحذر عندما تكون في صحبته زوجها منذر .

قالت: وزوجها يغازلني ؛ كأنه يريد أن ينتقم منك مني !

قال ضاحكا ومتهكما : يريد أن ينتقم ! ما هو داعر !

قالت: نال قبلة مني .. من خدي .. سمحت له بها .

قال : أنا تركت حرية لك ؛ فكما أسمح لنفسي بمضاجعة النساء ..افعلي ما شئتي ؛ ولكنك تبقين ملكي وحبيبتي .

قالت : اقدر لك ذلك ؛ لكني أغار عليك ، وأتمنى أن تبقى لي وحدي.

قال : الحياة هناك ؛ ليست كحياة الشرقيين .. النساء هنا أقل مجونا وخيانة .. يزعم الشرقيون أنهم يغارون.. عندهم شرف أكثر من الغربيين .. ويزعم الشرقيون أن سببه قلة الغيرة عند

الغربيين بسبب لحم الخنزير وأكلنا للخنزير.. كان الليلة على المائدة وكلنا أكلنا الخنزير.

قالت: لا أعتقد صحة ذلك ! وهم لا يفرقون بينه وبين لحم الضأن .. أنا من مواليد ألمانيا ، وعشت فيها شبابي قبل أن ألقاك ، وهم يغارون ؛ كما تغارون ، ويقتلون نسائهم وعشيقاتهم ؛ ولكن الغيرة تختلف من بلد إلى آخر ، حتى من القروي ومن المدني .

خلع ملابس السهرة ، وارتدى ثوب النوم ، ورمى نفسه بجوارها ، فسمعها تهمس وتكرر : ألم تقضِ شهوتك من فريدة ؟

قال : كان زوجها يراقبنا ؛ بل تبعنا بعد حين ، لم أتمكن إلا من تقبيلها ومعانقتها .

قالت: لكنها قالت غير ذلك !

قال : قالت !

قالت: أصدقها أم أصدقك !

قال : ولكن زوجها لحق بنا.

قالت: أنت تعرف زوجها لا يهتم لمن تسلم نفسها إليه .. هو برميل شراب خاصة إذا كان مجانا .. نحن أبناء الغرب .. فهذه السهرات والحفلات لتغيير الجو .

قال : وتبادل الزوجات هل ...

قالت: لا كنت مستغرقة في الرقص.

قال : لا أدري لماذا تكذبين؟! لقد قال لي سعيد إنه قضى معك بعض الوقت الحميم.

قالت: كذاب ! إنه يسخر منك، لم أسمح له ، ولا أحد غيره .. اسأل جومار رئيس الخدم ، لم أغادر ساحة الاحتفال والرقص ، دخلت المرحاض دقائق ، فلما خرجت رأيته يفعل ما فعلت

قال كأنه مؤكد الوصف: سعيد أكيد كذاب ، قلت لك أنا لا أغار ، أسمح لك أن تفعلي ما تشائين .. المهم أن يبقى هذا الفعل خفيا عني .. التغيير جيد حبيبتي! ألم يكن لك الأصدقاء والعشاق قبل أن نلتقي في ذلك النادي؟.. وأفاجأ بالجمال الجرماني.

قالت : قلت لك إن أمي ألمانية ، وأبي من أصل تركي ، انتقل جدي جانسل من أسيا إلى

تركيا قبل الحرب الأولى، وأثناء الحرب عمل ضابطا مع الألمان ؛ حيث كانت شراكة بين تركيا وألمانيا الموحدة ، وبعد توقف الحرب تزوج أرملة ألمانية ولدت باريش جانسل .. كما أنت عربي من زريق هذه المدينة .

ولما ظل صامتا تابعت : كان لي عشاق ؛ كما كان لك .. كان لي صديق بعد طلاقي من موريس لاندري ؛ لكن بعد زواجي منك وقد أصبحت زوجتك اختفى .. عليّ أن أحافظ على شرفك .

ضحك وجلس واشعل سيجارة ، وهتف في صوت عال : رائع !رائع ! لعلني أصدق هذا الكلام الرائع.

قالت بسخرية : هات سيجارة .. صدق أني لا أخونك صحيح أسمح لبعضهم بمعانقتي .. فقط معانقة .. تصبح على خير أيها الحبيب !

قال : السيجارة .

****

نام الزوجان على سرير واحد بعد حفل ساهر ماجن ، لما خمد نذير ذهب في سبات عميق ، وكانت سلوفانا تكاد أن تنام أو مضى على نومها نصف ساعه عندما رنّ جرس التلفون في الحجرة انزعجت ومدت يدها تلقائيا للهاتف ؛ كما تعودت ، فسمعت صوت جومار يعتذر عن الاتصال ، وسألها عن السيد ، فصرخت منزعجة : غرق في النوم .. لماذا هذا الإزعاج ؟! لم أكد اغفى.

قال : لدينا مشكلة .. أريد السيد.

صرخت: إنه نائم .. ما هي المشكلة؟!

قال : أريد السيد.

أغلقت السماعة بغضب ، فتح نذير عينيه على صياحها ، وحاول الكلام ، ثم لزم الصمت ، فقد ازداد ثقل اللسان ، وتابع النوم ؛ ولكن الهاتف رنّ مره ثانية ، فقالت : لن يبقى هذا

الرجل في البيت !

رفعت السماعة بغضب قائلة : أنت مزعج .

فقال: أنا آسف يا سيدتي! أريد السيد .. الأمر خطير .. كان عليه أن ينام في غرفته.. آسف آسف يا سيدتي !

قالت بحنق : إنه نائم .. لا يريد أن يستيقظ .

تناول الزوج السماعة منها بسخط قائلا: ماذا هناك يا جومار ؟لم ننم بعمق بعد .. هل بقي في القصر خمر ؟

قال : هناك سيد نائم في إحدى الحجرات زوج السيدة فريدة.. لا يريد أن يستيقظ هل استدعي له الطبيب؟

قال : طبيب ! لماذا ؟ إنه نائم شرب كثيرا من الكحول فليبق نائما.

قال : زوجته اتصلت .. هي التي اتصلت.. لما دخلت بيتها لم تر زوجها .. فتنبهت أنها تركته في تلك الحجرة نائما .

قال نذير: دعه نائما حتى الصباح.

قال : اخشى أن يكون ميتا .

قال : لا ، ليس بميت ، تناول حبة مخدر أو منوم .

سمع تنهد جومار وقال : كما تشاء يا سيدي !

وضع السماعة ، وسمع زوجته تسأل ، فقال : فريدة نسيت زوجها نائما في تلك الحجرة ، اتصلت بجومار فذهب لتلك الحجرة ليوقظه ، ورفض أن يستيقظ فظنه مريضا أو ميتا .

قالت : أسقيتموه مخدرا!

قال : نامي نامي ،لحق بنا ، وكان علينا أن نتخلص منه .

قالت بهزء : ألم أقل إنك قضيت ساعه لذة معها ؟.. أنا أعرف فريدة أكثر منك، وما تعرت إلا للقضاء عليك !

قال :كنا سكارى ، وليس على السكران حرج ، هي سلمت نفسها لي .

قالت : وماذا ستفعل مع زوجها لما يستيقظ ؟

قال : سينسى الأمر ، لست أول رجل ينام مع زوجته ، وهو يعرفها جيدا .

قالت : لو فعلت ذلك من ورائه لكان ألطف.

قال : المتعة تأتي فجأة يا سلوفانا ! أنا أحس بتعب .

قالت مفسرة تعبه : من السكر والجنس .. لا تراعي صحتك ..أطلب لك قهوة.

قال لها: اطلبي الطبيب.

قالت بقلق : الطبيب !

قال بوهن : أجل أو حتى سيارة الإسعاف إني أكاد أفقد الوعي .. صدري يضيق.

قالت : نصحك الطبيب بتقليل الشراب .. الكبد مريض عندك !

نهضت عن السرير وقالت : حتى أنا أكثرت من الشراب .. الصداع يكاد يفجر رأسي .

ارتدت الروب ، وضغطت على جرس الخادمة التي لبت النداء بعد حين يسير وفتحت الباب فقالت: اطلبي جومار

قالت الفرنسية : ما زال مستيقظا .

عندما رن الهاتف تحدث مع الخادمة ، ثم سمع السيدة تصيح فيه ، وتطلب منه سيارة الإسعاف: السيد نذير وجع .. معه وجع شديد.

قال: منذ قليل كنت أتحدث معه يا سيدتي !

قالت : افعل ما يطلب منك .

قال : حسنا !

جاء الطبيب ، وسيارة الإسعاف ، وتم نقل السيد نذير خاتم إلى سيارة الإسعاف الخاصة بالمستشفى المتعاقد معه للعلاج ومن يعيش في القصر ، ادخل غرفه العناية المركزة ، وبعد إجراءات طبية تحسنت أحوال نذير ، ونقل إلى غرفة خاصة للمتابعة في الصباح .

الصديق الجديد

قضى السيد نذير ثلاثة أيام في المستشفى ، وعلم أنه كبده يعاني من مشاكل صحية زائدة ، وأكد له الطبيب عجز المستشفى عن معالجته ، وعليه أن يذهب للعلاج في ألمانيا ؛ حيث عولج سابقا في بداية مرضه ، رشحت ألمانيا لعلاجه ، فهو يحمل جنسيتها ، وتزوج السيدة سلوفانا فيها ، حيث تعرف عليها في أحد النوادي الفندقية التي اعتاد ارتيادها بصحبة والدها باريش ، فهو صاحب استثمارات كبيرة مشتركة في البرازيل سان باولو وريو دي جانيرو وسانتياغو وألمانيا في قطاع السيارات والفنادق وصناعة السلاح . فلم عاد للقصر أخذ الطبيب الخاص جدا به الدكتور رشدي بالو أخصائي القلب والأوعية ترتيب أمور سفره مع الأطباء الذين سيقابلهم في ميونخ جنوب شرق تلك البلاد ؛ حيث له شقه خاصة فيها ينزل فيها عندما تطول غيبته عن مدينة زريق (القمر صافي الضياء) .

بدأ الأصدقاء والمعارف يتوافدون على قصره للاطمئنان على صحته وتوديعه عندما انتشر نبأ السفر للعلاج في أوروبا ، وأخذت سلوفانا بدورها تستعد للسفر ومرافقته في رحله العلاج ، ويصحبها خادمتها الخاصة جوليا بانزر الفرنسية ، التي تعاقدت معها منذ عهد ليس بالبعيد أثناء رحلة من رحلاتها إلى فرنسا ، وطبيبها الخاص لوقان فريد آق ، ومنعه رشدي من تناول الكحول قبل رحلة العلاج ، ومنع أيضا من الاتصال والجماع بالنساء لأقصى حد ، وكان قديما أثناء انتقاله من البرازيل إلى ألمانيا تمت معالجته من مشاكل الكبد التي تظهر عليه بسبب الإكثار من الكحول بين حين وآخر ، ولديه متاعب في عضلة القلب والشرايين .

وكان الصديق بسيل مجديان صديق العائلة الصديق المقرب منهم أكثر من الآخرين ، كان يحثها على البقاء في القصر ، وكان يطمع في علاقة حميمة معها وحاول وسعى في ذلك ، وكان نذير قد سعى لهذه العلاقة مع ريما زوجة بسيل ، كانت السلوفانا تصده وتبين له أنها لا يمكن أن تخون نذير رغم خيانته المكشوفة لها ، وأن ما بينها وبينه وبينهم استلطاف لم يصل إلى هذه العلاقة الحميمية ، وكان نذير يحاول الوصول لإقامة علاقة متعة مع ريما ؛ ولكنها أيضا كانت تصده ،

وتتجنب الخلوة معه رغم الهدايا التي يتحفها بها ، كانت تقبل هداياه وتصده في لطف وتبين له أنها تكره الخيانة الزوجية رغم ما يعيشون فيه من الفساد والانحلال ، وكانت سلوفانا تشكر لها هذا الموقف مع أن ذلك لا يهمها كثيرا ، فهي تتقبلهم على مضض ، ولأنهم رفاق نذير فقط ، فهي تعرف زوجها أنه زير نساء ، وزير خمر قبل استقرارهم في زريق ؛ وإنما قبلت به للثروة والأموال التي دفعها لها عندما التقيا أول مرة في نادي أرستقراطي ألماني تابع لفندق ضخم ، وأظهر إعجابه بها فورا رغم أنها مطلقة ؛ لكنها فتنة وفتنته ، وخلال أشهر كان زواجهما ، وتزوجا بعقد شرعي قانوني ؛ لأن أهلها وهي أصروا على ذلك فوالدها باريش مسلم تركي ، وسلم ووافق على ذلك .

ومنحها حريه السفر والتنقل بين أوروبا و بلده زريق ، وهي كانت تعلم أن الرجل متزوج ، وأن زوجته البرازيلية هربت مع صديق لها ، واختفت في بلدان العالم ، طلقها غيابيا ، ولم تعرف أسباب هربها بالضبط ، وهو ولم يكشف لها كل شيء ، عرفت أن أحدهم استولى عليها واختفت فجأة ، وقضى سنة يبحث عنها ، ولما التقى سلوفانا نسيها وبعد سنتين رجع إلى بلده العربي زريق من ألمانيا ، واستقر في القصر الطالع(من أسماء القمر) ، ومتابعة شركاته واستثماراته المحلية، بحيث هو يملك مجموعه من الشركات والمصانع في بلده زريق ،بدأ بها وهو سان دي جانيرو ، وله استثمارات في البرازيل وألمانيا الغربية.

منذ التقى الطبيب بسيل بالسيدة سلوفانا وهو مفتون بها وبقوامها وجمالها الأوروبي وعيونها الزرق ، وحاول إقناعها بالاستسلام له كعشيق فراش ، وشجعها على الطلاق من زوجها ليتزوجها ، وتنجب منه ، طلق الأولى ، وأبدى استعداده لطلاق ريما زوجته الثانية مع أن له منها طفلين ، وأن ريما موافقة على ذلك الطلاق رغم رفض والديها من شدة ولعه وهواه وعشقه لسلولفانا ، رغم المصالح الكبيرة التي تربط بينه وبين والد ريما ، رفضت سلوفانا التخلي عن زوجها نذير مع ما لمسته من حب بسيل وتملقه لها حتى أن نذيرا أدرك ذلك التعلق والهوس والتملق حتى أنه وافق على طلاقها إذا قبلت بصديقه بسيل وقال : إنه يكثر التردد عليك يا

سلوفانا ويكثر من الاتصال لا أعتقد أنه حب حقيقي .. هو يريد الانتقام منى لمغازلتي زوجته ريما ، فيزعم حبك، وإنه ولهان.

قالت : تقريبا ؛ لكني اعتذر إليه ، رفضت رغبته بالزواج مني .. أنا لك وحدك رغم خياناتك الكثيرة .. أنا عرفتك قبل الرحيل إلى هذا البلد واعرف شلتك وهوسكم بالنساء والخمر والقمار .

قال : قلت لك ذلك عند الزواج ، أنا مفتون بالنساء ؛ خاصة بنات طبقتك والمشهورات .. وقلتي افعل ما تشاء .. وسمحت لك ببعض الانفلات .

قالت بفخر : صدق أنا منذ تزوجتك لم أمكن رجلا مني مع ما تراه من الرقص والقبل الخاطفة مع الأصدقاء أنا لك وحدك صدق ذلك .

قال : أتمنى أن يصدق ذلك .. كأنك نسيت اللعين !

قالت : ضعفت أمام فتنته وهجرك لي الشهور ، وقد انتهى ما بيننا .. تحدثنا كثيرا في هذا.. هل تحدد وقت الرحيل ؟ سأرحل معك.. أنت زوجي وحبي .

قال : أنت عجيبة ! لكنك بنت أوروبا .. تعاشر إحداكن الحمار وفي الصباح لا تعرفن الحمار البتة ! ما أخبار قطك الأسود باريس .

قالت : جاء الطبيب ونقله إلى مستشفى الحيوان أو عيادته الخاصة ؛ كأنه تأثر بمرضك ، وتعاطف معك ، وعاد وما زال متعبا ، فقد الكثير من الشعر .

قال نذير : ربما لم يتعود على مناخ زريق بعد .. والقط قطك ، أنا لا أحب القطط ولا الكلاب أميرتي علمت أن بسيلا حاول أو سعى لتقديم سيارة جديده لك

قالت ساخرة : رفضت بأدب ، وقلت الهدايا بعد الرجوع من رحلة العلاج .

قال : إنه معقد ، ويظن أنه دون جوان ، لا تقف امرأة أمام وسامته .

قالت : أنت تشتهي زوجته أمامه ، وألم تقل له إنك مستعد أن تدفع مائة ألف لتنام مع ريما ليلة واحدة ، فهو يعمل مثلك .

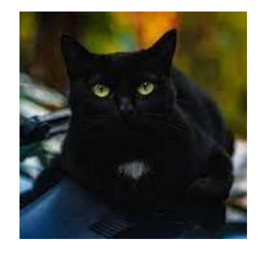
قال : لا حرج على السكران ، كنت سكران لا أدري بما يخرج .

قالت : وهل أنت تصحى بالليل.. أنت كما قلت لي تسكر منذ كنت طفلا .

قال : صحيح ! علموني عليها صغيرا ، وأنا كما تعلمين ولدت في البرازيل من أم برازيلية ، ووالدي مهاجر عربي ، وعدت للوطن حتى تخرجت من الثانوية العامة عشت في جدتي وعمي روح ، ثم هاجرت إلى أمريكا للدراسة الأولى ، ثم مسقط ولادتي لأبدأ حياة عملية مستقلة ، وتزوجت بنت أحد الشركاء ، كما حصل معنا ، وكانت حياتي الخمر والنساء في تلك البلاد ، بلاد مفتوحه مسموح فيها القمار النساء والخمر أكثر من البلاد العربية ، المهم موافقة الرجل والمرأة على إقامة علاقه ، فلو رأى الرجل أباه أمه أخته وبنته عليه أن يصمت ، ولا يعترض ، وألمانيا بلدك تبارك ذلك .. هناك تكثر أولاد الزنا يلقون في الزبالة ، وأعدادهم كثيرة في البرازيل بسبب الإباحية ؛ فاذا لم يمت في العالم الغربي الدولة المسؤولة تأخذه ؛ فهي المسؤولة عن الأطفال فالأب الذي يضرب أبناءه يؤخذون منه ، ويدفعونه إلى أسرة بديلة ، الآباء لا تتحمل المسؤولية هنا إذا فجر رجل بامرأة يزوجونهم إن لم يكونوا متزوجين ، وينسب المولود للأب حتى لو كان ابن زنا .. أقول أنا سعيد بصحبتك ، وسأضيف لحسابك نصف مليون عند السفر ؛ لأنك صبرتي وتحملت جنوني .

قالت: شكرا لك ، أنا زوجتك حتى الفراق .

قال: أنا أعلم أنك قبلت بي زوجا من أجل المال.



التهيئة

لم يكن السيد نذير مدير عام شركات ومصانع الشمس المشرقة يسمح للمديرين والعاملين في إدارة الشركات والمصانع المملوكة لشخصه أو مشارك في مجلس إدارتها المشاركة في السهرات والحفلات التي يقيمها سواء في قصره أو أي مكان آخر ، فقط أصدقاؤه وأصدقاء الزوجة .

تحدث مع نائبه علي يوسف لعقد مجتمع لمديري الشركات والمصانع قبل السفر للعلاج في ميونخ وحدد له التاريخ والوقت ، فرحب الدكتور المهندس علي بالاجتماع ، فهو له أكثر من شهر لم يجتمع بهم أو يدخل الإدارة .

فلما انتهى من الحديث مع المساعد أو النائب قالت له سلوفانا : أليس في ذلك خطر على صحتك فلك أسابيع تتابع العمل بالهاتف ، وتقرأ التقارير في المكتب الداخلي ، وتلتقي بعلي وبكر وتسمع منها .

قال : لا يكفي يا سيدتي مناقشة العمل عن طريق الهاتف ؛ لابد من عقد هذه الاجتماعات مع مدراء الشركات والمصانع ومن زيارتها شخصيا والتحدث مع الموظفين والعمال ؛ ليكون الاهتمام من الموظفين والمدراء ، ومشاهدة ردات الفعل والوجوه والعيون لها لغة يا سلوفانا .

قالت : رغم مجونك المعروف أنت في العمل والمال عملاق يا نذير!

قال مضيفا : الاتصال بهم والكلام المباشر معهم يضعف الانتهازيون ، ويتعرف المرء على الكفاءات واختيار الكوادر النشيطة ، ووضعهم في الأماكن الدقيقة.

قالت : أنا أشهد لك بالذكاء والمكر .. فأبي استعان بك لما عصفت به الأزمة ، وتحدث عن نجاحك وقدرتك في سان باولو وترجاك بالمجيء لألمانيا وأصلحت الحال وتزوجت ابنته .

قهقهة وقال : وألم استحوذ عليك وأتمتع بهذا الحسن والقوام؟ الدول تلين بالمال .

تبسمت وقالت : وبذلك أشهد أيضا ! لقد بهرتني وأقنعتي بأن أكون لك زوجة رغم ترفك الشائع ، وقد مللت مني سريعا .

تنهد وقال : لم أملّك ؛ لكني تزوجتك ، وقد أنهكتني النساء .. أخجل أن أبدو ضعيفا أمام

هذا الحسن .. العمل شيء واللهو والمرح شيء آخر .

قالت : هكذا تريد الدنيا منا أن نكون جادين وغير جادين .. أنت في العمل والإدارة بارع لقد قمت بإقناع أبي وأخي بالاقتناع بك والرضا بي زوجة لشريك أبي .

قال : توفيق من الله ..والدك فتح لي الطريق إليك ، وتحدث كثيرا عنك قبل اللقاء .

كان سيد نذير لا يوظف أنثى في إدارة شركة أو مصنع ، كان في العمل يحب التعامل مع الذكور لأنه ضعيف أمام إغرائهن وملابسهن ومساحيقهن يفتن بسهولة ويسقط في حبالهن وكيدهنّ ولا يحب أن يكون ضعيفا مع الموظفين ؛ لذلك كل عشيقاته كن من خارج العمل والوظيفة. السكرتاريا يقوم بها رجال ، ولا يحب أيضا أن يشاركه المدراء لهوه وسهراته إلا بالحد الضيق والضروري ، أما مدراءه فيتخذون السكرتيرات دون ممانعة ، ويفعل هذا الترتيب للمحافظة على أسرار العمل والإنتاج والتصميمات .. فهو يعتقد أن النساء أسرع في نقل أخبار وأسرار الإدارة والشغل من الرجال .

دخل قاعة الاجتماع في مجمع شركاته ومصانعه مصانع وشركات الشمس المشرقة كان حازما مع الكادر الإداري ، جرت مجاملات الترحيب والدعاء بالسلامة والرحلة الشافية والعودة معافى ، واستمع لبعض المديرين ومشاكلهم ونجاحتهم قضى ثلاث ساعات يسمع ويناقش.

ولما غادر الكثير منهم قال : هل بقي شيء يا حكمت؟

قال أحد مساعدي القانوني بكر : نعم يا سيدي! نحن علاقتنا والقضايا القانونية خلال فترة غيابك لمتابعة العلاج مع من نتابع القضايا.

قال: الموت وارد يا حكمت ويا أستاذ بكر شركاتي وأموالي في ألمانيا لا مشاكل قانونية معكم ، ويتابعها مكتب لا دخل له هنا ، كما أنكم لا دخل لكم بألمانيا أو البرازيل كل بلد لها أنظمة خاصة في الاستثمار والتفاصيل .. وأموري هناك منظمة ومستقلة عن المجموعة ، وصيتي توزع بعد موتي بست سنين ، وكذلك حصصي في البرازيل ، المشكلة هنا ؛ لأن المال يوزع حسب القانون الشرعي ، أنا أعرف بالقانون المالي والميراث ؛ وكما قلت لعلي يوسف وبكر أن يصرف

على القصر وسلوفانا من أموالي هنا ، وبعد ست سنوات من الوفاة توزع الأموال المسجلة باسمي حسب قانون هذا البلد ، والثلث المسموح به كوصية مكتوب يا حكمت ، والاهم سأنقل ملكية نصف الشركات لزوجتي تمتلكها بعد موتي بست سنوات ، لأنها ستكون المديرة للمجموعة حتى ترثني ، وهي حرة التصرف ، البقاء شريكة أو تبيع حصتها ، أما هناك فتدفع لزوجتي كوصية بعد ست سنين ، أنتم لا دخل لكم فيها.

قال: جيد ! نعتمد توقيع وختم السيدة .. نتمنى لك السلامة ونجاح العملية .

قال: أشكر اهتمامك بهذه الجزئية المهمة .. وبالطبع ستبقى الأعمال قائمة بقيادة علي يوسف لمدة ست سنوات، ثم تصفى وتوزع لبعض الأندية والجمعيات والباقي لزوجتي.

قال حكمت : زوجتك قديرة على الإدارة.. أنا علمت أن وضعك الصحي حرج فمن أجل ذلك أحببت فهم ذلك.

قال: الدكتور علي عنده التفاصيل .

ـ أبوك وامك .

قال: من ميراثي هنا سيأخذون بعد إنهاء وتصفية الشركات والمصانع وحصصي فيها ، أنا أتعامل مع كل بلد حسب نظمها في المال .. هنا يسمحون بالوصية بثلث المال لمن يشاء والثلثان للورثة ، وأنا علاقتي بهم سيئة ؛ لعلك سمعت ، نتحدث بأضيق الحدود كل واحد ليس بحاجة للآخر ، فهم في مرضي هذا لم يتحدث أحدهم معي بالهاتف.

قال: نتمنى لك الشفاء والعافية شكرا على صراحتك.

قال: إلى اللقاء قضية المهندس حسن.

قال بكر : سنعمل على تسويتها ، كما اتفقنا معه، وغادر العمل أو المصنع .

قال: المهم غادر راضيا.

ضحك علي : لا أحد يترك عمله راضيا ومسرورا ، ولا اعتقد أن يجد من أكرم منا

قال: انه رجل فهمان وقادر على العطاء.

قال بكر : هذا لا ينكر يا سيدي !

قال علي: أكيد ، ولكن لا يبقى احد ولا يدوم ، ونحن تركنا باب العمل مفتوحا.. ما كان عليه أن يتلاعب بالمواد.

قال نذير : أنكر هذا التلاعب يا علي!

استقبلت سلوفانا زوجها بالعناق والقبل بعد عودته من الاجتماع الطويل على باب القصر : لعلك سعدت بلقاء أعوانك يا زوجي الحبيب ! كنت أضع يدي على صدري قلقا عليك.

قال باسما وشاكرا للاستقبال الدافئ : يستعدون لموتي ، لقد صارحهم الطبيب بذلك ، وأخبرهم أنك ستكونين الرئيسة والمديرة عليهم .. تكلم طبيبك أكثر مما ينبغي له.

ـ كل هذا عليّ القيام به !

قال مخففا الأمر : معك علي يوسف ، والمال في شراكتي لأبيك لك بعد موتي ، وثروتي في دي جانيرو أما هنا فسيكون الميراث حسب الشريعة المعمول بها هنا ، سيكون لك الربع بحكم عدم وجود أبناء لك مني إلا إذا لبسوني شرعا ابن الهاربة ستنقص حصتك ، ولكني طلبت كما تعلمين أن يؤخر توزيع المال بعد خمس ست سنين من موتي ، فعليك أن تديري العمل لتأخذي الأرباح حتى تمضي السنون.

قالت بدعاء : إن شاء الله تنجح العملية وتعود فحلا كما عهدناك.

قال بحسرة : أنهكتني النساء والغانيات ، ليتنا التقينا قبل سنين واكتفيت بك .. أنا أحبك يا سلوفانا.. حب من طرف واحد .. أنت أحببت المال أعلم ذلك .. وأنا سأتركه لك ، وهذا القصر سيكون لك .. قبل السفر سأنقل ملكيته لك رغم خياناتي التي لا تنتهي.. لم تخوني نذيرا إلا مع ...

قالت مذكرة : أنت قلت ذلك قبل زواجنا ، وأنا قبلت ذلك، فعليّ بالصبر .. ما تتركه لي كثير اهلك !

قال : سيأخذون بالميراث فقط .. لنا في هذه البلدة الكثير.. وهو كثير

قالت : على ذكر الأهل .. أبوك اتصل يريد مالا قرضا !

قال معللا : سمعت أن سفينة له غرقت وتضررت ، سأرفض قرضه .. متى اتصل؟

قالت : بعد خروجك بقليل ، وهو في تركيا في احد فنادقها ، وأمك مريضة

قال معرضا : مريضة! احضرها يتسول بها .

قالت : إنك قاسي نحوهم !

قال متأففا : منذ افترقنا من ربع قرن ، ونحن في جفاء .. الأبناء والبنات .. ساعدته مرات ، ولم يسدد فلسا من أي قرض.

قالت: أنا احب أن تكون علاقتك طيبة معهم .. فأمك تتهمني بإفسادك عليها

ضحك وقال : أنت طيبة ! المال يحتاج إلى قوة تحميه من القريب والغريب .

****

صار السيد يمارس عمله المكتبي يوميا ، وذات نهار اخبره السكرتير أن والديه بالباب ، فأذن لهما ، وترك الكرسي معانقا لهما ، واستأذن علي والسكرتير خالد بالإشارة فحنى لهما رأسه بالإذن وعاد إلى المكتب ، وهو يطمئنهما على صحته قائلا : مرض الكبد قد عاد من جديد يغيب ويظهر وقريبا سأسافر إلى ميونخ للعلاج في نفس المستشفى الذي تعالجت فيه لما غادرت البرازيل وتزوجت سلوفانا .. مرحبا أمي مرحبا أبي !

تمتما بما يناسب المقام وقالت أمه : أنا عاتبة عليك يا نذير ! لم أعد أسمع صوتك!

قال : الشغل كثير ، ولما أغادر العمل اشتغل بالشراب واللهو فأنسى .. أنت اتصلي كما كنت تفعلين قديما.

قالت: كلما اتصل ترد الخادمات .

فقال : ربما كان جومار يقول لي وأنس الرد من السكر .. أرسلت لك مالا جيدا

قالت بغضب وسخط : المبلغ غير جيد ثمن ثوب واحد!

قال متهكما : طاعة ! عشرة آلاف دولار ثمن ثوب واحد .. وأنت يا أبي بكم تشتري لها

السروال؟

قالت: أريد خمسين ألفا، لقد رأيت عقدا من الزمرد في بروكسل وأعجبني!

قال مكرها : أنت لمن تجمعين ؟! حاضر سأقدم لك خمسين ألف سوى العشرة .. هل بقي لك أصدقاء .. أبي يقول هجروك كبرت وعجّزوا .

قال الأب: أنا لا أريد شيئا .. أريد قرضا كبيرا

قال : أنا اعتذر يا دكتور خاتم تأخذ باسم القرض ولا تسد .. السفينة المعطوبة أليست مؤمنة ؟ أتريد خمسين مثلها ؟

قال: أنا لا أقبل الصدقة .

قال: هذه ليست صدقة ، إنها عطية .. فلماذا القرض ؟!

قال: سنعوض أسر الضحايا والبحارة .

قال نذير : شركات التأمين ستدفع !

قال: يحتاج ذلك لوقت ، ولابد من المواساة العاجلة

قال محتجا : على حسابي.. اقترض من البنك .. دفع الأخوة!

قال: بدأت بك.. أنت أغنانا.

قال: حسد .. ضقت يوما ولم تقدم لي شيئا أنت وأطفالك

قال: هذا كان قديما قبل عشرين سنة .

قال: المرء لا ينسى السيء .. تخليتم عني كلكم حتى هذه ـ وأشار لأمه ـ قالت اعمل على قدر فلوسك .. وأنا عملت على قد فلوسي ، ووفقت بامتلاك أول مليون

قال: حسنا ! شكرا يا نذير ما دام عدنا للماضي البعيد

ـ أتريد خمسين ؟

قال: لا، أنا أريد قرضا بمليون .

ـ البنوك ستقرضك ما تريد.

قال: الفوائد ستكون كبيرة.

ـ بع بعض الأملاك

قام مودعا تتبعه زوجته بصمت ، وغادرا المكتب ، دخل السكرتير بعد انصرافهما: امرأة ترغب برؤيتك .

قال محتارا : امرأة تريد الحديث مع نذير خاتم ! ولماذا؟!

قال السكرتير : موظفة في احدى الوزرات .

قال مستفهما : تبرعات !

قال السكرتير : ربما ! تريد مقابلة شخصية.. رفضت الجلوس مع الدكتور علي

قال: اعتذر لها .. أنا سأغادر من الباب الأمني .. السائق جاهز.

قال السكرتير : نعم

غادر من باب آخر ، ووجد السائق في انتظاره ، فلما جلس قال : البيت يا جون.

تناول الغداء مع زوجته في قاعة طعام البيت ، وأخبره قيم القصر الهندي جومار ليلا بأن فريدة تريد مقابلة لتتدخل في الصلح بينها وبين زوجها، فهما في حالة حرب وخصومة من تلك الليلة وستكون حفلة صغيرة الليلة مع بضعة أشخاص بمناسبة عودته للمكتب والعمل.

قال باسما : سلوفانا تريد ذلك!

قال: نعم، يا سيدي ! وطلبت أن لا يكون خمر ومشروبات

فضحك وقال: وكيف ستكون حفلة؟!

قال: دعت عشرة أشخاص

قال: لو وضعت بعض المشروب يا جومار ! لي شهر لم اشرب سوى القليل ؛ لذلك أحس بالعطش سأحدد موعد السفر للعلاج

كان المدعون للحفلة الصغيرة من صديقات سلوفانا من الجالية التركية رجال أعمال من أصول تركية وزوجاتهم، قضوا سهرة ممتعة من سهراتهم كما يزعمون، وعند منتصف الليل فضت

وانقضت السهرة ، وغادر المدعوون القصر .

طلب نذير تجهيز حجرته الخاصة للمبيت فهمست زوجته : حجرتي جاهزة يا نذير!

قال: إنني متعب ، صرت اتعب من جرعة الخمر .. رأيت لم اشرب الكثير.

قالت: أنت يا حبيبي ممنوع عنها نهائيا .. توقف حتى تعود من العلاج

قال جومار: السيدة فريدة حضرت.

نظر لسلوفانا وقال: ما العمل ؟ منذ تلك الليلة وهي في خصومة مع زوجها ؛ كأنه أول مرة يعلم أنها تنام مع رجل آخر!

قالت: هذا الغريب ! هي تمارس البغاء والزنا بعلمه ورضاه ، يعلم بخيانتها.. لماذا هذه المرة يكبر القصة؟!

قال: يبدو أنه يرغب بالطلاق بدون تحمل توابعه ، لقد صدم من وضعها المخدر في شرابه ؛ كأنها أول مرة تفعل ذلك .. دعها تدخل يا جومار .. اجلسي يا سلوفانا لا رغبة لي بأي علاقة الليلة أشارت للخادمة الفرنسية بالابتعاد ، دخلت فريدة وعانقتهما وهي تتأسف على إزعاجهما وقالت:آسف يا سلوفانا .. أصبح مزعجا .. يعتبرني خرجت عن المألوف برقصي عارية أمامكم يريد طلاقي هل أقبل؟

قال نذير : أنا لا احب الطلاق يا فريدة ! ألا حل آخر؟

قالت: ما الحل الآخر؟

قال: تركك للرجال إلى حين .. هدنة من الزمن .

قالت: إنهم لا يتركونني .. يشتهون لحمي يا سلوفانا ! لا يستغنون عن اللقاء بي حتى أيام الحيض .. وأنا تعودت على مضاجعة الرجال مدمنة للخمر والجنس حتى أنني اترك الوظيفة ساعات لمعاشرتهم ثم أعود للعمل.

قالت السيدة : أنت مريضة .. عليك بالعلاج والعقاقير .. الشبق الزائد له علاج

قالت: أين العلاج؟

قالت السيدة : ليس هنا.. عند الأطباء .. أطباء العلاج النفسي يعالجون الشبق الزائد .. كل داء له دواء .

قالت: لا أدري سبب الغيرة لديه عندما يبدو عاجزا عن الاتصال بالنساء!

قال السيد: مريض مثلي.

قالت: قد يكون ذلك ؛ لذلك لا يريدني أن أمارس العلاقة والشهوة مع غيره

قالت السيدة : توقفي.. افرضي نفسك في مستشفى مريضة ممنوعة من الحركة .. ها هو زوجي الحبيب منذ تلك الليلة اللعينة لم يقرب أنثى، وقلل جدا من الكحول

قالت : لا استطيع .. تعب ليلة الاحتفال بالقط الأسود ، وأنا منها وأنا أعاني منه .. إنني اعجب منك وقدرتك على الصبر عن السيد نذير وعن الرجال.. لا يوجد لك عشاق من وراء نذير .

قال مادحا : هذا اجمل شيء فيها !

قالت: هل هو الوفاء؟

لم يرد احد فقالت : الحل أن ابتعد عن الرجال لحين.. إجازة .. وكم يكون هذا الحين ؟

قال متهكما : لا اعتقد نجاحك في ذلك ولو يوما واحدا ! كم ستصبرين ؟! أنا متأكد قبل حضورك إلى هنا قضيت بعض الوقت عند احدهم .. ولا احب أن اعرف من هو؟

قالت: لا استطيع الصبر ..كل من يطلبني أسير إليه حتى تمنيت أن اترك الطب واعمل في حانة ودار دعارة أربعا وعشرين ساعة .

قالت السيدة : هو الأفضل لك.. كم مريض سقط في شهوتك؟

قالت: أنا لا أريد الطلاق.. فالزواج سترة وتغطية يا سلوفانا

قال: ابتعد زوجك عن النساء

قالت: ظاهرا ابتعد ، فهو منذ زمن يتجنب معاشرتي خوفا من الأمراض يزعم

قالت السيدة : اعتبرني نفسك في حالة مرض

قالت: كنتم في سهرة الليلة كما بدا لي!

قالت السيدة : نعم زارتنا بعض جاليتي التركية ، فوالدي تركي الأصل وأمي ألمانية، فكانت حفلة صغيرة بمناسبة عودة نذير للعمل في المكاتب .. أريد النوم يا نذير هل تحب أن تنام معي في الحجرة ؟

صمت للحظات وقال: أكيد أنا منذ مرضت صرت أنام في حجرتك

قالت فريدة: أتسمحون أن اقضي الليل بالنوم في قصركم .. لم يبق على الفجر الكثير ..اخشى أن أعود للبيت واجد امرأة مع زوجي .

رحب نذير ببقائها فقال : لا تمانع سلوفانا بقضاء ليلتك هنا

قال: اقترب جومار .

فهب قائما : سيدي !

قال: خذ هذه السيدة إلى غرفة نوم الضيوف .

هزّ رأسه موافقا وقال : اتبعيني يا سيدتي !

قالت: شكرا لكما .. تصبحون على خير

قالت السيدة : لا بأس قد قبل السيد نومك في القصر .

قالت: شكرا عزيزتي.

صعدت سلوفانا إلى غرفتها أو جناحها يتبعها نذير وأحد الخدم يمسك به ، ولما دخلوا جناحها . قالت لزوجها : سيدي أنت ممنوع من معاشرة النساء والكحول ريثما تتعالج.. اذا جاءت من أجل المتعة معك فاذهب إليها إنها لا تستطيع أن تنام بدون رجل!

قال: معلوم .. اعرف هي جاءت من اجل ذلك ؛ وليس من اجل زوجها ، ولا انكر أنها فاتنة في إثارة الغريزة ؛ ولكني عاجز عن الحب والجماع.. مع أنها تقوم بالفحوصات الجنسية باستمرار معاشرتها فيها مخاطرة .. الأمراض الجنسية كثيرة هذه الأيام ؛ لعل جومار ينام في فراشها ويسليها .

قالت السيدة : نعم ، الصحة تاج على رؤوس الأصحاء

خلعت الخادمة ملابس سيدتها وألبستها ملابس النوم وأدخلتها في الفراش وخرجت، فخلع نذير ثياب السهرة ولبس ملابس النوم ودخل الفراش ، وتناول حبتين منوم وبعد دقائق غرق في النوم حتى لا تظن سلوفانا أنه سيخرج إليها ليلا .

****

قاد جومار السيدة إلى غرفة نوم ، وتفقد الحجرة وقال: ادخلي دكتورة فريدة سأرسل الخادمة لترتيب السرير .

قالت: لا داعي أنا سأرتب السرير .. ارسل خادما ببعض الشراب

قال: سأرسل لك الساقي رومو

قالت: لا بأس .. فهو شاب لطيف هندي مثلك

قال: نعم ، وزوجته خادمة الغرف فتاة لطيفة .. هل من خدمة أخرى؟

ـ فقط الشراب مع رومو

اغلق الباب وخرج ، أتاها رومو بزجاجة كحول وكأس ووضعها على طاولة وقالت: ألا يوجد ملابس نوم يا رومو؟

فتح الخزانة وقال : هذا . وأشار لثوب معلق فيها .

فقالت: أوه! لم أره .. كيف اتصل بك اذا احتجت لشيء ؛ لأني لا أنام بسرعة؟

قال: هنا جرس . ودلها عليه بجوار المنضدة وقال: اضغطي عليه أكون عندك يا سيدتي .. نحن في خدمة ضيوف السيد نذير.

أراد الخروج فقالت: انتظر رومو

قال: سأقف خارج الغرفة حتى ترتدي ثياب النوم

قالت: لا تهتم عندما أنام سألبسها .. أتشرب ؟

قال: شكرا سيدتي ! وغادر الغرفة

فقالت لنفسها : سلوفانا تعلم لم جئت.. استولت عليه الليلة ؛ ولكنه لا يحبها ، ولا يحب

مضاجعتها أم يكذب علينا .. وهل هو ممنوع من الحب فعلا ؟ هل احضر منذر فتاة لشقتنا الليلة إنه يعشق المومسات بنات الليل .. بنات النوادي الليلية .. هل استطيع أن اشتغل مومسا ؟ كان والديّ عاهرين فماذا سنكون نحن؟ هرب مني نذير.. هو يدرك أنني مفتونة به .. الخادم شاب بدا لي قويا ومعه زوجته كما قال جومار ، لا يقبل جومار معاشرتي.. كان يتهرب من إشاراتي كلما راودته .. ذات ليلة كاد يصفعني لما تحرشت به .. أحاول مع رومو بدا لينا.. زوجي الآن يداعب مومسا ، ولا احد يداعبني.. تعودت على الزنا ، هل هذا زنا ؟ شربت كوبا. ثم ضغطت على الجرس، فلبى الخادم وطرق الباب وقال: نعم ، سيدتي !

قالت: انظر هذا الخاتم

قال: جميل!

قالت: امسكه

فاقترب وتناوله بيده وتأمله فقالت: هو لك اذا قضيتك ليتك معي على هذا السرير

فقال: سيدي يغضب اذا علم

قالت: من سيخبر سيدك ؟

وأخذت تخلع ملابسه وأسقته كأسا وقد تعرت تماما ، وألقت نفسها على السرير ، فلم يملك نفسه أمام هذا العري فألقى نفسه جنبها ،وبينما هما في لذة الشهوة والفسق فتح الباب ودخل جومار وزوج السيدة ، فقال جومار : ماذا تفعل يا رومو ؟ كانا عاريين.

فقال الزوج: من رومو هذا ؟

فقال جومار : هذا الذي يجامع زوجتك.. احد خدم القصر سيد منذر

ارتدى رومو ثيابه عجلا وقال : هي راودني . وخرج مسرعا بإشارة من جومار

فقال: هذه زوجتك يا دكتور .. يبدو أننا ازعجنا الدكتورة .. فالسيد نام في غرفة زوجته الليلة وتركهم جومار وقال متهكما : الغرفة غرفتكم ، تابع السهرة معها بدلا من رومو .

ظلت عارية تماما ، ولم تكن أول مرة يراها جومار عارية ، فقد تعرت ليلة الاحتفال بالقط

الأسود باريس .

فردت فقالت: جربني مرة يا جومار !

فقال جومار : لا احب الزنا ! فزوجك أولى بك.

وغادر الحجرة فقال زوجها: فشلت بالنوم مع نذير.. فكيف أقنعت رومو؟

قالت: اخذ الخاتم .. ما الذي أتى بك؟ ألم تخبرني أنك مواعد مومسا لقضاء الليلة معك فقلت سأذهب اسهر مع نذير كما فعلنا ليلة القط الأسود.

قال: تسلينا بعض الوقت ، وفشلت في مهمتي ، وأخذت نصيبها وغادرت ، فقلت اذهب وأتفقد حبيبتي ، حاول جومار منعي من اللقاء بك ، وقلت أكيد فريدة في حضن نذير لذلك ترفض أخذي إليها ، فجئنا لأتأكد بأنك دون عشيقك السيد ، فوجدتك في حضن الخادم رومو كيف وجدتيه ؟

قالت: لم اعد اشعر بمتعة ، نصحتني سلوفانا بمراجعة العلاج النفسي لعلاج الشبق لم اعد أشبع من الرجال والجماع.

قال: فعلا أنت بحاجة لعلاج نفسي ! أنا لم اعد اصلح لك قضيت على شبابي ، لم تعد لديّ قوة عليك أن تبحثي عن زوج وذكر صالح للعمل ، وعليّ أن ابحث عن علاج للضعف الجنسي صرت عنينا . وتابع معيرا : خادم يا فريدة ! وبخاتم .. أصبحت مزبلة لمن هب ودب.. قمامة

صاحت: اصمت أنت منذ تزوجتك وأنت عاجز .. السيد مريض وممنوع من الجنس والخمر

ضحك وقال: نذير يصبر عن ذلك .. تعاشرين خادم نذير .. شيء مذل.. دكتورة تنام مع خادم.. وتدفعين له خاتما .. اختاري من السادة .. من الكبار

قالت متعجبة : تعيرني يا نذل ! أنا خادم وأنت مع ساقطات ومومسات .. كله جنس .. خادم سيد كلب حمار .. كله جنس .

قال متابعا سخريته : هيا نعود للبيت .. هل قام بالواجب؟ بس بخاتم

قالت: بس بخاتم ، وقبل على الفور بدون تردد ، لم يستطع مقاومة الجمال والإغراء

قال: قررت فراقك يا فريدة ! لم تعد أعصابي تحتمل زناك وهوسك .. فقد انتهى العيش بيننا صرت عاجزا عن المعاشرة .

قالت: وهل تطيق دفع تكاليف الطلاق ؟

قال: سنتفق لأني سأترك الشقة .

****

أدخلت الخادمة الفرنسية القهوة الأمريكية على مخدع نذير وزوجته بعد تحية الصباح وقالت : هل احضر الفطور إلى هنا

تطلعت سلوفانا في عيون زوجها وقالت: سنفطر في قاعة الطعام مع تلك المرأة.

ـ لقد غادرت صباحا مع زوجها

قالت السيدة : خرجت مبكرة ومع رجلها !

ـ قبل الفجر بساعة

قال نذير وهو يزيح الغطاء ويرفع نفسه : هل أتى زوجها؟

قالت: نعم سيدي !

قال: حسنا . ضغط على جرس جومار وقال: البسي ثيابك سلوفانا

رشفت القهوة ووضعت الروب على ثياب النوم وجلست على احد المقاعد تتابع شرب القهوة

جاء جومار قيم القصر ورئيس الخدم في القصر : سيدي!

قال: ادخل .. ما الذي حدث الليلة يا جومار ؟! إن السيدة تتحدث عن زوج فريدة!

فقال جومار : أنت تعلم أخلاق السيدة ! لم تسطع النوم دون رجل معها ، ورفضت إرسال الخادمة لها فكلفت رومو زوجها بالاهتمام بخدمة السيدة ، فذهب إليها بالمشروب وتركها تسكر وأعطاها ثياب للنوم ، ثم طلبته في الليل ، وأعطته خاتما لينام معها ففعل ، وجاء زوجها واستقبلته واعتقد أنك تنام معها ، فأصر أن يذهب لغرفتها فرأها عارية مع رومو .. فعلت ذلك مستسلما ؛ لأنه اتهمك بترتيب زياراتها الليلة للقصر ، وأخذ زوجته وهو يتوعد بالطلاق

هذا ما حدث الليلة يا سيدي!

قال: شكرا مع السلامة.

وتبعته خادمة سلوفانا الخاصة ، دخل نذير الحمام وعاد للجلوس وشرب القهوة والتدخين وقال: امرأة عجيبة هذه الأنثى! لا تسطيع النوم بدون جسد جوارها .

قالت السيدة بحقد : عاهرة سيدي! امرأة شبقة مريضة ..كيف عرفتها؟

قال: في نادي قمار .. فتنتني بجمالها الفاتن كما ترين ولو بدون زينة .. تستغل ذلك لصيد الذكور وزوجها ديكور وعاهر مثلها ، دخلت النادي مع رفيق لي ، وكانت ليلتها هناك وتابعتني بإغراء فقلت لنفسي فريسة سهلة .. وزوجها مستهتر ؛ كأنه لا يرى ، فوقعت في شبكتها بسهولة فكان بيني وبينها اللقاء بسهولة .. وتكرر الموعد، ثم علمت منها أن زوجها لا غيرة عنده ويغض العين عن خلاعتها ، ووجدت أنها ليست لي وحدي.. عشاقها كثر ، كلما أراد احدهم التسلية تواعد معها ، فعلمت أنها فاجرة لا تشبع من الجنس ، وأحبت التعرف على زوجتي والمشاركة في سهراتي .

قالت السيدة بقرف بين : لها تسعة شهور تتردد على القصر وماجنة للغاية ، تعرت ليلة حفلة القط الأسود أمام كل المدعوين ، وكل صديقاتك منحرفات ؛ لكن فيهن شيء من الاحترام والأدب.

قال: حاولت التخلص منها ، إنها لعوب مومس يا سيدتي ! قد ننتهي منها في رحلة العلاج صدقي أني مللت منها بسرعة ؛ لكتها لعوب ويضعف الرجل أمام جسدها وإغراءها.

قالت السيدة : أنا اعلم أنك رجل شهواني تحب أجساد النساء ، منذ التقينا ببرلين ونظرتك الشهوانية لجسدي في المسبح كانت نظرة رغبة وشهوة ، فقلت لن أمنعك من قضاء شهوتك من غيري لن أغار وقلت سأغض الطرف عن أفعالك؛ لأنني ابنة أوروبا ولا يهمني مع تنام من النساء .

قال: وضحنا الأمور عند الزواج ، وانا ضعيف أمام فتنة بنات حواء ، كانت ليلة القط شبه

عارية لم تدع لي مجالا لتركها

قالت السيدة : عارية وليست شبه عارية ، ظنت نفسها في غرفة نوم

قال: نعم ، عارية.. لقد اشتهاها كل من حضر الحفلة

قالت السيدة : واستسلمت لها وسقتها لتلك الحجرة

قال: لم يكن الأمر سهلا عليّ ، وتعبت معها ، جسمي تدمر من معاشرتها

قالت السيدة : صحتك أهم منها ،ونقلت ليلتها للمستشفى قد تعب قلبك ..ورغم مرضك تأتيك للفجور للقضاء عليك ، ثم مكنت الخادم من نفسها .

قال: ماذا يفعل المسكين لما تعرت له ؟! عليها معالجة نفسها من الشبق

قالت السيدة : هل تفحص حقا؟

قال: تفحص مرغمة .

قالت السيدة مشككة : لا أظن عاهرة تهتم بصحتها الجنسية إلا اذا مرضت

قال: أنا افحص واحلل دائما ، لا اطمئن لهن ولغيرها

قالت السيدة : مرض الإيدز لا يرحم

قال: أنا احبك وتمنيت أن تلدين مني

قالت السيدة متمنية: ليت ذلك حصل لغمرتنا السعادة اكثر .



مالطة



انهى جومار خدمة رومو وزوجته في القصر بناء على رغبة من سلوفانا قالت شاكرة له : القصر ليس دار دعارة وممارسة البغاء.

وأيد نذير الفصل ، وأخذ الخادمان حقوقهما المالية وتذاكر سفر لبلدهما الهند ، وأخذ السيد يستعد للسفر للعلاج في ميونخ كما رتب ، وزيارة برلين للقاء المكتب القانوني الذي يتابع استثماراته في ربوع بلاد الألمان ، وسترافقه زوجته إلى أوروبا والطبيب الخاص بسلوفانا كصديق للعائلة لوقان آق وخادمتها الخاصة جوليا .

وأقامت السيدة حفلة وداع في القصر بمناسبة السفر والغياب إلى أوروبا ، دعت بعض أصدقاء نذير ، وبعض أصدقائها من الجالية التركية، فوالدها تركي متجنس في ألمانية وأمها ألمانية ، غلبت على ألمانيا الغربية بعد الحرب الكونية جالية تركية كبيرة للعمل كمهاجرين، التقى والدها باريش بامرأة ألمانية في مدينة ميونخ عملا معا في مصنع وتزوجا جسدا وروحا ومالا .

أحيت الحفل مغنية تركية وانتهت السهرة عند منتصف الليل ، وقدم للمحتفلين أثناء الحفلة الطعام والشراب والطرب ، وكانت هذه الحفلات الصغيرة والكبيرة من مهمة سلوفانا وكانت تدفع بسخاء ، فنذير يحب مثل هذا الصخب والطرب وهي مثله ، فقد كان يسافر لحضور مثل هذه الحفلات من بلد لآخر .. مال كثير ويحتاج لانفاق ، وكان يحب حفلات

الغناء وعروض السينما أو حتى مباراة كرة قدم في البرازيل أو ألمانيا .. يبحث عن المتعة واللهو

مضت حفلة الوداع بسلام دون مجون وزنا ، وعجبت بعضهن من عدم دعوته فريدة عشيقته فقال : هذه الحفلة من تدبير سلوفانا

فقال احدهم متهكما : أنت محظوظ بها المرة السابقة .. ليلة القط الأسود .. شوهت الحفلة بتعريها ورقصها أمامنا دون حياء.. فظننت نفسي في كباريه باريسي.

قال آخر : هناك التعري قطعة قطعة هكذا الحضارة في باريس وعموم أوروبا.

قال نذير : تعرت ؛ لأنها تعلم ضعفي أمام التعري ، وكانت آخر معاشرة لي معها .. لقد تعبت ومرضت أو تجدد المرض بسببها .

ـ معقول ! التزمت بأمر الطبيب !

قال : كان لابد من فعل ذلك.. الشراب والجنس أهلكاني .

قال : وضعك خطير اكثر مما نعتقد .

قال : فسلوفانا لا أقربها .

ـ ازعجني أمرك .. جميلة زوجتك !

قال : اذا مت يا بسيل مباركة عليك.

قال بسيل صديق اللهو والقمار والسكر والنساء : عجيب أمرك يا نذير ! إنها تقول لنا أنا تزوجت المال ولم أتزوج نذيرا .. قلبها لا يعرف الحب ، ولا حتى حب زوجها الأول

قال: لا أعرفه ولم اره ، سمعت عنه لما عرفني والدها بها كانت مطلقة ، هؤلاء الترك عجيبون رغم ما نراه في الأفلام والسينما التركية من إباحية ودعارة ، فهم يملكون الأخلاق.

قال: أتمنى لك الشفاء يا صديقي ! لا تظن أنني أتمنى لك الموت لأتزوج منها.

ضحك السيد: أنا قلت افعل .. اقنعها بالزواج منك وأنا حي.. فاجتهد بعد موتي.

قال: كأنك تودعنا يا نذير ! كلامك مخيف!

قال: أليست هذه حفلة الوداع ؟! الموت قريب .. كنت أتمنى أن تحبك لأخلص منها ، وأتزوج غيرها .. اجتهد ربما تراك الزوج القادم .

قال: أترث مالك؟

قال: كل المال تقريبا ، لا وارث لي كما تعلم ، فلا ابن ولا أب

قال: علمت أن أباك قابلك في الشركة.

قال: يريد مليونا كقرض. . كل ثروتي مسجلة باسم سلوفانا اذا مت فدبر حالك .

قال: صدق يا سيدي أني احب لك الشفاء .. أنا لا انكر غرامي وعشقي لسلوفانا فأتمنى لك العودة معافى.

قال: أنا قبلت حبك لها على أمل أن تعرف سلوفانا حب الرجال .. مرت عليّ لحظات أشك بخيانتها لي ؛ لكنها تتظاهر بالزهد بالرجال والجماع.. رغم تقبليك لحذائها فشلت سيد بسيل

قال مقرا: فعلت ذلك في احدى السهرات .. زوجتك عندما تسمح لاحد بعصرها واحتضانها يظن أنها ستسلم له نفسها ، ثم تستيقظ كأن لم يكن شيء حدث.

قال: ليست بائعة هوى زوجتك ربما.. بينها وبين سلوفانا بعض الشبه

قال: ليست طاهرة .. اعلم أنك سعيت للإيقاع بها ؛ ولكنها لا تحبك شخصيا تراك ماجنا للغاية

قال: لها مغامرات!

قال: حاول من جديد اذا رجعت معافى من أمراضك وعجزك.

****

بعد هذه الحفلة الوداعية بليتين غادر نذير المدينة إلى دولة مالطة الجزيرة في البحر المتوسط لقضاء بضعة أيام قبل الانتقال لألمانيا ؛ حيث سيدخل مشفى للعلاج من مرض الكبد ؛ لأنه لا يعمل بشكل جيد ، وقد تعالج منه سابقا قبل سنوات عندما زار ألمانيا أول مرة ، فألمانيا بلدان وحدها بسمارك بدولة واحدة ، وبلد أدولف هتلر زعيم الحرب الثانية والحزب النازي الشهير في العالم. ومالطة جزيرة وهي دولة تعيش على السياحة ، وتعتبر ضمن قارة أوروبا كقبرص فهي مليئة بالفنادق والمطاعم ، قدم أصدقاء نذير في الجزيرة لتحيته والترحيب به ؛ حيث نزل في احد الفنادق الكبيرة كعادته ، وفي نهاية السهرة دعاهم احد الأصدقاء لرحلة صغيرة على يخت يملكه حديثا ، فقبل نذير الدعوة ولرؤية اليخت ، واعتذرت سلوفانا لشعورها بالتعب والإرهاق وطبيبها المرافق فضل البقاء معها ، وسعى نذير خاتم للاعتذار عن رحلة اليخت الخاص ؛

ولكن الصديق أصر على صحبته والاستمتاع معه برحلة قصيرة في الجزيرة .

فقالت الزوجة أمام الإصرار : اذهب . وعليه أن ينتبه لصحته والشراب والنساء ، فوعد الصديق ألا تصحبهم نساء على اليخت فقط خمر ، وسيبعد نذير عنها ، في الصباح قدمت سيارة الصديق بسائق وقاده للبحر حيث يرسوا اليخت ، واستقبل في اليخت خير استقبال وترحيب وافطر مع القوم ومع الظهيرة ابحر اليخت في عباب الماء يحمل رفاق الرحلة ليجوب البحر عدة ساعات ، ودارت الكؤوس والفواحش في اليخت حتى الليل، ولما رسا اليخت ليلا على شاطئ الجزيرة كان نذير يظهر لهم في غاية التعب والضعف ، ولما وصل الفندق امر الطبيب بنقله للمستشفى ، واختار نذير مستشفى قريبا من الفندق ، وادخل غرفة العمليات في المستشفى الذي طلب الانتقال إليه ، وقرر فريق العلاج إجراء عملية قسطرة لقلبه بسبب أعراض الجلطة وبسبب زيادة التهاب الكبد ، ثم تأجلت العملية إلى ظرف آخر لضعفه ، قضى أياما في المستشفى واعترف لطبيبه وزوجته بممارسته الجنس مع فتيات القارب وتعاطيه الخمر والإكثار من الطعام.. ونسي نصائح سلوفانا ولوقان ، وقد استاءوا من تحويل الرحلة لمالطا قبل ميونخ .

قالت: هل اتصلت بمركز العلاج الألماني وأخبرتهم عن سبب التأخير؟

قال الطبيب المرافق : نعم فعلت ، سيكون نقله وسفره خطرا على حياته ، وزوجك للأسف خالف النصائح .

قالت: تعود على الزنا ، فهو من بداية شبابه يمارسه ، وأنا أشك أنه لم يفعل ذلك خلال الشهرين الماضيين أنا لم أسمح له معي ولا مرة ، وحتى قبل مرضة ليلة الحفلة كان قد قضى أشهر قبل أي معاشرة كما ادعى ؛ لكن لها عشيقات وومسات .. حياته الجنس والكحول .

قال لوقان : أرجو أن نصل ميونخ غدا بسلام مساء ، ونسلمه للمستشفى فوضعه ميؤوس منه فهؤلاء عاجزون عن متابعة العلاج ، وهو يدرك ذلك ، وقد غامر بنزهة اليخت والزورق ، نهذه اليخوت للدعارة فوق سطح البحر مثل الحانات والنوادي الليلية .. الإدمان على الزنا مشكلة عويصة.. المريض يجب أن يساعد طبيبه في علاجه ، ويسمع الإرشادات ويعمل بها .

قالت: إلى اللقاء يا دكتور صباحا .

قال الطبيب المرافق : شكرا مدام ! أتمنى أن نصل بسلام ، فأطباء ألمانيا افضل من أطباء مالطة، فهم ذو خبرة في علاج أمراض الكبد والقلب لعل وعسى

وفي الصباح قال الدكتور لسلوفانا: اتصل المستشفى قبل دقائق معلنا وفاة السيد نذير خاتم رحم الله الموتى جميعهم

قالت متظاهرة بالحزن : آمين يا دكتور ! فالموت خير له ، لو عاش سيبقى في فساده ، ولن يمنعه مرض القلب والكبد من الزنا .

قال الطبيب المرافق : أكيد .. من شب على شيء شاب عليه.

****

مرض الكبد الكحولي هو مصطلح يشمل المظاهر الكبدية للاستهلاك المفرط للكحول والتي تشمل الكبد الدهني ،والتهاب الكبد الكحولي ، والتهاب الكبد المُزمن المصحوب بتليف الكبد وتشمعه ، يؤدي استهلاك من ٦٠ إلى ٨٠ غرام يوميًا لمدة ٢٠ عام أو أكثر لدى الرجال ، أو ٢٠ غرام في اليوم للنساء إلى زيادة خطر التهاب الكبد وتليفه بنسبة ٧٪ إلى ٤٧٪ ، يُسرع التهاب الكبد سي أذية الكبد ، قد يؤدي سوء التغذية وخاصة نقص فيتامينات A وE إلى تفاقم تلف الكبد الناجم عن الكحول بسبب عدم تجدد خلايا الكبد. يشكل هذا السبب مصدر قلق بشكل خاص ؛ لأن مدمني الكحول يعانون عادةً من سوء التغذية بسبب النظام الصحي السيء وفقدان الشهية والاعتلال الدماغي ، قد لا يبدي مرضى الكبد الكحولي في المراحل المبكرة أية أعراض، ولا يُكتشف المرض حتى الوصول إلى مراحل متقدمة ، يتعافى تشحم الكبد بعد التوقف عن تعاطي الكحول، بينما يؤدي استمرار تعاطي الكحول إلى زيادة خطر الإصابة بأمراض الكبد وتشمعه ، تشمل المظاهر السريرية للذين يعانون من التهاب الكبد الحاد الكحولي: الحمى واليرقان وتضخم الكبد ، حدوث اعتلال دماغ كبدي والحبن (تراكم السوائل في البطن). قد تكون ضخامة الكبد المؤلمة موجودة، لكن لا يوجد ألم بطني عادةً، في

بعض الأحيان يشكل التوقف عن تناول الكحول الركيزة الأساسية في العلاج، ويجب على الأشخاص المصابين بالتهابات الكبد الفيروسية المزمن الامتناع عن تناول الكحول بسبب ارتفاع خطر التطور السريع لأمراض الكبد.

يتطور التهاب الكبد الكحولي نحو التشمع بنسبة تقدر بنحو ١٠ – ٢٠٪ سنويًا ويصاب في نهاية المطاف ٧٠٪ منهم بالتشمع. يُحاوِل الكبد استعادة خلاياه للعمل. ومع استمرار عملية الإصلاح الكبدي تتكوَّن النُّدَب. وكلما تفاقم تليُّف الكبد، زاد التندُّب بكثرة، وزادت صعوبة قيام الكبد بوظائفه. والتليُّف الكبدي المتقدِّم يُهدِّد الحياة. والتضرُّر الكبدي الناتج عن تَلَف الكبد لا يمكن شفاؤه. يُمكِن أن تتضمَّن مضاعفات التليُّف ما يلي: فرط ضغط الدم في الأوردة التي تُغذِّي الكبد (فرط ضغط الدم البابِيّ). يُبْطِئ التليُّف من تدفُّق الدم الطبيعي عبر الكبد، ومن ثم يزداد الضغط في الوريد الذي يجلب الدم من الأمعاء والطحال إلى الكبد ، تورُّم في الساقين والبطن. تضخُّم الطحال والنزيف. قد يجعل تليُّف الكبد من الصعب على جسمكَ معالجة المُغذِّيات؛ مما يُؤدِّي إلى الشعور بالضعف وفقدان الوزن. لن يستطيع الكبد المُتضرِّر من جرَّاء التليُّف تنقية الدم من السموم كما يفعل الكبد السليم. ويُمكِن لهذه السموم أن تتراكم في المخ وتُسبِّب التشوُّش الذهنيَّ وصعوبة التركيز. ويُمكِن أن يتطوَّر اعتلال الدماغ الكبديُّ، مع الوقت إلى عدم التجاوُب أو الغيبوبة. يحدُث اليرقان عندما تَعْجِز الكبد المريضة عن إزالة ما يكفي من البيليروبين من دمكَ، وهو نفايات في الدم. يُسبِّب اليرقان اصفرار الجلد وبياض العينين وتَغَيُّم البول. يؤدي إلى زيادة مخاطر الإصابة بسرطان الكبد . نسبة كبيرة من الأشخاص الذين يُصابون بسرطان الكبد تَسبِق إصابتهم بتليُّف في الكبد.

العلاج لا تتناول المشروبات الكحولية إذا كنت مصابًا بتليف الكبد. اتَّبع نظامًا غذائيًّا صحيًّا. اختر حِميَة نباتية مليئة بالفواكه والخضراوات. اختر الحبوب الكاملة ومصادر البروتين الخالية من الدهون. قلِّل من كمية الأطعمة الدهنية والمقلية التي تتناولها. إن مشاركة الإبر في تعاطي المخدرات وممارسة الجنس دون ارتداء واقٍ، يمكن أن يزيد من خطر إصابتك بالتهاب

الكبد B وَC.

ما هو الكبد : هو عبارة عن غدة هضمية ملحقة بالجهاز الهضمي تنتج الصفراء ، مركب قلوي يساعد في تحطيم الدهون وعضو موجود فقط في الفقاريات يقوم بإزالة السمية من المُستقلَبات المختلفة وينتج المواد الكيميائية الحيوية اللازمة لعملية الهضم في الإنسان تشمل أدواره الأخرى في الاستقلاب: تنظيم تخزين الجليكوجين، تَفَكُّك كريات الدم الحمراء، وإنتاج الهرمونات. يتألف نسيج الكبد عالي التخصص من خلايا كبدية، تنظم مجموعة واسعة من التفاعلات الكيميائية الحيوية ذات الحجم الكبير، بما في ذلك تركيب وتحطيم الجزيئات الصغيرة والمعقدة، إذ أن العديد منها ضروري للوظائف الحيوية الطبيعية. تختلف التقديرات المتعلقة بالعدد الكلي لوظائف الكبد، يقوم بشكل عام بـ ٥٠٠ وظيفة. يتم تنفيذ الوظائف المختلفة للكبد بواسطة الخلايا الكبدية. يقوم بوظائف منفصلة ، ومشتركة مع الأجهزة والأعضاء الأخرى . الكبد هو العضو البشري الداخلي الوحيد القادر على التجديد الطبيعي للأنسجة المفقودة، وعمومًا تشمع الكبد مرض لا يمكن الشفاء منه، وعادةً ما يركز العلاج على منع تفاقم المرض وزيادة مضاعفاته. ويكون الخيار الوحيد المتاح في المراحل المتقدمة من تشمع الكبد هو عملية زرع الكبد.

**

عادت سلوفانا وصديقها الطبيب بجثة نذير داخل صندوق تابوت إلى الوطن ، وعملت له طقوس الدفن والموت حسب الشريعة الإسلامية، فهو مسلم من أب مسلم وأم نصرانية برازيلية ، وأقيم له العزاء على نفس العادات العربية من إقامة سرادق داخل القصر ، وحضر مجموعة من القراء يتلون القرآن عن روح نذير ، يتناوبون القراءة ، وربما أول مرة يصدح القرآن في القصر قصر الطالع .

تقدم الأصدقاء والمعارف والموظفون في شركاته لعزاء السيدة ووالديه الذين حضرا للمشاركة في الدفن والعزاء ؛ فليس له ذرية ، وأم سلوفانا قدمت من ميونخ لمواساة ابنتها وتطمئن عليها

وامتلأت الصحف بصوره من المعزين والنقابات والتجمعات ، وذكرت بعض الصحف مسيرته في عالم المال والبزنس ، وبينت نجاحه في الإدارة والمال في البرازيل وألمانيا والوطن.

وأعلنت سلوفانا للعموم والصحف أنها ستقيم مشفى خاص باسمه عن روح نذير لمعالجة أمراض الكبد ، وطلبت من الدكتور العائلي بوضع الخطط لذلك المشروع الطبي.. وحين ترث المال سيتم الإنشاء الفعلي للمشروع.

أنفقت السيدة بعض الأموال لجمعيات الفقراء عن روح زوجها مما ادهش أصدقاء العائلة فنذير لم يعرف عنه التصدق ولو بدرهم واحد لجمعية البر والفقراء ، كان يتبرع لأندية رياضية جمعيات علمية وثقافية ، أرسلت السيدة لجمعيات خيرية في مصر وتركيا لها صداقات بها ، وأصبحت رئيسة مجلس الإدارة لشركات ومصانع الشمس المشرقة عمليا ، وكلفت علي يوسف بالاستمرار بالإدارة حتى تلتقط أنفساها .

رغبها والداها بالعودة لميونخ وتصفية أموال نذير فاعتذرت وقالت: سأبقى هنا أدير أعمال نذير . ولما ينته المستشفى الخاص ستفكر بأين تستقر ، وعرض عليها شقيق نذير السيد سمير أن يدير الأملاك وثروتها ، فشكرته ، وتمنت له التوفيق ، ولما رأت كثرة تردده على القصر طلبت منه أن لا يجلب لها الشبهات ، فغادر المهندس سمير البلد لما رأى منها الجفاء والريب والحذر إلى مصر ثم أمريكا الجنوبية حيث أعماله ، وأخذ الصيادون يحومون حول ثروتها الكبيرة .

قال بسيل لسلوفانا: أدعو لك بالتوفيق في إدارة ثروات الصديق نذير ، كان نعم الأخ والصديق.

قالت السيدة : كيف أنت يا ريما ؟

تبسمت ريما وقالت: بخير ..قررت البقاء في بلادنا!

قالت السيدة : نعم ، سأدير أعمال زوجي وأتابع إقامة المشفى.. فالسيد كان عزيزا على قلبي وقبلت كل أفعاله السيئة كما اتفقنا عند الزواج .

قال : لم تحبيه يوما، كان يقول ذلك لنا!

قالت السيدة : هو الذي كان يقول هذا سيد بسيل ، ولست أنا ، هو يزعم أني تزوجت ماله وها هو ماله اصبح لي بإرادته.

قالت ريما: كان مفتونا بالنساء وكنت تتحملين !

فقال بسيل : سلوفانا سيدة عظيمة يا ريما مستعصية على الإغواء!

قالت السيدة : كل الرجال كذابون ، يتحدثون عن الحب من اجل صيدنا ومعاشرتنا يركضون وراء الشهوات باسم الحب .. نذير كان صريحا وشجاعا معي منذ البداية ، وأصر على الزواج مني ، ورخص لي بفعل ما أشاء .. وكان يعجب من عدم استسلامي للرجال يا ريما مثل نساء وبنات الأصدقاء .. نحن التقينا في نادي أثناء مشاهدته لي وانا أعوم في حوض سباحة، وكنت مطلقة ، ولم اسمح له بالنوم معي رغم محاولاته الملحة والمغرية ، فاستسلم للزواج لينال من جسدي ، وها هو الجنس قضى عليه ، ولم يهتم بتعاليم الأطباء ـ رحمه الله ـ أبي احب زواجي منه وقال :سوف يكبر ويترك هذه السفاسف .

قالت ريما : سعى للنيل مني واغدق عليّ من الهدايا والمال وعلى علم من بسيل حتى أنه تحدى بسيل أن ينال منك وما زال يهواك.

قالت السيدة : وها هو يكاد يبلعني بعينه ، أنا لا احب الجماع والاتصال كثيرا .. لا أدري لماذا يا دكتورة ؟!

قالت: أنت ستديرين شركات نذير!

قالت السيدة : هذا ما يريده ـ رحمه الله ـ سأتابع الأعمال بجهد بسيط واترك الإدارة لعلي يوسف ورفاقه .. والدكتور علي هو القائم بالعمل في حياة نذير ، تغير بسيط.

فقال: نذير مات.. فعليك بالحذر والحرص فنذير يحسن المتابعة والفهم والألاعيب

قالت السيدة : سأفعل وسأنجح .

قال: نرجو ذلك

قالت السيدة : شكرا دكتور باسيل دكتورة ريما.

الثروة

أخذت سلوفانا تتردد على الشركة والمجموعة الشمس المشرقة ، وتجلس مع الدكتور علي ومعاونيه ، وتجلس في مكتب زوجها تشرب القهوة معهم ، وتسمع ملاحظات علي وغيره وتوقع على ما يحتاج لتوقيع بوجود المحامي الخاص بها عند حضوره.



كانت تقدم لها العقود باللغة الإنجليزية مترجمة عن العربية فهي ألمانية من اصل تركي ولدت في ألمانيا وتعلمت الإنجليزية والتركية ولغتها العربية ضعيفة ، تترك المكتب ظهرا برفقة المحامي الخاص بها ، هو ينصرف لشركته إلا اذا دعته للقصر للغداء معها ومتابعة أوراقها وبعد الغداء تنام بعض الوقت ، ولما توقظها الخادمة تقدم لها الفاكهة والشراب ، ثم تطلع على البريد مع جومار في مكتبه ، وهي قد أوقفت الحفلات والموسيقى لثلاث شهور منذ وفاة نذير وتقوم بالسهر مع الأصدقاء للدخان والشراب ، ولا تخرج لحفلة أو سهرة خارج القصر احتراما لروح زوجها.

قال جومار: السيدة الدكتورة فريدة ترغب باللقاء بك اتصلت مرتين.

قالت السيدة بتأفف : نذير ومات ! ماذا تريد ؟ من يوم العزاء لم أرها ولم تتصل.. هل ما زالت مطلقة؟!

قال جومار: نعم ، اخبرني زوجها منذر أنه رفض الوساطات، وهو يرسم على زواج جديد

قالت السيدة بدهشة : معقول!

قال جومار: سمعت ذلك منه.. هل اتصل بها ؟

قالت السيدة : ما أخبار بسيل وريما؟

قال جومار: سافر أمريكا في زيارة خاصة .. واعتقد ربما معه.. له شقيق متورط في قضية بوليسية هناك.

قالت السيدة : هل طلب مساعدة منا؟

قال جومار: علمت هذا من بعص الأصدقاء ، هو لم يخبرني بالسفر .. بعض الأسر التركية من أصدقائك يرغبون بالزيارة .

قالت السيدة : ادعهم للمجيء هؤلاء من أقارب أبي .

قال جومار: السيدة فريدة!

قالت السيدة : ماذا تريد؟!

قال جومار: لست ادري طلبت الحوار معك.

قالت السيدة : اعرف هدفها من الزيارة .. نذير ومات.. كانت عشيقة السيد ـ رحمه الله ـ فقط لم اكن استوعبها عاهرة !

تبسم جومار فقال: كانت سخيفة ولا احترام لك ولا القصر.

قالت السيدة : اذا عرفت الغاية من طلبها ، فحدد لها الوقت المناسب.. أنا لا أطيقها ولا احب رؤيتها ؛ ربما ترغب بالتوسط بينها وبين منذر.

قال جومار: قد يكون ذلك السبب .

قالت السيدة : حسنا يا جومار ! مدربة الرياضة هنا

قال جومار: إنها في غرفة التدريب تنتظر حضرتك

قالت : شكرا جومار أنت إنسان لطيف !

قال جومار: شكرا سيدتي أنا في الخدمة !

تركت مكتب جومار ، ونزلت قاعة الرياضة ، صافحت المدربة ، ودخلت غرفة الملابس الخاصة بالتمارين ، وعادت لقاعة الرياضة ، وبدأت بالتمارين الحركية ، وتابعت على أجهزة الحركة ، واستمر التمرين ساعة، ودخلت الفرنسية تعلن وصول بعض الضيوف، وأخذت المدربة

بمسح العرق عن جسد السيدة ، ثم دخلت حمام القاعة ، واغتسلت ولبست ثيابها بمساعدة الفرنسية ، وقبلت المدربة ، وصعدت لصالة الاستقبال ، ورحبت بالضيوف وكانت النسوة بصحبة أزواجهن ، وتحدثوا حول الفن والأفلام والملابس الحديثة والموضة في أوروبا ، وتحدثوا عن ثروة نذير ، وذكرت لهم أن زوجها ترك كل ماله لها قبل موته.

قالت: أصبحت المليونيرة بدلا من نذير .

قالت السيدة ضاحكة : كنت زوجة المليونير !

قال: هل من عريس؟

قالت السيدة ضاحكة : لابد من ذلك.. ما زلت دون الأربعين .. طلقني كارل ، ومت عن واحد .

قالت: هل من احد ؟

قالت السيدة : أمي تحدثني عن احدهم في ميونخ من أقارب أبي ابنه من رجال المدينة

قال: كان زوجك عمل في النهار ولهو وقمار في الليل

قالت السيدة : نعم هذه حياته ، وكان أحيانا ينزل قاعة السينما في القصر لمشاهدة الدعارة

قالت: عليك أن تدخلي البرلمان .

قالت السيدة ضاحكة : لا احب السياسة ، ولا الضحك على الشعب ، ونذير لم يكن يحبها ولكنه كان يدعم ويتبرع لحملات بعضهم ، وكانوا لا يقصرون في حاجته وخدمته.

****

عندما تزوجت السيدة نذيرا كانت بنت ثماني وعشرين ، وأمضت ثمانية مع نذير في زريق وقبلها عامان في ألمانيا ، وكان السيد عاجزا عن الإخصاب، فلم تحمل منه ؛ فلذلك بعد انتهاء عدة الموت دعت رؤساء عدد من الجمعيات الخيرية إلى حفلة في فندق فخم لتأبين زوجها وتوزيع أموال عن روحه ، وبعد وجبة طعام وكلمات رثاء في نذير وزعت المال على مندوبي الجمعيات ، وقدر لها الأصدقاء والدكتور علي وطبيبها الخاص الوفاء لذكرى نذير .

ذكرنا أن شقيق زوجها سمير خاتم سعى لتقديم خدماته لها طمعا بالزواج منها، فرفضت وطلبت منه مغادرة القصر ، وأنها لا تفكر بالزواج ، فتركها ساخطا حاقدا وعاد لأعماله في أمريكا اللاتينية وعشيقاته ، وذكرت لها أمها زوجا من معارف وأقارب والدها طبيب أخصائي قلب ، واعتذرت عن الزواج ، وأن الزواج ليس من أولويتاها في الوقت الحالي .

علمت أن بسيلا عاد من أمريكا من جومار وله رغبة باللقاء بها ، فسمحت بذلك ولزوجته معه، جاء بسيل القصر برفقة ريما استقبلتهما سلوفانا : أنا لا انكر صداقة نذير لكما كيف صادقت نذيرا ؟

قال: ألم يخبرك المرحوم؟

قالت السيدة : لم اكن احب سؤاله ذلك .. فهذا سخيف! لكلٍ رفاقه وأصدقاؤه .. أليس هذا صحيحا يا مدام؟

قالت بهز رأس : صحيح.. نحن عرفناك عن طريق السيد ، وعرفته عن طريق زوجي طبيب العيون .

قالت السيدة : أعرفته عن طريق العيادة إذن.

قال مصححا : عرفته عن طريق نادي القمار الخاص بنا فايف كلب ، هو ليس محترفا للقمار هو صياد نساء ، ففي هذه النوادي تأتي الزوجات لمساندة الأزواج ببيع لحومهن للفائزين ، وتعرف على منذر وفريدة أولا .. هو يلعب للتسلية وللمغازلة ، ويكون في النادي من علية القوم ورجال البزنس .. لهو وعمل .. ليلة كنت ألعب في فايف كلب.. فأنا احب القمار ولا أغامر كثيرا مثل نذير .. ألعب عن مبلغ معين ؛ فاذا خسرته أتوقف فورا وبصرامة واهرب ، وكنت ألعب مع نذير ففاز وكسب مني وتوقفنا عن اللعب وتصادقنا اكثر ، وعرف مهنتي وأعادها إليّ بدلا وأجرة لفحص عينيه وصرنا أصدقاء، وسمح لنا بالتعرف على القصر وساكنيه ، فتعرفنا عليك ووقعت من نفسي موقعا حسنا ، ورجلك هوي ريما ، وسمح لي بالقرب منك وتحداني أن أنال منك ليلة بصراحة، فعجبت من ثقته بك ، وهو الخليع الماجن .. حياته النساء .. أدركت مع

الوقت أنك صعبة رغم الاستهتار منك أحيانا ؛ لكنك لا تستسلمين لاحد حسب علمي ، ولا تحبين العلاقات الجنسية ، وفشل هو بإقامة علاقة مع ريما

قالت ريما: فلنتحدث بموضوع آخر يا بسيل ، ليس لكم إلا الحديث عن النساء والمتعة معهن

فضحك وقال : ولماذا خلقت النساء والغريزة فينا والملابس والإغراء ؟وأنا أقول أمام السيدة اذا قبلتني زوجا على استعداد لطلاقك .

قالت سلوفانا : أتقبلين يا دكتورة؟!

قالت: عند الجد افكر ، أنا اعلم كم راودك ! وقبل حذاءك لينام معك، وفشل .. وأعجب منك وزهدك في الذكور ! .. جمال .. ملابس .. عطر.. احتضان الرجال والقبل أثناء الحفلات ثم كأن لم يكن شيء حدث.

قالت السيدة : تعودت على ذلك السقوط من أيام زوجي الأول ثم الاستيقاظ ؛ لكن لم استسلم لأحدهم بعد طلاقي منه .. وحاول صاحبكم نذير بكل جهد قبل الزواج ، قلت الجماع إلا بالزواج ، رغم كثرة الحفلات والمناسبات التي شاركنا فيها سوية .. فقبل الزواج على أن لا أغار اذا اتصل بأي امرأة.. فوافقت.. لذلك يزعم أني تزوجت ماله.. وأعلم يا دكتور زوغان عينك ورفاقه لهذا الجسد .. وهذا طبع الرجال حتى ولو كانوا متزوجين.. ولما تطلق ريما قد افكر بك زوجا .. لم ارتبط بأحد.

قال: ألا تحبين الإنجاب قبل فوات الأوان؟

قالت السيدة ضاحكة : احب الرحلات والسياحة والثياب .

قال: العشق!

قالت السيدة ضاحكة : لم اتخذ عشيقا من قبل ولا أظن.

قال بسيل : زعم نذير مرة أن لك عشيقا سريا .

قالت السيدة : نذير قال ذلك! فدعك من التفكير بي زوجة أو عشيقة

قال: أعندك عقدة من الرجال ؟

قالت السيدة : قل ذلك ، عرفت في الثانوية رجلا أحببته كما تحب المراهقات ، وفجأة احب زميلتي ، وتركني ، وتكرر ذلك معي في الجامعة .. يحبونني ثم ينقلبون لصديقاتي.. فهم يحبونك للزنا ، فلما يفشلون في مآربهم ينتقلون لأخرى طمعا مني باسترضائهم .

طلاق جديد

كانت سلوفانا تضطر لقَبول أصدقاء نذير ولو على مضض ، ولا يحق لها أن تفصلهم على الرضا بهم ، وكان من الترتيب بينها وبين نذير أن لا يأتي بعشيقاته للقصر ، فله أماكنه الخاصة ، أما الحفلات بصورها المختلفة فمقبولة في القصر ومن واجباتها .

سعت فريدة لترميم علاقتها بسلوفانا بعد موت نذير ، فبعد اتصالات كثيرة قبلت اللقاء بها فقالت ساعية لتبرير خلاعتها : المرحوم هو الذي اخبرني أنك لا تمانعين بإقامة علاقة بينه وبين أي امرأة وأنت تقبلين عشيقاته بروح رياضية.

فقالت السيدة : لست أول أنثى تبيع جسدها له أو تهبه له يا سيدة فريدة ! .. وأنت تعرفين ذلك يقينا ؛ لكنك أسأت للقصر وساكنيه.. أنا اعلم من نذير نفسه بعلاقاته الحميمية معكن ودخولك السهرات والحفلات بصفتك عشيقة أو احدى العشيقات .. هذا متفق عليه .. أمر الجماع كان محظورا هنا ؛ لكنك ليلة القط الأسود تعريت تماما وعربدت أمامنا ، فلم يحتمل نذير عريك وثارت غريزته ، وخشيت أن يفعلها أمام الضيوف ، وكان لابد من الاتصال بجسدك بكل وقاحة ، وكان تلك الأيام مريضا وممنوعا من الاتصال ، وخدرتم منذرا ، وكان الزنا بكل وقاحة ، ونحن نعلم أنك شبقة للغاية ، ولا تفوتين ليلة دون مضاجعة ، وجئت تلك الليلة رغبة بمعاشرة نذير ، ولم تصدقي بتعبه ومرضه ، وتظاهرت بحب النوم في القصر طمعا أن يعاشرك نذير ، فاعلن النوم في غرفتي لتغادرينا فلم تفعلي وأرسلت رسالة أنك مستعدة ، ولما لم يأتك استدعيت خادم الغرف ، وجاء زوجك ظانا أنك تحت نذير ، فوجد رومو فوقك وطلقت ، وتسببت بطرد الخادم وزوجته .. القصر مكان محترم يا دكتورة ليس حانة للدعارة لم تراعي مشاعر سيدة القصر .

فقالت : لم أخبر منه أنه يمنع المتعة في القصر ، وأنك ترفضين هذا الفعل هنا وتقبليه له هنالك

قالت السيدة : هذه الغرف يا سيدتي لضيوفنا من الخارج والداخل ، ربما يتأخر بنا السهر والاحتفال فينامون مع زوجاتهم أو بناتهم.. فلنا أصدقاؤنا من بلدان شتى

فقالت: نعم حضرت كذا حفلة .

قالت السيدة بقوة وحماس : لا يحضرون يا فريدة لممارسة البغاء مع العشيقات حتى لو جاء احد مع زوجته غير الشرعية مجرد صديقة .. فهم يعرفون قانون القصر

فقالت وهي تجحرها بامتعاض : تبين أنك حاقدة عليّ يا سيدة لعلاقتي القوية بذكرك ! .. كان عليّ أن احترمك في حياة زوجك زير النساء .

قالت السيدة : أنا لست حاقدة عليك ! ولماذا احقد عليك ؟! ومن أنت لأحقد عليك؟! أنا احترمت وجودك ووجود شلة نذير جميعكم من اجل السيد.. وزوجي أعرف أنه زير نساء من قبل معرفتك.. فهو عاش في البرازيل وألمانيا ولا يهمه شرف .. حياته النساء والشراب .

فقالت : حسنا ! أنا شخص غير مرغوب فيه في حفلاتك وسهراتك ولو بصفة إدخال السرور والمتعة على سيدك .

قالت السيدة : الرجل مات ، ورحل عن الدنيا بما كسب ، وقد انتهت واستهلكت قواه الجنسية والكبدية .. وأنت سرعت بالقضاء عليه بعجزك عن تركه للزنا .. فهل ستمارسين السحاق معي .. لم اجرب ذلك.. فليس لك مقام يا دكتورة .. واذا احتجت يوما لمساعدة مالية فسنقدم لك المساعدة ؛ لأنك كما قلت أدخلت السرور على بدن نذير.

فقالت وهي تنهض : الوداع .. أنا سعيت ؛ لأكون صديقة لك لذكرى السنوات بيننا وما بيني وبين رجلك .

قالت السيدة لتغيظها : نذير لا يصادق رجلا يمنع زوجته منه .. المرأة قبل الرجل.. المال يشتري به الرجال ونساءهم .. ربما الوحيدة التي صمدت رغم ما تلقت من هدايا.. زوجها سمح لها بالنوم معه .. نفسها رفضت ، وزوجها قبل حذائي رغبة في قضاء ليلة معي .. وما زال يطاردني يا فريدة .. قبلني نذير ، وقد رفضت الإنجاب منه وقبل .

فقالت : بسيل يطمع بجمالك ومالك وهو الأهم فهو مستهلك مثل ذكرك الهالك.

قالت السيدة : المال شهوة كل البشر ! لولا خاتمك ما قبلك الخادم رومو

طلق طبيب العيون المشهور في زريق بسيل ريما بعد تفاهم بينهما على أمل أن تقبل سلوفانا زواجه منها بعد ترملها معتقدا أنها صغيرة على ترك الزواج ، وكان صديقه منذر يتحدث معه في نادي ليلي ؛ ححيث السكر والرقص والخمر : اذا كنت تحب أن نسعى لدى ريما وتعود لبيتك وأنا كلمتها فقالت الأمر عندك.

فقال بسيل: يا صديق العمر الذي بيني وبينها انتهى .. هي تعلم شغفي وجنوني في زوجة نذير منذ قابلتها لأول مرة .. وهي اليوم أرملة لن تجد خيرا مني.. وسوف تحن للرجال ، وسأكون أمامها .. وعلاقتي بريما كانت مسألة وقت يا منذر والطفلان تركتهما لها.

قال : ولكتك تحبها يا بسيل وزعمت أنك تزوجتها عن حب وغرام .. وصحيح أعرف ظروف زواجكما .. وتلك الأنثى مجرد شهوة ،.. ولولا زوجة نذير ما وصلت للطلاق ، ولا اعتقد أنها تستسلم لك.. فهناك طبيبها يرغب بها.. الطبيب التركي لوقان.

ـ ومن قال لك؟!

قال : سمعت ، وعمل معها لغرامه بها ، وكان نذير يبغضه ، وشك أن بينهما علاقة إباحية فابتعد الدكتور عن القصر عدة شهور ، ثم سمح له بالعودة ؛ لأنه من اصل تركي ؛ حيث أن والد سلوفانا تركي قوقازي .

فقال بسيل: لم اسمع من نذير مثل ما تقول .. لم تقبل الحلوة بي لوجود نذير .. فليس كل النساء فريدة .. سلوفانا تربية أوروبا.. امرأتك كانت مومسا اكثر من عاشقة .. رأيت عريها في تلك الحفلة الماجنة كراقصات العري في بريطانيا وأوروبا.

قال منذر : أنا لا يهمني شرف أو كرامة .. أنا طلقتها ، لم اعد أطيق رغباتها الإباحية، زادت وقاحتها الجنسية بحضوري .. هذا استهتار ويظن الناس أني احب ذلك واعمل قوادا .. لم أعد احتمل .. أنا أزني لكن بنوع من الستر .

فقال بسيل مذكرا رفيقه في الطب والقمار والمجون: لم تكن أول مرة تتعرى خلال حفلة!

قال : كانت جمهرة من المدعوين ليست بضعة أنفار .. وخدروني ليمارسا الزنا .

فقال بسيل ؛ كأنه يحتج : زوجتك متهورة ، سمعت أن سلوفانا طردتها .

قال : سلوفانا منذ هلك رفيقنا نذير لا تريدنا ؛ لا تحب رؤية وجوهنا ، فلذلك أنصحك بترك التفكير بنكاحها سترفضك وتفضحك وتسخر منا.

فقال بسيل مبررا : نحن لم نكن لها أصدقاء .. عرفناها عن طريق زوجها .. ورخص لي بعشقها ومطاردتها .. وفشلت.. فهي ليست سهلة كنسائنا .. سأحاول وعبرت لها مرات عن حبي لها وافتتاني بها.

قال : رفضتك .. ألم تحدثنا بذلك؟!

فقال بسيل وهو متعلق بأمل : التكرار والأيام لها دور ، قد تغير رأيها ـ تنهد ـ لقد فتنت بها يا منذر.. وهي أرملة اليوم .

قال : كل النساء فتنة ! ما هي أرملة من أيام حياة نذير .. ينام في جناح وهي في جناح.

فقال بسيل: هناك فرق بين أنثى وأخرى، أظهرت هواي لها وافتتاني بها في حياة زوجها ؛ بل تحداني أن أنال منها قبلة .. شخصيتها متناقضة .. تسمح لك بالقرب منها ، ولمس أشياء منها وضمها والرقص وعندما يصل للرغبة بالمعاشرة تقول لك قف ممنوع المرور .. إنها محيرة هي تعلم أن حياتنا مجون ونساء وعشق وفسق وهذا ما يجمعنا بنذير .

قال : القلوب قلوب!

فقال بسيل: لقد وصل بي الاهتمام بها حتى الجنون والهوس وتقول كادت تستسلم.

قال منذر : اعتقد أنها كانت تقامر زوجها لترى غيرته.

فقال بسيل: هما يعيشان شبه منفصلين ؛ كما قلت لكل منامه الخاص من سنوات قبل أن يظهر عجزه وضعفه اتجاههن .

قال : لعل لها علاقات خفية مع الخدم .

فقال بسيل: جومار في صف نذير ، لا يستطيع خيانة نذير .. وله زوجة هندية ويقال إنها مشلولة لها خادمة فرنسية تراقبها عين نذير عليها ا

قال : أعجب من بعض الرجال بابتعادهم عن النساء!

فقال بسيل: ليس يا منذر لهم نفس القدرات ألا ترى الرهبان والراهبات يزهدون في الحياة الجنسية ، وإن يحدث بينهم إغراءات وقضايا جنسية وحتى الحيوانات لها فترة ثم تضعف، فعالم الجنس عالم غريب وعجيب .. فمن الانحراف والشذوذ تجد احدهم يجامع الحيوان أو الموتى أو التعرض للضرب بما يسمى السادية أو الماسوشية .

قال : إذن لا تريد العودة للحسناء ربما.

ضحك بسيل وقال: وأنت عينك عليها وصدتك كثيرا !

قال : أراها خيرا من فريدة ، لا تضاجع من هب ودب .

ضحك بسيل ثانية وقال: يا سيدي مباركة عليك اذا قبلت بك.. أنت حاول مع الحسناء ربما وأنا أحاول مع أرملة نذير .. مات نذير وهو يطمع ليلة معها .. وأنا بدأت بالخطوة الأولى بطلاق الحسناء ؛ ولعل سلوفانا تغير رأيها نحو الرجال ونحوي خاصة.

تقدم نحوهما صبري وسعيد قائلا : آيا دكتور بسيل ما آخر أخبارك ؟

وقال صبري : هل تصالحت مع الدكتورة؟

قال منذر مرحبا بهم : لا يريد سأتقدم إليها خاطبا .. فهي افضل من فريدة اللعينة

قال سعيد باسما: نصيحتي يا منذر لا تتزوج فلتبق مع بنات الهوى عشيقاتك .. حر طليق فيقل شراؤك للثياب والعطور.

قال بسيل ساخرا : وهل هو الذي كان يكسو فريدة يا ناس .. كلها من العشاق ومن والديها الدكاترة .

قال صبري : معك حق يا بسيل .. هل صحيح هذا يا منذر ؟

قال منذر: بسيل مطلع على الأمر .. دخلها اكثر مني .. والدها يدفع .. فدخله كبير وليس لهم إلا هي .. وهو جراح يعمل في بريطانيا ويحمل جنسيتها من أيام الدراسة.. أسرة فاسدة ابتليت بها .

قال سعيد: أنت لا تقل عنها فُجرا.. لا تعمل نفسك ضحية .. ليلة القصر والهر الأسود ظننتك ستقتلها لما لحقت بها .. كلنا ادرك أنها تفعل ذلك لإغراء نذير ، وسقط في الفخ، ونقل للمستشفى .

قال صبري: استاءت سلوفانا من تعريها ورقصها عارية ..فهمست وكنت قريبا منها تحول القصر لكبريه فرنسي .

قال منذر: الملعونة تبعته فورا .. ادركت أنه استسلم للشهوة والإغراء ولما لحقت بها خدرتني واستيقظت مع شروق الشمس.. فقضت عليه حتى مات.

قال سعيد: ما أخبارك مع الأرملة يا بسيل ؟

فقال بسيل: طلقت ريما والأرملة السوداء ترفض اللقاء .. ونحن أصدقاء نذير وهو هلك

قال صبري: ترفض الزواج.

فقال بسيل: مني ومن غيري لحد الآن .. سأحاول، ولن تقف الحياة عندها

****

كانت السيدة سلوفانا تشهد حفلة اجتماعية لمساعدة جمعية اجتماع ـ وهي من الداعمين لهذه الجمعية منذ سكنت المدينة زريق وفي حياة نذير ـ والجمعية تهتم برعايا الجالية التركية خاصة ومديرة الجمعية من أصول تركية ، ولما انتهى الحفل بالكلمات والخطابات والتبرعات التقت بالسيد بسيل الذي طلب خمس دقائق للحديث معها ، فتركت رئيسة الجمعية لهما المكتب، فلما اغلق الباب قالت : ماذا تريد أيها الصديق السابق .. مطاردتك لي يجب أن تتوقف ، ويزعجني جومار بكثرة اتصالاتك وتزعجه يا دكتور ! علاقتي بكم انتهت بموت نذير ، هو الذي كان يجمعنا ، ولما كان يحترم أصدقائي كان عليّ أن احترم أصدقاءه يا دكتور ، وأنا لا اقدم جسدي لأي شخص يا دكتور.. الاتصال علاقة قصيرة ليست كالزواج .

فقال بسيل: كان بيننا ود يا سيدتي الكريمة ! صحيح، أنا من شلة نذير ؛ لكننا اصبحنا أصدقاء مدة خمس سنوات .

قالت السيدة : صحيح ، والسبب أنك صديق نذير .. زواج منك أو غيرك لا أريده عندما يحن جسدي لزوج سأجده ؛ وليس أنت، فعد لربيا خيرا لك .. أنا احب أن أعيش بلا ذكر راهبة أنت من افضل أصدقاء نذير لا يعني أنك الأفضل عندي .. أنا لا احب الحب العابر ولا المتكرر أرجو أن تكف عني وعن جومار.. أنت خير أصحابه، وزوجتك خير الزوجات رفضت مضاجعة زوجي لاحترامها لي.

فقال بسيل: لقد طلقتها لتعلمي أنني فعلا محب لك واذا تزوجتك لن اقرب أنثى غيرك

ضحكت السيدة وقالت: نذير وهو مريض لم يستطع ترك العادات ! فكيف أُصدقك؟ أرجوك ابحث عن غيري .. لا اصلح زوجة لك ولغيرك بعد نذير .. اذا كنت بحاجة لمال فأعطيك

فقال بسيل: أنا أريدك أنت.. أحببتك.

قالت السيدة : أنا لا احبك .. ـ نظرت للساعة وقالت : اعتقد أن الدقائق الخمس انتهت

فقال بسيل بيأس : استطيع أن اصبر.

قالت السيدة : انك تمثل دور العاشق الولهان حقا!

قال بسيل بتوسل : اشفقي عليّ

قالت السيدة بصيحة : يا رجل كن رجلا ! لا تكن خانعا من اجل شهوة .. سمعت الكثير من الغزل وأنا زوجة صديقك ، وحاولت معي كثيرا.. أتريدني عشيقة ؟

فقال بسيل: لقد فتنت بك

طرق الباب فقالت: ادخلي نورا .. دكتور بسيل أرجوك أن تكف عن مطاردتي.. أنا لا افكر بالزواج .. أنا افكر بالسياسة.. أريد منصبا في البلاد.

فقال بسيل: أتحملين جنسية هذا البلد؟

قالت السيدة : لدي جنسية بحكم زواجي من نذير

فقال بسيل: لا تريدين الزواج

قالت السيدة : منك أنت الآن ؛ فاذا صدفت وزيرا ربيا أقبل به .. المال موجود والمنصب

مرغوب.

فقال بسيل: لا اعتقد أنك جادة ! فالمرحوم لم يكن يحب هؤلاء في منزله وسهراته رغم عمق علاقته ببعضهم من اجل المصالح

قالت السيدة : هذه سياسة نذير البعد عن الموظفين وعن المسؤولين في الدولة .. شكرا يا دكتورة نورا على دعوتي لهذه الحفلة التي تذكر الإنسان بطبقة الفقراء والضعفاء

أحنت نورا رأسها شاكرة دعم سلوفانا السخي ، وغادرت الغرفة يتبعها بسيل ، وكان السائق جودت في انتظارها وفتح لها الباب وسمعته يقول : لنبقى أصدقاء يا سلوفانا فنحن أصدقاء نذير

قالت السيدة : انتهى نذير من حياتي يا دكتور ! عد لريما أنت لم تضح لأجلي .. أنت طلقت من اجل المال ، لما علمت بطلاقها قلت لها إنني لن أتزوج زوجك ولو فرش لي الأرض ذهبا وليس بيني وبينه أي علاقة حميمية أو صداقة خاصة .. وصدقتني على ما اعتقد .. ابحث عن غيري .

جلست في السيارة ولوحت بيدها مودعة ، وكان يحدق بها ويقول لنفسه : سأصل لقلبك يا سلوفانا .. وكيف سأصل اليوم ؟ لا يوجد نذير لأراها.. هل هناك عشيق كما قال نذير؟! لها نصف عام دون رجل.. أين العشيق ؟ في ألمانيا .. لا احد من الشلة ، نذير لم يذكر اسمه أو صفته .. ذكر أن لها طفلا من عشيقها أم يكذب علينا أو من الزوج الأول .. لها رفاق في ميونخ وفي إسطنبول وأوروبا .



سنة أولى

مضت السنة الأولى على الوفاة دون أن تفارق سلوفانا البلاد على غير العادة من عشقها للسفر والسياحة ، ولم تتزوج ، وكانت تمارس العمل في إدارة المجموعة ، وتطالع التقارير والميزانيات، وتعاون معها نائبها علي ومساعدوه بكل احترام ولم تكن توقع على ورقة دون فهمها ودون إشارة من محاميها الخاص جدا .

قال الدكتور مادحا: أثبتت يا سيدتي أنك سيدة قوية وإدارية من الطراز الرفيع خلال العام

قالت السيدة : شكرا .. هذا بهمة وجهد الفريق يا دكتور الذي يعمل معنا

قال : رغم الهزات العالمية في الأسواق كنت مديرة جيدة .

وأثنى مجلس الإدارة على جهدها ومثابرتها وحسن الأداء ومتابعتها قضايا المجموعة ، وأكدت لهم أنها درست الاقتصاد في افضل جامعات ألمانيا ، وأنها ابنة أسرة حياتها التجارة والصناعة ولم تعمل مع زوجها مباشرة لرغبته في ذلك ، لا يحب عمل النساء معه ، فهو رجل خبير من الصغر فلا يحتاج لمساعدة كبيرة ولا يثق في قدرة النساء على العطاء ، ويسربن أفكار وأسرار العمل بسهولة ، وساعد في إنقاذ شركات والدها وإخوتها في البرازيل وألمانيا ، وشاركهم في بعض الشركات قبل إعلان إفلاسها وتصفيتها ، وكان زواجها من ضمن نتائج الإصلاح وأخبرت أنها تراجع الملفات في القصر مع سكرتيرتها ومحاميها الخاص ، فلا تكتفي بما يقدم لها من الشركة وطلبت من الدكتور ومجلس الإدارة بتوزيع مكافآت مالية على جميع عمال وموظفي الشركات عن روح نذير ، فبين الدكتور أن المبلغ سيكون كبيرا.

قالت السيدة : مهما دفعت يا دكتور لعله ينتفع بها في قبره.

قال بكر متأثرا : وفيّة ، ونعم الزوجة!

قال : سأنفذ الأمر

غادرت بعد الظهر المقر ، وبينما كان جودت ينتظر دخولها السيارة سمعت من ينادي عليها فاذا هي ريما وتصافحتا وقالت : كنت في الشركة!

قالت : لا ، كنت في هذه البناية ـ وأشارت إليها ـ رأيت سيارتك والسيد جودت فقلت فرصة لأراك واسلم عليك .. وكيف حالك أيتها العزيزة ؟

قالت : أهلا بك أنا بخير.. وأنت هل عدت إليه أم تزوجت غيره؟

وقالت : لم اعد له ، ولم أتزوح غيره .. أعيش مع ابنيّ في شقة املكها.

قالت السيدة : اذكر أن احدهما كان ابن ثلاث سنوات لما عرفني نذير عليك

قالت: نعم ، واصبح في المرحلة الأولى من مراحل الدراسة المدرسية

قالت السيدة : ما شاء الله عساه صاحب لك !

قالت: عاش مع أمي ، ولما طلقني بسيل العام الفائت عادا للحياة معي ، وأنا مثلك كرهت جنس الرجال.. وأنت ما زلت على بعد عنهم!

قالت السيدة : طاردني طليقك ، وزعم أنه طلقك ليبرهن عن حبه لي .. وأنا لا أصدق الرجال إنهم طلاب شهوات فحسب .

قالت: وهناك نساء مثلهم!

قالت السيدة : لا انكر ذلك .. على ذكر النساء ما أخبار فريدة ؟

قالت: أخبارها سيئة من فضيحة لأخرى ، لم تتزوج ، ولم يطلبها احد.. التقيت بها في بضع سهرات دعيت إليها .

قالت السيدة باسمة : أما زالت تموت في الرجال؟

قالت: هذا سبب مشاكلها .. قلّ عشاقها من الطبقة الراقية ، ويتجنبون اللقاء بها

قالت السيدة ساخرة : عليها أن تترك الطب وتعمل في حانة وملهى ليلي

قالت: العشاق يملون بسرعة .. سمعت أنها سافرت للعلاج في الخارج سمعت أن أمراضا جنسية ظهرت عليها أعراضها مع كثرة فحوصها

قالت السيدة : كانت مستهترة بجسدها حتى أنها أغوت خادما في القصر وتسببت في طرده

قالت: هذه هي المشكلة.. اصبح عندها شبق وتهور في الإباحية

قالت السيدة : كيف انحرفت ؟

قالت ريما : سمعت أن السبب منذر زوجها ، كان يمارس الدعارة في شقته فأخذت تنافسه في الفجور ، وأصبحت عشيقة لكل معارفه .. وكان يجلب المومسات لبيته ويتنافسان في الفجور وتركها لغيره

قالت السيدة : إنها تخدره لتمارس الدعارة في الشقة كما قال نذير

قالت : سمعت بذلك .. حاول الزواج مني لما طلقت من بسيل .

****

تخلصت السيدة خلال عام مات من كل أصدقاء نذير ، وارتفعت علاقتها مع أصدقائها أفراد الجالية التركية في المدينة ، وبعض الأفراد الألمان والأوروبيين بحكم ولادتها في ألمانيا، ولم تخلُ السنة من محاولات زواج وخطاب ، فالمال من عوامل الجذب وطلب النساء ، وتلقت رسائل وتوسلات من بسيل، لم تكترث بها ، وكانت لا ترى وقتا لقرأتها فيحتفظ به جومار ، اخبرها جومار بمجيء المهندس سمير شقيق نذير ويرغب باللقاء بها ، وسعى لذلك في الشركة ، ولم يوفق فأخذ موعد لانشغالها ، فكان اللقاء في احد النوادي ، ولما التقيا وجلسا في الهواء الطلق

قالت السيدة : أهلا بحضرتك! أيام نذير لم تكن تظهر في القصر ولا في المدينة ! ماذا تريد أيها الصديق ؟

قال : حسنا ! سمعت أنك ستتزوجين الدكتور بسيل صديق نذير

ضحكت وقالت السيدة : سمعت! وممن سمعت ؟! وما دخلك بزواجي منه أو من غيره ؟ أبي لا يتدخل في زواجي .

قال : أبينكم قصة حب؟

تقدم النادل فقال: شاي قهوة شراب.

قال : أنا معجب يا سلوفانا ! وأنا مستعد لكل شروطك ، لديّ الكثير من المال.

قالت السيدة : لديّ الكثير منه يا سيد سمير .. أنا لا أثق برجل ولا بغني ولو لم أكن زوجة

أخيك الميت لا ارغب بالزواج ؛ ليكن هذا آخر العهد بيننا.

قال : أنا جئت من أجلك فلنجرب

قالت السيدة بحدة : نجرب ماذا! الزواج ؟!.. من قال إني سأتزوج الدكتور

قال : سمعت ولم اصدق

قالت السيدة : ولماذا لا اقبله ؟! أليس هو ذكرا مثلك ؟

قال : أحقا ستتزوجينه ؟

قالت السيدة : اذا رغبت بالزواج.. افكر فيه .. حولي الكثير منهم .. المال مغناطيس .. كلكم يريد المال .

قال : منه الكثير عندك

قالت السيدة : صاحب المال لا يشبع .. أنا اعرف الرجال .. والمرأة للهو والمتعة ثم رميها في الشارع أو معاشرة صديقتها أمامها .. ألم يفعل ذلك نذير؟!

قال : ليس كل الرجال واحد

قالت السيدة : صحيح ، ليس كل الرجال واحد ؛ لكن الكثير منهم مثل بعض .. والنساء تستغل ضعفكم أمام الإغراء .. عندما يستقر أحدكم في فندق همه النساء

قال : أنت عندك أفكار سيئة عن الرجال.

قالت السيدة : هكذا كان نذير يصف الرجال .. كل صفقة يتبعها حفلة إباحية وسكر انتهى الجد وبدا الهزل .. ماذا تفعلون ؟ مغنية عازفة راقصة عارضة زي عاهرة ممثلة إباحية النهار للعمل والليل للهو والقمار.. أول طلب من الفندق النساء

قال : لم يكن السيد يكتم عنك شيئا من مغامراته

قالت السيدة : ولماذا يكتم ؟ كان يتمنى أخوك أن يراني في أحضان رجل .. هذا ما تحدث به أمامي .

قال : ولماذا لا تفعلين ما دام قد رخص لك ؟

قالت السيدة : هو لم يرخص ، كان يريد أن أكون مثله ، حتى لا يحس أنني انظف منه .. فقد أذن لبسيل بأن يغويني حتى سقط في حبي وطلق زوجته.

قال : معقول!

قالت السيدة : معقول يا حضرة المهندس !

****

ظل أصدقاء نذير يطاردون السيدة لعلها تقبل احدهم قرينا أو عشيقا حتى مضت ثلاث سنوات دون فوز احدهم بغايته ، وكانت تدير المجموعة بقدرة وكفاءة ونجاح حتى شاع أنها التقت بشاب ألماني وجذبها الهوى نحوه ؛ لأنها كانت تكثر من السفر في السنة الأخيرة إلى ألمانيا وكان الشاب ابن صناعي كبير ، وشاع بأن سلوفانا تفكر بتقليص شركات المجموعة التي يملكها زوجها الميت ، وأعلن جومار إخبار الأصدقاء والصديقات أن السيدة ستغيب عن المدينة إلى اجل غير معلوم ، وتنقل كل الصلاحيات للدكتور علي يوسف، وترك الإدارة كاملة له ولمساعديه ، فترجح لدى المعارف أنها وقعت أخيرا في الغرام والحب .

كان المحامي بكر يسأل الدكتور عن صحة هذه الأقاويل: هل حقا ستتخلى السيدة عن الشركات؟!

قال: هي كلفتني باستلام كل العمل والإدارة والتواقيع .. هي فعلا تفكر ببيع كل هذه المشاريع والشركات أو تقليصها وتفكر بالعودة لميونخ حيث عاشت طفولتها .. تريد أن تستثمر في المؤسسات المالية فحسب ؛ ولكنها تنتظر مضي سنوات الوصية.

قال بكر : ملّت من القراءة والمتابعة.

قال: قد يكون ذلك .. النساء ليس عندهن نفس طويل في الأعمال والإدارة مثل الرجال.. فإما أن تعمل معه بثقة عمياء أو تظل متابعة ومراقبة .. فالسيدة لم تتعود على ذلك.. أنا كنت أظن أن تبيع الشركات أول وفاة زوجها أو تبيع نصفها

قال بكر : الناس طاقات والمرأة مرأة.

قال: نحن نقوم بالأعمال على خير ما يرام بسلوفانا وبدونها .. هي تعرف ذلك ؛ ربما السبب حبها ذاك الألماني ، فقد زارها في القصر مرتين ، وهو وريث شركات صناعية في اكثر من مقاطعة ألمانية ؛ لكنه اصغر منها بسنوات ، وهو طموح جدا ، وعلمت أن والده على وشك تسليمه الكثير من المصانع.

قال بكر: وهل يقبل بها زوجا ؟

قال علي : الزواج لست ادري ! أما العشق فهو وارد فالسيدة ما زالت صبية خمس وثلاثون سنة وما زال الفرسان يطاردونها في القصر في النادي في السفر ألا تعرف الخطيب ؟

قال: أكثره مزح .. فالدكتور بسيل طلق الدكتورة ريما ؛ ليتزوج منها ومنذر الأخصائي المشهور عرض نفسه وشقيق نذير يطارد ويأمل وطبيب تركي ورجل أعمال فارسي وبذل الكثير من الهداية وهي صامدة ترفض.

قال علي : أتعجب من رفضها وبعدها عن الرجال وهي في فترة النضوج يا دكتور بكر كانت لها مواقف ماجنة في سهرات زوجها! ربما مجاملة لنذير ، لم اسمع أنها رمت نفسها على رجل

قال: هذا المثير العجيب أيعقل أن هذا الألماني أوقعها؟

قال علي : المحاولات كثيرة وهي ذكية ، ولا اعتقد أنها بعيدة عن رجل ما .. فهي مشتركة في نادي تركي في استانبول ونادي أو اكثر في برلين وميونخ

قال: وكانت تسافر بدون نذير لمعارض وعروض أزياء وحفلات غناء عالمية

قال علي : كانت تفعل ولا يهتم نذير ، ولو كان لها عشيق أين العشيق ؟ لم يظهر .. لها ثلاث سنوات أرملة ؛ لكنها ذكية وحذرة ولابد من رجل .

قال: هل ستطول غيبتها يا علي؟

قال علي : ربما تمكث فترة طويلة ؛ كما تقول وفهمت منها .. فهي وكلتني توكيلا كاملا بالإدارة فهذا يعني طول غيابها .. علينا أن نهتم بعملنا والإنتاج .. وأعطتني بريدا خاصا للمراسلة ولا يعلمه احد .. صندوق بريد سري.

قال: الهاتف!

قال علي : رفضت استعماله بيننا تريد الاختفاء تماما عنا .. لماذا ؟! لست ادري يا دكتور بكر نحن يهمنا العمل، ولا تهمنا حياتها الخاصة.

قال: أكيد وهي حرة في نفسها ومالها.

مضى ثلاثة شهور على علي وهو يتلقى الاتصالات بالسؤال عنها ، وسبب اختفائها ، وتلقى جومار الكثير من الاتصالات والبرقيات للحصول على عنوان ومكان إقامتها ، وأشيع أنها تقضي شهر العسل في جزر إندونيسيا ؛ ولكن لم يدع احد لحفلة الزواج خاصة أتراك المدينة وحتى لوقان الطبيب ، ولم ينشر خبر زواجها في الصحف ولا في المجلات الاجتماعية ، ثم شاع خبر انفصالها عن زوجها الألماني البرت ، وكثرت الأقاويل والشائعات عن سبب الاختفاء الطوعي .

قال بسيل لمنذر والأصدقاء في نادي القمار كلب فايف : أين اختفت هذه المرأة ؟! كنت آمل أن ترضخ .

قال: ما زال عندك أمل وحتى بعد زواجها .. هل صح أن ريما تزوجت؟

قال بسيل: تزوجها صديق قديم لنا تدين .. امر الرجال عجيب وغريب.. صديق من أيام الجامعة

قال: لعله سعيد معها

قال بسيل : لا اتصال بيننا رغم وجود أطفال بيننا .. اتصل بها واسألها.. نساؤنا ديكور وشغل سهرات وحفلات وحمق

قال: حفلات تبادل الزوجات تحتاج لنساء على هذه الشاكلة .

****

ديانا كانت سكرتيرة لسلوفانا تداوم في القصر منذ سكنت فيه سلوفانا ، وكانت تعلم كيف يدار القصر ؟ الخدم والحرس والنظافة والطعام والشراب ، ويبدأ عملها صباحا حتى الخامسة

مساء كل يوم ما عدا السبت والأحد ، وبغياب سلوفانا مشت على نفس البرنامج وبالتعاون مع قيم القصر جومار الهندي ، اخبرها جومار بأنه سيترك العمل بضعة شهور للعودة إلى الهند ويرى ظروف عائلته وزوجته العليلة ، لم يعد يكفي الاتصال الهاتفي بهم ، وطلب منها أن تستعين بزوجها لإدامة الحياة بالقصر من رواتب وطعام وغيره ، وكانت ديانا بعيدة عن حفلات الزوجين تساعد مع جومار في ترتيبها ولا تشارك فيها ، وكانت خادمة سلوفانا جوليا تهتم بها وبنقلها لغرفة نومها اذا ثملت ، وتغير ثيابها ، وتهتم بغرفتها وتشرف على نظافتها وصيانتها ، وسافرت معها ، وأزعجتها فكرة طول الغياب لجومار ، هو الآخر وعدها بالاتصال بها بين الحين والآخر .

بذل الزوج سليم العون في الشهور الأولى ، ثم قال لديانا : ما الذي يجري ؟! له شهور متغيب عن القصر .

قالت: كثرت الاتصالات بينه وبين أهله ، وذهب لمعالجة الأمور ، وقد يقدم استقالته اذا اضطر للبقاء في الهند .

قال: القصر بدون جومار متعب.

قالت السيدة : قد أعين مديرا مؤقتا للقصر، تحدثت مع الدكتور علي فقال : تريثي قليلا فالذي فهمته أن أسرته لها مشاكل مع الشرطة وقضايا ومحاكم ، ولا تحل على التلفون أنا اعلم أنك مللت من الخدمة .

قال: أنا اقدر ذكاء جومار عليك بتغيير نظام المشتريات بدل أن نذهب للشركة الشركة تأتي للقصر

قالت السيدة : كان السيد والسيدة لا يحبون دخول سيارات البيع لداخل القصر لأسباب أمنية

قال: السيد مات والسيدة اختفت هل تزوجت؟

قالت السيدة : لم نسمع .. قيل تزوجت المهندس البرت الذي تردد على القصر مرات ولم نسمع شيئا مؤكدا .. هل تزوجته سرا ؟! اعتقد أن علاقتهما علاقة استثمار .. وهو يصغرها

بسنين

قال مداعبا : كما تزوجت نذيرا لماله تزوجها لمالها!

قالت السيدة : لابد لها من زوج ، فهي صغيرة واذا تزوجت البرت فهذا زواج محكوم عليه بالفشل لأنها الأكبر .

قال: هذا احد أسباب فشله ، والثاني أن الذي يحكمهم مصلحة ؛ فاذا تحطمت ولم تنجح فسيكون الفشل في الزواج.. ولكنه يظل ابن الصناعة القوية في ألمانيا والده ملك صناعي وشركات كبرى

قالت السيدة : صحيح ولكنها شركات مساهمة غالبا .

قال: أنا تعبت من العمل في القصر ، وهذا يضر بوظيفتي في السفارة

قالت السيدة : كيف؟

قال الزوج : رئيس الأمن نبهني لذلك الخطر .. أنا موظف سفارة فعليّ الابتعاد عن هذه الأعمال ولو كانت بهيئة معاونة للزوجة.

قالت: إذن علينا توريد هذه الأشياء للقصر .. سأرتب الأمر مع فريق الحراسة الذين ليس لهم عمل إلا الأكل والشرب والنوم.

قال: هذا واجبهم ، الحماية للقصر ، وإدخال الضيوف وتوديعهم ، انتهى زمن الحفلات والسهرات

قالت: رغم أنها لم تولد في تركيا ، ولم تعش فيها ، كانت تحبنا وتجاملنا وتدعم المشاريع الخيرية في تركيا وأتراك روسيا .

قال: لها عضوية في جمعيات خيرية في أنقرة وأنطاكيا وأذربيجان وطاجكستان وجمعيات أيتام فهي تحب العمل الخيري اكثر من نذير.

قالت السيدة : كنت اسلم لهم الشيكات وأقابلهم عندما يأتون للقصر وأومن لهم الفنادق وزيارة الجمعيات هنا ، وارتب زياراتها لتلك الأماكن .

قال: لم يكن نذير محبا للشيوخ والدعاة والدراويش.

قالت السيدة : لم يكن يعرف الدين والجوامع عاش اغلب سنوات حياته في البرازيل

قال: كل أسرته على شاكلته

قالت السيدة : كان يحب سماع بعض القرآن لدقائق معدودة ويغلق الجهاز!

قال دهشة : القرآن ! كيف؟!

قالت السيدة : لا ادري كيف؟ ! كان يوم الجمعة يسمع آيات وسورة الكهف!

قال: عجيب!!

قالت السيدة : لا تنسى أنه عربي ومسلم .. فهو يعرف العربية ؛ بل درس في مدارس عربية هنا ثم عاد للبرازيل ، ويتقن الإنجليزية حيث تعلمها هنا كذلك !



جنازة

كان الأصدقاء ماهر وسعيد وصبري وبسيل ومنذر يشاركون في جنازة زوجة صديقهم عريف وانشغل المشيعون بالدفن في احدى مقابر المدينة ، وماهر يقول: لم يمهلها المرض كثيرا ، عانت من صداع ثم تحول إلى مرض شديد وأعلن الأخصائي أنه سرطان دماغ .. وهذا مرض يقضي على المصاب بزمن يسير.

قال منذر: كانا شهرين صعبين على عريف.

قال بسيل: هذا الزوجة الثالثة حسب ما قيل ، هو طلق الدكتورة سهام بعد تخرجه من الجامعة

قال ماهر: احبها أثناء الجامعة وتزوجا، واتفقا على عدم الإنجاب حتى ينتهيا من الدراسة ولكنها حملت وولدت له بنتا ، ولما انتهى النفاس حدث الانفصال ، وأخذت البنت وعادت لبيت والديها ، وهي اليوم طبيبة لامعة في طب النساء والتوليد.

قال بسيل: اعرفها ، ربما ولدت ابنيّ تحت إشرافها .. إنها متدينة اليوم .. وهي امرأة فاضلة ونجت مما نغرق فيه من الخمر والميسر والمجون

قال منذر: هل أنت نادم؟

ضحك بسيل وقال : حالنا لا يسر!

قال ماهر: معكم حق ! تعلقنا بالنساء والشراب والقمار .. قبل أسبوع خسرت عشرة آلاف دولار.

قال: القمار كلنا يخسر .. مرة تكسب وعشر تخسر

قال منذر: هل من أخبار عن سلوفانا؟

قال ماهر: أنا لا اعلم حتى سمعت أن رئيس الخدم اختفى فهل وراء الأكمة ما وراءها

ضحك بسيل وهمس متفكها : تتزوج جومار مهزلة لو حدث ؟

قال منذر: هو سيد القصر بعد وفاة نذير .. وهو العشيق الخفي !

قال بسيل : لم يكن بينهما شيء، فكان من الصعب أن يخون ولي نعمته.. لو كانت تقبل العشاق

لكنت الأولى بها .. سمعت أن المهندس البرت قريب منها ورحلت للزواج منه.. فهو صاحب أموال ومن أقارب أمها.

قال ماهر: تزوجا

قال بسيل : لا ، لم اسمع ولكنهم يعيشون في أوروبا وأمريكا بدون زواج رسمي .. يبدو أن الدفن انتهى.

قال: اصبح الزميل أرملا.

قال منذر : حدثتم عن زوجته الأولى ، ولم تحدثونا عن الثانية.

قال ماهر : كان الزميل لا يحب الزنا والفاحشة ، ولما حملت سهام وولدت طلقها ، وعرض نفسه على زميلة لهما وقبلته وعاشا بضع سنوات ، ولما رغبت بالحمل رفض وتطلقا ، والده من الأثرياء كما تعلمون ، ثم أخذ مثلنا يتخلى عن معاداته للزنا ويرتاد النوادي والملاهي الليلية ، وتعلق مثل منذر بالمومسات وبنات الليل حتى التقى بي في نادي الأطباء واحتاج لزوجة للسهر والحفلات فتزوج هذه الميتة ، وتمنعت عن مسايرته في متعه وفجوره وتركها لنا ، ثم خضعت للواقع المقرف الذي نعيش فيه .

فقال منذر : ولدت طفلا

قال: لم يعد طفلا ، فهو شاب صغير في الإعدادية .. ها هو يقف بجوار القبر يصافح المعزين

وبعد العزاء بجوار القبر اعلن احدهم أن الغداء عن روح الميتة سيكون في نادي العائلة وكذلك بيت العزاء .

قال منذر: افكر بالذهاب لحانة يا ماهر اشرب كأسا بهذه المناسبة.

قال بسيل: افكر بالعودة للبيت، لم انم الليلة.

قال: لعل أنثى في البيت

قال بسيل :صدق لا ، لي أسبوع أو اكثر دون لقاء أنثى .. اشعر بالسأم والملل من هذه العملية

قال: تزوج

قال بسيل : تزوجت وطلقت .. حياتنا مملة

قال منذر : ما زالت نفسك ترغب بتلك الأنثى

قال بسيل : هربت منا

قال ماهر: بل طردتنا .. كل أصدقاء صاحب القصر طردوا

قال منذر : فعلنا عادات قبيحة .. الصحة تغر.. الشهوات دمرتنا

قال صبري : كل الناس تشرب .. والجنس جزء مهم من حياة البشر .. جعل النهار للشغل والليل للنسوان

قال ماهر: غرقنا في الشهوات والملذات .. ها هي صديقتنا زوجة عريف تموت وقبلها نذير مات دون استعداد لهذا اليوم.

قال بسيل : بماذا نستعد ؟ بالصلاة ..وهل تعرفون الصلاة ؟ دخلوا فيها المسجد يصلون عليها وهي عمرها ما صلت .. وأكثرنا ظل في سيارته ينتظر الصلاة عليها.. لماذا يصلى عليها ؟ الصلاة على الميت عجيبة.. يقف المصلون يكبرون ويدعون بس لا سجود ولا ركوع

قال ماهر: هي تذكير لنا لنصحى من النوم والغفلة.

قال منذر: يوم مات أبي دخلت الجامع .. استحييت من البقاء في الخارج خارج المسجد والناس يصلون على أبي .

قال ماهر: هل اغتسلت للصلاة؟

قال بسيل : كن صادقا يا منذر .. فالمصلون يغتسلون عند كل جماع .. هل اغتسلت ؟

قال منذر: الحقيقة أني اغتسلت .. ولم اكن اعرف كيف يغتسلون من الجنابة ؟ نعم، اغتسلت اغتسالا على نية الصلاة على أبي رحمه الله.

قال بسيل : كنت مرة في ماليزيا مع بائعة هوى قضيت حاجتي منها فلما أردت صرفها مع الفجر سمعنا الآذان فقالت اغتسل واذهب صلي إنه يؤذن ضحكت بيني وبين نفسي تمارس البغاء وتدعوك للذهاب للجامع تقول هذا شيء وهذا شيء دهشت حقا!

قال ماهر: كثير مثلها يحمل هذا الشعار .. هذا شيء وهذا شيء .. هل يعقل أن يتعذب المسلم في القبر كما يشيع هؤلاء الشيوخ ؟

قال منذر: نسمع ولا نرى شيئا.

قال بسيل : وكيف سنرى ؟

قال منذر: عندما نموت.

قال بسيل : آ ! معك حق.

****

قبل مرور أربعين يوما على وفاة زوجة عريف دعا الأصدقاء لحفلة زواج مختصرة ، وكانت مفاجأة لهم .قال له ماهر : ألم تستعجل الأمر؟!

قال بسيل : فعلا امر مستعجل!

قال صدقي: أنا قلت لن تتزوج بعد هدى.

أجاب: أنتم تعرفون أنني تعرفت على غالية قبل هدى ببضعة شهور .. طبيبة انتقلت للعمل معنا في القسم ، وهي أرملة من سنوات ، ولها ولدان ، وبأسرع من الصاروخ صارت عشيقة كما تعلمون ، وخلال مرض هدى كانت البديل ، وتعرفت على والدها ، وهو تاجر كبير في المدينة وحذرني من التمادي في العلاقة مع ابنته دون عقد شرعي ؛ لأنه لقطني ليلة في شقة ابنته فطلب تصويب الوضع ، فحدثته عن مرض زوجتي فقبل الانتظار ما دامت في حالة احتضار وبعد العزاء بأسبوع طلب مني التعجيل بالزواج .. فهذا أيها الأصدقاء سبب العجلة.

قال منذر: لم لم تبتعد عنها؟

قال: علمت أن له أصدقاء فوق ، والرجل مصر على تصويب العلاقة، والفتاة طبيبة مثلنا

قال بسيل : وهل تظن نفسك الفارس الأول بعد ترملها؟

قال: أكيد لست الفارس الأول ؛ لكن أنا الذي صيد في بيتها.

قال ماهر: المشكلة أننا نزعم أننا نعرف نساءنا ، ونحن نسمح لهن بالخيانة في تلك الحفلات

المستهترة ، إنهن لا يصلحن ليكن أمهات

قال صدقي: نحن لم نتخذهن أمهات.. نحن بدأن معهن خليلات وزبائن لحفلات المجون وتبادل الزوجات .

قال ماهر: ولكن ريما ولدت لبسيل

قال بسيل :حدث خطأ ؛ فكان الإجهاض صعب ..كانت حياتها في خطر

قال صدقي: إذن ستتزوج يا دكتور

قال عريف : وضع مبلغ من المال في الحساب لإكمال الفلم

قال ماهر: أوه هذا مربط الفرس مال وأنثى لقد ابتاعوك

قال: تقريبا والحفلة عليها ، هدية في فندق خمس نجوم وشهر عسل في شرم الشيخ وستشربون خمورا فرنسية جيدة.

قال بسيل : وأولادها

قال: الأولاد في بيت أم أبيهم استقروا ، وشقتها بجوار شقة شقيقها ، والنساء لا تعجز عن تهريب العشاق كما فعلت معي.

قال منذر: وفعلت ذلك مع غيرك.

قال: الغيرة ماتت عندنا أو ولدنا بدونها .. من يتورط في القمار لا غيرة عنده مع الوقت وخلاعة الحانات.. كان همنا أن لا تخون إلا بعلمنا ورضانا

قال بسيل : أكيد الانحراف سهل ؛ لكن الخروج منه صعب ، الوحيدة التي عجزت عنها امرأة نذير .. كانت اللعينة ترخي الحبل لنا ثم تنقلب لسبع.. لا اذكر أن أحدا منا نالها

قال صبري: أنا لم انجح وابتعدت سريعا

قال ماهر: وأنا مثلك كانت تقربنا من بدنها ثم تبصق علينا

قال منذر: نحن عرفناها عن طريق زوجها الفاحش، نال نساءنا وتحدانا إلا ريما كشت منه رغم فحشها ورغم هداياه لها

قال بسيل : كانت فريدة أكثرهن عشقا له، وكان يستسلم سريعا لإغوائها.. هداياه تسيل لها اللعاب .. ربما لم يتمكن منها ، وكنت اعجب منها ، وسمح لي بمغازلة ومراودة زوجته لم تستلم ربما له وسلوفانا لي

قال صبري: ربما عجز عن جسدها ، وكان مغرما بفريدة طليقة منذر رغم كثرة العشيقات في أنحاء العالم

قال ماهر: ما أخبار فريدة ؟ منذ مرضت لم نعد نراها

قال: منذ طلقها منذر قلّ اللقاء بها .. غير صالحة للعمل أصبحت بحكم المومس ، تتردد على حانات البغاء بشكل دائم ، لم يعد الأطباء مثلنا يقربها ، ثم أرسلها أهلها للعلاج في فرنسا

قال بسيل : سمعت أن حالها تحسن قليلا واخبرني منذر أنها تمارس الأمر في باريس.

قال منذر: سرطن رحمها وأزيل هناك قال لي ذلك زوج احدى قريباتها تخلصوا منها .. الجنس سيدفع كل واحد منا الثمن كما حصل مع نذير.



الزوجة الأولى

كانت ديانا تدير القصر بغياب السيدة وجومار ، وتعذر زوجها العامل في القنصلية بمساعدتها اكثر من الشهور الثلاثة ، وتعاونت معها السكرتيرة نورما ريثما تظهر السيدة الكبيرة ، ذات نهار تحدثت نورما مع ديانا عن امرأة تقف أمام القصر ترغب بالدخول والحديث معها وأنها قادمة من أمريكا .

فقالت ديانا : سلوفانا غير موجودة

قالت نورما : وهي غير مصدقة بسفر سلوفانا .. هي مصرة على مقابلة المدام .. وتزعم أنها صديقة للسيد نذير أيام عيشه في البرازيل.

فقالت ديانا : نذير مات من سنوات !

قالت السكرتيرة :إنها تعلم .. هل اسمح للحرس بإدخالها لنفهم حكايتها؟ فالحارس يلح على إدخالها.

فقالت ديانا : ولماذا يلح الحارس؟

قالت نورما : يقول إنها مصرة على الدخول والحديث معنا.

فقالت ديانا : فلتدخل ويرافقها احد الحرس ، وسأقابلها أنا وإياك في قاعة الاستقبال الأولى

تركت السماعة وهي تقول: ماذا تريد هذه المرأة القادمة من كوبا ؟ وماذا تريد هذه السيدة؟

تركت المكتب ونزلت إلى قاعة الاستقبال الأولى ، وكانت السكرتيرة في انتظارها وقالت : ستأتي ومعها السيد عصام.

دخل عصام تصحبه المرأة وعرفت بنفسها داليا غسال حيتان عربية الأصل، قال الحارس: السيدة داليا تقول إنها زوجة للسيد نذير قبل أكثر من عشر سنوات.

صرخت ديانا حيرة : زوجة للسيد نذير ! وأبدت نورما دهشتها أيضا.

قالت وهي ترى اثر المفاجأة على السيدتين : أنا زوجته الرسمية الأولى يا سيدة ديانا وسيدة نورما أنا هربت منه لأسباب خاصة قبل سنوات إلى كوبا .

فقالت ديانا وهي تتذكر : كأنني سمعت بهذا الزواج .. والسيدة الكبيرة غير معروف مكان الإقامة في أوروبا منذ شهور .

قالت السيدة : اخبرني الحارس بذلك ؛ لكن لا اصدق أين ذهبت؟

قالت نورما : كما اختفيت أنت اختفت هي ، ولا نعلم أخبارها وحتى مدير القصر الهندي جومار غادر لبلده ولم يعد لحد الآن.

قالت السيدة : حين تزوجنا لم يكن هنا قصر .. تزوجته في البرازيل ؛ حيث تعرفنا هناك ؛ حيث بدأ حياته العملية الكبرى ، حدثت بيننا نزاعات عائلية ، هربت منه ، وترك المدينة ، ونزل ألمانيا ولم يطلقني عندما هربت منه .. وأنا الأحق بثروته من سيدتكم.. ما زلت على ذمته .

قالت نورما : إنه ميت يا مدام والأموال انتقلت للسيدة الكبيرة بوصية موثقة.. اغلب الأموال باسمها ما عدا الأموال هنا ستوزع حسب الشريعة الإسلامية وثلثها وصايا

قالت السيدة داليا : السيدة الكبيرة خارج البلاد أم لم ترغب بمقابلتي !

فقالت ديانا : منذ سنة سافرت لألمانيا؛ ربما تزوجت كما قيل ، ورئيس القصر جومار رحل لبلده الهند يتفقد زوجته وأولاده ، واذا لك حقوق ووثائق عليك بمكتب قانوني ومحامي وكيف تزوج السيدة ولم يثبت طلاقه منك؟

قالت السيدة بابتسامة : التزوير .. المال يستطيع التزوير لوثيقة طلاق .. وأنا أنجبت منه ولدا وهو شاب يعمل في هافانا .

قالت نورما دهشة : له ولد ، لم نسمع بذلك! نذير لا يعلم أن له ولدا ، ولم يترك له شيئا لابد لك من قضاء ومحاكم .

قالت السيدة : سأستعين بالقضاء ، وكنت ارغب بحل المشاكل بالتفاهم مع السيدة الكبيرة .. أنا املك الوثائق الصحيحة بأني زوجة شرعية لنذير .. أنا من مواليد البرازيل ، لما حضر البرازيل التقى بأسرتي وعمل في التجارة والنفط معنا ، ثم تزوجني ثم أصبحت حياتي معه في خطر فاضطررت للهرب خشية على حياتي وولدي.

قالت نورما : هذا الكلام يا سيدتي لا يهمنا .. نحن موظفون في القصر .. والسيدة خارج البلاد ولا نعلم عنوانها قابلي مدير الشركات الدكتور علي يوسف

قالت السيدة : لم أتزوج بعد هربي .

أعطتها السكرتيرة عنوان الشركة والمحامي بكر

****

استقبل علي وبكر المرأة التي أعلنت أنها زوجة لنذير وتعرفوا عليها وشربوا القهوة بصحبتها وهم في دهشة من ظهور الزوجة الأولى .

قال بكر: أنت كنت زوجة للسيد للمرحوم نذير خاتم .

قالت السيدة : كنت زوجة ، وما زلت زوجة وأم ابنه الوحيد بول .

قال علي : ابنه اسمه بول اسم إنجليزي

قالت السيدة : سماه بهذا الاسم ؛ لأنه كان محبا للعبة كرة القدم ومشجعا برازيليا ؛ حيث رحل من هنا للعمل مع أسرتي لقرابة بينهم ، لا اعرف أصولها ، وكان شريكا نيابة عن والده المليونير تشاركنا في مصنع كبير ، ومن أول سنة تزوجنا ، ثم تبين لنا أنه عاشق للنساء ونتيجة لهذا الانحلال المفضوح تخليت عنه مع حبيب قبل أن اعرف نذيرا ، وهربنا لكوبا سرا ورفضت كشف مكاني للأسرة والأصدقاء ولنذير ، ولما غادر لألمانيا الغربية أخبرت أمي بمكان إقامتي ثم علمنا أنه تزوج ألمانية .

قال بكر: وابنه

قالت السيدة : ولد في أول سنة زواج وهرب معي ، وكان في مدرسة داخلية ، وهو اليوم في الجامعة

قال بكر: ما دمت تعلمين زواجه عليك فكيف تطلبين ماله؟

قالت السيدة : أنا زوجته الشرعية ومعي عقد الزواج.

قال علي : وكيف تزوج الألمانية؟!

قالت السيدة : لا ادري بالضبط ! علمت أنه اتخذ زوجة ، ولم اسمع أنه طلقني.

قال بكر: كيف يعقد قرانه بدون طلاقك كما هو النظام الغربي ؟!

قالت السيدة : قد لا يكون بينهم عقد رسمي

قال بكر: هذا يحتاج أن نذهب لألمانيا.. فعليك بالسفر وتوثقي من عدم طلاقك رسميا ستوزع الأموال قريبا .

قالت السيدة : لم تأت أي وثيقة.

قال بكر: لا يمكن .. هناك عقد زواج قبل نفي التعدد .

قالت السيدة : قد يكون زور طلاقي .

قال بكر: هذا تثبتي منه هناك وليس هنا.

قال علي : الرجل بغض النظر عن عقد الزواج كتب الأملاك لزوجته سلوفانا ، ولم يحدثنا عن ابنه بول

قالت السيدة : سأذهب إلى ألمانيا

قال بكر: ولماذا تأخرت في الظهور .. له أربع سنوات في الموت.

قالت السيدة : لم اكن بحاجة للمال ولابنه حق بماله.

قال علي : هو ترك المال وصية لزوجته الألمانية وحصة لأمه.. فعل على طريقة الغرب كتابة الوصية .. وهل ما زال شريكا لأسرتكم؟

قالت السيدة : نعم ، ما زال شريكا .. فوالدي مات ، واعلمني قبل موته بأن زوجي مات وترك الثروة لزوجته الألمانية ولم يترك لي ولا لابنه أي دولار

قال بكر: الذي أشار عليك بالظهور كم سيأخذ ؟ فعليه أن يتابع الأمر في ألمانيا؛ وليس هنا واذا تزوجت كما قلت فلا شيء لك.

قالت السيدة : زواج بلا عقد .. صديق فقط ..وأحد المحامين قال لي ذلك بأنني رسميا على ذمة المرحوم .. أنا أبي من اصل عربي، وأمي برازيلية ، فهي ثرية وتزوجت أبي مثل أسرة نذير

قال علي : عليك بالسفر إلى ألمانيا ومعرفة تفاصيل زواج المرحوم ..فأرملته خرجت من سنة من البلد هذا .. غادرت لظروف خاصة ربما زواج.

قالت السيدة متظاهرة بالدهشة : زواج !!

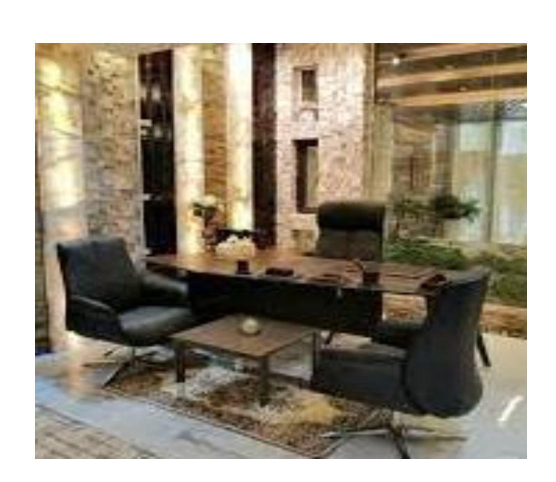
قال علي : ربما لم تفصح عن خبر واضح .. وتركت لنا الإدارة حتى ترجع .

قالت السيدة بنكهة ساخرة : لابد أنها وجدت زوجا يعوضها عن مغامرات نذير النسائية .. لقد علمت أنه مات محروما من النشاط الجنسي!

قال علي : لم تحضري الجنازة أنت ولا ابنه !

قالت السيدة مقرة : هو لم يعترف بابنه .. وهو احد المشاكل الكبرى بيننا ..كان يريد موته بيديّ ، وإنه لا يخلف ؛ ولكنه ابنه شكرا لكم.

غادرت وصحبها حاجب المكتب ، فقال بكر : الأمر يستحق الدهشة !



عودة الأرملة

بُلغت ديانا بهاتف من طبيب القصر لوقان أن تهيء القصر لقرب عودة السيدة ، وتفاجأت المدبرة للقصر بالأمر فقالت: أتحدثت معك؟!

ـ نعم

فقالت ديانا : أين كانت؟!

قال : عندما تعود ستعرفين أين كانت؟

ـ معها زوجها!

قال الطبيب : زوجها ! ومن قال إنها تزوجت؟!

فقالت ديانا : لا اذكر من قال ذلك! عندما غادرت سمعنا أن علاقة خاصة مع البرت.

قال الطبيب : نعم، هناك علاقة خاصة هي علاقة عمل يا سيدة ديانا لما ترجع تسأل.

فقالت ديانا : شكرا دكتور.

قال الطبيب : جومار ما آخر خبره؟

فقالت ديانا : اخبرني باتصال هاتفي أنه يعيش أيام صعبة ، وطلب مني عندما تعود السيدة أن أتصل به، فقد تعرضت عائلته لحادث كبير ..احترق بعضهم، وبعضهم يصارع الموت .

قال الطبيب : لا حول ولا قوة إلا بالله على كل اذا اتصل اخبريه بقرب عودة السيدة للقصر

فقالت ديانا : سمعت من نورما أنه يفكر بالاستقالة لرعاية أهله .. سيأتي اذا عادت السيدة لبعض الوقت.

قال الطبيب : اهتمي بإعداد القصر.

فأخبرت ديانا الخدم والحرس والطهاة بما اخبر به الطبيب ، وعم الفرح في القصر، والسؤال الذي تردد على الألسن أين اختفت كل هذه المدة ؟ وما الخطب !

فقالت السكرتيرة العامة للقصر نورما : ألم يكن هناك زواج ؟

فقالت ديانا : استغرب الدكتور الحديث عن الزواج من البرت.. التقيا للعمل والتمويل.

قالت نورما : عمل سري وخطير !

فقالت ديانا : هي قررت السفر فجأة وأعلمت بأن رحلتها السرية قد تطول .

قالت نورما : هناك غموض في هذه السفرة يا ديانا حتى لم تترك لنا رقم هاتف أو عنوان بريد

فقالت ديانا : حضر البرت للقصر مرتين ، وكان حديثهما بالألمانية .. وأنا أعرف بعضها ، ولم اسمع إلا الحديث عن المصنع والتمويل ، فلم استغرب كثيرا من تصريح الطبيب، وكان دعاها لقضاء وقت في وطنها .. وأنا ظننت أن والدته أرسلته من اجل الزواج والمصنع حجة.

قالت نورما : أنا استقبلته في المرتين ، وتحدثنا بلغة بريطانيا حتى تنزل السيدة للقاء به

فقالت ديانا : أنا رجحت الزواج بعد سفر جومار ، فذهب مخي أنها قد تبيع القصر وأملاكها هنا .. بعد ترملها لا يربطها شيء بهذا البلد إلا الأعمال ، فنذير له مشاريع في ألمانيا والبرازيل وتشيلي وغيرها من البلدان.

قالت نورما : عندما تعود السيدة بالسلامة سنعرف الكثير من قصة هذه الرحلة الغامضة.

فقالت ديانا : قريبا لها سنة دون خبر ، يبدو أنها كانت على اتصال وتواصل مع طبيبها.. بدا لي أنه على علم بسبب غيابها .. هل لظهور الزوجة الأولى دور في ظهورها؟!

قالت نورما : سمعت من الدكتور علي أنها تزعم أنها زوجة ولم تطلق رسميا ، ولها ولد منه ينكره نذير ، وهو يدرس في جامعة كوبية اسمه بول .. لم نكن نسمع بهما حتى في الشركة .

فقالت ديانا : الحقيقة يوجد غموض في حياة نذير لسلوفانا ، فهي تزوجت ماله ، وطلقت من زوجها الأول ؛ ولعل نذيرا السبب ، وجاء لميونخ وبرلين لمساعدة والدها في أزمة صناعية ومالية فكانت في طريقه ووقع في غرامها ، كان مقلا من النوم معها ، كان رجل نساء خارج القصر إلا ما حدث من الدكتورة فريدة .

قالت نورما : رجال العمل والمال دائما يحيط الغموض بيومياتهم وحياتهم ، كان لا يسمح لأنثى في رياسة شركة أو مصنع ، ولا يسمح للمرأة أن تحضر أهم الاجتماعات ففي النهار عدو النساء والليل عشيق النساء .. أمره فيه غرابة.. فرغم كفاءة سلوفانا كانت بعيدة عن الإدارة والشركة

وعند خروجه للعلاج سمح لها بالإدارة والتردد على الشركة والمتابعة خارج القصر .

فقالت ديانا : تعب الكبد من الكحول وأجهزته التناسلية من الإباحية ، قد يكون سرطان الكبد من الكحول ، وكما تعلمين حفلات السيدين كثيرة على مدار السنة غير حفلات الصفقات خارج القصر.

قالت نورما : هذا ملاحظ كنا نتأخر في الفندق للصبح من اجل الزوار .. وصفقات تجارة الأسلحة متعبة .. لهم مصانع أسلحة في أمريكا اللاتينية.

فقالت ديانا : علمت من السيدة أن علاقاته مهمة مع وزارات الدفاع على مستوى العالم استفادوا من حرب العراق وايران وتحرير الكويت.

قالت نورما : هذه الصفقات عمولاتها مرتفعة وحتى تكاليف نقلها مرتفعة .

اتصل علي يسأل عن عودة السيدة ، ولم سمع قال: سأتحدث مع الطبيب شكرا مدام ديانا.

****

شاع الخبر في الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه سلوفانا حتى أن بعض الصحف الاجتماعية أشاعت ونشرت هذا الخبر على صفحاتها ، فهي مديرة شركات ومصانع نذير خاتم .

الدكتور علي يقول: لماذا نشرت الصحف الخبر ، ونحن لا نعلم متى تأتي؟ ولماذا اختفت كل هذه الشهور؟!

قال بكر: كنت في مؤتمر وسألني صحفي عن صحة الخبر ، قلت سمعنا مثلكم، ونحن في الشركات نقوم بعملنا سواء وجدت أم سافرت .. العمل لا يتوقف على وجودها ، فهذه اغلبها شركات مساهمة عامة.. وهل كشف لك الدكتور شيئا عن سبب الاختفاء ؟

قال علي: نعم ، قال إنها كانت في رحلة علاج سرية .

قال بكر باستغراب : علاج مدهش ! والعلاج يحتاج إلى تكتم وسرية واختفاء عن العمل .. شهران مرض نذير واستمر العمل

قال علي: هذا ما كشفه لي لوقان ، لم يكن هناك زواج وغرام.

قال بكر: مما تعاني؟

قال علي: لم يصرح به.. لم تكن تعاني من مرض خطير حسب علمي يا بكر

قال بكر: هذا الدكتور خطير ! هل بينهما علاقة خاصة ؟ كان نذير لا يحبه ولا يطيقه ؛ لكنه من جالية القصر .. كانت تحترم الترك من كل البلدان .

قال علي: أليس هو الذي عينه طبيبا للقصر؟

قال بكر: بلى ، ولكن رغبتها هي التي أصرت على عمله طبيبا للقصر

قال علي: تميل كثيرا لجنسها !

قال بكر: اغلب القصر هنود من اتباع جومار .

قال علي: التوظيف كان عن طريقه الذي سافر ولم يرجع !

قال بكر: علمت أن زوجته وابنه تعرضا للحرق ، ومات ابن له في الحادث .

قال علي: هو متزوج ، ولم تحضر زوجته للقصر ولو مرة واحدة ، فكل من يسكن القصر معه زوجته إلا جومار .. احضره الهنود الذين بنوا القصر رئيسا للخدم ،ويعرفه نذير من وجوده في ألمانيا .. القصر خليط من الأجناس فخادمة سلوفانا الخاصة فرنسية ومدبرة القصر تركية وسكرتيرتها تركية الأصل إنجليزية الجنسية والسائق جودت تركي والطبيب تركي يعيش خارج القصر

قال بكر: لا اعتقد أن حياة خاصة بينه وبين السيدة رغم امتعاض السيد منه في السنوات الأخيرة .. لم يكن الطبيب الوحيد للقصر إنه أهمهم .. فكل شلة نذير أطباء.. وهو الذي نصحه بالسفر لألمانيا أو سويسرا عند تأزم وضعه الصحي.

قال علي: هل أمورنا حسنة قبل مجيئها؟

قال بكر: التقارير المحاسبية ممتازة وجاهزة ، والسكرتيرة نورما تتطلع عليها باستمرار

قال علي: بعد حين قريب ستصبح السيدة مالكة للأموال حسب الوصية وتوزيع الميراث

قال بكر: أنا عجبت من وصيته أن لا تسلم لها إلا بعد ست سنوات وألا تتزوج زواجا رسميا

إلا بعد تملكها الأموال

قال علي: وصية غريبة !

قال بكر: لذلك استغربت لما قيل سافرت لتتزوج ! قلت ستفتقد الكثير من الثروة .

قال علي: لعلها لم تتطلع على هذا البند .

قال بكر: معقول

قال علي: هذا ما سمعته في زيارة المكتب في احدى الزيارات.

قال بكر: الزواج بدون عقد موجود في أوروبا العقد اختياري ، كان لها زوج مهندس طلقها وكان الزواج منها ضمن صفقة كما قال نذير يوما.

قال علي: وهذه التي تزعم أنها امرأته وولدت له بول.

قال بكر: قصتها غامضة.. يبدو أن احدهم طمعها بحصة من الثروة وصدقت إلا إذا كانت سلوفانا زوجة بدون عقد شرعي أو مدني .. وعلمت أنها تنوي السفر إلى أوروبا ؛ وربما تنتظر عودة سلوفانا اذا علمت بالإشاعة.

قال علي: لم يذكر يوما معلومات واضحة عن حياته في البرازيل

قال بكر: سنة علاج غريب !

قال علي: لا ادري!

******

كان الأطباء يجلسون في غرفة في نادي القمار يشربون ويتعاطون الكحول، وكان حديثهم حول ما نشرته الصحف أو يعضها حول عودة السيدة سلوفانة لمدينة زريق . فقال ماهر: أقرأت أو سمعت ما نشرته صحيفة الحمامة الزرقاء عن عودة الأرملة السوداء للبلاد؟! أتراها ستعود بزوجها الجديد؟

قال بسيل: وما ادراك أنها تزوجت؟

فقال ماهر: ألم يشاع أنها رحلت للزواج من الصبي البرت المهندس الصغير صديق العائلة؟

قال منذر: نعم، هذا قيل يا بسيل؟ و أليس هذا ما ترجح لدينا عند الاختفاء؟

قال بسيل: ولماذا تخفي هذا الزواج عن الأضواء والمجلات ؟! امرأة كسلوفانا وهي تعشق الشهرة والصحف والحفلات .. أنا مثلكم قرأت الخبر الذي نشرته صحف المجتمع ، فاتصلت بالدكتور علي ؛ لأنه هو الذي يدير الأملاك فأكد لي الخبر ، ولا يعرفون أي تفاصيل ولا وقت العودة ؛ إنما اخبرهم به طبيب سلوفانا أحد عشاقها الأوائل اذا صح وصدق اتهام نذير .

قال منذر: الخبر صدر عن التركي ؛ ليس من القصر !

فقال ماهر: قيم القصر في الهند ، ليس هناك زوج !

قال بسيل: لا يوجد زواج.

قال منذر ساخرا : هل لديك أمل باسيل؟

قال بسيل: لقد سيطرت عليّ، عشقتها بحق ، منذ طلاق ريما لم اسعد بامرأة .. لقد انتصرت عليّ

فقال ماهر: هذا أنت كنت في معركة!

قال بسيل: نعم ، معركة غرام وجنون ومراهقة .

فقال ماهر: معركة خاسرة من بدايتها ، وجعلتها فرصة للخلاص من ريما ، وهي فتحت لك الطريق لإغاظة زوجها الذي كسر تقاليد الزنا في القصر، حين تعرت له مطلقة منذر وخدرته وعاشرها فسقط مريضا حتى هلك.

قال بسيل: فتح لنا الطريق بصراحة وتحدي ، وترك لنا المحاولة، وكانت ليلة القط الأسود على وشك أن تحول الحفلة لجنس جماعي .. لقد ذلتنا تلك الليلة أمام نسائنا حتى سخرت ريما مني ثم تطوعت بألف دولار اذا تمكنت منها ، فاعترفت بفشلي وأنها صيد صعب رغم مكرها بنا ليلة القط الأسود لما ذهب نذير لمعاشرة فريدة .. قلت لسلوفانا سمحت لنذير بليلة مع ريما فضحكت

فقال ماهر: ما رد ريما على هذا الادعاء؟

قال بسيل: قالت لا ادري إنني اكرهه رغم ما قدمه لي من هدايا ، لو اطمئن أنها تسلم لك ليلة لقدمت جسدي له أسبوعا .

قال منذر: تضحية كبيرة منها ماذا قلت لها؟

قال بسيل: قلت لها سأبذل جهدي معها لآخر يوم من العمر.. إنها امرأة تشتهى ، وإن لم تكن ملكة جمال العالم ، فقالت اذا سمحت لك بليلة فقدمني هدية وجارية لنذير .. مات نذير قبل أن أنال وأحقق شيئا.

قال منذر: أنا كنت استغرب من موقف ريما معه ، مع أنها سمحت لكل الشلة النوم معها ؛ لأنها تعلم أننا صحاب يجمعنا الجنس والخمر والقمار.. نذير لماذا لا؟!

فقال ماهر: نساؤنا لما تزوجناهنّ يعلمن أننا مجرد ديكور لهن .. كانت مكرهة على الممارسة بعكس فريدة .. تلك امرأة فعلا عاهرة .

قال بسيل: اليوم ريما تغيرت لم تكن نشطة جنسيا ، تتعب بسرعة وتكتفي بقضاء شهوة الشريك وتدخل في نوم عميق .. أما فريدة وغيرها تريد أن تبقى طول الليل في جماع ومداعبة ومجون .. كنت استسلم للنوم ويبدأ الإزعاج؛ لذلك صرت اهرب من مواعيدها ومواعدتها.. أما ريما فما صدقت أن اتركها .. تغيرت اليوم وتزوجت، وتركت الفجور وسمعت أنها تابت.

قال منذر: تابت ما معنى تابت ؟ كانت ضمن الفريق بحريتها

قال بسيل: صارت تصلي يا سيدي !

فقال ماهر: معقول

قال بسيل: زوجها الجديد كبير في العمر أرمل .. معرفة قديمة تغير .. علمت أنه يعاملها كابنة.. لديه بنات من سنها .. مجرد زواج .. أراه مناسب لها.

قال منذر: إنها ملّت ، وكانت مملة ، ملت من السهرات مثل بنات القرى

قال بسيل: هي كانت تفعل معكم إرضاء لي خشية الطلاق ، فقبلت بعد حين الدخول في هذا المضمار ، لم تكن تصدق أننا نتبادل الزوجات ، وأنها مجرد أفكار سينما وخيال كم خسرتم الليلة

قال منذر: خسرت خمسة آلاف بعد أن كسبت في البداية خمسة راس براس .

فقال ماهر: بسيل كسب الليلة بعد خسارته قبل ليالي عشرة أنا فقدت الليلة عشرة

قال بسيل: ركبني الطمع الليلة وتجاوزت المحدد .

فقال ماهر: الدكتور جولس انتحر قبل أيام ، خسر عمارة كاملة

قال بسيل: خسر كل شيء ، المرأة تركته قبل الانتحار، وأولاده هجروه كذلك

قال منذر: لقد نزف أملاكه كلها .



القصر

كان القصر يتهيأ لاستقبال السيدة بأوامر من الطبيب الخاص ، وقام جودت بشراء سيارة ماركة جديدة وتهيئتها لاستقبال السيدة في المطار بصحبة الطبيب ونورما ، وتم شراء ملابس جديدة لسكان القصر بمناسبة العودة ، وكذلك تجديد الإضاءة ؛ ليكون القصر جاهزا لاستقبال سيدته، فتأكد لساكنيه ومعارفهم أن العودة قريبة وحقيقية ، كان الطبيب مبغوضا من نذير ، ولولا ثبات سلوفانا وإصرارها لطرد الطبيب وقالت بحزم: هذا طبيبي أنا دبر لك طبيبا ، فسلم واستعان بغيره ، وظل طبيبها طبيبها واتهمها حينا بعشقه فقالت : حرية . ولم يستطع إثبات ممارسته معها الزنا رغم شكه به .تجسس عليها بالخدم ، ولم يثبت أي لقاء جنسي بينهما فركن للصمت ، وكان يتقبل أوامره الطبية والصحية وقبل مرافقته في رحلة العلاج التي مات فيها .

طلب الطبيب من السائق الاستعداد ليلا للذهاب إلى المطار ، طائرة الواحدة ليلا ، انتقلوا ليلا للمطار ، ومعهم كلب السيدة وقطها الأسود ، فالكلب له خدم ، والقط له خادم يستوطنان القصر وهم من الهنود .

مع الفجر كانت السيدة تدخل القصر ضمن استقبال وترحيب من عمال وخدم القصر وعانقت الكلب وسلمته لخادمته والقط كذلك.

أعدت خادمتها الفرنسية جوليا التي عادت بصحبتها غرفتها ، وصعدت لغرفتها وغادر الطبيب القصر لم تتحدث بسر غيابها ، انهالت الاتصالات صباحا مرحبة بالسيدة وأعطت موعدا لعلي وبكر مساء اليوم .

فقالت: كانت سنة صعبة يا صديقي؛ ولكني نجوت بحمد الله.

قال علي: نجوت من ماذا ؟ نحن لم نعرف سر طول هذا الغياب ظننا أنك تزوجت البرت .

قالت السيدة: عندما أتنفس الصعداء سأقول لك القصة ، علمت بقصة المرأة القادمة من كوبا وابنها بول . روى لها القصة والابن لنذير.

سمعت السيدة صوت الأطباء بسيل ومنذر وماهر وطلبوا اللقاء بها للسلام عليها ، شكرت

لهم الاتصال ،واعتذرت عن اللقاء فقال بسيل : لم الجفاء والبغضاء؟

قالت السيدة: لا جفاء ولا بغضاء، أنتم أصدقاء السيد ، ومات السيد وبأي صفة نكون أصدقاء وأنتم أصدقاء نسوان .

قال بسيل: يجب أن نبقى أصدقاء ؛ لأنك زوجة صديقنا .. من الوفاء له أن نبقى أصدقاء وصرنا أصدقاء لك وشاركنا في حفلاتك وسهراتك .

قالت السيدة: أنتم أصدقاء شراب وأجساد وقمار فما دوري بينكم ؟!

قال بسيل: لا تنتهي الصداقة بموت احدنا .

قالت السيدة بضيق بين : حبل الود انتهى يا دكتور ! قلت لك لا تفكر بي زوجة ، أنا كنت زوجة شكلا لصاحبك .. سلم على الرفاق.. وعندما اعمل حفلة تأبين سأدعوكم للسكر عن روحه لتلك الذكرى .

قال بسيل ساخطا : فيك خير يا مدام! أنت ملكة بغير تاج.. أنت من عجايب الدنيا السبع !

قضت السيدة أسابيع في المشاركة وحفلات في القصر والفنادق والشركات واستقبال الجالية والنوادي الخاصة والكل يريد أن يعبر عن حبه وإعجابه بها، والغريب أنها أقامت حفلات في القصر بدون خمور ، وانتشر أنها كانت في رحلة علاج من الإدمان على الكحول ، وأنها قضت الشهور في مركز ومشفى علاج من الإدمان في سويسرا ، وقد نجحت بترك الكحول إلى حد كبير ، وتخلصت من الخمر رويدا رويدا ، والمخدرات التي لم تتعمق فيها ، وكذلك ترك الدخان إلا القليل .

****

ذات نهار قالت ديانا : الحرس يقولون إن بالباب شخصا يزعم أنه ابن نذير وأمه يرغبان بالمقابلة السيدة قد علمت بقصة المرأة التي زارت القصر قبل شهور ، فأذنت لها بالدخول إلى احدى قاعات استقبال خاصة ، وقدمت لهما القهوة والماء ، وبعد ربع ساعة حضرت سلوفانا القاعة وعرفت الزائرة بنفسها باسم داليا غسال حيتان وابنها بول.

قالت السيدة وهي تجلس : ماذا تريدون مني ؟!

قالت السيدة داليا : أنا زوجة شرعية لنذير.

قالت السيدة: لنفرض صحة ذلك ماذا تريدون؟

قالت السيدة داليا : أريد حقي بمال زوجي وحق بول.

قالت السيدة: السيد لم يترك ثروة ، كتبها لي بوصية ، فهي باسمي، نذير لا يعترف بدين وتسلم لي بعد ست سنوات من وفاته ، وعلى أن لا أتزوج .. لا يوزع ماله كميراث إسلامي وديني لنتشارك في المال .

قالت السيدة داليا : ولكني زوجته الشرعية

قالت السيدة: وأنا زوجة شرعية ، وأنت طلقت غيابيا لغياب عنوانك، ولم ترسل لك وثيقة الإخبار بالطلاق، لقد هربت ومعك ابنك ولم يكن لك عنوان في دار الاختفاء يا أم بول .. اعرف قصتك في ريو دي جانيرو مع ابن زوجة أبيك بالتبني وأن والدك تزوج أرملة ثرية وطلق أمك قانونا ، وكانت زوجة أبيك متبنية لطفل من أيام زوجها الثري ، وكان بينك وبين الأخ بالتبني ما بين الأزواج وولدت بول ، وعرف السيد ذلك وأنكر أن يكون منه وهربت بابنك إلى جهة مجهولة.

قال بول : هذا لم تخبريني به يا أمي !

قالت السيدة سلام : بل أنت ابن نذير ، ولدتك أول سنوات الزواج ، وأنا على ذمته ، وما زلت دون طلاق قانوني .. لي أصدقاء كما له صديقات كما أن لك صديقات يا بول

قالت السيدة: ربما أرسلت وثيقة الطلاق إلى عنوانك في البرازيل ؛ لأن مكانك في كوبا كان مجهولا لنذير.. فهي عند والديك .. ولما غادر البرازيل كنت مختفية عن الجميع

قالت السيدة داليا: في القانون هذا ابنه .

قالت السيدة: نعم ، في القانون هذا صحيح ؛ ولكن الرجل لم يعترف به ، ومن اجل ذلك لم يوصي له، فتركها لي ، فهو لا يعترف بشريعة إسلامية، وهي مكتوبة أصلا في ألمانيا

قالت السيدة داليا : حق هذا الولد !

قالت السيدة: أنتم لا حق لكم عندي.. أنا ظللت أرملة حتى املك كل الثروة تنفيذا للوصية لماذا تأخرت في البحث عن حقك سيدة داليا ؟!

قالت السيدة داليا: أنا لما هربت اعتبرت أن نذيرا انتهى من حياتي ، ولما مات لم اكترث بموته لكن احد المحامين لما علم بأنني مسلمة وزوجي مسلم قال إني على النظام الإسلامي استحق جزءا من الثروة بحكم الميراث الإسلامي، وبول يستحق مالا من أبيه القانوني ، وإنكاره لأبوته لا ينفي أنه ولد وهو زوج لي .

قالت السيدة: هل سجل بول باسمه ؟

قالت السيدة داليا : لا ، صارت مشاكل عند ولادته ـ وكان شريكا لأبي وأسرتي ـ فوضع في ملجأ اللقطاء ، وقبل ابن زوجة أبي المتبنى بتسجيله باسمه ريثما تحل القضية ، وهربنا وتزوجنا في كوبا شكليا ، وسجل باسم أم مجهولة ، ثم صحح الوضع لما علمنا بموت نذير وتزوجنا رسميا ، وعاش بول في مدرسة داخلية .. وها هو تخرج من الجامعة ، وهو يعرف تفاصيل قصتي مع أخي الذي تزوجته وحمل بول اسمه قبل الهرب .. هو ابن بالتبني لزوجة أبي فصار أخ لي لما تزوج أبي أمه بعد طلاق أمي الحقيقية للزواج من الأرملة الغنية .

قال بول : حياتي مأساة! أنا في الحقيقة ولدت وهي على ذمة نذير ، وأنا لست في الحقيقة ابنه شرعيا أنا ابن عشيقها .. أمي عاهرة !

قالت السيدة داليا : حياتنا هكذا هناك يا سيدة سلوفانا ! لست فاجرة لما تزوجت نذيرا ، لم يكن احد يعلم ما بيني وبين جوني ، وتزوجت نذيرا ؛ لأن أبي أراد ذلك ، وكان نذير يريد تقوية العلاقة بأسرة أبي ، ولم ولدت بول استغرب نذير ، وتبين أنه يتعاطى ابر لمنع الحمل لعدم رغبته بذرية ، فوالدك الشرعي معروف لي ، وهو في القانون أخي ، وفي الحقيقة هو ابن متبنى؛ ليس من أمي ولا أبي إنه غير معروف بالنسبة لي وله ، هو ابن ملجأ لقطاء أو أيتام ، كان نذير لا يريد أن يولد له سواء بالزواج الصحيح أو الباطل ؛ لأنه يخشى أن تأتيه امرأة بمولود وتزعم أنه منه

وأخضعت لفحص دي ان ايه

قالت السيدة: لا حقوق لكم عندي .. أنا مستعد أن أتكلف السفر لكوبا

****

غادرت داليا وبول ، ورافق الحارس داليا وبول، فصعدت السيدة لمكتبها تتبعها ديانا ونورما وبعد توجيهات ذهبت السكرتيرة لمكتبها، وقالت لديانا : لماذا ظهرت هذه المرأة الآن ديانا؟!

فقالت ديانا : سألت نفسي هذا السؤال عندما ظهرت لأول مرة ، وبعد سنوات من موته ، وبعد سفرك للعلاج !

قالت السيدة: الأمر مقلق لي ، لو ظهرت لما شاع خبر موته لبدأ الأمر طبيعيا ، وصدقت أنها هربت منه خوفا على ابن عشيقها بعد اربع سنوات .. وهل حقا لم تصل إليها وثيقة الطلاق ؟ وهل حقا تزوجت رسميا بعد موت نذير ؟! كنت مع أبي عندما ذهبنا لشركة محاماة ليعلن طلاقه منها ، وكان الطلاق ، وتعهد المكتب البرازيلي بإرسال كتاب الطلاق للأسرة ، وطلب الاتصال به ليصبح الطلاق رسميا واذا لها اعتراض أو حقوق ، فلم يتصل بنا المكتب لليوم أما بول فلم يتكلم عنه.. وهل حقا لم يكن ابنه وأنه كان يتعاطى موانع الحمل ؟ معي كان يأخذ حُقنا واحيانا استعمل مبيدا لحيوان المني ، لم يرغب بالذرية معي.. هل تعاقدتم مع خادمة جيدة

فقالت ديانا : ما زال الإعلان ينشر في وكالات الاستخدام ، ومكتب المحامي مارسيل يتابع الإعلان وقابل بعضهن وعلى وشك التعاقد.

قالت السيدة: شكرا لكم ! ما صحة زوجك سليم آق محمد؟

فقالت ديانا : ذهبنا للمستشفى وجرى اللازم ، وقد نسافر لأنقرة أو استانبول للعلاج في وطننا افضل وبين أهلنا.

قالت السيدة: آه! أنا بحاجة إليك هذه الأيام.

فقالت ديانا : سأجتهد أن أكون معك .. ونورما ممتازة وتعاونت معها أثناء غيابك وغياب جومار فتستطيع القيام بالأعمال على خير ما يرام

فقالت ديانا : كنت افكر بتبديلها كما تحدثت مع الدكتور علي وبكر

فقالت ديانا : إنها متعاونة جدا ، وزوجها رجل ممتاز

قالت السيدة: الدكتور جواد

فقالت ديانا : نعم ، ويمر بوعكة صحية هو الآخر بسبب البرد القارس، ولما يتعافى سيمر عليك واشرف على علاج الطاهية شيذر وصحتها تتحسن ومشتاقة للعودة للمطبخ.

قالت السيدة: قدم لي بعض النصائح والفحوص قبل السفر لبازل لقد أتعبني الشراب والمخدرات تعلمت على ذلك من الصغر والحفلات الصاخبة .. الأصدقاء مشكلة أحيانا كثيرة الإنسان عدو نفسه

فقالت ديانا : مدربة الرياضة ستكون مساء اليوم في قاعة الرياضة، لقد عادت من دورة خاصة كما أخبرتني.

قالت السيدة: تحدثت معي وأعلمتني عن حجز أجهزة حديثة ومتطورة تحتاج لإدخالها القصر فرتبي معها ومع الشركات .. أحس بتعب من مقابلة هذه المرأة.. ابنها لا يتكلم كثيرا ؛ كأنه غير مقتنع بخطتها واحتيالها .. محتارة بسبب ظهورهم بعد اربع سنوات من الموت .. لا يسمح لي بالاطلاع على وثائق نذير الخاصة إلا بعد مرور السنوات الست.. أنا مسموح لي الاستفادة من أرباح شركاته هنا فقط ، وأما أموال ألمانيا والبرازيل فغير مخولة ببيعها والانتفاع بها لماذا ؟! لست ادري .. تحدثت قبل ذهابي لمركز العلاج مع محامين شركات نذير دون فائدة .. بعد الست يتغير الوضع.

فقالت ديانا : وما الذي يزعجك بمجيء هذه المرأة ؟!

قالت السيدة: ربما تكون أموال ظهرت للمحامين يسعون للاستيلاء عليها باسم هذه المرأة وابنها وبول .. لقد ذكرت أن احد المحامين اعلمها بأنها لم تطلق رسميا وقانونيا.

فقالت ديانا : القانون الألماني لا يسمح بالتعدد يا سيدتي ! والسجل المدني الذي يوثق العقود هل يقبل العقد وهو على ذمته امرأة؟

قالت السيدة بابتسامة لطيبة ديانا : التزوير والمال .. كان زواجنا بظروف غامضة وسريعة ، أتى الرجل من البرازيل لمشاركة الأسرة بمشاريع صناعية عملاقة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من صناعة الأسلحة والسفن الحربية وتسويقها ، ومن أول سنة اعجب بي ، ورغبني أبي وأمي بالزواج منه لما فشل بإقامة علاقة معي ـ فأبي يعرفه من استثماراته في الأرجنتين والبرازيل ـ وكنت طلقت وانفصلت عن زوجي .. كان جميلا ، كما أنني جميلة وهو يعشق النساء والجميلات، ولتقوية العلاقة مع أبي والأسرة قبلت زواجه بشرط أن يترك لي الكثير من المال واشترط أن لا أتدخل في علاقاته الإباحية فقبلت ، واعلمني بأنه لا يحب الأبناء فوافق ذلك هوى في نفسي ، لم اكن أظن أن الزواج سيعمر كل هذه السنين ، وأنا لا اعرف الحب والغرام أنا احب المال يا ديانا والحفلات والشراب وأتعاطى قليلا من المخدرات الحشيش.. أشياء جمعتنا وقبلته زوجا ، وكان يعاني من مشاكل في الكبد قبل ترك البرازيل، تكلم عن سبب لا اذكره الآن، وتحدث عن الزواج وأنه سيطلق اذا عقد عليّ ؛ ليسمح له بذلك ، فعلمت بعضا من قصة زوجته ، ولم اسمع بولده بول ..الخلاصة قبل بشروطي ومطالبي وأنا قبلت شروطه وحريته تجاه النساء وحريتي نحو الرجال فقبل ، واتفقنا على ألا يعاشر امرأة في بيتي وشقتي ثم القصر لما جئنا هنا ؛ فلذلك كما تعلمين له شقتان في المدينة لعشيقاته ، وله فيهما خدم.. وما زال علي وبكر ينفقون على الشقق ريثما تباعان بعد السنوات الست ؛ لذلك كان في الغالب يعاشر متزوجات حتى اذا حصل حمل لا ينسب له ؛ لأن بعض الغانيات تمارس البغاء وتسعى للحمل لإجبار العشيق بالزواج منها .. فاحترم مشاعري حتى كانت ليلة القط الأسود وتعرت عشيقته أمام المحتفلين ومارسا البغاء في قاعة .. نذير ضعيف أمام العشيقات فلما تعرت لم يكن إلا الاستسلام لها .. وأراد أن ينام في غرفتي فسقط مريضا بسبب أمراض الكبد ومنع من الاتصال بأنثى إلى حد كبير .. وكرر العمل في اليخت فمات قبل الوصول لميونخ للعلاج .. وترك لي حرية اتخاذ العشاق ، ولكن خارج القصر .. وانا امرأة مثلك زوجة ولا زوجة .. فكنت اتخذ العشاق خلال رحلاتي وحتى هنا.

فقالت ديانا : لم افهم! قالت السيدة: سوف تعلمين فيما بعد!

قالت السكرتيرة وهي تدخل مكتبها ، وكانت تلوح برسالة : هذه يا مدام ديانا رسالة للسيدة

تطلعت إليها وقالت ديانا : رسالة !لا تخلص الرسائل .

قالت السكرتيرة : هذه رسالة من شخص غير مرغوب به اسمه بسيل

تنهدت ديانا وقالت : أوه ! هذا الدكتور الولهان الذي عانق حذاء السيدة طمعا بموعد غرامي لا يمل من مطاردة السيدة .

قالت السكرتيرة : ماذا افعل بها ؟

فقالت ديانا : انتظري

اتصلت ـ السيدة ترقد في الفراش لمرض ألم بها ليلة امس ـ قالت السيدة: نعم ديانا الحمد لله.. أنا بخير قال الطبيب ألم خفيف يسبب الإرهاق.. السهر يتعبني كنا نسهر للفجر .. رسالة !

فقالت ديانا : رسالة من السيد بسيل .

قالت السيدة بسخط : لعنه الله ألا يريد الاختفاء من حياتي هذا الفاجر ؟ .. ضعيها على مكتبي

فقالت ديانا : حاضر سيدتي

أغلقت التلفون وقالت: اللعين ماذا يريد ليكتب ؟ ذكرني بريها التي تزوجت رجلا كبيرا وجعلها تلبس الحجاب.. فريدة لم اعد اعرف أخبارها هل ما زالت في فرنسا أم ماتت ؟

شغلت التلفاز على فضائيات الألمانية ونظرت للموبايل الصامت فرأت اتصالات من البرت " فهذا الشاب يزعم حبي ويطاردني بحجة إقامة المصانع يريد المال ، أمي السبب أرسلت لي طفلا" وقضت وقتا مع التلفاز ، وعصرا نزلت للغداء ثم دخلت مكتبها ترافقها ديانا

فقالت ديانا : أما كان من الأفضل أن نصعد بالمراسلات والبريد إلى حجرتك سيدتي فالضعف ما زال بين عليك.

قالت السيدة: لا يجب أن نستسلم للضعف يا ديانا ! لقد ألغيت الرياضة هذا المساء .. هذه الدنيا ألدينا زوار الليلة ؟

فقالت ديانا : هناك سيدة كبيرة تريد اللقاء بك، ويصحبها ابنها الطيار عزت فهو في زيارة

للمدينة .

قالت السيدة: لا بأس .. شاب ظريف ومعه زوجته.

فقالت ديانا : لم تذكر أمه ذلك

قالت السيدة: زيارة أم شيء آخر!

فقالت ديانا : لم تذكر شيئا آخر

قالت السيدة: متى؟

فقالت ديانا : العاشرة ليلا ، وهي زيارة قصيرة كما قالت السيدة

قالت السيدة: ربما رغب عزت بالسلام عليّ .. أين رسالة بسيل اللعين؟

بحثت عنها في المكتب فقالت ديانا : لا ادري أين وضعتها نورما فهي عادت للمجموعة لجلب تقارير اخبرها عنها الدكتور علي ، وعاودت البحث ، ثم اتصلت على الشركة وقالت بصوت مسموع : ليست على المكتب ،لا يمكن لاحد أن يدخل ؛ لعلك نسيت وضعها هنا حسنا المكتب مفتوح شكرا لك.

أغلقت التلفون فقالت ديانا : ربما تكون في مكتبها .

قالت السيدة: هذا بريد اليوم خطابات من البرت

فقالت ديانا : نعم

وضعتها أمام السيدة واستأذنت لإحضار رسالة بسيل ، قرأت رسائل البرت التي يطمع فيها بدعوة ومقابلة من اجل الشراكة في مصنع جديد، انتهت من القراءة ودخلت ديانا وناولتها الرسالة فقالت ديانا : اسمحي لي بالمغادرة زوجي اتصل.

قالت السيدة: شكرا وسلمي عليه وادعو له بالشفاء، وكلمني جومار وسيعود قريبا فقد ماتت زوجته ولحقت بابنها بسبب الحريق، لقد عانت حتى لفظت أنفاسها رحمها الله .

فقالت ديانا : رحمها الله حدثني أنها في وضع صعب كان الحادث مدمرا للبيت

قالت السيدة: عندما يأتي ستعودين للانصراف المبكر كما كنت

فقالت ديانا : نحن صديقات فوق الوظيفة

قالت السيدة: إلى اللقاء

غادرت المكتب والقصر ، وأخذت سلوفانا الرسالة وأغلقت المكتب وصعدت لحجرتها وهي ما زالت تشعر بالإرهاق وقالت : ماذا يريد عزت مني ؟ مجرد سلام

تمددت على الفراش فتحت رسالة بسيل المعطرة وقالت :هذا طبيب مراهق ما الذي يعجبه فيّ.

قرأت بعد التحية والسلام

خفق قلبي لك حتى عدت صبيا عاشقا لأجمل نساء العالم .. صورتك لا تكاد تفارقني.. لم اهوى امرأة كما هويتك.. طلقت من تعرفين لعلك تنظرين إليّ نظرة رضا وإحسان.. إنني أريدك وحدك .. سعيت للهروب من دقات القلب الملهوف بمزيد من الشراب والفجور؛ لكن دون فائدة.. غرقت في القمار لأنساك .. كلما اسمع اسمك وسيرتك وارى رسمك يطيش القلب هياما وغراما

يا سيدتي ما دمت بغير زوج فاجعلي العبد الذليل عبدا لك وزوجا لك اشفقي على هذا الولهان ألا تعرفين الحب؟ أنا لا اجد فتاة في الدنيا لا تعرف الحب.. ألم تخلقن للحب والهوى؟ .. أتاني هواها قبل أن اعرف الهوى يا حبيبتي!

أنا اعلم أنك لم تحبي نذيرا يوما ما ؛ وإنما كنتم زوجين فقط مجرد صفقة.. أما أنا فلك محب أريدك حبيبة .. عاشق يراك كل حين ولو لم تتزوجيني .. وقد أكون الزوج الوفي أنا لك وحدك يا سيدتي الملكة! آه على الحب !

رفضت السيدة الرد على أي اتصال ببسيل وأي رد على رسالة ، وذات نهار كانت تغادر المجموعة من الباب الخلفي والسري ، وكان جودت في انتظارها ، وقبل أن تركب السيارة ظهر بسيل أمامها فقالت بغضب: ماذا تريد أيها المراهق ؟!

بتوسل رد : لقاء قصير مع السيدة في أي مكان .

قالت السيدة: لا وقت لديّ أنت وقتك للحب والغرام .

ـ حياتي في خطر

ضحكت وقالت السيدة: حياتك في خطر !وماذا افعل ليزول الخطر؟

قال: اشفقي عليّ أنا مصاب بسرطان

قالت السيدة: سرطان !

قال: نعم ، أنا أعاني منه من شهور وقد أعالج بالعلاج الكيميائي

قالت السيدة: ما دمت تعاني فلماذا تطاردني كالأطفال؟

قال: أحببتك صدقا .. وقعت في حبك.. اشفقي على رجل يموت

قالت السيدة: ولماذا اشفق ؟ لقد صدمني الخبر دون شك

قال: حبيني وتزوجيني

قالت السيدة: وأترمل بعد شهور.. هذا تفكير صبي.

قال: اسعد ما تبقى من العمر

قالت السيدة: واشقى لو تزوجت يا ملعون ! سأفقد كل الثروة .. هكذا وصية نذير، فالزواج من شروط تنفيذ الوصية ؛ لعلك تهدأ .. قد اسمح لك بالزيارة للقصر والسمر معي من باب الشفقة والعطف

قال: قد اشفى

قالت السيدة: السرطان سرطان ستصل لنهاية .. زواج ممنوع .. من يعالجك ؟

قال: الدكتور رياض أمسياني

قالت السيدة: طبيب أورام

قال: نعم، اذكر لك عنوانه والمستشفى لعلكي تطمئنين على صدقي

قالت السيدة: أتحتاج إلى مساعدة مالية؟

قال: لا

ودعته وركبت السيارة وقالت لجودت: لنذهب للمستشفى والدكتور الذي سماه.

قال السائق : حاضر

زارت المستشفى والتقت بطبيه رياض وحدثها عن مرضة بسرطان القالون ، فتبرعت بألف دولار على اسمه ، وعادت للقصر تفكر به وبعشقه لها ، همست : الكل يمرض أما زواج فلا .. حب أي حب هذا ؟! .. زواجي سيكون بعد ست سنين لما امتلك المال! لماذا وضعت هذه السنين الستة؟ لماذا أرملة لست سنين؟ يريدني أن أصير عشيقة للرجال واغرق في مستنقع الإباحية ؛ لكني صبرت قليلا.. والزوج العشيق ينتظر بفارغ الصبر .. هو الوحيد الذي احبه قلبي الحب الحقيقي .. ستكون صدمة لكل من عرف سلوفانا .. وهو والد ابني .. عمره الآن عشر سنوات .. كان راغبا بالمجيء معي ؛ ليعرف أباه ويراه ، حملت به خفية وولدته سرا عنه كان يجب أن أصير أما .. لا صلة لنذير به.. ابني وحدي .. الرجل لا يحب الذرية أنا احبها قريبا سأحمل بالثاني والثالث .. جاءت داليا تبحث عن حق موهوم ، اضطررت للهرب إلى سويسرا حتى ولدته وأخفيته .. هل علم نذير شيئا عنه ؟ هل كشف أمره؟ هل شعر بحملي ؟ كدت أفاتحه .. يتعاطى موانع الحمل كما تفعل النساء.. لكن الحبيب قال فحص الجينات والحمض النووي يفضح السر .. فلنصبر حتى يموت .. وها قد مات .. سعينا إلى موته فمات ساعدني الدكتور بالسم البطيء وزاد مرض الكبد حتى اضطر السفر لألمانيا ، ثم عاد معافى فعدنا لنفس اللعبة وعولج في برلين وعاد ، فكان لا يجب أن يصل لألمانيا حتى لا يكشف التسمم.. الدكتور هل يقبل بالمال ويقبل لي بالزواج من حبيبي والد مايكل ؟ صبرت صبرت يا جسم !

عودة جومار

بينما سلوفانا في قلق ومطاردات زواج وحب رجع جومار وباشر العمل فور عودته واستمع لديانا قبل منحها إجازة ، واستمع لنورما وكان قبل سماع ديانا ونورما قد خلا بسلوفانا واطمأن عليها ، وعزاه الموظفون بوفاة زوجته وابنه الصغير من الحريق ، وبرر طول غيابه بمعرفته بسبب سفر سلوفانا للعلاج من الإدمان الكحولي ، وتحدث عن الحريق في شقته ، وكيف نجا منه ، وماتت زوجته وابنه الوحيد وكيف قفز من النافذة ونجا ؟ وتحدث عن زواج جديد ثم صرف النظر ؛ لأن فكر بالعودة للمدينة زريق ، وأقامت سلوفانا حفلة صغيرة بمناسبة عودته ونجاته من الحريق ، وابدى السيد امتنانه للسيدة حتى أن طبيبها امتعض من الحفاوة التي أظهرتها السيدة لمدير القصر ، ولما سمع بقصة المرأة الكوبية وبول .

قالت :لا ادري لماذا ظهرت سيد جومار؟!

فقال : أمر محير ! نذير هلك من سنوات .. ومن هو المحامي الذي شجعها للمطالبة بحقها ؟ وهل لم تصلها وثيقة طلاقها فعلا أم تظاهرت طمعا بالمال ؟

قالت : مكتب ميونخ اكد إرسال الوثيقة للبرازيل لوالد داليا .. فقد تحدث محامي السيدة مع المكتب واكد إرسال الرسالة وطلب فيها إخبار الزوجة بأي حقوق تطلبها فلم يأت رد ، ولم تأت مطالب ، واكد مكتب السجل المدني للزواج لا يمكن إنشاء عقد دون وقوع الطلاق.. فالطلاق صحيح ما دامت الزوجة لم ترد أو تحضر لتعترض .. فهذا يعني أنها موافقة على الطلاق وشركة والدها استلمت الرسالة .

فقال : هل فعلا لم تتطلع على الوثيقة؟

قالت : ربما لأنها كانت عند زواجنا مختفية في هافانا ، وهو لا يعلم بمكانها كما اعلمني .. كانت علاقته بوالدها شراكة قوية في بعض المشاريع فلم يهتم كثيرا بمكان اختفائها .. السجل الألماني ينتظر شهرا قبل إيقاع الزواج بيني وبين نذير .. وهذا ما حصل .. نحن تزوجنا منذ إعلان العقد

قال: مكتب عقد الزواج أكد الطلاق

قالت : نعم ، لماذا جازفت وتكلفت الأموال أو قامرت بمعنى اصح؟ هل هناك أموال لم تكتب لي يا جومار؟

قال: حسب المعلومات القانونية أن الرجل كتبها كلها باسمك سوى بعض الوصايا إلا أمواله في البرازيل ستكون لمؤسسات خيرية ورياضية هناك ، وترك أمواله هنا لأبويه وأسرته تقسم حسب الشريعة .. أموال ألمانيا كلها ستكون لك كما علمنا .. الأموال النقدية في البنوك تقسم بعد السنوات الست .. الأرباح بعد موته كلها لك للإنفاق .. لكن هذه الأملاك لا تكتب وتسجل باسمك إلا بعد ست سنوات ودون زواج رسمي .. واذا تزوجت قانونيا كلها تصبح لمؤسسات خيرية في ألمانيا والبرازيل وتشيلي وهنا ويتحول هذا القصر إلى مؤسسة خيرية

قالت :أنت لا تعرف لماذا جاءت ؟ لم يحدثك نذير عنها.

قال: رغم ثقته الكبيرة بي فلم يحدثني عن أشياء كثيرة ، لما أعلمتني ديانا بالأمر قلت لها احتيال فقط ؛ ولكنك أكدت لي أنك تعرفين أن له امرأة في البرازيل أبوها مهاجر للاستثمار وشريك له في أمريكا اللاتينية.. فلا معلومات عنها .. والمحير لماذا تأخرت في الظهور ؟! فوالدها يعلم بموته من أول أيام الموت حتى بول هذا لم اسمع بي سيدتي!

قالت :لم يكتب له شيئا ؛ لأنه متأكد أن لا ذرية له .

قال: كان يرفض الإنجاب قال لا اقبل أن يكون لي ولد غير شرعي ..هل سعى معك؟

قالت :لا ، قال يا سلوفانا أنا لا أثق بامرأة أن لا تسلم نفسها لغيري ؛ فاذا ولدت ستعملين لي جنونا ابني ليس ابني ، وحتى لا تخدعني إحداهن بأنها حملت مني فأنا استعمل المانع فلن تفكر واحدة بخداعي .. كانت لديه عقدة حتى أنه مرة قال : هل أنا ابن أبي بيولوجيا ؟ لست ادري قلت اعمل دي ان ايه فرفض ، وقال ليبقى امل صغير أنني ابنه ، وهؤلاء إخوتي .. أمي ليست ملاكا وأبي كذلك .

حان الآن أن نكشف لك أسرار سلوفانا بنت أوروبا وحضارة أوروبا المعاصرة حتى لا يقع في نفسك أنها لا تعرف العبث والجنس ، وهي ابنة الحرية الجنسية والإباحية العالمية وابنة المجتمع

الغربي الذي لا يرى في العلاقات خارج بيت الزواج من الزنا ما دامت برضا الطرفين ولا عقوبة على ذلك ، ويمكن للأنثى عندهم ممارسة الزنا في بيت الزوجية وبحضور الزوج ، تزوجت السيدة نذيرا بشروط ومواصفات اتفقا عليها ، ولما سجلوا الزواج قانونيا سلمت جسدها له ، وبدأ بإنشاء القصر في المدينة ؛ ليستقر فيها ويتابع أعماله ومصانعه بنفسه ، ولما كمل البناء رحلوا إليه ، وامتلك منزلين لعلاقاته الجنسية خارج القصر ، وكان جومار يشرف على خدمته وإدارة القصر نظافة ورواتب والتوظيف والإشراف على الحفلات والسهرات والتموين والصيانة وكل المهمات الخاصة بالقصر ، وكبرت مجموعة نذير التجارية والمصانع التي أقامها واشرف على رعايتها ، وسمح لها باتخاذ العشاق منذ وصل البلاد ، لأنه ملّها بسرعة بشرط ألا تحمل من احدهم ، فسكتت فكانت تنام في جناح وهو في جناح ؛ وربما يتغشاها بين فترة وأخرى ، وكان يجب أن يعلم الرجال الذين تتصل بهم منها أو من الخدم ، كانت مغرمة بالخمر كثيرا والمخدرات بدرجة أقل ، وكان يوفرها لها من البرازيل ، يقول لنفسه مبررا " امرأة تشتهي الرجال كما هو يشتهينهن ، هو ملّها قبل الرحيل ، وهي كبنات أوروبا من بلوغها تمارس الجنس بشكل متقطع ، يتزوجن في سن متأخرة، ويلدن طفلا أو اثنين ، واذا عجزن عن الإنجاب تتبنى إحداهن لقيطا أو اكثر من ملاجئ الأيتام من البلد أو من بلدان أخرى؛ وتسمى العلاقان الجنس العابر ، لم تتخذ رجلا دائما.. ليلة ليلتان في سياحة

لما استقرت في القصر اشتغلت الحفلات والاجتماعيات امرأة مليونير ، استغلت جومار الرجل الدائم في القصر ، وصديق نذير من قبل عمله في القصر ، نذير مع عشيقاته وهي معه ، والرجل أمام رغبتها استسلم لها ، واستطاع إخفاء العلاقة معها عن نذير ؛ لأنها سمحت للطبيب لوقان أن يقيم معها علاقة بين حين وحين قبل تعلقها به ، أحس بها نذير وسعى لإبعاده عنها، ليس غيرة ؛ بل بغضا ، فكان جومار رجل الظل ، والطبيب قلل من اللقاء بها

أحس أن كل خدم القصر وجومار عيونا عليه ،واستمر جومار العشيق الأول والمقدم .

وظهرت السيدة شريفة أمام نذير وشلته ، وأنها تكره المعاشرة والرجال ، وغير مستهترة ، ولم

تقبل أي علاقة معهم رغم جدهم وسعيهم كما يفعل مع زوجاتهم ، وفجأة حملت من جومار برغبة منها حنت للأمومة ورفضت الإجهاض رغم توسلات جومار خشية أن يقتله نذير ، وفي الوقت نفسه لا تريد خسارة ثروة نذير ، ففكرت بكشف الحمل له ، فذكرها جومار أن الرجل لا ينجب ، فشجعها للسفر إلى ألمانيا ، وتضع مولوهما دون علم احد من الأهل والأصدقاء عليها إخفاء المولود في بيوت الأمهات اللواتي لا يعرفن آباء ابناهن لإقامتهن علاقات دون زواج قانوني .

كانت أمام عشيقها جومار ؛ كأنها قحبة متهورة في غرامه ، ومثلت دور الزوجة الوفية المخلصة التي لا تحب الجنس ، وكان هذا يرضي غرور نذير نفسيا ؛ ولكن عقله لا يصدق أنها بدون ذكر ولم يهتم بذلك كثيرا ، سفرياتها كثيرة ، سافرت ألمانيا بحجة السياحة والأهل والملابس والمكياج ووضعت الطفل في سويسرا وعند أسرة مقابل المال ، وباسمها هي سجل دون أب رسميا ، وعند الأسرة باسم المرأة الحاضنة ، ورجعت للبلد رشيقة بثياب أوروبية وموضة جديدة ، نذير ركز شكه بالطبيب منذ وطأت أقدامهم زريق ، كان شكه كبيرا في الطبيب طبيبها الخاص ، لم يتوقع أن تسلم نفسها لخادم أو رئيس خدم هندي وصديق له ، وهذا الميزات شجعتها على إغوائه والسيطرة عليه ، كان نذير يدرك أنها تزني ، لم ير سفرياتها بريئة ، وكان الطبيب تحت عيني نذير في كل سفر ، ودائما يثبت بعده ولا يسافر أثناء سفرها ، قبل أن يفتنه حسنها كان لها أصدقاء ، وكلهم حدثه قضاء بعض الوقت معها ، خاصة لما تثمل بالشراب تكون مستسلمة لهم ؛ لكتها حينئذ كانت تستيقظ في آخر لحظة وترفض سحب معجب لحجرتها .

لاحظ نذير زيادة مشاكله الصحية بعد زمن ، تتحسن ويعود الوجع والصداع والغثيان ؛ لكن لا علاقة لسلوفانا أو الطبيب بالمطبخ ، هما بعيدان عن الطهي والخدمة ، كيف يتعرض لمواد سمية ؟ تعالج في ألمانيا ، وأخبروه أنه يدخل بدنه وكبده مواد سامة اكثر من الطبيعي ، مات ضيف لديهم في احدى السهرات ونسب موته للمخدرات ، كان نذير مدركا أن احدهم يسعى لتدميره ، ولم يعرف كيف يدس له السم ونوعه ؟

جاء الخبر للسيدة أن ابنها ابن السنوات العشر اختفى من الشقة ، كانت كل زيارة لألمانيا تزوره وتعيش معه يوما أو ساعات عند تلك الأسرة التي تكلفت رعايته على أنه ابن لها مقابل مبلغا من المال ترسله سلوفانا ، ولما دخل المدرسة الخاصة تملكت شقة في برن وتعاقدت مع خادمة ومربية له ، وزعمت لهن أن والده مجهول ، وهذا امر طبيعي في تلك البلاد، وحتى بعض بلاد العرب ، وكانت كما قلت استأجرت مربية وخادمة له في شقة في عمارة كبيرة، فقد ماتت حاضنته روبيكا وكانت دائمة الاتصال بالمربية والخادمة وبه، فهي أرملة في نظر الناس ، وخشيت من كشف أمره أن تحرم من أموال نذير ولم يبق على السنين الست إلا القليل ، ثم سجلته في مدرسة داخلية تحت إشراف محامي سويسري ، وبقيت الخادمة والمربية في الشقة التي اشترتها في سويسرا لقضاء العطل والمناسبات معه.

اتصلت الخادمة على الرقم الخاص وأخبرتها أن المدرسة أخبرتها باختفاء مايكل والبوليس المحلي والمحامي يتابع الحكاية ، وكانت السيدة قد أعلمته بأنها ولدته ، ولم تعرف أباه ؛ ولكنها تعرف أنه ابنها . فقالت لجومار : امر خطير حدث أين ذهب ؟ ومن خطفه ؟!

قال: عليك بالسفر ومعرفة التفاصيل .. فهو ابني كما هو ابنك ؛ ليس لي إلا هو بعد موت ابني في الحريق .

انتشر خبر في القصر أن السيدة ستسافر لإجراء فحصوات في مركز معالجة الإدمان ، وقام جودت والطبيب بإيصالها للمطار للسفر إلى ألمانيا ثم سويسرا.



ظهر أمامك الكثير من الحقائق الخطيرة ، ساهمت الزوجة في مضاعفة مرض زوجها لأسباب نفسية من كره وحسد ، وبوضعها ولدا من قيم القصر وأن العشيق الطبيب قلّت علاقتها المحرمة به بعد اتصالها بجومار ، ولم تقدم نفسها لأصدقاء نذير بتبادل الزوجات ، فبدت نظيفة ثقيلة ، ولم تهتم بمغامرات نذير النسائية وظهرت غير مبالية، ولتزيد الطمأنينة في قلبه

استخدمت خادمة فرنسية لغرفة نومها ، وقابل نذير تظاهرها بالإخلاص والوفاء له بالقبول ، وأنه صدق أنها له وحده ، واحتار بمن ويسعى لقتله ، وكيف لم يشك في علاقاتها العابرة ؟ فهو لا يستطيع مراقبتها في كل حين ، أما العشيق فكان مرفوضا منه حقدا شخصيا ، وفي مالطة تم الخلاص منه على اثر اشتداد المرض ليلة عودته من اليخت ، وعادت وعشيقها المهجور بتابوت نذير ، وكان يأمل ويمني النفس أن يكون الزوج بعد السنوات الست ، ولم يعلم بفجورها بجومار والابن الذي ولدته منه ؛ لأنها سنة الحمل أكثرت من السفر كل شهر بحجج كثيرة .

سافرت إلى ألمانيا كما تفعل دائما ، ثم برن سويسرا ، وقابلت الخادمة والمربية وأتاها المحامي الخاص برانس جالوري الذي قال: اتصلت بي المدرسة وأخبرتني أن مايكل خرج مع الطلاب لحضور حفل موسيقي استمر مائة وخمسين دقيقة ، ولم صعدوا للحافلات المدرسية لم يظهر مع المجموعة، فظنوا أنه ذهب لدورة المياه ، وقال زميل له لمرافق التلاميذ رآه يتحدث مع رجل همسا فترك مقعده وتبعه ، وكان الرجل يرتدي ثياب خدم الصالة الموسيقية ،وسمعه الزميل الشاب يقول: أمي أين هي ؟ ففهمت أن أمه جاءت لتراه ، كيف خرج من المسرح بدون إخطار المرشد لا احد يعرف وحراس الأبواب ظنوه سائرا للمراحيض أو الكافتيريا ويفعل ذلك الكثير من الطلاب والطالبات ، لا يذكر احد كيف فارق الأبواب الخارجية للمسرح ؟ لم ينتبه له احد ، فالحفلة حضرتها أكثر من مدرسة ، لم تكن حفلة خاصة بمدرسة واحدة ، فالزوار كثر ولم يستغيث الشاب أو يصرخ ، خرج بإرادته ، حققت الشرطة بطريقة خروجه واتصلوا ببيتك وأنكرت المربية والخادمة عودته ، وأنه عادة يعود آخر الأسبوع اذا لم يرغب بقضاء العطلة في المدرسة ، وتابع برانس جالوري: ولكن في تصور البوليس أنه خطف بزعم أن أمه جاءت لزيارته فصدق ، وتبع الموظف المتنكر بزي موظفي المسرح ، وخرج إلى الشارع إلى سيارة ظن أن فيها أمه أو سيأخذونه لأمه واختفى ، ولم يتصل احد يطلب الفدية ، فالأمر خطير لدى البوليس ، ويخشون على حياته، لماذا يخطف ؟ لماذا يختفي؟ ألديك تفسير ؟ طلبت الشرطة ممن كان قرب المسرح والقاعة تلك الساعة أن يتصل بها إذا لمح شيئا لفت نظره .. وهذا يحتاج لوقت

ليتذكر الشاهد ما حدث.. لم يكن هناك صراخ شجار ليلفت الناس.

كانت تسمع وتبكي وتقول لنفسها : من فعلها؟ ولماذا يخطف ابنها ؟ الخطف يكون لطلب المال أو الابتزاز أو الانتقام من يريد أن ينتقم منها أو يبتزها ؟ لا احد يعلم أن لديها ولدا إلا جومار فهل يخطف ابنه ؟! هو لا يعرف مكانه.. وإنه هنا .. ولم يره حيا.. هو يعلم أنه في أوروبا .. أوروبا قارة.. الدكتور أعلمته بحبي لجومار قبل وقت قصير ؛ ليكف عن الطمع بالزواج مني كما كثر كلامه بعد عودتي وأعلمته أنه أبوه وحبيبي وعشيقي وتحمل الصدمة .. ولماذا يخطفه ؟! هل للخادمة أو المربية يد في الجريمة ؟ ولكنهما لا تعرفان أباه .. أشاعت أنه نتيجة وثمرة مغامرة خاطئة .. لا تعرف ابن من ممن نامت معهم ؟هل لداليا وبول يد ؟ وكيف عرفا السر الخفي ؟ يكاد رأسي أن ينفجر لماذا جاءت تطلب حقها ؟ أتريد حقها بالخطف والابتزاز ؟ من الخائن ؟ جومار كيف عرف مكانه ؟ هو الذي يعرف أنه ابن سلوفانا .. وفي الأوراق المزيفة أنه ابن أنجيلا كارلس امرأة ألمانية فجرت ولم تعرف أباه ، ولدته على جواز سفرها المزيف أو المبتاع لإخفاء شخصيتها الحقيقية في السفر والرحلات ، ولماذا الخطف لما اقترب زواجي من أبيه والعيش في الهند وفي بومباي ؟ شخص يرغبه برؤية أمه فيترك المسرح إنه ملهوف لرؤية أمه .. الحياة أجبرتني أن أكون بعيدا عنك يا مايكل .. تبع الرجل دون تردد كما قال زميله.

فكرت كثيرا في حياتها وأسرار حياتها ، وذكرت أيام العلاج في سويسرا ؛ حيث كانت تتحدث معه كثيرا ، وغادرت المركز عدة مرات للعشاء والغداء معه ، واحتفلت معه بالعلاج من الكحول.. لقد غامرت كثيرا بالظهور معه في المطاعم والملاهي ..هل كان احد يراقبني وكشف سري؟ لماذا خطف إن لم يكن احدهم يريد مالا ؟ لماذا اختفت الخادمة الآن؟ خرجت ولم تعد لها أيام .. أين ذهبت اللعينة ؟ هل لها يد في خطفه ؟ لم تظهر جثته لو كان مقتولا المحامي برانس جالوري يتابع القضية ساعة بساعة ، قضت شهرا في أوروبا ثم عادت للقصر عادت بخيبة وحيرة للقصر ، واستقبلها أهل القصر بفرح ، وبدا ظاهرا عليها الحزن وظنوا أن العلاج لم يحقق الغاية ، واختلت بالعشيق الدائم ، ووالد الطفل ، وسألها عن التفاصيل فقصت

ما عرفته من المحامي والخادمة قبل هربها أو اختفائها ، وظل صامتا وكانا يجلسان في مكتب سلوفانا . قالت : تكلم ما بك؟

قال: هل قتل؟!

قالت : لم تظهر جثة.

قال: ومن خطفه ؟

قالت : لا احد يدري ، لو كان نذير حيا ؛ لقلت أنه فعلها وينتقم مني ومنك .. السيد مات ودفن هنا جئنا بتابوته هنا .. أنا لم اكشف السر لأحد وأنت؟

قال: لم افعل .. حملنا التابوت ولم نر من فيه .

قالت صارخة : ويحك أهو حي ؟!

تنهد وقال: الآن أشك بموته !

قالت : وكيف عرف بأمرنا وبوجود طفل لنا ؟ لما مات كان ابن ست سنوات يا جومار ليعرف بولادته .

قال: نذير ذكي وماكر وخبيث يا سلوفانا!

قالت : اعرف ؛ ولكنه ميت أسلط علينا أحدا أو عصابة ؟ هل لداليا وبول دور؟

قال: ظهورهم مثير للدهشة تركناه في المستشفى في النزع الأخير

قالت : هل لشقيقه سمير عيون علينا ؟ مأساة! هل تراه كان يعلم ما بيني وبينك؟

قال: كنت في حيرة !.. هل خفي عليه حملك ؛ كما خفي على الدكتور واهل القصر أم غفلنا عن العيون ؟

قالت : هل نترك ونخسر المعركة ؟

قال: معركة ! لماذا خطف؟ الخادمة يبدو أنها تلعب دورا .. أنا لا استطيع التحرك الآن.. أنا مجرد عشيق لسيدة القصر .. ولا احد يعرف بحبنا السري .. عليك الحياة في سويسرا لكشف اللغز .. إذا كنا نريد حياته لابد من البحث .

قالت : أنا مصدومة اكثر منك .. الأمر شديد الغموض ، قال زميل له إن احدهم همس له بكلام فهتف أمي وترك السماع وخرج لم ينتبه لخروجه احد ولم يصرخ ليلفت الأنظار كانت خطة مرسومة بعلم ومعرفة وقصد والمكان مزدحم بالتلاميذ

قال: القرائن تدل على ذلك

قالت : كيف عرف الخاطف أنه ابن سلوفانا ويعيش في تلك المدينة ؟!

قال: فعل ذلك ناس يعرفون كل السر.. كلفي مكتب تحري.

قالت : سيكشف سرنا وينشر في الصحف ، فكر المحامي بذلك فرفضت الاقتراح.. لما خرج مايكل نحو السيارة كما يقول البوليس مشى وحده ؛ لأنه لم يشاهد يمشي برفقة احد كان وحيدا ولم يتقدم احد للشهادة برؤيته مع رجل أو امرأة.. لم تكن الصورة تبين أن هناك خطفا الصحف نشرت الخطف وخاطبت القراء بالتقدم للشهادة .. والإذاعة والتلفاز الرسمي نشرت صوره .. جريمة محكمة ومدبرة.

قال: هذا واضح بين .. نذير هل نذير حي ؟! لا مصلحة لاحد في الانتقام إلا هو.. يكاد رأسي ينفجر .. لو عرف بحبنا وأني خنته لما يموت كل هذه السنوات ؟ داليا خانته وهربت بابنها خشية منه على حياتها وحياة بول ..لم ينتقم منها يا سلوفانا!

تنهدت بألم وقالت : أنا لما حملت منك اشتقت لطفل من جسمي ودمي ..أحببتك بحق يا جومار لو كانت قضية متعة كان الطبيب كما تعلم قبلك ، وعلم مؤخرا بعلاقة بيني وبينك بسبب وجودك الدائم في القصر .. وكثرة غياب السيد مع مومساته.. أردت الولد وأنت وافقت، نذير يرفض بشدة الذرية .. رتبنا الأمر جيدا وولدت دون علم احد .. وعاش لهذا اليوم يعلم أنني أمه ولا يدري من أبوه ؟ وأنت نعم الحبيب مع أن الطبيب كان يتوقع أن أتزوجه فقد ساعد في القضاء على نذير بطبه ، قال لا يجب أن يصل الرجل حيا لألمانيا ، ونذير ساعدنا بالقضاء عليه شارك رفاقا برحلة يخت ومرض خلالها ونقل للمستشفى ومات وأعطانا المستشفى تقرير الوفاة وشهادة الوفاة .. هل كشف الأمر لاحد لينتقموا منا ؟كان الوصية غريبة يا سيدي!

قال: فعلا دهشت منها !

قالت : قال لي مرات المرأة الأمينة العفيفة في مجتمعنا نحن لا توجد ، اعجب من عدم استسلامك لكل هؤلاء الأصدقاء وتعشقين ذاك الطبيب ، بررت وقلت هو طبيب من الجالية سأبقى شريفة حتى تموت ، فقال : ما زلت شابا وأعاشر عشرات النساء ،كان مفتونا بالنساء

قال: مرة قال لي لم تحضر زوجتك كسائر الخدم يا جومار كيف تصبر عنهن؟

قالت : ماذا قلت ؟!

قال: تظاهرت بالصبر وأقضي رغبتي بالإجازة.

قالت : أتراه صدقك؟! اعتقد أنه ظن أنك تقضي شهوتك مع زوجات الخدم .. لم يهتم بمشاعري هو جاء من البرازيل لمساعدة أبي والأسرة فاشتهاني وفشل بتحقيق مآربه إلا بالزواج وملّني بسرعة قبل الرحيل لبلده هذا .. وهذا متوقع .. كنت كأي فتاة أوروبية اذهب هنا وهناك وهو يسمح لي بذلك لتحقيق شهوتي كما يقول ، وسعى لتقديم رفاقه لي كما فعل بنسائهم إلا امرأة بسيل.. قبلت صداقة الطبيب كعشيق .. وكنت أخشاك لقربك منه حتى استسلمت لرغبتي فحملت منك ؛ لتبقى عشيقي وأحقق الأمومة وتلبي لي رغبتي في كل وقت احب فيه ممارسة الحب ؛ كما نسميه في أوروبا .. وكنت نعم الصديق ؛ ولكنك كنت تخشاه بشدة ، فكرت بالطلاق والهرب معك لبومباي ؛ كما فعلت زوجته البرازيلية لكنك تخشى قتلك .. فالرجل لا يقبل الهزيمة ومع الحمل أصبحت اشجع قليلا ، وتنام معي بدون توتر وخوف.

قال: الخيانة الموت! كنت في أول الأمر خائفا وخشيت أن تكشفيني للسيد كما فعلت بالطبيب واطرد ومع الوقت ادركت تعلقك بي تعلقا حقيقيا ولست مجرد زبون عابر وتخلصت من التركي وأنا فعلا احب وأتمنى أن اقضي ما بقي لي من العمر بين يديك وفي قلبك.

قالت : وأنا كذلك يا جومار وأنا سعيدة بحبك لي وهواك لي وسينتصر حبنا حتى ولو كان نذير حيا .. وكما قلت بدأت معك لقضاء الرغبة والوحدة ، ولما رغبت بالأمومة تعمق حبي لك ولتكن أب ابني.

رتبت السيدة العودة لسويسرا واعتذرت لعلي بعجزها عن البقاء وقالت : عندما يسمح لي بالتصرف بأموال زوجي سأترك حصتي واسهمي لكم تستثمرونها ، وأعود لألمانيا فيبدو وضعي متعبا وأموري صعبة ، وهذه الحفلات أتعبتني نفسيا وبدنيا ، والذي يربطني بكم قد مات ، وسننهي خدم وموظفي القصر ، وأجل الحديث في ذلك لما تنفذ الوصية .



وانتشرت الشائعات حول صحة وحياة سلوفانا حتى أن ديانا سألت جومار فقال مجيبا: قد تنهي أعمالها الاستشارية هنا ، وتعود لوطنها فصحتها لم تعد كالأول ؛ ربما تمكث أسابيع قبل العودة للقصر والذي يؤخر إغلاق القصر وصية زوجها الغريبة .. الخمر والمخدرات انهكت أجهزتها يا ديانا ؛ لنستمر في عملنا حتى يقضي الله أمرا.. الذي يفرط في حفظ بدنه سيدفع الثمن كلما كبر سنه.

قالت : الأمر كهذا فحسب...

قال: نعم؛ أدعو لها بالعافية والتخلص من السموم.

قالت بحزن : تعلقت بها أثناء الجامعة ، ووفقني الله وابتعدت عنها سريعا ، اكتفيت بالدخان وقليل من الخمر

قال: كلنا في فترة الشباب عشقنا الحشيش وغيره ، الأخطر الهيروين والمورفين والكوكائين

قالت : هل يطلب مني العمل في الليل ؟

قال: لا ، ما دمت موجودا فعملك كالمعتاد إلا اذا امرتني السيدة بالسفر لمساعدتها هناك

قالت : كان عندنا حفلة موسيقية !

قال: عملت على إلغائها قبل سفرها.

تركته لمكتبها وجاءت السكرتيرة نورما فقال: أُفضل أن تعودي للعمل في الشركة ، قد تطول غيبة السيدة اذا تقرر معاودة العلاج .

قالت : كانت ظاهرة الإرهاق والقلق والبكاء الأيام الأخيرة!

قال: العلاج مزعج عندما تعود تعودين ؛لأني أنا لا علاقة لي بالمجموعة ؛ وربما الحق بها

قالت نورما : تحدثت مع الدكتور علي حول ذلك فترك لي الحرية في البقاء هنا.

قال: نحن لسنا بحاجة لك .. من سيطلع على التقارير ويناقشك .. السيدة مالكة الشركات خارج البلاد .. فاحفظي موقعك هناك .. السيدة بعد السنوات الست ستصفي أعمالها وتغادر نهائيا لوطنها.. فتفقدين عملك في الشركة .. وبعد شهور سنبدأ بصرف الخدم ويقدم القصر لمؤسسات خيرية كما يريد السيد نذير .. وأنا شخصيا لا يضيرني نورما بقاؤك هنا .. أنا لولا طول فترة العلاج لرافقتها ، فهي وحدها لا يهتم احد من أهلها بها ، فهي بحاجة لنا.

وصلت السيدة لشقتها الخاصة في برن ووجدت المربية والخادمة في انتظارها ،واتصلت برانس جالوري المحامي ، فلما حضر قال : أنا أتابع تحريات البوليس أولا بأول ، وسُقت المربية ومرات الخادمة لمشاهدة عشرات الجثث لم تكن جثته بينهن .

قالت بأمل : مايكل حي !

قال: لحد الآن.

قالت : أنا أمه مستغربة لحادثة خطفه ولماذا ؟!

قال برانس جالوري: لما مكثت فترة العلاج هنا ألا تذكرين حادثة خاصة شخصا في المصحة ؟

قالت بتفكر : لا اذكر حادثا معينا ، لما كان يتاح لي الخروج أجيء لهنا.. نذهب للسينما للمطاعم النزهات الحدائق .. وأنا لا افتح صدري لاحد ، لم استشعر الخطر ، لا احد يعرف أني مليونيرة إلا الأقارب والأصدقاء.. أنا مجرد مواطنة ألمانية وأوروبية ، ولا أتكلم عن الشركات التي أديرها بعد موت زوجي الذي ليس هو والد الطفل .. الرجل الذي تزوجني لا يريد الذرية فاضطررت لأنجبه من ذكر آخر بدون علمه .

قال: أيعرف والده الحقيقي أن له ابن منك؟

قالت : يعرف ؛ لأنه يعمل معي ، وما زلنا نحب بعضنا ، ولم نتزوج زواجا رسميا وقد نتزوج

بعد حين ، ونعلن عن مايكل ؛ ولكنه خطف .. من فعلها وله مصلحة في خطفه؟ الزوج قبل موته لا يعرف بعلاقتي بوالده .

وقصت قصة زواجها على المحامي ، وسبب اتخاذها عشيقا وحملها منه ، فلا يمكن لوالده خطفه ولماذا ؟ وهو لا يعرفه شخصيا ولم يرى ولده بعينيه ، فهو خائف من زوجي أن يقتله اذا عرف ولو تزوجنا بعد موته لفقدنا الثروة التي ملكني إياها وقصت قصة الوصية.

قال برانس : أتحبين مقابلة وزير الداخلية لمزيد من الضغط على البوليس؟

****

انتهى الرفاق من طاولة القمار ، وانتقلوا إلى غرفة الخمر في النادي ، تركوا الغرفة السرية إلى الغرفة العلنية ؛ لأن الخمر مباح علنا والقمار ممنوع علنا ، قدمت لهم المشروبات وتوابعها وكانت في صالة النادي فرقة تغني ويرقص الزبائن على انغامها ويتمايل السكارى مع الوصلة الأخيرة بعد نصف الليل.

قال بسيل: هل من أخبار جديدة نتسلى فيها؟

قال ماهر :سمعت عن آسرة قلبك ومن طبيبها التركي أنها عادت للعلاج من الإدمان.

قال منذر: لم تكن تشرب أمامنا الكثير أيام السيد.

قال عريف : أنت غلطان ! كانت تشرب اكثر منا ، وكانت الخادمة تسوقها وتصعد بها لغرفة نومها من شدة السكر ، وفعلت ذلك أمامي اكثر من مرة.

قال بسيل: كلام عريف الصواب ، كانت شرهة في الخمر من قبل زواجها بنذير ، ويجلب لها نذير الماريجوانا في رحلاته للبرازيل ، أما في المتعة فكانت مقلة ، كانت خمورها تأتيها من بلدها وفرنسا وأوروبا عامة ، لم اسمع أن أحدا عاشرها سوى ما أشيع عن الدكتور لوقان ؛ ولكنه لا ينام في القصر ؛ ربما في أوقات متفاوتة ؛ ولذلك كان نذير يبغضه ويتنازع معه

قال ماهر: فشلنا كلنا في اللقاء بها على سرير الهوى ، كانت تخاف نذير وغيرته رغم سماحه له بالخلوة بنا ، كانت تخشاه ، ولا اعتقد أن حياتها تخلو من العشاق خاصة لما تذهب لأوروبا



قال بسيل: في الغالب تذهب برفقة نذير .. نذير شك شكا كبيرا بطبيبها الخاص ، ولم يستطع إثبات ذلك

قال منذر : نذير حدثك بذلك.

قال: نعم ؛ لأنه كان يعجب أن تعيش امرأة في بيته، ولا تتخذ احدهم عشيقا لترفه عن نفسها ولو ساعات .

قال عريف: صحيح! مجتمع إباحي.. كيف ستعيش فيه بدون اتصال بأحدهم؟ قد يكون احد الخدم نال هذه الحظوة احد الحرس؛ ربما السحاق مع الخادمة الفرنسية جوليا.

قال بسيل: يغفل السيد عنهم ويعجز أن يجند احدهم لرصد الرجال والنساء في القصر وجومار عين نذير عليها .. ومن كشف له أمر الطبيب؟ الواقع يقول لابد من احدهم ، فلقاء سريع خاطف قد حصل مرات، أما استمتاع فيحتاج لوقت ، كلنا يذكر لما اقتحمت فريدة القصر لمعاشرة نذير ، وتركها ونام مع زوجته ، فاستعانت بخادم واضطر جومار لطرده ، وكان منذر في القصر

قال منذر : وكيف انسى ما رأيته ؟! إنها تمارس الدعارة في باريس .

قال ماهر : ما زالت حية هناك

قال منذر : نعم، ما زالت بين قرى الشواذ وملاهي وحانات باريس .

قال ماهر : قرى شائعة في أوروبا وكندا ، وكذا زواج المثليين والمومسات فاغلب مدن أوروبا

توجد فيها مثل هذه التجمعات والأحياء للمثليين(١)

قال بسيل: لا ادري لماذا غادرت لسويسرا هذه المرة؟ هل هي حقا مريضة؟!

قال ماهر : كانت في سويسرا المرة الماضية ، تذهب لميونخ لزيارة والديها ثم تتوجه إلى برن سويسرا .. وضح الدكتور ذلك لي ما أخبار قولونك؟

قال: خضعت لجلسات علاجية .

قال ماهر : لم أكن اعلم أن هذا السرطان بهذه الخطورة !

---

(١) قرية المثليين وتعرف أيضا بأسماء مثل: حي المثليين، أو مكان المثليين هي حي يعيش أو يتردد عليه عدد كبير من المثليات، المثليين، مزدوجي الميول الجنسي والعابرين جنسيا. تضم قرى المثليين عددا من المنشآت الموّجهة للمثليين، مثل حانات المثليين، النوادي الليلية، الحمامات، المطاعم، المحلات وبيع المكتبات من بين قرى المثليين الأكثر شهرة سوهو في لندن، برمنغهام في إنجلترا، الكنيسة وويلسلي في تورونتو، تشيلسي بمانهاتن في نيويورك ومنطقة كاسترو بسان فرانسيسكو تشويكا بمدريد، شونبيرج ببرلين، شارع القناة بمانشستر ولوماريه بباريس . في أمريكا الشمالية أيضا مثل مقاطعة لوس انجليس في غرب هوليوود، دوبونت سيركل بواشنطن ووسط مدينة أتلانتا. أعلى نسب السكان المثليين في مدن البرازيل جزء من شاطئ إيبانيما في ريو دي جانيرو قدرت دراسة أجرتها جامعة ساو باولو في ١٠ عواصم من الولايات البرازيلية، أن نسبة ٨,٧٪ من سكان البرازيل الذكور هم مثليون و٦,٢٪ هم من مزدوجي الميول الجنسي أي ما مجموعه ١٠,٤٪ ، في حين قدر أن نسبة ٤,٩٪ من السكان الإناث مثليات و١,٤٪ هم من مزدوجي الميول الجنسي أي ما مجموعه ٦,٣٪ في مدينة ريو دي جانيرو قدر ١٩,٣٪ من السكان الذكور أنهم مثليون أو مزدوجي الميول الجنسي.من بين السكان الإناث ، في مدينة ماناوس، قدرت نسبة ١٠,٢٪ أنهم مثليات أو مزدوجي الميول الجنسي ، المدينة الأمريكية التي تضم أكبر عدد من المثليين هي نيويورك حيث يقدر عدد السكان المثليين في المدينة بأكثر من ٢٧٢,٤٩٣ نسمة تحتل لوس أنجلوس المرتبة الثانية حيث يبلغ عدد سكانها المثليين ما يقارب ١٥٤,٢٧٠، تليها شيكاغو مع ١١٤,٤٤٩نسمة، وسان فرانسيسكو مع ٩٤,٢٣٤ نسمة. السياحة المثلية أو سياحة المثليين هو شكل من أشكال السياحة التي يتم تسويقها للأشخاص المثليين والمثليات ومزدوجي التوجه الجنسي والمتحولين .

قال عريف: كل أمراض السرطان خطيرة ! ليس هناك علاج كامل رغم كل التكنولوجيا السرطان يبقى القاتل الأول في العالم .. سلامتك بسيل .. هل للخمر علاقة به؟

قال بسيل: لا اعتقد، الدخان وتوابعه يقال له علاقة به ،والصحيح أنواع الطعام والنظام الغذائي لها دور ، فالكحول مصنوع مركب ليس موجود في الطبيعة ، فهي تصنع وتستخدم في الصناعة والمنظفات والمعقمات وهو أنواع ، وهناك كحول يستخرج من النفط كما اسمع فهذه الأورام خلل في عمل الخلية والجينات .. خلايا مريضة تنتشر .. مرض معقد ومفاجئ واعتقد أن له علاقة بالنظام الغذائي

قال عريف: لم تتحسن من جرعات الكيماوي

قال: لا يتحسن الواحد من جرعة واحدة هذه الأمور أمرها إلى الله

قال ماهر : معافى سيد بسيل.

قال: أتمنى لكم السلامة والعافية ..كل شيء يتعطل بالكيماوي.

جومار متهم

كانت الاتصالات بين جومار وسلوفانا مستمرة يسألها عن التطورات والأنباء ، وبينما هو ذات ليلة بمكتبه اتصل به الحرس مخبرا أن رجال البوليس يرغبون باللقاء معه أغلق مع سلوفانا ، وتأكد مما سمع وأمر بإدخالهم ، دخل الثلاثة سيرا على الأقدام ، وظل السائق عند الحرس بسيارته ، استقبلهم جومار بحذر وقلق ، ورحب بهم وتفاجأ بوجود ضابطين هنديين معه الضابط العربي ، فقال الضابط العربي : هؤلاء يرغبون بالحديث معك عن حادث حرق بيتك في بومباي .

عرف الضابطان الهنديان بنفسيهما ، وبينا سبب حضورهما ، وأنه مطلوب للمثول بين يدي البوليس في قضية احتراق بيته وموت زوجته أليش وابنه الصغير جان ؛ لأن تحقيقات الإطفاء والشرطة تبين أن الحدث بفعل متعمد ، ولم يكن حادثا عابرا كما بدأ أولا ، وأنه المشتبه به في هذا الحادث .

بعد صمت ونظر قال : المطلوب مني السفر للهند .. أنا مستعد للسفر أيها السادة ! كيف؟

ـ رتب أمورك بأسرع وقت لترافقنا ، وأنت الآن ممنوع من السفر إلا معنا لتقف أمام العدالة وتدافع عن نفسك فأهل زوجتك يتهمونك بالغدر بها وابنها .

قال: غدا مساء أكون جاهزا للمثول بين أيديكم ومقابلة الحكومة .. دعوني ارتب أمري واتصل بمحامي هناك سيكون معي في المطار .. هذا اتهام خطير! أنا اقتل زوجتي وابني

قال: هذا يقرره الاستجواب والأدلة والمحكمة.

وضعت حراسة على بوابة القصر من البوليس المحلي ، اتصل بسلوفانا وروى أمر الترحيل لبومباي.

قالت : اذهب ، وكل أموالي تحت أمرك ، سأضع مبلغا في حسابك أنت والد ابني.

شكرها ورتب أموره ، واستعد للسفر لمواجهة التحقيق ، وفي المساء التالي غادر القصر بمرافقة البوليس ، ولما استقر في مطار مومباي، كان محاميه في استقباله بالمطار ، ورافقه لمكتب البوليس

وأوقف في سجن الشرطة ريثما يعرض على قاضي التحقيق وكيل النائب العام ، ورفضوا الكفالة العدلية حتى يقف بين يدي المحقق العدلي، شجع المحامي العميل على الثبات على ما قاله يوم الحادث .

ولما مثل أمام المحقق قال: أنا اطلعت على محضر التحقيق وتبين للمعمل الجنائي للشرطة وللإطفاء أن الحادث مدبر ومفتعل ، وأن احدهم اشعل النار في غرفة النوم ، وذكرت أنك كنت نائما مع امرأتك واستيقظت وقد ملأ الدخان والنار الغرفة فصرخت ، فلم تستيقظ زوجتك وتذكرت أنها تنام على المنوم ، فخرجت من الباب وأيقظت ابنك وفتحت نافذة وتسلقت على مواسير المياه طمعا بالوصول للسطح وجان كومير يتبعك وهو يصيح أمي يا أبي ولم تفعل شيئا لإنقاذ المرأة بسبب الاختناق من الدخان والذعر وأثناء الصعود سقط ابنك ومات والمرأة نقلت للمستشفى شبه ميته، ثم ماتت هذه إفادتك.

قال: نعم ، هذا ما ذكرته للبوليس

قال المحقق: لم تعرف كيف اشتعلت النار بالغرفة المغلقة؟

قال: لم تكن مغلقة بالمفتاح يا سيدي !

قال المحقق: ومن سكب البنزين؟

قال المحقق: كنت نائما

قال المحقق: التشريح للجثة كما قلت بين أنها كانت تناولت منوما هل هذا معتاد منها؟

قال: اعتقد أنه تستخدمه من زمن . وذكر له صفة عمله وهجرته وقلة عودته إلا في الإجازات والطوارئ

قال المحقق: والابن.

قال: أنا أيقظته وبدأت التسلق خشية امتداد النار وتبعني وفقد توازنه وسقط ومات واتصلت بالإطفاء والإسعاف وكان احد الجيران سبقني بطلب الإطفائية .

قال المحقق: لم تحاول إسقاطه.

قال: ولماذا أسقطه وأقتل أمه؟ ماذا استفيد؟

قال المحقق: أنت عليك الإجابة.

قال: هل يعقل أن احرق زوجتي واقتل ابني ؟!

قال المحقق: النار اشتعلت عمدا ، ولم يؤكد احد أن زوجتك تتعاطى المخدر أو المنوم ولماذا هربت عن الطريق النافذة ولم تخرج من باب الشقة؟

قال: أنا ظننت أن النار تغمر البيت والنافذة قريبة وفتحت الشباك وقفزت وصعدت مستعينا بمواسير المياه .

قال: المحامي : هناك عدو فعل ذلك .

قال المحقق: من هو هذا العدو ما دام يعمل في تلك المدينة ؟ لم يظهر أي عدو .. لم ينشب الحريق في المطبخ ثم انتقل لغرفة النوم ، حدث الحريق في غرفة النوم ، من هو العدو ؟ ولماذا لم تخرج من الباب؟

قال: يا سيدي الدخان ملأ الشقة ، وما فكرت بأن الدخان في الغرفة فقط فالنافذة أنقذتني

قال المحقق: عادة الخائف يبحث عن الباب .

قال المحامي: هذا ما يؤكد براءته، لو كان هو فاعل الحريق لهرب من الباب ولم يسرع إلى النافذة لهرب من الباب وأيقظ الجيران .

****

كانت السيدة على اتصال مستمر بجومار ثم مع محاميه ، وعلمت تفاصيل المأزق الكبير الذي يعيشه باتهامه بقتل امرأته وابنه الشاب الصغير ، وهو قابع في سجن الشرطة ، والشرطة لم تستطع إثبات التهمة ، لم يشهد احد بأنه ابتاع البنزين ، ولم يشاهده أحد يدخله للبناية ؛ لكن الحادث متعمد بين واضح ، هل سكت عن المعتدي وهدده الفاعل ؟ ولماذا تتعاطى زوجته المنومات؟ فقالت أمها: إنها تستعين بها على النوم ، بشكل متقطع ، فهي تتعاطى الكحول منذ تزوجت جومار وتدخن مثله ، ولم تكن الزوجة الأولى ؛ إنما هي الثالثة تزوج الأولى أيام الجامعة أنجبت

طفلا مرضت على اثر الولادة وماتت ، وأمها أخذت الطفل وربته ، وهو اليوم يعمل بعد تخرجه من الجامعة ، وتزوج الثانية ثم انفصلا سريعا ، فقد كان لها عشيق ، ثم تزوج الثالثة التي ماتت حرقا ، وها هو متهم بقتلها وقتل ابنها ، وفي عهدها رحل للعمل مع نذير مديرا ورئيس خدم للقصر ، وعرض الطلاق عليها ، وقد رفض سفرها معه لصغر ابنه ورضيت أن تعيش على زيارات متقطعة .

والسيدة كانت في حالة صعبة ويائسة من عودة ابنها المخطوف ، وقد أكدت شرطة سويسرا عدم خروجه من البلاد بطريقة مشروعة ، فلا قيد له برا وبحرا وجوا إلا اذا خرج تهريبا وها هم على تعاون مع البوليس الفرنسي والألماني والإيطالي والنمساوي الدول المحيطة بسويسرا فالحدود مفتوحة مع هذه الدول ، ويمكن اختراقها والدخول إليها بسهولة ، فتشتت ذهنها بين مايكل الابن وجومار والأب .

فاجأها المحامي برانس بتلقي إشارة بوليسية ، تلقى البوليس إشارة من شرطة فرنسا بوجود الطفل في احد فنادق باريس ، لقد تحدثت خادمة غرف فندقية أنها رأت صورة للطفل في صحيفة وأنها ربطت بينها وبين الطفل في الفندق ، ونفى مدير الفندق وجود الطفل المفقود في فندقه ، ودخلوا الغرفة التي شوهد فيها الطفل ، وتبين أن الغرفة نزلت فيها امرأة ومعها ابنها قضت ليلتين ، وغادرت الفندق فهل لخادمة سلوفانا السويسرية دورا ؟ فهي غابت عن الشقة مدة أسبوع بعد مجيء سلوفانا لبرن تتابع الاختفاء وزعمت أنها ذهبت مع أصدقاء في رحلة خاصة ، ولم تكن رحلتها لفرنسا .

وعرض المحامي عليها السفر ومقابلة خادمة الفندق ومدير الفندق، فقبلت وسافرت معه لباريس ، ولما تمكنا من مقابلة الخادمة التي فصلت من العمل ، فقد اتصلت بالشرطة دون إخبار الإدارة طمعا بالجائزة التي أعلنت عنها سلوفانا بالتنسيق مع البوليس ، ولما رأت الصورة من المحامي أكدت أنها نفس صورة الصحيفة ونفس الصبي الذي كان في الفندق واكد مدير الفندق أن المرأة والطفل من كولومبيا القارة الجنوبية ولم يبدُ على الطفل الخطف والطفل ابنها حسب

الوثائق المقدمة للفندق ، اطلعها على صورتها في جواز السفر وصورة جواز الطفل ، وبعض اشرطه الفيديو لكاميرات المراقبة للممرات والصالات ، فأكدت سلوفانا أن الصور لابنها ، وأكدت شرطة باريس أن المرأة دخلت البلاد من نيويورك دون الطفل مايكل ، كان معها طفل تختلف صورته عن صورة طفلها، وقضت أسبوعين في باريس في ثلاثة فنادق ، ثم غادرت إلى النمسا ، وقد تكون هناك ، وقد تكون عادت لبلادها فلها اكثر من شهر مغادرة الفندق ، وسبب تأخير الخادمة بالبلاغ تأخرها برؤية صورة الطفل في الصحف الفرنسية فلما رأت الصورة والخطف تذكرت الطفل والطمع بالجائزة.

كان الجواب والتفسيرات مقنعا لها وللمحامي، فسافرا إلى شرطة فينا . وكان مدير البوليس في فينا على علم بقصة الطفل المخطوف ، بين لهم صحة دخول المرأة الكولومبية فينا والطفل ولم يقضيا ليلة في العاصمة ؛ بل سافرا إلى اليونان ، وسافرا اليونان ، واكد بوليس أثينا عبورها المدينة ، ثم غادرا برا إلى إسطنبول والشرق الأوسط في تركيا ، لم يثبت دخولهما الأراضي التركية بهذه الأسماء ، وعادا لسويسرا وهم يكاد يؤكدون أن الطفل ابن سلوفانا ، وهذا التنقل غريبا لهما .. هل تسير سيرا صحيحا أم وراء سراب ووهم ؟

علمت بأن جومار سيفرج عنه لعدم كفاية الأدلة ، ولم يستطيعوا إثبات شراء جومار للبنزين والمنوم ، وجومار لم يكن يملك سيارة أثناء وجوده في الهند ولو مستأجرة ؛ ليقال إنه ملأها من بنزين السيارة .



القصر من جديد

بعد شهور ثلاثة عادت سلوفانا للقصر ، وهي في غاية الحزن والذبول والهموم ، ولم تفصح بشيء لاحد حتى لطبيبها، ولم تباشر العمل بالشركات وطلبت من علي وبكر الاستمرار بالتوقيع عنها حسب الوكالة القانونية . جاءت رسالة من بسيل يخبرها أنه في المستشفى على وشك الموت ، ويتمنى رؤيتها وفعلت وقابلته وكرر له هواه لها . وقالت: ألم يفعل لك الطب شيئا؟

قال : فعلوا ما يستطيعون ولم ينجح الكيماوي ولا القص والمرض ينشط ، تمنيت الزواج منك وأتمنى السعادة لك.

فهمست : ذهبت السعادة

قال : لم افهم

قالت : لست سعيدة

قال : لديك المال وحولك الرجال.

قالت : الأمومة ، كنت احلم أن أكون أما مثل نساء العالمين.

قال : فعلا الأمومة الغريزة ! نحن لم نحب الأمومة لانفتاحنا على جنسكم .. كان على نذير أن يحقق لك ذلك

قالت : كان عقيما ويتعاطى الموانع.

قال : كنا نفعل العقم الصناعي، لم نحب الأبوة .

قالت : لك ولدان من ريما.

قال : صحيح ! كان هذا مطلع الزواج قبل الفسق ، نعم ينقصك الأمومة.. هل العلاج يحقق لك الأمومة أم يمنعك منها ؟

قالت : أنت تحدثت عن السعادة فلست سعيدة.. المرأة بدون ولد لا تكون سعيدة

قال : الغريزة كما يقولون.. تزوجي من يحقق لك ذلك

قالت : كيف كان يراني نذير بينكم؟!

قال : ملاك .. كان الرجل مغرما بك ويحب لك السعادة.

قالت بحسرة : لوكان محقا في حبه لرغب بالذرية.

قال : هذا النقطة كانت غامضة ، لم تكن أمه طاهرة كان يراها مومسا .. فالشرف والكرامة لا قيمة لها في حياتهم، فكان يعتقد أنه ابن غير شرعي كانت تقوم بالعلاقات دون خوف من أبيه كان يراها مومسا

قالت متظاهرة الاستغراب : يا الله ! أتحدث لك بهذه الشكوك؟!

قال : لذلك كان يكره أن تلد له امرأة.

قالت : العلم يستطيع كشف الأبوة والبنوة بفحص الجينات .

قال : صح ، فحص دي ان ايه لكن ما الفائدة من معرفة الحقيقة؟ أن يعرف الشخص أن المولود منه أو من غيره أو من أبيه أو من غيره .

قالت : أنراه شك يوما بأني قدمت جسدي لغيره؟

قال : الحق أنه متأكد من ذلك ، لا يرى في الكون امرأة عفيفة شريفة ، ويرى أنك نمت مع غيره بعد زواجكما ، وتيقن من علاقة بينك وبين الطبيب الخاص بك لوقان ، ثم هجرتيه ، ولم يعرف البديل

قالت : تحدث معك في هذا!

قال : نعم، كنت ثقة عنده واقرب الشلة لقلبه ، قال لا يمكن أن يكون هذا الطبيب شريفا عفيفا ومغامراته تزكم الأنوف.

قالت : هو قال ذلك عنه!

قال : نعم ، وتذكرين حاول طرده وإبعاده عنك فازددت تمسكا به ..أكان محقا في هذا الشك ؟

قالت : هل شك في غيره؟

قال : لا اذكر شكه في شخص معين كان شكا عاما.

قالت : علاقتي بالدكتور علاقة عابرة ومداعبات وقبل وضم كما فعلت معك كذا مرة لم تصل للمعاشرة .. كنت افهم غيرة نذير رغم تظاهره بالحرية

قال : كنت في سهرات أظن أننا كلنا سنقضي الليل في حضنك ، يصل بك الابتذال اكثر من فريدة ثم تصحين من السكرة وتأمرين الخدم بنقلك لسريرك أو العودة بك للبيت .

قالت : لي شهوة ورغبة مثلكم ، لست ملاكا ، وأنا مستيقظة اكره الرجال.. أنتم تريدون الجنس فقط.

قال : وأنت تريدين الحب الصادق.. وهو عزيز المنال في بيئة إباحية .

****

غادرت الخادمة بالطعام من غرفة نوم سلوفانا ؛ حيث تناولت القليل منه ، ودخلت ديانا وقالت

ديانا: مساء الخير سيدتي

قالت : مساء الخير

وقالت ديانا: ما زلت مرهقة منذ عدت .. أنا حزينة من أجلك ! الطبيب قلق عليك وعلى صحتك

قالت : لست ادري ! أنا متعبة فعلا أمر في ظرف خاص.

وقالت ديانا: زوجي يريدني أن اترك العمل وأعود لتركيا ، فهو على وشك التقاعد من الخارجية

قالت : يا الهي ! خبر صاعق تعودت عليك يا ديانا الأمينة المخلصة

وقالت ديانا: عشرون سنة هنا.

قالت : عشرون سنة.. عمر! هل تقاعد ؟

وقالت ديانا:هو الآن يعمل هناك اكثر وقته والقليل هنا.

قالت : من يستطيع القيام بأعمالك؟

وقالت ديانا:السكرتيرة نورما

قالت : تعرف عملك

وقالت ديانا:نعم ، عملنا معا عند ذهابك أول مرة للعلاج .

قالت : نورما هي ما زالت في الشركة تحدثي معها اذا قبلت العمل مكانك ، ثم أتعاقد معها الشركات لا دخل لها في القصر.

وقالت ديانا: اعلم سأتكلم معها واقنعها لتعمل معك في القصر

قالت : شكرا لك ديانا اذا وافقت سأتحدث معها ونعمل العقد.

قبلت ديانا السيدة من خديها وشكرت ودعت لها بالشفاء وزوال الحزن . قالت : قد نعمل لك حفلة وداع هنا للظروف التي تعصف بي.

وقالت ديانا: سنبقى أصدقاء أيتها السيدة الفاضلة!

قالت : شكرا ديانا ، وأنا بحاجة للأصدقاء المخلصين مثلك سلمي على زوجك سليم خالص السلام .. عندما ازور تركيا سأتصل بكم لسماع أخباركم.

غادرت ديانا وقالت سلوفانا : هكذا الدنيا فراق بعد فراق ..لا أخبار عن مايكل آه لا احد يشاركني حزني عليه .. من خطفه بهذا الحذق والفطنة والترتيب ؟ سويسرا فرنسا النمسا اليونان تركيا اختفى.. امرأة تحمل جواز سفر كولمبي والطفل جواز كولمبي.. الخادمة تؤكد أن الصورة للطفل الذي قضى ليلتين في الفندق.. دخل ولم يخرج .. من يعرف سري وابني؟ لو كان بسيل يعلم سري وعشقي يفعل ذلك .. لا ، لا .. داليا وبول .. هذا فعل رجل يملك مالا كثيرا ، لابد من زيارة أخرى لبسيل هو الأقرب لنذير سمح له بمغازلتي وإقناعي بالنوم معه .. هل يختلف الرجال ؟ كلهم سواء اذا قضى شهوته اصبح حملا وديعا بصعوبة أن يعيد الكرة .. كم منهم التقيت؟ كلهم أدعياء قوة .. ماذا أقول حتى جومار لم يكن بتلك الفحولة التي يفتخر بها الرجال ؟ كلهم دعاة وهمية أصبحت الشهوة مملة ومتعبة .. هل من أجل للطاقة ؟ يتوقف هرمون الجنس عندنا مبكرا ويقف الحمل.. عجيبة الحياة الجنسية.. كم كنا نفرح أيام الجامعة عندما تلتقط الفتاة عشيقا ليلة وأياما .. بعضهم عندما يحاول يفشل كأنه طفل ؛ لكنها أعضاء خلقت لذلك .. كنت محبة لأن ألد شبعت من قضاء الرغبات المملة والأدوية والموانع والحذر

من الحمل قبل الزواج .. خطف مايكل انتقام .. أحي نذير؟! انتقم منا بعد هذه السنين.. كيف عرف به قبل أن يموت؟ الجثة التي دفنت لمن ؟! الدكتور لما علم بموته ذهب المستشفى واستلم التابوت المغلق وشهادة الوفاة .. لم ير الجثة ؟ ولم يكن بحاجة لرؤيها ، ودفنت الجثة بواسطة شركة الدفن .. فتحوا التابوت وادخلوه القبر .. المسلمون لا يدفنون بالصندوق .. كان هناك جثة وإخراج الجثة يحتاج لأمر قضائي وشرطي .. أليس هناك حيلة لرؤية وجه الميت ؟! لماذا أحس هذه الأيام بحياة نذير ؟! إن الرجل يمكر بي لماذا سيطر عليّ هذا الشعور ؟ هل يصدر المستشفى شهادة مزيفة؟ لماذا مر على مالطا قبل السفر للعلاج ؟ هل هو مجرد للقاء جوني الملطي لماذا رافقهم في اليخت وسكر وزنى ؟ هل دفنّا ميتا آخر وسخر منا ؟ كان مريضا في المستشفى وكان في وضع صعب وفي غرفة العمليات وأجهزة وخراطيم ، لم يكن موته مفاجئا ، فالسموم التي كنت أضعها له في الشراب كانت تؤدي دورها ببطء، وكان الطبيب يساعد بذكاء وجومار يساعد بدون علم الطبيب، والطبيب بدون علم جومار تستبدل أدوية الكبد بوضع حبة أو حبتين في كل علبة ، وكانت تظهر مشاكلها بين زمن وآخر ، كل يريدني الزوجة بعد موته ، جومار قتل زوجته ؛ ليتمكن من الزواج مني أم لم يقتلها بنفسه .. لقد اقتربت نهاية السنوات الست ، وأنا قتلت زوجي من أجله هو الوحيد الذي فاز بقلبي وولدت منه لماذا فعلنا ذلك ؟ الهوى والعشق ما أنا شبعت منه قبل الزواج ، والدكتور غامر من اجلي .. كلهم يهوون الجسد ألا يشبعون؟ لقد نمت مع الدكتور اكثر من نذير لما رحلت إلى هنا .. وجومار كذلك .. هل استطعنا إخفاء الأمر عن نذير أم خدعنا وسكت لمثل هذا اليوم ؟ المال هل سيحول لي؟ .. لم افكر جيدا بسبب تأخير تنفيذ الوصية ومن عدم زواجي لماذا ؟

حدثت الطبيب في شكها بموت نذير ، وأنه ما زال حيا .. فاستغرب الدكتور وظن أنها ضربت في دماغها .

قال : لما وضع داخل التابوت لم نره كانت جثة في الصندوق ، وهو كان سيموت سواء في مالطا أو ميونخ الموت متوقع ، والشهادة رسمية ، وهذه مسؤولية يتحملها المستشفى حتى لو كان فيه

نفس لمات بنقص الهواء والأوكسجين.

قالت : قد يزعم المستشفى أن خطأ حصل ، ولم يكن الميت نذيرا كان في غيبوبة ، ووضعوا جثة في تابوت على أنها لنذير وأخذناه على أنه نذير ألا يحدث ذلك في المشارح؟!

قال بتأمل: نادر جدا ! ويكشف ويصحح الخطأ .. والموت حدث من اربع سنوات وشهور

قالت : ألا من طريق لرؤية الجثة ويطمئن قلبي ؟

قال : ولماذا أنت تعتقدين حياته ؟!

قالت : أمور حدثت معي في سويسرا جعلتني أشك بموته وأنه حي.

قال : أمور مثل ...

قالت : أفعال لا يعرفها إلا هو ، وقابلت شخصا كأنه هو .

قال : جلست معه تحدثت معه!

قالت : لا ، قابلته كذا مرة ، وتعمد أن يريني نفسه، لولا يقيني بأن نذيرا ميت لقلت هو.

قال : نخشى طلب رؤية الجثة وتحدث قضية كبيرة.

****

سيطرت عليها فكرة العدو الزوج الميت ، لا احد يرغب بالانتقام منها إلا من تزوجها ، داليا حملت وانكره وهربت ولم يقتلها ويقتل بول، ما استعمل العنف ضدها ، ولم يقتل عشيقها ، فلو كشف أمري لطلقني ، وانتهى الأمر ، إلا اذا عرف سعي لتسميمه والقضاء عليه مع الطبيب وجومار ، كان منسجما مع جومار ، ذات مرة وكنا نشرب البرتقال فقال: فيه مرار سي الطعم . وتركه وتحدثت يومذاك وقلت : إنه من أجود الأنواع ومستورد خصيصا للقصر من اشهر المزارع الإسبانية. وانتهى الموضوع ، تابعت لنفسها : صحته كانت تتدهور بين حين وآخر بسبب مشاكل الكبد والجنس لم يشكُ من تسمم أو التعرض له ولا علاقة لي بالمطبخ .. من خطف مايكل ؟ من تلك المرأة التي مثلت دور الأم ؟ الطفل الذي دخلت به نيويورك وفرنسا وتنقلت به بين عواصم البلاد .. كان مغرما بالأطعمة الدسمة .. تلاميذ المدرسة ذكروا أن رجلا

تكلم معه في حفل الموسيقى وتبعه ظانا أن أمه في انتظاره لم تكن امرأة التي تحدثت معه.
صارحت الطبيب بسرها زعمت له أن ابنها اختفى، وهي كشفت له أنها حملت به من رجل أثناء وجودها في أوروبا ، ولا تعرف أباه ، ولا نذير يعرف بوجوده ، وصدقها الطبيب .. فمن يخطفه سوى نذير؟! فوعدها بالسفر إلى مالطا والتأكد من وفاته بطلب استخراج شهادة وفاة لضياع الشهادة القديمة أو احتراقها والتأكد من وفاة نذير فقال : أما الجثة المدفونة فأمرها صعب .. النبش بعد هذه السنوات بزعم دفن جثة غير جثة زوجها جثة من سيسألون؟ الأمر معقد وسيجري تحقيق جنائي ممن الخطأ ؟ وجثة من دفنت ؟ وأين جثة نذير اذا استبدلت؟
قالت : ولماذا لا تقبل الشرطة المحلية الأمر ببساطة ؟!
قال الطبيب: حتى لو فرضنا أن الرجل حي والتقاك ثلاث مرات أو ظهر لك ، ولم تهتمي ليقينك بوفاته لماذا ظهر؟ ولو كان موته خدعة فلم يفعل ذلك ؟ وجثة من التي أخرجت من التابوت وغسلت ودفنت في القبر ؟ ما الهدف من هذه الحيلة ؟ افرضي أنه اطلع على خيانتك الزوجية فهو اكبر خائن زوجية.. يريد الانتقام ولماذا ينتقم بهذه الحيلة ؟ ألم يكن يقدمك لأصدقائه ويتحداهم بالنوم معك .. وكنت تقبليهم وتحضنيهم وتراقصيهم وتظهرين أمام بالزينة والعطر وآخر تبرج .. فهل سيحاسبك على الطفل الذي لا تعرفين أباه وعاش بدون اسم أب ؟ وذكرت أنه غار من علاقتي بك ثم ترك الأمر لما تخليت عني وقل اللقاء بك كصديق بس كطبيب فقط والطفل الذي حملت لم يحمل اسمه ولا اسمك.
قالت : كل هذا معروف وصحيح ؛لأنه يثق بأنني لم امكن احدا من شلته مني، قال يوما اذا فعلت ذلك عليك ألا اعلم من هو صديقك وعشيقك يا سلوفانا ! أسمح لك باتخاذ عشيق سري فقط .. فأنا شرقي في دمي لست أوروبيا .. أمي اعتبرها مومسا كان أبي ضعيفا ومتهاونا أمام عشاقها ، وقد يعمل لاحدهم عشاء بعد خروجه من غرفتها.. أنا متأكد أن لك عشاقا لكن لا اقبل أن يخرج احدهم من حجرتك وآخذه بالأعناق والترحيب سألت أبي كيف ترضى لها أن تفعل ذلك بوجودك؟! رد ببساطة لست ذكرا مات ذكري وهي تعشق الجنس.

قال : عجيب !

قالت : وعجبت أنه حدث صاحبه بسيلا بذلك صارحني بسيل بذلك .. لذلك السيد كان لا يهتم بهم ويعتبرهم أحياء أموات ؛ ولذلك كان يسرف في السكر والمخدرات لذلك لما زاد شكه فيك أراد أن تبتعد وخشيت أن يؤذيك بسببي .. كيف عرف؟ الخدم لا يؤتمن لهم سريعو الاستدراج .. ولا ادري كيف عرف حقا ؟!

قال مجيبا : هو شك شكا لم يتقين ؛ لأننا نعيش في إباحية جماعية يا سلوفانا ! لا تحتاج لفطنة وذكاء .. لماذا نرقص ونطرب ونشرب ؟ وكلنا معروف بالفجور دون رادع لسنا دينيين.. فكل من يتحدث مع أنثى بالتأكيد لترتيب موعد أو مواعدة على رأي الغربيين .. حياتنا الملذات والشهوات .

قالت : كلامك صحيح وأعرفه كما تعرفه! نحن نجتمع للملذات والشهوات ..هل نجتمع لسماع محاضرة أو درس علمي؟ .. الجنس والسكر يجمعنا وتارة القمار ، سمح لي بالعشيق العابر دون تردد ؛ لأنه مّني قبل السكن في هذه الجبال ، ومقصر معي في العلاقات الخاصة وهو يعتقد أن كل النساء مومسات وفتيات حانات ويتاجرن بفروجهن لكسب المال من الذكور عنده عقد نفسية نحو جنسنا .

قال : أنت تقولين إنه لا يعرف ما كان بيننا بيقين ، ولا انكر ذكاءه ومكره وخبثه.

قالت : لا تنسى حياته في البرازيل، واكثر بلد فيها أولاد غير شرعيين وشذوذ وانحرافات شاذة.. تنافس الولايات المتحدة بالانحلال.

قال : ولا تنسي أنه كما وضحت من أسرة إباحية وأم فاسدة وأب بدون شهوة ولا تنسي قصة داليا وبول .. لماذا جاءت بعد زمن من موته بأي حق جاءت ؟

قالت : فكرت بقصتها كثيرا ولم اجد تعليلا وتفسيرا لحد الآن.

قال : تكلمت مع بعض محاميه في ميونخ وريو دي جانيرو فانكروا معرفتهم بها قال محامي البرازيل منذ هربت لم نسمع عنها شيئا ؛ كأنه تفاجأ بوجودها في كوبا .. هل هي زوجته الأولى

فعلا أم مزيفة؟

قالت : معقول ! زوجة مزيفة محتالة ! أمي تلح عليّ ببيع القصر وكل استثماراتنا هنا بعد انتقال ملكيتها لشخصي والعودة لأوروبا

قال : هذا الأفضل بعد التملك التام.. هذا القصر كبير عليك ، لا أولاد ولا زوج خدم طهاة لماذا منعك من الزواج ؟

قالت : هذا ما جعلني أيضا أن أشك في موته.. امرأة أرملة شابة تمنع من الزواج ؛ كأنه يقول لي مارسي الجنس بدون زواج .

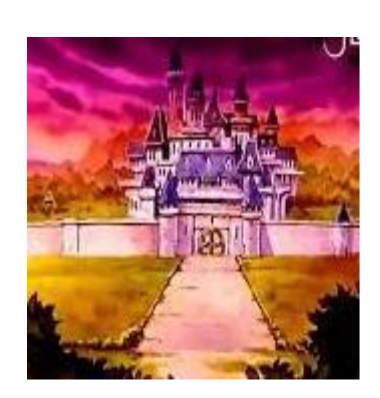
قال : من الصعب التحقق من الجثة اليوم .

قالت : لصوص القبور ألا يستطيعون فعل ذلك ؟

قال : يستطيعون؛ لكن كيف سينقلون الجثة وقد تآكل منها الكثير ؟

قالت : ثم تنقل لمكان سري خفي.

قال : جريمة ونضع انفسنا تحت الابتزاز تحت رحمة هؤلاء اللصوص .



مالطا

غادر الطبيب لوقان اتجاه جزيرة مالطا في المتوسط حيث قضى نذير نحبه ، وكان يحمل في حقيبته صورا لنذير والتقرير الطبي للوفاة ، بحث عن المستشفى الذي نعاه لهم، وسأل عنه جمعية الأطباء ، لا احد يعرف اسم هذا المستشفى على ظهر الجزيرة ، ذهب للمكان الذي يتذكره ، وجد هناك عيادة طبية ولم يجد المستشفى أصابته الحيرة والارتباك ، وعرض التقرير الطبي والشهادة على احد المحامين فقال له: هذا تقرير المستشفى الموهوم ، وأنت أدخلت الرجل إليه بنفسك !

قال : هذا ما حصل كنا في طريقنا لألمانيا لعلاجه، ونزلنا هنا لدعوة صديق له يملك يختا وفي اليخت خالف كل نصائح الطب وتحول إلى المستشفى ورأيناه في غرفة العمليات والأجهزة وهو يعاني وبعد أيام اتصلوا بأن الرجل قد مات ، ولما جهزوه في تابوت وهذه الأوراق رحلنا به إلى بلدنا ودفن حسب التقاليد الإسلامية.

قال القانوني: سأقوم بالحديث مع وزارة الصحة وأسأل عن هذا المستشفى الوهمي.

قضى أياما ثلاثة يبحث عن المستشفى الذي مات فيه نذير دون فائدة ، فقال :كانت سلوفانا صادقة في شكها في موت زوجها .. لماذا فعل هذه المسرحية ؟! هل عليه مخالفات ضريبية أو مطاردة من عصابات؟ هل تورطنا بإعلان موته ؟ فهذه جريمة .. من الميت الذي حملناه إلى المدينة ؟! هذه ورطة كبيرة يا سلوفانا ! نقل ميت والزعم أنه نذير .. لقد قضى علينا اللعين أهذه أوراق مزيفة ؟ تحدث مع السيدة عن اختفاء المستشفى ، وأن خدعة كبيرة وقعوا فيها فطلبت منه العودة ، ولما التقيا فصل لها ما فعله . فقالت : نحن لم ندفن نذيرا دفنا من ؟!

قال : هذه جريمة وقعنا فيها .. لا ادري ما العمل ؟! لكن السؤال لماذا فعل ذلك وهذا الموت الموهوم؟ أهو مطارد أم انتقام؟ ممن ؟ مني منك هربا من أجهزة مخابرات لتجارته في بيع الأسلحة والمخدرات هو شريك في شركات أسلحة وتاجر برازيلي وأوروبي

قالت : ولماذا ينتقم مني ؟ يطلقني وينتهي الأمر ، والمستشفى أين ذهب والناس وغرفة

العمليات واليخت؟ رأينا الممرضات والأطباء وسيارات الإسعاف كنا في مستشفى أليس كذلك؟

قال : هذا ما عشناه ! هل هو متنكر في القصر في المدينة ؟

قالت بوهن وصراخ : يتنكر لماذا ؟! أكاد أجن وأفقد صوابي .. ما الغاية من هذه اللعبة ؟! كنت عندما أرى شبيهه أتسأل لماذا يظهر هذا الرجل أمامي؟!

قال : وأنا مثلك أكاد أجن ! لمَ هذا العبث كل هذه السنوات ؟! من الذي دفناه ؟ وماذا سنقول للحكومة والدولة؟

قالت : ابني هو الذي خطفه .

قال : احتمال كبير.. نعم، لابد أنه هو لكن لماذا ؟!

قالت : أترى أن لزوجته الأولى دور في هذه المسرحية ؟

قال بحيرة : وماذا يجنيان اذا كان حيا كما نرى الآن ؟ بعض المال أم الاعتراف ببول ابنا.. أترين أننا دفنا شخصا أخرج من القبر بعد انصرافنا .. أمور تخيل العاقل.. مريض مستشفى يخت نقل تابوت دفن جثة شهادة وفاة تقرير طبي ماذا يقصد هذا المخبول ؟

قالت : أتراه كشف سعينا لتسميمه رويدا رويدا ؟

قال بحدة : لم نفعل ذلك.. إياك ذكر هذه الجريمة .. هو مات من أمراض الكبد والكحول والدواء سم كما هو علاج .

قالت : كيف سنتحقق من التابوت؟

قال : عليك كما قلت مرة عن طريق لصوص القبور.

قالت : وهل هناك منهم؟

قال : هناك كما سمعت منك ؛ ولكن كيف الوصول اليهم ؟

قالت : نباشون القبور لسرقة أشياء الأموات حتى أنهم مستعدون لسرقة أسنان الذهب من أفواههم يا دكتور!

قال : هذا في الدول الفقيرة أفريقيا الجنوبية والشمالية ، وما الفائدة بالنسبة لنا ما دام لا يوجد مستشفى وكله وهم؟ ..فنذير حي وقريبا سنعرف هذا وما دبره لنا ؟ هل من فائدة من نبش القبر ؟

قالت : نتأكد من وجود دفين .

قال مفكرا: الرجل ماكر وسيكشف نفسه قبل انتهاء السنوات الست ، فلا داعي لنباش ولص قبر .. هذا سيضر بنا اكثر مما نحن فيه ، ولم التقِ بلص قبر طول حياتي ؛ كأني سمعت ذلك بالأفلام عندما كنت صغيرا .

قالت : استعن بحفاري القبور بالمال .. علينا أن نتأكد أنه غير نذير خشية أن يظهر لنا الشبيه ويزعم أنه نذير .. القبر معروف مكانه لعل القبر اختفى

قال : ممكن نعمل على أن نذيرا حي؛ ليس ميتا .. نحن الذين بلغنا العالم عن موته واقمنا له العزاء والصدقات والتأبينات

قالت : اختفاء مايكل وظهور نذير .

قال : معرفة جثة من دفنا غير مهم لنا في هذه الورطة القضية كيف ننقل جثة ونزعم أنها نذير ؟ وأين نذير ؟ سنتهم بقتله وإظهار جثة غيره أمر معقد

قالت : سيظهر المجرم ، ويكشف لنا سره وسر هذا الاختفاء.. قصة عجيبة وموت عجيب ، لم يشك احد بموته ؛ لأنه كان متوقعا .

قال : شارك الكثير في هذه التمثيلية اليخت والمستشفى .. ونحن وأصحابه هنا اعتقدوا موته مثلنا وصاحبك بسيل طلق امرأته ليتزوجك.. لماذا اصطنع الموت ؟ وقال بغل :جننت من جنونه.. أيفعل هذا بشرا ؟!

قالت : وأنا مثلك فقدت الصواب .. مستشفى وهمي وأطباء وأجهزة طبية وشهادة وفاة وحمل تابوت كله كذب .. من الذي دفن فيه ؟ جثة من ؟

قال : قد نتهم بدفن رجل حي مخدر على أنه نذير .. أو ربما خنقا في التابوت .

صاحت : هذا مرعب مرعب مخيف !

****

ترجح لدى الدكتور والسيدة أن نذيرا يلعب لعبة خطيرة غامضة وغير معروف المقصود منها ولماذا صنع هذه التمثيلية ؟! وما زال يتظاهر بالموت ، وهل نبش القبر يفيد بعد أن اختفى المستشفى ؟

كان الدكتور والسيدة يلتقيان كل مساء أمام نافورة في القصر لمناقشة وتحليل وفهم القصد من هذه الحيلة والفعل الغامض لنذير ، هل نذير رتب لهذا الأمر ؟ولماذا يريد الانتقام؟ وجومار عالق في قضية احتراق زوجته وسقوط ابنه .. من الذي أحضر البنزين وسكبه في الحجرة ؟ هو ينكر فعل ذلك ، والبوليس لا يرى متهما غيره ، والدافع غير واضح للبوليس ، فليس هو بحاجة لقتلها ؛ فكان يمكنه طلاقها ؛ حيث هي شبه مهجورة .. هل تمارس الدعارة فترة غيابه؟ بل ثبت أنه كان يمدها بالمال لترعى على الأقل ابنه كومير ، وكانت تشرب الكحول والدخان من أمواله ، الحريق ثبت أنه متعمد ، والرجل تصرف تصرفا غريبا أيقظ ابنه وخرجا من النافذة للسطح مع أنه كان بإمكانه الوصول إلي الباب الرئيسي للشقة وزعم أن الدخان كان جهة الباب .

قالت: هل عملت شيئا لفتح القبر؟

قال:لم اعمل شيئا ، ولا اعرف كيفية إيجاد سارق القبر، وأخشى أن أتورط في جريمة أخرى وقد نجده فارغا ، ونتهم بسرقة ميت.. هل تعرفين سارقا في أوروبا؟

قالت: اسمع فقط

قال: في ألمانيا!

قالت: نعم وبعض بلدان أوروبا

قال: يفتحون التوابيت ويسرقون الجثث

قالت: نعم، عرضت قصص لممارسة الجنس مع الجثث من قبل منحرفين جنسيا ، و يفتحونها

وبيعها لأطباء للتدريب والتشريح أو تحنيط الهيكل العظمي والجمجمة ويظن من يراه أنه حصل عليه من مستشفى بإذن أهله أو مشردا لا أهل له ، وهناك متاحف للجماجم والأسنان

قال: دون حكم محكمة وموافقة الحكومات

قالت: سرقة عصابات

قال: عجيب هذا يا سيدتي ! وهل نجد نذيرا كما دفناه ولم يُرم؟

قالت: قد نكون حملنا تابوتا فارغا.

قال: لا يمكن هذا ! كنا فرحين بفوزنا وفي لهفة عارمة ، وقاموا بغسل جثته حسب الشريعة لم تكن جثته محروقة أو بقايا انفجار .. وأنا لم اعرف جثة من غسلت .

قالت: أحضرناه حيث احب أن يدفن .. كنا كما قلت في عجلة من أمرنا .. ظننت أن مراسيم الدفن جرت دون فتح التابوت .

قال: وعشت دور الأرملة الحزينة .. نتابع التمثيل ريثما تنتهي السنوات الست التي على وشك الانتهاء، وقد يكتشف الناس موته الكاذب.. لا مستشفى ولا جثته.. هذه ورطة كبيرة صدمة لي ولك ولأصحابه .

قالت: ألا يصدقنا احد ؟

قال: عندما يظهر علنا سيتهموننا بالخداع والتزوير وتقديم وثيقة مزورة .. هل من خبر من سويسرا؟

قالت: كل ليلة أتحدث مع المربية والمحامي ، لا جديد إلا مشاهدة المزيد من الجثث

قال بهمس : لعبة كبيرة !

فقالت: لماذا يلعب المجنون هذه اللعبة ؟!

قال: ؟ هذا اذا كان حيا حقا؟!

قالت: أوه ! ما زلت تشك ! اقسم أنه حي يسعى للانتقام مني ؟ لا ادري لماذا ؟ هل لأني ولدت خفية عنه ؟ خنته وأنجبت من غيره .. أتظن أنه يراه منك ؟ ولدت وأنا على ذمته .. ألا

يحق لي أن ألد واتخذ العشاق كما يفعل يا دكتور ؟!

قال مجاملا ومتملقا : يحق المعاملة بالمثل ، وهو رجل فاشل ، لا ضمير عنده، ما دام رضي بالعشق والفُجر لماذا يتزوج إنسانة عاقلة جميلة مثلك؟

قالت: طمعني بماله وثروته ، وعرف عمق حبي للمال والثروة ، وأن المال عندي قبل الحب والغرام .. أول مرة رآني ورأيته كان قادما من البرازيل لدعم مصنع الأسرة والشراكة مع والدي فأتى به إلى النادي الخاص ، وكنت أعوم في الماء مع رفاق النادي ، فرأيت أبي ونذيرا يتفرجان علينا فأشار لي أبي بالخروج للتعرف على السيد الذي كان مبهورا من قوامي وجمالي وعُريي بالمايوه ؛ فكان ملهوفا على جسدي بكل وضوح ، الشهوة تخرج من عينيه وتغزل بي بصدري ولحمي قبل أن يعرفني أبي عليه ، ثم قال: لمن كل هذا الجمال ؟ فقال أبي: رغم كل هذا الحسن لقد طلقت من قريب يا سيد نذير ، كأن أبي يقدمني له ، وغادرنا المسبح للغداء في فندق كبير

قال: كان وسيما فاتنا هو !

قالت: لا انكر .. سلاسل الذهب على عنقه ، خواتم الألماس على يديه ، الثياب الباهرة البذخ والمال .. كل هذا واضح عليه ، والحق أنه فتن كل رفاق المسبح.

قال: وكنت تغرفين من ثروته بشره ودون حساب .. وكتب لك الكثير، ووضع رصيدا كبيرا في الحساب

قالت: لا انكر كرمه .. كان هذا تمهيدا لأقبل الزواج بعد أن فشل في امتلاك جسدي ، سعى إليه بكل قوة وإغراء ، ولو حصل ما رغب ما تزوجنا ، هو اشتهى الجسد لم يحبني ، فهو رجل نساء كما حدثت أمي عنه ، والأيام أثبتت ذلك.

قال الطبيب آق : هل عرف بأمر جومار ؟ هو له نزعات شاذة وغريبة .. علاقتك بجومار كانت خفية اكثر مني معك.

قالت: كان لا يقرب حجرتي ومخدعي إلا آخر الليل قبل الفجر أو مع الفجر خشية أن يأتي نذير فجأة لغرفته أو يكون احد الخدم مستيقظا .. هو يعيش أما أنا أموت بحسرة .

التقى الدكتور علي يوسف بسلوفانا حول البحيرة الحجرية في القصر ، قال : يا مدام ألم تخبرينا بموت السيد قبل سنوات أثناء وجودكم في مالطا ؟

قالت باضطراب : نعم ، أيها السيد عندما سافرنا مرّ بنا على مالطا بدلا من التوجه مباشرة إلى ميونخ كما تعلم .. قال سنمر على مالطا لرؤية صديق نسيت اسمه له يخت عند تلك الجزيرة ولما رجع من رحلة اليخت مرض ودخل مستشفى ، وذهبت والدكتور والخادمة الفرنسية جوليا للمستشفى ، وبعد أيام اتصلوا عند الفجر بخبر وفاة نذير وقاموا بإخراج التقرير الطبي والشهادة ، ونقلنا التابوت بالطائرة كمل تذكر وقمتم بإجراءات الدفن .

قال علي: جاءت رسالة فيها أن الرجل سيعود للبلد قريبا.

قالت: ممن جاءت؟!

قال علي: من مكتبه في البرازيل

قالت: أليس هذا ملفتا ومثيرا للنظر ما دام لم يكن ميتا حقيقة؟ لماذا جاءت امرأته البرازيلية تطلب حقها ؟ وأنت التقيت بها قبلي ، وله خمس سنوات لم يتحدث معكم أو معي لم فعل ذلك؟!

قال علي: نحن تعاملنا معك على أنه ميت!

قالت: وأنا عشت بدون زواج على أنه ميت ، ولا أتزوج حتى تمر السنوات الست

قال علي: امر محير فعلا ! لنا سنوات بدون أي اتصال

قالت: أنا لم أشع موته ! نحن يبدو أنا تعرضنا لخداع في مالطا منه ؛ ولسوف تظهر الحقائق .. أين قضى هذه السنوات؟ ولماذا هذا الخداع العجيب؟!

قال علي: أنت أدرى !

قالت: هل يتأثر العمل ؟

قال علي: الإدارة تتأثر ، والبورصة تتأثر ، فلنا شركات ضمن البورصة .

قالت: اعلم يا دكتور علي أن هناك لعبة كبيرة منه ، أنا من شهور وأنا أعاني من الرعب يا دكتور

أرسلت الطبيب آق لمالطا ، ولم يجد المستشفى موجودا كان مستشفى وهميا لعمل هذه الحيلة .. لماذا ؟ لا اعرف .. هل هو متورط في صفقات سلاح غير شرعية مخدرات؟ أنا أعيش أرملة يا دكتور حسب وصيته.

قال علي: والعمل!

قالت: أنا اعتقدت وكما اعتقد الجميع أنه ميت حسب ما علمنا ..سننتظر حتى يظهر في البلد ونرى دوافع هذه الخدعة التي ورطني بها أنا والدكتور.. ومن الذي دفن؟!

قال علي: نحن في ارتباك واستغراب، نحن ندير الشركات على أنه ميت، اخبرنا مكتب برلين أن السيد في البرازيل مختفيا لأسباب خاصة ، ولم يثبت موته إلا عندكم ويعلمون أنه حي

قالت بدهشة : يعلمون أنه حي منذ إعلان وفاته.

قال علي: بعضهم .. لماذا فعلوا ذلك لا يعلمون؟ اخبرهم محامي برازيلي أن السيد حي ؛ إنما ما نشر في وطنه الأصلي إشاعات ؛ إنما هو اختفاء هربا من عصابات ومخابرات ، فتكتم على الأمر كأنه ميت.. ولماذا تركوك على الوهم؟!

قالت: حقيقة لا ادري يا علي ! نحن لم نعلن وفاته إلا هنا بناء على شهادة الوفاة التي قدمها الطبيب في مالطا ، وكان الوضع الصحي يكاد يقول بموته فسلمنا بذلك

قال: كان في اختفاء اختياري لأسباب خاصة ، ويدير الأعمال من سان باولو

قالت: ولماذا جعلنا نعتقد موته هنا ؟وعشنا هذه السنوات على ذلك يا علي ! كانت وصيته غريبة ومثيرة للتفكير ، وسمح لي بإدارة الشركات والتوقيع عنه

قال علي: هذا ما لا نفهمه ! حتى حضور داليا وبول كان غريبا.. وهما جاءا من كوبا .. أنت والطبيب آق في ورطة من في التابوت الذي دفناه؟

قالت: هو أراد أن نعتقد بموته.. نحن على حسن نوايانا .. ولا افهم الغاية من هذه اللعبة المجنونة ؛ وكما ورطنا سينقذنا .. الآن فهمنا الست سنوات ومنعي من الزواج ..سأعقد اجتماعا هنا ولأول مرة لأوضح الموقف مم سيحدث؟

قال علي: وماذا سنفعل بالاجتماع؟ .. العمل يمضي بدون نذير وبدونك يا سيدتي ! عندما تلقيت الرسالة استغربت وتفاجأت .. خمس سنوات دون أي تلفون منه .. هل هناك لعبة وعملية نصب ؟ تحدثت مع مكتب المحاماة في برلين فأكد لي لما توثق من شخصي بأن نذيرا يعمل في البرازيل منذ اختفى لأسباب خاصة .

تنهدت وقالت: أنا صدمت بعد عودة لوقان آق من مالطا يقول لي يبدو أن نذيرا فعلا حي لا مستشفى ولا غرفة عمليات ، ولا ادري من في التابوت؟ علي نعمل اجتماع مصغر اشرح موقفي للإدارة أنت وبكر ولوقان ومن تحب .. وجومار في الهند كما رويت لك سابقا .. الثامنة مساء يجب أن افهم ولماذا حشرني في هذه اللعبة ؟ والجثة المدفونة لمن ؟ من الذي دفن؟

قال علي: فعلا جثة من التي حملتموها معكم ؟ وكيف لم تخاطبكم حكومة مالطا عن الجثة؟

تنهدت وقالت: لما رجع من رحلة اليخت كان متعبا يا علي وأمراض الأزمة كانت بينة عليه وأمراض الكبد كانت تصاحبه كما تعلم من قبل زواجنا فذهبنا للمستشفى عند النبأ ورأيناه مسجى على السرير والأجهزة لم ترفع عنه بعد ، وقالوا للوقان سيوضع في التابوت كان على السرير ميتا وفكت عنه الأجهزة والأوكسجين، وانطلق لوقان لمكتب الطبيب المشرف لاستلام التقرير وأخذ شهادة الوفاة ، ولما جهز التابوت واغلق تماما ، وحان وقت السفر نقل التابوت للطائرة ، وفتح في قصر الدفن وغسل وكفن وصلي عليه ، وحملتموه للمقبرة وواريتموه القبر الخاص بعائلته الكبيرة .. هذا فلم سينمائي يا علي مرسوم ومدبر ، ونحن شاركنا في اللعبة دون اتفاق معنا !

قال علي: حسنا! كما قيل لعبة كبيرة.. السبب مجهول وسيكشف ، وجومار ذهب بعد موته للمستشفى وظن أنه يحمل التابوت الذي فيه نذيرا .. وهو في الهند ومتهم بموت زوجته المحروقة أو المختنقة وسقوط ابنه الصغير أثناء الهرب.

قالت: عنده مشاكل كبيرة كما أخبرتك ؛ ربما اذا عاد نذير للقصر قد يعود اذا لم يحكم عليه بالحبس.. كان يدير طقم الخدم الهندي في القصر باقتدار وخبرة هل هناك إمكانية لفتح التابوت

ومعرفة شخص المدفون ؟

قال: الأمر ليس سهلا هذه جريمة دولية ! حسنا أيتها السيدة ! سنجتمع ونسمع ونرتب لعودة السيد ونعلن ذلك في الصحف .

أخبرت سلوفانا الطبيب بملخص الحوار مع علي يوسف ، ودعته لحضور الاجتماع للتفكير في عودة نذير للبلد وهو يقول ساخطا: لماذا هذه اللعبة الشيطانية؟! طار مخي ولم اعرف الهدف وهل زال الخطر عنه ليظهر حيا؟

قالت: لا احد هنا يعلم إلا أنه مات ، وبعض المحامين في برلين والبرازيل يعلمون بحياته ومات لأسباب خاصة حتى عني ما العمل ؟

قال:سأتحدث مع محامي في هذه القضية الصادمة .. لماذا خدعنا طوال هذه السنوات وأوهمنا بموته ؟

قالت: اصبر حتى يعود للبلاد .. ابني أين ؟

ضحك وقال: ابنك عنده !

قالت: ولماذا خطفه؟! أتراه قتله؟!

قال: لا أظن .. ظهوره سيكشف شيئا .. سيتعرض لمشاكل اذا كان خاطفا ، لن يعترف بخطفه أو قتله ..هذا مجنون حقا ! يستحق الحجر في مصح أمراض عقلية!

قالت: جثة التابوت !

قال: هذه القضية الكبرى بسبب اختفاء المستشفى وزيف التقرير ووثيقة الموت اعتقد أنك ستطلقين استعدي لذلك انتهى دورك في اللعبة الغامضة .

قالت: وهل الأمر بسيط لهذه الدرجة ؟!

قال بحيرة : نحن يا سلوفانا لا نعلم لماذا فعل هذا الجنون وهذا الإيهام ؟! وجعلنا نعتقد موته وننشره في البلد ونقيم بيت عزاء ولم تتزوجي وأضحت الوصية كأنها غير موجودة .. واخترع مسرحية المشفى وغرفة العمليات .. أكيد مخرج وممثلون قاموا بهذه اللعبة الجنونية شغل إنتاج

أفلام بدون تصوير .

قالت: سيكشف التفصيل كما قلت سنعرف الأسباب الخاصة لموته هنا

قال: هل هذا انتقام ؟!

****

تسرب خبر عودة نذير للحياة بقصة غامضة بعد سنوات من الغياب والسؤال الصريح لماذا كان هذا الاختفاء ؟! ومن الذي دفن ؟ وكيف نشرت سلوفانا ولوقان وفاته ودفنه ؟ومن خدعهما هل هو نذير نفسه؟

تكررت الاجتماعات بين السيدة وديانا ولوقان وبكر وعلي واطلعت السيدة والطبيب على نص الرسالة التي وردت من البرازيل التي تخبر بعودته ، وكانت الرسالة مطبوعة ؛ ولكن عليها توقيع وختم السيد ، وجاء فيها أنه تعالج في كوبا .

فقالت: لماذا كوبا ؟ ونحن كنا قبل تمثيلية الموت ذاهبون لميونخ؟

قال بكر: لم يفصح الرجل عن سبب العلاج في كوبا .. ولماذا كل هذه السنوات في العلاج ؟ هل لما سلمك الإدارة أنهى علاقته بنا ؟

قالت: لست ادري ولا علم لي بهذه الأفكار .. هذا لهو الجنون بعينه .. هل العلاج يحتاج أن يظهر ميتا ويورطنا في نقل تابوت على أنه فيه؟ هذا الجنون بعينه !

وقص الطبيب آق تفاصيل الرحلة لمالطا بناء على رغبته وقال : وقد وضح الآن لماذا عرج بنا لمالطا مع أننا كنا في عجلة للمستشفى في ميونخ للموعد المضروب معهم ؟ وذكر حفلة اليخت وصناعة مستشفى سينمائي وغرفة عمليات وغرفة انعاش وأنه مرض وفارق الحياة وقال مختتما القصة : واستلمنا الجثة داخل تابوت . وعقب : لم افهم هذه المسرحية ! وما هي الأسباب الخاصة وأساء لزوجته ولي بفعله الأحمق وسأقيم دعوة عليه وبدأت بها وسلوفانا ستطلب الطلاق فور عودته ، حرمها من الزواج خلال السنوات الخمس.. ولو تزوجت ماذا سيكون موقفها أمام القانون؟ تتزوج وزوجها حي ستتهم بالتزوير لتتزوج .

قالت: نحن لما استلمنا التابوت ظننا أنه فيه لما رأيناه ميتا قد فككت عنه بعض الأجهزة بحضورنا .. سأتقدم بشكوى للمدعي العام قبل الطلاق .

صاح الطبيب: لماذا أيها السادة فعل بنا هذا واحرجنا اليوم أمام الصحافة؟ لماذا هذه الحيلة السخيفة؟

قال علي: فعلا أيها الكرام الأمر غامض بشدة ، ما الغاية من ادعاء الموت حتى عشنا على أنه في حالة موت؟!

قال لوقان وعاد إليه الشك والوسواس : أنتم واثقون أن الرسالة هذه منه ! وليست لعبة جديدة

قال بكر : هذا ما يحير يا لوقان ! أنتم لم تفتحوا التابوت وترون من فيه.

قال لوقان: أبدا ذهب اعتقادنا أنه ميت وجثته دخلت فيه حسب العادة ، وطلب من المستشفى أن يدفن بالتابوت كما وصى وطلب منهم ، وهنا رفضوا الوصية بدفن التابوت إلا بعد تغسيله كما تذكرون ، وأخذ الأمر على حسن نية وأوراق وتقرير طبي.. نحن غرباء في مالطا، كانت الفكرة أن نذهب إلى ميونخ مباشرة، ليلة السفر زعم أن صديقا له يرغب بلقائه في مالطة ، الصديق اشترى يختا جديدا ويرغب أن يراه نذير في طريقه لألمانيا وعمل جولة لليلة واحدة فقلنا لن تفرق هذه الليلة ونزلنا في فندق وجاء الصديق ودعانا للاحتفال باليخت الجديد واعتذرت أنا وإياها، وحاولنا منعه بسبب صحته فقال ساعات ورجع ليلا منهكا من الشراب والنساء ونقل للمستشفى بزعم أن حالة أزمة قلبية وبعد أيام اتصل المستسقى مخبرا بموته فجرا فذهبنا لذلك المستشفى المزيف ورأيناه في الغرفة وقد فككت الأجهزة الحثية عنه وأخذت بإجراءات التقرير الطبي وشهادة الوفاة وجاء جومار بعدما جهزوه لينقل إلى المطار وحملت سيارة المستشفى التابوت وجئنا به

قال بكر: لم تشكوا بشيء وأن المستشفى مزيف.

قال لوقان: أبدا.. كان الفلم متقنا وبدون كاميرات تصوير .

قالت: لم نشك بترتيب وموت مزيف .. خرجنا به كما تعلمون بوضع صحي صعب بسبب

التهابات الكبد الدائمة ، ولم أكن أتدخل في عمله وإدارته ومراسلاته ، وهو شريك والدي وإخوتي والأسرة وتتابع الأرباح السنوية حسب الاتفاق

قال علي: الرسالة تزعم أنه في كوبا ولا هاتف في الرسالة ولا حتى عنوان مراسلة

قال بكر: هل يتعالج هناك من الكبد أم المخدرات ؟ولما هرب منكم بهذه الحيلة ؟ فكان يسافر مرارا بدونكم وبدون هذه الخطة.. الأمر يا علي ما زال يلفه الغموض !

قال لوقان : كان يقصد أن يظهر أمامنا ميتا خلال السنوات الخمس، ولما ذهبت لمالطا وجدت مكان المستشفى عيادة ولم تتحول العمارة إلى مستشفى أو مستشفى تحول لعمارة وظنوا أنني مجنون .

قال: قصة عجيبة ومحيرة!



الانتظار

مضى شهر على رسالة نذير إلى علي يوسف ، ولم يتصل ، ولم يكتب ، ومكتب برلين لم يتلق شيئا لأن السيد لا علاقة مباشرة له في شركة ألمانيا ، هو شريك لهم في رأس المال والأرباح وشركة محاماة تتابع أمواله واستشاراته ، انتهت علاقته الإدارية بالمصانع لما ترك ألمانيا ، وهم لا يعرفون أنه حي أو ميت ولا يهمهم ذلك ، الأرباح توضع في حسابه المعروف لهم.. من يستفيد من الحساب غير مهم؟ هذا ما تعرفه سلوفانا ، ووالدها هو شريك مالي وما زال عقده ساريا لم يطلب احد توقيفه أو بيعه .

كانت السيدة وعشيقها السابق لوقان في حيرة واضطراب من هذا الاختفاء، وعشيقها والد ابنها المخطوف جومار في معاناة مع البوليس الهندي ، وما زال ممنوعا من السفر حتى يغلق ملف القضية ، ويوجه الاتهام للجاني .

قال علي لبكر : هل من جديد ؟

قال بكر : الجديد الحيرة يا صديقي ! منذ وصول تلك الرسالة من كوبا ولم يصل شيء بعدها ونحن لا علاقة لنا بمشاريعه في البرازيل أو حتى كوبا .. نحن صدقنا موته ، والقرائن والملابسات تدل على حياته ، ولماذا الرجل يتصرف بهذا الغموض؟!

قال علي: والزوجة مصدومة هي وعشيقها القديم هل هو حي أم ميت؟

قال بكر : والرسالة!

قال علي لبكر : الرسالة كما رأيناها عليها توقيعه وختمه المعروفان لنا .. وهي قادمة من كوبا فعلا .. وكوبا بلد يعالج فيها المدمنون ومشهورة بذلك .. فالمشاهير المدمنون يعالجون فيها

قال بكر : قصته مع السيدة محيرة لماذا ورطها بهذه القضية؟ تظاهر بالموت وسافر لكوبا على أنه ميت حتى طليقته وبول يعيشان هناك.

قال علي: اذكر ذلك ، لماذا فعل هذه الفعلة؟! مرضه معروف قبل نقل نشاطه الاستشاري بنفسه لهنا ، وكان رجل شراب وزنا ، وكان يأخذ حقن منع الحمل ومبيدات المني خشية أن تنجب له

اعتقد أن لدى السيدة وصديقها الطبيب أمور أخرى لم يفصحا عنها يا دكتور بكر وهل جومار انهى خدماته؟

قال بكر : لا ، لا، ما زال موظفا في القصر ،وعلمت أنه متهم بحرق زوجته أو قل مشتبه به ونحن لا علاقة لنا بخدم وموظفي القصر علاقتهم مع نذير ثم مع السيدة.

قال علي: الاختفاء خمس سنوات غريب ومزعج حتى السيدة اختفت لشهور للمعالجة من إدمان الكحول .. الحمد لله أن العمل لا يتأثر كثيرا بتصرفاتهم .

قال بكر : أنا كنت افكر بعد تملك السيدة أموالها بشكل كامل أن اطلب منها بيع حصتها في المجموعة ونعيد هيكلة المجموعة من جديد ، وقد نتخلص من بعض المصانع .

قال علي: تحدثت معها بذلك.. تحدثنا وقالت كنت افكر بذلك وبيع القصر والعودة لوطنها في ألمانيا .. لا شيء يربطها بهذا البلد فموطنها أوروبا.

قال بكر : ألم تختار زوجا لليوم؟!

قال علي: الوصية أجلت فكرة الزواج والزواج .. وإلا عدد كبير سعى لذلك ظهر البرت قريب أمها، الدكتور لوقان مع أنه متزوج وله أولاد ؛ لكن المال يغري

قال بكر : هذه المرأة جميلة وحولها الأصدقاء.

قال علي: شاع قديما عن علاقة آثمة بينها وبين الطبيب، وغضب منه نذير، ثم قل اتصاله بها فبقي مجرد طبيب.. الدكتور بسيل صديق نذير ـ شلة نادي القمار ـ سعى للزواج منها بعد موت نذير وفشل وطاردها هو وغيره بالرسائل والمحاولات ، وطلق زوجته لتحقيق هذه الرغبة حتى هلك من قريب بسرطان القالون ، وحلم منذر بذلك ، طلق زوجته والتهى ببنات الملاهي ، التقيته مرة فقال عن صاحبه : مات وهو في حسرة من فشله بالزواج منها كان يعشقها كالمراهق وقال متحسرا : ابتعدت عنا بعد موت نذير ، وفقدنا حفلات القصر والقط الأسود والأحمر

قال بكر : نعم ، تحدثت السيدة عن إزعاجه لها ..السيد كان يلعب القمار

قال علي: تعرف عليهم في نوادي القمار ..كان مقلا يلعبها كهواية وتسلية .. همه النساء

والزوجات .. وفرصة للقاء نساء علية القوم كما يقال .. لأن هذه النوادي يغزوها الأثرياء وأصحاب الأموال والأرصدة الكبيرة .. شعاره النهار عمل والليل سكر ونساء .. وكان يجب أن يكنّ من المتعلمات كالمهندسات والطبيبات .. ليس سرا كان يجلب فتيات من أوروبا وروسيا يقضين ضيوفا في شقتيه للمتعة والتسلية.

قال بكر : المال .. هو يريد المتعة والفسق وهن يردن المال .. كانت سلوفانا تضيق من ذلك وطلبت منه ممارسة دعارته خارج القصر .

قال علي: كما قلت قبل ثوان الشقتان كانتا مسرح العمليات ، وكانت تعلم بأفعاله وساكتة ؛ لأنها تزوجته من اجل المال؛ لكن قصة الموت لليوم لم افهم المغزى منها!

قال بكر : من يعش سيعلم الحقيقة والسر .. الوصية كانت مريبة ، ولم ندقق فيها والميراث كتب تأخيره بعد مضي السنوات

قال علي: إنها تعيش صدمة .

قال بكر : كسبت الأرباح خلال السنين الماضية أهي غنية؟

قال علي: لقد كانت وما زالت تملك الملايين باسمها وحدها.

****

القصر يرقب عودة نذير حسب الرسالة التي أرسلت للسيد علي ، دخل جومار القصر واستقبلته السيدة أمام القصر ، ورحبت به وعانقته أمام دهشة الحرس والموظفين ، فقد ذهب جودت لجلبه من المطار ، ذهبت به السيدة إلى مكتبها الخاص تصحبها نورما التي احتلت مكان السيدة ديانا التي رحلت لتركيا .

ادخل الخدم القهوة واستأذنت نورما بالعودة لمكتبها ، فلما اغلق الباب نهضت السيدة وعانقت السيد عناق الولهان ، وعادت لمقعدها ، وقالت: ابننا ما زال مفقودا لا جديد ، وما حدث معك قال: لم يستطيعوا اتهامي لنقص الأدلة ، واستطاع المحامي بعد جهد جهيد أن يسمح لي بالخروج والعودة للعمل ، وتعهدت بالمثول بين أيديهم في أي وقت يطلبونني فيه .. وهل من أخبار عن

عودة السيد ؟

قالت: كما أخبرتك ، بعث رسالة غامضة للشركة ؛ بل للدكتور علي ، ولم يتطور شيء بعدها ولم يعد ونحن نعيش في حيرة وارتباك.

قال: هل حقا هو حي ؟

قالت: مكتب المحامي في برلين يؤكد أن الرجل غير ميت ، وأرسلت لهم صور التقرير وشهادة الوفاة ، وتحدثوا مع مالطا ، وارسلوا لهم الصور، فنفوا وجود هذا المستشفى في البلاد ومعلومات التقرير ورقمه لا وجود لها ، ودائرة توثيق المواليد والموتى لا يوجد فيها اسم هذا الشخص ولا وزارة الخارجية لديها وثائق باسمه كميت حتى أمي وأبي دهشا من حياته.. هم مثلي صدقوا بموته ، ولم يهتموا بحياته أو موته، فالعمل هو شريك مالي فقط انسحب من مجلس الإدارة عندما رحل لهذه المدينة ، وكانت الأرباح توضع في حسابه حتى اليوم ، وستوزع ثروته بعد السنوات الست.

قال: لماذا وضعنا في هذا المأزق؟

قالت: لا تفسير عند احد سيد جومار ، طلبنا التحقيق في الجثة التي في التابوت ، رفضت السلطات حتى يظهر السيد حيا فإخراج لجثة مربوط بحياة نذير فعليا حتى يفهموا هذه الخدعة واللعبة.

قال: ونحن ماذا سنفعل؟

قالت: سأطلب الطلاق فورا فور ظهوره ونتزوج في ألمانيا.

قال: ويقبل والدك!

قالت: هناك لا دخل للأهل في حياتي الخاصة ، ويمكنك أن تعيش مع امرأة بدون عقد

ـ والولد

قالت: عندما نتزوج ننجب غيره بإذن الله.. أنا أبي مسلم مثلك.. أمي بروتستانتية

قال: أنا احب أن نعيش كزوجين ، يصعب عليّ الحياة على طريقتكم الغربية

قالت: أنت حبيبي وجعلتني أما.. أنت والد ابني .

قال: سنستمر بالبحث عنه بإذن الله .. ما رأيك أن نعيش في الهند؟ فبومومباي مدينة عظيمة وبلد المال والاستثمار في الهند.

قالت: بعد الطلاق والخلاص نفعل.. أنا احب الشرق وسحره .

قال: ألم يعلم ما فعلنا؟!

قالت: صدق لا ادري، لم يحدثني يوما عن شكه فيك وبما يأكل ويشرب .. قضيتك ليس لها حل.. إنني بشوق إليك .. كان وجه مايكل بلون وجهك.

قال: وأنا كذلك كلي شوق.. واحلم باليوم الذي نعيش في أمان ؛ ولكن الوصية الخبيثة جعلتنا نصبر ونؤجل الزواج على غير ما رسمنا ودبرنا .. وأنا احتفظ بصور مايكل .

قالت: هل ستمكث هنا؟

قال: مسموح لي العمل والبقاء حتى يحتاجني البوليس.

قالت: وكيف سيعرفون الفاعل والقاتل؟

قال: لا ادري كيف ؟!اذا اعترف شخص بذلك فتتم براءتي من افتعال الحريق

قالت: ألا تعرفه أنت؟

قال: لو عرفته لا استطيع اتهامه .. أنا لا ادري لماذا فعل ذلك ؟ كنت افكر بالطلاق لولا الطفل جان كومير .. وأمرُنا كان ينتظر السنوات الست ؛ لنغادر البلاد .. النساء عندنا لا تحب الطلاق ولكنه يقع .

عبرت له عن حبها وشوقها ، وأنها ستكون له فور طلاقها ، وأن نذيرا انتهى من حياتها وسيبحثان عن الولد ، قالت : الدكتور لوقان يرى أنك قتلت زوجتك تمهيدا للزواج ؛ لأن قوانين ألمانيا لا تقبل الجمع بين الزوجات.

ضحك وقال: لماذا اقتلها ؟وهي ترعى الشاب الصغير ، وابني الكبير يعمل بعيدا عنا ، وتزوج في دلهي وهي ليست أمه .

قالت: حسنا! باشر عملك في القصر كالمعتاد ، وأنا في انتظارك آخر الليل اشتقت إليك فقبلها وداعبها وخرج لمكتبه ، واجتمع بنورما والموظفين ، وكان يقول لنفسه : هل استمر مع هذه الأنثى أم اهرب؟ هل نذير حي ؟ وهل له يد في سعيه لحرقي ؟ فحرق المرأة لاتهم بقتلها هل كان يعلم بتبديل بعض حبات الحبوب بطلب من لوقان وسلوفانا ؟ دفعتني إلى الجريمة بزعمها حبي .. أغرتنا نحن العاشقين بالجريمة .. اذا اكتشف عشقي لها والتآمر معها وعرف أن مايكل ابني من زوجته لن يرحمني .. إنه حقود وماكر، له يد في قتل الزوجة يتكشف لك يا جومار .. عشرة سنوات معه !

****

سيطرت سلوفانا سيطرة كاملة على جومار بعد أن ابتعد عنها لوقان بسبب اكتشاف نذير العلاقته بينهما ، ورغبت بجومار للمتعة وتخلي نذير عن معاشرتها منذ تركا ألمانيا ملّ منها ومن جسدها كما توقعت ، فهو لا تبقى له عشيقة إلا أياما أو بعض الأسابيع ، ولكن احترم مشاعرها كما يزعم ومارس فجوره في شقق خاصة كما مر معنا ، فلما ابتعد الطبيب ومنعه نذير من النوم في القصر استطاعت إغراء جومار والإيقاع به واستسلم لها ويستغل الليالي التي لا يعود نذير فيها للقصر ؛ ليكون بدلا منه حتى أعلمته بحملها منه واستقبلت ذلك بفرح وأن هذ ا هدف لها وسعت إليه من الاتصال به فأصبح زوجا لها وبحذر شديد .

كانت تعيش في جناح خاص ، وخادمتها الفرنسية التي تعاقدت معها تنام خارج الجناح ووجدت كخادمة وعين وليطمئن نذير بعدم تسلل لوقان للمبيت معها .

فكان جومار يغشاها اذا كان السيد خارج القصر حتى الثانية فجرا خشية أن يعود ليلا بعد سهرة في نادي ، وكانت تستقبله بحب ووله بعد ولادتها منها ، فاصبح هو الزوج الحقيقي لها فيقضي بين يديها ساعة من الزمن ، ثم يتسلل لحجرته ، وكان نذير يعجب من عدم رغبته بإحضار زوجته ، والفرنسية جوليا تؤكد أن لا احد يدخل عليها ؛ لأنها هي نفسها كانت مشغولة بأحد خدم القصر رغم وجود الزوجة ، وكانت تدفع له مقابل الفاحشة كما فعلت

زوجة منذر مع رومو .

كان جومار رغم السنوات والعادة يخشى انكشاف أمره والتعرض للأذى البدني كالقتل ، وكان مهيئا نفسه للفرار معها للهند عند الاضطرار ، وهي لم تمكن أحدا من رفاق نذير أن يشاركها الفراش رغم ترخيصه لها بالفجور ، فجومار الزوج والخادم الأمين والشريف والزاهد في النساء أمام سيد القصر والخدم والحرس ، وكان نذير يحتقر الخدم ، مع حاجته للخدم ويعجب نفسيا كيف رضوا بهذه الحياة ؟ ويخدمون السادة ، وكانت سلوفانا تدرك لو عرف أنها عشقت الخادم ليصاب بالجنون ؛ لذلك كانت تظن أنه لا يخطر بباله أن تعيش حياة فسق مع خادم أو حتى رئيس خدم ، فكيف لو علم بحملها منه ، وكان جومار يعلم هذه الحقيقة والنظرة الطبقية منه للناس ، وكيف سر عندما رآه يطرد الخادم رومو الذى مارس المتعة مع فريدة واعتبرها منحطة وحرمها من اللقاء به.. لم يكن يزني ببنات الهوى والمومسات كانت فرائسه من بنات وزوجات الأرستقراطية وعلية المجتمع.

والسيدة كانت تراه افضل عشيق عرفته في عمرها ، ووجدته الأفضل بعد خروج الدكتور لوقان من حياتها كعشيق الذي شك به نذير ، وهو متزوج وله صديقات غيرها كما صارحها بذلك.. ولم تسع للتحقق من هذا الادعاء.

فكان جومار خاتما بيدها ، ونذير يصعب عليه أن يصدق أن تتخذ منه عشيقا ، والخادمة أكدت له بعده عنها ، المرأة عندما تفجر تستطيع ترتيب الأمر والظروف ، ولا يهمها الفجور مع ملك أو عبد ؛ لأنها أصبحت تخضع لشهوتها الجامحة ، واستطاع جومار أن يكون الفارس الملبي لها رغبتها ورغب هو بذلك وإن تظاهر بغير ذلك وقبل هداياها ومالها ونسي زوجته أليشا بالان ، وكان تتدعي في قلبها الانتقام من زوجها، الزوج المستهتر بعلاقته النسائية "كما تخونني أخونك" ولكن جومار خادم يا سلوفانا وتقول : أأمن !

لذلك بعد رجوع جومار للقصر عادت الليالي الخاصة بينهما من الفحش والزنى ، فجوليا فصلت وعادت لبلادها من قبل بسبب رحلات سويسرا ، كانت تجلس وفتحت جهاز

الحاسوب الخاص بها لتتفقد الاميلات الإلكترونية ، فلها أيام لم تنظر إليها ، ولما شغلته تبين أن في الجهاز قرص سي دي ارتبكت ، فهي من النادر أن تضع القرص، ولما اشتغل الحاسوب فتحت القرص ؛ فإذا هو فلم ، يصورها وهي عارية على السرير وجومار ينظر إليها ، فأوقفت الحاسوب ورددت: من فعل هذا ؟! وتابعت المشاهدة فلم اباحي لها مع جومار خلع ثيابه واعتلاها .. ربع ساعة مدة الفلم ، ثم خرج أو اختفى عن الكاميرا ، دهشت وجنت من الفلم وممن صوره ؟وممن وضعه في الحاسوب ؟ الصور في نفس الحجرة لكن الأثاث الموجود غير الموجود في الفلم فهذا يدل على قدمه .. متى ؟ ومن وضعه في الحاسوب ؟!

ارتدت الثياب وذهبت لمكتب جومار ، وهي تحمل القرص ، واستمع لها فصعق ، وامتقع وجهه وهو يشاهده وقال : كيف حصل هذا ؟!ومتى؟! يبدو أنه قديم منذ اعترفنا بحبنا .. الأثاث يدل على ذلك هل كان في الحجرة كاميرات سرية؟

وقالت : الفلم يؤكد ذلك ، كنا مكشوفين لنذير !

وقال : هل هو الذي صوره وسكت عنا تلك الأيام ؟

قالت : كيف وضعوا كاميرا في حجرتي؟

فسر لها قائلا : كنت تسافرين خاصة فترة الولادة فدسوا الكاميرا ، هل هن موجودات الآن سأعمل تفتيشا.

وقالت : والقرص !

وقال : احدهم دخل حديثا ووضعه في حاسوبك .

وقالت : وكيف أكدت أنه قديم ؟

قال : من أثاث الغرفة وألوان الستائر ، وهذه الألوان والموديل كانت في فترة بداية حبنا

وقالت : هناك غيرة وانتقام ومكر

وقال برعب : أنا لا احتمل هذه اللعبة .. علينا بالهرب يا سلوفانا ! لا ندري ما يخطط لنا.. أنا سأهرب يا سيدتي ونلتقي في الهند هناك مليار بنو آدم يعيشون فيها.

قالت بتأمل : وهل هذا يحل الإشكال؟ تمالك أعصابك .. أنا حرة في جسدي ، وهو يعلم أنني مارست الفسق مع غيره في رحلاتي السياحية .. هو الذي يزعجه العشيق الدائم ليس ليلة مع هذا وليلة مع آخر .. لماذا انزعج من لوقان وسمح لشلته الأطباء أن يحاولوا معي وإغوائي ؟ لماذا ظهر هذا الشريط في هذا الوقت ؟ ومن ادخله الغرفة ؟ سأتحدث مع علي .

اتصلت فورا بعلي ، وذكر أن الرجل لم يبعث شيئا بعد تلك الرسالة لليوم، وهم في حيرة من صحة الرسالة رغم وجود التوقيع والختم.

قالت لجومار : لم يخبر بعودته .. لم يظهر

قال : هل عاد دون الاتصال بهم أم أنه كاذب؟! كيف وضع القرص في حاسوبك الشخصي؟

وقالت : ولماذا يكذب وأنا التي كلفته بإدارة الشركة ؟

قال : إني مرعوب يا سيدتي ! فلماذا صورنا وصمت طيلة هذا السنوات؟!

قالت : ليقول لي إني مطلع على خيانتك منذ بدأت ، وقد يكون هو وراء قتل زوجتك يا جومار

قال : حياتي إذن في خطر! وقد كنت أنا المقصود بحرق غرفة نومي.

وقالت : اجل هذا بين الآن .. من الجاسوس علينا ؟

وقال : ما تقولين في هذه السكرتيرة التي استلمت مكان ديانا؟

وقالت : إنها تعمل منذ وفاته هنا ، وعملت مع ديانا فترة علاجي في بازل ، وعلي رشحها للعمل معي.

وقال : لا يوجد موظفون جدد غيرها ، والحرس يستبدلون من الشركة الخاصة بالأمن ، ولا يدخلون القصر مساكنهم عند الباب .

قالت : قد يتسلل احد الخدم .

وقال : الذي دخل رجل ذكي ! أين زرع كاميراته ؟ وهل ما زالت موجودة؟

وقالت : اصعد للجناح وسأجلس مع نورما ، واذا لم تكشفها سندعو مهندسا للبحث عنها

وقال : بالك هل ما زالت ؟ والفلم قديم التصوير .. سنغير موقع اللقاء

وقالت : في حجرتك لا اصبر عنك ، وأحضرت لك أدوية تنشطك .. دع الخوف واذا حدث الطلاق فورا سنتزوج.

وقال : أنا خائف سوف انتظرك في الهند ؛ لعله اكتشف إنني ساعدتك في الخلاص منه

وقالت : لا اعتقد أنه عرف .

وقال : هو يعاقبنا من اجل ذلك ؛ وليس من اجل الحب والغرام.. عليّ بالهرب

قالت : والهرب هل ينجيك من انتقامه؟ لقد خطف ابننا يا جومار فهذا هو الانتقام .. أنا لست ضعيفة .



حياة نذير

نذير عاش طفولة بائسة أخلاقيا ، والده مهاجر شرق أوسطي إلى البرازيل ، عمل مهندسا في شركات الكيماويات وصناعة البترول ، تزوج امرأة ثرية في سان دي جانيرو ، وولدت له وكان أخرهم نذير ، عندما كان نذير طفلا دون الخمسة دخل حجرة أمه فجأة فرأها في أحضان رجل غير أبيه ، عارية وهو عار ، فلما شاهدهما صعق ، مشهد تخزن في الذاكرة ؛ كما كان يقول لأمه وأبيه ، وصاحت أين كارينا ؟ المربية تقصد ، ونهضت عن السرير ودفعت العشيق بعنف وهي تصرخ : لماذا لم تغلق الباب بالمفتاح ؟

فقال وهو يلبس ملابسه: لقد نسيت لما رأيت جمالك يا حبيبتي!

جاءت المربية مهرولة فصرخت فيها :كيف تسمحين لنذير يدخل علينا؟

وقالت : ظننته مشى للحمام سيدتي !

هذا المشهد تكرر منه متعمدا لتكف عن الزنا في البيت ، أنبته أمه ووبخته ، ولم يرتدع ، وانبه والده بالدخول حجرة النوم دون قرع الباب ، واتهمه بالكذب عن حديثه عن رجل مع أمه ، وتكرر هذا المشهد في طفولته ، فوالدته لم تعبأ بأبيه حتى أنه لم كبر ودخل الجامعة سأله عن سبب صمته فقال له: أنا مريض وضعيف جنسيا ، وأمك عاهرة وأنتم خمسة .

وبعد هذه التكرارات أرسل لزريق عند أعمامه وعائلته الكبيرة لإكمال المدرسة ، ورجع لدراسة الجامعة كلية الاقتصاد في فلوريدا الأمريكية ، وكلما زار البرازيل وجد أمه كما تركها تعبث بعشاقها أمامه بدون حياء ؛ لذلك كان يمارس الفسق مع الفتيات دون تأنيب ضمير وأخلاق رادعة ، ولما تخرج من الجامعة بكالوريوس إدارة اشتغل مع أبيه في احدى شركات العائلة ثم أرسله والده للعمل في الصناعة مع شريك له ، ثم تعرف على مستثمرين في صناعة السلاح والطائرات الحربية ، وتعرف على احد الكبار وتعلق بابنته داليا ، وخلال سنوات امتلك ثروة كبيرة وتزوج ابنة غسال حيتان ، ثم اكتشف أنها عشيقة لابن زوجة غسال المتبنى بعدما طلق والدتها البرازيلية ؛ حيث تزوج امرأة غنية لها ابن متبنى من زوجها الأول ، وولدت له داليا وهي

على ذمته أمام القانون ، فلما علم نذير بالولادة أراد أن يطلقها فهربت بابنها من أخيها إلى كوبا فترك الأمر لتبقى الشراكة مع غسال الذي يستثمر أموال الأرملة الثرية ، ونسي موضوع داليا ، وكان يعمل ويستثمر مع آخرين في الصناعات الثقيلة ، ولم يتزوج على داليا ولم يطلقها ،والتهى بغانيات رجال الأعمال، ولم يعترف ببول ابنا ، وفي كوبا تزوجت عشيقها وحمل بول اسمه وهي غير مطلقة ، وكان نذير يستخدم الواقي الذكري وأدوية منع الحمل حتى لا يخدع كرة أخرى، حقق السيد نجاحا كبيرا في البرازيل وتشيلي حتى اصبح له شهرة بين رجال الأعمال في العالم ، وذلك في حوالي خمس عشرة سنة ، وكان والد سلوفانا يمر بأزمة عاصفة في بعض الشركات في وطنه برلين الغربية ، والتقى به أثناء رحلة في البرازيل يتفقد استثماراته في صناعة السيارات والشاحنات والجرافات ، وعرض عليه أن يستثمر بعض الملايين في ميونخ وبرلين وفرانكفورت ، فانتقل لألمانيا مستثمرا ، والتقى بسلوفانا وعشقها من أول لقاء ، وحاول معاشرتها بدون زواج ؛ ولكنها ادركت تأثير جمالها عليه ، وتزوجا كما مر معنا ، ولما رتب أمور الشراكة مع والدها وأسرته عاد لبلده ليعيش فيه ويتابع استثماراته وقد شيد القصر قبل عودته لزريق .

كان يكره النساء بشدة رغم العشق النهم الشديد لأجسامهن ، وكل عشيقاته من الطبقة المخملية، لم يجامع بنت هوى أو مومس .. بنات ليل ؛ إنما الطبقة العليا ؛ لأن المال والذهب والسهرات هو السلاح الذي تسيل له لعابهن ، جل عشيقاته بنات عائلات ثرية ، كانت أمه لها من العشاق حسب كل جيل ، كان الماضي لأمه يرهقه، ولا يثق بأنثى، وأخواته إنه أخواته وجدهن مثل أمه ، ووالده لا ذكر عنده ، كان عاجزا عن إتيان النساء لمرض أصابه، يتفرج على أفلام الإباحية ، ومارس الزنا مع نساء القمار إلا ريما مع علمه بأن منذرا وماهرا وعريفا نالوا منها ، كانت ترهبه وتخافه ، وكان يعلم بعشق زوجته المهجورة بلوقان طبيبها وطرده وتشاجر معه ، ثم اكتفى بأن يكون طبيب القصر ، ولم يعد يقبل بياته في القصر ، كان لا يحب لزوجته أن تتخذ عشيقا دائما ؛ ولأنها امرأة بحاجة لمن يداعبها وتداعبه ، وكانت تسكر مثله لبغضها له ،

فتهرب للخمر والحشيش وفترة تعاطت الكوكائين، وتعبت منه ؛ ولكنها لما اتخذت جومار زوجا سريا حتى تحمل منه جنينا بصحة جيدة ، كان لا يحب أن يعرف عشاقها العابرين سواء هنا أو في أوروبا ، وادرك أن الطبيب ملّ منها وأصبح صديقا وطبيبا لها فحسب ، ثم تفاجأ بعلاقتها بجومار الخادم وقال لنفسه : لهذه الدرجة انحطت يا الهي! لما تسيطر الشهوة والرغبة على الإنسان مثلنا ، خشي الفضيحة رغم الصدمة ، فزاد الاحتقار لها فصور لها فلما مع الخادم ، واكتشف أن حياته بخطر منهما ، وأنهم يدسون لها السم البطيء كلما يتحسن الكبد ينتكس ، ويزعم أن المخدرات والكحول والنسوان السبب ؛ لكنه لم يعرف كيف يسمم ؟ ثم اكتشف أن زوجته ولدت من الهندي من سنوات كما فعلت داليا اكتشف ذلك من مكالمة خاطئة في البداية لم يعرف من أبيه ، كانت السيدة في أوروبا تتفقد ابنها وجومار في إجازة فركبت الكاميرا الخفية في مكتب جومار ، وفي غرفة نومها ، كان يحبها كلما يهم بالانتقام يقف جسدها الذي ارتوى منه حائلا من الانتقام ، فهو لا يقربها ربما كل بضعة شهور كإحسان ، ففكر بالتظاهر بالموت ، وبدأت الخطة عندما مرض ليلة القط الأسود.

****

تكشفت للسيدة أن علاقتها المحرمة بجومار مصورة ومكشوفة كل هذه السنوات بناء على أن القرص مصور من زمن بعيد ، وكانت تقول له: أتراه يعرف بحملي منك؟

قال : اعتقد ذلك ، لم يكن غبيا نحن كنا الأغبياء يا سيدتي ! فهو رجل يتعامل مع الكاميرات في المصانع والإدارة والفنادق .

وقالت : هل وجد المهندس مكان الكاميرا؟

وقال : يقول لا يوجد في غرفة النوم أي كاميرا ؛ ربما استعملها في وقت ما أو كاميرا غير ثابتة في دمية في تحفة في زجاجة عطر ثم أخفيت .

وقالت : وهل عرفت من وضع القرص في الحاسوب ؟

قال : لم استطع معرفة عين نذير ، إنني مرعوب أعيش في رعب يا سيدتي ! سيعمل على

فضحي سأقدم استقالتي والنفاد بجلدي .. هل تستطيعين حمايتي ؟ أنت زوجته الشرعية وألمانية فلا يستطيع إيذائك ، والذي سعى لحرقي سيكرر الفعلة .

قالت : أنا اقدر ضعفك أيها الحبيب ! وأنا مثلك موقفي ضعيف ..الشواهد الصبيانية تدل على جنونه ؛ فكان طلاقي اسهل من كل هذه الألعاب ؛ لكن ابني ضاع في هذا الصراع هل هو حي وهل عرف بأننا كنا نتآمر على حياته.. الطبيب لوقان اخبرني أن السم لا يمكن أن يعرف تظهر آثاره فقط .. هي عقاقير طبية وهو كان مريضا بالكبد ، ولم ينقطع عن تعاطي الكحول فبدل أن تساعده على الشفاء تساعد على قتله .. لقد تعامل مع لوقان بقسوة وحقد فقبل الدكتور المساعدة على الفتك به ، ولما انسحب الطبيب من حياتي ، وجدت نفسي افكر فيك ووجدتك في لهفة إليّ ، وفكرت فيك كثيرا قبل المغامرة بسمعتي ، وجدتك محبا لي كما أحببتك وأحببت أن ألد منك وأحقق ذلك ، وما زلت احبك يا جومار ، واحلم بالزواج منك ، وأنك الرجل الذي أحببت أن أختم حياتي بالزواج منه وستكون الزوج الأخير لسلوفانا.

فقال : وأنا أحببتك من قلبي وبصدق ؛ ليس فقط من اجل الشهوة ، أنت غامرت من اجلي فأنا احلم أن أعيش معك زوجا وبأمان، وعشنا السنوات الخمس على هذا الأمل، ونجتمع بابننا .

قالت : فهذه الأقراص لا تخيفني هي مزعجة فقط، واذا سافرت لا قيمة لها ، وأصدقاؤنا هنا لا أهمية لهم في حياتي ، كما تركت أصدقاء ميونخ وبرلين فنتركهم ، هم مجرد ذكريات لا علاقة حميمية مع احدهم ، رأيت ما فعلت بشلة وأطباء نذير ؛ كأنهم لا شيء ..أنا أحببتك وحدك فهو يحب عشرات النساء.

وقال : عليّ يا سيدتي بالعودة للهند حتى ترسلين لي ونجتمع للابد ، وسأحاول مساعدة الشرطة بكشف ملابسات حرق الشقة وادفع عن نفسي الشبهة

وقالت : هل أنت متأكد أن في هربك تحفظ حياتك ؟

وقال : اعتقد ذلك .

وقالت مشككة : قد ينال منك هناك.. أنت هنا بحمايتي وحماية قانون البلد.. ونحن لا نستطيع

الزواج قبل طلاقي رسميا .. أنا لست أرملة عشنا الوهم كما أراد ، واذا عدت للهند سأغادر إلى ألمانيا حتى يظهر الميت الشيطان نذير خاتم ، ثم انتقل إلى جنيف في سويسرا وأقابل المحامي وربما آتيك الهند .

وقال : أما من خبر من المحامي؟

وقالت : لا خبر.. السيد نذير ينتقم منا بلا شك .. جريمة شكلها انتقام .. أنا حذرت لوقان منه

وقال : أيمكن أن يقتله؟

وقالت : قتلنا ...الحقد وحش يا سيدي!

وقال : ولماذا صنع مسرحية الموت؟ للانتقام

وقالت : نعم ، عشنا في وهم ولهفة انتظار السنين لامتلاك الأموال.. الأعمال لا تهتم بموته كما يموت الكثير ، وحصته تنقل لغيره ، والأموال لورثته.. على كل تملكت الكثير من الأرباح خلالها وهي باسمي ، ولما نقترن سأكتب وصية لصالحك ؛ لتثق بحبي لك ، وسنسعى لحمل جديد ؛ ولعله يحدث قبل سفرك .

وقال : كانت الست سنوات للتضليل.. لعبة ذكية !

وقالت : سأبدأ بفحوص إخصاب يا جومار ! أرجوك لا تتعجل .. نحن في أوروبا لا يهم الحمل بزواج وعقد وغير عقد .. المهم أن تقوم العلاقة برضا الطرفين دون اغتصاب

وقال : أنا مستعد ؛ لأنني ربطت نفسي بك .

امضيا شهرا يمارسان الجماع ، ولم يحصل أي حمل ، ويبدو أن الخوف أثر على نشاط جومار وحسم الأمر بالرحيل .

وقالت : ألم تعرف عين الرجل ؟

وقال : كلهم عيون له

وقالت : الخدم في القصر

قال : الأمر محير كلهم هنود إلا اذا كانت نورما

وقالت : لا اعتقد أن لها دورا .

وقال : المال

وقالت : هي موظفة جاءت القصر بعد موته وسفري للعلاج .. ها هو قرص ثاني يوضع في الحاسوب يا جومار ! كنت عند الطبيبة أنا وإياك وضع قرص حاسوب ولما عدنا وجدناه

وقال : سأجن لابد من هربي قبل أن أموت رعبا .. اهربي إلى والديك .

****

جلست السيدة مع عشيقها القديم الدكتور لوقان فريد ، واطلعته على خوف جومار الشديد من عودة نذير ورغبته بالهرب من البلد وترك الوظيفة . والطبيب هذا كان العشيق الأول لما رحلت إلى المدينة وابتعد عنها نذير ، وملها كما يمل عشيقاته بسرعة ، فتعرفت عليه أثناء وعكة ألمت بها وتردد على القصر كطبيب عن طريق ديانا ، ووجد الدكتور أنها تعاني من الوحدة ، وبدا معها قصة غرام ، فكلما يسهر نذير تتصل به ، ويقضي الوقت معها ، ثم يغادر القصر ووصل خبر الخلوات بها لنذير ، وصور لهما قرص فيديو ، وأهداه إياه ، فابتعد مطرودا ومفضوحا ، وبعدها تزوج وبقيت علاقته بها كطبيب خاص ، وذلك بعد منازعات بينهما ، ورفضه معاشرتها كزوجة ورفضه طلاقها بشكل قانوني انتقلت لجومار خادم نذير الأمين ، وحملت منه وبمعرفة من الطبيب الذي ساعدها في إخفاء الحمل ظانا أن والده ذكرا أوروبيا، وسعى معها وجومار بالقضاء على نذير بإبدال أدوية الكبد بأدوية تزيد من حالته المرضية ووضع أدوية فاسدة أو منتهية الوقت والصلاحية دون أن يدرك نذير ذلك ؛ لأن هذه الأدوية تأتيه مباشرة من ألمانيا أو تركيا ، فلوقان مصدر ثقة عندها وشريك متورط معها حتى أنه بارك لها عشقها وتفريغ شهوتها مع جومار ، فلما حدثته عن مخاوف جومار من اللقاء بنذير ، شجعها على تركه يهرب ، ولما تتطلق تتزوجه قانونا ، ويبدآن من جديد ، وحدثته عن الأقراص الإلكترونية في حجرة نومها ، فزاد يقينه بوجوده بينهم متخفيا وبجواز سفر برازيلي وقال: هذا شيطان . وتذكر القرص الذي

أرسله إليه ليبن له أنه على علم بما بينه وبين امرأته.

فقالت : لابد أنه ادرك سعي للقضاء عليه.

فقاف : هذه الأدوية من الصعب كشف خطرها ، فالمنوم منوم واذا اخذ الشخص زيادة فيموت منتحرا ، وأدوية الأعصاب والأمراض الصعبة تتحول لسموم ، فأدوية القلب لو اخذ الشخص جرعة زيادة تسبب له مشاكل أو الوفاة ، والتشريح يبين ذلك وينسب الخطأ للمريض بعدم التزامه بالجرعة المقدرة ، والمختبرات الحديثة تسطيع تحليل الأدوية وتحدد خطرها ، الأسبرين تناول عدد كبير منه كجرعة واحدة تؤدي للموت ، نحن كنا نستبدل حبتين أو ثلاث ليبدو الأمر طبيعيا ، وأن الأدوية السبب ، يمكننا استخدام الأدوية كسموم والخطر عليّ وعلى وجومار اكثر منك .. أنا أوفرها وجومار يضعها في علب الأدوية الخاصة

قالت : الخطر على الجميع ، سأطلب الطلاق فور ظهوره ، لا استطيع طلب الطلاق إلا اذا ظهر حيا .. أنا أرملة في نظر القانون ، لا تطلق

قال: نعم أنت أرملة حتى يخرج من القمم

قالت: واذا لم يحضر في وقت قريب سأغادر لألمانيا ، وألتقي بالأسرة ، وأراجع مركز المعالجة وأعيش في شقتي في سويسرا شقة ابني المفقود .

فكر قبل رده فقال: خطوة طيبة ! نحن لحد الآن لم نفهم لماذا هذه المسرحية وهذه الحيلة ؟ هل أنت المقصودة أم فعل ذلك لغرض خفي اشتركنا فيه لأمر خفي ؟

قالت: الغرض الخفي الانتقام الحقد ، لي سنوات بعيدة عنك جسديا ، والسيد جومار يستطيع طرده وصرفه بجرة قلم ؛ كما طردنا رومو الخادم .. أنا أرى السم السبب ، فهو كما تعلم جوعان نساء وأسرته كلها مثله .. أتعلم أن شقيقه سمير سعى للزواج مني، تخيل لو قبلت الموقف الدنيء الذي سأكون فيه .. أسرة قذرة منحطة .. فالسم هو وراء الحكاية .. احس وادرك أن حياته في خطر .. أتذكر ذات ليلة تحدث معي أن الاغتيال لبعض الناس بالسم .. الآن اجزم أن الكلام كان موجها لي ، لم انتبه لذلك ، وأنه يحاورني أنا ومتهما بذلك ظننته مجرد كلام عابر وكلام

للتسلية .

قال: هو معقد ، مريض نفسي ، لم احبه يوما متعجرف شرس لسانه بذيء لولا صداقتي لك لما دخلت القصر نهائيا .. حبي لك والصداقة دفعتاني على تحمل وقاحته ولم احب أن أكون الصديق الجبان وقليل الوفاء .

قالت: أنا أحببتك تلك الأيام ، كنت الرجل الحبيب يا لوقان ، ورأيت إخلاصك نحوي وأشفقت عليّ من حرمان الونيس ، وكنت من الجالية أيضا ، ولما حدثت المشاكل دخل جومار كموظف لدى نذير ، فاصبح محط اهتمامي ، ولم احب إفساد حياتك الزوجية ، كانت امرأتك تغار مني بعد زواجك وتكرهني وتعرف ما كان بيننا ؛ كأنني أول امرأة في حياتك الخاصة

قال: لقد شكت من البداية فأخبرتها بحبي لك حتى تكف عن الغيرة ، وهددتها بالانفصال فسكتت على مضض ، وأنا قللت وأنهيت مغامراتي معك بسبب زواجي وبسبب زوجك حيث زودني بقرص حاسوب وأنا في حجرتك كما يفعل معك الآن.

قالت: لم تخبرني به .. أنت صديق وفي ، ولا انسى الساعات التي قضيناها معا ، وأنت رفضت أن احمل منك وأنا على ذمة نذير وأنا امتلأت نفسي بالشوق ؛ لأن يكون لي طفل أو طفلة .

قال: الولد مشكلة وأنت زوجة لغيري ، أنت تزوجت الرجل لماله كما اخبرتيني وهو وافق وبين لك أنه يرفض أن يكون أبا.

قالت: أنت لو عشت في أوروبا الغربية مثلي لرأيت ذلك أمرا طبيعيا ، نساء تعاشر الرجال للحمل ، لدينا بنوك مني وأرحام مستأجرة ؛ كما تلقح الحيوانات يا لوقان! مؤسسة الزواج معقدة وفاشلة.

قال: نسمع ونقرأ .. المرأة تعيش مع رجل سنوات وتلد منه، ثم يحدث الزواج القانوني ، ثم يتحول الأبناء إلى شرعيين

فقالت: الحياة هنا مملة وصعبة ؛ إذن إثبات جريمة علينا صعب افهم منك ومع هذا المجنون والمعقد

قال: قد تكون الحياة في موطنك افضل لأعصابك .. ومن يدير القصر ؟

قالت: سأطلب من الدكتور علي أو بكر بتعيين مدير للقصر ريثما يعود السيد.. لقد كان انتقامه رهيبا يا دكتور! كيف عرف بأمر ابني ومكانه؟

قال: هل ثبت أنه وراء خطفه؟

قالت: لا عدو إلا هو

قال: الله اعلم سيدة سلوفانا

****

الوضع الغامض والخطر دفع جومار للاستقالة للسيدة وقدم الطلب بذلك وأصبحت نورما مديرة القصر ، ولما حصّل حقوقه المالية غادر البلاد سرا ، وبعد رحيله رحلت سلوفانا ومن ألمانيا أخبرت الدكتور علي بعودتها لموطنها ، فعين مديرا عاما للقصر ونورما مساعدة له ، فهو المسؤول عن الطهاة والبستانيين والخدم وعاملات الصالون والإضاءة والنظافة ، وقدم لوقان استقالته من خدمة المرضى في القصر ، وبين أنه كان يفعل ذلك خدمة وصداقة للسيدة ، وعينت الشركة الطبيب نصري عزات معالجا لمرضى القصر .

وصلت السيدة لشقتها في ميونخ التي وهبها لها نذير عند زواجهما كهدية وعلامة حب ، واتصلت بوالديها وأعلمتهم بعودتها للحياة في أوروبا.

ولما التقوا في شقتها وتناولوا العشاء واخذوا بالشرب ، قالت الأم: أنت أشعت خبر وفاة السيد وحملت لقب الأرملة.

قالت: هذا ما حصل فعلا ، وحصلنا على تقرير طبي وشهادة وفاة وحملنا التابوت وصلي عليه ودفن في التابوت لوصيته بذلك.. لماذا فعل هذه الحيلة واشركنا فيها ؟ لليوم لا نعرف ولليوم لم يظهر بدنه ، والسلطات رفضت فتح القبر قبل ظهوره حيا .

قال أبوها: أنا لما انتشر الخبر عندكم وعدنا من زريق تحدثت مع الشركاء قالوا لا يهمنا موته فهو شريك مالي والأرباح تحول لحسابه حتى ينقل للورثة ، وفي البرازيل لم يأتهم خبر الوفاة وهو

ليس عندهم بذاته ؛ لأن العمال والإدارة بشر يموتون ، فالعمل المؤسسي لا يؤثر فيه وفاة أو انفصال مدير شريك أو مساهم كثيرا ، وهو منذ غادر لمدينته خف اتصاله بالشركات والمصانع هنا ، وقال المحامي أوكل لسلوفانا الإدارة قبل ذهابه للعلاج .

قالت: نحن كنا نتعامل على أنه ميت ، ونسخة الوصية أثارت في البداية الاستغراب من نقل الأموال لحسابي بعد ست سنوات ، وشرط عدم زواجي خلالها ، وحجزنا له في مركز العلاج لمرضه الكبدي هنا.

قال أبوها: ولماذا هذا الاختفاء الغريب ؟ ! هل هو متورط في قضية تتطلب هذا الاختفاء؟!

حركت الرأس وقالت: لست ادري ! جهزنا انفسنا للسفر إلى هنا ، وقبل السفر المباشر ذكر أن رفيقا له دعاه لمشاهده يخته في جزيرة مالطا ، وذهبنا وجاء الرجل الداعي للفندق ؛ حيث ننزل وسهر معنا ودعانا لجولة في اليخت ، نحن لم نر اليخت ، كان الأمر طبيعيا ، أنا والطبيب اعتذرنا وحاولنا منعه لأن اليخت سيكون فيه خمر ونساء ، فغامر وذهب وعاد متعبا وحضرت سيارة إسعاف ونقلته لمستشفى تبين أنه غير موجود ، ودخلنا غرفة العمليات والأجهزة والأوكسجين كانت أعراض جلطة ، وبعد أيام اخبرنا فجرا بمفارقته الدنيا وطلبت جومار الخادم وعلمنا أنه أوصى بدفنه بالتابوت كما يفعل النصارى عندكم وأخذنا تقرير الطبيب والمستشفى وشهادة والوفاة ثم نقلوا التابوت للمطار ، ثم عدنا للمدينة وحضرت شركة دفن الموتى وغسلوه على أنه ولد مسلما صلوا عليه وحملوه لمدفن العائلة ورافقهم الطبيب والأصدقاء وجومار ، ونشر الخبر ، اخوه سمير جاء للعزاء عن عائلته في البرازيل وطلب يدي للزواج ، واستلمت الإدارة ثلاث سنوات وتعبت من الكحول فجئت للعلاج في سويسرا كما تعلمون ، وقضيت شهورا بالتردد على عيادات العلاج ، وعدت للمدينة وبدأت تتسرب الإشاعات عن حياة نذير وتوقف تنفيذ الوصية ؛ حيث جاءت رسالة للشركة أنه سيعود ولليوم ما عاد ، ذهب لوقان لمالطة ووجد أنه لا يوجد في المكان مستشفى ولا اصل للتقرير والشهادة ، لعبة شاركنا فيها ولا ندري لماذا هل هناك عملية احتيال؟ فعدت للوطن قبل عودته وسيكون الطلاق العمل الأول لي معه

قالت الأم: الطلاق لماذا ؟

قالت: وهل يفعل ذلك عاقل يا أبي ؟! وهو لا يريد أولاد ، وارغب بولادة واحد على الأقل وأنا دخلت على الأربعين.. إنه مجنون ولا يشبع من النساء والفسق.

قال أبوها: ونحن لنا خمس سنوات لم نره ، وهو شريك ، ترسل أرباحه لحسابه والمكتب القانوني لم يطلب حصته لتباع نتعامل معه على أنه حي.

قالت الأم: سمعنا أن لك طفلا ، من أين أتيت به؟

نظرت لامها وقالت: تبنيته سرا خفية عن نذير ، وكلما ازور أوروبا أتفقده ؛ ولكنه خطف قالت الأم: اختفى !

قال أبوها: ليس من نذير سمعنا غير ذلك

قالت: لا، نذير يحقن نفسه بمانع الحمل ، ولا يحب الأطفال

قال الأب: احدهم سألني هل ولدت ابنها من زوجها ؟ قلت لم نسمع

قالت الأم: صحيح

قالت: صحيح ! وليس من نذير

قالت الأم: ليس منك.. ابن غير شرعي أم متبنى

قالت: الحق هو مني يا أمي حملته بدون علمه وولدته في برن

قال أبوها: لا يعلم بوجوده !

قالت: حسب علمي لا يعلم ؛ لأنه يعيش في سويسرا في شقة أملكها ؛ ولكني بعد خطفه من سنة اجزم بأنه هو الذي خطفه .

قال أبوها: هذا اتهام خطير !

قالت: لا احد له مصلحة في خطفه إلا هو

قال أبوها: وما المصلحة في خطفه؟

قصت قصة الخطف والبحث في فرنسا والنمسا وتركيا وختمت بقول: أنا أريد ذرية وهو لا

يريد

قالت الأم: أتعرفين أباه؟

قالت: اعرف أباه ؛ ولكنه في السجلات ابن من غير أب

قال أبوها: هذا يجهله السيد

قالت: كنت اعتقد أنه يجهل ذلك ، لم يحدثني عن الحمل ؛ لأنه لا يمسني ليشتبه بحمل

قال أبوها: لماذا لم تنسبيه له ؟

قالت: إنه يتعاطى كما قلت موانع الحمل ومبيد الحيوانات المنوية

قال أبوها: قانونا سيكون باسمه شاء أو أبى ؛ لأنك زوجته قانونا

قالت: فولدته وأخفيته ؛ لأنني كنت متوقعة موته بسب التهابات الكبد ودهون الكبد فهو يشرب كثيرا ، وظهرت له زوجة ولها ولد اسمه بول .. هربت به مع عشيقها لكوبا وتخرج من الجامعة

قال والدها: سمعنا بها هناك

قالت الأم: صحيح .. بنت غسال، شريكه في المصانع

قضت شهورا في ألمانيا ولا أخبار عن مايكل ، ثم انتقلت لشقة سويسرا ، ولما وصلت واستقرت أنهت عقديّ الخادمة والمربية ، وعرضت الشقة للبيع ، واشترت شقة جديدة وجلبت خادمة جديدة ، وكتبت رسالة لجومار تدعوه للسفر لسويسرا والحياة معها في شقتها الجديدة ، وبينما هي تنظر رده اخبرها محاميها برانس أن مكتب قانوني في برلين ارسل له وثيقة طلاق رسمية ، وينتظر موافقتها على الطلاق لإتمام الطلاق ، وأن زوجها سيدفع لها خمس ملايين ، ولن يقاسمها ثروته ، وتأكدت حياته بهذه الرسالة ، وأنه مطلع على أسرار حياتها مع لوقان وجومار ، وطالبها بالتنازل عن وكالة المجموعة الوكالة الخاصة ، وكان المحامي يراسل مكتب قانون برلين ، وسعى المحامي للقاء نذير ، فاخبره المكتب أن الرجل يعيش في كوبا ويصعب عليه الحضور شخصيا، وترك لها زوجها رسالة في برلين سترسل لها في وقت معين حسب ترتيب السيد

حدثها جومار أن السلطات لا تسمح له بالسفر إلى أوروبا ؛ لأنه ما زال المشتبه به في القضية بحرق غرفة نوم زوجته وموتها ، وتسبب في قتل ابنه الصغير الحدث ، وخشية الحصول على جنسية أوروبية فيضعف طلبه ، وأنه يفكر بالهرب ، ووعدها بالسفر في اقرب فرصة ليبحثا عن ابنهما المخطوف ومعرفة مصيره .فقالت : أنا في انتظارك .

كانت تقضي الوقت بين المعارض والأزياء والمسارح والأفلام، وذات ليلة وهي في احد المطاعم الشهيرة تتناول وجبة العشاء وحدها كما اعتادت اقترب منها رجل فحياها وقال : سيدة سلوفانا!

تطلعت في وجهه وقالت: نعم سيدي ! من أنت ؟

جلس على مقعد قبالتها ، وطلب من النادل أن يحضر طعامه إلى مائدة السيدة ، وقال: أنا أعرفك أنت ابنة السيد باريش جانسل

قالت: هو أبي فعلا

قال: وأنا صديقه الدكتور ببيرس اوكلي

قالت: تذكرتك! أنت تعمل في الجامعة جامعة لودفيغ ماكسيميليان

قال: نعم، أنا محاضر كنت في تلك الجامعة اقدم جامعات ميونخ

قالت: تذكرتك ورأيتك في مجالس أبي مرحبا بك

قال: ما أخبارك؟

قالت: كنت من زمن قريب عند الأسرة

قال: أما زلت تعشين في زريق ؟

قالت: رحلت منها ، وقد تطلقنا من عهد يسير

قال: السيد نذير صديق الأسرة طلقك! لقد عرفني عليه السيد باريش

قالت: انفصلنا، أتعمل في الجامعات؟

قال: نعم ، وما زلت .. وجئت هنا لمجموعة من المحاضرات في التاريخ الأوروبي في القرون

الوسطى .. فلما رأيتك قلت إنها ابنة صديقي باريش رجل الصناعة ، نحن أبناء الجالية التركية في ميونخ ، من عهد بعيد لم نلتق ، وما زال والدك صديقا

قالت: تذكرتك جيدا .. ولك ابنة تزوجت من لاعب كرة قدم ، ولم يكن ذلك يعجبك

قال: جميل ! اليوم البنات سيدات أنفسهن

قالت: ما أخبارها ؟

قال: عاشت معه سنوات ، أنجبت خلالها طفلين وانفصلا .. البنات يقبلن المتزوج بسهولة فتزوجت الثاني والثالث وهي تعمل في احد بنوك برلين.

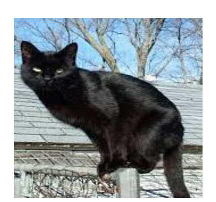
قالت: الحياة لا يرسمها الإنسان لنفسه ، وإن بدا له ذلك

قال: هل تعشين هنا؟

قالت: الآن نعم ، غدا لا ادري

قال: هل تقبلين دعوتي غدا للغداء؟

قالت: لا مانع لديّ على أن تقبل دعوتي أيضا



جومار في سويسرا

استطاع جومار أن يطير إلى سويسرا ؛ حيث تعيش عشيقته التي استقبلته نصف الليل في المطار وساقته لأحد المطاعم وتعشيا معا ، وانتقلت به لشقتها الجديدة ، وقضت بين يديه ليلة من لياليها في قصر نذير.

وحدثها عن طريقة هروبه إليها ، وبعد أيام حدثها عن إمكانية الزواج القانوني، فأجلت الموضوع لأسابيع ، فاستغرب ذلك أين اللهفة التي كانت لديها في القصر قبل عودته للهند ؟!
فقالت : صحيح تخلصت من ذلك الشرير ، والأفضل أن نبقى على هذا الوضع حتى يظهر ابننا فأنا لم أقابل السيد ولم يظهر لا في أوروبا ولا في القصر

قال: أنا اذا تزوجنا أتمكن من الحصول على الجنسية الألمانية أو الإقامة الدائمة في ألمانيا

قالت: الزواج ارتباط يا جومار أريد أن أعيش بدون ارتباط حرة

قال: يبدو أن حبنا ضعف

قالت: لم يضعف ؛ ولكني في أزمة نفسية يا حبيبي .. أنت عندك قضية وأنا افقد ابني

قال: وهو ابني

قالت: أنت غير مهتم كما أنا !

قال: إنه ولدي ، وقبلت بفعلك رغم الخطر الذي كان محدقا بي وما زال

قالت: اصبر ، ها نحن نعيش كما كنّا في القصر .. ألست تملك جسدي ومالي.. لست مستعدة لزواج قانوني .

قال حزينا أو متصنعا الحزن : كما تشائين يا سيدتي! كنت احلم بأن أكون الزوج ، وانتهى دور العشيق

قالت: ستكون عندما تخرج بريئا من موت زوجتك، نتزوج ثم تحبس وأتعرض لفضيحة جديدة .. حبيبي لنا سنوات نعيش معا ، لو حملت منك مرة أخرى ؛ ربما يتغير الأمر أنا دون أطفال رغم المال الذي أنفقته على قضيتك ما زلت متهما ، لم تسطع رشوة القضاة وإنهاء الملف

ولو أرادوا القبض عليك سيطلبونه عن طريق البوليس الدولي فماذا يحل بي جومار في الوسط الاجتماعي الذي أعيش فيه؟ اسع لحل قضيتك.

قال: لم أكن اسمع هذا الكلام في القصر

قالت: كنت مرتبطة برجل ، حبسك يضرني ، أنت كنت الزوج كما تعلم

قال: هذا كلام جديد للموقف

قالت: أبدا نحن هنا لا تهمنا العلاقة الزوجية اصبر اصبر

قال: إلى متى اصبر؟ لي أسابيع .. الحياة بدون زواج هي حياة الدواب

قالت: حياة الدواب ! وما كانت حياتنا في القصر ؟!

قال: كنت عشيقا لك كغيري ، وما دمت طلقت فالزواج أحسن .

قالت: لم افهم وجهة نظرك، يبدو أنك متعب من قضية قتل زوجتك ، ومن الهرب افرض أننا تزوجنا واعتقلت ، هل أظل مرتبطة بك حتى تخرج من السجن ؟ وأترجاك حتى تطلقني أو تعدم يا جومار .. احصل على البراءة ، وسأكون لك زوجة شرعية ونعيش في الهند.

قال: تغيرت يا سلوفانا ! رغبت بالزواج منذ وضعت قدميّ في المطار لأصبح مواطنا أوروبيا وترفع سلطات الهند من بقائي في قائمة المتهمين .

نامت ولم تسمح له النوم في سريرها ، فشعر بالغضب والخزي ، وفي الصباح خرج باكرا وغاضبا وحائرا ، وسكن احد الفنادق وأمضى ثلاثة ليال ، ولم تتصل به فأدرك أن تغيرا كبيرا حدث في حياتها بعد تحررها من نذير ، وأنها وجدت عشيقا جديدا ، فهو اعرف الناس بها وكان مخدوعا بها .

نهشته الغيرة وكان يظن أنه الذكر الوحيد بعد تخليها عن لوقان ، وها هي تتخلى عنه ،كان يظن أن لا أحد ركبها منذ سعد بها ، فاستسلم ، وعاد للشقة وطرق الباب ، ولما فتحته قالت : عدت يا جومار ! ادخل

كان يقف خلفها رجل صغير فقالت : صديقي جاك

فدخل غاضبا وحانقا ومكشرا وصائحا : جاك العشيق الجديد .. أنا ادركت أن هناك رجلا آخر في حياتك ! .. شكرًا سيدتي ! أتمنى لك التوفيق مع جاك . وغادر الشقة دون أن يسمع كلمة وعاد للفندق ، وفي الصباح سافر إلى سنغافورة ومنها للهند ، وعرف أن الخائنة لعرضها لا يحلو لها إلا الخيانة ، يوم الاستقبال شعر بتغير المرأة ، وأن الخائن لولي نعمته سيلقى الجزاء بعد حين ، وأنه خسر الزوجة والابن ، وشارك في جريمة لقتل نذير ، خسر أحلامه بالمليونيرية، خسر المعركة .

*****

ذكرنا أن السيدة تواعدت مع دكتور الجامعة ببيرس اوكلي على مائدة الغداء ، ولما وصلت للقاعة وجدت معه شابا طالبا في الجامعة اسمه جاك ، أخذ عنوانها وكان يتردد عليها لممارسة الفسق أو الحب كما يسمونه غربيا ، فلما جاء جومار وعرف بفارسها الجديد غادر سويسرا سريعا ، وكان الشاب يصغرها بعشرين سنة يدرس الماجستير .

هي لما استقرت في بلدها كانت تفكر بإنهاء علاقتها بجومار للظروف المحيطة به، وقد تحررت من تقاليد القصر وضياع ابنها الذي يربطها به ، ووجدت من يشتهي لحمها رغم الفارق الكبير بينهم في السن ، مضت شهور واختفى جاك من حياتها اختفى بدون كلمة واحدة كوداع أو اعتذار وغير رقمه الخلوي ، واتصلت بالجامعة ، وتمنت لو أخذت رقم تلفون المحاضر ، وأخبرتها الجامعة بانتهاء الفصل عاد لفرنسا، فأدركت أنها أصبحت كبيرة وأنها تُمل سريعا .. وهكذا حياة الغربيين ، فتذكرت أصدقاء نذير والدكتورة فريدة التي هجرها الجميع ، واشتغلت مومسا في باريس ، وقبل ذلك اشتغلت في الدعارة في الملاهي الليلية، تذكرتها وقالت : هل سأكون مثلها؟ لقد خسرت الكلب الوفي الذي يقبل قدميّ قبل أن يصل لوسطي تخلص من رقمه الدولي .. وها هو جاك استفاد بدنيا ومالا ، لقد كبرت يا سلوفانا .. عليّ أن أحب رجلا جديدا .. من يتزوجني ؟!

بينما هي ذات ليلة في احد الملاهي تتصيد رفيقا رأت جاك يراقص فتاة صغيرة فأشارت

برأسها له، ولما اقتربت منه قال :هذه صديقتي الجديدة ما أخبارك؟

قالت: بخير لم تعيد المال !

قال: لا شيء عليّ.. لقد أخذتيه من بدني

قالت: هكذا تعيش ،كم دفعت لك هذه ؟

قال: أرجوك .. وقبض يد صديقته وقال :هيا بنا

قالت: سدد حسابك

قال: سددته من بدني . وغادر الحانة تصحبه رفيقته فقالت: هكذا هم الرجال وترعت من الكؤوس ، ولم توفق باصطياد رفيق ليل .

غادرت الحانة والمرقص وهي تقول : أليس هذا فعل المومسات يا سلوفانا ؟ ألا أستطيع شراء ذكر ، إني أملك عشرة ملايين ، عادت تفكر بجومار والبحث عنه والزواج منه ، هو غامر وهرب من اجل الزواج ، وليس من اجل العشق ، وهي غامرت وعلقت بهذا الشاب وصدقت أحلامه وحبه للنساء الكهلات.

اتصلت بسكرتيرة القصر ، وطلبت منها عنوان جومار في الهند أو أرقام تلفوناته ، فأعطتها الأرقام التي كان يتصل بها في وطنه وسألت: هل عاد سيد القصر ؟

قالت نورما : ما زال الأمر غامضا ، وعلمنا أنه اجرى اتصالا بالدكتور علي

قالت: شكرًا سأتكلم معه

قالت: سمعنا أنك حصلت على الطلاق

قالت: حصل هذا ، شكرًا.

أغلقت الخط قبل أن تضطر لشرح قصة الطلاق ، واتصلت بعلي وبعد التحية . قال :نعم اتصل فهو على قيد الحياة ، ويعالج في مركز خاص ، ولم يذكر اسم المرض ، واسم المركز وأعلمني أنه أغلق علاقته بك وأن لا علاقة لك بالشركات ، ودفع خمسة ملايين مخالصة وطلقك ، وأتمنى لك السعادة والتوفيق

انتهى الاتصال ، وأخذت تحاول الاتصال بالهند وبالأرقام التي أخذتها من نورما ، ولم ينتج عنها شيء مهم ، وكتبت رسالة لأحد العنوانين، ثم كتبت لكل العنوانين ، ولم يرد عليها عنوان ، فصاحت مقهورة : مع من كان يتصل أو يراسل . ثم جاءتها رسالة من المحامي الذي تذكرته في النهاية ، فاخبرها انه يقبع في السجن متهما بالقتل لزوجته وابنه .

بحثت عن شركة سياحية لرحلة إلى شرق الهند حيث بومباي ، فالسياحة اليوم تجارة مهمة لكل الدول ، حجزت مع شركة لتلك القارة ، وركزت على بومباي ووفقت للمطلوب ، ولما اكتمل الكروب السياحي ، حجز لهم على الطائرة لزيارة المعابد الهندية والأماكن التاريخية وأبلغت مكتب العمارة بأمر رحلتها ، وتركت المفتاح لرعايتها وتنظيفها ، وركبت لطهران وتابعت للهند .

كانت سلوفانا لما نزلت سويسرا لا تحب الظهور في المجتمع الراقي لأسباب خاصة؛ فكان لا يظهر عليها أنها امرأة ثرية ، امرأة غنية دون مظاهر حماية لنفسها ، فهي في سويسرا مجهولة وتبحث عن ابن لها .

****

تأكد لنا أن السيد نذيرا لم يكن ميتا حقيقيا؛ كما أوهم لوقان وسلوفانا رفاقه في العلاج ، تبين لنا أنه استطاع إثبات خيانة زوجته بالطبيب ، وأرسل له قرص دعارة ، فخفت علاقته بها كعشيق واستطاعت الكاميرا الخفية كشف سقوطها مع الخادم من بدايتها وسكت عن الأمر وشغله بعشيقاته تركها تمارس دعارتها مع جومار ، وقد احتقرها لهذا السقط ، وأن جومار ضعيف أمام أمرها ، وأن لا فائدة من طرده ، ويقوم بخدمة القصر بكفاءة ، وستبحث عن غيره عن لوقان جديد وجومار آخر ، ولم يكتشف سر حملها بسبب كثرة سفرها إلى أوروبا تلك السنة خاصة الشهور الأربعة الأخيرة ، وانشغاله بشهواته ، ولم ينتبه مبكرا لسعيها في قتله وأنها تتآمر على حياته إلا لما أخذت الأوجاع تتكرر كل فترة وأخرى ، وكشف له المعالجون أن الأمر غير طبيعي ، فقل طعامه في القصر ، ولم يذهب الألم ، وتبين له أن الأدوية هي السبب وأكد بعض

الأخصائيين أن الدواء المستخدم فيه مشاكل ، وعرف بقصة الطفل وظن أنه متبنى سرا ، ثم علم بأنها ولدته هي من المستشفى الذي وضعت، ولم يعرف والده ؛ لكن عشاقها لا يعدون.. ممن علقت به؟

وكانت له رحلات للبرازيل فيمر على أمريكا وعياداتها من اجل الكبد والأسقام الأخرى ، وله معرفة برجال السينما والتصوير للإعلان ، فرتب مع مخرج لتلك الحيلة ، وتصنع المرض لما جهز المخرج قصة إظهار موته ، ووضعت أمام الساحة واجهة مستشفى وسيارات إسعاف وغرفة عمليات وممثلين، والسلطات تظن أنه فعلا يتم تصوير فلم ومشاهد من فلم كبير وعملت التمثيلية وحمل التابوت للمطار ، ولما طارت الجثة فكك المستشفى ، ورجعت كاميرات التصوير وغادر من قاموا بالأدوار ، وانتهى الفلم وغادر نذير وفريق العمل إلى أمريكا زاعمين تكميل الفلم في أمريكا ؛ لذلك لما جاء لوقان يسأل بعد سنوات كان الأمر منسيا ؛ لأن كل من شاهد المكان عرف أن المكان أعد لتصوير بعض المشاهد لنذير كما قلنا .

غادر التابوت إلى الوطن يحمل جثة مشرد مشتراة لمشهد من الفلم وقاموا زعما بدفنها ، وغادر نذير إلى البرازيل ثم إلى كوبا للعلاج من الإدمان على الكحول والمخدرات ومعالجة السموم ، وكان يتابع قصة موته وهو يتنقل بين كوبا والبرازيل ، وأثناء وجوده في هافانا استطاع معرفة سكن زوجته الهاربة من سنين وابنها بول، وكلف محاميا خاصا في البرازيل أن يتصل بها ويقنعها بميراث لها في وطنه ، وصدقت المرأة واتفقت على نسبة للمحامي وأعطاها المال وذهبت للقصر كما قصصنا ، ولم رجعت سلوفانا من رحلة العلاج أرسلها وابنها مرة أخرى، وقد فشلت في تحقيق فلس من القصر وأعطاهما المحامي المال وأرسلها لزوجها في كوبا ، أحب نذير إزعاج القصر والانتقام هدف نذير ، وصحته لم تتحسن كثيرا ، قلل فقط من الخمر ، وكان يتابع نشاط شركاته في المدينة بأصدقاء سريين ، وكتب رسالة لعلي حتى يشعره أنه حي وأن الوصية باطلة ، وحسابه في أوروبا تتضخم فيه الأموال ويسحب منها القليل؛ فكانت أموال البرازيل ومصنع تشيلي تغطي مصاريف العلاج والحياة .

وكانت السيدة وأهل القصر يعيشون على موته حتى فقد ابن السيدة ، وبدأ الشك في حياته وزاد الشك برسالة كوبا ومقتل امرأة جومار حرقا واتهام جومار ؛ لكن لم يثبت شراء البنزين من قبل جومار ، وهو لا يملك سيارة ، ولما طلقت تأكدت من حياته ، وأنه في كوبا باسم العلاج ، وأرسل عددا من الأقراص ليعلمها أنه مطلع على دعارتها مع الطبيب وجومار وكانت ترغب بلقائه ليعيد لها ابنها فرفض المجيء لأوروبا وظلت في حيرة هل هو حي أو ميت ؟

هذه تفاصيل حيلة نذير لعقاب زوجته وعشاقها ، والنجاة بحياته من سعيها لقتله ، وحل قضية الزواج بخمسة ملايين، لأن قوانين الغرب تلزمه بدفع نصف ثروته لشريكته.

****

سافرت إلى الهند لتصالح العشيق بعد فشلها بالاستمرار بعلاقة مستمرة مع الطالب جاك فأدركت أنها وصلت لسن لا يرغبها الشباب ، علاقات سريعة مثل أيام الجامعة والمراهقة قضاء رغبة والحصول على بعض مالها، أحست أن أفضل رجل لها جومار ، وخرجت في رحلة سياحية نحو الهند ، ولما انتهت الجولة وأشرفت على النهاية انفصلت عن المجموعة باتفاق عقد في سويسرا ، فودعت رفاق الرحلة وانتقلت لفندق آخر ، استطاعت الوصول لمحامي جومار ورحب بها ، وشكر لها اهتمامها بمواطن بلده ، وأبدى استعداده للتعاون معها لمساعدته ، واتُهم خادمها بالجريمة رغم عدم كفاية الأدلة لعدم ظهور مشتبه آخر ، ولإصرار أهل المرأة باتهامه ، فحكم عليه بخمس سنوات لإغلاق ملف القضية ؛ لتقصيره في إنقاذها والتأخر في إبلاغ السلطات.

قالت: أنا ساعدته ماليا ليتخلص من الحكم والحصول على البراءة

قال: إعادة فتح القضية لغير صالحه ولا فائدة من ذلك، فلن يتغير الحكم ،قد تمضي سنوات السجن قبل فتح القضية ، القضايا كثيرة والجرائم كل دقيقة ، فالأفضل أن يقضي المدة حتى لا يبقى تحت رحمة المحاكمة وأهل المرأة .. صحيح عندنا قانون مدني وعصري كما عندكم لكن التطبيق يتفاوت.. نحن السجون مكتظة بالناس ، سأسعى لترتيب زيارة لك لتشدي من أزره

وأنك معه معنويا.

قالت: الرشوة

قال: فعلنا الكثير دون نجاح ، أخذت الأموال دون فائدة ، قد نستطيع بعد قضاء نصف المدة ببعض المال تخفيف مدة الحبس باسم حسن السلوك للسجين .

قالت: حسنا يا أستاذ! رتب لي لقاء به ، ولن أبخل عليك بالمال.

قال: الزيارة مسموحة لكل السجناء ؛ سأرتب زيارة خاصة للقاء دون حواجز زجاجية وشبك.

استطاع المحامي الهندي الحصول على زيارة خاصة ، ولما رآها تفاجأ وقبل يديها وقال: سيدتي هنا .. عساك بخير!

قالت: أنا بشوق لك يا جومار ! لما علمت بحبسك تألمت وجئت لأراك ؛ لكي أساعدك وأشد أزرك ، ومحاميك ساعدني للحديث معك ، وسيستمر معك حتى يفك أسرك وتحصل على عفو وتخفيف مدة الحكم .

قال: ربما بعض قضاء نصف المدة يتحقق الإفراج .. كيف أنت وأخبارك؟

قالت: بخير وأتحسر على فقد ابني ومشتاقة صدقا .. يسعدني أن تعمل معي بعد الإفراج ؛ لأني سأقوم بعمل مشاريع خاصة بي ، وأي مال يلزمك اكتب أو اتصل بي حتى تنتهي محكوميتك والمحامي سيتابعك وقد نعمل شركة هنا في بومباي وسأزورك باستمرار .

قال: شكرًا لك سيدتي قلبك كبير .. ما أخبار السيد جاك؟

نظرت إليه نظرة صاعقة وقالت بغضب مكبوت : بخبر هو طالب في الجامعة .. وعندما يفرج عنك ستجدني بانتظارك .. لا أنسى سنوات قضيناها في القصر

قال: هل من أخبار عن مايكل؟

قالت: لا، سيد جومار

تحدثت مع المحامي تشكره لتأمينه هذه المقابلة ، ووجهته للاهتمام بجومار ، ودعت جومار للصبر وقالت: وأنا معك جومار واذا كنت ترى ببقائي هنا فائدة فأنا مستعدة للبقاء

قبل يدها وقال: شكرًا ! لن أنسى هذه الزيارة ، ولا داعي لبقائك فالوقت طويل، وقد يغضب جاك ، وعندما اخرج من السجن قد أكون لك خادما وعبدا

قالت: سأضع لك رصيدا في البنك، ألك حساب ؟ لا يمكن أن أنساك من اجل مايكل

قال: هل ظهر زوج السيدة ؟

قالت: لم يظهر في القصر بعد ، هو يعالج في جزيرة كوبا ، لا ادري مما يعالج كل هذه السنوات .

قال: إذن هو حي حقيقي لم يمت ؛ كما عشنا السنوات الست

قالت: كانت لعبة شيطانية إلى اللقاء جومار .. انتظر عودتك

قال: أين؟

قالت: في سويسرا

قال: وجاك

قالت: هو طالب فرنسي سيغادر لبلده

قال: أنا سأسعى لمعرفة قاتل زوجتي ، لن أنسى هذه السنوات هنا

قالت: سنفكر؛ لعله نذير

قال: لا أشك بذلك .



رحلة جديدة

عادت إلى سويسرا بدون جومار وما زالت خائفة من العيش حياة طبيعية ، وكانت تعتقد أن خطف ابنها من فعل زوجها وحبس جومار من فعل زوجها إنه ينتقم لسعيهم لقتله بوضع أدوية في علب الدواء لتعجل بموته، فسيطرت عليها فكرة اللقاء به ، وتطلب العفو عنها ، وعن ابنها فرحلت لبرلين وميونخ وقضت بعض الوقت مع أمها ولم تجد لدى والدها أي عنوان خاص لنذير في البرازيل سوى مكاتب الشركة ، وكذلك مكتب القانون الذي يتعامل معه ، فوجدت صندوق بريد له في برازيليا وآخر في سان ريو دي جانيرو

فسافرت إلى أمريكا مطار جون كنيدي في نيو يورك ومنها للبرازيل العاصمة ، وهذه أول مرة تدخل أمريكا الجنوبية لقد زارت نيويورك ولوس أنجلوس قبل الزواج وبعد الزواج منه ؛ بل كان يصحبها لحضور افتتاح وعرض فلم أمريكي جديد .

لم تُمارس العمل منذ زواجها إلا عند وفاة نذير المصطنعة ، وكانت الأرباح تصرف على القصر خدمة وموظفين وخدم ، استطاعت الوصول لمكتب شركات نذير وشركائه ، والتقت بوالد داليا السيد غسال ورحب بها وقال لها: إن نذيرا ممول ومستثمر ، عمل في مجلس الإدارة فترة وجيزة وانتقل لألمانيا ثم استقر مديرا لشركاته في وطنه الأول . وذكر لها أن الرجل له استثمارات كثيرة في البرازيل وبعض دول أمريكا الجنوبية ، فله شراكات في عدة فنادق سياحية وصناعة السلاح ، هو مساهم ولا يدير الأعمال بنفسه ، يتردد على البلاد لمتابعة أمواله، وهو حاليا مريض يتعالج في كوبا من سنوات ، ولا يعرف عنوانه ولا حتى عنوان ابنته وابنها بول .

هي تعلم أن الرجل لم يكن يباشر الأعمال بيده إلا في الوطن ، فهو يستثمر في المشاريع والبنوك ففكرت بالسفر إلى كوبا ، حاولت مع المكتب القانوني في البرازيل أن يؤمن لها مقابلة معه ، فبين المكتب أن ذلك ليس من اختصاصه خشية أن يتعرض السيد لمحاولة اغتيال ، وهم لا يعرفون مكانه الخاص ، وأعطاها عنوان لمراسلته ، واستعملت أرقام تلفونات فباءت بالفشل

ولما رأت صعوبة الوصول إليه أجلت رحلة كوبا وعادت لأوروبا تعالج نفسها مما ألم بها من

أتعاب السفر. ولما تعافت من وعكتها الصحية ، اتصلت مع المحامي الذي يتابع قصة ابنها المختطف ، اعلمها أن لديه رسالة من زوجها السابق فتفاجأت من الخبر ، وكان فيها علمت أنك زرت البرازيل سعيا للقاء بي ماذا تريدين ؟! ووجدت عنوان مراسلة فكتبت رسالة قصيرة أريد ابني أو رؤيتك، فجاء الرد قصيرا أيضا أي ابن ! نحن لم ننجب!

فكتبت اعلم أنك تعلم أن لي ابنا، فرد : أنت لم تخبرني أن لك ابنا قبل زواجي منك ، ولم اخبر أنك ولدت مني؛ فأنا لا أنجب ، فمن هو والده ؟ كتبت: اسمح لي باللقاء بك ، فكتب : عندما يتحسن الوضع الصحي والأمني ، فكتبت تذكره بحبه لها وإقناعها بالزواج منه رغم كثرة عشيقاته وحياته الماجنة، فكتب لها : أن غرامياته كانت مكشوفة لها ومعروفة ، وأنه لم يسع لتلد له ، ولما أشفى بشكل تام ، سأسعى للقاء هذا الابن ألا تعرفين من أبوه؟ كتبت : اعرف أباه ، هو ليس لك ، وأتمنى أن أعرف لماذا لم تحب الإنجاب والذرية ؟والحياة بدون الأولاد تعيسة وبائسة، فكتب لها : اذا احدنا شقي فلماذا يشقي غيره ؟! ابنك مفقود أتحبين أن ابحث عنه؟ كتبت : هذا يحتاج إلى مقابلة كتب : أنا لا أستطيع المقابلة والمال يساعد في البحث ومكتب تحريات خاص ،كتبت : أتمنى لك السلامة لا أنسى الأيام التي عشتها في حمايتك، كتب: لم تكن أياما سعيدة ، سعدت بك أول سنة ، ثم تغيرت كليا وخنتني قبل الانتقال لوطني وقصري ، ثم خنتيني مع لوقان ، والأدهى والاحقر مع الخدم وعلى رأسهم جومار .. خادم يشاركك الفراش، رغم أني سمحت لك بتكوين علاقات مع الأطباء فكان ذلك غاية الذل والاحتقار ابنة العائلات الأرستقراطية تعشق وتزني بخادم حتى خجلت من معاقبته وطرده كما فعلتم مع الخادم رومو .

****

زارت سلوفانا المحامي في مكتبه ، وكلمته عن فكرة تكليف مكتب تحريات خاص فضحك وقال : في مسائل الخطف الشرطة أقوى وأقدر من مكتب تحريات ، ولو فرضا وسمعنا أن مايكل في مدينة أو قرية قد يستطيع التحري الخاص معرفة مكان الإخفاء فيها، أما على مستوى

البلد وأوروبا فالشرطة اقدر أجهزة عناصر ، اتصالات مع شرطة الدول فالشرطة بأجهزتها وإمكانياتها عجزت ..فهل رجل واحد أو اكثر يستطيعون تحقيق شيء وبعد سنتين؟ القصة غامضة يا سيدتي ! العادة الخاطفون يخطفون للفدية للابتزاز وللانتقام ؛ ولكنك ذكرت أن لا أعداء لك ،وذكرت لي لو أن زوجك نذير حي لشككت فيه ، وها هو تبين أنه حي ، نحتاج لاعتراف منه حتى يتعرض لاستجواب ، وأدلة الشك لا تكفي للاتهام لو تم القبض على منفذ الخطف واعترف واتُهم السيد لتحركت الشرطة ؛ لأنه اذا لم يثبت الاتهام يرفع قضية ضدك بتشويه سمعته وشرفه أنت عشت سنوات على أنه ميت ، ولا تعرفين لماذا تظاهر لك بالموت ؟

قالت: لليوم لا اعرف القصد ، لو كان لا يريدني لاتفقنا على الطلاق كما فعلنا مؤخرا .. هو يتعالج في كوبا في مكان مجهول ، لماذا ! وهل هو صحيح؟ الله اعلم ، ترك مالطا لكوبا .. طول عمره يعاني من الكبد ، تعلق بالخمر من الطفولة لديه تشمع كبدي ويرفض الاجتماع بي.

قال: ربما وضعه الصحي لا يسمح بمثل هذه المقابلة ، وسافرت البرازيل لهذه الغاية ولم تتمكني من معرفة مستقر علاجه

قالت: نعم ، كما رويت لك ، وهو الذي أشار للاستعانة بالبوليس الخاص وأنه مستعد لدفع التكاليف .

قال: وكيف تشكين فيه؟!

قالت بضحكة ساخرة : يفعل للمراوغة يا سيدي ! فقد عاشرته عشر سنوات متواصلة، في ألمانيا سنتان وثمانية في بلده قبل تمثيلية الموت.. أنا لم احبه هو احبني ، وكان يساعد أبي في مشاريع تكاد أن تموت فساهم في إنقاذها بأمواله وخبرته الاقتصادية ، ولما انتقلنا للعيش في بلده هجرني فاتخذت العشاق وحصل الحمل ، فجئت إلى هنا وولدته دون أن يحس به ، واشتريت الشقة والخادمة والمربية ، وكلفتك بمتابعتهما راتبا واهتماما بأمر مايكل ، والتفاصيل تعرفها ، رفضت الإجهاض كما طلب مني طبيبي الخاص هنا الدكتور انطون بلوكاي ، ولما اختفى الصبي فجأة كان نذير في نظري ميتا .. هو كان يعلم أن لي علاقات برجال غيره ؛ كما يفعل هو.

قال: وماذا نشاطاتك اليوم؟

قالت: ليس لديّ أي نشاط جدي .. أنا بين المسارح والأفلام والحانات .. حاولت اتخاذ صديق شاب ، دمنا أسابيع وهرب.. أنت تعرف الشباب يهربون من الأكبر منهم سنا لا يتمتعون معهن وبعد الأربعين المرأة تبدأ دورتها الشهرية تختل ، والفتيات الصغيرات يملئن الشوارع والحانات والكبار من الرجال يتعبون من الجماع.

قال: نعم ، المرأة تعاني في خريف العمر ومنتصفه وحتى الكبار يهربون للصغيرات وحتى أنهم يتفرجون على أفلام الإباحية لضعفهم الجنسي حتى في بعض البلدان الآسيوية وغيرها ترين فتيات الريف يأتين المدن الكبرى للبغاء والدعارة خمس ست سنوات وتعود للريف تتزوج من رجل كبير في السن وتفتح حانوتا في قريتها للعمل والدخل ، وعادة الكبيرات في الملاهي يقدمن خدمات جنسية للزبائن الضعفاء في مثل هذا الفعل ، فالأفضل هو الزواج وبشيء من المنشطات تستمر الحياة ، والشباب يحبون الصغيرات ولهن جاذبية ..تزوجي رجل من جيلك الشباب أو اكبر بسنوات .. الصغار يملوا الكبيرات بسرعة كما نلاحظ

قالت: أنفقت على بعضهم وهجروني دون كلمة الوداع

قال: لعلك لم تخسري الكثير

قالت: اكثر من عشرين ألف يورو

قال: مبلغ كبير كيف التقيتم بهم؟

قالت: في الحانات والمطاعم

قال: سأهتم بذلك.. هل لك شروط ؟ زواج رسمي طبعا لا

قالت: هل يقبل شاب أو رجل اصغر مني بي زوجة ؟

قال: المال حلال المشاكل يا سيدتي !

قالت: هل ترى المومسات مترفهات في حياتهن ؟

قال: لا اعتقد ، عليهن أن يعملن من اجل المال ولشراء المخدرات وإجراء الفحوصات ولا

يصلحن إلا أن يكنّ مومسات ، ويستخدمن في التهريب ونقل المواد ، فحياتهن قبيحة والرجال يعاشرونهن لسرعة الخلاص منهن بدون تبعات ، وحتى بعضهنّ يغتصبهن دون أجرة.. الزواج اليوم شكلي لا المرأة مقتنعة برجل واحد ، ولا الرجل مقتنع بإمراه واحدة .

قالت بتحزن : المعاشرة عذاب رغم لذتها ، ويسعى إليها الناس، إن عرف العشيق أنني مع غيره نسيني أو أصبحت احتياط .. اليوم الإعلان كله نساء مغريات ومثيرات ؛ وإذا تزوجت احدهم سأكتشف أنه يذهب لغيري يأكل يسكر على نفقتي ويمارس قوته وشهوته مع صبية أو يرغبون بممارسات شاذة .. الإباحية ظاهرة عالمية ، ولا احد يفكر بعلاجها حتى صرنا نرى مسارح لممارسة الإباحية أمام الناس ليس أفلام فحسب

قال: الركض وراء المال والثراء السريع .. اذا وجدت باحثا عن الحياة الهادئة سأخبرك ..هل تحدث محامي طليقك عن الوثيقة التي نذير عنده لما تطلقتم ؟

قالت : رفض تسليمي إياها؛ لأنها لا تفتح إلا عند تحقق موت نذير

قال : أترين بها معلومات عن مايكل؟

قالت : هم لا يعرفون كما يزعمون.



الندم

كانت تشعر بالندم عن تخليها عن جومار الذي جاءها هاربا من القضاء الهندي ؛ ليتزوج منها ويكمل حياته بقربها بعد طلاقها ؛ وليتمكن من أخذ الجنسية الغربية بعد زمن بزواجه من غربية وينجو من الحبس بجريمة لم يفعلها ، فوجدها بين يدي طالب الجامعة وترفض الزواج ، فاتصلت بالمحامي الهندي الموكل بمتابعة قضية جومار فطمأنها على صحته وحاله ، وهو يستغرب اهتمام هذه السيدة الغنية بمتهم بقتل زوجته وابنه ، ما هو إلا رجل عمل خادما للقصر كما علم منه كان رئيسا للخدم فقال : غريبة هذه الأنثى ! لماذا تهتم بشخص مسجون ؟

وهي تقول : لو لم يظهر جاك في حياتي ؛ لربما كنت تزوجته وعاش هنا ، لقد عشقته فعلا ولو أنه خادم حقير على رأي نذير .. إنه مخلص وشجاع قبل معاشرتي بوجود زوجي الجنتلمان ، وكان يفعل ما أريده والاهم أن قبل لي أن أكون أما وألد منه رغم الرعب الذي حل به عندما علم بحملي.. كيف عرف اللعين بابني؟! كان عليّ أن أعيش بعيدا عنه ، أيعقل أن نذيرا لا علاقة باختفائه؟ لا يمكن أن اصدق أن نذيرا بعيد عن الجريمة .. هل قتل واختفت جثته ؟ كيف عرف أنه ابني وسكنه ؟ هل للخادمة أو المربية شأن ؟ هنّ لا يعرفن نذيرا ، ولا يعلمن عن حياتي شيئا في قصر زريق .. إنهن يعتقدن أني اعمل في برلين .. هل حدث اتصال مع القصر ورد نذير وانكشف السر ؟ هل كان يتجسس عليّ عندما أسافر؟ هل هو الذي كان يظهر لي أثناء موته المزيف؟ من هم جواسيسه في القصر؟ ولماذا هو يكره الإنجاب؟

وللجواب على هذا السؤال نعود للسيد نذير القابع في كوبا قال يوما لاحد الأصدقاء : سأكشف لك سرا ـ لما سأله عن سبب الخوف من الخلفة ـ أرجو ألا تتحدث به إلا بعد موتي ووعده الصديق بذلك ، فقال: عندما كنت طفلا عرفت أن أمي زانية وبرضا أبي فكرهت النساء ، نفسي لم تتقبل فجورها ، وأمارس الزنا ؛ كأنني انتقم من أمي ونساء العالم ، فصار الزنا أمرا طبيعيا في المدرسة في الجامعة كلما يتاح افعله.. امرأة متزوجة أرملة مطلقة بكر ثيب انتقم لنفسي ، وتشترى المرأة بهدية بسيطة وبإشارة عفوية تتهافت النساء عليك من اجل المال سافرت للبرازيل شابا

وحصلت على ثروة كبيرة .. كنت اذهب لوس أنجلوس للقاء فاتنة ظهرت صورتها في الأفلام أو في مجلة.. هل أنا ابن أبي ما دامت أمي خائنة وتهب نفسها لمن هب ودب ؟ ولما انتشر اختبار دي ان ايه واستخدامه في التحقيقات الجنائية، وقدرته على تحديد الأب البيولوجي سيطرت عليّ الفكرة ، ولو عرفت أن من هو أبي ليس أبي من سيكون أبي عشرات عاشروا أمي.. التقيت بطبيب جنائي فقال : الأمر بسيط اذا أحببت ذلك .. وقت يسير تعرف النتيجة .. اليوم النتائج اكثر دقة عينة دم أو لعاب منك وأخرى من أبيك أو احد فعلا ابن أبيك أو أخت أو جد والمقارنة بين الجينات ، وحصلت على عينة شعر من أبي وتم الفحص وتبين أن الرجل ليس أبي الحقيقي .. أنا ابن من ؟ فمن الصعب الوصول إليه؛ فأنا احمل جينات أب مجهول الأب .. فأمي لا تعرفه ؛ لذلك كرهت أن يكون أطفال لي .. فأنا لست ابن هذا الرجل حقا.. الأولاد إخواني من أمي فقط .. وهل نحن من نفس الرجل الذي أنجبتني منه أم نحن من عدة رجال؟ .. المهم الأم ؛ فلذلك اكرهها بشدة ، كان على أبي لما أصابه العجز الجنسي بتطليقها .. نحن مأساة حرمت على نفسي الإنجاب.. فصرت أنا الذي يأخذ مانع الحمل يا طارق .. مرة فتاة حبلت وزعمت أنها حملت مني ، فضحكت وقلت أنا لا أنجب يا جميلة وأتعاطى إبر منع الحمل القاتلة للحيوان المنوي .. ابحثي عن عشيق آخر .. فهذا سر تحريم الذرية على نفسي حتى لا يحمل احد اسم العائلة، وهو ليس من العائلة .. جريمة أن تحمل المرأة طفلا ليس من زوجها الشرعي ؛ لذلك كتبت كل الأموال في البرازيل وألمانيا لمؤسسات ونوادي وجمعيات ومؤسسات طبية ومعامل أبحاث وجامعات وكتبت أموال البلد لسلوفانا ؛ لكنها لما خانتني غيرت الأمر.

هذا هو سر كره نذير للأطفال ، فهو ابن وضحية الإباحية والانحراف اللذين يجتاحان العالم شرقه وغربه بعد الحرب الثانية ؛ حيث هلك ملايين الرجال ، وانتشار عمل النسوان في المصانع والمكاتب بثياب العري وشيوع الاغتصاب إلى مستو عال .

اكتشف نذير مؤخرا المؤامرة على حياته من قبل الزوجة والعشقين ، لاحظ في السنوات الأخيرة أن الأدوية التي يستخدمها للتخفيف من آلام الكبد تزيده ضررا في بعض الأيام فينسب ذلك

للخمر التي يكثر من شربها ، ولما يكون في سفر يتحسن الوضع ، فدفع الدواء وهو في أمريكا لأحد المختبرات بناء على نصيحة طبية ، فوجدوا حبة غير مناسبة لجسمه وسقمه، فهل هي من المصنع ؟ فأكد له المختبر والطبيب ما دامت حبة واحدة ، فهي مدسوسة لأن الجرعات اذا لم تكن مناسبة للجسم تضاعف المرض ؛ فلذلك يقوم الأطباء بإعطاء المرضى الجرعات المناسبة ثم تزاد الكمية تدريجيا أو ينقل لدواء أقوى .. من يعبث بالدواء؟ الدكتور لوقان يكرهه وزوجته، فلابد أن الطبيب يوفر الأقراص الضارة وجومار يضيفها للعلبة، لم يستطع الوصول لكيفية وضع الدواء في العلبة، فكتم الأمر خاصة لما اكتشف عشقها للخادم ادرك أنه متآمر معهم ، وأما الأقراص المغنطة فهم في المصانع يراقبون العمال من خلال الكاميرات في غرفة الإدارة ، وهذ اليوم معمول به في البنك في الشركة المصنع، فطلب من احد المهندسين الذي بينهم علاقة قوية بأن يضع له كاميرات في غرفة نوم زوجته؛ ليعرف من هو عشيقها ، فاشترى كاميرات صغيرة التي تستعمل وتستخدم في التجسس ولدى أجهزة المخابرات ، ولما توفرت الكاميرات فأثناء غيابها عن القصر وضعت كاميرات سرية بدون أسلاك ، فزرع المهندس خمسة في كل جهة واحدة والسقف ، وبعد فترة حضر المهندس بعملية تمويه وأخرجها إلى شقة من شقق السيد ، وحولت الصور إلى جهاز خاص ثم أصبحت فلما أرسل منه نسخة للدكتور لوقان ، فأدرك أنه مكشوف لنذير فترك زيارة غرفة العشيقة واقتصر على العلاج وتزوج؛ ليؤكد لنذير أنه ابتعد عن امرأته ، وأعاد نذير الكرة وفعلا لم يعد الدكتور يتسلل لغرفة النوم ، ثم بعد حين ربما سنة أو اقل وجد أنها تزني مع جومار فاحتار نذير من سقوطها المريع ، ودعاها للبغاء مع الأطباء فتظاهرت بالشرف والعفة هكذا كانت تصور الأفلام ، ولم تكن الأفلام بصوت ، فيديو بدون صوت ، ووضعها في خزانته الخاصة في البنك وذات مرة كان يجلس في مكتب سلوفانا في القصر وذهبت السيدة لمكتب ديانا لحاجة ورن هاتف سلوفانا الخاص ففتح الخط فسمع امرأة تقول: سيدتي الطفل مريض فسكت وسمعها تسأل سننقله للمستشفى واغلق الخط ، وما دخلها في الطفل أي طفل ؟ وهل لها طفل ؟ هل تبنت طفلا دون مشورة ؟ علم أن الرقم من

أوروبا عليه مفتاح سويسرا الدولي ترك المكتب وذهب لمكتبه يفكر واهتم بالموضوع وما اكثر المواضيع ؟ سافرت بزعم ما فتابعها ورآها تدخل المستشفى ذهب متنكرا كما يفعل في الحفلات التنكرية ، دخل المستشفى لعمل فحص للكبد مرضه المعروف ، ورأى الطفل عرف الشقة عرف المحامي والمربية والخادمة السؤال ابنها أم تبنته !

هو لم يتضايق كثيرا من مغامراتها الشهوانية امرأة كغيرها من النساء تبحث عن اللذة والمتعة ما دام هو يوفرها لنفسه، هي ابنة أوروبا وإلا لماذا تتبرج النساء وتتابع الأزياء لإغراء الرجال ؟! واحتقر علاقتها بخادم حتى عجب فعلق لا تحسن الاختيار ، لم يعرف ممن ولدت ، فزوجته البرازيلية كان يعرف من أين أتت بالولد ؟جومار لم يسافر معها لأنه خاص به ليشك بأنه أبوه وفي أوروبا مسجل مجهول الأب ، عرف أن الولد هي حملت به ابن بطنها ، واعتقد أن جومار لا يعرف بالحمل والولادة ؛ إنما هو شريك الفراش بدلا عنه، ولما تأكد له أنهم يسعون إلى قتله بمضاعفة قوة المرض حتى يبدو موته طبيعيا ، وأنهم يدفعون إليه بأدوية لتقتله كما يقال بجرعة زائدة ، فرتب وصنع خدعة الموت والوصية لخداعها وخداع الشركاء ، فوافق على مرافقة لوقان معهم في رحلة العلاج ، ولم يكن يعلم أنهم خططوا لموته قبل دخول مركز العلاج ، كان يتعاطى المخدر ؛ وليس مدمنا ، تعلق بها أثناء عمله وحياته في البرازيل بين وقت وآخر ، يستعملها مع الدخان ، خطط للانتقام ، وكانت سلوفانا تستغل الحفلات لوضع حبة مضرة في كأس نذير خلال الرقص، حدثت مسرحية مالطا بتحويل عمارة وساحتها لمستشفى لتصوير الفلم ، وعادوا بالتابوت وانتظار السنوات الست ، وغادر نذير لكوبا للعلاج من اثر الكحول والمخدرات ، واغلق المستشفى وزعموا أن التصوير سينقل لمكان آخر وبعد سنوات ثلاثة بدأ الانتقام بترتيب سفر جومار للهند ، وتم الحرق لشقته ، ولكنه نجا وتعرض للاشتباه مع أن القصد كان القتل بحريق ، وكان الفاعل مستأجرا في العمارة قبل عودة جومار بشهور ولما تم ترحيل الطفل مايكل إلى أمريكا اللاتينية بخطة ماكرة طلب من المهندس الصديق بوضع القرص في حاسوب غرفة النوم ، وكان في البلاد بجواز سفر برازيلي ، ثم دفعها للهرب إلى أوروبا وجومار للهند ، وسر

من حبسه فيما بعد وأسف لموت أليشا زوجته ، وطلقها ودفع لها للإيهام بأنه بريء من خطف الطفل ، ومن سعيه في قتل جومار ، وكان يفكر بقتل الطبيب الذي كان يوفر الأدوية السامة لقتله ببطء في الوقت المناسب ، كانوا مصدومين من عودته للحياة وأن مكرهم كان مكشوفا له وكل ينتظر العقاب.

قضى سنوات ثلاث يخطط للانتقام وزار أوروبا ورأى السيدة أو تعمد الظهور أمامها ثلاث مرات ، وكان لنذير قصر صغير في تشيلي ؛ حيث كان شريكا في ثلاثة مصانع في ذلك البلد ولما يزور البرازيل وتشيلي ينزل فيه ، وزار بومباي لترتيب قتل جومار العين بالعين ، ورأينا كيف رتب لحرقه في شقته ، ولم تنجح الخطة وأرضى غروره حبسه ، رتب لخطف مايكل كما رأينا ، وقامت المرأة الكولومبية بعملية التمويه نقل لفرنسا ثم الجنوب الفرنسي ، وكان الهدف هو مقابلة والده الذي أخفته عنه أمه خشية أن يعيش معه ، ومن فرنسا إلى مالطا وأمريكا ثم قصر تشيلي ، وأخبر أن أمه ماتت في تحطم طائرة ، وأنه هو والده الحقيقي ، ذهبت به إلى أوروبا حيث ولدته لتبعده عنه ، وأخفته عنه ، وادخله في مدرسة داخلية وعين له خادمة ومربية . واستسلم الصبي لهذه الحقائق لكثرة غياب أمه وعيشه مع المربية والخادمة ، وتزوره أمه بين فترة وأخرى، وزعمت أن والده مجهول ، وأنه بحث عنه حتى وجده ؛ فلذلك بدا أنه غير مهتم ببعده عن أمه لأنها كانت هي بعيدة عنه منذ صغره ، تمر عليه بزيارات وتعيش معه بغموض مما دفعه لتصديق رواية نذير ، فكل وقته مع الخادمة والمربية ، واقتنع أن هذا المحسن والده المجهول الذي لم تعرفه به أمه ، كان يعجب من عدم معرفته لأبيه أمام التلاميذ ، ولما ماتت بحادث سقوط الطائرة استطاع أبوه بعمل هذه الحيلة ليعيش في قصر أبيه ، طاب له العيش في تلك المدينة والمدرسة الأمريكية الخاصة سانتياغو

ست سنوات مضت دون وجود نذير في موطنه حيث عاش طفولته وتعليمه المدرسي، اتصل بالدكتور علي، وطلب منه تجديد تأثيث القصر ، وتغيير الخدم الهنود ، وتغيير شركة الحراسة ولما يتجهز القصر بعد التجديدات والإدارة سيعود للبلد ، وأرسل إليه شيكا بثلاثة ملايين ، ولما

انتهت التجديدات وإنهاء خدمات القدامى رجع نذير للمدينة ، واستقبله في المطار عدد من مدراء الشركات والمصانع ، وكان ظاهرا عليه الضعف والإنهاك رغم تركه الكحول والمخدرات وترك السوجار الكوبي ، واكتفى بالدخان الألماني حيث تعلق به عندما نزل ألمانيا للشراكة مع والد سلوفانا ، وترك قبل ذلك النساء وبدا للمستقبلين أنه ميت حقيقة وتعين طبيبان وممرضات في القصر.

استقبل الكثير من الضيوف ورجال المال والعمل ، وكشف لبعضهم سعي زوجته لقتله بالعبث بالأدوية ليتضاعف المرض ، والتظاهر بالموت ، نقل أمواله إلى حساباته في ألمانيا حتى اذا مات لا يرثه احد حيث توهب لمراكز علمية وطبية. استقبل الرفاق القدامى كمنذر وماهر وعريف وغيرهم الذين أنهكتهم أمراض الجنس والخمر وتفاجأ بزيارة ريما وزوجها الشيخ وفرح بزيارتها واهدها سيارة لزوجها احدث طراز ، وسألها عن فريدة التي هاجرت لفرنسا عند أسرتها فقالت: اشتغلت في الدعارة حتى هلكت في باريس ودفنت هناك . فترحم عليها، وأمر بصرف مكافأة لكل عمال المصانع والشركات وأمر بتقديم مبنى مستشفى لوزارة الصحة وعددا من المدارس في أنحاء البلاد يكتب عليها نذير خاتم ، وممن جاء لزيارته مطلقته سلوفانا ، ورأته محطما ، فقال: لا تحزني عليّ يا سلوفانا ؛ لأنك ساهمت بتدميره .

قالت: اقسم

قال: لا تقسمي أنا أموت من سم عشيقك لوقان الذي مات قبل أن انتقم منه

قالت: اقسم

قال: لن اصدق قسمك

قالت: أنت وعدني بالمساعدة في لقاء ابني

قال: كنت سأكلف مكتب تحريات على نفقتي .. ابن من هو؟

قالت: لا ادري لما حملت به لم أفكر بأبيه .. المهم أن أكون أما .

قال: فعلت ما فعلت زوجتي الأولى داليا ، حملت من أخيها ، وأرادت أن أكون أباه .. يا

للنساء !

قالت: غلبتني الأمومة

قال: ولماذا لم تجهضي وأنت زوجة ؟! اطلبي الطلاق .. خفت على الأموال .. هل ابن لوقان أم الخادم جومار؟

قالت: أتقسم أنك لا تعرف مقر مايكل ؟

قال: ابنك ! لا اعرف أن لك ابنا إلا منك.. من سيقول لي أن لزوجتك ابنا في أوروبا ؟ لو عرفت لطلقتك كما فعلت بداليا .. أنا صدمت لما عرفت أن الخادم يركبك وأنت ابنة الأرستقراطية .. خادم ..خجلت أن اطرده كما طرد رومو لم ركب فريدة بخاتم وزنا بها.. أهو أبو الطفل؟

قالت: لا ادري يا سيدي !كما كنت تعاشر الكثير كان الكثير يحلم بي.. احلف على جهلك لحياة ابني

قال: ولماذا احلف ؟ وأنا عرفت منك .. أنا في الأول ظننته طفلا متبنى من دار أيتام

قالت: ألم تقتله ؟

قال: اقتله!

قالت: ومن حرق زوجة جومار ؟

قال: مع السلامة يا سيدة انتهت الزيارة .. اقتل احرق من قتل لوقان ؟

قالت: أنت ! أنت عبثت بسيارته.

ضغط على الجرس ، فدخل الحارس الذي رافقها فقال: اطردها خارج القصر ،واستدعي لي الطبيب الذي كان هنا في أول اللقاء

ودخل الطبيب والدكتور علي ، وتعجب من قصة حملها ، وخطف ابنها ، وعلم أن القصر كان غارقا بالإباحية ؛ ولكنها وهي تقف أمام البوابة وهي تشتم وتلعن القاتل نذيرا انتشر بين الحرس خبر لفظ السيد أنفاسه ، فتوقفت عن السب والركوب بالسيارة المستأجرة ، لم يحتمل

كلامها واتهامها بقتل الدكتور لوقان وحرق زوجة جومار البريئة وخطف ابنها وحضرت سيارة الإسعاف لنقل الرجل للمستشفى وقالت باكية : فقدت ابني للأبد

وقام الدكتور علي والمحامي بكر وإدارة الشركة بالإشراف على جنازته للمرة الثانية وبعد إنهاء خدمات أهل القصر سلم القصر لجمعية خاصة طلبته من نذير لتحويله لمستشفى خاص بالجمعية ، وعادت سلوفانا لأوروبا بعدما حضرت دفن زوجها السابق ، كررت البكاء عليه كما بكته قبل سنوات .

قبل السفر التقت بالدكتور لوقان ؛ حيث حدث معه حادث سيارة قبل حضور نذير للوطن أصيب منه بالشلل ، ولم يمت كما اعتقد نذير ؛لأن أشيع أنه مات في الحادث ؛ فكان يتوقع أن يقتل من نذير ، فلما انتشر خبر موت نذير اتصل بسلوفانا ، وأحب أن يلتقي بها قبل عودتها لأوروبا وفرحت جدا بنجاته من الموت ، وحزنت للشلل الذي حل به .

قال: لست نادما على سعي في الخلاص منه ..ألم تعرفي نتيجة عن الولد؟

قالت: لم يعترف بخطفه ، وكان مهتما بمعرفة شخص أبيه

قال: ربما الذين خطفوه لما يصلهم خبر موته بعد ليفرجوا عنه

قالت: قد يقتلونه لإنهاء موضوعه بعد موته.. أتراه حيّا يا دكتور ؟

قال: لم تظهر جثته.. فهذا يعني أنه حي إلا اذا دفن في قاع البحر ، ولا اعتقد أن يقتله؛ لينتقم منك

قالت: إنه يريد تعذيبي ، لو أراد قتلي لفعل ؛ كما فعل بامرأة جومار

قال: وهل ثبت أنه الفاعل ؟ ما حدث معه؟

قالت: حبس في القضية خمس سنوات؛ ليس أمامهم سواه ، ترك المرأة تحترق وهرب

قال: اذكر أن المرأة تعرضت للحرق قبل موتها

قالت: هذا حدث لاستدراجه للهند ؛ ليشرف على علاجها ، وكنت أنا أتعالج في سويسرا كما تذكر

قال: يا ! هذا مجرم عتيد له أعوانه !

قالت: عاش في البرازيل ؛ حيث السيارات المصفحة ، والطائرات الخاصة .. والمال يشتري الرجال .

قال: لقد كرهته منذ عرفتك يا سيدتي ! جمالك يسحر الرجال وأشفقت عليك لما رأيت من الحزن وعدم احترامه مشاعرك .

قالت: أنا اعرف هذا عنه ، وهو اعزب قبل الزواج ، كان مغرما بالجمال والنساء ، كان المال مغريا لصبية مثلي .. حياتها وسعادتها المال، وهو سيؤمن لي المال وما تشتهيه المرأة ، وسخي بالهداية والمال ، وكانت الأسرة ترى مصلحة لها ولي بالزواج منه ليستمر بدعم المصانع.

قال: أنا حقدت عليه منذ التقيت بك ، مرة دخلت القصر لأراك فأخبروني أنك في زيارة قصيرة فدخلت مكتبه قلت أدردش معه تمضية لمجيئك ، ولما أدخلني الخادم ونظر إليّ فقال باحتقار واستعلاء : أخطأت العنوان يا دكتور ! هذا مكتبي وليس مكتب عشيقتك.. أنا لا ادري كيف اتخذتك عشيقا ؟ رددت بغضب : أنا لست عشيقا يا سيد نذير أنا متزوج كانت زوجتي الأولى مريضة كما تذكرين وماتت أثناء علاقتنا

فقال ضاحكا : أتظنني مغفلا ؟ أنت كلب لها ، لا تظن أني مغفل

وكان الكلام قبل أن اجلس فقام فاقترب مني وبصق في وجهي وقال : اخرج أنت حقير تنام معها في القصر ، وهي حقيرة مثلك.. اتفقنا على الفجور خارج القصر.. جعلتم القصر ماخور وسأرسل لك قرص دعارتك معها .. وأرسل الملعون لي قرص حاسوب سي دي يضع في قصرك كاميرات بحثت عنها ، فلم أجدها فلزمت الصمت عن هذه الحادثة والإهانة

قالت: لم تقل عن هذه الحادثة إلا اليوم!

قال: نعم ، وماذا أقول لك سيدتي ؟ لذلك رحبت بمساعدتك للخلاص منه

قالت: كانت إهانة كبيرة ؛ ولكن زوجي يسمح لنفسه بالزنا .. عليه أن يقبل زنا امرأته دون غضب وغيرة ما أخبار زوجتك وابنتك؟

قال: الأولى ـ رحمها الله ـ لم تكن طاهرة ، وابنتي منها لم أر ولم اسمع عنها السوء.. أنا استسلمت لإغرائك وأنت رحبت بي عشيقا

قالت: تحولت لجومار لوجوده في القصر ، وأنت سعدت بذلك، ولم تقف ضده ، فأدركت أنك انسحبت وخفت .

قال: السبب نذير ، وأصبح عدوا لي ورأيت الابتعاد لمصلحتنا

قالت: لقد كنّا في حرب

قال: وماذا ستفعلين الآن؟

قالت: استعد للعودة لسويسرا وقد اعمل مشروعا ألتهي به ، وإذا خرج جومار من السجن قد أتزوجه كما وعدته يوما .

قال: تنظرين خمس سنوات .

قالت: قد يخفف الحكم ، قابلته في السجن ، فهو تعرض مثلك للأذى بسببي ، وسعيت للزواج من أوروبي ، كلهم يريد علاقة دون ارتباط بعقد قانوني، ويفضلون الصغيرات على الكهلات مثلي ، تعرفت على شاب طالب فرنسي عاش معي بضعة شهور وتركني وقد نال مني بعض المال.. الزواج معقد اليوم في بلادنا

قال ناصحا : الأفضل أن تتزوجي زوجا أوروبيا، فأنت معك ثروة كبيرة ..ستجدين الزوج المناسب في لحظة من اللحظات.

قالت: لست صغيرة يا دكتور قريبة من الخمس والأربعين .. لا أريد زواجا شكليا يقضي طاقته ورغباته في الملاهي والحانات كما عشت مع نذير.

قال: ستجدين الحبيب

قالت: عجوزا أنفق عليه

قال: لو كنت سليما لتزوجتك وتركت التي عندي.

قالت: شكرًا لوقان

قال: لماذا كان هاجرا لك؟

قالت: معقد! دخل يوما حجرة أمه ، وهو طفل فوجدها تُمارس الحب مع عشيق ، وتكرر ذلك فتعقد ، ولم يتقبل الأمر لصغر سنه ، ورحله أبوه إلى هنا لزريق حتى أنهى الدراسة والتحق بجامعة أمريكية وتعلم الزنا والعهر والخمر مع الاقتصاد

*****

رجعت السيدة للشقة محطمة نفسيا واليأس التام من الاجتماع بابنها ، وعدم اعتراف نذير بحياته أو خطفه ، فأخذت تفكر بحياتها وحبس جومار ، ففكرت بالجمعيات الاجتماعية والحركة معها لإشغال الوقت ، فقد ملّت المسارح والنوادي والسينما، ففكرت بجمعيات تركية كانت تقدم لها الهبات والدعم أثناء حياتها بزريق ، فاتصلت بجمعية كانت تمر عليها سيدة لاستلام الشيكات والدعم ، فرحبت بها السيدة (ايسون احمد بوراك)، وكان لهذه الجمعية مقر جمع في ميونخ بين الجالية التركية في ألمانيا ، ومقرها الرئيسي في إسطنبول ؛ حيث ذهبت يوما تبحث عن ابنها مرافق المرأة الكولومبية ، جمعية الأمل مهتمة بالفقراء وضحايا الكوارث في تركيا والعالم الإسلامي؛ لتخفيف ضرر الزلازل والفياضات والتسونامي عنهم . كانت معروفة وصديقة للجمعية ، وكانت السيدة ديانا زوجة الدبلوماسي التركي سليم قد عرفتها على مندوبة الجمعية ايسون وصارت بينهنّ صداقة ، واتصلت بديانا التي تسكن في تلك المدينة فساعدت السيدة بالاتصال ايسون ، ورحبن بها في ربوع بلدها الأصلي ، سافرت بعد ترتيبات إلى تركيا ، ولما استقرت في الفندق اتصلت بديانا وجاءت للفندق ، وأخذتها للغداء مع الأسرة ورحب بها زوج ديانا الذي يعرفها أيام زريق وحفلاتها التي لا تنتهي ، واتصلت ديانا بالجمعية ، فعلمت أن السيدة ايسون قد تقاعدت من العمل ببدنها ، ورحبت إدارة الجمعية بهن وحضرت معهن موظفة الجمعية السابقة ايسون ، وبعد التعارف والذكريات فقابلت السيدة رئيسة الجمعية السيدة زينب برقوقا والمدير العام للفرع الإسطنبولي الدكتور احمد يوسف اصلون ، ورحبوا بعملها معهم ؛ لأنها تعاني من الفراغ في بلدها ، ولا زوج ولا ولد ، وهي تعود جذورها للجنس

التركي ، وإن لم تولد في تركيا ، فأخبرها المدير بأن عليها بأخذ دورة إسعاف أولية والتمريض والاستماع إلى محاضرات عن كيفية التعامل مع المصابين والأهالي في أماكن الحدث ، وهذا العلم ضروري قبل الذهاب إلى تلك الأماكن ، وكيفية التعامل مع المترجمين والناس المنكوبين ، اجتازت السيدة الدورات والأعراف المتبعة أثناء عملية الإنقاذ والمساعدة ، وأقبلت على العمل بحماس ونشاط ، وكانت تقضي الإجازات القصيرة في سويسرا وسعيدة بحياتها مع الحوادث، وفي آخر إجازة رن جرس الهاتف في الشقة فقالت الخادمة: محامي من الهند ، انقبض قلبها من كلمة الهند ، وأخذت السماعة من يد الخادمة ، فلها شهور لم تتحدث معه منذ سافرت تركيا ، كان محامي جومار وقال : لي أيام اتصل حتى ظننت أنني أخطأت الرقم

رحبت به وعلمت منه أن جومار تعرض لطلق ناري من شرطة السجن ؛ حيث حدث تمرد داخل مهاجع السجن أو بعضها أدى إلى إطلاق نار ، ونقل السيد للمستشفى مصابا ، وقد يفرج عنه بعد الشفاء، أظهرت الفرح لسماع الخبر وقالت : عندما أجد الوقت المناسب سأزوركم .

ادرك المحامي أن حماسها الذي لمسه ورآه في الماضي قد ضعف وخفت ، كانت المرة الماضية تتحدث كالمحب والمشتاق ، وهي بعدما تركت السماعة قالت : مات حبك يا جومار ! أنت من الماضي والذي يربطني بك فُقد وضاع ، كنت أريد شيئا بيني وبينك ، لقد سكت جسدي عن طلب الشهوة ، وجدت حياتي في جمعية الإنقاذ والأمل لأهل الزلازل والفيضانات حتى أني أريد أن اصلي وأصوم مثلهم ومثلهن حتى أن الأوروبيات اللواتي يعملن معنا يصلين ويقرأن القرآن متدينات ، وبعضهن لم يكن مسلمات فأسلمن ، أنا مسلمة، العمل مطلوب كالعمل العبادي ، لم يعد الزواج مهما لي يا جومار ، لقد خان سيده بدون مقدمات من اجل الفسق مع سيدة القصر ، سأهتم بالإسلام مثل رفيقات وصاحبات العمل التطوعي؛ بل يفكرون بجعلي مديرة فرع للجمعية، ذهبت لمركز إسلامي ، وطلبت مساعدتهم بتعلم أركان الإسلام والصلاة وصارت تصلي خمس صلوات ، وتعلمتها بلغة العرب لغة نذير ، كانت أمها تزور الكنيسة

وتسمع القداس ، أما والدها المسلم فلم تره يدخل مسجدا حتى جومار لم تره يصلي ؛ بل كان مثلهم يسكر ،لم يكن مسلما ؛ لعله من طائفة السيخ ،العمل الخيري أفضل من علاقات عابرة .

قبل العودة لتركيا اتصل بها برانس قائلا : أين أنت ؟ كلما اتصل تقول رايسا أنها في تركيا وكنت مشغولا جدا .. متى تمرين علينا؟

قالت : اعمل في تركيا مسعفة في جمعية للكوارث ما الأمر؟

قال : تحدث معي محامي برلين ، فقد علموا بموت السيد نذير خاتم موتا حقيقيا ، ولك عندهم رسالة خاصة كأمانة يرغبون زيارة منك شخصيا لاستلامها

قالت : صحيح تذكرتها .. سأمر عليك.. هل من جديد حول مايكل؟

قال : لا جديد.. مري لأسمع أخبارك سمعت من رايسا أنك ستبيعين الشقة والخلاص من رايسا.

قالت : افكر بالاستقرار في تركيا لحين ؛ فأنا سعيدة في العمل معهم ، وعدت لإسلامي

قابلت المحامي برانس ، ودفعت له أتعابه ، وأنهت عقدها معه بمتابعة مايكل قبل الاختفاء وبعده ، وكلفته ببيع الشقة وإنهاء عقد رايسا ، وسافرت برلين لاستلام الأمانة فدفع الرجل إليها شيكا بمليون دولار أمريكي تسحب من بنك ألماني ، ورسالة قرأتها في الفندق كتب فيها "اطمئني على ابنك حي".

السعادة

كانت تشعر بالسعادة من عملها في الجمعية رغم المشقة البدنية في التنقل إلى مواضع الكوارث والنكبات الطبيعية ، وترى عذابات الناس وآلامهم بكسر عضو رضوض بدن بفقد أم أو أب أو زوجة وأسرة ، فلم تكن تتأثر كثيرا عندما تراها في الأقلام والأخبار لحظات من الحزن تمر سريعا، اليوم تمكث الصور أياما من العطف والحزن ، فهم يقدمون الطعام والخيام والثياب والبطانيات للمنكوبين الناجين والإسعاف للجرحى ، فكانت تحس بالسعادة ، وهي تساعد إخوانها في الإنسانية لتخفيف المصائب عنهم والآلام.

قضت خمس سنوات من عمرها في العمل والإشراف على معسكرات المساعدات، وكانت تقدم الدعم البدني والمالي من نفسها ، وتقرر أن تكون مديرة فرع من فروع الجمعية ، فقد كبرت سنها وهي تحمل شهادة جامعية في الإدارة من جامعة برلين .

استأجرت شقة في تركيا حيث تمارس عملها الميداني ثم الإداري ، حتى عرض عليها مدير فرع إستنبول زوجا أرملا طبيبا متطوعا ويرافق حملات إغاثة الجمعية ، وبعد جلسات خاصة قبلت الاقتران به وعلى الشريعة الإسلامية الصحيحة ، وقلنا إنها أصبحت من أهل الصلاة والصيام وقراءة القرآن ، واطلعت على مختصر تاريخ تركيا قبل الجمهورية والعلمانية ، وقد كانت دولة كبرى قبل قرن من الزمان، وعرفت أن زواج المسلمين هو الزواج الصحيح، أما زواج نذير كان على طريقة الغرب ، وعرفت أنها زوجة حقيقية اذا تألمت ومرضت تجد أولاد زوجها وبناته يغمرونها بالحب والدعاء والزيارة وأن زوجها يحبها رغم زواجه قبلها من غيرها ، وكانت زوجات الأبناء أو أزواج البنات يسألون عنها ويتصلون بها ، هذه المشاعر لم تلمسها من والديها كانت تعيش مع الدكتور في بيته وتمارس عملها في الجمعية ؛ كأنها غير متزوجة ، وأحيانا تجلس مع زوجها في العيادة التي هي في نفس حي السكن وحتى في أيام الكوارث يسافران معا ، لم تَر امرأة تتسلل لبيت زوجها واستغلال غيابها ، ولم تسمع بمثل هذه الحكايات في بيت أولاده أو بناته مع أن تركيا دولة علمانية وفيها ما في أوروبا من الملاهي والحانات والإباحية .

ورحلت معه وابنه الصغير برحلة للحج إلى اقدم بيت للعبادة في الدنيا ، وتفاجأت بالكم الكبير من البشر في مكان واحد اسمه عرفات، واحتفلت الأسرة والجيران في الوداع والاستقبال، وتزينت البيوت بالأنوار والأعلام والأشجار وذبح الخرفان .

كانت لغات العالم ولهجاتها في يوم عرفة ، والتقت بعدد من الألمان والألمانيات يأتون للحج وشاهدت إزدحامات الصلاة في الحرم المكي ، واستيقاظ الناس وهم يهرعون للصلوات الخمس في المسجد الحرام، كانت في دهشة في ممارسة كل نسك وأن هذا العمل مطلوب فرضا مرة واحدة في العمر للقادر ، تعجبت من ترتيب كل هذه الطقوس من قبل السفر حتى العودة للديار وإقبال الناس لأكل تمر الحجاز وشرب ماء زمزم ، وزارت المدينة حيث دفن الرسول الأعظم ﷺ معلم الناس كل هذا الخير ، شعرت بالسعادة الروحية التي كانت تفتقدها في صباها وحياتها في القصر حتى لما زارت ساحة الفاتيكان مرة لم تحس بالجمال والسعادة كما أحست برحلة الحج رغم المشي والسعي والطواف .

****

أمضت السيدة عشر سنوات مع الجمعية التركية وتقاعد زوجها من العمل مع الجمعية بدنيا ولحقت به ، وتوقفت عن العمل الخيري ببدنها ، وظلت على الدعم المادي ، وما لبثت أن ترملت بوفاة الدكتور من أزمة قلبية ، ففضلت أن تعود لسويسرا رغم سعي أولاد زوجها لبقائها تعيش معهم ، أحبت أن تقضي باقي العمر في سويسرا ؛ حيث عرفت الأمومة وفقد مايكل ، اشترى لها صديقها المحامي شقة بدلا من تلك التي باعها لها ، وكانت خلال عملها في تركيا كونت علاقات جيدة مع جمعيات ومؤسسات إسلامية في ألمانيا وسويسرا وباريس حيث تنتشر المراكز الإسلامية والمساجد والجمعيات الخيرية التي تخدم الجاليات الإسلامية المهاجرة من بلدان العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، وكانت تقوم معهم بزيارة المرضى والمعوزين والمحتاجين وتسارع لحضور الندوات والمحاضرات والافطارات الرمضانية .

ذات صباح اتجهت لجامع باريس الكبير لصلاة العيد ولقاء صديقة عملت معها في تركيا ومن

جيلها ، كانت تنتظر الصديقة والرفيقة اقترب منها شاب ومعه امرأة محجبة وقال: ألست السيدة سلوفانا ؟

حدقت في عينيه وهتفت: أوه! السيد جاك طالب الجامعة في سويسرا

صاح جذلا: جاك الفقير بلحمه طالب الماجستير

قالت: أهلا جاك .. أراك بلحية وصديقة محجبة؟!

قال: نورا جزائرية زوجتي .. سلوفانا صديقة أيام الدراسة للماجستير صديقة لي في سويسرا ألمانية الجنسية . وعرف نورا على سلوفانا

قالت: تزوجت يا جاك !

قال: نعم ، عندما تعرفت على الطبيبة نورا في المستشفى تزوجتها ، ودخلت دينها ، من خمس سنوات تعرفت عليها وتزوجنا برضا أهلها ، وولدت طفلين لي ..وأنت ما أخبارك أراك أمام المسجد .

قالت: صليت العيد وانتظر صديقة لنقوم بزيارات على المرضى وبعض الفقراء

قال: رائع ! دخلت الإسلام

قالت: أنا مسلمة وعدت مسلمة يا جاك ! أمي ألمانية وأبي تركي مسلم ، وأنا مسرورة بإسلامك

قال: لابد من جلسة خاصة لأسمع حكايتك فأنا ونورا ندعوك وصديقتك لزيارتنا في بيتنا المتواضع

قالت: اذا تبقى لدينا وقت نلتقي .

نقل رقم هاتفها وقال: غدا سأتصل بك بعد العشاء لنرتب لدعوة في مطعم ..اليوم مشغلون بسبب زيارات العيد، لها أقارب هنا يتفقدون بعضهم.. أني سعيد بعودتك للإسلام

قالت: وأنا سعيدة بإسلامك ومرحبًا بأختنا الطبيبة المسلمة

شكرت نورا السيدة وعبرت عن فرحها بعودتها للدين ، وسمعت زوجها يقول: السيدة

مليونيرة كبيرة ، وها هي تقف أمام مسجد باريس بدون حرس ! هل تتواصلين مع أبيك وأمك

قالت: أبي مات ، وأنا أرملة مات زوجي الأخير بأزمة قلبية ، وزوجي الأول نذير مات رحمهم الله جميعا .

قال: اغفري فضولي .. وابنك المخطوف هل وجدتيه ؟

بكت وهو يذكرها بالطفل وقالت : منذ فقده لم أره ،لا ادرى أحي أم ميت؟

قال: آسف بحديثي عنه، كلنا حزن من أجلك .. ألم تحملي من زوجك الأخير؟

قالت: لقد صرت في الخمسين ومن الصعب أن احمل ؛ ولعل زوجتك تشرح لك

قال: على كل حال آسف جدا ، سنرتب للقاء ..كل عام وأنت بخير .. إلى اللقاء ..لقد ساعدتيني بالمال أيام الجامعة .

قالت: غفر الله لنا

حضرت صديقتها بعد انصرافه بدقائق ، وذهبتا للمهمة التي اجتمعتا من أجلها ، وهي توزيع هبات على مستشفيات يتعالج فيها أناس من الجاليات الإسلامية.



توماس

عرفنا أن الذي رتب عملية خطف مايكل من أوروبا إلى أمريكا زوجها نذير خاتم بسبب تأمرها على حياته ، وبسبب حملها وهي زوجة له ، وذكرنا أن ابن العشر سنوات استقر في مدرسة داخلية تابعة للولايات الأمريكية المتحدة في تشيلي ، وأن أمه ماتت في حادث طائرة فاضطر والده الحقيقي لنقله من أوروبا والحياة في أمريكا الجنوبية في فيلا باسمه ، ورتب له خدم ومربيات ، ومكتب قانوني يشرف على ذلك ، وسجل باسمه الجديد توماس نذير خاتم عشرين مليونا يمتلكها عند بلوغه الحادية وعشرين سنة ، بعضها في تشيلي والبعض الآخر في فلوريدا في بنك أمريكي ، وكان حساب نذير في البرازيل يرسل تكاليف الخدم والمحامي والمدرسة، لم يقتله نذير إنما حرم أمه منه ، وزعم مقتلها حتى لا يفكر باللقاء بها ، فهو لم يكن يعيش معها أصلا كان يراها عند زياراتها لأوروبا ، وبعد هذه الترتيبات لم ير أباه ؛ لأنه ذهب لمتابعة العلاج في كوبا ، ثم رحل لموطنه حيث مات ودفن فيها كما كان يحب ويرغب ، ووصل إليه خبر وفاة والده ، ولم يتأثر كثيرا لموته رآه أياما معدودة فحسب ، انتقل لأمريكا فلوريدا لدراسة الطب ، ولما بلغ السن القانونية اصبح مالكا للثروة التي سجلها والدها باسمه واشترى منزلا في أمريكا وطلب من مكتب تشيلي ببيع الفيلا ، وأنه لن يعود لتلك البلد البائسة ، وكانت الثروة تدر عليه دخلا كبيرا ، أرباح لتلك الملايين ، وحصل على الجنسية الأمريكية أثناء الدراسة وبسبب الأموال المودعة في البنوك ، تخرج طبيبا وانتقل للشمال الأمريكي للماجستير الطبي في أمراض القلب ،وبعضهم نصحه بالذهاب إلى ألمانيا ؛ لأنها من أقوى الدول في جراحة القلب .

فقبل في جامعة في برلين ، فرحل إليها ، وكان ما زال يذكر صورة أمه في سويسرا وحبها له ويذكر الأب الذي نقله بعد موتها إلى أمريكا ، وسجل باسمه الملايين ثم مات ، ولا يفعل ذلك إلا رجل كريم وأب حقيقي ، ويذكر أن اسمه في أوروبا مايكل بدون أب ، وفي أمريكا توماس نذير خاتم وأن والده من بلاد العرب يعيش في أمريكا .

كان لتوماس أصدقاء في تشيلي وفي فلوريدا ثم في برلين من الجنسين ، كانت بشرته سمراء

وعيونه زرقاء ، وكان لديه مجموعة من الصور لنذير أرسلت له في مناسبات وذكريات، وكابن للغرب مارس المعاشرة مع بعض الفتيات في الأميركتين ، وكان مقلا للشراب ، يخشى أن يصيبه ما أصاب أمه وأبوه منه ، وكان في أوروبا يحذر من العلاقات الجنسية خشية العدوى من الأمراض الجنسية رغم وجود أدوات الحماية، ربما تمضي شهور قبل أن يجامع امرأة ولا يفكر بالزواج القانوني ، قالت له صديقة في المستشفى : لم تر الأب الذي ترك لك هذه الثروة إلا مرات معدودة أثناء نقلك لأمريكا من هذه البلاد .

قال: صدقي ذلك، لما علم بموت أمي بحادث طائرة اعترف بي واضطر لترحيلي سرا إلى تشيلي وسجل لي الأموال ، وبعدها ذهب للعلاج من الإدمان، وعاد لبلده العربي ومات ، كانت أمي تخفي عني اسم أبي وتزورني كل شهر أو شهرين يوما أو يومين كانت خائفة أن يعرف زوجها مكان إخفائي

قالت: وباقي ثروته!

قال: علمت من المحامي في تشيلي أنها وزعت على جمعيات ومؤسسات

قالت: وهل أمك ماتت حقيقة؟

قال: هكذا قيل لي ، ولم اهتم بصدق وكذب الخبر ، وكيف لي أن اعرف كنت صبيا لما نقلوني إلى أمريكا وقابلت أبي في البرازيل أولا.

قالت: وهذه الملايين ماذا ستفعل بها ؟

قال: سأعيش بها ، ولست بحاجة للوظيفة ، قد أقيم مستشفى بعد زمن للعمل فيه .. أفكر برحلة علمية للقطب الجنوبي.

قالت: لا يوجد مرضى فيه إلا البطاريق والطيور ..ألا تفكر بالزواج؟

قال: الآن لا

قالت بجرأة : تزوجني يا توماس أنا احبك!

قال: أنا لم أحب أنثى بعد .. البنات رخصن من انفسهن.. بعض المال وعشاء يتناكحان

قالت: جيد ! عندما ترحل للقطب خذني معك قد تحبني هناك

قال: قد افعل.

قالت: زرت وطن أبيك

قال: قد افعل .. لا يربطني به شيء ، ولا اعرف أين هو ؟

****

قامت السيدة بزيارة خاصة لتركيا بدعوة من ابن زوجها لتشارك في حفل زواج ابنته، وهم لم يفوتوا مناسبة اجتماعية إلا واتصلوا بها ودعوتها ، وفي الغالب تلبي الدعوة وتقدم الهدايا فهي لم تنقطع علاقاتها بالجمعية وبديانا .

ذهبت للمشاركة في ٢٠١٠ في حفل زواج حفيدة لزوجها التركي ، وكانوا يستقبلونها بالمطار نساء ورجالا، وكانوا في الأعياد يرسلوا لها الهدايا وبطاقات العيد ، وكانت ترفض قضاء النوم في بيت احدهم ، وتفضل النوم في الفنادق ، لقد أوصاهم والدهم على الإحسان إليها وحبها . وكان من برامجها بعد الوصول الاتصال بديانا صديقة القصر ، وكانت ديانا قد تعرضت لحادث سير قبل هذه الزيارة للمدينة، فأخذها احد الأبناء للقاء السيدة ، فلما التقتا في الفندق قالت لها : كنت في ألمانيا للعلاج في عضلة القلب وسرعة وتسارع دقاته.

فعتبت عليها عدم إخبارها ، فسويسرا بجوار ألمانيا ، بينهما حدود مشتركة وجزء كبير من السويسريين يتكلمون الألمانية ولغة رسمية للبلاد .

وبعد العتب قالت : هل لنذير خاتم أولاد سوى ما أشيع عن بول ؟

قالت متفاجئة : أولاد! عشت معنا عمرا .. لا ، ما الأمر أبدا .. عشنا سنوات وكان لا يحب الأولاد.. امرأته البرازيلية ؛ كما تذكرين حملت ببول وهي على ذمته ،ثم هربت القصة

قالت ديانا : اذكر تلك المرأة وابنها ؛ ولكنه لم يحمل اسم نذير

قالت: ما الأمر ؟

قالت ديانا : ألم يكن له ولد من عشيقة أو صديقة أو ابن متبنى

قالت وهي في حالة دهشة : نذير كان يتعاطى حقن منع الحمل خشية أن تحمل منه ماجنة وتزعم أنه منه وحتى مني رفض ما سبب هذا الكلام؟

قالت ديانا : السبب سيدتي وصديقتي كنت في مركز علاج ألماني ، وكان بين فريق العلاج طبيب أمريكي يحمل اسم توماس نذير خاتم طبيب قلب وشرايين.

قالت: توماس نذير خاتم !!

قالت ديانا : حتى أن زوجي سأله أنت عربي تحمل جنسية أمريكا فحسب، ضحك الطبيب وقال : صحيح ! أنا عمري ما دخلت بلاد العرب؛ لكن لي أصدقاء منهم في أمريكا أثناء الجامعة وأبي عربي أمريكي ، فقال له زوجي إننا عشنا وعاشرنا شخصا اسمه نذير خاتم قبل سنوات طويلة ، وذكرنا له اسم المدينة، فرد على زوجي لم أر أبي إلا مرات قليلة في البرازيل وترك لي الملايين، وأمي رأيتها مرات كثيرة قبل رحيلي لأمريكا .

قالت: توماس نذير خاتم! المعلومات عندي لا ذرية له ، ولا اعلم أنه تبنى طفلا

قالت ديانا : حدثه زوجي عنك ، فقال الطبيب : لا اعرفها ؛ ولكني أذكر وأنا صغير عشت في سويسرا

فنطقت بدون وعي: ابني أكيد أنه ابني !

قالت ديانا : ابنك! كيف ؟!ألم تذكري قبل دقائق أن نذيرا لا ابن له.

انتبهت السيدة وقالت: نعم ، كنت تبنيت طفلا في احدى رحلاتي لأوروبا ، ثم فقد هذا الطفل في ظروف غامضة، شككت يومها بأن نذيرا سرقه.. عليك يا ديانا أن تعطيني اسم المستشفى يجب أن ألتقي به ؛ لعله ابني المسروق المفقود من عشرين سنة.

قالت ديانا : كنت متبنية لطفل!

قالت: نعم ، دون علم نذير ، ولما خطف اتهمت نذيرا، فنفى علمه بخطفه.. بعد حضور زواج حفيدة زوجي الطبيب عليّ أن اذهب لبرلين وأقابله عسى أن يكون هو ؛ولعله يتذكرني بعد هذا العمر الطويل

قالت ديانا : كيف سيتذكرك؟!

قالت: كنت كلما اذهب سويسرا ألتقي به واجلس معه ، ولدي صوره ونحن معا ،ولدي المربية والمحامي الذي كان يشرف عليه .. خطفه النذل وأعطاه اسمه .

قالت ديانا : سبحان الله رب ضارة نافعة!

قالت: شفاك الله يا ديانا !أعدت لي الحياة إن تبين أنه المفقود ، وسأخبرك إن كان هو .. يا رب دعوت ربي كثيرا أن لا أموت قبل أن القاه .

قالت ديانا : أرجو أن يكون ابنك المفقود.

بعد حضورها حفلة زواج حفيدة زوجها ، ذهبت لخزانة في البنك في برن ، وأخرجت منها مجموعة من صور لها مع مايكل ، وسافرت لبرلين مباشرة ، وفي الصباح قصدت المستشفى، وكانت تسأل سيسأل عن أبيه الحقيقي عن جومار .. هل يقبل أني أمه ؟ وقد ولد وأنا على ذمة نذير ، وسيسألني لما عاش بعيدا عني وعن أبيه ، سأقص الحقيقة ، سيعرف أنه لم يكن ابن زوجي أبوه خادم القصر جومار ، المهم أنا أمه.. غير مهم من أبوه ، سيسأل لماذا كان يعيش في سويسرا بعيدا عن والديه؟ لماذا لم يزره أبوه في سويسرا ؟ ولماذا غير أبوه اسمه من مايكل لتوماس ؟ سيعرف أن له أبا آخر أبا بيولوجيا ..يا لها من ورطة ؟! كنت أريد طفلا ، وزوجي لا يريد أي طفل ، كنت أريد ابنا مني مهما كان أبوه ، كان أبوه مرعوبا أن يعرف نذير أنني ولدت منه .. هل استمر على أنه ابني بالتبني ، ولكن سجلات المستشفى ستكشف أني أمه وأبوه مجهول .. يا لحياتنا المعقدة !

سأقول الحقيقة بحذافيرها .. المهم أن يعلم أني أمه ..وهو حر في حياته .. هل سيقبلني في حياته ولا يغضب ؟ هل سيحقد على خاطفه؟ القانون سيجعله يحمل اسمه ، ولدته وأنا زوجة لنذير سيبقى يحمل الاسم .. هل سيعرفني عندما يراني ؟ كان ابن عشر سنوات .

المقابلة

فتحت الباب شابة فقالت السيدة: مساء الخير

تطلعت الفتاة دهشة وقالت : مساء الخير!

قالت: أريد الدكتور توماس طبيب القلب أخذت العنوان من المستشفى .

قالت: هو يستعد للسفر

قالت: أنا السيدة سلوفانا من سويسرا

سمعت الفتاة صوت توماس : من طرق الباب يا جينا؟

قالت: امرأة ترتدي حجابا ،ممن نراهن في الشوارع والأسواق ، أخذت عنوانك من المستشفى

قال: دعيها تدخل ، واذهبي البسي ثيابك لنر ما تريد السيدة المحجبة؟

رفعت السلسلة ، وأدخلت السيدة: ادخلي مدام سلوفانا

دخلت السيدة تتبع الفتاة ، وأشارت لها بالجلوس ، وخرجت تلبس ثيابها ، وما كادت تجلس حتى كان الرجل يدخل الغرفة ، وهو يلبس روب الحمام ، حيث كان يستحم ولما رآها قال بدون تمهيد : أمي ! أنت أمي! أنت حية !

قالت: أنا أمك وما زلت حية! وتعانقا وسلوفانا تبكي وتقول : عرفتني مايكل عرفتني مايكل أنا أمك !

قال: قيل لي إنك مت بحادث طائرة.

قالت : كذبوا عليك حتى لا تفكر بي، لقد خطفوك ليحرموني منك.

دخلت الفتاة لتجد صديقها يطوق المحجبة بذراعيه فهمست: توماس!

قال: إنها أمي يا جينا ! أمي لم أنساك أبدا ؛ ولكني علمت أنك ميتة هكذا قيل لي .

قالت: آه يا حبيبي ! لقد تعذبت من أجلك أرادوا حرماني منك .

قال: اذهبي إلى حجرتك جينا.. دعيني اجلس مع أمي وحدنا.. من هو الرجل الذي خطفني وحرمنا من بعض ؟!

قالت: من تحمل اسمه.

قال: نذير خاتم!

قالت: اجل

قال: أهو زوجك؟

قالت: اجل

فكر لحظات وقال: ولم خطفني منك أم الوقت غير مناسب لسماع الجواب؟

قالت: ستسمع كل شيء . فتحت حقيبتها وأخرجت صورا لهما ومع التلاميذ.

فنظر إليها وقال: أنا أعرفك بدونها ،لما افترقنا كنت ابن عشر سنوات ، أكلنا معا ، لعبنا معا مع أنها أيام قليلة إلى مجموع السنوات.

قالت: الظروف الصعبة

قال: فهمت

قالت: وماذا فهمت؟!

قال: لم أكن ابن أبي نذير.

قالت بانكسار : نعم ، هذه هي الحقيقة ، حملت بك من رجل آخر ؛ فكان عليّ إخفائك عن نذير خاتم .. كنت امرأة فاسدة ، لم استطع أن اعترف له أني حملت من رجل آخر

قال: من أبي الحقيقي؟

قالت : لست ادري يا ولدي .. انظر إلى هذه الصورة تعبر لك عن حبي الكبير لك وحبي لحياتك بعد أن حملت بك رفضت الإجهاض .. كنت أريد ابنا يقول لي أمي .

قال: أنا احبك يا أمي !حتى لما قالوا لي إنك ميتة ، كانت ما زالت ذكرياتنا مغروسة في دماغي وكنت ادرك خوفك من أن يعرف احد أنك أمي وأكدت لي الخادمة والمربية سبب بعدك عني فلن إنك وضعتيني في ظروف غير طبيعية ، وهذا لا يهمني ، ولما قيل إنك ميتة صدقت لأنك بعيدة عني .

قالت: كذبوا عليك لتهدأ وتقبل تغيير اسمك.

قال: كنت صغيرا وواعيا ، عشت في تشيلي في قصر صغير وخدم ومربيات وحرس ومال وتعلمت في مدرسة داخلية تابعة للأمريكان ، والرجل الذي احمل اسمه التقيت به خلال وجودي في قصره في البرازيل ، ولما سافرت لتشيلي لم أره ، رتب أموري وسجل باسمي عشرين مليونا في أمريكا يسمح لي بالتصرف فيها لما ابلغ السن المالي ، وكان محاميه في البرازيل يدفع مصاريف القصر والخدم والمدرسة الداخلية ، فدل هذا على حبه لي وإنني ابنه واليوم تقولين إنه ليس أبي الحقيقي.

قالت: هو أبوك القانوني ، أبوك البيولوجي رجل آخر لا أظنه حيّا اليوم، أنت فلذة من جسدي لما اخبرني الطبيب بالحمل أراد الطبيب أن اعمل الإجهاض؛ لأن أباك القانوني كان يأخذ حقن منع الحمل ، نحن كنّا نعيش في جو إباحي له عشرات من العشيقات فرحلت لسويسرا لما قرب الوضع وولدتك فيها.

قال: خشيت أن يكتشف زوجك خيانتك.

قالت: لم تكن خيانة ؛ لأنه كان يسمح لي بمعاشرة الرجال، وأنا امرأة كسائر النساء

قال: تشتهي المرأة ما يشتيه الرجل ، لا إنكار لذلك ؛ ولست بمقام من يحاسب ، هذا حق الزوج على ما أظن .

قالت: كنت امرأة ، هل علمت أن أباك القانوني قد مات؟

قال: علمت قبل انتقالي لدراسة الطب في فلوريدا ، وتحصلت على الجنسية الأمريكية، كيف وصلت إليّ؟

قالت: امرأة صديقة تعالجت عندك هي تركية ، كانت سكرتيرة في القصر أيام زواجي من أبيك القانوني كنت في زيارة لتركيا والتقيت بها فقصت عليّ التقائها وزوجها بك

قال: عرفتها السيدة ديانا وزوجها سليم عمل في السفارات.

قالت: نعم ، فقد تزوجت بعد طلاقي من نذير طبيبا تركيا ؛ لأن والدي ألماني من أصل تركي

وأمي من أصل ألماني.

قال: كان أبي مريضا يتعالج في كوبا قبل أن يرحل لوطنه ؛ حيث مات .. سمعت من أعوانه أنه مات بالسم أو متأثرا بالسم

قالت: السم! كان مريضا بالكبد من كثرة الشراب وسم الكحول ، وأنا تعالجت منه في سويسرا وكنت أراك كثيرا ..حياتنا مجون ولهو ، لو كان أبوك المزعوم يقبل الإنجاب لتغير الوضع

قال: رحمه الله ..أنت متدينة يا أمي !

قالت: متدينة ..أنا مسلمة عادت لإسلامها ، وأنت مسلم لأن نذيرا مسلم .. فأبي جدك مسلم تركي وإن ولد في ألمانيا .. جاء السيد من البرازيل لمساعدة الأسرة بالمال وتعرفنا وتزوجنا .. فأنا عشت في تركيا مع زوجي الطبيب وزرنا مكة .

قال: الحج ! هل أبي البيولوجي مسلم ؟

قالت: لا ادري

قال: اليوم الإسلام موجود في كل العالم والمساجد ، وطعامهم الحلال منتشر لمن يهمه الحلال

قالت: المسلمون شعوب كثيرة

قال: ماذا تريد أمي من ابنها جراح القلب؟

قالت: لا شيء لست بحاجة لمال ، أملك مثلك الملايين ، لما طلقني نذير اكتفيت بخمس ملايين للخلاص منه.. ومن سنوات عندما مات منحني مليونا آخر ، وكتب لي ابنك حي ، ولم يذكر أين تعيش؟ فقط أريد حبك ،وأن تعلم أني أحبك ومكثت زمنا أبحث عنك.

صمت دقائق يحدق فيها قبل أن يقول :لا فائدة من عودتي لمايكل يا أمي!

قالت: لا تغير شيئا .. المهم أن نتواصل ونحب بعضنا.. تزورني وأزورك كلما يتاح ذلك لكل منا .. أنا لي سبعة أولاد في تركيا.. قبل مجيئ إليك كنت احضر حفل زواج حفيدة زوجي رحمه الله .

قال: الأمر هين .. وأنا على وشك السفر والرحيل إلى القطب الجنوبي في بعثة علمية

قالت: القطب الجنوبي ! هل هناك بشر ؟ هناك الثلج والجليد والبطاريق والفقمات

قال: يجرون دراسات على حيوانات وطيور ، كيف تطيق العيش في تلك البيئة ؟ وأنا طبيب للبعثة ، ومعي زميلتي جينا وهي طبيبة مثلي ، ولما ارجع سأزورك ، ولن أنسى سنوات الطفولة التي عشناها معا ، كانت لي صديقة في المدرسة ...

قالت: الآنسة كارمن ، وإنها ما زالت تذكرك كلما نلتقي تسأل عنك إنها تحب الأطفال فأصبحت مدرسة أطفال لديها طفلان .

قال: نعم، كنت احبها.. ألها عنوان عندك ؟ أنت تعيشين هنا أم في سويسرا ؟

قالت: أحب سويسرا منذ ولدتك فيها ، لا أقارب لي فيها ؛ لكن اليوم لي صديقات في أنحاء أوروبا تعرفت عليهن أثناء عملي في جمعيات الإغاثة التركية ؛ نذير لما علم بحياتك اغتم وانتقم مني بخطفك وأبعدك عني كل هذه السنين .. متى سفركم؟

قال: سنسافر لكندا ، فالبعثة كندية ، وعندما يتحدد الوقت سأخبرك ؛ لعلك تأتين للحياة معي تلك الأيام أبي الحقيقي لم يهتم بي .

قالت: كان لا يستطيع كان مرعوبا من السيد.

قال باحتقار : أكان من حثالة الناس من خدم القصر ؟! يا للنساء

تألمت لقسوة الكلام ولم ترد ، فكرر ببغض : خادم يا أمي! أبي خادم .. هل من الممكن التعرف عليه ؟ لابد من زيارة له .

قالت: لما تعود سالما بإذن الله تعالى ستجد عندي الخبر اليقين أيها الحبيب! لك حياتك ولي حياتي الأمومة حياة الأنثى مهما سعى لقتلها الجهلاء .. فالله خلقنا لنكون أمهات

قال: اعتذر من قسوة العتاب ..أنت تعرفين الله وتصلين له!

قالت: نعم ، وساعدت في إنقاذ حياة البشر بسبب الكوارث والفيضانات .

قال: نلتقي يا أمي نلتقي بمشيئة الله

قالت: لديّ امل كبير.. نلتقي بمشيئة الله تعالى

ودعته بعناق ودموع ، وخرجوا الثلاثة من الشقة إلى المطار ، ركب طائرة كندا ، وأمه تلوح لهما بيديها ، وعادت لقضاء الليل في الفندق ، وفي الصباح رحلت لميونخ لزيارة والدتها في بيت المسنين ؛ حيث انتقلت إليه بعد ترملها ، وقضت أسبوعا بجوارها ، ثم رحلت لشقتها في برن ولما وصلت أخبرتها الخادمة الأخيرة بعد انتهاء وظيفتها في تركيا، أن تتصل بالمحامي برانس فقد اتصل يسأل عنها، وفي الليل رنت على هاتفه الخاص ، وحدثته عن التقائها بمايكل وسمع قصته وحياته في أمريكا اللاتينية ، ولما انتهت، سألت عن سبب الاتصال في الشقة ، ضحك وقال : ملجأ القطط أخبرني بموت القط الأسود باريس.



القطط السوداء

القطط السوداء هي قطط محلية ذات فرو أسود من سلالة القطط الأصيلة أو المختلطة، واعترفت جمعية (CFA) بأثنين وعشرين نوع من سلالة القطط الذين يولدون بفراء أسود، ويكثر هذا النسل في بومباي، والذكور منهم يكون فروهم أسود بالكامل أكثر من الإناث، وذلك بسبب ارتفاع صبغة الميلانين لديهم التي بسببها أيضا يصبح لون العينين أصفر ، قد يكون فرو القطة أسود كسواد الفحم أو الأسود المائل للرمادي أو الأسود المائل للبني، وقد تظهر بعض العلامات الباهتة حتى على فرو القطة السوداء تحت الضوء. ويمكن أن يتحول الفرو إلى اللون البني(لون الصدأ) تحت أشعة الشمس ، فإن جمعية محبي القطط تسمح باللون الأسود كخيار في واحد وعشرين سلالة أخرى، ووصف اللون لهذه السلالات هو أسود: أسود فاحم من الجذور حتى الأطراف، خالي تماما من اللون البني (الصدأ). جلد الأنف: أسود ، باطن الكف: أسود أو بني.

و الاستثناءات هي: القط الشرقي: الأبنوس (أسود) أسود فاحم من الجذور حتى الأطراف، خالي تماما من اللون البني (الصدأ) أو الدخاني جلد الأنف: أسود، باطن الكف: أسود أو بني.
القط الفرعوني : أسود بالكامل من أنفه إلى طرف ذيله، جلد الأنف: أسود، باطن الكف: أسود أو بني.

الخرافات والتحيز وجلب الحظ الجيد أو السيء: يختلف التراث المحيط بالقطط السوداء من ثقافة إلى أخرى، ويعتقد الاسكتلنديون أن وصول القط الأسود الغريب إلى المنزل يدل على الازدهار، وفي الأساطير السلتية هناك خرافة تعرف باسم **Cat Sìth** و تأخذ شكل قطة سوداء، وكانت القطط السوداء أيضاً تدل على الحظ الجيد في بقية بريطانيا واليابان، وعلاوة على ذلك فإنه يُعتقد أن الآنسة التي تملك قطة سوداء سيكون لديها العديد من الخاطبين، وفي التاريخ الغربي كان يُنظر إلى القطط السوداء عادة على أنها رمزاً للشر وبالتحديد يشتبه في أن لها علاقة بالسحرة، أو في الواقع أن السحرة يقومون بتحويل أنفسهم إلى قطط سوداء، وتعتبر معظم

أوروبا أن القط الأسود رمزاً للحظ السيئ، ولا سيما إذا كان هناك شخص يمشي في طريقه ومر من أمامه قط فإنهم يعتقدون أنه فأل لسوء الحظ وللموت، ويعتقد البعض في ألمانيا أن القطط السوداء التي تعبر أمام الشخص من اليمين إلى اليسار هي نذير شؤم، ولكن من اليسار إلى اليمين عكس ذلك، وفي المملكة المتحدة فإنه من الشائع أن القط الأسود الذي يعبر أمام الشخص هو فأل خير. ولقد تمكنت القطة السوداء في التراث من التحول إلى طابع بشري لتعمل كجاسوسة أو ساعية للسحرة أو الشياطين، فعندما وصل الحجاج إلى صخرة بليموث كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالكتاب المقدس، وأيضاً يؤمنون بأن أي شيء يعتبر من الشيطان، وكانت تلك المجموعة مريبة للغاية وكانوا ينظرون إلى القطة السوداء على أنها رفيقة للسحرة، وأي شخص يُقبض عليه ومعه قطة سوداء سيعاقب بشدة أو حتى يقتل، هم ينظرون إلى القط الأسود كجزء من الشيطان والشعوذة وبسبب هذه الخرافات قتل الناس القطط السوداء، ولا يوجد دليل على أن إنجلترا أقامت مذابح منتظمة وواسعة النطاق على القطط "الشيطانية" أو حرقها في منتصف الصيف، كما يحدث أحيانًا في أماكن أخرى في أوروبا.

على النقيض فإنه كانت القوى الخارقة للطبيعة المنسوبة إلى القطط السوداء يُنظر إليها في بعض الأحيان بشكل إيجابي، وعلى سبيل المثال البحارة الذين يفكرون في "قطة السفينة" يريدون الحصول على واحدة سوداء لأنها تجلب الحظ الجيد، وتحتفظ زوجات الصيادين بعض الأحيان بالقطط السوداء في المنزل أيضاً على أمل أن يستخدموا تأثير القطط لحماية أزواجهن في البحر.

ويرجع لوجهة نظر أن القطط السوداء مخلوقات مواتية على وجه التحديد إلى الآلهة المصرية (باستت)، وهي آلهة القط، واعتقدت الأسر المصرية أنها يمكن أن تحصل على الدعم من باستت باستضافة القطط سوداء في منازلهم ، وكان العاهل الإنكليزي تشارلز الأول في أوائل القرن السابع عشر مصدقاً لهذا الاعتقاد، حيث قيل بأنه عند وفاة قطته السوداء الأليفة رثى حاله بأن توفيقه رحل، ووفقاً لادعائه تم اعتقاله في اليوم التالي وأُتهم بالخيانة العظمى. ويعتقد قراصنة القرن الثامن عشر أن القطة السوداء تجلب أنواعًا مختلفة من الحظ، فإذا كانت قطة سوداء تسير

نحو شخص ما فسيكون ذلك الشخص سيئ الحظ، أما إذا كانت القطة السوداء تمشي بعيدا عن شخص ما فإن هذا الشخص سيكون ذا حظ سعيد .

وعلى العكس في المملكة المتحدة إذا ما سارت قطّة سوداء نحو شخص ما فإنها تجلب الحظ السعيد، ولكن إذا انحرفت عن مسارها فإنها تأخذ الحظ الطيب أو السعيد معها، إذا كانت القطة السوداء تسير على متن سفينة ثم مشت خارجا، فالسفينة ستغرق في رحلتها التالية.

إن احتمال تبني القطط السوداء في الملاجئ الأمريكية أقل مقارنة بالألوان الأخرى باستثناء اللون البني، وعموماً فإن الحيوانات السوداء تأخذ وقتاً أطول للعثور على منازل، وبعض الملاجئ أيضاً تعلق أو تحد من تبني القطط السوداء خلال فترة عيد الهالوين خشية تعرضهم للتعذيب، أو استخدامهم كزخارف حية للعطلة ومن ثم التخلي عنهم. على الرغم من هذا فإنه لم يوثق أحد من قبل في تاريخ العمل الإنساني أي علاقة بين تبني القطط السوداء والقطط التي تُقتل أو تُصاب. فعندما يتم الإبلاغ عن حالات القتل هذه تشير الأدلة الجنائية إلى الحيوانات المفترسة الطبيعية مثل القيوط والنسور أو الطيور الجارحة كسبب محتمل، ويوم ١٧ أغسطس هو "يوم تقدير القط الأسود". وفي الأيام الأولى للتلفزيون في الولايات المتحدة، استخدمت العديد من المحطات الموجودة ترددات عالية جدًا على القناة ١٣ وجلبوا قطة سوداء من أجل جعل الرياضة الموجودة على تلك القناة غير محظوظة.

وفي شهادة أُدلي بها أمام المحكمة في محاكمة ١٩١٨ لعمال الصناعة في العالم، قال رالف شابلن الذي يُنسب إليه إنشاء رمز القط الأسود الخاص بعمال صناعة العالم **IWW** أن القطة السوداء "شاع استخدامها من قبل الأولاد باعتبار أنها تمثل فكرة التخريب". و الفكرة هي تخويف صاحب العمل من خلال ذكر التخريب أو عن طريق وضع قطة سوداء في مكان ما، أنت تعرف إذا رأيت قطة سوداء تمر عبر طريقك إذا كنت مؤمنًا بالخرافات سيكون لديك حظ سيء، وفكرة التخريب هي استخدام قطة سوداء صغيرة لتخويف رئيس العمل. عندما تم إعادة صياغة نظام تسمية برنامج المكوك الفضائي للبعثات لتفادي ظهور **STS-١٣** ، قام البعض

منهم بتصديق الخرافة وفي أبولو ١٣ والطاقم الذي كان من المفترض أن يكون في STS-١٣ (انتقل إلى STS- ١٤ C) قاموا برسم هزلي يحتوي على قطة سوداء وعلى رقم ١٣. كانت المهمة ناجحة وحتى أنها هبطت الجمعة في اليوم ١٣. كان السبب الرئيسي الآخر لنظام الترقيم الجديد هو استيعاب عدد أكبر بكثير من عمليات الإطلاق.

تم تحديد ٢٧/ ٢٠١٤ أكتوبر "يوم القط الأسود" من قبل حماية القطط في المملكة المتحدة وبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية وذلك للاحتفال بفضائلها وتشجيع الناس على تبني القطط السوداء غير مرغوب فيها، وتشير الأرقام الخاصة بحماية القطط إلى أن القطط السوداء تواجه صعوبة للعثور على منزل جديد أكثر من الألوان الأخرى.

و في عام ٢٠١٤ ذكرت RSPCA أن ٧٠٪ من القطط المهجورة في رعايتها كانت سوداء مما يشير إلى أن السبب المحتمل هو أن الناس يعتبرون القطط السوداء غير جذابة . في الولايات المتحدة "يوم تقدير القطة السوداء" هو ١٧ من أغسطس. وأظهرت الأبحاث التي أجرتها ASPCA أن القطط السوداء تملك فرصة أقل للتبني من القطط الأخرى في الملاجئ ، وهذا يمكن أن يكون جزئياً بسبب الخرافة وراء أن القطط السوداء ترتبط بالسحر أو الحظ السيئ أو لأنها تبدو مملة بجانب القطط الملونة . وفي عام ٢٠١٤ ، نظمت تورونتو أكبر المدن الكندية حدثًا في يوم الجمعة الأسود حيث انه يمكن للناس أن يتبنوا قطة سوداء دون دفع رسم التبني المعتاد البالغة قدرها ٧٥ دولارًا، وذلك لتشجيع تبني القطط السوداء. وقد انتشر هذا الاتجاه الآن في الولايات المتحدة حيث توفر العديد من الملاجئ تبنيًا مجانيًا للقطط السوداء يوم الجمعة السوداء.

قدس الفراعنة منذ آلاف السنين القط ، وقد نُظر إليه بتبجيل واحترام، وكان جزاء من يقتل قطًّا عقوبة الإعدام، فعلى عكس ما يتوقع الناس ويسود بينهم الآن، كانت النظرة الخاصة بالمصريين القدماء تحديدًا، تجاه القطط جميعًا، سوداء اللون كانت أو بأي لون آخر، نظرة مليئة بالاحترام والتقدير، تجاه تلك الحيوانات الأليفة صغيرة الحجم، وكان عبور القطة السوداء أمامهم لا

يحمل معه أي مشاعر سلبية، بل إنه كان يدعوهم إلى التفاؤل، وانتظار قدوم الخير والرخاء.

في عصور ظلام أوروبا الوسطى ارتبطت القطط السوداء بالساحرات والمشعوذين؛ ذلك أن كل ساحرة كانت تصحب معها قطة، وهذا الأمر جعل الناس يتأكدون من اعتقادهم بأن القطة السوداء ما هي إلا جنيّ متخفٍ، قصة من القرن السادس عشر الميلادي لأب وابنه كانا مسافرين، وقد مرت قطة سوداء من أمامهما، فقام الولد بقذفها بحجر، فركضت القطة بعيدًا لبيت إحدى الساحرات، وفي الصباح وجدوا الساحرة وفي وجهها كدمات، فاعتقدوا أن الساحرة كانت متشكلة في هيئة القطة وأنها جني.

سئل الشيخ الألباني رحمه الله : هل القطة السوداء شيطان ؟ فأجاب : "لا ، ذاك هو الكلب الأسود شيطان " انتهى

قال ابن تيمية: َإِنَّ الْكَلْبَ الْأَسْوَدَ شَيْطَانُ ، الْكِلَابِ وَالْجِنُّ تَتَصَوَّرُ بِصُورَتِهِ كَثِيرًا وَكَذَلِكَ صُورَةُ الْقِطِّ الْأَسْوَدِ؛ لِأَنَّ السَّوَادَ أَجْمَعُ لِلْقُوَى الشَّيْطَانِيَّةِ مِنْ غَيْرِهِ.

الإسلام يبيح تربية القطط بجميع الألوان والقطط من الطوافين والطوافات .

مقارنة بين فتيات الغرب وفتيات الإسلام

الفتاة الأوروبية الغربية: تفرح بها أمها كثيرا ؛ ولكن لا أحد يعرف من هو أباها ؟ تدخل الروضة والمرحلة الأساسية ومرحلة الثانوية والمراهقة وهي لا تعرف من هو والدها ؟ خلال كل هذه المراحل تتنقل أمها من رجل إلى آخر محاولة الحصول على زوج قبل أن ينقضي قطار العمر. عندما تبلغ الفتاة الـ ١٨ سنة من عمرها تختار إما أن تستمر في العيش مع أمها وتشارك في إيجار السكن ، أو تطرد من المنزل ! غالبا تخرج من المنزل ؛ لأنها لا تزال طالبة في الجامعة وترغب في السكن مع صديقها الحالي! تضطر إلى العمل في أي مجال حتى البغاء والحانات مهما كان للحصول على المال ودفع رسوم الجامعة ورسوم سكنها مع صديقها « هذا في حال أنها استمرت مع صديق واحد » تتعرض للتحرش يوميا وليس أمامها إلا خيارين إما أن تنحرف أو تستمر في التنقل من سكن إلى آخر ومن صديق إلى آخر!

تقوم بعض الشركات الغربية باستغلال الكثير من الفتيات لعمل أفلام إباحية وانحرافات جنسية ، تتعرض الكثير من الفتيات للاغتصاب وربما القتل والضرب في الشارع في الملاهي! عندما تكبر في السن يتركها أولادها فلا مفر من رميها في بيوت العجزة والمسنين ،وزيارتها في عيد الأم .

أما حياة الفتاة المسلمة فعندما تولد يفرح بها الأب والأم والجد والجدة والأهل والأحباب، ويعق عنها بشاة ويتصدق بفضة بوزن شعرها ، تدخل جميع مراحل الدراسة وهي تعيش بسعادة في كنف أمها وأبيها ، تنهي دراستها وجامعتها وهي تعيش في بيت أبيها وأمها وأسرتها معززة مكرمة ، يأتي إليها خطيب فيقوم الأب بالبحث عنه والسؤال عن دينه وأخلاقه ، تتزوج وتنجب وتتكرر السعادة مع ابنتها وتتكرر نفس مراحل عمرها ، عندما تكبر في السن يتنافس الأبناء في خدمتها ورعايتها والبر والإحسان إليها . ثم يأتي علماني أحمق إلينا وينادي بحقوق المرأة ! ويقول رجعية معقدة ؛ لأنها تغطي وجهها وتصون نفسها وتصون مجتمعها من الفتنة .

أيها المسلمون استيقظوا من غفلتكم وخدعة الحرية التي يروج لها الغرب الحمد لله على نعمة الإسلام !

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشفق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

الحفل بالقط الأسود

هلكت قطة سيدة القصر ، فاشترت القط الأسود

واحتفلت بوصوله سليما للقصر

وسقط الزوج منهكا من الشراب والطعام والجنس

في طريقه للعلاج مر بمالطا

وحمل لزريق ميتا ، فمن الذي دفن ؟

ثم اختفى ابن سيدة القصر

ثم تبين أن صاحب القصر لم يمت

إنما ذهب للعلاج خفية في كوبا

صاحب القصر يتعاطى مانع الحمل

ابن من صاحبة القصر

ستعرف الكثير من قراءة

هذه الرواية في مجتمع الثراء والمال.

٢٠١٤


الشفق السوداء
جمال شاهين
منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤



جمال شاهين

الشقق السوداء

الشفق السوداء

الكوكب الذهبي

المطاعم والمقاهي والنوادي من علامات الحياة في المدن ، والمساجد منارات سامقة في الأحياء والشوارع والمدن والقرى العربية والإسلامية ، تجتمع كل طائفة أو أهل كل بلد في مقهى معين ويصبح مركزا يلتقون فيه للعب واللهو وتبادل الأخبار خاصة المغتربون ، وأيضا للشغل والعمل وللباحث عن شغل وعمل ، وكذلك نقل الرسائل للبلد الأصلي والأهل ، فترى مغتربين من كل قطر لهم مقهى أو أكثر يترددون عليه .

وكذلك قد تجد شباب وفتيان الأحياء الذين لا يحبون مقاهي الأحياء والحارات يجتمعون في مقاهي خاصة بهم في مركز المدينة ، والمقهى مكان بيع القهوة المادة المعروفة لكل شعوب الأرض اليوم .. وهكذا بدأ المكان كان يبيع القهوة للمارة والناس ، ثم تحول لمكان لهو ولعب الميسر والورق ، وأصبح يبيع الشاي والمثلجات والمشروبات المشروعة قانونا ، والمقاهي العربية عادة ممنوعة من بيع الخمور والكحول بأسمائها الكثيرة ؛ ولكن يسمح للسكارى بالجلوس واللعب فيها.

ومع دخول الراديو المذياع الحياة المدنية أصبح المكان يشد الناس للجلوس فيه ؛ لسماع الراديو من أغاني وموسيقى ، ثم دخل التلفزيون محل الراديو ، ثم جاءت شاشات العرض ومحطات الفضاء.

هذه المقدمة عن المقاهي ؛ لأن الحكاية بدأت في مقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة ، ما هو الكوكب الذهبي ؟! الجواب أنا لا أدري .. نحن نسمع عن الكوكب الأحمر ويقصدون به كوكب المريخ ، الكوكب الرابع من المجموعة الشمسية درب التبانة هكذا علمونا.

والأسماء اخترعت للتمييز بين الأعلام والأشياء.. صاحبنا إدريس اللبن كان من رواد المقهى الذهبي ، كان المقهى يأخذ جزءا كبيرا من مساحة الطابق الثالث ، والأول كله محلات تجارية والثاني مطعم كبير ، المقهى عبارة عن صالة كبيرة ، الغرف مفتوحة على بعضها البعض ؛ لذلك في بعض الأجزاء لا يرى الزبائن بعضهم بعضا ، وموضع التلفزيون في زاوية في وسط المكان

تمكن العدد الكبير من رؤية التلفزيون .. إذن هناك حواجز تمنع رؤية بعض الزبائن لبعض ، وفي المقهى شرفات من يجلس فيها يرى وسط المدينة والمشاة والسيارات ، ويغلب على المقهى رواد الجنسيات الإفريقية السودان ليبيا مصر ، ومباريات الرياضة تدفع الزبائن للجلوس قرب الشاشة أكثر من غيرها ، ولا تنسى لعب الشدة والورق .. البلد فيها أيدي عاملة من جنسيات كثيرة لما تتمتع فيه من استقرار اقتصادي وسياسي عن غيرها من منظومة الدول العربية ، وهذا المقهى لا يمتاز بكثرة الرواد من أهل المدينة الأصليين .. والمقاهي كثيرة في مركز المدينة .

القمار ممنوع في المقاهي ؛ ولكن لاعبو الورق يمارسونه بالحدود الدنيا ؛ كأن يدفع الطرف المهزوم ثمن المشروبات التي طلبت أثناء اللعب .. وهذا يكون بين اللاعبين دون تدخل من إدارة المقهى ودون إشهار هذا ، وهناك ألعاب أخرى تمارس في المقاهي مثل لعب النرد ، ويسمونها لعب الطاولة ، وهناك الشطرنج والدومينو ، وبعضهم لا يلعب يتفرج على كل شيء يعرض على التلفاز ، بعضهم يتفرج على الناس أو يثرثر مع مجموعة خاصة أو مع أي شخص يصدفه ، وبعضهم ينشغل بالتدخين والشاي ، فهنا يباع الشاي والقهوة واليانسون والقرفة والسحلب والمرطبات وعلب التبغ ، ومن جاع فيهبط للطابق الأسفل يتناول المطعومات السريعة والبطيئة والدسمة والخفيفة الدسم .

كان الكهل إدريس اللبن من رواد هذا المكان من سنوات طويلة ، فهو معروف لسيد المقهى والعاملين ، فمالكه عوني أبو نوفل رجل عجوز ورث المقهى عن أبيه ، وتجمع بينه وبين إدريس قرابة ، وأصبح إدريس من زبائن المقهى الدائمين ، وأصبح مقر استراحته ، فعندما يغادر مقر عمله الرسمي قبل التقاعد يتجول في شوارع المدينة ، يتناول الغداء في أحد المطاعم ويصلي العصر في أحد المساجد ، ثم يجلس في المقهى حتى المغرب ؛ وربما يجلس بعض الوقت مع مدير المقهى قريبه ، ثم يذهب للجلوس في إحدى الشرف يراقب الخلق أو يأخذ زاوية يكتب فيها مقالا أو أفكارا أو يتحدث مع أحد الناس يصدفه يتناقشان يتجادلان يعلقان على خبر سياسي اقتصادي سياسي اجتماعي رياضي، ثم يغادر عند المغرب للصلاة في مسجد قريب من المقهى

حيث ترى مئذنته من شرفة المقهى ، ويسمى المسجد الكبير سيدي سعيد ، ويصلي المغرب جماعة وبعد الصلاة إما أن يذهب لإدارة الجريدة التي يكتب لها بعض المقالات والتحقيقات كهواية فحسب ، وهي جريدة أسبوعية تصدر كل أسبوع مرة ؛ وربما تحتجب في بعض الأسابيع لأسباب متنوعة على رأسها الضعف المالي ، فيصدر العدد في الأسبوع التالي ؛ ولكنها مستمرة في عملها ، فمالكها يعمل محاميا في الأصل ، ولها سكرتير تحرير وطابع ، ومراسل مكتب يعمل من الصباح حتى العصر ، ومن مهامه التنظيف والشاي والقهوة وإحضار البريد من صندوق البريد الخاص بالصحيفة ، فيذهب إدريس لتسليم ما كتب باليد ويجلس مع المدير وهو قريب له ، وهو الذي رغبه بالكتابة من سنوات وسنوات ، فيشرب معهم الشاي يثرثرون يقترحون ، ثم يغادره بسيارة أجرة صفراء إلى حي الشاعر حيث يعيش في شقة يملكها.

ولم تحدد البلدية اسما للشاعر تركته على غموضه ، فقد يكون اسم عائلة ، يقول إدريس الذي يعشق الفضول ويحب معرفة كل شيء يقول : لم أعرف نهائيا سبب اطلاق الاسم على الحي حتى قيم المكتبة العامة المهتم بتاريخ المدينة وأحيائها تراثيا وتاريخيا لا يفهم سبب اطلاق حي الشاعر على هذا الحي.

وقال إدريس: رغم عملي بالتحقيقات الأدبية والفكرية ما زلت لا أعرف لماذا سموه بهذا الاسم ولا أعرف أحدا يحمل اسم هذه الأسرة في هذا الحي بالذات .

يقول إدريس : في السنة الأخيرة التي أعيش فيها كان رجل يرتاد المقهى قد أثار فضولي بالحديث معه ، وأثار انعزاله استغرابي وحيرتي ، حاولت فتح خطوط اتصال معه بسرعة ؛ ولكنه رفض بالصمت وعدم التفاعل معي ، عادة أنا أحتك بالزبائن ، ثم أتخلى عنهم .. ويصبح الجلوس معهم لحديث قصير والتحية ، أما هذا الرجل فأبى أي انفتاح وحوار .. يتعرف الإنسان على الأشخاص ثم يختار الاستمرار أم الانسحاب .. هذا الرجل ولا حتى عرفني على اسمه .. يتردد يوميا على المقهى كل مساء ، يحدق بالناس ولا يتعرف عليهم ، ولا يفتح حديثا مع أحد ، لا يجالسه أحد ، لم يستقبل أحدا .. كله غموض حتى سميته الزائر الغامض .. أنت تتعرف على

الناس من المجاورة والمشاهدة أكثر مرة في نفس الزاوية التي تستوطنها وذلك إذا تكرر المجيء لنفس المكان .. جاورني في المكان ، ولا يسعى للتعارف كما هي عادة البشر من حب التعارف والثرثرة ، ولو حتى ببطولات كاذبة أو مضخمة .

أنا اتخذت المقهى مكانا للاستراحة ولقاء المعارف عند الحاجة ، ومكانا للتنفيس من الغضب والضيق من التعامل مع البشر أثناء ممارسة الوظيفة ، قضيت عمري في مراقبة المطاعم والمقاهي والتفتيش الصحي على المحلات ومحلات بيع المواد الغذائية .. تخرجت من الجامعة في مطلع الستينيات ، أحمل بكالوريوس صحة عامة ، فعملت في وزارة الصحة فترة لم تكن طويلة ، وانتقلت للعمل في صحة البلدية كمراقب ومفتش صحة على المحلات ، وأنها تراعي الصحة العامة ، ومتابعة المواصفات الصحية اللازمة في تلك المحلات كالمطاعم والبقالات والمقاهي والفنادق .. فهل يراعون المواصفات الصحية للمحافظة على الصحة العامة عند إنشاء مثل هذه المصانع والمحلات ؟ وكذلك عدم نشر الأمراض المعدية .. ونهتم بمتابعة محلات بيع اللحوم والأسماك وبيع الدجاج وبيض المائدة

وأنا اليوم متقاعد من هذه الوظيفة المهمة في حياة المدينة ، كنت متزوجا قبل ثلاثين سنة ، ثم ترملت بعد عشر سنوات زواج ، ولم تلد لي الزوجة رغم المعاناة الشاقة بسبب هذه القضية أطباء فحوصات مشعوذون بوصفات لا تنتهي ، وقد علمت من الأطباء أني غير قادر على الإنجاب وأن لا فائدة من المتابعة ؛ لذلك بعد موت الزوجة ارتحت ، ولم أعد أفكر بالزواج ثانية خشية العودة لتلك السنوات المرة من تحاليل مراجعات أدوية .. تعقدت من إعادة التجربة إذا جاز هذا التعبير ، فلي اليوم أكثر من عشرين سنة بدون امرأة تشاركني الفراش والبيت ، أنا ألعب وحدي فلذلك أحب أن أسلي نفسي بالناس وقصص الناس ؛ ولكني أسر جدا عندما يزورني أبناء أخي حسن وأختي فاطمة ، فكل جمعة يزورونني فهم من سكان

الحي الذي أسكن فيه ، وستعرف المزيد عني خلال سطور القصة سواء رُقت لك أو لم أرق .

انتبهت لهذا الزائر الغامض وشدني الفضول إليه ، رجل يزيد عن الخمسين مثلي ، نحن بدا لي

أبناء نفس الجيل ، كانت عيناي تلتقي بعينيه للحظات ، أظن أنه سيكون بعدها لقاء وتعارف ولكن لا يحدث الحديث ولا التعارف ، وأصبح الرجل شغلي الشاغل كلما جلس في مقهى الكوكب الذهبي ، هو يلاحقني بعينيه خفية ، وأتظاهر بالنظر إلى شيء فأجد أنه يلاحقني بعينه أحيه بالتحية الإسلامية فيرد التحية ويلزم الصمت .. أثار الفضول الرهيب في نفسي يجب أن أعلم من هو هذا الزائر ؟! .. مضى شهر والعيون تتلاقى دون فائدة دون حوار .. وهو من أكثر الناس الذين رأيتهم يدخنون ؛ ربما يحرق علبة كاملة منذ دخوله المقهى وحتى يخرج يطلب شايا أولا ، ثم قهوة ، ومرة أخرى يعكس الطلبات .

هذا الزائر الغامض رغم مرور شهر على تلاقينا في تلك الزاوية من المقهى الذهبي لم يسع إلى ذكر اسمه لأحد أنا أو غيري أو مهنته أو كنيته أو لقبه ، كانت العيون تتناجى ثم يغرق في عزلته وسرحانه .. عجبت لحالنا نريد أن نتكلم ثم يضعف كلانا ، وأثار دهشتي فيه أيضا أنه يحضر للمقهى مع وقت العصر كما أفعل ويغادر قبل المغرب أو بعده .. وكنت ألحظ ابتسامة غامضة على وجهه وهو يغادر المقهى قبلي .. لقد أصابني بعلة قاتلة علة الفضول الزائد الشديد المتعطشة لكشف شخصية هذا الإنسان.. زاد الفضول البشري من صمته من كلام عينيه .. سألت بعض من يجلس بقربنا هل عرف أحدهم اسمه كنيته مهنته وظيفته ؟ لا أحد استطاع إجابة أو معرفة شيء.. فهو غامض غموضا غير عادي ، فكان يستحق لقب الزائر الغامض .

كان عليّ بعد مرور شهر أن اكشف حقيقته ، فقد سألت نفسي لعله مجنون مريض عقلي سألت الجرسونات فقالوا : لا يتكلم معنا إلا بالطلبات والماء وشراء الدخان

مع مضي سنوات وسنوات على جلوس إدريس في المقهى الذهبي وتعرفه على رواد كثر لم يثر فضوله ورغبته للتعرف عليه كهذا الكهل الأنيق الذي يأتي المقهى ببذلة أنيقة كأنه موظف كبير مضى نصف الشهر الثاني منذ ظهر الرجل في المقهى .. وإدريس قد حسب ذلك ولليوم لم يعرف أحد اسمه أو أبو ماذا ؟! وحدث تغير مثير أيضا أن الرجل بعض أيام الأسبوع يأتي في الصباح يقضي ساعة وأكثر ثم ينصرف ، ويعود عصرا كما بدا لإدريس .. يظهر بعد العاشرة صباحا

ويشرب اليانسون أو الشاي بالحليب ويختفي ويعود مساء مما خربط دماغ إدريس المهتم به أكثر من اللازم .. وهذا علمه إدريس من عمال المقهى الذين انتبهوا إلى اهتمام إدريس بالرجل الغامض ، وقد حاول هؤلاء المساعدة بمعرفة اسم الرجل ، وعجزوا عن ذلك مما زاد الفضول لدى إدريس أكثر .. إنما ينادونه يا حاج يا أبا الشباب كما يقال لكل مجهول الاسم .

كان الرجل يرفض أي سيجارة تقدم له من إدريس أو غيره ، وهو من عشاق الصمت وقلة الكلام ، لا يتكلم إلا عند رد التحية والسلام وبصوت ضعيف ويكون ذلك تحت الإجبار .. وربما يضطر للكلام مع الجرسونات لطلب المشروبات أو الدخان ودفع الحساب .. فكنت أقول لنفسي للرجل حكاية ، أنا أقرأ الوجوه والعيون كيف سأصير ثقة عنده ؟ ليفتح قلبه وأسمع مأساته ، نعم إن له مأساة .. وهو دائما أنيق الثياب يأتي المقهى ببذلة أنيقة ، وخلال الأربعين يوما قد أكون رأيت عليه أكثر من ستة بذلات .. لماذا جاء لهذا المقهى ما دام ليس له أصحاب يرافقهم ويسامرهم ؟! مرة واحدة فقط أقبل شاب إلى المقهى وجلس يسّاره بحديث بضع دقائق وانصرف ، لم استطع التقاط شيئا من الحديث بينهما .. الزائر الغامض علب سجائره تتغير لا يثبت على ماركة معينة .. لماذا أنا مهتم به لماذا ؟! أخبرني الجرسون أبو جلال أن الرجل يرتاد المكان يوم الجمعة في الموعد المسائي .. أنا من النادر أن أجلس في المقهى نهار الجمعة ، الجمعة اجعله للتواصل الأسري لاستقبال وزيارة الأقارب وأبناء الأخوة والأخوات خاصة سكان حي الشاعر الذي يكون في غرب مركز المدينة .. فأخي طبيب عمل في الحكومة ثم ترك وفتح عيادة خاصة في حي الشاعر ، وهو محبوب من سكان الحي ، وهو طبيب شعبي وأختي التي تجاورني في الحي ربة بيت مع أنها تخرجت مثلنا من الجامعة ؛ ولكنها منذ تزوجت تركت العمل ولم تمارسه ، وهي أكبر إخواني ، وهي مشفقة عليّ ، وسعت أكثر من مرة في تزويجي بعد ترملي ، وكنت أرفض وأفشلها .. وزوجها محترم ، وأنا لا أحب مزاحه ؛ لأنه كثير ما يثيرني ويستفزني ويغمز بي من ناحية النساء ..كان يريد أن أتزوج لإرضاء زوجته أختي ، لابد أنها قضية تشغلهم كثيرا في البيت ..لا يمر شهر دون تناول الغداء معهم وذلك يوم الجمعة .. مرة استعنت بخادم

آسيوي في البيت قضى معي بضعة شهور، ثم تخلصت منه لا شيء عندي يلزمه خادم .. الطعام المطبوخ توفره المطاعم المنتشرة في الشوارع والأحياء وفي قلب المدينة .. عددها كثير لا تحصى .. ما بين الكبير وبين للصغير .. والغسيل والكوي لا يخلو حي منه .. وما ينفق على الخادم من مال وطعام ينفق على المطعم والكواء ..ولا يخلو بيت من غسالة كهربائية ؛ لتقوم بغسل الملابس الداخلية ..ومكنسة كهربائية لتنظيف السجاد والبيت .

وكما ذكرت لي قرابة يدير جريدة أسبوعية ، ومنذ فتح تلك المصلحة وأنا أكتب له بناء على رغبته .. لا يقل شهر من مقالين اكتبهما لجريدته.. وهناك مقالات وتحقيقات أنشط فيها ، وبعضها أكتبها بدون روح ملء الفراغ فقط ، وبعضها كما يقول يحولها لسلة القمامة .. وأهم ما أكتب فيه وعنه قراءة كتاب إما التعليق عليه أو تلخيصه وتشجيع القارئ على قراءته .. ولي أعمل معه أكثر من عشرين عاما بهذه الطريقة .. وأنا بعد تسليمها له لا أعود لقراءتها ، ولا هو يطلب من ذلك .. لا وقت لدي للإعادة رغم أني بدون أسرة .. لا وقت للمراجعة والعودة لما نشر .. العمل معه هواية ليس احترافا .. ولا أدعي أني صحفي كبير ولا صغير .. وأنا متقاعد من العمل الوظيفي ..وكنت أتردد على المكتبة العامة في وسط المدينة ، وتعرفت على كل الموظفين في قسم المطالعة ..فأتحدث مع قيم المكتبة عن كتاب جديد معلومة مثيرة مقال انتشر عنوان شاع كذلك .. فالكتب الجديدة تصل المكتبة ، وكذلك الصحف اليومية وقد يدفع لي قريبي الصحفي كتابا نزل السوق لأقرأه وأعلق عليه حسب المساحة المطلوب تغطيتها .. ومرات أرفض ومرات أضطر أن أقبل لتبقى حبال الوصل متصلة .. وليستمر ترددي على مكاتب الجريدة .. واعلموا أن توقيعي على المقالات باسم غير حقيقي .

كان الزائر الغريب لمقهى الكوكب آثار الفضول لديّ بشدة عجيبة ، وشدني لأسعى إلى معرفة سبب هذا الانعزال والانغلاق ، ومعرفة تفاصيل حياته ، ولماذا هو متقوقع على نفسه ؟! استعملت عددا من الوسائل معه دون نتائج ودون فائدة ، فكرت بهجر المقهى حتى لا أفكر فيه وقلت لماذا أهجر المقهى أنا ؟ فليهجره هو .. إني أجلس فيه من عشرات السنين أصبح جزءا

من يومياتي ، ومن حياتي .. العمال يتغيرون يتبدلون حتى لو مات صاحب المقهى سأبقى الزبون الدائم هنا .. أستيقظ في الصباح للصلاة في الجامع الفجر .. وأنام .. أستيقظ وأطلع على الصحف التي يؤمنها لي صاحب المكتبة في الحي .. أتناول الفطور في البيت مما هو متوفر في البيت أو أمشي إلى مطعم قريب من البيت في أحد الشوارع الرئيسية ، ثم أعود للبيت لشرب الشاي وأغتسل وأصلي الظهر في أحد مساجد الحي ـ يوجد في الحي ما يزيد عن خمسة جوامع ـ لا أخص أحدها عن غيره .. لا أعتبر نفسي شخصا متدينا كما يصنف الناس .. تعلمت الصلاة منذ الطفولة المبكرة من حياة الوالدين ..كان من أهم الأشياء عندهم الصلاة وقد نفعنا الله بذلك .. وما زلت أخص قبريهما بزيارة مرة أو مرتين في السنة ، ولا أؤمن بزيارات الأعياد ، فبعضهم يرى أنها ليست من هدي النبي صلى عليه وسلم فلم أعد أهتم بها لما وصلتني هذه المعلومة .. وإذا حضرت دفن جنازة حيث قبرا تراني أمر على قبريهما مسلما وداعيا ـ رحمهما الله ـ كانت أمي تتمنى أن تراني أبا .. وماتت وهي حزينة عليّ.. والطب لم يستطع مساعدتي .. والأمر كله لله ..وأنا الآن أقترب من الستين عاما ..فلست بحاجة لزوجة وقاومت مشاريع الزواج السنوات الماضية .. بضع سنوات ونغادر الدنيا .. أعمار الأمة بين الستين والسبيعين .. وبعد صلاة الظهر أنطلق إلى مركز المدينة العامرة حيث الحياة الكبيرة أزور المكتبة العامة قراءة دردشة مع الزوار الموظفين .. هنا الغذاء العلمي الكتب الفكر الشعر ثم أمشي في الشوارع إلى المسجد الكبير ، وربما دخلت الأسواق في جولة بطيئة أو سريعة حسب الوقت والفصل .. ثم صلاة العصر في مسجد سيدي سعيد .. يقولون إنه شيد في عهد الصحابة .. ولا دليل .. وبعده إلى المقهى العتيد .. وقد أتناول طعاما قبل دخول المقهى إما في المطعم الكائن في الطابق الثاني أسفل المقهى أو ءأخره لبعد صلاة المغرب .. أذهب للصحيفة ثلاث مرات في الأسبوع ومرات مرتان فقط .. أعود للبيت أصلي العشاء غالبا في مساجد الحي أو البيت .. أشاهد التلفزيون أو أقرأ رواية .. أحب قراءة الروايات التاريخية رغم أنها مليئة بالكذب والخيالات .. وأقرأ الروايات البوليسية الشائعة والمنتشرة بكثرة هذا اليوم .. أقرأ أحيانا مذكرات شخصية لمشاهير

ومغمورين .. إنني أسهر لنصف الليل ..قد يطل عليّ بعض الأصدقاء والجيران وبعض الأقارب .. وأحب صلاة الفجر في الجامع وأنا حريص عليها .. وقد أجلس مع بعض الجيران والأقارب في المسجد حتى تشرق شمس النهار ونعتمر ونحج .. وأعود للبيت للنوم وقد أشرب لبنا دافئا أو قهوة قبل الغرق في النوم .. لم يكن عهد الفضائيات انتشر بكثرة .. أنا اليوم مشغول بزائر مقهى الكوكب الذهبي .. نحن في أواخر عام ١٩٩٣ .

انتهى موسم شتاء ذلك العام ، وجاء شهر مارس ١٩٩٤ ولم يتمكن إدريس من معرفة أسرار الزائر الغامض مع ما بذل من جهد وحيل فغير الخطة .. وقرر أن يرقبه خارج المقهى ..كان الرجل يرفض تقربه بكل قوة .. وأحيانا يبتعد عنه إلى مكان آخر ؛ لكنه في نفس القسم والجزء من المقهى .. خطر لإدريس متابعة الرجل خارج المكان .. التعرف على سكنه على جيرانه ؛ وكأن الكهل أدرك أفكار إدريس الجديدة فكان يعمل على إفشال هذه الخطة .. مما زاد من غيظ إدريس ويتسأل كل مرة يفشل فيها .. لماذا يفعل ذلك ويرفض أي تعارف أو احتكاك ومع ذلك لم يطلب مني ترك عبثي أو أفعالي ؟!

كان إدريس يغادر المقهى كما ذكرنا بعد دخول المغرب ، ويدرك صلاة الجماعة في الجامع سيدي سعيد ..كان بعضهم يرى أنه سمي على اسم الصحابي سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بجنة الفردوس ، وبعضهم يرى أنه على اسم التابعي سعيد بن جبير أو سعيد بن المسيب .. فالبناء الأول قديم ؛ ولكنه حدث وجدد مرات على مر الأيام .. وإدريس يرجح أنه على اسم الصحابي سعيد إذا ثبت أنه أقيم في عهد الصحابة وزمن الفتح الإسلامي الخالد .

لتنفيذ الخطة الجديدة صلى المغرب في المقهى حيث يصلي مالك المقهى ، ولما غادر الزائر تبعه خفية ..مشى الرجل إلى مطعم كبير ..وظل إدريس يتمشى أمام المطعم .. ويرقب مخارج المطعم منتظرا خروج الرجل .. وكان يراقب بحيث يرى مدخليّ المطعم .. وكان السيد يلبس كعادته بذلة أنيقة تميزه سريعا عن الآخرين .

خرج السيد بعد نصف ساعة ، وتلاقت العيون لحظة الخروج ، وأدرك إدريس أن الرجل لمحه

فارتبك ، وتظاهر أن وجوده قرب المطعم عفويا .. وأخذ يمسح فمه موهما للرجل أنه كان يتعشى مثله .. ولاحظ أن الرجل يتلف للخلف كلما مشى بضع خطوات إلى الجهة التي يقصدها .. وقد لمحه الرجل عدة مرات .. وأدرك أنه فشل في هذه المحاولة .. ومع ذلك أحب أن يثير غضب السيد ..واستمر بالملاحقة عن بعد ..وأخذ الرجل يحاول الاختفاء والاختباء والتقيا عند تقاطع .. فابتسم له السيد مثيرا لغضب إدريس ؛ وكأن اللعبة أعجبته .. عاد إدريس للبيت ، وقد أدرك أن الأمر يحتاج لجهد وخطة ذكية ..وعرف فيما بعد أن الرجل قضى أكثر من ساعتين يتجول في الشوارع والأسواق متوهما أن إدريس ما زال يتعقبه .. واضطر أن يركب تكسي أجرة خاص .. وينزل في حي قريب من مسكنه .

دخل إدريس المقهى ، وحيا معارفه ، واقترب من الزائر الغامض وقال : عساك عدت البيت باكرا !

لم يرد الزائر بسوى ابتسامة ، وأتبعها بنفخة دخان من سيجارته .. ظن إدريس أن الرجل سيسأله لماذا يتبعه ؟ماذا يريد منه ؟ لقد لزم الصمت لم ير سوى تلك الابتسامة الساخرة والنفخة الدخانية .. غادر إدريس المقهى ممغوصا معلولا قبل انصراف الرجل .. لم يذهب للمسجد ؛ إنما ذهب لمتجر قريب ، وصلى عنده المغرب ، وانتظر مغادرة صاحبه للمقهى ، شاهده يغادر عمارة المقهى ، ورآه يتلفت في جهات مختلفة ؛ كأنه يبحث عنه ..فعلق إدريس : اللعين ما زال مهووسا بأني أراقبه . شاهده يمشي ناحية المطعم مطعم أمس فقال : أتراه مطعمه المفضل كما مقهى الكوكب ؟! تبعه حتى دخل المطعم ، تمركز إدريس بعيدا عن المطعم ، وركز انتباهه على مدخل واحد هذه المرة حتى لا يُرى والرجل يخرج كما حصل أمس استطاع رؤيته وهو يخرج ، وتبعه بحرص أكثر من السابق ..واتبع الرجل نفس خطوات أمس في محاولة لتضليل من يتبعه فقال إدريس: كان عليّ أن أغير لباسي وأغطي رأسي بكوفية.

مشى الزائر في الشارع العام ثم اختفى في أحد الشوارع الجانبية .. والعمارات والمباني كثيرة تدخل من مدخل عمارة تخرج من أخرى .. كان يتحرك كأنه يدرك أنه متبوع .. والتقيا دون

سابق إنذار .. فابتسم إدريس له بحنق .. فقد كان يخرج من محل لبيع العصافير والطيور اضطر إدريس للابتعاد وإن تظاهر أنه يراقبه .. ثم غادر المكان إلى البيت .. وتابعه الفشل في كل متابعة ورغم الخطط والتعديلات وتغيير الملابس بعد مغادرة المقهى لم يعرف المنطقة التي يركب إليها الرجل حتى فكر بالاستعانة بصديق ؛ ولكن ماذا يقول له عندما يسأل عن سبب هذه المطاردة وماذا يريد منه ؟ واحد لا يحب التعرف عليه ويرفضه ، ولا يحب أن يطلع أحد على أسراره الخاصة ومكان سكنه ، ولما يحشر نفسه في حياته .. لا مبرر لهذه المطاردة إلا الفضول الجنوني .. الموقف محرج ومزعج ومخز بين الناس .. وكان يصاب بالصداع بعد كل فشل .. ويعجب كيف تراقب الشرطة المطلوبين والمجرمين ؟! وكانت نظرات السخرية ظاهرة من إدريس عندما يلتقيان في المقهى .. ويبادله التحدي وعدم اليأس .. وذاك يبادله بسحب الدخان في الفضاء وابتسامة ساخرة .. فيقول لنفسه: أخشى أن تصيبني جلطة من هذا الساخر .. أكيد أنه يقول أنت رجل لا يحسن المراقبة .. لماذا جاء هذا الرجل لهذا المقهى؟! لماذا ؟! ويحس أنها تكاد تخرج عاليا .. سأعطي نفسي إجازة عن مقهى الكوكب .. عليّ أن أريح أعصابي قبل أن أفقدها وأصاب بالجنون .. فرغم كل التكتيكات التي اتبعها خلال هذا الشهر فلم يستطع إدريس معرفة السيارة والخط الذي يخدم مكان سكنه ؛ بل عجب من لبسه للبذلات الأنيقة باستمرار ولا يملك سيارة خاصة .. قرر إدريس بعد فشله هجر المقهى إلى حين يسير .. فغاب أسبوعا واحدا عن المقهى .

غياب الزائر

صبّر إدريس نفسه أسبوعا عن الدوام المعتاد له في مقهى الكوكب الذهبي ؛ ليريح أعصابه بعد فشله الذريع في معرفة مكان سكن الزائر ؛ وكذلك ليزيد فضول الرجل بهذا الغياب .. عاد لمقهاه المفضل منذ عقود انقضت من العمر .. وتفاجأ أن الرجل غير موجود ، تفقد جميع المقهى دون أن يراه .. مضى اليوم الأول والثاني والثالث فاضطر للسؤال عنه ..فأخبره الجرسون أنه متغيب من أيام ، لم يعد يظهر في المقهى ؛ لعله سقيم .. وأخبر آخر أنه جاء مرة ولم يمكث إلا مدة شرب شاي وغادر .. قضى إدريس عشرة أيام يرقب عودته .. فقال : هل غير مقهاه ؟! هل تضايق من إزعاجي غير المبرر فغير المقهى؟! عمل إدريس جولات على المقاهي القريبة من الكوكب الذهبي .. راقب المطعم المفضل له عندما يدخله للعشاء .. لم يظهر أيضا .. هل مات الرجل أم هو مريض ؟! لقد شغل فكري اللعين ..قاتل الله الفضول والشيطان .. جاء صيف ١٩٩٤ بحره وغباره دون أن يصدف الرجل الغامض.. وبينما هو يصعد درج المقهى التقى بأحد عمال المقهى فقال : يا أستاذ إدريس الرجل الذي كنت تكثر من السؤال عنه قد عاد ، وأخبرته أنك كنت تسأل عنه .. فهو لا يعرفك .

فرد إدريس : هل هو في الداخل ؟

قال الخادم : هو من عشاق الصمت .. يبدو لي أنه مريض ..هل يتكلم معك ؟!

ـ لا يتحدث معي.. يرفض الحديث معي .

ـ ولماذا تسأل عنه ؟

ـ لفت غيابه فضولي ..فكرت أنه مات أو أصيب بحادث .. شكرا لك .

وتابع صعوده درج المقهى ، ولم يتجه للجهة التي يتخذها الرجل مجلسا ، جلس في مكان يستطيع رؤية الرجل منه ..وتظاهر بأنه لم ينتبه لعودته المفاجئة.. أدرك إدريس أن الرجل يترصده بطرف عينيه .. فأحب أن يستفزه ..وحاول أن يظهر له أنه غير مهتم به وبعودته وفعلا استطاع الانتصار على نفسه.. ولم يقرب تلك الزاوية .. وغادر المقهى كالمعتاد وتنفس الصعداء وهو

يغادر ، ومشى للجامع لصلاة المغرب ، وهو يحادث نفسه : أتراه رآني كما شعرت؟ أتأثر بعدم اهتمامي به وبوجوده ؟ لقد ورطت نفسي معه .. هذه أول مرة أقابل شخصا يحب الاعتزال عن التعارف والثرثرة .. ولما قضى الصلاة دخل المطعم الذي اعتاد عليه الزائر الغامض .. وبينما هو يجلس على مائدة طعام تفاجأ به جالسا على مائدة أخرى ، فاستمر في تجاهله .. وطلب عشاءه ، وتعشى ، ثم غادر .. وظل الرجل بعد مغادرته في المطعم مع أنه أكل قبله.. ثم رآه يتعقبه ، فقال إدريس لسخافة الموقف : ماذا يريد هذا اللعين ؟ إنه يراقبني هل ظن أن دخولي المطعم لمراقبته ومتابعته ؟!

وتظاهر بعدم المبالاة ومشى إلى موقف سيارات الأجرة ـ الخطوط العامة ـ وركب سيارة حي الشاعر ..ولاحظ أن الرجل ما زال يتعقبه . فقال إدريس : هل يفكر بالحديث معي ويستجمع قواه ؟ فهذا لا يحب التعرف على الناس.. لنا شهور نتبادل النظرات والإشارات دون تجاوب من قبله وصل الحي مع ارتفاع نداء الصلاة للعشاء نزل عند المسجد المناسب ، وذهب إلى حجرة الوضوء ، وقضى حاجته ،وتوضأ استعدادا لصلاة العشاء ، ودخل معهم في صلاة الجماعة ، وبينما هو يغادر باب المسجد حياه رجل من معارفه الأعزاء ، وصديق العمر ، وخدم كلاهما في المراقبة الصحية في بلدية المدينة ، ودعاه إلى البيت مسرورا .. وهذا دائم بينهم من أيام طويلة ، وأجلسه في غرفة الاستقبال التي يعرفها الضيف كما يعرف بيته .. ودخل إدريس غرفة نومه ، وخلع الملابس الرسمية ، ولبس الثياب المنزلية .. وعاد يحمل الشاي وقطع البسكويت ووضعها أمام صديقه إياد .. ولما تحدثا عن الذكريات وآخر الأخبار .

قال إدريس: هذه الرقابة على المحلات والمطاعم والدواجن أهون وأسهل من الرقابة على البشر الله يعين الذين يعملون في الأجهزة الأمنية .

ـ لم أفهم سبب هذا الكلام يا إدريس ؟

قص عليه فشله في تعقب رجل المقهى الغامض ولما انتهى الكلام .

قال إياد مستفهما : وماذا تريد منه لتشغل نفسك فيه ما دام الرجل يرفض التعارف والكلام

عن نفسه ؟!

ـ الفضول يا رجل ؛ كأن الفضول أصبح مهنتي بعد التقاعد .. الناس تحب الحديث عن النفس عن البطولات .. يجب أن أعرف حيه وبيته لأسال عنه بقالة مجاورة لبيته بعض جيرانه أسأل عن صمته القاتل .. سبب لبسه الثياب الأنيقة .. الفضول السبب

ـ أتحب أن أساعدك في هذه المهمة ؟

ـ كيف ؟

ـ هو يعرف أنك مهتم به .. فأما أنا فهو لا يعرفني .. فإما أن تعرفني عليه في المقهى وإما الشارع ودع الباقي عليّ .

تنهد إدريس بعمق وسعادة وقال : إنك تقدم خدمة لا تقدر بثمن يا إياد!

وضع إدريس وإياد الخطة المناسبة لمعرفة حي رجل المقهى الغامض ، ظل تحدي العيون متبادلا بينه وبين الرجل في مقهى الكوكب كلما تقابلا بالأبدان ، وكان إدريس قد غير مكان جلوسه داخل المقهى ليربك الرجل ، وجاء إياد المقهى المعروف له من عهد قديم ـ وهو ليس من عشاق المقاهي ـ واستطاع التعرف على شكل الرجل دون الجلوس مع إدريس ، وتكررت الزيارة حتى عرفه بصورة جيدة تمكنه من تعقبه ، ثم أخذ يترقبه عند مطعمه المعروف ، ويتبعه خطوة خطوة فلما خرج كان خلفه في الشارع ، وأدرك أياد أن الرجل يتصرف تصرف الذي يحس أنه مراقب متبوع ، فيعمل على تضليل مراقبه ؛ وكأنه يشعر أنه إدريس يراقبه خفية. فقال : رجل موسوس لماذا هو خائف من إدريس؟! فعلا أنه مريض .. وكان يقول لإدريس بواسطة الهاتف بعد صلاة العشاء: الرجل يتجول في شوارع وأسواق المدينة ؛ كأنه ما زال متبوعا حتى ظننت أنه يعرفني، ويعرف أنني أتعقبه .. لعبة جميلة المطاردة لهذا العجوز لا أدري هل هو يتسلى أم هو شديد السقم ؟!

استطاع إياد بعد أيام يسيرة من معرفة حي الرجل، وبيت الرجل ، وكان يزور إدريس ليقدم له النتيجة ..وبعدما تناولا عشاءهما في أحد مطاعم حي الشاعر زلفا لبيت إدريس ويقول لإدريس

: إنه من سكان حي بهية .. واسمه سيف الدين حاكم وردة .. ووالده كان قبل موته من كبار تجار المدينة وحتى البلد كلها .. تاجر مرموق ..وقد مات قبل عشرات سنوات والرجل عمل مهندسا في أحد المصانع الكبرى .. وهو اليوم متقاعد منه ..ولا يمارس عملا .

ـ هو من أهل ذلك الحي !

ـ نعم ، من أهالي حي بهية .. وهو ـ كما تعلم ـ كان من الأحياء الراقية قبل ثلاثين سنة ..كان حي علية القوم من رجال البلد حي التجار الكبار والوزراء .

ـ إني أعرفه حق المعرفة يا أبا أحمد .. وما الذي حذفه على هذا المقهى؟! فمقاهي بهية مقاهي فخمة .

ـ هذه المقاهي صارت فيه من عهد قريب .. ظهرت بعد ظهور أحياء حديثة للأغنياء الجدد ؛ ولكنها ما زالت تحافظ على طابعها القديم ، وقد دخلت عليه الطبقة المتوسطة .. لم تعد مهوى الأثرياء الكبار كما كانت في الستينات ومنتصف السبعينات .. اليوم هناك حي البدر والزهرة قال إدريس :حي بهية ما زال مسكن الطبقة الغنية القديمة .. تتوارث العائلات تلك القصور الفلل .. ففيه يقطن أكثر من وزير ورئيس وزراء قديم .

ـ صحيح هذا يا إدريس .. ! المهم أنا حققت ما أرهقت نفسك فيه من عدة شهور ما الخطوة التالية ؟

تبسم للغمز وقال : الخطوة التالية ..وقبل الخطوة التالية اشرب الشاي ..

وحدثني كيف عرفت اسمه وبيته ومهنته ؟!

ـ الأمر سهل .. استطعت الركوب معه في سيارة التاكسي الأجرة كراكب .. لم يستأجر سيارة خاصة ؛ بل هو يملك سيارة خاصة رأيتها في موقف السيارة ببيته

ـ هو معقد .. تابع .

ـ ركبنا السيارة سوية ـ وكان قبل تحرك للسيارة يتلفت يمنة ويسرة ـ ولما نزل الحي لم أنزل مباشرة ، وبعد مائة متر نزلت .. ووقفت أتابع الرجل ، لمحته ينزل ويدخل متجرا بقالة في

الشارع العام للحي .. ثم رأيته يترك المتجر ..ومشى نحو شوارع الحي الشبه خالية من المشاة لأن الوقت ليلا يا إدريس.. ولم يكن بيته يبعد كثيرا عن الشارع العام للحي .. دخل شارع فرعي وأنا أراقبه .. ثم دخل بيتا أو قل قصرا من طابقين .. بعد حين دخلت الشارع واقتربت من البيت ، ووجدت لوحة على جدار البيت" المهندس سيف الدين حاكم وردة" وعدت للشارع العام .. وتحدثت مع صاحب البقالة وسألته عن بيت المهندس سيف وردة فقال : قبل دقائق كان هنا .. وبقليل من الحديث والاستدراج علمت أنه عمل في مصنع دواء .. وأنه ابن رجل غني معروف ..وأرجو أن لا يحدث الرجل أن أحدهم سأل عنه وغدا سأدلك على البيت أم هل عرفته ؟

ـ أنا أعرف حي بهية بصورة جيدة .. صف لي معلما مهما .. وما دام قد كتب اسمه على لوحة سأجده بسهولة .

ـ نعم ، بيته قريب من الشارع العام الممتد بين المدينة والحي .. فهو في وسط الحي تقريبا هناك نادي اسمه نادي الكلب ؛ كأنه نادي كلاب أو اسم عيلة .. هو عند النزول من سيارة الأجرة طلب الوقوف عند النادي الذي مدخله على الشارع ؛ وكأنه مشى خطوات ودخل بقالة على الجهة المقابلة للنادي .. وأدركته وهو يترك البقالة ..ومشى نحو شارع فرعي وفي منتصفه داخل شارع فرعي آخر وفي منتصفه بيته .. الشارع الفرعي الأول لا والثاني لا وهو في الفرعي الثالث المنزل الأول لا .. أعتقد الخامس هو منزله وكما قلت لك للبيت لوحة مكتوب عليها اسم الرجل .. وكل البيوت السابقة تحمل اسم العائلة .. وأنا مستعد للذهاب معك .

بعد تفكير قليل أجاب : لا ، ربما أحتاجك لمتابعة أخرى يا إياد .

ـ هل ترى أن له قصة مسلية ؟! هناك المصنع يا صديقي .. قد تجد الكثير من المعلومات عنه

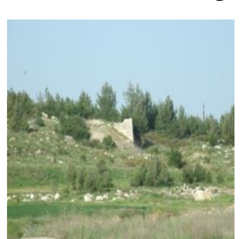
ـ أنا أحب أن أسمع منه شخصيا قبل سماعي من الآخرين.

ـ لا أدري سبب كل الاهتمام به !

ـ الفضول القاتل .. أثار شهيتي هذا اللعين ..كيف رفض التعرف على شخصه وذاته ؟! أريد

أن أبين له أنني أستطيع أن أعرفه وأعرف كل شيء عنه دون إرادته .

لم يتغلب إدريس كثيرا في الوصول لباب المنزل ، ضغط على الجرس ، فخرجت له امرأة خادمة كما ظهر من شكلها المعروف في البلد بالعمل في هذه المهنة .. فسألها عن المهندس سيف .. وبعد زمن يسير كان المهندس يفتح الباب ؛ ليقف مصدوما أو مذهولا ..ولما رَآه فتح فمه ، ولم يتكلم وأغلق الباب في وجهه . ابتسم إدريس ، وأدار رأسه ، وغادر الشارع .



لم يرحب سيف بإدريس ، وأغلق الباب في وجهه دون أن ينطق بكلمة ، لم يستطع إدريس من جمع معلومات عن الرجل تزيد عما زوده به إياد ، لم يتمكن من معرفة اسم المصنع الذي عمل فيه سيف ردحا من السنين .. ما الذي كان يمارسه في المصنع ؟ لم يزوده أحد بذلك ؛ لأن الرجل لا يختلط بالناس وحتى بأهله الذين حوله ؛ ولكنه علم أن الرجل لا يغادر البيت أول النهار إلا قليلا .. يفارقه بعد الثانية ظهرا ..حتى المحلات التجارية في الشارع الرئيسي لا تعرف عنه الكثير مجرد زبون يطلب الغرض وينصرف .. وإذا سئل أحد أقاربه عنه رد باختصار معقد مريض نفسيا .. يوصف بالانعزالي والانطوائي .. لا يتواصل مع الناس .. حياته البيت ..لا يعرف النادي القريب من مسكنه نادي الكلب .. رغم أن النادي رياضي ثقافي اجتماعي فهم لا يعرفونه .. ولا يذكرون أنه دخل النادي يوما .. وحتى النادي الآخر في آخر الحي لا يعرفه فيه أحد .. وكل محلات البقالة على الشارع الرئيس علاقته بها علاقة ضعيفة .. يعلمون أنه من سكان الحي وحسب.. وأنه شقيق الدكتور أمير وبعض النسوة .. يعيش بدون زوجة ، وهذا يعني أنه دون أولاد .. فوجد بينهما بعض التشابه التقاعد عن العمل.. الحياة بدون زوجة وأولاد لكن عنده خادمة آسيوية .. ولديه سيارة حديثة .. ويبدو أنه لا يحب استعمالها ويركب سيارات الأجرة .. لماذا ؟ الله أعلم!

قضى إدريس أسبوعا يلملم المعلومات عنه دون فائدة مهمة ..فالرجل غامض حتى في بيته وحيه فهو إذن مريض نفسيا لا يقرب منه أحد من الجيران ؛ كأنه نكرة ..ولكنه كان يشتغل سنوات وسنوات .. عليّ أن أتوقف.. لقد شغلت نفسي فيه كثيرا .. لماذا فعلت ذلك أيها المجنون ؟! لاحظ أن الرجل لم يكترث لمعرفة منزله ، وأنه كان يلهو ويسخر منه رغم أنه سعى لمنعه من الوصول لبيته وحيه .. المقهى لماذا جاء لهذا المقهى ؟! البلد مليئة بمثل هذا المقهى وأرقى وأفضل هناك سر .. هناك سر يا سيد إدريس ، أنت فضولك كبير .. إنه يتخابث ويتلاعب بي .. فهو يسخر مني .. حسنا يا مهندس سيف ! هل هؤلاء الذين حوله أقاربه ؟ إني كنت أسمع باسم السيد حاكم ..كان من كبار التجار في سوق الطعام والأغذية خاصة الأرز والدقيق والسكر الأبيض .. لما لا أسأل عن ذلك التاجر الكبير أصدقاء السوق ومنافسيه .. فهو من كبارهم وسادتهم .. من أعرف من سادة السوق الكبير للمواد الغذائية ؟ واليوم أغلب تجار السوق أبناء وأحفاد هؤلاء .. عليّ عمل جولة في ذاك المكان لعلي أتذكر كبيرا منهم .. أنا لي عشر سنوات متقاعد عن العمل والرقابة الصحية .. دخل السوق الكبير المعروف بسوق الأرز والسكر وكان ذلك بعد صلاة الظهر في جامع سيدي سعيد .. تمشى في طول السوق ذهابا وإيابا ..وأعاد بعض الذكريات في هذا السوق الكبير .. وفي طرف السوق تذكر متجر الحاج إسماعيل أبو علي .. دخل المتجر وبعد السلام سأل عن الحاج إسماعيل .. فأخبره أحد العمال أنه لم يعد يباشر العمل في المحل .. فهو قعيد البيت .. وأشاروا لابنه شامل الذي يدير العمل .. سلم على السيد شامل وقال بعد التعريف بنفسه: كنت أرغب بلقاء الوالد الحاج إسماعيل فأنا أعرفه قبل سنوات .

ـ ونحن نعرفك يا معلم إدريس.. الوالد عاجز عن العمل ..كما تقاعدت أنت هو تقاعد من سنوات قليلة .. كنت مراقبا صحيا تعمل في البلدية في هذه الشوارع .

غمر إدريس الفرح لتذكر شامل له .. وإن لم يذكره هو بشكل جيد .. لكن يذكر أنه رآه ، فتلك الأيام كان يعمل مع الحاج عدد كثير من الأولاد والعمال .. وبعد حديث ذكريات وشرب كوب من الشاي . قال إدريس : كنت أريد الحديث مع الوالد عن التاجر الكبير حاكم وردة .. ألم يكن

له متجرا في هذا السوق؟

ضحك شامل وقال : آ .. ومن لا يعرف سيد السوق حاكم وردة يا أستاذ إدريس .. ماذا تريد منه ؟

ـ هو كما تعلم قد مات .

ـ زمان مات ربما له عشر سنوات ؛ وربما أكثر ..كان صديقا عزيزا على الوالد وكان عضو الغرفة التجارية وترأس جمعية المواد الغذائية ومستوردي الرز على المستوى العالمي ..وكما تعلم هو نقيب تجار الأرز فترة من الفترات .. هل تريد مصاهرة أبنائه ؟

تضاحك إدريس وقال : تقريبا .. ليس أنا طبعا ..كان له محل هنا ؟

ـ كان له محلات هنا ليس واحدا فقط.. لكن لما مات استلم مكانه ابن ابنته إحدى بناته .. وفشل في متابعة الخط ، واختفى اسم حاكم من السوق رويدا رويدا .. والحي أبقى من الميت وأصبح كما نقول في خبر كان .. ولا أعتقد أن أبي يعرف ذريته بشكل جيد .. السيد حاكم يا أخ إدريس لم ينجب الكثير من الذكور ، ذريته بنات ؛ بل مات أحد أبنائه في حياته .. له ابن طبيب حي والآخر مهندس .. والأول كان طبيبا ومات قبله .. وللسيد أربع أو خمس بنات .

ـ نعم ، نعم ، وهو من سكان حي بهية وما زالت ذريته تقطن ذلك الحي خاصة ابنه الطبيب والمهندس .. وكان لهذا الحي كما تعلم أيام عز وشهرة

ـ هذا صحيح ..كان حي بهية مهوى علية القوم في الستينيات ومطلع السبعينيات .. كان حي العز والفخامة يا معلم إدريس .. كان لي أخ يعيش فيه ثم هجره إلى حي أفخم وأحدث منه .. إذا كان الموضوع موضوع زواج فلن تجد عندنا المعلومات الكافية .

قال إدريس : كنت تريد الحديث عن ابن السيد حاكم المهندس سيف الدين !

ـ المهندس سيف الدين .. فعلا هذا اسم أحد أبناء السيد الثلاثة .. إنه شاب معقد .. هل هو متزوج؟! نحن لم نعرفهم جيدا .. حسب معلوماتي لم يتزوج هذا الإنسان كانت واحدة تصادقه أيام الجامعة.. له قصة كبيرة في موضوع الزواج ؛ كأنه تزوج ابنة أحد الأكابر .. بنت وزير ؛

ولكنها طلقت بعد أسابيع ، لم تكمل الشهر على ذمته ..لا أذكر القصة بالضبط ..هل يريد الزواج من إحدى قريباتك؟

بعد تردد للحظات أجاب : تقريبا ؛ ولكنه معقد كما قلت.. ويحب لبس البذلات الرائعة والأنيقة .

ـ أنا أعرف شكله .. الأفضل أن لا تتزوج قريبتك منه .. إنه مريض .. وهل سيتزوج بعد كل هذه السنين من العزوبية ؟!

ـ هو لا يتكلم كثيرا .. حياته الصمت .. وتعرف على السيدة القريبة في المصنع لا أدري أي مصنع؟!

ـ نعم ، أذكر أنه كان مديرا لأحد مصانع خاله .. خاله شخصية كبيرة في البلد يا إدريس .

اعتبر إدريس زيارته لسوق التجار في مركز المدينة نجاحا ، واستفاد من شامل معلومات إضافية عن زائر المقهى الغريب والمثير والغامض .. وكان مستغربا من غموض المهندس والمتعلم والمتخرج من كلية الهندسة وكان يسأل نفسه وهو يرتب المعلومات في ذهنه وينقلها لإياد : هل حقا تزوج هذا الرجل من ابنة وزير ؟! أي وزير زوج ابنته له ؟! هذا كان منذ ثلاثين سنة على الأكثر .. تزوج لشهر واحد ابنة وزير .. تتزوج لشهر واحد أمر غريب ومثير ! أي وزير هذا ؟! وخاله شخصية كبيرة .. من هو خاله ؟ ! من هو حضرة الوزير ؟ ومن هو حضرة الخال؟ لم تزد هذه المعلومات كثيرا عما قدمه زميله القديم في دائرة المراقبة الصحية التابعة لدار البلدية للمدينة..

ـ القضية كبرت يا إدريس .. فعلا أذكر هذا السيد حاكم وردة .. الأحداث ذكرتني به .. والمهندس كان يدير مصنعا كبيرا من مصانع الخال .. ما اسم الخال واسم المصنع ؟

ـ لم أعرف يا سيدي من السيد شامل .. لا يعرف الرجل معرفة عميقة .. وهو اعتقد أنني أسأله عنه لأنه يرغب بالزواج من قريبتي ..لا أدري كيف ذهب الحديث إلى ذلك؟! وحسب معلومات شامل كانت فترة زواجه من ابنة الوزير قصيرة ..في أقل من شهر حصل الانفصال

بل ظن أنه لم يتزوج في بادئ الأمر ، ثم حسم الأمر بأن الزواج حصل ثم طلق .. قصة قديمة ولم يسمع أنه تزوج ثانية يا إياد .. الحي لا أحد يعرفه حق المعرفة .. فأصحاب هذه المحلات من الجيل الجديد ..ولا أعتقد أن أحدا يفيدنا عنه .. فهو ضئيل الاختلاط مع الناس .. القضية أن الفضول ورطني معه ..قاتل الله الفضول! .. سوف أسعى للقاء به ؛ لعله يلين ويفتح قلبه لقد أغلق الباب بوجهي؛ كأنني شيطان يطرق بابه .. أغلقه فورا دون أي كلمة ولو تحية سوى ابتسامة غاضبة ساخطة.

ـ هل لي دور آخر في هذه المعركة الفضولية المسلية؟ فعلا إنها مغامرة مسلية لمثلنا يا سيد إدريس؛ لكن النتيجة ستكون مخيبة للآمال حتى لو كان صهرا لرئيس الجمهورية أو سلطان المسلمين.

ـ معك حق !كانت غلطة ؛ ربما الفراغ كما ترى هو الذي جعلني أهتم بالرجل أكثر من اللازم كان عليّ أن أنسى الموضوع ..وأبقى على عاداتي ويومياتي .

ـ أيجلس في المقهى ؟

ـ نعم ؛ ولكنني غيرت موقع جلوسي .. وأحس أن نظراته تطاردني .. ومع ذلك لم يلن ويسمح بالحديث معه ..لا يوجد في بيته إلا الخادمة الآسيوية ..حتى أبناء الجيران وهم أقاربه .. لم أصدف أحدا يدخل قصره أو يخرج منه .. إنه يعيش في عزلة غريبة ..أتعرف قصة إنشاء هذا الحي ؟

ـ لم افهم ؟!

ـ أي كيف نشأ هذا الحي الراقي من حي العرب الكبير ؟

ـ هل له قصة؟

قال : كل حي يا إياد له قصة ، قد تطول أو تقصر ..حي بهية سمي بهذا الاسم على اسم سيدة غنية كانت أول من سكن فيه .. فهو قطعة من حي العرب المحيط به من عدة جهات .. وهذا الحي كما تعلم شمال المدينة الكبيرة .. وهو عبارة عن مجموعة من التلال .. وهو حي قديم تاريخي منظم قديما وحديثا ..كان يقطن الحي ثري من أصول غير عربية .. فلما تزوجت ابنته الوحيدة

بهية أنشأ لها قصرا فخما على إحدى التلال الخالية من حي العرب .. وكانت امرأة ثرية ، وزوجها لا يقل عنها ثروة وجاه ؛ ولكن غلب اسم السيدة على القصر فيقال قصر السيدة بهية ..وجارى الأثرياء السيدة بهية وبنوا حوله قصورهم والفلل .. ومع وقت قصير انفصل هذا الجزء عن الحي الكبير وصار يقال له حي بهية ..حي الطبقة الثرية والغنية في المدينة وامتد إلى مساحات أخرى وكبر .. وأصبح حي الأغنياء والسادة في مطلع الستينيات والسبعينيات حتى ظهرت أحياء أخرى تنافسه للأغنياء فضعف صيته وشهرته .

ـ كيف وصلت إليك هذه المعلومات ؟ وتابع ضاحكا .. لعل سيفا حدثك بها !

ضحك إدريس على تهكمه ورد قائلا : أتسخر مني يا إياد ؟! أنت تعلم أنني أقضي ساعات وساعات خلال الأسبوع في المكتبة العامة في مركز المدينة .. وأعرف مدير المكتبة شخصيا ونتناقش في أوقات فراغه .. ونتبادل الأخبار والحكايات والتعليق على الكتب والصحف والمجلات .. وهو رجل عاصر تطور المدينة .. وهو يحمل ليسانس تاريخ وجغرافيا .. وله مؤلف حول نشأة الأحياء والمدن الحديثة وتوسع الأحياء أو تقلصها واختفاء بعضها أو تغير أسمائها القديمة ..إنه الإستاد عبس الحوا

ـ أعرفه ، لقد عرفتني عليه .. أكان صاحبنا سيف في المقهى هذا المساء ؟

ـ ذكرتني يا إياد .. لم أره اليوم ..ودخل المغرب وهو لم يظهر .. أفكر أن أزور القصر نهار الغد ومحاولة فرض نفسي عليه .. الآن لا أجد لك مهمة إلا إذا كان عندك أفكار معينة .

قال وهو يقف : لا أفكار عندي وأستودعكم الله .. الشكر على اللقاء والعشاء والشاي والمرطبات .

ـ لا شكر على واجب كما يقال .. إذا حدث شيء قد أتحدث معك .

ركب السيارة إلى حي بهية .. وكان الوقت قبل الظهر بقليل .. طرق الباب ، فتحت الخادمة فقال : السيد المهندس هنا .

ـ لا ، من أنت؟!

ـ صديقه .. أين أجده ؟

ـ أذكر أنك طرقت الباب منذ أيام.

ـ نعم ، كان بيننا موعد فاعتذر عنه .

ـ السيد نقل ليلة أمس إلى المستشفى .



شقيق سيف

بعدما استوعب إدريس الأمر نزل المدينة لصلاة الظهر جماعة ، وبعد تناوله الغداء ركب سيارة إلى المستشفى الذي يرقد فيه المهندس سيف ، وعلم من مكتب الاستعلامات الجناح الذي يرقد فيه المهندس ورقم الحجرة ، وركب المصعد إلى ذلك الطابق ، وتمشى لدقائق في دهاليز الطابق ثم طرق باب الحجرة ودخل .. فلما رآه المهندس حملق في وجهه للحظات ، ثم نظر إلى شقيقه الذي كان معه في الغرفة .. وارتفع صوت إدريس قائلا : الحمد لله على السلامة يا مهندس سيف .

لم يرد المهندس على الزائر ؛ بل أخذ يتبادل النظر بينه وبين شقيقه الطبيب أمير .. ولاحظ أمير امتعاض شقيقه من هذا الزائر .. وهو قد تفاجأ بوجود هذا الصديق لأخيه ، وظنه من معارفه أيام إدارته للمصنع ، فقد قدره من جيله .. فقام بالترحيب بالزائر والتعريف بنفسه ، وفعل إدريس مثله وقال: أظن أنني التقيت بك أكثر من مرة !

هتف أمير استغرابا : أنا كيف ؟! قال: أنت الطبيب أمير وردة كما عرفت بنفسك .. لقد التقيت بك في عيادة الأسنان في مستشفى الراحة .

ـ أجل ، فعلا عملت في عيادة ذلك المشفى عشر سنوات ؛ وذلك عندما تخرجت من الكلية الطبية .. أكنت مريضا أم موظفا ؟! أنا لا أذكرك .

تبسم وقال : كنت رفيق أحد المرضى .. ومشكلتي أن الوجه الذي أراه ولو مرة واحدة لا أنساه ما زلت أملك ذاكرة قوية والتفت لسيف وقال : كيف صحتك اليوم يا مهندس سيف ؟

قال سيف بغضب ظاهر : أرفض زيارتك يا سيد إدريس .

عجب أمير من رد شقيقه الحاد ، وقبل أن يتكلم بشيء سمع أخاه يقول: أنا لا أعرفه.

توقف أمير عن الكلام الذي كان يريده .

فقال إدريس: لي شهور أراك في المقهى الذهبي يا مهندس سيف .. أليست هذه معرفة ؟ ولست أدري لماذا يا طبيب أمير رغم جلوسنا الطويل في المقهى لا يتكلم شقيقك كثيرا ؟ أنا

افتقدته .. فعلمت أنه في المستشفى ..فقررت أن أزوره ..فهل نذر الصوم عن الكلام ؟

فصاح سيف سخطا : أرجوك أخرج.

أخذه أمير خارج الغرفة ، ووقفا في الممر وقال : ما القصة فشقيقي غاضب ؟

عرف إدريس بنفسه أكثر وبمهنته قبل التقاعد ، وجلسته في المقهى وقال : تعارفنا في المقهى ؛ لكنه لا يتكلم .. يعشق السكوت ..فظننت أنه بحاجة لصديق بعد مرور الأيام .. وهو كثير السرحان .. وهو يرفض الصداقة فاعتقدت أن هذه الزيارة قد تفتح الباب المغلق .. هذه هي القضية.. لنا عدة شهور نرى بعضنا في المقهى .

تنهد أمير وقال : أهلا بك يا أخ إدريس .. أخي بصراحة معقد وحياته صعبة ..لا يحب تكوين الصداقات .. وعجيب أمر هذا المقهى الذي تتحدث عنه ..هذه أول مرة أسمع أن أخي يرتاد المقاهي ..حياته البيت والكتب حتى الزواج يرفضه .

ـ أعرف أنه تزوج قديما وطلق ، وانقطع عن النساء . قال: صحيح .. من قال لك ذلك؟!

ـ أحد الناس الذين عملوا معه في مصنع الدواء.

ـ كان مديرا لمصنع الدواء مع ابن خالي .

ـ لما تعرفت عليه من خلال المقهى ، حاولت التقرب منه أكثر من اللازم يا أخ أمير ؛ لكنه صدني رغم إصراره على الجلوس قريبا مني .. فلما أخبرت بمرضه وجدتها فرصة للتعرف عليه والتقرب منه والصداقة معه .. يبدو كما قلت إن حياته الخاصة معقدة .. أنا آسف يا دكتور أمير ولكني لن ايأس منه .. قد يقبلني صديقا في آخر الأمر ما دام مستمرا في التردد على مقهانا .

ـ هو ما زال يتردد على المقهى .

ـ قبل مرضه هذا ما زال ..كان معنا في المقهى ؛ لكنه الرجل الصامت .. ولا يتفاعل معنا إلا بعيونه .. لماذا هو هكذا ؟!

ـ لا أدري من عقود وهو كذلك ، ولقد رغب أبي بتزويجه أكثر من مرة ، وهو يصر على الرفض شكرا لك يا سيد إدريس .. وأتمنى أن تنجح أن تكون صديقا لأخي .. وحتى وهو يدير المصنع

لم تكن له صداقات مع أفراد وكادر المصنع .. علاقة عمل فحسب .. قضى عشرين عاما فيه .. هو صديق البيت فقط ..لا يزور أحدا إلا في النادر جدا .. وتقل إليه الزيارة بسبب ذلك .. أنا تفاجأت حقيقة بحكاية ارتياده المقهى من عدة شهور ومعرفتك له .. لم أعهد أخي يرتاد المقاهي والنوادي .

ـ له أشهر يفعل ذلك .. ومقهانا هو مقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة .. نتحدث بالعيون وحركات الوجه .. أترى أن كل هذا بسبب طلاقه لتلك المرأة ؟!

ـ لا أدري فهو رفض العلاج النفسي .. فزيارة المقهى تثير الاستغراب عندي .. لا يتكلم بشيء أمامك في المقهى .

ـ رد التحية ، وفي الغالب بالإشارة .. يجلس قريبا من مقعدي ، يطلب الشاي أو القهوة ويشتغل بالتدخين والنظر إلى الناس دون كلام .. وهو عادة يدخل المقهى عصرا ويغادره مغربا ؛ وذلك من أكثر من ثلاثة أشهر .. وحاولت بحكم المجاورة فتح خط اتصال معه ؛ لكن دون فائدة كل هذا بسبب أنثى!

ـ هكذا نحن نفسر ذلك .. أما السبب الحقيقي لا يعلمه إلا هو .. وكان ناجحا في عمله في المصنع .. وقبل سنوات طلب الإعفاء دون سبب واضح .. واعتكف في البيت.

ـ رفض جلسات العلاج نفسي .

ـ رفض بشدة .. وحكاية المقهى عجيبة .. واختيار هذا المقهى ربما تكون أعجب .. أنا لا أفهم مغزاها وسببها !

ـ هو هبط علينا فجأة .. وحده دون صديق .. وتعارفنا عندما اتخذ زاويتي مكانا لجلوسه .. وكلانا لا يلعب الورق .. وكلانا يتفرج على الناس .. وأنا أثرثر مع الرواد .. حاولت التقرب إليه كما أتقرب للآخرين .. فالمقاهي مكان للحديث والأخبار والعمل والتقاء المعارف والأصدقاء .

مقهى جديد

تابع إدريس من خلال استعلامات المشفى خروج المهندس سيف الدين ، وقد فشل في لقائه في غرف المستشفى ، ولم يحصل على معلومات مهمة عنه من أخيه أمير ؛ بل وجده لا يعلم الكثير عن أخيه سوى أنه معقد ، ودمر حياته الخاصة بسبب امرأة عاش معها زمنا يسيرا.

أقام سيف في المستشفى ثلاثة أيام ولم تجر له أي عمليه طبية ؛ ولم يظهر في مقهى الكوكب منذ دخوله المشفى ، ومضت ثلاثة أسابيع على خروجه دون العودة للمقهى .. فسأل إدريس نفسه أكثر من مرة: أتراه هجر المقهى ؟! .. ولكن التخلص من العادات من الأشياء الصعبة على النفوس .

كان إدريس غاضبا من نفسه في فشله في معرفة أسرار وعقدة سيف ، سعى إلى مصنع الدواء قابل عددا من رفاق العمل ، ولم يخرج بفائدة تذكر.. كان يأتي للدوام ويدخل مكتبه ويقوم بالأعمال الروتينية .. ليس له نشاطات مميزة أو اجتماعية .. كان يتابع الآلات والماكينات بنفسه ومع المهندسين والفنيين .. وشعاره الصمت أو الكلام بحدود العمل والشغل

فقال إدريس حازما الأمر : لن أعرف أسرار هذا المخلوق إلا من فيهه .. متى سيتكلم ؟ هو يعرف لماذا أطارده وأتعقبه؟ أمعقول أن امرأة واحدة تفعل به كل هذا الفعل ؟! من هي تلك المرأة ؟ هل تقبل بمقابلتي ؟ بأي صفة سأقابلها ؟ هل تزوجت بعد أن طلقت أم تعقدت مثله لابد أنها تزوجت .. وهي ابنة وزير .. ما اسم هذا الوزير ؟ هل اتصل بالدكتور أمير ؟ لقد أعطاني رقم هاتفه وأخذ رقم هاتفي .

ولما مضى الأسبوع الثالث ، ولم يظهر سيف في المقهى الذهبي خطر لإدريس أن يرقبه في مطعمه المفضل .. وفعلا رآه هناك يتناول العشاء وتبادلا الابتسام .. وتظاهر إدريس أنه دخل صدفة ولتناول العشاء .

وكرر إدريس العشاء في المطعم ثلاث ليال ، وأدرك أن الرجل غير مقهاه ، وأنه قريب من مركز المدينة حيث يتناولان الطعام .. وخلال أيام رصد المقهى الجديد لسيف .. وتلاقت العيون

وابتسامات السخرية من كليهما .. وأخذ إدريس بإغاظة الرجل فصار يرتاد المقهى الجديد قبل الغروب ، ويجلس قبالة الرجل حتى يشرب الطلب ، ثم ينصرف ، وظل هذا الوضع لعدة أيام ولم يتنازل الرجل للحديث مع إدريس الذي ازداد غلا وغيظا .

وذات مساء في مقهى الكوكب انقلب الوضع لما انتهى من الشرب نهض للانصراف وقال للرجل : أنا أكتب للصحافة إذا كان عندك قصة فأنا مستعد لسماعها . وترك ورقة عليها رقم هاتف البيت .

تفاجأ إدريس بقول الرجل ورده : أنت صحفي !

ـ أكتب للصحافة لي مقالات .

ـ آ ..جميل ! دعني أفكر .. شكرا .. هذا رقم هاتفك .

ـ أنا مثلك أعزب ترملت منذ عشرين سنة .

ـ أوه !! دعني أفكر .

وقف الرجل قائما للمغادرة وتابع إدريس مغادرته فلما أصبحا في الشارع قال: لن أتبعك اطمئن إنه الفضول يا مهندس سيف .

ـ دعني أفكر

ـ سؤال واحد فقط

لم يرد سيف ، فقال إدريس: لماذا جئت مقهى الكوكب فجأة ؟!

ابتسم سيف وقال: سؤال عجيب .. ستعرف سأفتح لك هذا ـ وأشار إلى قلبه ـ دعني أفكر

ـ متى نلتقي ؟

ـ دعني أفكر

ـ دعني أفكر .. سأدعك تفكر .. اعتبرني الصديق الوحيد لك .

ـ الصديق الوحيد .. كم عمرك ؟

ـ مثل عمرك تقريبا .. نسيت أن أقول لك الحمد لله على السلامة .

ـ كانت زيارة غريبة وصادمة .

ـ الفضول سقمي .

ـ الفضول صديقك .. في أي جريدة تكتب ؟

ـ جريدة أسبوعية باسم مستعار من عشرات السنين إنها جريدة الصحفي خلدون محمد .. جريدة الشرق المضيء.

ـ الشرق المضيء أعرفها ، قرأت بعض أعدادها .. الاسم المستعار .

ـ الفتى نصار .

ـ كأني أذكر هذا الاسم .

قال إدريس بخبث وتملق : هذا اليوم من أيام السعادة عندي يا مهندس سيف .. لقد توهمت عندما رأيتك أول مرة أنك قادم للقاء بي ، ثم رأيت التردد والحيرة على وجهك !

ـ لا ، إنها هي صدفة .. أنا فعلا جئت لهذا المقهى بالذات لأمر ما .. قابلت فيه شخصا قبل ثلاثين سنة ، جئت طامعا بلقياه ورؤيته .. وستعرف هذه التفاصيل فيما بعد بعد التفكير

ـ قابلت شخصا فيه قبل ثلاثين سنة ، وجئت حالما بمقابلته !

ـ كان ذلك في عام ٦٥.

ـ يا إلهي قبل ثلاثين سنة قابلته ! ولم تره بعدها.

ـ لم أفكر فيه لم أفكر باللقاء به ثانية .. فهذا سبب مجيئي لهذا المقهى .

ـ هل كان هذا المقهى نفسه قبل ثلاثين سنة ؟!

ـ نعم ، وفي نفس الطابق الثالث .. لقد جدد البناء كما بدا لي .

ـ اعتقد أنه جدد يا مهندس سيف .

ـ هل عرفت عني الكثير ؟

ـ لا شيء عنك لا أعرفه .. عرفت أنك مهندس ، وكنت مساعدا لمدير مصنع دواء يملكه خالك وكنت لفترة شريكا ، وعرفت شقيقك أميرا في المستشفى .. وقد قابلته قديما بعدما رأيته ؛

وذلك أيام عملي الوظيفي .

ـ المهم دعني أفكر إلى اللقاء .

ـ متى؟

ـ لا اعرف ؛ ولكني سأضع قصتي بين يديك .. وهي قصة قصيرة ؛ ولكنها مأساة .. أنا لا أدري لماذا أستسلم لك؟! .. فلك شهور تزعجني وتصر على التعرف عليّ .. إلى اللقاء يا سيد إدريس

قضى إدريس أسبوعا بعد هذا اللقاء المفاجئ ينتظر مكالمة من سيف .. تنقل خلاله بين المقاهي والمطعم ، ولم يظهر الفارس ذلك الأسبوع ، ثم جاء الهاتف المنتظر ليلا .. وقد توسوس إدريس كثيرا ، وخطر في قلبه الكثير من الأفكار الرديئة .. ولما كان المتصل سيف تبدد الكثير من الظن والخطرات .. وبعد التحية والسلام قال : مساء الغد نلتقي كما اعتدنا في مقهى الكوكب الذهبي

ـ لك أسبوع لم تظهر في المقهى .

ـ لي أسبوع أفكر يا أستاذ إدريس .. تحدثت مع الصحفي محرر جريدة الشرق المضيء .. وتأكدت أنك تقدم لهم بعض التحقيقات باسم الفتى نصار.

ـ حتى ولو لم أكن أكتب لهم فأنا بشوق وهوس لسماع قصتك في هذه الحياة الدنيا .. لي حوالي العام أنتظر أن أعرفك جيدا .

ـ حياتي مأساة .. حطمتني امرأة .

ـ أعرف وهي ابنة وزير كما قيل ؛ ولكني لم أعرف أي وزير صاهرته !

ـ كانت ابنة وزير صحة تزوجتها قبل الوزارة بأشهر معدودة ..كان والدها من كبار الجراحين في البلاد في الخمسينيات والستينيات .. لم تطل وزارته .. مات أثناءها

ـ مات!

ـ نعم ، مات بعد طلاقي لابنته بشهور .. سنتحدث عنه .. وستعرف لماذا طلقت ابنته؟ إنه الوزير خالد حمدي أسعد .

فتح ادريس فاه وقال بدهشة : أوه ! إني أعرفه ..كنت موظف صحة في قديم الزمان !

ـ ستكون بيننا جلسات وجلسات .

ـ أنا سعيد بهذا الكلام ! قصص الحياة كثيرة ..وقصص الناس لا تنتهي يا مهندس سيف .

ـ قل سيف بدون مهندس ، لقد رميت الهندسة وراء ظهري .. أنا مثلك متقاعد ، لكن بدون راتب تقاعدي من التأمين الاجتماعي ..أنا كان والدي من كبار تجار البلد ، وترك لنا أموالا تغنينا الدهر كما يقال .. ولي تقاعد من نقابة الهندسة .. أرجو أن تكون أهلا للأسرار التي ستعلمها عني يا إدريس .

قال : اطمئن اطمئن للغاية يا صديقي ..رغم ما رأيته من لهفتي وفضولي الشديد نحوك ، فأنا خير من كتم الأسرار .. كل إنسان له أسرار وأخبار

عندما أنهى إدريس المكالمة رن جرس الباب ، فوضع السماعة في مكانها ، ومشى ليفتح الباب لطارق الليل ؛ فإذا هو زميله إياد ، فتعانقا ، وأدخله الدار مرحبا ومسرورا ، وأعد القهوة ، ولما جلسا في صالة الشقة قال إياد : لم تعد ترد على اتصالاتي .

ـ أكون خارج البيت .. لقد تطورت الأمور بشكل جيد .. واستسلم المهندس لصداقتي التي فرضتها عليه .. وقبل قليل تركت السماعة معه .. فمشوار المستشفى أثمر ولو بعد حين .

وقص عليه قصة المستشفى ، ومطاردة المقهى الجديد ، وحوار المقهى ، وقال إياد : أخيرا استسلم البطل .. أقدم لك التهاني الحارة يا إدريس أثمر صبرك .. غدا سيبدأ الكلام المهم .. متى ستعرفني على صاحبك الجديد؟!

ـ متى ؟ متى ؟ بالتأكيد سأعرفه عليك .. ألست أنت الذي عرفت بيته وحيه ؟.. هو لم يسألني عن كيفية معرفة البيت والحي .. ربما اعتقد أنني أنا الذي توصلت إليه.. إنه رجل مسكين كما قلت لك .. تعرف على فتاة كان والدها وزير صحة الدكتور (خالد حمدي أسعد) ومات أثناء مؤتمر خارج البلاد في حادث ..لا أدري الآن هل حضرت جنازته أم لا ؟! مات في الستينيات

ـ كنا في أول عهدنا في وزارة الصحة ..لم نلحق التعرف عليه.

ـ المهم تزوجها وقبل إنهاء شهر العسل طلقها وكره النساء بعدها لليوم!

ـ هل وجدها امرأة ؟!

ـ لم يتحدث عن خيانة زوجية أو عيوب فيها .. هو تشجع للحوار لما علم أنني أعمل في الصحافة .. وقرأ لي بعض المقالات التي أكتبها في جريدة الشرق المضيء كما تعلم بتوقيع الفتى نصار .

ـ هو بحاجة للحديث ..وهل علمت سبب تردده طول هذه المدة في التعارف وسبب وجوده في مقهى الكوكب الذهبي؟!

ـ هذا لم أعرف جوابه بعد ؛ لكنه سيتكلم .. فشقيقه الذي تعرفت عليه في المستشفى تفاجأ من تردد أخيه على المقهى .

ـ لم يفصح عن سبب وجوده في المقهى .

ـ يقول إن سبب وجوده .. أنه قابل رجلا في المقهى قبل ثلاثين سنة ويطمع باللقاء به .

تعجب إياد جدا وقال : غريب! رجل التقى به في المقهى قبل ثلاثين سنة ، ويأمل أن يراه مرة أخرى .

ـ وطلب مهلة للتفكير قبل فتح قلبه لكشف أسراره .

ـ لم تعرف سبب رفضه التعرف عليك كل هذه الشهور .

ـ لا ، غدا سيكون أول الغيث يا صديقي .

ـ وهل ستخبرني بكل ما تسمع ؟

ـ هو طلب كتم الأسرار .. ولكني سأجد الطريقة المناسبة .. فأنت صديق عزيز ومتعاون معي في هذا الملف ..سأقدر الأسرار .. ويكون الكلام .. سأقدر أهمية ما أسمع ..وبعد حين سأشركك معنا.. وإذا لم أنجح بربطك معنا سأتدبر أمر نقل المعلومات .. فأنت أخ عزيز وصديق العمر وشريك في هذه القضية العجيبة .. فهو بعد عدة اعترافات سيتوقف ويحس بالندم وسيجد عذرا للتوقف إلا إذا كان راغبا فعلا بالتنفيس عن مخزون كل هذه السنين ..

ـ فهو له أسبوع يفكر حتى حسم أمره الليلة واتصل .

التقى إدريس بسيف في المقهى الذهبي مساء اليوم التالي ، وبعد التحية والمصافحة بكل حرارة كأنهما أصدقاء منذ تعارفا قبل شهور ، ولما شربا الشاي قال سيف ـ وهو يقدم دفترا متوسط الحجم للسيد إدريس ـ : عندما تتصفح هذا الدفتر الصغير سيكون بيننا الحديث والتفصيل في جلسة أخرى .. وأنا سأنقطع عن المقهى بشكل دائم انتهت مهمتي هنا بالفشل .. ربما نجلس جلسات عارضة فيه .. وإذا تتطورت أمورنا فسيكون الحديث إما في بيتي الذي عرفت بابه أو في بيتك الذي سأعرف بابه .. سنرتب لكل لقاء بالهاتف .

ونهض قائما وتابع : سأتصل بك بعد أيام .. فتكون قد قرأت ما كتبت في هذا الدفتر .

نهض الآخر : شكرا ..أنا في انتظار هاتفك .

ـ شكرا سيد إدريس .

وتصافح الرجلان ، وغادر سيف المكان على الفور .

لم يصبر إدريس عن قراءة الدفتر ، فلما اختفى جسد سيف انتقل إلى شرفة المقهى المطلة على شوارع المدينة ، وضوء النهار ما زال يغمر المكان ، وأخرج دفتر المذكرات .. هو لم يكن دفتر مذكرات بالمعنى الصحيح ؛ إنما كان دفتر ملاحظات مما يستخدمه طلبة المدارس .. وأدرك أن الرجل كتبه حديثا ؛ ربما خلال الأسبوع الماضي .. ولم يفهم الغرض من هذا الدفتر الصغير .. وجد فيه معلومات عامة عن الرجل اسمه وميلاده ومكان الولادة ودراسته الابتدائية والثانوية ودخوله كليه الهندسة وبعض الحديث عن والده ووالدته والعائلة .. ثم تعرف من خلال الكلية على فتاته "نبيلة خالد" طالبة كلية الهندسة .. وهي الفتاة التي تزوجها قبل التخرج من الكلية ووعد بالحديث عن تلك الصداقة بالتفصيل شفويا .. وبين في دفتر الملاحظات سبب مجيئه للمقهى وهو البحث عن الشخص الذي ساعد على تعجيل الطلاق .. وكان ذلك في منتصف الستينيات .. وعلى أثر تلك المقابلة وقع طلاقه من نبيلة خالد .. واعترف رغبت هي ببقاء الحياة الزوجية واستمرارها .. وكان الغضب أعماه وأصر على الانفصال .. وكان له ذلك رغم امتعاض الكثير من الأهل .. وأن سبب العودة للمقهى في هذا الوقت أن هذه الفتاة قبل أن

تفارق الدنيا كتبت له رسالة تبرأ مما سببته له من ألم وحقد على جنس حواء .. وأنه تعرض لمكيدة وتآمر من شخص حاقد مخادع ماكر .. وقد حقق مبتغاه ..وأنها لا تعرفه ولم تذكر أنها قابلته في حياتها .. وتذكر شخصا زميلا لهما في الكلية ؛ ربما يكون له يد في اللعبة الخبيثة .. وأن عليه أن يبحث عن الرجل الذى باعه الصورة الماكرة التي لا تعرف نهائيا كيف صورت لها .. وتطلب منه المرأة معاودة الاتصال بذلك البائع .. وعلى أثر تلقيه رسالة نبيلة بعد وفاتها ذهب للمقهى حالما برؤية ذاك الشيطان الذي لم يفكر فيه كثيرا تلك الأيام .. كان مصدوما مذهولا .. ولكنه وجد إدريس في وجهه الفتى نصار .. وكتب عددا من الرجاءات يطلبها من إدريس وهي أن لا يكتب شيئا عن حياته للجريدة .. واعترف له بأنه يعاني من بعض أمراض القلب والأوعية الدموية وصحته ليست على ما يرام .. ووعده بالدفتر أن يسلمه الرسالة التي أتته من زوجته المطلقة ؛ ليطلع عليها قبل الحديث عن أهم تفاصيل حياته وقصة الطلاق الصعب في أول شهر من الحياة الزوجية .. وغضب والده عليه من أجل ذلك واستمر غضبه لمدة سنة .. وتهاجرا بسبب ذلك .. ثم تصالحا وأشركه مع ابن خاله في إدارة مصنع الدواء .. وظل بدون زواج ، ولم يستطع التخلص من عقدة الشر في النساء لحتى الآن واعترف أنه ما زال يجهل سبب اهتمام إدريس به ومطاردته وتعقبه ..ويتمنى أن يكون السبب الفضول فحسب .

فضحك إدريس ملء شدقيه عندما قرأ هذه الفقرة وعلق فقال : ماذا أريد منك يا حضرة المجنون ؟! لقد رأيت في وجهك كلاما فأحببت معرفته .. ولعبنا لعبة القط والفأر .. لماذا ؟! صدق لا أدري .. وعجبت من خوفك مني ؛ كأني ذلك الغول الخرافي الذي تتحدث عنه العجائز لتخويف أحفادهن .. اليوم أفهم خوفك مني .. ضعف شخصيتك .. ترددك .. شكك في زوجتك التي أفرطت في حبها في الجامعة .. صدمتك خيانتها ..وكيف خانتك قبل الزواج ؟ وأن الرجل الخائن كشف نفسه لك في هذا المقهى .. وزوجتك حبيبتك تنكر أي علاقة بغيرك سنعرف التفاصيل شفويا .. وهل حكاية كهذه تجعل الرجل معقدا نحو الجنس الآخر ؟! وهي حكاية مكرورة على مدار التاريخ .. ألا يسمع الرجل ولو كان ضحية مثل هذه الخيانات ؟

أتجعل هذه الخيانات الرجل معقدا يكره الزواج ؟ الحاج حاكم وردة كان رجلا معروفا مشهورا على مستوى القطر كله والأقطار المجاورة .. فهو من أكابر تجار المواد الغذائية سيد الدقيق والأرز والسكر في فترة الستينيات والسبعينيات .. لقد رأيته شخصيا عددا من المرات .. وإن كان وقته لا يسمح له بالجلوس معنا .. هل كان هذا الرجل سببا لعقدة سيف بإيذاء أمه ؟ فأثر نفسيا على سيف تجاه النساء ..ولكن كان الدكتور أمير طبيعيا ومعروفا ، ولم يكن معقدا .. هل سببت تلك الفتاة عقدة لسيف كما يزعم أم جعلها سببا لينفس عن ضعفه نحوهن ؟ هل يترك الرجل الزواج من طلاق امرأة ؟ أنا تركت الزواج لضعفي الجنسي وعدم قدرتي على الإيلاد .. والمرأة تريد أن تلد .. تريد الأمومة .. وليس الجنس فحسب .. هو الإنسان عندما يتعود على حال يصعب عليه التغيير .. مللت العلاجات والمراجعات .. ثم إن المرأة بعد زواجها من جديد حلفت له أنها بريئة مما اتهمت به .. وأن الرجل الذي قابله في المقهى غادر حاقد .. وهل هذا الرجل حيا يا إدريس ؟ ليسعى سيف إلى اللقاء به وهل يعرفه حق المعرفة أم وسوسة شيطان ؟ ولماذا تأخر الرجل في التعرف عليّ مع إدراكه شدة فضولي ومطاردتي له ؟ ولماذا تأخر في قبول صداقتي ؟ .. وقد وافق عليها في النهاية حتى أنه رفض استقبالي في المستشفى ؛ كأنه رأى وحشا يدخل عليه .. نظرات لا تنسى هذا الرجل فعلا قصة .. أخبر أخوه أنه رفض العلاج النفسي ماذا يقرأ الرجل في البيت ؟ أخوه يقول إن حياته القراءة الكتب والمجلات .. سوف أزوره في البيت.. عنده عقدة النساء والنساء تخدمه في البيت .. ألم أر الخادمة ؟ يرفض المرأة كزوجة ويقبلها كخادمة أم أنه نوع من الإذلال والانتقام من الجنس الثاني .. فكثير من الرجال تعمل كخدم وتطبخ وتغسل كما يشاهد في الفنادق .. صبرت أشهرا حتى تمكنت من صنع بداية علاقة معه .. والحصول على هذا الدفتر.. سأصبر حتى تتضح تفاصيل الحكاية الغريبة .. ثلاثون سنة دون امرأة دون زوجة يا إلهي .. اشتغل منها عشرين سنة ، ثم ترك العمل ، هو ورث الكثير من المال عن الوالد والوالدة .

لما رجع للبيت أعاد إدريس قراءة دفتر الذكريات مع التوقف عند كل فقرة .. فكان الدفتر تمهيدا

أو مقدمة لما سيعترف به لإدريس اللبن .. هل يكتب الرجل مذكراته ؟.. مذكرات يعترف فيها بخطئه .. هل وجد نفسه ظالما للفتاة ؟ وشرع يبحث عن تفاصيل المؤامرة التي تعرضا لها .. والرسالة التي يشير إليها تقول: إنها بريئة مما الصق بها ، ومما اتهمت به من خيانة زوجية قبل الزواج .. وكيف صدق الاتهام ؟ وهو الحبيب .. لو لم تكن بريئة ما كتبت له الرسالة ؛ ليبحث عن الحقيقة ..وإنها لم تكن السبب في تدمير حياته .. فهي تدافع عن شرفها ونفسها ولو بعد موتها .. وجاء المقهى لأنه مصدق لها .. ولديه رغبة بالوصول للحقيقة من ذلك الرجل .. هل ذلك الرجل حي أم ميت ؟!



الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المهندس سيف الدين وردة

سلام الله عليك

أنا أكتب هذه الرسالة وأنا أستعد لرحلة الموت، الرحلة التي بين الحياة الدنيا والآخرة ، أنا أعاني من مرض السرطان ..وحانت النهاية مع أنني من عائلة كلها أطباء .. لكن علاج ناجع لا يوجد وأنا أكتب هذه الرسالة لأنك زوجي الأول والذي أحببته حق الحب .. وستصلك هذه الرسالة بعد موتي كما طلبت من ابنتي هند الطبيبة هند غريب .. ربما سمعت بها أو رأيتها لأننا ما زلنا من أهل بهية .. وستصلك الرسالة بالبريد مع معرفتنا لمكان بيتك كما تعلم .. ونحن نعرف بعضنا عندما التقينا في كلية الهندسة لأول مرة ، واكتشفنا أننا من أهل حي بهية أنا أحببتك بإخلاص يا سيف .. وأحببتك حبا شديدا وجادا .. وأنت فعلت مثلي .. لقد قرأت الكثير من قصص الغرام لأدباء مصريين وغربيين .. قرأت لإحسان عبد القدوس ومحمد عبد الحليم عبد الله ويوسف السباعي وغيرهم .. فكنت أعتقد أن ما فيها له واقع وحقيقة .. وكان ذلك في المرحلة الثانوية ، وكان الشبان من حينا وحي العرب يقومون بمعاكساتنا .. فبعضنا تقع وبعضنا تتردد وتخاف .. فالمغامرة محفوفة بالمخاطرة .. وهؤلاء الشبان يبحثون عن المغامرات العابرة والسريعة واللهو وتعدد الحبيبات .. كنت متفرجة لم تستهويني تلك اللعبة رغم شوقي لعلاقة رومانسية لقصة غرام .. لم تحدث إلا عندما تقابلنا في الجامعة رأيت الفارس والبطل الذي أبحث عنه وحلمت به .. كان والدي لا يحب لنا هذا العبث كما كان يسميه رغم أنه كما تعلم كان أكاديميا ومحاضر جامعة ..وتخرج في بريطانيا ، وعاش فيها عقدا من الزمان .. وهو مع حرية المرأة ؛ لكنه كان يراعي العادات ، وما زالت مؤثرة عليه .. وكان يتساهل لو وقعنا في تلك العلاقات .. هو نفسه تزوج أمي عن قصة حب لا أعرف تفاصيلها .. كنت الفارس الذي خفق له قلبي هوى وغراما بطل القصص الرومانسية والعاطفية .. وأنت حبيبي بكل شغف وقوة ..

حتى أن زملينا مرادا تضايق من سرعة حبي لك .. وبذل الجهد للتفريق بيننا .. وكان قد تقرب إليّ قبل أن أعرفك .. لكني لم أكن أراه فارس أحلامي كنت الحبيب الأول والأخير .. وزواجي من والد أبنائي كان ضرورة بعد فشل زواجنا بسرعة الصاروخ .. أمي وافقت على حبي لك ما دمت من نفس الطبقة التي نعيش فيها .. وكانت تعرف والديك حق المعرفة .. ونحن كما تعلم أبناء حي بهية .. فالاختلاط فيه من الأمور المباحة دون تردد ولا حرج علينا .. فقد شاركت الشبان والشابات المسارح والمسابح ولبس ملابس السباحة دون حياء وخجل.. لكني لم أتعر عريا كاملا أمام أي إنسان، لم يحدث ذلك يا سيف أبدا يا سيف .. أنت كذا مرة رأيتني بملابس البحر .. ولم تطلب مني شيئا وعدم الظهور بها .. كنت ترى الأمر طبيعيا حسب ما تعودنا .. كنت الزوج الذي أحلم به لأعيش قصة حب كما أقرأ في الروايات والقصص .. كانت تعجبني معاكسة مراد نحونا .. لكن لم أخرج معه في مشوار في رحلة في طعام .. وفي السنوات الأخيرة في الجامعة كان هناك رجل قريب لأبي يرغب بالزواج مني ..وكان والدي الجراح يراه مناسبا ؛ ولكنه لا يستطيع إجباري ، كان يريد أن أقبله طوعا يا سيف .. وأنت تعلم ذلك ، وتحدثنا عن ذلك .. طلبت منك الزواج قبل إنهاء الجامعة لأني أريدك وحدك .. وطلبت مني أن أتحدث مع والدك السيد الكبير حاكم وردة ، وبارك الرجل الزواج ، ووعد بالحديث مع الوالد عندما أعلمته أمي بموافقتها على مثل هذا الاقتران ، وأنها تفضلك على الاقتران بي من قريبنا الدكتور غريب .. ثم حدث تطور عجل بالزواج الفعلي .. فقد أخبر الوالد بأنه سيكون أحد أفراد الوزارة الجديدة وخشية رفضك كما تعلم قلت لك عجل بالزواج ليعجل أبوك بالحديث مع أبي قبل أن يعين وزيرا فيكبر الفرق الاجتماعي بيننا .. وأنت تشجعت وذكرت ذلك للوالد فتحدث معي .. وحدث الزواج يا سيف ، ونحن على مقاعد الدراسة ، وسكنّا في بيت من بيوت والدك .. وبعد الزواج بأسبوعين أريتني صورة لي وأنا فيها بدون ملابس داخلية ، فتاة عارية تماما ، لم أنكر أن الصورة لي .. وقلت لك بصدق ما خلعت ثيابي الداخلية من أجل صورة خليعة أو زنا .. ولا أدري لليوم كيف صورت لي تلك الصورة ؟! ذكرت لي أن زملينا مرادا هو الذي

حدثك عن تلك الصورة العارية .. وأنه شاهدها مع رجل في أحد مقاهي المدينة وحثك على مقابلته .. وذهبت لمقابلة الرجل وأعطاك نسخة من الصورة التي عرضتها عليّ .. أقسمت لك أنني لا أعرف كيف صورت هذه الصورة ؟ ولم تصدقني ، وقررت الطلاق وأمام الضغط والحالة التي أصابتك قبلت الطلاق .. وتنازلت عن حقي الشرعي .. وغضب والدي منك بشدة وصدم ؛ ولكنك عرضت عليه تلك الصورة .. فصدم أبي من تلك الصورة .. وتم الطلاق بذهول الجميع .. ولليوم أيها الحبيب لم أعرف كيف صورت؟ وأين ؟ أنا لم أنكر أن الصورة لي وليست تركيبا وخدع مصور.. وصار والدي وزيرا في الوزارة الجديدة ونسي الموضوع .. ولما تم الانفصال والعدة تزوجني السيد غريب بدون تردد .. وهو زوجي الحالي والد أبنائي الثلاثة. وأنا لم أتكلم معك بأي صورة من يوم الانفصال .. ولم يحصل حمل من طرفك .. فكان الفراق أبديا ؛ ولكني أتعذب من أجلك يا سيف .. لقد علمت أنك لم تتزوج بسبب تلك الصورة .. لم تسع لأن تكون أبا بسبب تلك الصورة .. وجعلتني السبب الكبير لذلك .. أنا بريئة يا سيف وأقسمت لك ولأبي ولأمي وإخوتي أنني لم اخلع ثيابي لأتصور عارية .. لاقف أمام كاميرا مجردة من الثياب .. ولم أمارس الجنس مع أي إنسان قبل زواجي منك .. فكيف صورت ؟ لست أدري .. أنا بريئة .. وأقول ذلك وأنا أستعد للرحيل من هذه الدنيا .. ولا ذنب لي في تدمير حياتك .. أنا أحب أن تسامحني .. وأن تذهب لذلك الرجل الذي أعطاك الصورة القبيحة ، وتعرف منه كيف صورت ؟ لتعرف أنني بريئة .. وأننا تعرضنا لمكر شيطاني .. وأنت تعلم أن المرأة تستطيع الخيانة الزوجية دون الحاجة إلى صورة.. راجعت حياتي منذ رأيت تلك الصورة في يدك .. فلم أعرف كيف خدعت ؟ كيف عريت؟ ومن وراء هذا العمل الشيطاني من هم ؟ أين خدرت ؟ إذا كان هناك تخدير لا أعرف .. إلى اللقاء.. هناك رحمة الله السلام عليكم.

حي العرب

كانت المدينة صغيرة أو أقل سكانا في حياة جدي وبداية أبي كما أخبر أبي ، كانت له دكان في سوق الأطعمة الكبير ، لم يتعلم في المدرسة إلا المرحلة الأولى ، ولما تزوج فتح له والده دكانا خاصة به ، وتعاطى نفس المهنة ، وكان والده غنيا ، وكذلك والدته ، فكلاهما من أبناء التجار ولكن الجد لم يكن طموحا كوالدي .. استقل الوالد عن الجد بعد الزواج .. زواجه من أمي ـ رحمها الله ـ استأجر دكانا أخرى وتوسع في بيع الأرز والسكر .. وخلال سنوات سيطر على السوق .. وأصبح المستورد الأول لها .. فسافر لمصر والهند وغيرهما من البلاد المصدرة للسكر والأرز لم أكن المولود الأول لأبي ، كانت هناك أختي الكبرى مريم ، ثم أخي المرحوم حازم ، وكنت الثالث الثاني من الذكور ..كانت ولادتي في الحرب الثانية .. وسميت سيف الدين .. أيام الأزمات والكوارث الكبرى يلجأ الناس للدين ولو بالأسماء .. فأحب والدي هذا الاسم فصرت سيف الدين حاكم من آل وردة .. كان حظنا من التعليم أحسن من حظ والدي .. تعلمت في مدرسة أهلية رغم انتشار مدارس الحكومة .. كان الآباء يحبون صنع أبنائهم ويوجهونهم لدراسة ما يحبون .. فدرس أخي الكبير الطب .. وأراد والدي ذلك لي فاخترت الهندسة .. فقبل ذلك ودرس أخي الأصغر الذي تعرفت عليه في المستشفى الطب كأخي الأكبر وأخي حازم توفي في حياة أبي وأمي .. كان باص المدرسة يأخذني طول أيام الأسبوع ما عدا الجمعة ؛ لأنها عطلة رسمية .. كانت تجارة أبي تكبر ونحن صغار .. لذلك لما بلغنا الثانوية العامة كان الوالد أكبر تاجر أرز في البلاد كلها .. وأخذ يهتم بالعمل النقابي والجمعيات التجارية والغرف التجارية ..كان من طبعي الخجل وخاصة من الفتيات منذ عرفت أن البنات تختلف عن الذكور .. أتهرب من الحديث معهن حتى من بنات أقاربي كبنات أعمامي وعماتي وأخوالي وخالتي وبنات الجيران.. لم ترق لي تلك العلاقات ، ولو سميت بريئة ولعب عيال.

كنا من سكان حي العرب وهو حي قديم وكبير مساحة وبشرا .. لم يكن هناك تميز كما علمنا فيه بين غني وفقير .. وكانت العائلات والأقارب تحب مجاورة بعضها البعض في القديم .. ثم

نشأ حي بهية كجزء من حي العرب ؛ ولكنه امتاز بالأسر ذات الثراء الكبير .. ثم استقل عن حي العرب لما امتلأ بالقصور والفلل على الطرز الغربية والحديثة .. فشيد الوالد قصره الكبير وفعل بعض أشقائه مثله .. وانتقلنا للحياة فيه ؛ ربما كنت في مطلع المرحلة الأولى من التعليم النظامي .. وهو شيده بعد استقلاله عن جدي وزواجه .. وكان من مال أمي وأبي ووالد أمي جدي أدهم ..لا تفهم من كلامي أن حي بهية من عمري لا هو موجود من زمن ربما قبل أن نسكن حي العرب ؛ إنما برز كحي خاص للأثرياء بعد زمن وحياتنا في بهية امتداد لحي العرب لم يتغير على عاداتنا وتقاليدنا الجديد ؛ لكنك تجد بنات ونساء حي بهية أقل تحفظا وحشمة وأكثر سفورا وتبرجا واختلاطا بالرجال سواء في النادي والجمعيات.. والزيارات والحفلات لا تكاد تفرق بين الجنسين .. والقضايا الأخلاقية تمر فيه عبورا سريعا ، لا يتوقف الناس عندها إلا كخبر وحادث .. ومع حياتنا فيه ظلت علاقتي مع فتيات الحي ضعيفة .. التحية والابتسامة .. لم تتطور إلى علاقة مراهقين وغرام بعكس أخواي حازم وأمير .. وعادة كل هذا ينتهي بانتهاء الدراسة الثانوية .. كان حازم يكبرني بعامين، ويصغرني أمير بسنتين أيضا ، وباقي ذرية أمي بنات .. خمس بنات .

أختي الكبرى وبكر أبواي تزوجت فور إنهاء الثانوية ؛ لأنها كانت مخطوبة أثناء تلك المرحلة كانت البنات تتزوج مبكرا يا أستاذ إدريس .. وكان أخي حازم جادا في دراسة الطب ومحبا له ومبغضا للتجارة وأنا مثله .

نجحت في الثانوية العامة ، وقبلت في الجامعة كطالب في كلية الهندسة ، وكنت أسمع أخي الأكبر يتحدث لأمي عن جو الجامعة والبنات .. وتلك الأيام كانت طالبات الطب غالبهن من بنات الأثرياء لارتفاع تكاليف الدراسة .. فالتعليم الجامعي ليس مجانيا .. وهذا تجده في كلية الهندسة .. فقليل من أبناء الأسر الفقيرة من يتعلم في تلك الكليات الباهظة التكاليف فأكثر أبناء الفقراء يتجهون للمعاهد المتوسطة أو الكليات الأقل تكاليفا أو التعلم في أوروبا الشرقية ولكن قد تجد طلبة من تلك الطبقة المسكينة في الكليات العلمية نتيجة منحة أو بعثة أو أصحاب

المعدلات العالية الذين يتعلمون على نفقة الدولة .. لقد كان عندي أفكار عن حياة الجامعة والمجتمع المختلط والحكايات السيئة مما كنت أسمعه من حازم رحمه الله.

فالجلوس مع البنات يبدأ من أول الفصل سواء من طالبات نفس الكلية أو الكليات الأخرى ويكون في الساحات المشتركة ..وعليك أن تتقبل ذلك بحكم الدراسة وبحكم القرابة .. وترى الجميلات الفاتنات والدميات ترى الجادات وترى العابثات .. رأيت نبيلة خالد من الأيام الأولى في الفصل ..كنا من نفس السنة .. كانت فتاة فاتنة بحق يا إدريس ، وكانت بنت أكاديمي له اسمه في الجامعة .. تعرفنا على بعض مثل سائر الطلاب .. أحسست بشيء نحوها لكني لا أحسن العبث والتسلية مع الجنس الآخر .. رأيت عددا من الشبان يحومون حولها ، لم أستطع الفعل مثلهم .. ليست لديّ خبرة في معاكسة البنات والجلوس معهن .. كانت نبيلة محبوبة القلب منذ الرؤية الأولى ، لم أستطع الاعتراف لها بذلك ؛ بل كانت تعمل حركات وإشارات تشجيعية لمصارحتها بهواي ..كانت تحس بي ؛ ولكنها خجلة من البدء بذلك الحب مع أن عيوننا تصرخ بذلك ، لم يكن لديّ الجراءة على عمل علاقة غرامية وعاطفية مع أي فتاة ومعها بالذات أعترف اليوم لك بهذا الضعف والخور .. تلك الأيام لم تكن مسلسلات الحب شائعة مثل اليوم كانت التلفزيونات غير ملونة ، وبثها ضعيف .. والسينما موجودة وروادها قلة ..وأفلامها موديل الثلاثينات وما بعد الحرب الثانية ، وأكثرها أجنبي .

كانت نبيلة تدرك أني من النوع الخجول جدا ، ولم تكن لي علاقات قبل الجامعة ، وأنني لم أرافق أنثى بقصة غرام ، وأن صفة الخجل تسيطر عليّ بقوة ، ومنعتني من مطاردة الفتيات ومصاحبتهم خاصة في الجامعة .. فهي فرصة للتمرد على العادات والتقاليد .. كنت أحترق من مطاردة الشبان لها وخاصة مرادا الذي يصاحب الفتيات ليثيرها للتعلق به .. كانت تهواني وتنتظر كلمة إشارة ؛ ولكني عجزت عنها فترة طويلة يا إدريس .. وكنت أخشى استسلامها لمطاردات الآخرين .. وأتحسر على ضعفي وجبني .. وتفاجأت عندما علمت أنها من سكان حي بهية ـ نحن من أهل نفس الحي والشوارع ـ وعلمت أن والدها طبيب كبير في المستشفى التعليمي فزاد

رعبي من الاتصال بها ، ولم أستطع أن أعترف بإعجابي بها .. ومضت السنة الأولى دون أي علاقة خاصة بها .. وكنت أدعو أن تكون من نصيبي عند الزواج .. وكان زميلنا في الفصل مراد مطاردا جادا لها رغم شيوع غرامياته في الكلية والجامعة ، بل علمت أنه يغار مني نحوها ؛ فكأنه علم أو أدرك تعلقها بي .. ومن أجل ذلك كانت ترفض أي علاقة معه .. هذا عرفته فيما بعد ، لم تكن لديّ جراءته ، وإن تمنيت بعضها ، عدنا للجامعة في السنة التالية ..كان التعليم في ذلك العهد بنظام السنوات والفصول ، ليس كاليوم بنظام الساعات والاختيار .. انتهى الصيف وعدنا للدراسة .. لم نر بعضنا خلال عطلة الصيف .. علمت أنهم يقضون بعض الزمن في بريطانيا حيث تعلم والدها .. رحبنا ببعض في مطلع الفصل كعادة الطلاب بعد العودة القسرية كانت عيناها تخترق جسمي وقلبي .. وكلما وقفنا نتحدث مع بعض كنت أخشى أن تعترف لي بحبها ؛ ولكني أدركت أنها تنتظر أن أنطق بها .. كانت تفتعل المحادثة والمحادثة معي وأنا أضعف عن الاعتراف بحبها .. تقول لي كيف حالك ؟ ما أخبارك ؟ أرد بحياء بدون فضفضة حتى أن مرادا صرخ فيّ مرة ساخطا يا رجل البنت تموت فيك ترفضني من أجلك ، قل لها تلك الكلمة الساحرة ، أنت في الجامعة .. لا أستطيع أن أقولها ، وهي لا تستطع قولها والبدء بها مع أن عيوننا قالتها مئات المرات ..كنت أرى مشاكسات ومعاكسات الطلاب لها وهي صامدة ؛ كأنها اختارتني وحدي فقط رغم جبني وإهمالي لها .. وأدركت هي ضعفي وخجلي .. أخذت رقم تلفون البيت ، وكانت تتصل للحديث حول المحاضرات والنشاطات ، وتسأل عني وعن صحتي وأنا أتكلم بحدود الرسميات والزمالة .. وقلبي يكاد يقفز من صدري يا إدريس هوى ولوعة ..وفي مطلع السنة الثالثة استطعت أن أعترف لها بحبي وولهي بها .. فقالت لي سنتان يا سيف أنتظر هذه الكلمة الساحرة أخيرا اعترفت بها تكلمت به العيون من أول سنة .. أحببتك من الأيام الأولى .. رفضت كل الشبان من أجلك من أجل هذه الكلمة ..أنت عيوني يا سيف اعترفت لها بحبي لها من تلك الأيام ؛ لكني لم أستطع نطق تلك الكلمة .. وأنا لم أقلها لأحد من قبلك يا نبيلة !

ـ أنا متأكدة من ذلك .

وعرفت السعادة تلك اللحظات ، وغرقنا بالحب والهوى .. الحب العذري ..لم أكن أستطيع مجاراة فتاتي في الهوى والغرام ، لقد كنت أستمتع بسماع كلامها وغزلها وغرامها .. وأتعجب من مصدر الكلام .. كانت تعيش في قصة حب كبيرة ، ولا أصدق أني ذاك الفارس يا إدريس.. وكانت تقبل القليل مني ؛ لأنها عرفتني لا أحسن الكلام الكثير .. أحببتها بكل عمق من أعماق قلبي ..كنت مشغوفا بها .. كانت ملكة فؤادي بحق تلك الأيام .. وبعد شهور من الحب حتى تمكنت من نيل قبلة منها ..كانت القبلة الأولى ، فعلت كما يفعل المحبون في الأفلام التي نراها في السينما يا إدريس .. فكل الزملاء علموا بحبنا وهذا أمر طبيعي في شوارع الجامعة وحدائقها قلما لا تجد شابا يرافق فتاة باسم الحب باسم الحرية باسم المدنية والحضارة .. لم يكن هذا مستهجنا خاصة بما يسمى الكليات العلمية حتى أننا نسمع عن مغامرات عاطفية في كليات محافظة كالشريعة .. ولا أدري صحة ذلك رغم أن المجتمع محافظ كما تعلم .. فهذا لم يكن في الكليات .. أحببت حبيبتي بإخلاص ؛ وربما أكثر مما تقرأ في رواياتها العاطفية الغربية كقصص الحب الفرنسية من زولا وزيفاكو وديماس وهوجو كان الزميل مراد من أكثر الناس إغاظة مني يتهمني بخطف حبيبته منه .. لقد فزت عليّ أيها الصديق .. لقد عشقتها قبلك ؛ ولكنها صبرت ونالت ..وأنا أعتبرك خطفتها مني .. ربما أتذكر هذا الكلام ؛ لأن الرجل لعب في مأساتي دورا لئيما شيطانيا.

هذا الكلام أسمعه منه رغم أني قضيت سنتين يا إدريس قبل أن يصبح حبنا حقيقيا كما سردت لك ..وهو يزعم فشله في اصطيادها كما يقول ؛ لأنها تعلقت بي ..وما أدراني بذلك قبل الاعتراف ؟! ..كانت تحدثني عن الحب وعن حب الروايات التي تقرأها وأنها تعيش رواية من تلك الروايات ؛ ولكنها لم تعين إحدى الروايات .. فأنا أقرأ روايات أما روايات الحب الرومانسي فقليل أفعل .. كنت أقرأ قصص المغامرات والصراعات.. فهي تعيش كما كانت تحلم وكما كانت تقرأ هكذا تقول .. جعلتني بطل تلك الروايات .. كان حبنا عذريا كالذي

تعلمناه في المرحلة الثانوية ، كان عذريا إذا صح ذلك في مثل هذا الزمن .. لم أنل إلا قبلا معدودة في ظروف ومناسبات خاصة .. كنت أجرؤ على مسك يدها كما كنا نرى ذلك في الأفلام العربية والأجنبية .. هل هذا ينقل المشاعر والأحاسيس ؟ لست أدري .. لكننا نغرق في الهوى والغرام أحببتها بجد ولم أجرؤ على أكثر من ذلك .. وكنت مغرما بتبرجها وسفورها .. هي ابنة حينا حيث لا أهمية للسفور والتبرج .. كانت فاتنة .. وهي ابنة طبيب كبير في المستشفى التعليمي ، ومحاضر في كلية الطب وجراح .. كنت أراها مخلصة لي وشريفة بمعنى الكلمة ؛ لأنها اختارتني دون الزملاء حبيبا وصديقا ؛ ولذلك مضت السنة الثالثة ونصف الرابعة ونحن في غاية السعادة ونحلم بالزواج فور التخرج والانتهاء من الدراسة والاستقلال عن أسرتينا .

كانت والدتي تعرف بهذا الحب وباركته ، وكذلك أمها السيدة الفاضلة .. وأعتقد أن كل الأسرة تعرف ذلك .. لكن لم يتحدث أحد معي عنه .. كل واحد مشغول بحياته العاطفية والدراسية وهي أخبرت أن والدتها تبارك لنا ، وتدعو لنا بالزواج في نهاية المطاف .

كتبت لها عشقا بضع رسائل عاطفية .. وقلت فيها ما لم أستطع التفوه به أمامها .. كانت تطرب وتلذ على رسائلي ، وتعجب بها غاية الإعجاب ، وتستمتع بها وتقول : إنها تقرأها بشغف ووله تقرأها عشرات المرات .. وكنت أكتبها في مناسبات خاصة كمناسبة العيد أو إنهاء الفصل إنهاء السنة الدراسية .. في أي مناسبة جميلة أكتب لها معبرا عن مشاعري نحوها عن هيامي بها إعجابي بها ورغبتي الجامحة بالزواج منها .. رغم تساوينا بالسن ، وأتمنى أن تكون ذريتي منها .. هي لم تكتب لي سوى رسالة واحدة .. لم تكن تحب الكتابة مثلي.. كانت تقول ما تشتهي مشافهة .. وكانت قادرة عن التعبير عن أحاسيسها وغرامها بالكلام

كنت أرى أن زواجنا بعد هذا الحب العاصف سيكون أفضل وأنجح زواج .. رغم أن شعارا يتردد في ثنايا الكليات أن التخرج نهاية لكل عذابات الحب والغرام .. أي سيذهب هذا الحب أدراج الرياح .. القليل من يتزوج فتاة أحبها خلال الجامعة واتخذها زوجة .. فأيام الحب ليست كأيام الزواج والمسؤولية .. فكنا في شوق إلى إنهاء الدراسة ؛ لنكون أسرة جديدة والحياة

الحميمية.

صدقا مع حبي الجارف لفتاتي لم أحاول لمس أي شيء في بدنها سوى شعرها الفاتن ويديها .. ولا تنسى أننا أبناء حي يعتبر مثل هذه الحركات أمرا طبيعيا غير مستهجن .. وتنتشر مثل هذه القصص والغراميات فيه بكثرة رغم أنها فضائح .. لكنها لا تترك أثرا في الحي إنها مجرد خبر فلان وفلانة .. سمعنا عن قصص خيانات زوجية ..قصص سكر مخزية .. لم أفعل مع فتاتي ما يعيب مع أنني وكلي ثقة أستطيع معاشرتها كزوج من شدة الحب بيننا ..لا أرها ترفض ، ولم أحاول ذاك ..كان الزواج محتوما بيننا .. لم تكن العذرية تشكل شيئا في حينا .. وبيننا كان الطلاق هو حل لقضايا الشرف والعرض .. بيننا أي في أسر حي بهية .. التدين شكلي وضعيف تلك السنوات .. فلان طلق زوجته بسبب أنه وجد في غرفة نومه سيدا.. الزنا بالتراضي ..لا حرج في المكان .. كنت أريدها عذراء بكرا ليلة الزفاف .. كانت وحدها لي وأنا كذلك .. لم أعمل أي علاقة غرامية إلا معها .. وهي حسب علمي فعلت مثلي رغم طول انتظارنا للاعتراف بهذا الحب .. لقد اختارتني دون عشرات الصيادين .. فهي مقتنعة بي كحبيب وزوج الغد وشريك العمر وذلك بعد الدراسة.

قد سمعت قصة سيئة لشقيقتي الأصغر مني ؛ لكن الحي الذي نعيش فيه يعتبر ذلك من السخافات ، حتى والدي يعتبرها سخافة ..كما يعقد الشاب علاقات مع البنات .. لو فعلت ذلك البنت فلا حرج ..لا يحاول التثبت من القصة والخبر .. شعاره علينا أن نقبل للبنات ما نقبله لأنفسنا .. أختي غابت أياما عن البيت .. ولما عادت سألها أبي عن سبب الغياب مع ذلك الشاب .. فحلفت لأبي أنه لم يمسها مجرد رحلة .. فصدق أبي ولم يكبر الموضوع .. مع أن الشاب تحدث مع بعض الشبان أنه عاش معها كزوج أي عاشرها .. عاش معها أحلى أيام حياته .. لم يعرضها على الطبيب الشرعي ، لا يريد المزيد من الفضائح والتوتر .. حقيقة لم تكن أخواتي الأصغر منا نحن الذكور على شيء من العفة والأخلاق يا أخ إدريس .. ولا أعتقد أن إحداهن تزوجت عذراء.. كان أبي وأمي يغضان الطرف عن أي سلوك شائن ، ونحن علينا الصمت

وعدم الاحتجاج على أي تصرف لا يروق لنا ، ولا نتدخل في شؤون الآخرين ، كما لا نحب أن تتدخل البنات في أمورنا ..وهذا غالب على عائلات الحي في ذلك الزمن .

أقول ذلك حتى تعلم يا سيدي لو أني أقمت علاقة جنسية كاملة مع حبيبتي لا أحد سوف يلومني أو يتهمني بالسادية والإباحية .. لدينا في الحي تقاليد لا تعتبر إساءة للآخرين كنا كالأجانب بحق .

رغم التغيرات التي شابت الحي في هذه الأيام بدخول عائلات أقل غنى عن عائلات الستينيات هذه الأشياء والافعال مستهجنة في بيئات أخرى والأحياء الشعبية .. وإن لم تخلو كما تعلم من سوء وفحش ؛ لكنهم يتسترون عليه أو يشهرون به ويصبح قضية غسل عار .

لم أفعل أي سوء مع حبيبتي ..وقلت لك كنت أعشق تبرجها وعطرها الفواح ..كنت أرافقها للمسبح .. وذلك أكثر من مرة .. أنا أحب السباحة ..كنت أجلس أتفرج عليها ..وفي المسبح تكون الأنثى عارية أو قل شبه عارية .. أنت تعرف ثياب البحر اليوم ..فأصبحت شائعة وخاصة مع شيوع سباحة النساء في المسابقات .. وكنت أرى بعض الفتيات تحاول الإساءة إليها في المسبح العام .. فكانت تبتعد ثم تخرج .. وذلك باسم المزح والمدنية .. وكانت وغيرها بعد السباحة يستلقين على الرمال أو مقاعد خاصة للتشمس .. وهذا في حي مثل حينا ؛ بل علمت أن في قصر والدها مسبحا جميلا .. وللمسابح قصص وحكايات ..كيف يغار رجل على زوجته أو أمه أو أخته عند تلك المسابح ؟!.. وأملك لها صورا بلباس البحر ؛ وربما مع غيري مثل هذه الصور .. لكني لم أكن أنظر إلى ذلك بمنظار الغيرة والشرف .. الأمر عادي عندنا .. واعلم أن العذرية لم تكن تشكل عندي عقدة ؛ لذاك لم أسالها عنها في يوم ما .. لكن من يوم اعترفنا بالحب كنت لا أحب أن أسمع عن علاقة لها مع غيري .. وهي تعرف هذا .. كنت أراها عذراء ومن كلامها أيضا .. وهذا الأمر لم يكن مهما في الحي البنت نفس الشاب .. معنى ذلك أن ممارسة الجنس مباحة في الحي ، ولا تثير لغطا وصراعات .. ولا يعني هذا أننا لا نسمع بمشاكل بسبب ذلك وبسبب الغيرة ؛ إنما هي أقل من غيرها من الأماكن ، والحل باب المحكمة أو الصمت .

اللبس أيضا كان كلبس بنات أوروبا ؛ بل ملابس أوروبا تباع في الحي وموضات باريس ولندن متوفرة ومستوردة .. حافظت أنا وفتاتي على عفتنا ليس تدينا أيها الصديق ربما فطرة حياء خجل والحق أنها لم تسع لإغرائي يوما .. كانت مقتنعة مثلي أن غرفة النوم هي المكان الصحيح للعلاقات الجنسية الحميمية والصحيحة .. وقد يكون لشخصي الضعيف دور في الابتعاد عن تلك العلاقات الآثمة .. كانت الإباحية كما تعلم في تلك العقود تجتاح العالم الغربي الأمريكي والأوروبي .. والأمهات تعاني كما تحدث الصحف والمجلات ..وكانت بداية الأفلام الإباحية، وانتشار الإجهاض وموانع الحمل ، وكنا متأثرين بالغرب للغاية حفلات سهرات نوادي مسابح .

زارتني فتاتي عدة مرات في بيت والديّ ، وذلك بعد تقدم العلاقة الغرامية بيننا ، قابلت أمي وأبي وأخواتي وإخوتي .. وكان والدي مسرورا من علاقتي بها .. فوالدها أشهر جراح في الحي والمدينة .. وكذا مرة غمز وسأل عن مدى علاقتي بها .. وقال مازحا : هل نلت منها شيئا ؟ يقصد المعاشرة فأقول حبنا عذري حب قيس وليلى وروميو وجولييت فيضحك عاليا ويقول : يا رجل لو أمك ضحك في وجهها شاب لرمتني في الشارع فأرد قائلا : أمي لا تفعل ذلك ، أمي كبيرة .

عندما كبرنا كانت الأم تعاني من عدد من الأسقام ، ورغم تبرجها كنساء الحي لم تكن تكثر الجلوس مع الرجال في لقاءات خاصة ، فلا أعتقد أنها تسلم نفسها لشاب أو عشيق .. أما أبي يا صديقي إدريس أعتقد جازما أن له مغامرات نسائية ، ونام مع بعضهن .. أبي تزوج صغيرا دون العشرين.. أنا لم أر شيئا عليه ؛ لكننا نسمع من بعض أصدقاء أو أبناء أصدقاء الوالد نسمع بعض الغمز .. وأنه لديهم جمعيات سرية لممارسة البغاء والزنا ، لم أحاول أن أعرف .. لكن الأمراض الجنسية تفضح الناس وتكشف المستور .. لم يكن الأمر مهما ومخزيا لنا كأسرة كما قال لي أخي حازم ..حياته هو حر فيها ..كلٌ حر في حياته وصحته .. لم يكن الدين مؤثرا في بيتنا ؛ ربما كنا نستغرب وجود مسجد في الحي .. كان المهم لنا المال والدراسة .. مصدر المال غير مهم

وهو ينفق علينا بسخاء.. وكلنا دخل الجامعة وتعلم على نفقة الأب إلا أختي مريم الكبرى ؛ لأنها تزوجت مبكرا .. وأخواتي بكل صراحة لم تكن سيرتهن سواء في الجامعة أم الحي تسر ما عدا طبعا المتزوجة .. والحق لم نكن نهتم بقصص البنات ومغامراتهن الاهتمام الكافي والمهم .

مضى الفصل الأول من العام الدراسي الرابع وهو الأخطر في علاقتي بنبيلة خالد ، لم تحاول فتاتي إغوائي رغم ما بيننا من قوة الحب .. والإغواء أو الإغراء شائع في الجامعة ، وكثيرا ما تشيع قصص حب عنيف أو قل علاقات جنسية كاملة في ذلك المجتمع .. لا تدري السبب البنات أم الذكور .. في مطلع الفصل الثاني أو قل في آخر الفصل الأول من العام الرابع في كلية الهندسة حدث تطور في حياتنا الغرامية أخبرت نبيلة أن قريبا لها ولوالدها طبيب متخرج من بريطانيا يكثر تردده إلى قصرهم تصحبه أمه .. في البداية كان كل شهر يزور البيت مرة أو مرتين ، ثم أصبحت زيارته تتكرر كل أسبوع .. وهمست أمها في أذنها أن الرجل يفكر بالزواج منها كما تتحدث أمه .. وهو ينتظر الظرف المناسب ليحدث الدكتور خالد بهذه الرغبة .. والشاب طبيب أعصاب ودماغ متخرج من بريطانيا وسافر إليها بمساعدة الدكتور خالد .. فربما يرى بالزواج منها شكر للدكتور خالد ..وطلبت أمها أن تتحدث معي عن الخطبة لقطع أي تفكير بذلك .. وتعلن خطبتنا بشكل رسمي .. واقترحت أن يتم العقد الشرعي والزواج بعد التخرج أو قبله بقليل .. وبعد تردد معتاد مني قلت لها: أنا ما زلت طالبا آخذ مصروفي من أبي .

قالت : أنا أعرف ذلك ؛ ولكني أريدك ولا أريد أن أخسرك .. فأبي يعرف نتيجة حب طلبة الجامعة .. فهو يعرف الكثير عن علاقات الطلاب والطالبات والنتيجة لا زواج بعد التخرج فالرجل يعمل كطبيب وقريب أبي .. وانا لو لا حبي الكبير وحب ارتباطي بك ما تقدمت بذلك بعد محاورات ومجادلات قبلت أن تقابل أمي ثم أبي ، وتفهم أبي وأمي وجهة نظرها ـ وهما يعلمون بعلاقتي الخاصة بها ـ وتشجع والدي لزواجي أكثر مني ، ولم يتوقع زواجا قبل الحياة العملية يا سيد إدريس؛ إنما بعد التخرج والعمل كما هو معتاد عادة .. تحدث أبي مع والدها في نادي الحي نادي السادة ، ووافق الدكتور على زواجنا أو خطبتنا بكل بساطة في النهاية ، وعلمت

من أبي أنه تردد في قبول هذه المغامرة ، وتحدث لأبي أن ما يحدث للشباب في فترة الجامعة وأثناء الدراسة أساسه هش ، لا يعتمد عليه في تكوين حياة أسرية صلبة وناجحة ، وسيضعف الانجذاب بعد انتهاء الجامعة ، ودخول معترك الحياة العملية، وابتعاد المتحابين عن بعضهما .. فالشاب يحتاج لوقت ليكوّن نفسه في العمل والسوق .. والفتاة تسرع بالزواج للهروب من شبح العنوسة ، وخشية فوت القطار ؛ لكنه من حيث المبدأ قبل رغبة أبي بزواجنا قبل التخرج ، وبعد فترة خطوبة تعزز أواصر المحبة بيننا ، وتعهد له أبي بتوفير السكن اللائق لابنته والنفقة علينا حتى نتخرج ونعمل ونستهل حياتنا العملية .. فرحت وسعدت بهذه النتيجة والتصرف الشجاع من والدّينا .. وأعلنت الخطوبة في حفل عائلي صغير في منزل الدكتور خالد ، ولبسنا الذبل كما يقال ، وقيل إن الزواج سيكون بعد انتهاء السنة الرابعة وقبل السنة الخامسة والأخيرة لنا في كلية الهندسة .. وأهداني والدي بهذه المناسبة سيارة صغيرة وجميلة .. كانت حياتنا تمشي هادئة ورائعة .. وأخذنا نحلم بليلة الدخلة كالمراهقين والحياة الزوجية والذرية .. وكم سنخلف وماذا سنسمي الأبناء؟!

شخص تضايق جدا من هذه الخطبة الزميل مراد ، كان مقهورا من ذلك لماذا لا أدري بالضبط ؟! وذلك عرفته بقوله لنبيلة ذلك ، وقالت : ما زال مراد يكن لي الغرام والهوى ، ويقول لها إنه أحق بها من سيف ألا تنهره وتكلمه أن يدعني وشأني ، ويبتعد عني ؟ لم أعد أحتمل سماع تعليقاته والحديث معه ؟ وتحدثت معه بذلك ، وأعلمته أن الفتاة اليوم أصبحت بحكم الزوجة لي ، فبارك لي وقال: إني أمزح معها يا سيف .. مباركة عليك فتاتك.. فلي من الصديقات ما يغني عن فتاتك.

ولما علمت أن قريبها خفت رجله عن بيت والدها بعد إشهار الخطبة خفت الحديث عن الزواج ولم نتزوج في صيف السنة الرابعة .. وكنت أصحبها في سيارتي إلى الجامعة.. لقد استفدت من الخطبة امتلاك سيارة خاصة بي .. وبينما نحن في الأيام الأولى من السنة الأخيرة والخامسة في كلية الهندسة ..همست الفتاة بأن علينا أن نتزوج بأسرع وقت ممكن ، ولا نكتفي بالخطبة ، وبررت

أن والدها تعرض عليه وزارة الصحة العامة في الوزارة الجديدة ، وتخشى أن ينهي العلاقة بيننا إذا تسلم هذا المنصب المهم ، وأن تصبح ابنة وزير الصحة ، ويتعقد الزواج ووالدها ممن يحبون الفخر والخيلاء .. فاتحت أمي ثم أبي فقال : فعلا عليك بالزواج قبل أن يصبح الدكتور وزيرا فالرجل عنده نفخة ، فقد يضطر لتزويج ابنته من وزير أو ابن وزير .. فأسرع أبي إلى لقاء الدكتور ، وبين له رغبته بإتمام مشروع زواجنا ، وأن الوقت حان للاقتران ، وسيتحمل المسؤولية خلال هذا العام .. واستأجر لي شقة في حي بهية ، وأخذنا بالإعداد ليوم الفرح والزفاف وكان زواجنا في أكتوبر عام ١٩٦٣ .

كانت حفلة كبيرة مشهودة في قاعة نادي الكبار في الحي ، غرق الضيوف بالشراب والطعام والرقص حتى الثانية فجرا ، وبعد انتهاء الحفل الكبير حملتنا سيارة إلى شقتنا يا إدريس ونحن في حالة يرثى لها من الشراب ، ولما انصرف المرافقون وأغلقنا الباب على أنفسنا كنا في غاية الإنهاك والنعس ، وذهبنا في عناق طويل لم نستيقظ منه إلا عند العاشرة صباحا ، وبدأت حياتي الزوجية ، ولم أتمكن من الدخول الشرعي إلا بعد ثلاث ليال من الزواج ، كنت مرعوبا من الحياة الجنسية ، ومضى الأسبوع الأول ونحن في غاية الحب والسعادة ،كانت فتاتي رائعة ، اعتقدت تلك الأيام أنني أسعد الخلق بهذه المرأة .. والزواج رائع يا سيد إدريس خاصة إذا كان عن حب صادق ! كان حبي لنبيلة صادقا وكبيرا ـ رحمها الله ـ قدم لنا الأهل والأصدقاء التهاني وتمنيات الحياة السعيدة ، وقدم بعض الزملاء والزميلات التهاني لنا عن أنفسهم وعن طلبة الكلية أو معارفنا من الكليات الأخرى .. توقفنا عن الدراسة مدة أسبوع واحد فقط ، ثم عدنا للدراسة ونحن نرفل بالحيوية والشباب ، واحتفلنا مع الأصدقاء في مطاعم الجامعة .

قلت لك تأخر دخولي على فتاتي بضعة أيام ورغم ذلك لم تحاول الضغط عليّ كان الأمر طبيعيا كانت سعيدة بي وقلقة عليّ من الناحية النفسية عندما فشلت في أول الزواج حتى أني خشيت أن أذهب للطبيب النفسي .. وأدركت فتاتي أنها الفتاة الأولى في حياتي ، وليس لدي تجارب جنسية كما يفعل بعض المترفين ، حتى أن بعضهم يسافر أوروبا لمثل هذه التجارب .. وكانت مسرورة

من ذلك .. فكنت أرى حبها العميق في عينيها وابتسامتها ..وأنا كنت مغرما بها إلى حد لا يوصف ..فكل من زارنا أو رآنا علم كم من السعادة تغمرنا وتحيط بنا خلال الأسبوعين الأولين من حياتنا الزوجية .. لم نكن نعلم ما يخبئ لنا القدر ، وما يدبر لنا أهل الشر والحسد ، لم أفكر بعداوة أحد لنا لأننا لم نعاد أحدا .

أمضينا الأسبوع الثاني من زواجنا في زيارات اجتماعية بين أهلي وأهلها ، فكنا ندعى لتناول العشاء بمناسبة الزواج .

كنت أمتلك الكثير من الصور الفوتوغرافية لفتاتي وحبيبتي نبيلة ..صور في النزهات في الحدائق في الجامعة ، صورها مع أفراد أسرتها مع أسرتي مع طلبة الجامعة .. صور لها في ثياب البحر على أطراف المسبح داخل الماء.

بعد زواجنا بأكثر من أسبوعين ، قل عشرين يوما التقيت بالمهندس مراد زملينا في الكلية في ساحة من ساحات الكلية بناء على طلبه ورغبته لأمر خاص ومهم ، فقبلت وبعد السلام ومقدمات لم أفهم منها شيئا عن النصيحة والشرف والحقيقة .. قال : لم يعد يسمح لي ضميري بالصمت يا سيف.

ـ لم أفهم سبب كل هذا الكلام !

ـ كان يجب أن أقول لك هذا الأمر قبل زواجك من السيدة نبيلة .

ـ ماذا كنت تريد أن تقول؟!

ـ أقول إنها سلمت نفسها لغيرك ..لم تأخذها عذراء يا سيف.

ـ نبيلة!

ـ نعم ، نبيلة .

ـ كيف ؟..كانت عذراء!

ـ خداع .. زواجك العاجل لم يتح لي الفرصة لأكشف لك ذلك .

لما رأى صمتي ودهشتي وحيرتي تابع فقال : امرأتك رأيت لها صورة عارية مجردة من الثياب

كل الثياب .. وقال مالك الصورة وهو يكشفها لي إحدى زميلاتك

ـ صورة عارية لنبيلة مجردة من الثياب .. من هو الشاب ؟!

ـ نعم ، الصورة ليست معي .. إنها معه هو ليس أحد الطلاب .. كان اللقاء في مقهى أنا رأيت صورة واحدة فقط ؛ ولكنها لنبيلة خالد .. والرجل يرغب برؤياك ليبيعك الصورة .. نعم يريد أن يبيعها لك .. طلب مني عرض ذلك عليك

ـ لا تعرف من هو؟

ـ رتب لي أحد الأصدقاء لقاء معه .. ليصرف عني ما شاع عن تعلقي بها كما تعلم

ـ كيف سأقابله ؟!

ـ في المقهى اليوم الساعة الخامسة عصرا أو مغربا .. فالأفضل أن تحصل على الصورة حتى لا تنتشر بين الزملاء .

ـ أين ؟!

ـ في المقهى الكوكب الذهبي في مركز المدينة .

ـ كيف سأعرفه؟

ـ هو سيتعرف عليك ، ستجد الرجل ، وهو سيعرفك على نفسه، ويطلعك على الصورة .. ودبر أمرك معه .. أنا مجرد مرسال .. بريد بينكم .. هو فعل ذلك معتقدا أنني ما زلت أهوى السيدة ..وأنا أكدت لك صرف نظري عنها ما دامت زوجة لك .

افترقنا وأنا في غاية الذهول من صدق خبريته .. وأنا لا أصدق أن تتصور الفتاة مجردة من الثياب وأن تمارس الجنس مع أحدهم ؛ ولكن قصة زواجي والعجلة فيها جعلت القلق يدب في نفسي صممت على الذهاب للمقهى ، ومتابعة الموضوع قبل الحديث مع نبيلة .. هل زنت نبيلة قبل الزواج ؟! لا أصدق ذاك ؛ ولكنه غير مستعبد في بيئة فاسدة يا إدريس .. هي لم تتحدث يوما عن علاقة خاطئة مع أحدهم .. وليلة الزفاف كانت بكرا عذراء مع أن الأمر لا يهمني .. كل أخواتي تزوجن بدون عذرية كما أعلم .. وقعن في مشاكل قبل زواجهن ما عدا السيدة مريم ؛

إنما الذي أزعجني أكثر الصورة العارية .. لماذا تتصور فتاتي عارية بدون لباس ؟ ولمن تفعل ذلك؟ لم تكن مستهترة خالعة في الجامعة .. كانت من أكثر الفتيات تبرجا وسفورا ومرحا ، لم تكن خليعة .. لما تخلع ثيابها أمام مصور ؟ رأيت الأمر كبيرا مزعجا .. أنا أعرف عشقها للصور الفوتوغرافية .. أما التصور بدون لباس فهذا جنون وفحش .. نحن نعشق الصور والتصوير هل أنا غطاء لأمر أكبر وفاحش ؟ لم أرجع إلى البيت رغم أن فتاتي كانت مريضة وغادرت الكلية مبكرا .. تناولت الغداء في قلب المدينة ..وذهبت في المساء إلى المقهى بعد أن تعرفت عليه ودخلته قبل الذهاب للقاء صاحب مراد المشفق عليه ، ويعرف شهوته ورغبته في زوجتي قبل زواجنا .. أنا أدرك حقد مراد ؛ ولكن بعد الزواج ظننت أن الأمر خفت ، وانتهى بعد زواجنا وبعد ذلك اللقاء الحاد بيني وبينه .. والمساء أو الليل يهبط مبكرا في فصل الشتاء .. وجلست تقريبا في المكان الذي تعرفه ؛ المقهى جدد كما قلت لك ؛ ولكنها نفس المساحة .. وبعد طول انتظار جاء رجل بلحية قصيرة سوداء وشارب أسود ضخم ؛ كأنه ممثل في سينما أو على خشبة مسرح ، وكان يلبس قبعة كالتي يلبسها الأجانب وبذلة سوداء .

وقال لي: أأنت المهندس سيف ؟

ـ نعم ، لعلك ذلك الرجل !

ـ نعم ، أنا الرجل المقصود ، أنا أملك صورة مثيرة لزوجتك .. لست المصور لها ، أنا وسيط بينك وبين المصور .. أعيش على فضائح الناس والعائلات.

لزمت الصمت ، وكنت أحدق فيه باحتقار وذهول ، وتابع كلامه الأحمق : كان عليّ أن أصل إليك وبيعك الصورة قبل زواجك ؛ لتكون المساومة أفضل يا سيد سيف حاكم وردة ؛ لكن كل تأخيرة فيها خيرة .. وليست زوجتك أول فتاة تصور مجردة من ملابسها الداخلية فكثير من طالبات الجامعة لهن لدينا صور مثيرة .. هذا مصدر دخل للمصور وللصياد وللبائع مثلي أنا لا يمكن أن أقول لك من صور الصورة ، ومن استدرج الفتاة ؟ وهل تصورتها بإرادتها ؟ لأني لا أعرف إلا أن أقابل من تهمه الصورة فقط ؛ لكن زملاء لكم يساعدون في ذلك ...

ـ مراد منهم؟

ـ ليس منهم يا سيد سيف .. نعرف أن مرادا كان مهتما بزوجتك قبل الزواج ، وتنكد من زواجك منها .. وهو صراحة يكرهك ويغار منك ؛ ولكنه لم يشارك في قضية الصورة .. لا أدري هل أقام علاقة خاصة مع زوجتك أم لا ؟!

أخرج الرجل صورة ملونة ، وقدمها لسيف وهمس قائلا : أليست هذه حرمك المصون ؟

أخذت الصورة ، كانت لها ، كانت كما ولدتها أمها يا إدريس .. صورة قبيحة فعلا يا سيد .. وتساءلت بسخط وغضب : أهي لها حقا ؟!

ـ أنت لا تعرف البنات .. أنت رجل مسكين يا سيف ! مغفل بصراحة .. كلمات الحب تطربك كل البنات في الجامعة يفعلن ذلك .

ـ كل البنات!

ـ طبعا إلا القليل .. فلوس تدفع لهن مقابل هذه الصور.

ـ نبيلة تريد فلوسا !

ـ ربما تصور للابتزاز والنيل منها مقابل إعادة الصورة لها .. اغتصاب وتهديد .. المتاجرة بالأجساد شائعة اليوم.. انظر إلى الصورة جيدا .

نظرت إليها جيدا ،كانت صورة نبيلة خالد فتاة أحلامي وسألت نفسي : لماذا تتصور هذه الصورة ؟! وسمعته يقول : كم تدفع ثمنا لها؟

ـ ومن يضمن لي أنك لا تملك غيرها ؟!

ـ أنا أضمن لك ذلك ؛ لأني سأعطيك الصورة والفِلم أو قل مقطع الفِلم المسودة حيث المكان الذي عليه الصورة .

ـ أهذه نبيلة خالد زوجتي أم خدعة ؟!

ـ ولماذا أخدعك ؟ مراد لما عرف أنها صورتها حاول شراءها ؛ ليضغط عليها بالصورة ويتخذها عشيقة .. فأقنعته أن أبيعها لك وينسى أمرها فقد أمست زوجة .

ـ وكيف تعرفها أنت ؟

ـ أنا لا أعرفها شخصيا .. أنا الوسيط بينك وبين خصومك.

اشتريت الصورة والنكتف (صورة سالبة) يا إدريس بعشرين دينارا ، وغادرت المقهى وأنا لا أرى النور وأردد زوجتي تتصور عارية .. لماذا فعلت ذلك ؟! لماذا لم تخبرني عن ذلك الطيش قبل الزواج ؟! كان طعم الخداع مرا في فمي .. كانت صورة لها حقا .. حسمت أمري معها وأنا أغادر المقهى .. وأدركت أنني ضحية لمكرها وخبثها .. ولم أكن الرجل الوحيد في حياتها لو كانت محبة صادقة ما تصورت هذه الصورة القبيحة .. ما تعرت أمام رجل ومصور .. لماذا تزوجتني؟! هل حقا كان هناك رجل يرغب بالزواج منها ؟! هل حقا سيصير والدها وزيرا ؟! ذهبت بي الظنون والهموم والأفكار السيئة إلى أقصاها .. ذهبت للخمارة وشربت وشربت حتى انتصف الليل .. الخمر مباحة عندنا ؛ لكنني لم أكن أكثر منها إلا في المناسبات والظروف القاسية العائلة كلها تتعاطى الخمر كالماء في البيت .. ربما في الأسبوع أتناول كأسا صغيرا .. لم ننظر إليها أنها حرام ..هكذا تعلمنا ..كان الشاي مشروبي المفضل والمغرم به .

فتحت الباب وهي نصف نائمة ، وكانت تتثاءب : أين كنت ؟ تأخرت يا حياتي .

دخلت والتعب ظاهر عليّ والسكر بين ، فقالت وهي تجلس : سكران يا سيف أكنت في حفلة راحتك شديدة .

ـ مررت على الخمارة وشربت كأسا .

ـ أنت شربت زجاجة.. أتريد العشاء ؟ أنت مرهق .. وتأخرت كثيرا ألسنا في شهر العسل ؟!

ـ العسل ..كنت في مشكلة صغيرة كبيرة لا أدري !

جلسنا في الصالة وقالت : مشكلة .. ما هي؟ أنت لست طبيعيا يا سيف الحبيب ؟!

تنهدت بعمق وقلت : أتسمحين لي بسؤال ؟

قالت بانزعاج: تفضل

قلت بدون حياء : هل عمرك نمت مع رجل غيري ؟

نظرت إليّ مصعوقة وقالت : لعلك سكران أكثر من اللازم !.. شربت كثيرا الليلة .

قلت بعصبية : أجيبي على سؤالي .

ـ سؤال مزعج ! وهل قال لك أحد إني نمت معه ؟!

أخرجت الصورة ، وقلت : أهذه صورتك ؟

مسكت الصورة ، وحدقت بها وقالت : كأنها صورتي!

ـ كأنها صورتك أم صورتي !

ـ لا أذكر يوما أني تجردت من ثيابي لأتصور مثل هذه الصورة الفاضحة .. ولماذا أتصور؟ وأكشف عورتي لمصور .

قلت بقسوة وغل : الزانية لا يهمها .

صاحت وقد طار النوم عن وجهها : لا تقل ذلك يا سيف.. أنت أعرف الناس بي .. والله ما تعريت إلا لك .. هذه الصورة لا أدري كيف أخذت لي ؟ لا أنكر أنها صورتي ؛ لكن كيف صورتها لا أدري ! .. الوجه في الصورة لي .. ما القصة يا سيد سيف ؟!

وقصصت عليها لقاء مراد والمقهى والمعلومات التي تجمعت لدي فقالت : شاب يصور بنات الجامعة عاريات .. الأمر غامض وكبير ..وهل الجامعة دار دعارة يا سيف ؟ لا أنكر أن هناك بعض الساقطات والساقطين يلهثون وراء الشهوات والفجور ؛ إنما هم قلة .. هناك مكر .. هناك خداع يا سيف .. هذه الصورة أول مرة أراها .. وما زلت حائرة بطريقة تصويرها .. أين الرجل الذي شاركني الفراش؟ ولماذا صورني ما دمت خليلته ؟! وأنا صدقا لا أعلم أين صورت هذه الصورة ؟ أنت الرجل الوحيد يا سيف الذي شاركني الفراش .. هذا مكر .. صحيح لي أصدقاء في النادي والمسبح والجامعة ؛ لكن لم أصبح عشيقة لأحد .. وأنت الحب الوحيد لي .. وصبرت سنتين حتى أسمع هذه الكلمة منك .. وكان أمامي الكثير من الشبان هل سمعت قبل أن أرتبط بك بمغامرة لي ؟

ـ الصورة!

ـ نعم ، الصورة لا أذكر أني تعرضت لتخدير واغتصاب .. لقد كنت عذراء ليلة الدخلة يا سيف !

ـ الصورة!

ـ لماذا أخونك يا سيف ؟! هل تراني غانية وبنت هوى ؟! لماذا أزني ؟! لماذا أتصور عارية ؟! هناك مكر .. لي سنوات أحبك .

ـ قبل الزواج

ـ لم يحصل ذلك.. أنا عذراء كما تعلم !

ـ كيف صورت؟!

ـ لست أدري ؟

ـ هي صورتك .

ـ لا أنكر أنها صورتي ..لا أدري كيف صورت ؟!

ـ ما العمل ؟!

لما رأيتها لم تكذب بأن الصورة لها ؛ ولكنها لا تعرف كيف صورت ؟ وأين ومتى ؟ وقع في قلبي أنها تخدعني ، وأنها اتخذتني تغطية لفحشها وشهواتها وفجورها .. كيف تكون بريئة ؟! فالصورة لها كيف صورت ولا تعلم ؟ هي تعلم ولا تريد الاعتراف ؛ لأنها لا تستطيع نفي الصورة عنها.. قضينا ليلة سيئة من حياتنا.. حاولت بكل قوة وحيلة معرفة كيف وصلت الصورة لهؤلاء الشياطين ؟ وكيف تعرت أمامهم للتصوير ؟! ولماذا قبلت أن تصور ؟ ولم أستطع أن أصدق أنها لم تفعل شيئا قبيحا .

وقالت : افرض أني مارست الجنس مع أحدهم قبل الزواج أهذا يهمك ؟

ـ طبعا يهمني .. أنا رجل أغار وأحب طهارة زوجتي.

قالت باستسلام : حقك ذلك ..وأقسم لك إنني لم أقدم جسدي لأحد غيرك حتى قبل أن أتعرف عليك .. أنا سلمت نفسي لك وحدك .. هل رأيتني حاولت إغرائك وممارسة الجنس

معك ؟

ـ معي لم تفعلي ؛ ولكن هذه الصورة كيف وصلت لهؤلاء الرجال ؟ كيف عرف مراد اللعين بأمرها ليخبرني بها ؟.. ولماذا تعجلنا بالزواج قبل التخرج كما كنا مخططين ؟

ـ أنا لا أعرف كيف حصلت هذه الصورة ؟! ولا أذكر أني فقدت وعيي في حفلة في مناسبة .. لا أتهور في السكر والعربدة .. ولا أتأخر في العودة للبيت إذا شاركت في مناسبة .. وكنت أحدثك عن كل تلك السهرات والحفلات .. وأغلب الفتيات اللواتي يقبلن التصوير عاريات يكن ذلك بإرادتهن يا سيف .. والفتاة التي تقدم بدنها للزناة فلا يهمها صورة عارية .. وأنا لم أعرف الزنا رغم أنه غير محرم في تقاليد الحي .. ولا أنفي وجود خيانات زوجية من كلا الطرفين وقد يحدث الطلاق بسبب ذلك وينتهي الموضوع .. وأكثر الخائنات تعلم أن زوجها يخونها فتفعل مثله .

ـ لقد أحببتك من أعماق القلب يا نبيلة ..كنت أجمل شيء في حياتي الماضية وفي الجامعة ؛ ولكن بعد هذه الصورة القبيحة لا أعتقد أني أستطيع الحياة معك ، وتحت سقف واحد ، لو رأيتك تتحدثين مع أي رجل سيقع في قلبي أن خيانة ترتب ، حتى لو تبادلت معه النظرات سيقتلني الشك والريب ، لقد دمرت حياتي

ـ عليك أن تصدق يا سيدي أني طاهرة لك وحدك .. لم تحصل مني أي خيانة .. وأنا على استعداد إلى قطع كل معرفة مع أي رجل ؛ لتطمئن أنك الرجل الوحيد الذي يحق له أن يمتلكني .. هناك مكر كبير يا سيف!

صحت بجنون : مكر .. الصورة مكر .. كيف صوروك؟! أنا أرى أن مكرك ظهر ..وأنني مغفل ..

ـ لا تقل ذلك يا سيف .. أنت تظلمني بهذا الاعتقاد .. وحقق العدو مبتغاه من إظهار هذه الصورة .

ـ ولكنها صورتك صورتك يا سيدتي وتزعمين أنك تجهلين طريقة تصويرها أيصدق هذا ؟

ـ لو لم أكن أحبك يا سيف وأريدك ما تعجلت بالزواج منك .. ولقبلت بقريبي الدكتور غريب والعجلة بالزواج لأن والدي سيصير وزيرا .. وسوف ترى ذلك .. وخشيت أمي وأنا أن يفرق بيننا هذا المنصب .

ـ الخيانة صعبة ومؤلمة على شخص مسكين مثلي يا نبيلة! إنها صعبة على نفسي وروحي .. عذاب سيسلط علينا ..علينا أن ننفصل بهدوء ، ونعلن أي حجة أمام الناس .. لا يجب أن يعرف بأمر الصورة أحد

ـ تريد الطلاق

ـ الأفضل لنا ..لا أستطيع أن أعيش سعيدا معك .. وبيننا هذه الصورة .. عندما أشرب شيئا سيقع في خلدي أن به مخدرا ما أو منوما ، إن تعبت وتوعكت سأظن الظنون فيك يا سيدتي .. ألا تذكرين مكان هذه الصورة ؟!

ـ لا أذكر ، لا أعرف متى وأين صورت هذه الصورة القذرة التي جعلتني في نظرك مومسا ؟ هل تعرف أنت ؟

ـ أنا! كيف سأعرف وأنا اليوم عرفت بأمرها وقابلت من باعني إياها ؟ لم أستطع معرفة مكان التصوير .. عليك أن تعودي لبيت أهلك لنرتب أمر الطلاق .

ـ لا حل عندك غير هذا ..افرض أني غلطت وتصورت هذا الصورة بإرادتي وطلبت العفو .

ـ الشك الشك .. أنت تنكرين فعلتك يا نبيلة .. والصورة هذه تقول إنك تصورت .. الشك سيدفعني للجنون .. كنت سعيدا بك كل هذه السنوات .. وأنا لا أرى لي فيك شريكا في جسدك .. إذا صورة تزعمين أنك لا تعرفين كيف لقطت لك ؟ فكيف إذا فعلت أكبر من ذلك .. كيف سأصدق أنك لم تفعليه ؟!

بكت كثيرا وفعلت أنا مثلها ؛ لكن لم تعد الدموع تحل ما بي من غضب ويأس، وحسمت أمري لا نساء بعد اليوم في حياتي ،ولن أقبل أن أعيش دابة ولي زوجة ينزو عليها الذكور ، حاولت ثنيي عن الطلاق في الصباح .. ورفضت الحياة معها بعد رؤية الصورة الخلاعية .. وأنا خشيت

ما وراء الصورة .. وبعد يومين قابلت والدها وقال: لماذا تريد الطلاق وقد قبلت أن تكون لها زوج وتعجلت الأمر قبل التخرج ؟

أخرجت الصورة وقلت وأنا ادفعها إليه: هذه السبب يا سيدي!

أمسك بها مطلعا وقال: ابنتي هذه!!

ـ نعم، ابنتك .. واعترفت بأنها لها ؛ لكنها تزعم أنها لا تعرفت كيف ومتى وأين صورت ؟

ـ الصورة صورتها ولماذا تتصور عارية ؟!لماذا ؟!

ـ لا أدري يا سيدي الدكتور !

ـ كيف حصلت عليها ؟

ـ عصابة تغرر بالبنات وبيع صورهن لمن يهمه الأمر !

وأقسمت البنت أمام والدها وأمها إنها لا تذكر كيف حصل الأمر معها ؟ ولا تذكر أنها تعرضت لتخدير في بيت في سهرة ..ودافعت عن نفسها وأنها تعرضت لخدعة وشيطنة ، ثم وافق الأب على طلاقنا بدون شوشرة .. وخلال أيام كان كل واحد منا يملك شهادة طلاق شرعية .. فصدم والدي للأمر وغضب عليّ ، فذكرت له مضطرا أمر الصورة فسكت .. وظل غاضبا عليّ حتى تخرجت من الكلية ، وأنا في حالة نفسية صعبة ، ثم عادت الأمور إلى ما كانت عليه قبل الزواج .. وانتهى أمر نبيلة في حياة الأسرة .. والكل كان مصدوما من قصة الصورة وبعد التخرج تزوجت نبيلة من قريب والدها الدكتور غريب ، وكان والدها قد أخبره بقصة الصورة ، وأنها سبب انفصالها عني ، وأن البنت تعرضت لحيلة ماكرة .. وللسخرية دعوني لحضور حفل زفافها.

وعملت في شركة ، ثم انتقلت للعمل في مصنع دواء لخالي كنائب مدير ومهندس صيانة .. كنت مهندس ماكينات وآلات .. ومضت الأيام رتيبة وبدون زواج .. كل النساء نبيلة خالد ورفضت تجربة الزواج بكل قوة وإصرار .. وما زالت الصورة الغادرة أمام عيناي .

الحياة بعد الطلاق

تزوجت فتاتي من قريبها غريب ، وأصبح والدها وزيرا ، ورفضت كل زواج عرض عليّ سواء عن طريق والدي أو أمي أو أخواتي .. أصبحت كل النساء خائنات في نظري ، إذا الفتاة التي أخلصت لها تخونني وتتصور عارية .. ولما طلقت نبيلة هجرت الشقة المستأجرة ، وعدت لغرفتي في قصر والدي .. ولما استلمت العمل في مصنع الخال محمود وابنه ياسر أعطاني والدي قطعة أرض مجاورة لقصر الوالد ، وأخذت ببناء قصري الذي تعرفه ، وأغلقت بابي بوجهك وفي أقل من سنة كمل البناء ، وأخذت بتأثيثه .. كانت أمي تدعمني ، وكذلك أبي على أمل أن أتزوج مرة أخرى .. وانتقلت للحياة فيه بعد التأثيث ، وأغلقت أمامهم الرغبة باقتناء امرأة فيه ورفضت كل استعطافات أمي ، ولم أقتنع أن النساء ليس كلهن نبيلة .. أصبحت لديّ عقدة سوداء نحو النساء عامة ..كل ابتسامة أراها بين فتاة أو امرأة ورجل يخطر في بالي الفحش والزنا بين الطرفين ، وأن تلك الابتسامة أو الحوار ترتيب لأمر سيء .. كره شديد نحوهن .. وكنت في فترة أغضب وأصرخ وأثور إذا تحدث أحدهم عن زواجي .. أصبحت النساء فاجرات في عقلي غير صالحات لحياة صالحة .. وما زال الشعور الذميم لليوم في قلبي .. عرض عليّ أبي العلاج النفسي ، ولم أقبل أحببت حياتي التي أنا عليها وأنا حر فيها .

وقبل أن أضيف ما تبقى من معلومات أقول إن السيدة نبيلة انتهت من حياتي كجسم ، وما زال جرحها في قلبي ينزف لم يمت .. ولم يحدث بيننا أي اتصال .. تزوجت كما قلت لك وعلمت أنها ولدت أكثر من مرة .. وأصبح والدها وزيرا للصحة العامة فعلا كما أخبرت ؛ ولكنه هلك قبل أن يكمل عامه الأول في الحكومة ..كان يحضر مؤتمرا طبيا إقليميا على ما أذكر وتعرض لحادث سير مروع أدى إلى وفاته في المستشفى ، وعاد للبيت في تابوت الموت رحمه الله .

كنت أغضب وأتضايق جدا عندما يقال أمامي خبرا عن نبيلة من قبل أمي أو أخواتي ؛ وربما أثور وأصرخ فيهنّ ؛ ولكننا ما زلنا سكان حي واحد .. رغم زواجها استقرت زوجة فيه ، شيد لها والدها وزوجها قصرا أو فيلا كبيرة أيضا .. وهي عملت في شركة هندسية منذ تخرجت .

بعدما استقر عملي الوظيفي في المصنع أخذت حياتي بالرتابة والروتين .. دوام من الصباح حتى العصر ، وأحيانا في الليل لتصليح آلة متعطلة أو تركيب آلة جديدة أو متطورة أو صيانة خط إنتاج أو إضافة خط إنتاج ، لم أكن اجتماعيا مع عمال ورجال المصنع .. عمل فقط علاقات عامة مع الإدارة والشركات ..لم أكوّن أي صداقة خاصة مع شخص أو أشخاص في الداخل والخارج وعلاقاتي مع معارفي القدامى ضعفت وتلاشت مع مرور الوقت .. العزلة هوايتي .. أحببت الكتب ؛ ربما بقيت هذه الهواية القراءة ، وأحيانا التلفزيون في البرامج الثقافية والحوارية .. كان لديّ خادم فليبني يقوم على خدمتي وتنظيف ورعاية البيت .. سعت بعض فتيات المصنع صيدي وتكوين صداقات معي طمعا ؛ ربما بالزواج من حضرتي .. وكلهن اعتبرهن نسخة عن نبيلة الفتاة التي أحببتها بصدق وشرف .. ولم تكن في نظري بعد تلك الصورة الماجنة شريفة ولا عفيفة .. وحاولت بعضهن إقناعي أن النساء لسن نسخة واحدة ..سعى ابن خالي مدير المصنع الدكتور الصيدلي ياسر تزويجي من شقيقة له .. فذكرت له ضعفي النفسي والجنسي وعدم صلاحيتي للنساء ، ولم تعد لديّ طاقة لمعاشرتهن .. مع مرور الوقت قلّ اهتمام الأهل والأقارب بزواجي من جديد .. ويعجبون من صبري عن النساء .. وشاع أن طبيعتي ماتت .. وأني معقد ومريض ، وبعضهم يقسو ويصفني بالغبي والمجنون.

ثم تعلقت فترة بالسفر إلى مدن العالم السياحية ، زرت إيطاليا وأمضيت فيها شهرا ، ولم أقع في الزنا ، وهو شائع دون عقبات حقيقية أوروبا إباحية ، وتجد فيها أحياء وقرى للبغاء والجنس وللشواذ كما في فرنسا وكندا ، زرت إسبانيا وغرناطة فاس ومراكش لندن وبرلين تونس اليابان ايران .. بعض مدن الهند ، ثم مللت السفر والسياحة ، وعدت للسكون .. في آواخر عام ١٩٧٥ ماتت والدتي وهي حزينة كما قالت عند الموت لأنني لم أتزوج لأنجب من يحمل اسمي حاول أخي أمير تزويجي بعد هذا الأسف من طبيبة تعمل معه في المستشفى .. واستغل مأساتها وترملها لأقبل بها .. وكدت ألين ، ثم نفرت فجأة من الزواج والنساء والخضوع لامرأة ، وذكرت نبيلة التي حسبتها أشرف أنثى تتصور مجردة من الثياب ؛ كأنها بائعة هوى أو مومس

تعمل في حانة أمريكية.

وقدر الله بعد موت الأم بشهور وفاة أخي الكبير حازم الطبيب ، فقد كان يعاني من مرض عضال ، وترك زوجة وولدا ذكرا وبنتين .. وبعدهم بسنوات لحق بهم أبي وترك أرملة شابة لعوب ، كادت تهلك العائلة والأسرة بكثرة مطالبها ، وتستولي على أموال العائلة ؛ لكن طلقها أبي فجأة متهما إياها بالتزوير .. وحصلنا على ميراث كبير .

وبعد وفاة أبي بسنتين عام ١٩٨٥ تركت العمل في المصنع ، وقبعت في بيتي لم أعد بحاجة للعمل والراتب .. وغرقت أكثر في الكتب والفكر والتاريخ والروايات الغامضة .. وتابعت فترة المسلسلات التلفزيونية ، ثم هجرتها أصبحت مملة ومسخرة ومكررة .. ومات خادمي الآسيوي وتكفلت بنقل جثمانه للفلبين .. واستعنت بخادمة قريبة عرفني بها أثناء حياته .. فلما مات رغبت بالعمل في بيتي .. ورغم كرهي للنساء كما تعلم وعزوفي كل هذه السنين عن الزواج والحياة مع امرأة قبلت هذه الخادمة .. وهي التي فتحت لك الباب .. وهي رغم صغر حجمها تقترب من الستين سنة .

ألفت بعض الكتب في الهندسة والصيانة بحكم عملي في المصنع وللفنيين معنا ، ثم قبلت نشرها كذكرى وليست تجارة ، وهي خمسة مؤلفات حول كهرباء المصانع وخطوط الإنتاج ، وبعد تقاعدي واستقالتي تعرفت على فتاة شابة ؛ كأنها في الخامسة والعشرين زاعمة أنها تحب أن تستفيد من تجربتي في العمل بمصنع الدواء ؛ لأنها تحمل نفس تخصصي في هندسة المصانع والميكانيك ،وأن ابن خالي ياسر أرسلها لتتعلم مني ، وتكسب خبرتي ولو بشكل نظري وحوارات ، وتحولت الدروس والخبرات عن الزواج والحياة الزوجية ، وأنها تتمنى أن تكون زوجة لرجل مثلي ، ولو كان كبيرا ، فتنبهت لمكرها وطلبت منها عدم العودة للبيت ؛ ولتفكر برجل من سنها، وعاد الهدوء للبيت ولنفسي بعد طردها .. اليوم البنات تطارد الشباب في كل الأماكن لم يعد الأمر مقصورا على الجامعات.

لما تركت المصنع رفضت العمل في أي مكان آخر .. أعطيت نفسي التقاعد دون مقابل ..

حصلت على ضماني دفعة واحد ؛ لأنني لم أكمل سنوات الاشتراك معهم .. ولي تقاعد من نقابة المهندسين ؛ ولكني حولته لجمعية خيرية .. وكنت أحيانا أضطر للذهاب لمصنع الدكتور ياسر للمساعدة في صيانة ماكينة أو مشكلة فنية .. أمارس السهر لساعات طويلة ؛ ربما أسمع آذان الفجر من جوامع الحي قبل النوم .. أحب السهر ، وأنام في مطلع النهار .. ألفت بعض الكتب الثقافية ؛ لكني لم أطبعها سأعرضها عليك ، وأكلفك بطباعتها بعد موتي .. وأدع لك مالا لتنفيذ ذلك .. واعلم أنني أعاني من مشكل في القلب والأوعية الدموية وعانيت أعراض الجلطة القلبية ولكن الله سلم ، وما زلت أعاني ، ولست آسفا على هذه الحياة .

والآن أتحدث عن الرسالة التي سمحت لك بقراءتها قبل زوال عام ١٩٩٤. سمعت بموت السيدة نبيلة بمرض السرطان المعروف اليوم للناس ، علمت بموتها في نفس اليوم الذي دفنت فيه من إحدى أخواتي القاطنات في هذا الحي حي بهية والتي كانت على علاقة معها بسبب المجاورة في الحي .. حتى فكرت بحضور جنازتها ؛ ولكني ضعفت وجبنت على فعل ذلك مع أني شاركت بجنازة والدها عندما أتوا بجثته من حيث مات .. وحتى العزاء لم أذهب إليه مع أخي أمير أو مع أخواتي ، لم تطاوعني نفسي على فعله ، رفضت مرافقتهم ، ثم انتهى أمرها عندي ، وللحق كثر طيفها تلك الأيام ، وعادت بي الذكريات إلى الجامعة إلى أول يوم تقابلنا فيه .. وسعادتها باعترافي بحبها حتى وصلت للصورة اللعينة الصورة التي دمرت حياتي وكياني يا إدريس .. بكيتها بحرارة بحرقة .. نعم بكيت .. وصرت أتخيل حياتها قبل الجامعة التي حدثتني عنها وحبها لقراءة الروايات العاطفية والغرامية .. وحبها لحياة مثل تلك الحكايات .. وأنني أحد أبطال قصصها .. ثم تذكرت حياتها مع غريب وصبرها على فجوره الذي شاع في الحي .. عشت أياما مع تلك الذكريات والمشاهد والمواقف .. قد تعجب إذا قلت لك تلك الأيام لم أستطع فتح التلفزيون ، لم استطع قراءة كتاب.. وفكرت بالموت القريب منا .. وأهمس وأنا أتمشى في حجرات القصر .. لقد ماتت الحبيبة الأولى والأخيرة في حياتي .. ماتت سألحق بها قريبا .. وعدت أتسأل كما تسألت خلال هذه السنين هل ظلمتها بطلاقي ؟ كيف صورت تلك

الصورة اللعينة ؟! أيعقل أن تخضع فتاة لمثل ذلك المشهد دون علمها ؟! وهي كانت تنفي بقوة تعرضها للتخدير والاحتيال .. كانت سيرتها طيبة يا إدريس في الحي.. لم أسمع قصة سوء عنها لم أسمع إشاعة أنها تخون زوجها رغم ما عرف عنه من فساد وفجور .. أتخيل ذاك الرجل البائع للصورة ، وأتذكر المهندس مرادا وإظهار شفقته عليّ واضطراره كشف الأمر لي زاعما حزنه على الخداع الذي تعرضت له من الزواج من نبيلة .. صدقت أنها خدعتني ليلة الدخلة في مسالة غشاء البكارة لما نسمع من مكر بعض الأطباء وتزوير مثل ذلك .. لم أعرف اسم رجل المقهى كانت لهفتي فقط إلى رؤية الصورة التي تحدث عنها مراد .. لم أسأله من أنت ؟ الغضب والقهر يغمران قلبي تلك اللحظات.. ظهرت بالمغفل وتسرع بالزواج ليستر على فضيحة ؛ ولكن لو أراه سأعرفه يا أستاذ إدريس .

أعترف أمامك أن موتها هزّني جدا ، أنا صحيح منذ تركتها لم يحدث بيننا لقاء ، لكن صدف أن تلاقت عيونا في مناسبة اضطر أن أكون فيها كعزاء كعرس أبناء أخواتي ، لم يحدث بيننا كلام ولم أنس طيفها فهي المرأة الوحيدة في دنياي ، ونحن أبناء سن واحدة كما تعلم ، ودرسنا في كلية واحدة .. أرعبني موتها مع أني عرفت الموت بموت أمي وأخي ، ثم أبي وبعض الأقارب وأبناء الأخوات ؛ لكن موتها جعلني أفكر بالموت ونهاية الحياة .. موت نبيلة دفعني أن أقرأ في القرآن الكريم ، نحن مسلمون بالاسم .. كان أبي متمردا على الإسلام أو قل لا يعرفه سوى معرفة سطحية تقليدية .. لم يكن يعرف الصلاة .. رمضان كغيره من الأيام ، لم نمارس الصوم كل الأسرة .. أمي في آخر أيامها علمت أنها صارت تصلي ؛ وربما تصوم .. قرأت بعض أجزاء المصحف تلك الأيام .. لقد فكرت بالصلاة والذهاب للمسجد ، ثم نكست .. كنت أتخيل جسد حبيبتي المسجى وهم يصلون عليه ، وأقول هل عرفت نبيلة الصلاة يوما ؟ هي مريضة من سنوات .. حي بهية فيه مسجدان مسجد قديم بقدم الحي ، ومسجد بني من عهد قريب ربما من خمس أو ست سنوات .. لقد خيم الموت على نفسي أكثر من اللازم .. صدق تأثرت بموتها أكثر من وفاة أمي وأخي وأبي وخالي والد ياسر .. لا أدري السبب الحقيقي لهذا التأثر .. أخذت

أفكر بالحياة التي بعد الموت.. وهل حقا هناك عذاب في الحفرة التي يدفن فيها الإنسان أم هي خزعبلات وتهويمات يتسلى بها الشيوخ ؟! تمنيت أن أصلي ولكني لا أعرف شيئا .. ومع الوقت وفي أقل من شهر ذهب الحزن والخوف والذكريات ، عاد الهدوء النفسي لنفسي ، وذهبت أيام نبيلة الحلوة من حياتي رويدا رويدا.

عدت أتفرج على التلفزيون ، أقرأ الصحف والمجلات التي تعودت على قراءتها، ومع ذلك لم أنس ليلة قررت طلاقها يا إدريس كانت مصدومة ومذهولة من الصورة وكيف وصلت لي ؟ وكيف صورت ؟ لم تعترف لم أعرف كم تركت من الذرية إلا عند موتها ؟ عرفت أن لها ولدا واحدا فقط ، وابنتين ؛ ربما مات لها أطفال صغار .. وبينما أنا على هذا الحال وصلتني الرسالة التي تطلب مني مسامحتها على الآلام التي سببتها لي وحرماني من الزواج والذرية .. وكررت التأكيد أنها لم تخنّي يوما ، وأن الصورة أخذت لها بطريقة ماكرة وغامضة ، وتطلب مني مقابلة بائع الصورة ؛ لعل ضميره استيقظ بعد كل هذه السنين .. وأنها سامحتني وأن لا دخل لها في عقدتي نحو النساء .. قرأت الرسالة مرات ومرات ووقع في قلبي أنها صادقة وبريئة .. وقلت لولا أنها بريئة ما عادت تقسم هذا القسم .. أنا ابتعت الصورة لأنها الحقيقة الثابتة .. ولم أسع للتفاصيل ، لقد أعمى الغضب والصدمة هذه النفس .. وماذا يهم من معرفة المصور ومكان التصوير في تلك اللحظة ؟ المهم أنها قبلت التصوير بهذه الطريقة الوقحة .. وأعطيت الصورة ومقطع الفلم لوالدها ليلة تحدثنا عن الطلاق وسببه ؛ وربما افترضت ليلة ابتعت الصورة أن نبيلة تعرف كل هذه التفاصيل .. فلماذا أسمعها من الرجل والذي اعتقدت أنه مجرد بائع ؟ .. لم تعترف بمكان التقاط الصورة ، ولا بوقت وقوع الجريمة .. وبعد تردد طويل وتفكير بضعة أيام قررت أن أعود للماضي إلى الوراء إلى تلك الأيام التعيسة السوداء في حياتي .. أعود لمقهى الكوكب الذهبي كوكب الصورة عسى اللقاء بذلك البائع .. ذاك الرجل البريد ، ومعرفة المزيد من المعلومات عن الجريمة والخيانة.

كنت في المقهى كما تعلم في مطلع هذا العام طامعا بلقاء ذلك السيد الذي قابلته قبل ثلاثين سنة

الذي اشتريت منه صورة من كانت زوجتي بعشرين دينار ، باحثا عن الرجل الذي شارك بتدمير حياتي .. صورة دمرت حب سنوات الجامعة ..إنها تطلب مني وهي تموت أن أعرف الحقيقة ، وأعرف أنها بريئة ؛ لكن الصورة حقيقة ، ولم تنكر أنها صورتها ، فهي كانت تمني النفس أن تعرف كيف خدعت ؟ لتصور بعريها .. ومن الذي أجرم بحقها ؟ كيف حصل الخداع والمكر ؟ أنكرنا أن تكون الصورة مركبة من قبل مصور محترف .. فخبير تصوير يدرك التركيب .. إنها صورة حقيقية لها بدون ملابسها .. لم تكن الصورة داخل غرفة استحمام لأنها كانت مستلقية على أرض ما .. فكرنا أن تكون صورة أخذت عند مسبح وجرى التركيب .. لكنها صورة لها أخذت مرة واحدة .. كما كان ذلك واضحا في التصوير .. وأمر الخدع في التصوير وارد ..إنه عمل أفلام وسينمات .. واليوم التلفزيونات بالممثل البديل .

لم يكن المهم عندي الصورة نفسها .. المهم ما وراء الصورة من زنا وإباحية.. ذهبت إلى ذلك وما أنا إلا غطاء وستار .

الفتاة تريد أن أصدق أنها لا علم بطريقة الحصول على الصورة كيف صورت مجردة من الثياب؟! .. بكت وبكيت يا إدريس تلك الليلة ؛ لكني اتخذت القرار .. وكان في نظري السليم والأفضل لنا .. الشك والوسواس مرض مرعب ومزعج ، فوجدت أن أبحث لعلي أجد هذا البائع وأضغط على ضميره بعد كل هذه السنين ؛ لعله يكشف الخدعة التي تعتقدها نبيلة .. هذا سبب وجودي في مقهى الكوكب البحث عن سيد رأيته قبل ثلاثين عاما في جلسة دقيقة وصعبة من حياتي .. فكرت أن لمراد صديقنا في الجامعة يدا ؛ ولكن بعد طول نظر قلت إن السيد كان دوره إرشادي للمقهى فقط .. ولا أراه رأى الصورة ؛ إنما قابله البائع وذكره بهواه لنبيلة ، وأن هناك فرصة للتفريق بيننا ، وطلب منه أن تكون المقابلة في المقهى ..لأني التقيت به بعد سنين ، وأنكر رؤيته للصورة شخصيا ؛ إنما حدث عنها وانتهى الكلام .. خلاف المرة الاولى زعم أنه رأى الصورة .. وهو قد طاردها سنتين دون أن يظفر منها بشيء.. ولو عبثيا وحقدا هو شارك بتدمير حياتي .

ذهبت للمقهى وتقابلنا أنا وأنت ، أنا وجودي على أمل مشاهدة الرجل بين رواد المقهى ، والتعرف عليه بعد كل هذه السنين ، مجرد أمل .. أنا لم أذهب للبحث عن صحفي .. تعجبت من اهتمامك الزائد بي ، فلم أطمع بالتعرف عليك ولا على غيرك .. مجرد جلوس بضع ساعات في المقهى على أمل رؤية الخصم .. أنا رأيته مرة واحدة مكثنا ربما ربع ساعة .. فعلا غمرني العجب من متابعتك لي .. فأنت لا تعرف لماذا أنا هنا ؟! لا شك أنك لا معرفة لك بذاك الشيطان وعجبت حقيقة من فضولك ، ولكن لما عرفت متأخرا أنك صحفي بررت هذا الفضول لم هو مشهور عن فضول أهل الصحافة ودس أنوفهم في كل شيء .. قلت هذا الرجل لا أتصور أن له علاقة بذاك الرجل .. ودهشت كثيرا من مطاردتك لي ، ومعرفة المزيد عني .. فأخذتها تسلية ورفضت طبيعتي أي تقرب مني .. أنا لا أحب الأصدقاء .. هذا أمر مات عندي يا إدريس !

رتبت ـ كما تعلم ـ جلوسي في أول الأمر ما بين العصر والمغرب ، ثم فترة صباحية فيما بعد ، لم أرتب نفسي لتكوين صدقات مع رواد المقهى .. أربكتني حقا يا إدريس أتسأل ماذا يريد هذا الرجل مني ومن تعقبي هنا وعند المطعم؟! وهذا المطعم كان مطعمي المفضل أيام العمل في المصنع .. وعندما أكون في قلب المدينة واحتاج للطعام .. وأفضله على مطاعم حي بهية والعرب وقد كنت أدعو بعض الناس إليه ، عند الاضطرار لدعوة أحد المهندسين أو الضيوف خلال سنوات المصنع .. فظل مطعمي المفضل.. كنت أرغب أن تبتعد عني .. وعجبت لإصرارك على الاحتكاك بي .. نعم ، رغبت أن تبتعد وتدعني وشأني ..كنت ترغب في الثرثرة معي غصبا عني وكانت مطاردتك لي محل استغراب ودهشة .. حقيقة كنت لا أحب تكوين أي علاقة معك .. ودهشت جدا لما رأيتك أمام بوابة بيتي ..ولماذا تسعى للوصول للبيت ؟! وأعتقد أنك استعنت بشخص لما رأيت إصراري على عدم تعريفك على مكان سكني .. هذا مجرد عناد وردة فعل وتسلية أيضا ، قالت لي الخادمة : رجل أول مرة أراه يطلب الحديث معك .. ولم أكن على موعد مع أحد ..لا يأتيني أحد بدون ترتيب يا إدريس .. صعقت عندما رأيتك ، فكانت ردة الفعل إغلاق الباب بوجهك محتجا على تدخلك بالقوة في حياتي وترددك على الحي حتى أن صاحب

إحدى البقالات أخبرني أنك تسأل عني عن أسرتي وتفاجأت بزيارتك لي في المستشفى ..كنت لا تطاق ، ولا أعرف الغاية من كل هذه المطاردة والتعقب .. وكنت أفكر أن أسألك عن كل هذه المطاردة ، ثم أضعف خشية تطور الحوار والاتصال .. ولكنك في النهاية انتصرت يا إدريس واستسلمت لصداقتك .. وعسى أن تكون نعم الصديق وأنا في آخر العمر .. ها أنا فتحت لك خزائني وأسراري !



بعد مضي أكثر من نصف سنة على أول نظرة كانت بين سيف الدين وإدريس أصبح إدريس ملما بتفاصيل كثيرة عن حياة سيف .. وقرأ المذكرات والصفحات التي كتبها عن حياته .. وكان لقاؤهما الليلة في بيت إدريس لمناقشة المذكرات والقصة ..كانت لقاءاتهما في الفترة الماضية في المقاهي العامة أو في مطعم سيف المفضل .. وبعد تردد سلم سيف بزيارة بيت إدريس ، وإن الكلام من الأفضل أن يكون في داخل البيوت .. وبعد تقديم المشروب المفضل لكليهما الشاي الساخن ، ووضع أمامهما أطباق الفاكهة جلس الرجل يتحاوران .

قال إدريس : قرأت قصة حياتك أكثر من مرة .. أنت جئت المقهى لهدف وحيد ، وهو مقابلة بائع الصورة آملا بصحوة ضميره بعد هذه السنين بإضافة معلومات تساعد أو تبين وتؤكد براءة السيدة نبيلة من الزنا ومعرفة قصة تصويرها عارية .

ـ نعم ، هذا ما تطلبه الرسالة لأتأكد أنها مظلومة ، وتعرضت لكيد كبير

ـ أنت لم تفكر قبل رسالة الوداع والمسامحة التي جاءتك من السيدة بمقابلة الخصوم .

ـ نعم ، لم أفكر ؛ لأن الأمر انتهى تلك الليلة ، أصبح تاريخا يا صديقي .. وما الفائدة ؟! لكنها رغبة امرأة تموت أو ماتت.. أنا بعد حدوث المأساة

الكبرى في حياتي لم أعد أفكر بمراد أو برجل المقهى ؛ لأن الصورة لها ، ولا أعتقد أن الشيطان

إذا كان هناك شيطان قام بتصويرها.

ـ شيطان الإنس فعل ذلك لوجود الصورة كحقيقة بينة .. هي تجهل كيف حصل ذلك ، وتنكر بشدة .. وأقسمت لك ولأهلها أنها ما فعلت ذلك!

ـ أنا لم أفكر كثيرا بسبب مصارحة مراد لي بتلك البلية ؛ لأني كنت أكرهه بشدة .. ولماذا تحدث عن ذلك بعد زواجنا ؟! لكن باختصار هو رجل حاقد .. اعتقد أني انتصرت عليه بزواجنا مع أنه قضى سنتين بمطاردتها ومحاولة صيدها .. وله قصص مخزية مع البنات .. وأنا متأكد لو صاحبها ونال حاجته منها لهجرها كما فعل مع الأخريات .. كان سيئا مع بنات الجامعة ؛ ولكنه كان صادقا بأمر الصورة .. ولا أدري هل شاهدها بأم عينه كما زعم في الأول أم حدث عنها؟!

قال إدريس : الرجل قصده واضح ، كان مغرما بها ومشتهيا لها ، وطاردها حتى يأس .. وقد يكون ناقما عليها حانقا ؛ لأنها فضلتك عليه ، وارتبطت بك دونه .. وهو جون دوان الكلية كما فهمت منك .. فالغرور مشكلة كبيرة عندما يتلبس الشخص .. وظلت تصده ولا تعيره اهتماما فجن جنونه .. ورأى أنها بعد إشهار الخطبة أنها ستكون زوجة شرعية .. خطط لتلك الصورة والحادثة ليدمر زواجك .. وهو الخبير بشخصيتك وطباعك خلال سنوات الدراسة خطط للانتقام وتدمير حياتها وحياتك ؛ لأنها اختارتك دونه .. الحقد مدمر ترتكب بسببه حروب دموية .. وإن غلفت بأمور أخرى لخداع الناس والأتباع .. الحقد أسود يا مهندس سيف .. لكن الأمر الغامض كيف تمكن هو أو غيره من تصويرها دون علمها ؟ وهي تنكر بشدة تعرضها للتخدير .. لو اعترفت بأنها خدعت وخدرت انكشف الأمر ؟ وما علينا إلا أن نعرف من قام بتخديرها .. هل غرر بها واستطاع تخديرها وصورها ليبتزها كما يحصل من مجرمين العصر ؟ .. أما رجل المقهى فهو مجرد بائع أو مثل دور بائع مقابل مبلغ من المال .. هذا العمل يحتاج إلى ماكر أو أكثر .. فرجل لا دور له في عملية التصوير هل يعرفه مراد أم دل عليه ورتب له الأمر ؟ أي أن مرادا نفذ تعليمات معينة .

ـ تحليلك جيد ، وقريب من المنطق كما يقال .. وأنا السيد لم أره إلا مرة بعد إنهاء الجامعة .. ولم

ندخل في تفاصيل الطلاق والصورة .. لم يكن هناك دافع لذلك .. هو مجرد بريد مراسل في ظني ولا أعتقد أنه قام بالتصوير وإلا أدركت نبيلة ذلك .. ولم ترافقه بجلسة خاصة .. لقاءات الكلية للسلام وتبادل التحية .. هما كانا في نفس القسم الهندسي الهندسة الكيمائية .. أما أنا فكنت في الهندسة الميكانيكية ؛ لكن تجمعنا كلية واحدة وجامعة واحدة .. وعلمت أنه عمل في الخليج العربي في شركات نفط .

ـ ونستطيع الحصول على مكان عمله من نقابة المهندسين وجمعية المهندسين يا مهندس سيف لكن صفة اللقاء به ما هي ؟ وهل سيتكلم بكيف عرف بقصة الصورة بعد ثلاثين سنة ؟!

ـ لم أفكر بمعرفة دوره في التصوير واللعبة ؛ لأن الصورة يومئذ حسمت الموقف ..كان عليّ أن أعرف من الرجل البائع .. أنا شعرت أن مرادا يمثل دورا معي .. استغل لنقل رسالة الصورة وأنا يومئذ كان يهمني مشاهدة الصورة .. من طلب منه بيعي الصورة ؟ !ربما حلم مراد بالزواج منها بعد طلاقي لها نتيجة الفضيحة ..وهذا كان صعبا يا إدريس حتى لو كان مهندسا فوالدها أرستقراطي رغم فتح مجال الحرية لبناته ، فلا أعتقد أن يزوجها لشاب أدنى اجتماعيا منه إلا اذا هربت وتزوجت سرا .. فهذا كان يراعى في الحي .. وسمعت منها مثل هذا الكلام قبل انفصالنا هو أي مراد لم يذكر أنه رأى الصورة صراحة زعم أنه سمع عنها فهمت أنه رآها ، وأنه ينصح لي موهما إياي أن وراء الصورة أفعالا قبيحة لنبيلة ، وأنه مشفق عليّ ، وأن ضميره لا يسمح له بالصمت ، وأن بائع الصورة طلب منه أن يجتمع بي في ذلك المقهى ، رغم جو الجامعة المعروف لك من ناحية الانفتاح الكامل بين الجنسين ، وكثرة العلاقات الجنسية الخاطئة .. الصورة كانت مملوكة لرجل المقهى فلو التقيت به وذكرته بها ؛ ربما يتذكرني ؛ وربما لا .. هذه سنون طويلة .. وبعدها نستطيع أن نتكلم مع مراد في القصة وحجم دوره ؛ لأنني لما رأيت الصورة توقعت أن تعترف نبيلة بالطريقة والوقت الذي حدث فيه هذا القبح .. أنا صدمت من رفضها الاعتراف ووقع في قلبي أنها تكذب وأن القسم كذب ،كما يفعل الكثير من الناس اليوم لم تعد للأيمان أهمية للأسف .. ولكن اليوم أجزم أنها صادقة ، وإلا ما اهتمت بالأمر وكتابة تلك الرسالة لنبش

الماضي وهي تموت .

قال إدريس : نعم ، هي حزينة من أجلك ، وإنك تركت النساء بسبب تلك الزيجة ، وإنك تعيش بدون ذرية ، وإنها لا تتحمل سبب ذلك .. وفي الرسالة إيحاء معين ، لم أفهمه بعد حقيقة يا مهندس ! يعني ما الفائدة من نبش الماضي بعد هذه السنوات الطوال ؟ وهذا لن يعيدك للوراء لماذا لم تكتب لك قبل الموت بسنوات ؟! هذا سؤال .. وهي لا تستطيع أن تنكر أن الصورة لها ما دامت لها .. وهي كانت مذهولة من تصويرها ، وكيف فعل بها ذلك ؟ كيف خلعت ثيابها ـ رحمها الله ـ لتتصور تلك الصورة القبيحة ؟! فعلة تفعلها بنت هوى من أجل حفنة فلوس .. ليس من أجل قضاء شهوة جامحة .. والواقع يدل أنها تعرضت لتخدير أو تنويم ، وجردت من ملابسها بدون أن تحس بذلك .. وأنه فعل بها ذلك من أجل الصورة ، ثم أعادوا إلباسها ثيابها وأن ذلك تم في وقت وجيز .. لذلك لم تشعر أنها خدرت أو نومت .

قال سيف : لكنها لا تذكر هذا الوقت وهذا الموقف .. أين تعرضت للتصوير ؟! لا تعرف مكان أخذ الصورة .

ـ لا أعتقد أنها تنام عارية ليؤخذ لها هذا المشهد دون وعيها .

ـ لم تكن الصورة على سرير أو حتى فراش .. كانت على أرض مفروشة بشيء يشبه الموكيت الأرضي أو فراش صالة رياضة .. نبيلة كانت مرحة في الجامعة ، وتشارك في النشاطات المختلفة والرحلات العلمية ، والترفيهية .. فلها معارف على مدى الجامعة .. ولم تكن بائعة هوى ؛ ولم تكن متحفظة في اللباس والاختلاط .. وهذا أعتبره امتداد لحياتها في الحي .. فكانت تجلس مع الشباب بثياب قصيرة للغاية.. الموضة .. تلبس ملابس السباحة أمام الشباب دون خجل .. وتتصور بذلك معهم .. ولما تصادقنا لم يتغير ذلك كثيرا ، ولم أعترض على لباسها وتبرجها ومكياجها .. وكانت ترفض أي صداقة غرامية.. فبعضهم انصرف سريعا ، وبعضهم كمراد ظل لديه أمل حتى مع شيوع قصة تعلقنا ببعض .. فهو ربما اعتبره كعلاقته مع الفتيات والطالبات .. كنت أغار ليس بغيرة أهل البادية والقرى أو الشيوخ .. لم يكن للدين أي دور في

حياتنا .

ـ نعم ، أعرف هذا الواقع في مثل حياة هذه الطبقة الغنية ، والتقيت بشخصيات خلال سنوات العمل لها مثل هذه الصفات ، نحن أبناء مثل هذه الأحياء ـ حي الشاعر ـ كنا في تلك الحقبة نستهجن ذلك التقليد الكامل للحضارة الغربية ، والطبيعة الممجدة للحرية الشخصية ، ولو على حساب الأخلاف والتقاليد الإسلامية .

قال سيف : أنا يا سيد إدريس لو اعتقدت فقط أنها مجرد صورة لما طلقتها .. أنا اعتقدت أن وراء الصورة دعارة .. وزواجي العاجل تغطية لهذا الانحراف ، وأنه يجري من ورائي أشياء قذرة .. عندما ترى صورة لفتاة تظنها أشرف فتاة ، فسيذهب ذهنك إلى أكبر من ذلك .. تلك الأيام لم تكن أشرطة الفيديو معروفة أو موجودة .. تصوير فلم سينمائي يحتاج لمصور بارع ومكان للتصوير عدا الديكورات .. فكانت الصورة الفوتوغرافية الأسهل لابتزاز الفتيات وإجبارهن على ممارسة البغاء والزنا ..كانت الصورة الماجنة وسيلة ابتزاز وصيد منتشرة .. عرض الأفخاذ والظهر والبطن لم يكن ممنوعا في حي كحي بهيه وأشباهه .. فالمسابح المختلطة متوفرة في النوادي والمدن الرياضية والمسابقات .. فذلك تراه بدون جهد .. أما العري تماما فكان خفيا ..كان الأهل في مثل حينا يسمحون للبنات بمصاحبة الفتيان واللعب معهم ، وإقامة علاقة عاطفية بينهم ؛ لكن يحذرونهم من علاقات جنسية كاملة لما يترتب عليها من مشاكل كبرى من ذهاب البكارة والإجهاض والحمل خارج عقد الزواج ..والبعض يتهور وتحدث قضايا أخلاقية تحتاج لترقيع ، ولم يكن الزواج الحل فهم مراهقون لا يتحملون مسؤولية وطلبة مدارس .. فيسافرون لأوروبا للإجهاض ؛ لأن قوانينا تمنع ذلك .. وإذا غامر طبيب يجري ذلك في عيادة خاصة ليس في مشفى .. وقد يتقبل الحي الخيانة الزوجية ؛ لأن الرجل هو خائن كزوجته .. كان الرجال يتقبلونها أو يحصل الطلاق بدون شوشرة .. والموضوع سريع النسيان في الحي لكثرة تكرار ذلك يا سيد إدريس .. أنا كما كتبت كنت أتقبل سفور وتبرج نبيلة .. ولم أكن مستعدا ؛ لأن أكون خنزيرا وغاضا الطرف عن دعارة .. كان البعض يغض الطرف عن

الزوجة باسم المدنية والتقليد الأعمى للغرب .. والنساء في حينا بنات ذوات ، ويملكن المال وشريكات لأزواجهن في المصانع والشركات والتجارة .. وإن لم تكن شريكة يكون أبوها أخوها قريبها شريك الزوج أو والد الزوج .. فالزوج يسكت ويخضع للواقع ..

وبعد صمت للحظات تابع : هل من طريقة لديك للوصول لذاك الرجل رجل المقهى ؟ فهذا سبب ترددي على مقهى الكوكب الذهبي كل هذه الشهور ؛ ولكني لم اصدفه .. صدفتك أنت يا صديقي الجديد !

ـ رجل يقوم بعمل مريب لا أعتقد أن يكون من زبائن هذا المقهى ؛ لكنه يعرفه .. إنما هو مسرح لتسليم الصورة ؛ لأنه إذا كان فيه ذرة عقل سيبتعد خشية أن تعود إليه لأي سبب .. واختاره ـ والله اعلم ـ لأنه لا يتردد عليه واللقاء كان بينكم قبل ثلاثين سنة هل ما زال حيا أم مات ؟! أكان من جيلنا ؟

ـ أظن ذلك ، كان في العشرينات مثلنا ، حتى وقع في قلبي عندما رأيته بأنه أحد طلبة الكلية متنكرا ..كانت له لحية سوداء قصيرة ، وشارب سميك ؛ كأنها أدوات تنكر .. وقلت لنفسي : من حقه أن يفعل ذلك ؛ لأنه يرتكب جريمة .. أنا يومها كنت مهتما بالحصول على الصورة .

ـ أيكون مراد متنكرا ؟!

قال بحزم : لا أعتقد ذلك ، مراد أعرفه جيدا ، نتقابل في قاعات ومطاعم الجامعة ، وكان المهندس مراد سمينا أكثر من الرجل الذي قابلته .. ربما من طلبة الكلية أو مستجدا ..كنت في السنة الخامسة ، وعادة طلبة التخرج لا يبدون اهتماما بالطلبة الجدد ؛ لأن الوقت قد حان للابتعاد .. فنختصر مصاحبة المستجدين.

ـ أنت تنفي أن يكون لمراد دور أكبر من توصيل خبر الصورة لك .

ـ من كلامه أنه مجرد رسول .. رجل المقهى لم أره مرة أخرى ، حتى لو خلع اللحية المزيفة لعرفته يا إدريس .

ـ اختيار هذا المقهى بالذات له سبب .. فالمدينة مليئة بالمقاهي ، هل لمراد علاقة بالمقهى ؟

تريث قليلا ثم قال : لا أعتقد .. فمراد كانت ضمن الطلبة الشيوعيين ، كان ملحدا ؛ وربما هوى وشهوة .. فكنت أراه كثيرا مع طلبة اليسار ، وأقطاب الحركة الشيوعية في الجامعة .. ولم أعرف عنه أنه رجل مقاهي إلا إذا كان للشيوعيين مقاهي خاصة .

ـ المقهى لم يكن محسوبا على الشيوعين ؛ لكن في نفس الشارع كان مقهى لهم اسمه مقهى العمال

ـ لم أعرف عنه كما قلت رجل مقاهي .. عرفت أنه طاردها كثيرا وخاب في صيدها .. ولا أعتقد أنه استسلم لخطبتنا ؛ ولكن صعب الأمر عليه .. وهو من المتأثرين كما قلت بالحركة الماركسية التي كانت تملأ الدنيا في عقد الستينيات ..كان كما تذكر المد الشيوعي قويا ومنتشرا في كل بلدان العام بدعم الاتحاد السوفيتي الذي نراه اليوم ذاويا مفككا .. وأولئك الشبان لحقوا بالأحزاب تلك لأهداف شتى ، ومنها الإباحية الجنسية للأفكار التي تروج عن شيوعية النساء .. وتجد بعض النساء متأثرات بهذا الجنون ، فسقطن في الرذيلة باسم الشيوعية والعقدة الجنسية والكبت الجنسي.

ـ أعرف ذلك عمليا ونظريا ، ما هو أنا ابن تلك العقود السوداء .. والتقيت بالكثير من الرفاق كما يحبون أن يسموا أنفسهم.

نهض إدريس ، وأعد القهوة من جديد ، ولما سكبها في الأكواب سمع المهندس يسأله: كيف ستساعدني في لقاء رجل المقهى؟

ـ بالتأكيد سوف أساعدك ، قضيت شهورا لأعرف حكايتك ، وأسمع القصة التي لم تخطر على البال !

ـ أنت لم تعمل وحدك وبمفردك .

ابتسم وقال معترفا : ساعدني أحدهم ، كنت أنا مكشوفا لك ، ولم أفلح بمعرفة بيتك لأسأل عنك ، فاستعنت بشخص صديق بذلك ونجح .. وهو زميل قديم ، وظلت صداقتنا قائمة بعد تقاعدنا الوظيفي.

ـ هل ستعرفني عليه؟

ـ هو يحب ذلك ، وإذا أحببت أن نشركه معنا في معرفة الحقيقة والمؤامرة فذلك خير .. فالقضية ليست سهلة بعد كل هذه السنوات .. فالبحث عن س أو ص محتاج لجهد وفكر .

ـ الرياضيات سين مجهول ، وصاد مجهول فالبائع مجهول والمصور مجهول

ـ المجاهيل كثيرة في قضيتنا .. فصاحبي هو الذي جمع المعلومات الأولية عنك ، وعرف زواجك من ابنة الوزير ؛ ولكنها عند الزواج لم تكن ابنة وزير بعد ، ولما طلقت كذلك .. لم يكن والدها وزر بعد ، لم نعرف في البداية من الوزير ؟ لأنه لم يطل مقامه في الوزارة قد مات ـ رحمه الله ـ أنا وصاحبي عملنا في وزارة الصحة بعد دراسة الجامعة بكالوريوس صحة عامة وغذاء ـ ثم انتقلنا للعمل في صحة بلدية المدينة كمفتشين صحة ورقابة على المواد الغذائية والمحلات والمطاعم .. وظللنا في تلك الدائرة حتى بلغنا سن التقاعد الوظيفي .

ـ على كل حال إن كنت ترى حاجتنا إليه ، فأشركه في أمرنا .. القصة كلها بين يديك .. ليست بالحكاية السرية التي تتطلب الإخفاء .. والمرأة صاحبة الصورة ماتت ـ رحمها الله ـ وأنا كما قلت لك لم أكن أنظر إلى أهمية معرفة كيف صورت وأين ؟ ما دامت الصورة لها .. وأنا رغبت بتنفيذ رغبتها .. وأنا أسامحها أمامك ؛ ولكني حقيقة تعقدت من النساء بسببها.. فإذا هذه التي وثقت بها وأحببتها من كل قلبي تتعرى لغيري .. فكنت مصدوما غير مصدق للخيانة ..إنما الصورة تقول صدّق يا سيف فصدقت .

أفكار

عند انتصاف الليل غادر سيف الدين منزل صديقه الجديد ؛ وربما الوحيد هذه الأيام ، وكانت المرة الأولى التي يدخل فيها بيت السيد إدريس ، وركب سيارته عائدا لحي بهية حيث يسكن في قصره الذي بناه في منتصف الستينيات .. وبدا أنه ارتاح نفسيا لما أشرك إدريس في قضيته القديمة الجديدة .. وقد يكون كما أخبر أنه منذ ترك العمل في المصنع لم يسهر خارج البيت وهو في البلد أي إذا لم يكن مسافرا ..وكان يهمس لنفسه : هل السيد مراد يعرف أكثر مما قال لي عن تلك الصورة ؟! هل الحل عند مراد كما يقول إدريس ؟ هو الشخص المعروف في القصة أما رجل المقهى س فيبدو أن الوصول إليه من المستحيلات .. هل يتكلم مراد بعد هذا العمر وبعد موت نبيلة ؟ هل أسعى للقاء به ؟ مَن مِن زملاء الكلية كان الأقرب إليه ؟ كان مراد صديق الجميع .. هو كان مقرب لطلاب الحركة الماركسية .. لم يكن مبرزا في الحركة ؛ ولكنه كان يشارك في نشاطاتهم واحتفالاتهم ، وعرف بذلك .. وإن لم يكن رأسا بينهم ؛ لأنه كان مهووسا في مطاردة البنات .. وكما سمعت اتخذ الشيوعية وسيلة للغراميات ، وعدم وخز الضمير في العلاقات الإباحية الكاملة .. لم يكن نشاطه الحركي كبيرا ومؤثرا .. لم يكن يجاهر بأفكار ستالين ولينين وانجلز .. كانت فتاة تجاريه في هذا الموضوع ؛ لكنها لم تكن تحبه ، ولم تكن له الاحترام كانت تراه انتهازيا وشهوانيا صياد فتيات .. كانت سوزان ماركسية حتى النخاع كما يقال .. وكانت تحب العلاقات العاطفية ..وأعتقد أنها أقامت معه علاقات خاصة لا أدري ما اسم عائلتها .. حاولوا إقناعي بحركتهم .. ولما رأوا أني ابن أثرياء انصرفوا عني ولا يطيلون الحديث معي .. سأترك مهمة اللقاء بهم لإدريس .. وسيجد طريقة لسبر أغوارهم.

قبل الواحدة ليلا دخل القصر ، وأدخل السيارة موقفها الخاص ، ودخل الفيلا بمفتاحه ، ثم الحمام ، وذهب إلى المطبخ ، وأخرج بعض الفاكهة ، وعندئذ ظهرت الخادمة تعرض خدمتها ، فشكرها وطلب منها إبريق قهوة ، وغادر المطبخ إلى مكتبه وتمدد على أريكة ، وقال : هل تستحق نبيلة البحث في حقيقة الصورة ؟ إنها صورة دمرت حياتي وحبي .. وهل بعد عقود ثلاثة أستطيع

الوصول للخائن ؟ لم لا تكون الصورة حقيقية فعلا كما هو ظاهر لنا ؟ كيف صورت وهي لا تذكر فعل ذلك ؟! لعلها تعرف ، ولم يكن لديها الشجاعة لتقول وتعترف .. هي تريد أن تقول إني مخطئ في تصديق أمر الصورة ، وأنها خائنة لفراش الزوجية .. رجل المقهى لماذا طلبت مني اللقاء به بعد كل هذه الأعوام ؟! كيف يصور الإنسان بدون علمه ؟ هذه صورة فوتوغرافية خاصة ، ليست صورة في شارع أو مكان كعرس أو حفل .. يقول إدريس : لابد أنها تعرضت للتخدير أو التنويم ، ثم صورت كما تفعل إسرائيل في تجنيد العملاء العرب للعمل ضمن شبكات تتجسس على المناضلين العرب .. يستدرجون الهدف إلى مكان خاص ، ويخدر ويصور بأوضاع مزرية مخزية ..ويهدد بها للخضوع لهم .. ويدرك الشخص أنه تعرض للتخدير .. أما نبيلة فإنها لا تعترف بتعرضها للتخدير .. ولماذا صورت لها هذه الصورة ، ولم تظهر إلا بعد زواجنا ؟ هل سلمت نفسها لرجل قبلي وكنت أنا الغطاء لستر ذلك ؟ وتزوجت من غريب قريب والدها ، ولم يهتم بحادث طلاقنا أو أمر الصورة .. وصدقت فعلا وصار والدها المرحوم خالد وزيرا بعد زواجنا بشهور كما أخبرت .. كانت صادقة لم يكن زواجنا دجلا وكذبا .. لا مجال للندم أيها الإنسان .. آه يا نبيلة ! حتى بعد أن مت عدت لتعذبيني .. اضطررت لكتابة قصة زواجنا ليطلع عليها إدريس معترفا بأسرارنا لماذا لم أسع لمعرفة كيف كان التصوير والخداع كيف احتالوا للنيل منك ؟ أنا أرى أن الصورة صورت قبل زواجنا .. ربما فعلوها لابتزازك والنيل منك .. لقد كانت من فاتنات الكلية ، وإليك الكثير من العيون ترنو وتهفو .. كان عليّ أن أهتم بأمر الصورة أكثر من ردة الفعل والغضب .. لقد كنت أسمع عن خدع توريط البنات وجرهن لحفلات المجون .. ولم أهتم أو أقتنع بما يشاع .. حيرة حيرة .. هل أخذت الصورة رغم أنفها ودون علمها ؟ كيف كيف كان ذلك ؟ الغيرة هي التي دفعتني للفراق وعدم التهاون أنا اعتبرت ليلتها الصورة علامة دعارة وإباحية ، كانت تحبني حقيقة ، ورفضت الكل لتصل إليّ .. وكم كانت سعيدة لما اعترفت لها بالحب ؟ كانت تستمتع برسائل الحب التي أكتبها لها وتحتفظ بها ، وتكثر من قراءتها .. هل ظلمتك يا نبيلة بالطلاق ؟ ولكنها صورتك أنت .. وأنت

اعترفت أن الصورة لك لم أحتمل فكرة أنها امرأة وغير عذراء ؛ لأنني اعتقدت ذلك ، وهي أوحت لي بذلك .. ودخولي الشرعي تأخر لليلة الثالثة ، وكانت عذراء بكرا كما يقولون .. لماذا أثّرت بي تلك الصورة القذرة ، وجعلتني أعتقد أنني ضحية خداع ؟ لقد مكر بي مراد بإيهامي أني مخدوع بفتاتي .. كنت أحمق ، وصدقت كل تلك الإيحاءات ؛ لأنها كانت ملاكا عندي .. فصدمت .. ولم أحسن التفكير ؛ وربما مهارتها في العلاقة الجنسية ، وخاصة بعد فشلي لليلتين بالدخول أوهمني أن لها تجربة .. وهي بررت ذلك بأنها قرأت عن ليلة الزفاف ، والحالة النفسية للزوجين تلك الليلة .. لم تهتم بكلام الفتيات والزوجات .. وهل أحد يقرأ عن ليلة الدخلة ؟ أليست الطبيعة البشرية الفطرة البشرية تمكن الإنسان من عمل ذلك ؟ لماذا تريد نبيلة مني العودة للقاء رجل المقهى بعد كل هذه السنين الطوال ؟!هل تركت شيئا آخر عند أبنائها لي ؟

قام عن الأريكة يتمشى في غرفة المكتب المنزلي ، ودخل غرفة المكتبة المنزلية التي ينفذ إليها من مدخل المكتب .. فهما حجرتان جعل إحداهما مكتبة ، والأخرى مكتبا .. تناول البوم صور خاص بأيام الجامعة .. زملاء الكلية والجامعة ، صور داخل الجامعة .. مناسبات .. رحلات طلابية .. مهرجانات جامعية .. حفلات تخرج .. ندوات .. ذكريات كثيرة .. أخذ أول الأمر ينظر صور نبيلة حيث تعرف عليها في مطلع السنة الأولى وكيف فرح بأنها من سكان الحي ؟ ورأى صور بعض الفتيات اللواتي أعجب بهنّ كزملاء ، كالآنسة سوزان .. ثم خفتت الصداقة بسبب تعلقها بالحركة الشيوعية .. ورغم أنه لم يكن متدينا ، ويبتعد عن الزملاء المتدينين ، وينفر منهم ومن مناقشاتهم ، كان غير محب للإلحاد وإنكار الله .. حاول تذكر أسماء الزملاء في الكلية والجامعة عامة .. لم يكن يكتب على ظهر الصور الأسماء والتواريخ كما يفعل البعض .. بعضهم تذكر اسمه وأكثرهم نسيه .. وبعض الصور يتذكر مواقف معينه بينه وبينهم .. هو لم يكن من عشاق التصوير ؛ ولكنه كان يحرص على امتلاك الصور بشرائها ممن صورها أو طلب طباعتها من الهواة .

قال وهو يجلس على أريكة المكتب : عليّ الاتصال ببعض الأسماء ، سأجد عناوينهم أو أرقام

هواتفهم لدى النقابة .. بيت كل المهندسين حسب الأنظمة .. فكل مهندس عليه أن يحصل على موافقة النقابة قبل مزاولة عمله .. وكل من يسدد اشتراكه يحق له التصويت في انتخابات النقابة والمنافسة .. وأعتقد لو دفعت لإدريس بعض الأسماء سيستطيع الحصول منهم على معلومات تفيد في معرفة تفاصيل المؤامرة .. فالرجل يكتب للمجلات والجرائد ، وله وسائل في التحري والاستقصاء ، لقد استطاع التحري عني ، ومعرفة نصف حياتي .. والرجل مجتهد كما ظهر لحتى الآن ، وهو صديق آخر العمر .. رجل فاضل ، وله ظروف كظروفي .. لم يتزوج بعد ترمله ، ولم يقدر له الإنجاب ، ويعيش وحده كما أعيش أنا .. وسأتعود عليه ، فهو رجل مثقف واجتماعي سأتخذه صديقا ، وقد قبل مساعدتي في الوصول لرجل المقهى .. وهل الشيطان مراد ما زال على قيد الحياة ؟ وهل سيعترف بدوره السيء في تدمير حياتي وحياة نبيلة بعد هذا السن ، وبعد موت نبيلة ؟.. أكيد علم بموتها إن لم يكن من زملائنا زملاء تلك الفترة فمن النقابة .. أيعقل أن يصل به الحقد علينا لتدمير زواجنا الصالح ؟ آه الحقد عدو مرعب ! أليس إبليس يدمر الناس منذ بدء الخليقة منذ تم طرده من الرحمة الإلهية ؟ الحقد مرض أسود كان اللعين يشتهيها ، ويمني النفس من النيل منها ألم يتفوه بذلك دون حياء وأي احترام لي ؟ أهؤلاء كانوا يحلمون بحكم العالم والعالم العربي ؟ الحمد لله أن الشيوعية ماتت في بلادها قبل سنوات .. انهارت كلعبة (ليكو) مات الاتحاد السوفيتي الذي أكثر فتكا وخبثا في العالم ، ولقد لعب دورا كبيرا في نشر الفساد والدمار والإلحاد العالمي .. ماذا ستفعل ولو أضفت شيئا جديدا لحياتك ؟ لماذا أردت فتح صفحات الماضي ؟ ماذا سأجني ؟ المسامحة سامحتك يا نبيلة .. سمعت إدريس يقول : إن الرسالة فيها رسالة غامضة وشيئا غير مقابلة رجل المقهى .. ماذا فيها أيها الناس ؟ إنها تقول إنها ليست سبب تحريم الزواج على نفسي ، وترك التفكير بالذرية.. أنا يا نبيلة قمت بمسامحتك ويومذاك شككت بسوء سيرتك بمجرد رؤية تلك الصورة القذرة ، ولم يشفع لك حبنا الكبير نعم ، كنت مصدومة مثلي .. كنت تغادرين البيت وأنت تأملين أن أنادي عليك في اللحظة الأخيرة كما يحدث في القصص والأفلام .. لكنني قد اتخذت القرار وأنا عائد من المقهى ..كنت

تتجرعين السم وأنا مثلك .. عروس تطلق في شهر العسل شهر الحياة الجميل .. شهر الأحلام كم أنا قاس ؟.. لماذا لم أصبر حتى أتيقن من الفساد ؟!

لما اتصل إدريس بمقر نقابة المهندسين استطاع أخذ عنوان المهندس مراد جميل بيسر وسهولة فعنوانه لم يكن سرا يجب إخفاءه .. وكان قبل ذلك قد راجع دليل الهاتف العام .. وحدد بعض الأرقام التي تحمل اسم مراد جميل ؛ لأن المهندس سيف لا يعرف الاسم الكامل لمراد ؛ فكان لابد من الاستعانة باستعلامات النقابة العامة للمهندسين في المدينة ، ووجد أن حضرة المهندس من الأشخاص المعروفين بالنقابة ، ومثل مجلس النقابة في القوائم اليسارية ، ومثله المهندسة سوزان خرزة.

تحدث متصلا ببيت المهندس مراد ، وردت عليه امرأة أخبرته أنه خارج البيت ، فوعدها بالحديث معه مرة أخرى .

كان الأمر سهلا وميسرا في الوصول للسيد مراد جميل ، وذلك أدهش سيف وقال: عجيب .. الحقيقة أنني لا أشارك في أي نشاط نقابي يا إدريس ! كنت في البداية أسدد اشتراكي الشهري بنفسي ؛ ثم بزملاء المصنع نيابة عني .. ومرات عن طريق حسابهم في البنك .. فالقانون كما تعلم يا صديقي يلزم المهندس الانتماء للنقابة لمزاولة المهنة داخل البلد ، ولا يلزمه الانتخاب والتصويت .. هذا أمر تطوعي .. وأما جمعيات المهندسين المختلفة فيكون الاشتراك فيها اختياريا غير إلزامي ..كل نوع من فروع الهندسة له جمعية خاصة .. ولها فروع شائعة في المدن الكبيرة .. فلا اهتمام لديّ بنشاطات النقابة ، ولا الجمعيات ..كل خريج عليه الحصول على بطاقة نقابية وإلا لا يعتبر مهندسا رسميا .. كما هناك مجلس طبي ونقابة تصرح لهم بالعمل داخل البلد .. أمور تنظيمية .

قال إدريس : هناك نقابات مهنية الاشتراك فيها اختياريا ، ليس إجباريا .. والسيد مراد له نشاط نقابي وسياسي كما فهمت من ذلك الموظف .. ومثله زميلتك سوزان .

ـ نعم ، هما كانا ضمن الحركة الشيوعية النشطة في تلك الفترة من التاريخ .. وسوزان كانت

أنشط منه في تنظيم الندوات والاحتجاجات وإبداء الرأي والنقد .. وبعد التخرج لم أعد أراه وعلمت أنه رحل بكفره للعمل في دول الخليج في شركات النفط .. أنا لم يكن لي أيام الجامعة أي نشاط سياسي أو اجتماعي ، كنت أميل للثقافة والفن أكثر .

ـ سمعتك تقول "عمل في الخليج" ربما كان هذا في زمن معين .

ـ صحيح ، فنحن لنا ثلاثون عاما متخرجون .. هل ستسعى لمقابلته؟

ـ لابد من مقابلته ؛ إنما المهم كيفية جعله يتحدث عن دوره في مقابلة ذلك الرجل .. فهو لن يعترف بسهولة عن أي شيء إذا كان له دور إجرامي في تصوير تلك الصورة .

قال سيف : نعم ، نعم، السيد مراد ماكر ، ومن أخبث الناس .. أنا لولا اهتمامه المبكر بنبيلة لم أهتم به هو مجرد اسم ورفيق جامعة ؛ لكن شغفه بها ، وشغفي بها جعلنا نهتم بأخبار بعض .. وفزت بها برضاها ورغبتها ، ولم أكن أهتم بنشاطه السياسي إلا بشكل عارض .. ولما حصل الطلاق لقيني وتظاهر أنه حزين لأجلي ؛ وزعم أنني تسرعت في الطلاق .. ولم أعر حزنه وشفقته اهتماما والحلول الأخرى ؛ بل لعلمي بهواه ناحيتها قلت مباركة عليك .

فرد بكل شهوانية ووقاحة : ليتها تقبل ، هي الوحيدة التي أعجبت بها ، ولم أظفر منها ولو بقبلة واحدة .. بعدها قلّ الحوار بيننا .. مجرد تحية باليد ، وتخرجنا ، ولم أفكر يوما أن أتصل به أو أهتم بسماع أخباره أو زيارته .. هو مجرد زميل كلية كالكثير غيره .. لم أكن منافسا له على قلب نبيلة .. أنا ملت إليها كما أخبرتك كما فعل هو أو غيرنا ؛ لأن الفتاة كانت ذات جمال أخاذ وفتنة للناظرين .. وهي جاءت للجامعة من بيئة منفتحة على الآخر .. فجلوسها معنا ومع الشباب أمر طبيعي بالنسبة لها .. وليس كل من تعرفت أصبح فارس الأحلام ، وظل الصمت والنظرات بيننا حتى استطعت أن أصارحها بغرامي لها .. فوجدت أن لديها من الهوى مثل ما لديّ .. وكانت تنتظر هذه اللحظة الخطيرة من حياتنا .

ـ أفهم عليك ؛ وربما هو لم يحتك بك إلا بسبب غرامه بالبنت ، وظن أن بينكم أمر ؛ لترفض صداقته ومعاكسته .. هل حدثك عن الشيوعية ؟

ـ أول عهدي بالجامعة كان لي صداقة مع شاب اسمه أحمد ؛ ولكن صداقتنا توقفت بعد حين ربما من جانبي ، كان صديقا من نفس الشعبة .. كنا أصدقاء .. وكانت تجري بينه وبين مراد والشيوعيين والملحدين مناقشات حول الفكر الماركسي وانتصار الشيوعية في الحرب الثانية على النازية .. وهم يتناسون أن الرأسمالية شاركت في الحرب الثانية .. واكتسحت فرنسا وأفريقيا واليابان .. تعلم أنه كان هناك تضخيم للدور الروسي في القضاء على هتلر ، وتقسيم ألمانيا وأوروبا .. وكانت سوزان وغيرهم يدخلون في المناقشات ؛ ولكننا لم نقتنع بأفكارهم وأحلامهم سواء مراد أم سوزان أو حتى فواز شاب أكبر منا .. وكان رأس في الحركة اليسارية ويعدونه أحد الرموز في الإلحاد .. وبعد تخرجه اختفى من الجامعة خاصة في السنوات الأخيرة .. ولم أعد أسمع عنه كما كان أيام الجامعة في السنة الأولى والثانية .. آخر ما سمعت أنه غادر للاتحاد السوفيتي .. كان يشارك في تجنيدنا .. كان الشيوعيون في مطلع الخمسينيات والستينيات ذوي همة ونشاط في ساحات الجامعات والبلاد .. وغرر بكثير من الشباب للانضمام للحركة الشيوعية والأحزاب الشيوعية .

قال إدريس : سأسعى لزيارة لحي المهندس مراد ؛ ربما استطعت من جمع معلومات عنه .. وأنا أعرف عددا من الشيوعيين القدامى .. فعليّ أن أسمع أقوالهم في مراد جميل .. يظهر لي أن الرجل لم يكن مشهورا مبرزا خارج الجامعة وحتى داخل الحزب الشيوعي ، رغم نجاحه في بعض دورات النقابة كعضو كما فهمت من موظف النقابة .

ـ أنا أول مرة أسمع عن عضويته في المجلس النقابي ، وإذا حصل سيكون ذلك باسم الكتلة اليسارية .. والحزب الشيوعي أفشل حزب .. واليوم في التسعينيات ظهروا بكل وضوح أنهم أحزاب كرتونية صناعة روسية ، كانوا أدوات للمعسكر الشرقي.

ـ جمعتهم الشهوة للسلطة والشهوات للانحلال.. اليوم نحكم عليهم بدون تردد .. فقد كانوا سببا في تدمير الأمة .. كانوا دمارا كما رأينا في اليمن العربي حتى الاشتراكية التي زعموا أنها ستحقق العدالة الاجتماعية والرفاهية للشعب العربي فشلت في تحقيق أحلام الفقراء حتى

أوروبا كما وضح لنا لم تكن في سعادة ورفاهية وتقدم .. وجدت دول نامية مثلنا .. اعلم يا سيف ما أحببت الشيوعية يوما .. لست متعصبا للدين .. لا ، لا، لم استطع هضمها والتصديق بأحلامها وجنتها الأرضية .. كنت أستغرب من اعتناق بعض الشباب المثقف لأفكارهم وجنونهم .

وقال سيف : وأنا مثلك لم تستهويني فكرة الأحزاب والصراع الطبقي ، وكان يعتبرني البعض أرستقراطيا ابن أثرياء ابن الطبقة الرأسمالية ناهبة أموال الفقراء والعمال .. ثم حدث تعلقي بنبيلة فازددت ابتعادا عن مهاترات السياسة وشهوة الحكم .. وغالب الناس مثلي .

ـ هذا صحيح ، إن الفقراء ماذا سيجنون من الأحزاب ؟ وهمهم تأمين عيش العيال.. والأغنياء معهم المال .. فالاهتمام بالسياسة هو لتحقيق شهوة الوصول لكراسي الحكم والوزارات والجاه عامة .

ـ نعم ، فالغني يرفض الشيوعية ؛ لأنها ستأخذ ثروته وماله وممتلكاته باسم المساواة .. وكان سقوط الشيوعية في أوروبا مدويا .. وظهر أن عمليات الترميم والإصلاح عمليات واهية .. وكانت كثيرة وخفية ، ولم تصمد أمام تقدم التكنولوجيا .. ولم تقدم الشيوعية للعالم إلا القتل والفتك والظلم .. والتقدم لا يحتاج لأحزاب شيوعية سوفيتية ولا صينية .. الصين دولة كبرى يحكمها حزب شيوعي وصولي واقتصادها رأسمالي .. الأحزاب خلقت للحكم والإدارة .

قال إدريس : أنا كتبت عدة مقالات في جريدتنا الأسبوعية الشرق المضيء عن انهيار الشيوعية والسقوط الاشتراكي العالمي ، وزوال جدار برلين ، واختفاء الاتحاد السوفيتي ، وظهور الاتحاد الروسي .. النظام الرأسمالي نظام مرن ومتلون يستطيع أن يتمدد كالمطاط .. يعود للتاريخ والمرحلة الصناعية والشركات الكبرى والمناجم .. وهو غير مرتبط بعقيدة دينية .. والنظام الشيوعي الصارم جرب وفشل .. وهو فاشل من بدايته ؛ ولكن انتصاره على المعسكر النازي والفاشي رفعا من أسهمه أمام العالم وشعوبه .. ثم انهار كليا، لم يعد يجدي الترقيع .. والصين بلد زراعي في الأصل لم يكن بلد عمال ومصانع ، واستطاع المزواجة بين الزراعة والصناعة ،

وترك ماركس ولينين .

ـ الإسلاميون يدندنون حول نظام اقتصادي خاص بهم .

ـ الإسلام لا يمكن أن يكون بديلا عن الرأسمالية في الوقت الحاضر بسبب الضعف العسكري والتشتت .. ويعتمد على مقياس الحلال والحرام في المعاملات التجارية والصناعية .. فالنظام الرأسمالي محمي بنظام عسكري قوي .. والنظام الإسلامي مرن يتأقلم مع أي نظام .. لقد استطاع النظام المالي الإسلامي أن يجد له مقعدا دون الاحتياج للربا ، كما نرى في البنوك الإسلامية ، وتقبلت الشعوب الإسلامية ذلك .. الإسلام يراعي حقوق الفرد ، وحقوق الجماعة والمجتمع .. والتصنيع الإسلامي في بداية الدرب ، وصناعة النفط كبيرة وهامة في بلدان العالم الإسلامي .. وهو معدن مهم لكل الشعوب .. وهذا لا يحتاج لشيوعية ولا رأسمالية .

ـ اليوم يا صديقي النفط عصب الحياة والاقتصاد العالمي.

المقابلة

استطاع إدريس من دفاتره القديمة ـ دفاتر حفظ أرقام الهواتف ـ استخراج أرقام بعض الرجال وكتب أربعة أسماء ، وأرقامهم الهاتفية .. فهؤلاء الأربعة كانوا في الحركة الشيوعية العربية ، ومنهم اثنان كانوا يعملون ضمن كادر البلدية للمدينة ، وظلت علاقته بهم حتى بعد تقاعده ، ويصدفهم في شوارع المدينة وأحيائها.

اتصل بالسيد صبحي أحدهم ، فرحب وأبدى ترحابه باللقاء الخاص ، وحدد له صبحي المقهى المناسب ، واليوم المناسب ، ثم اتخذ موعدا مع الزميل الثاني ، ورحب الآخر باستقباله في بيته .. والرجلان الآخران لم يتيسر ردهما ، الأول منهما لم يرد هاتفه ، والثاني وجد فيه أسرة أخرى ؛ كأنه تنازل عن الرقم للساكنين الجدد ، وانتقل لحي آخر .

في البلاد عادة تسمى عادة السؤال عن أهل العريس والعروس ، وقد أشرت إليها سابقا ، وهي عندما يتقدم شاب لطلب يد فتاة مجهول من أهلها ، يأخذون عنوان سكنه أو مكان عمله ليسألوا عنه عن أخلاقه خدمة للفتاة ، وإبراء للذمة ، وأنهم فعلوا ما عليهم من واجب .. فيذهب والد الفتاة أو شقيقها أو قريبها للقيام بهذه المهمة الحساسة ، فيقابل بعض الجيران لبيت الطالب والخاطب ؛ لذلك عندما يسأل شخص عن شخص يقع في قلبه للوهلة الأولى أن الموضوع موضوع زواج .. وقد يكون السؤال أيضا عن أهل وعائلة الخطيبة ؛ لذلك لما جلس إدريس مع صبحي ، وانتهى العناق والترحيب والعتاب .. فهم لم يلتقوا من زمن .. ظن الرجل أن أحد أقارب مراد جميل أو أبنائه يريد خطبة فتاة قريبة لإدريس .. فهو يعلم أن إدريس بدون زوجة أرمل ، وبدون ذرية منذ عقود .. وإدريس يستعمل هذا الأسلوب الإيحائي للحصول على معلومات شخصية .. فبعد أن قدم للموضوع قال : أنا أحب أن أسالك عن المهندس مراد وذريته ؛ لأني علمت أنه من رجال الحركة الشيوعية في الستينيات ، وهو من جيلي كما تعلم ؛ ولكني لم أصطدم به رغم اهتمامي بالحركات السياسية العربية .. قلت لابد أن أجد لدى حضرتك بعض المعرفة عنه .. فأنت الخبير باليساريين صغارهم وكبارهم .

قال صبحي : شكرا ! وكيف لا أعرفه يا رجل! أنت تهينني .. أنا أعرف كل شيوعي في المدينة وربما في المدن الأخرى حق المعرفة .. وأعرف مع أي جناح هو محسوب .. فالشيوعية أجنحة كما تعلم حسب مصدر الدعم والإمداد .. أنا في الحركة الشيوعية من أيام زمان ؛ لكن معرفتي بالزميل شخصيا محدودة .. هو مهندس كما قلت ، كانت بدايته في الستينيات فعلا ؛ وربما تعرف على الشيوعيين في الثانوية العامة .. كان طلاب أيام زمان يتحمسون للعمل الحزبي والحركي .. واشتد عوده أثناء الجامعة حيث كانت الحركات اليسارية واليمينية ذات قوة وحماس وصراع حاد .. وعرفته في اجتماعات الحزب الشيوعي ، لم يكن بالمميز ، كان يعمل ويوزع البيانات والنشرات من أيام الثانوية ؛ لكنه لم يكن ينافس على الصفوف الأولى .. كان مهتما بالنساء أكثر من الفكر والثورة الأممية العالمية .. ثم سافر في السبعينيات إلى الخليج العربي للعمل في قطاع النفط .. وهناك المال والرأسمالية ، وتخيل انتقال شاب من بيئة شيوعية إلى أكثر البيئات العربية محافظة تلك الزمان .. رحل من بيئة الكفر كما يقول عنا المشايخ الجهال إلى أرض الإيمان والثروات .. ولكنها لا تخلو من العلمانيين والشيوعيين .

ـ آ .. أعرف .. أهو ما زال في الحزب الشيوعي ؟

تريث لحظات وقال : بعدما عاد بعد عشرين سنة أصبح مجرد اسم .. وربما أصبح برجوازيا رأسماليا يا إدريس .

ـ هو ما زال يناضل عن الشيوعية .

ـ لم يعد يناضل ؛ إنما يتفاخر بذلك ؛ لأنه ترعرع ونفش على يد الأفكار الشيوعية ، وتلك المبادئ كيف سيدافع عن حق الفقراء والعمال وهو يعيش في الفلل والقصور والسيارات ؟! ما العلاقة بينكم ؟!

كان إدريس يتوقع مثل هذا السؤال في أي لحظة ، فرد دون تردد : ليست بيننا علاقة ؛ لكن أحد الأصدقاء لي سيكون بينهم شيء فأحب أن يتعرف عليه أكثر على أسرته .

ـ آ .. فهمت ؛ ربما تحدث مصاهرة .

ـ تقريبا .. فكلفني بمهمة التعرف عليه من قرب فلجأت إليك لمعرفة المزيد من المعلومات .

قال صبحي : قلت لك في أول الشباب حيث كان طالبا في الجامعة كان نشيطا إلى حد ما ، ثم في النقابة التي تجمع مهندسين البلاد .. وفي منتصف السبعينات سافر للخليج فقل نشاطه الحركي .. ومع موت الشيوعية في أوروبا الشرقية وروسيا ضعفت علاقته بها .. أصبحت مجرد ذكريات .. وقلّ حماسنا جميعا .. نعيش على ذلك التاريخ ؛ بل أخذ البعض يصلي مع حمله تلك الأفكار .. وإذا تحب شيئا خاصا فأنا مستعد للمعاونة .

ـ هل قابلته من زمن حديث ؟

ـ لا ؛ ربما لي عشر سنوات لم أره .. إنما نسمع أخبار بعض عبر لقاءات عابرة ومناسبات اجتماعية أو شيوع خبر مثير أو لقاء في جنازة .. هو ترمل مثلك ، ثم تزوج ثانية .. وسمعت أنها كانت شيوعية مثله ، ولم تتزوج من قبل .. وهو اليوم يسكن في الحي البني.

ـ أنا معي هاتف منزله ، واتصلت بالبيت قبل أن أفطن لك ولم يكن موجودا .. فأنا كما تعلم أخاف من الأحزاب سواء كانت يمينية أم يسارية ، وجع راس واجتماعات وندوات وحلقات العب وحدك تيجي راضي .

قهقهة صبحي وقال : أنا أعرف شعاراتك الجبانة ..وأنا مستعد يا عم إدريس لترتيب لقاء لك معه .. أنا حقا مستعد لذلك .

ـ إذا احتجت لذلك سأسعد برفقتك .. أفهم أنك لا تعلم شيئا مهما في حياة الرجل إلا أنه كان مفتونا بالنساء أكثر من الحزب والأفكار .

ـ نحن مع الوقت نستطيع فهم نفسية الشخص .. هل هو مقتنع بالأفكار أم مجرد ببغاء وله مأرب أخرى ؟ الأيام تكشف المستور .. فكثير ليست لديهم همة للعمل الحزبي .. إنما مجرد عضو وخامل أو لغايات خاصة كالتحرر من قيود العبادة والصوم والمساجد والتقاليد الدينية المعقدة وممارسة الزنا دون حرج وضغط ديني وضمير .. قل تمرد على الدين ، وذلك تلك الأيام العصيبة في تاريخ الأمة أو ردة فعل لسقوط فلسطين والإفلاس العربي .. انتشر زعم أن الدين

سبب الهزائم والانتكاسات والنكبات .. وكذلك انتشار الإلحاد في العالم .. حلال حرام غض البصر زنا شذوذ لواط اختلاط كلمات كثيرة يتخلص منها الشيوعي .

ـ أنتم دعاة للإباحية .

ـ الحرية الكاملة للنساء ليست دعوة للإباحية .. لماذا يرتبط الشخص بواحد إلى الأبد التغيير مطلوب ؟

ـ أنت بعدك شيوعي ؟

ـ وسأموت على ذلك .

ـ الاتحاد السوفيتي مات

ـ سوف ينهض من جديد .. وبقوة أكثر من الأول .

ـ لا أعتقد ذلك يا صبحي .. نحن تعلمنا أن من يموت لا يرجع ولو كان حضارة !

بعد جولة للسيد إدريس على بعض عناصر شيوعية عرفها أثناء حياته ، رتب أحدهم لقاء خاصا للسيد إدريس مع المهندس مراد جميل ، ووجد أن الرجل يعمل شريكا في شركة تجارية كبرى ، وكان اللقاء في منزل المهندس مراد ، واستقبله على أنه صحفي في جريدة أسبوعية ، وقدم له بطاقة عمله في تلك الصحيفة ، وتبين لإدريس أن الرجل قد اطلع على بعضها أعدادها في غابر الأيام ، وزاد إدريس فقال: أنا صحفي حر .. أكتب لعدد من الصحف .. أكتب مقالات أقرأ كتبا وأعلق عليها .. أريد أن أكتب عن الماركسية في الستينيات .. عهد ازدهارها في العالم العربي .. وعن سبب سقوطها في أقل من مائة عام .. والناس كانت تنتظر وصولها للمرحلة الأخيرة من المراحل الشيوعية .. قدمت روسيا الشيوعية أعمالا كبيرة القنبلة الذرية بعد سنوات قليلة من قنبلة أمريكا .. الصواريخ البالستية العابرة للقارات .. الهبوط على القمر وغزو الفضاء كانت منافسة قوية للغرب وأمريكا بالذات .. وفجأة سقط جدار برلين ، وانهارت روسيا نفسها وقد علمت أنك رجل مثقف ، وإن لم تتبوأ مركزا كبيرا مميزا في الحزب الشيوعي العربي .. وفي

فترة الستينات تبوأت مقعدا في نقابة المهندسين على قائمة اليساريين .. وأنا مهتم بشيوعية تلك الحقبة من الزمن .. عصر الستينيات ؛ لأنها كانت قوية بقوة الاتحاد السوفيتي .. فكانت قوية في العالم العربي والإفريقي والأمريكي الجنوبي والآسيوي .

انتقل الكلام لمراد فقال : هذه الفترة كان المد الشيوعي على وشك اكتساح العالم ، وكانت الأفكار اليسارية لها صدى في جميع بقاع الأرض .. حركات ثورية منتشرة في أمريكا اللاتينية ، عدا عن انتصار الثورة الكوبية كاسترو جيفارا الثائر الأرجنتيني العالمي .. ماو في الصين خروتشوف في روسيا .. ونحن شبان صغار كنا مبهورين بتلك الأسماء والثورات العالمية .. والأمة العربية تعيش في تخلف ورجعية وانقلابات غامضة حتى وقع في نفوسنا أن الدول كلها على وشك أن تتحول إلى اشتراكية وشيوعية .. فكنت ترى بعض أو الكثير من الأحزاب القومية تضيف كلمة اشتراكية لاسم الحزب مغازلة للاتحاد السوفيتي .. كانت الحرب الباردة على أشدها .. والصراع محتدم في الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا الجنوبية

ـ نعم ، يا سيدي أنا أحب أن نتحدث عن تلك الفترة في بلادنا عن ذكرياتك تلك الأزمان .

ـ هل لديك أسئلة معينة أم أتكلم عن الشيوعية بشكل عام ؟

ـ تكلم عن نفسك ، كيف تأثرت بالفكر الشيوعي ؟ كيف كانت البدايات الأولى ؟ وأنا أسمع وأختزل ، ولما أعد المقال للنشر سأعرضه عليك لتعديل لتصحيح .. ولنرغب القارئ بالقراءة عليك أن تذكر قصصا وحكايات شخصية ، وأشياء خاصة ليجد القارئ بها شيئا جديدا ومثيرا على أن لا يكون عليك ضرر منها لشخصك وغيرك .. وقد علمنا مما سألناهم عن شخصك الكريم ورشحوك للحديث عن فترة الستينات ذكروا أنك صاحب مغامرات نسائية خاصة أيام الدراسة في الجامعة .. فكيف ترى بنات اليوم مثلا مع بنات ذلك العهد ؟ هذه ثلاثون سنة .. هل نجحت الحركات النسائية في تحرير امرأة من تقاليد المجتمعات العربية أم أخفقت أم بقيت على ما هي عليه من عدة عهود ؟ وبعضهم يقول إنهن عدن للوراء .. كان لابد من جمع بعض المعلومات عن شخصكم الكريم ؛ ليكون البحث والمقال مقبولا لدى قراء جريدتنا الأسبوعية

كيف كانت الشيوعية في الوسط الجامعي كلية الهندسة حيث درست ؟ من كان يتقبل الفكر الإلحادي أكثر الشباب الشابات حتى أن بعضهم ذكر أنك تعرفت على ابنة وزير وابنة ضابط كبير ؟

تطلع مراد في عيني إدريس لثوانٍ وهتف : ما مصدر معلوماتك يا كابتن ؟

ـ زملاء لك في الحزب والجامعة .. وذكر اسم صبحي زميله في البلدية

ـ آ ! أعرف هذا الشاب ؛ لكنه لئيم ، وهو لم يدرس معي .

ـ هو سمع من رفاق لك ، واستمعت من غيره حتى أن أحدهم ذكر فشلك من تكوين صداقة عاطفية مع ابنة الوزير السيدة نبيلة خالد ، كان والدها مدير المستشفى التعليمي .. يبدو أنها قصة كبيرة من الجميل التحدث عنها للقارئ .

ـ تلك الأيام لم تكن ابنة وزير .. هذه المرأة لا يمكن نسيانها .. ولقد علمت أنها ماتت من زمن قريب من شهور أو سنة .

ـ ماتت !!

ـ نعم ، ماتت ابنة الوزير .. أما ابنة الضابط فكانت معنا في الكلية وهي فتاة ساقطة

ـ ساقطة يعني فاسدة .

ـ نعم ، صاحبتها فترة ، ولا تنسى أنني كنت في أول الشاب ، وفي أول عهد الاختلاط ، ثم وجدتها تصاحب خمسة غيري فتركتها لهم .. أما المهندسة نبيلة خالد فرفضتني كحبيب وإن كنا زملاء كلية واحدة .. ووالدها كان وزيرا حقا ؛ لكن كنا في آخر سنة للدراسة والفصل الأخير

ـ نعم ، اختارت السيد سيف وردة زميلكم .

قال بامتعاض ؛ كأنه يعيش تلك اللحظات : نعم ، سيف ابن التاجر بياع السكر كنا نطلق عليه ذلك فاز علينا .. لقد أعدتني لتلك الأيام الجميلة .. كان والد هذا المهندس من كبار تجار البلد والمدينة .. وقد تزوجا أثناء الدراسة .. ولم يدم زواجهم ولم يعمر .. وحاولت التودد إليها من جديد ؛ لكنها أسأت إليّ ، واتهمتني بإفساد زواجها .. عجيب أمر الناس كيف يعرفون هذه

الأمور؟!

ـ الأخبار تمشي ، وبعضها ينتقل من جيل لآخر .

ـ ليس لديّ مجال للمقارنة أنتم الصحفيون أقدر على حل ذلك ؛ لأنكم تلتقون بالأجيال القديمة مثلنا والأجيال الحديثة .. الشيوعية في فترة الستينيات كانت مهوى الشباب .. الشيوعية كانت حلم بسبب الدعاية الخلابة .. أنا عرفت الشيوعية في المدرسة الثانوية كنشاط كان خال لي شيوعيا .. كان يعطيني بيانات ونشرات مطبوعة لدسها للطلاب سرا ، ثم ضمني لخلية .. وأصبحت عضوا مهما فيها ، ثم التحقت بالجامعة ، وسريعا اتصلت بخلايا الطلاب الشيوعيين سواء في الكلية أو على مستوى الجامعة كلها ، ثم على عناصر داخل المدينة ..كان الأمن السري يتابع نشاطنا .. أحيانا يضيق علينا ، وأحيانا أخرى ؛ كأنه لا يرانا .. لم نكن نشكل خطرا تلك الفترة على النظام السياسي بعد .

وتحدث عن حياته في الحزب الشيوعي والعمل النقابي بعد إنها الدراسة ، ثم عاد للحديث عن علاقاته النسائية بذكاء من إدريس ، ثم ساقه من جديد للحديث عن علاقته بالمهندسة نبيلة وهل سعى لتجنيدها للحزب أم قصة غرام فقط ؟ ولماذا رفضته بعد طلاقها ؟ فذكر أنها فتاة متحررة ؛ ولكنها كغيرها من أبناء الأرستقراطيين تكره الشيوعية ، وتراها عدوا للأغنياء .. وهي كانت من سكان أهم أحياء تلك الطبقة في ذلك الزمن .. كانت غارقة في حب الأدب والروايات الرومانسية والغرامية .. ووقعت في غرام زميل مثلها من تلك الطبقة من شعبة غير شعبتنا الهندسية.

ـ ولكنه تزوجها في النهاية ، وطلقها قبل نهاية شهر العسل كما علمت من المهندسة سوزان حتى أنها ذكرت أن لك علاقة بطلاقها .. والقصة كما فهمت ظاهرة في الجامعة وبين الطلبة .

ـ أعرف تلك القصة ، فعلا تزوجت زميلنا سيفا كما تحدثنا ، ولم يكن لي يد في طلاقها ..كانت بعض الفتيات تكثر من عمل صداقات مع الشباب أكثر من بنات جنسها .. والزواج قليل بين الطلبة في تلك الحقبة من الزمن .. لأننا نكون في سن متقاربة .. وكانت فتيات تعمل صداقات

مع بعض الشباب ، وتحدث قضايا أخلاقية مثل بنت الضابط التي حدثتك عنها .. كانت نبيلة لها صداقات كثيرة مع الجنسين .. لكن لم يسجل عليها علاقة خاصة أو تورط في قضية أخلاقية واختارت سيفا كفارس أحلام ثم تفاجأنا بالخطبة والزواج ؛ لكنها كانت لعوبا ، وكان سيف متقوقعا على نفسه ؛ لعله عرف شيئا بعد الزواج ، فاضطر للانفصال .. وقد سمع مني بعض هذا الكلام ..لابد أنه وجد شيئا كبيرا ؛ ليطلق .. هو لم يفصح عن السبب ، وهي كذلك .. كانت النهاية مدهشة ومحيرة لجميع المعارف .. قد يكون عرف بعض عشاقها .. كانت فاتنة ، وتلبس ملابس مثيرة وعطور ثمينة.

ـ عشاق في شهر العسل !

ـ ممكن يا إدريس ! أنت تعرف جو الجامعات .. فهو جو الشهوات مع العلم .. وتأثر البنات بشعارات الحرية للمرأة والتجربة ، ورمي الأخلاق وراء الظهر .

ـ أنا درست تلك الفترة مثلكم .. التبرج موجود ؛ لكن كنت أرى الزي أكثر حشمة من اليوم.

ـ أكيد أكيد اليوم زادت الناس وزادت الأزياء .. والفاجرة لا يهمها الوقت .. نحن عجبنا لزواجهم .. وعجبنا لطلاقهم .. وهي اليوم في دار البعث كما يقول المشايخ .. نحن الشيوعيون كما تعلم لا نؤمن بالبعث ، والحياة بعد الموت .. هذا في الماضي .. اليوم بعد موت الشيوعية أخذنا نفكر بما يقوله هؤلاء الشيوخ .

قضى إدريس أكثر من ساعتين مع المهندس مراد بحديث عن الشيوعية وحياته في الحركة الشيوعية ، وأحيانا عن زملاء الجامعة ، ولما وصل البيت وجد المهندس سيف في انتظاره فمشيا لأحد مطاعم حي الشاعر، وتناولا العشاء ، وعادوا لمنزل سيف ، واشتغل إدريس بالصلاة ، واشتغل سيف بمشاهدة مكتبة إدريس المتواضعة .

ولما انتهى من صلاة العشاء صنع القهوة ، ووضع الفاكهة ، وقدم له ما كتبه عن اللقاء، فلما تصفحه قال : لم أفهم شيئا من هذه الورقة .. إنها عن الشيوعية!

ـ هذا هو غطاء الجلسة .. اعترف بمحاولة إقامة علاقة مع نبيلة وابنة ضابط ، ويصف نبيلة

بصفات سيئة .. ولم يتكلم عن سبب الطلاق بينكم أي قصة الصورة ولا بكلمة .. إنما أنها خانت زوجها ..كيف دون تفصيل؟ لم يتوسع في الحديث عن غرامياته .. ولم يعترف بمحاولة الزواج منها بعد الطلاق .. وكان يتوسع بالحديث عن نشاطه الشيوعي .. فاضطر للصمت .. ذكرت اسمك أكثر من مرة ؛ ليتحدث عنك ، فلا يتوسع .. جعلت مصدريّ معلوماتي عنه من صبحي والسيدة سوزان التي لم أرها بعد .. ولما أكتب المقال المعد للنشر سأعرضه عليه .. فأنا أكتب عن الشيوعية في تلك الحقبة ، وليس عن زواج سيف ونبيلة .

ـ أفهم رأيك ووجهة نظرك ..وهذا جيد !

كان إدريس يحدث صاحبه إيادا عن تطورات القضية ، والسعي للوصول إلى مصور الصورة السيئة أو لمن صورت ؟ .. وكيف احتالوا على تصويرها لابتزازها بها ؟

فقال إياد : إذن تعرفت على السيد مراد العاشق المطارد لها لآخر يوم في الجامعة .

ـ اضطررت أن أفتعل تحقيقا عن شيوعية الستينيات لعلي أصل للحقيقة والطريقة إلى تلك الصورة .. قابلت عددا من عناصر تلك الحركة ، وخلطت معلوماتهم مع معلومات سيف وقابلته .. هو يحب الحديث عن الماضي كغيره من الناس ؛ ولكنه كان حذرا من الدخول في تفاصيل علاقته مع بنات ذلك الوقت بسبب إنهن إما أمهات وزوجات أو ميتات ، لذلك لم يتطرق نهائيا لتلك الصورة التي دمرت حياة أسرة .. وهو أول من تحدث عنها لسيف فلا يمكن نسيانها .. ربما لو دام الزواج لانتهى أمر الصورة .. اعترف بإقامة علاقة بفتاة ابنة ضابط لم أعرف صفة الضابط رتبته ، ووجدها تصاحب خمسة غيره .. اعترف بمحاولة إقامة علاقة مع نبيلة قبل تعرفها على سيف ؛ ولكنها اختارتاه دون الجميع .. فهناك غيره حاول الصداقة معها كصداقة حب .. أما زمالة الجامعة فهم كثر .. معارفها كثيرون وأطلق عليها صفات تكاد تجعلها بغيا .. وأعتقد الحقد دافع الاتهام .. لم يتطرق بصراحة وجراءة لسبب فشل زواجها من سيف .. ولم أذكر أمرها له خشية أن يداخله الشك في هذه المقابلة في أهداف المقابلة

ـ هل عمل علاقة معها ؟

ـ نبيلة ! لا ، طاردها حتى التخرج ، حتى بعد طلاقها سعى إليها .. وأعتقد أنه هو الذي رتب أمر الصورة قبل وقت الزواج .. كان يدبر لتهديدها والنيل منها .. فهو الذي شجع سيف على الطلاق بصورة ذكية وحذرة ، بوصفها بالخائنة والغادرة له والمرأة اللعوب .. فتخيلها المسكين سيف بنت هوى وفتاة بارات وحانات أو مومسا، وأنه خدع من الزواج بها .

ـ وما العمل الآن ؟

ـ رغم أنها مهمة صعبة ، والفشل ظاهر ؛ لكنها مسلية يا إياد .. يوجد أمر أتسلى به .. ووافق رئيس تحرير الجريدة خلدون على عمل هذه المقابلات التاريخية للجريدة .. فهي فترة مهمة من تاريخ التحرر العربي والحركات العالمية .. وسأقابل بعض العناصر الأخرى ، وندندن حول قضية الصورة خدمة لسيف وخدمة للجريدة .. أستعد للقاء شيوعية مهمة في تلك الجامعة السيدة سوزان أشار إليها سيف والسيد صبحي .. فقد كانت نشيطة ومهمة ، وما زالت ؛ كأني فهمت ذلك من صبحي .. ولما ذكرت اسمها أمام مراد أثنى عليها .. ولم يتوسع بالكلام عنها فليس من السهل أن يكشف الرجل غرامياته ، رغم أنه كان مشهورا بينهم بحب النساء والزنا وهو اليوم زوج وله أولاد وبنات .

قال إياد : ألا تريد تعريفي بصاحبك ؟

قال : سأفعل عندما يسمح لي بزيارة بيته ستكون رفيقي زاعما أني بحاجة لسيارتك ليلا .. وذلك عندما نتقدم خطوة إيجابية .. هو بدأ ينفتح عليّ .. وستكون بيننا يا إياد .

ناقش الصديقان الأفكار والحيل والأساليب المناسبة لإتمام التحقيق .. وقال في نهاية المجلس إياد وهو ينهض : تحتاج إلى بوليس سري لحل هذه المعضلة !

ضحك إدريس : حتى لو كان معنا بوليس سري ما استطاع الحل يا أخ إياد .. إلا أن نلتقي بالمصور نفسه .. ولكننا من خلال هذه اللقاءات البريئة قد نلتقي بالمصور أو المكلف له .. لم نحدد مكان التصوير .. أين صورت الفتاة ؟ لا يذكر سيف أي معرفة للمكان .. الخلفية صامتة والأرض مفروشة بنوع من السجاد الملصق بالأرض كالموكيت ..لا ديكورات في الصورة ولا

كراسي .. والبنت لا تذكر موقع التصوير ؛ لأنها تنكر معرفتها بالموافقة على هذه الصورة .. فأعتقد أنها خدرت بطريقة شيطانية .. وحملت إلى حجرة مجردة ، وصورت عورتها وأعتقد أنها صورت أكثر من مشهد .. ولما أدت الصورة دورها اختفى أمر تلك الصور.

ـ أذكر أنهم أعطوه الفِلم!

ـ للخداع ؛ وليعتقد أنها صورة واحدة فقط .. وهم أعطوه قطعة من الفِلم الجزء الذي فيه الصورة .. لعبة ذكية مرسومة بفطنة وشجاعة .. هم صوروها للضغط عليها من أجل الدعارة ولكن زواجها أفسد الموضوع فافسدوا زواجها ببيع الصورة .. واستغلوا مرادا للقيام بجزء من الحيلة ، ونجحت الحيلة .. وتحقق مآربهم .. ونسوا أن هناك رجلا كان طامعا بها ، وقبل بها زوجة رغم وجود الصورة القبيحة الفاضحة .

ـ تقصد الدكتور غريب .

قال إدريس : نعم ، وليس من السهل أن يعترف مراد بشيء هذا الوقت ، وقد ماتت ، وصار أبا وربما جدا .. إن من المهم أن نعرف كيف خدعوا البنت ؟! ومن هم ؟! لغز كبير رغم وضوحه ولولا جهلها لهذه الصورة ما طلبت من زوجها بعد هجر ثلاثين سنة بعد طلاق أن يهتم برجل المقهى .. الشخص الذي باعه الصورة وقطعة من الفِلم ..وتتهمه بظلم نفسه قبل ظلمها .. وإنه تسرع في الطلاق ووصفها بالخيانة الزوجية .. أنا عندي تصور للجريمة وهو أنها سقيت مخدرا أو منوما وصورت ، وطريقة تخديرها أو تنويمها مجهولة لها .. لو ذكرت شيئا لقالته لسيف أو لوالدها .. فابنتها التي كلفت بنقل الرسالة لسيف لابد أنها تعرف سبب الطلاق ، وكذلك الزوج غريب .. وصدق أن الفتاة لم تمارس الجنس مع أحد خارج اطار الزواج .. وهو خريج لندن ، وقد يكون متأثرا بعادات الإنجليز .. وسيف طلب مني عدم نشر القصة .. وقد أنشرها بتغيير الأسماء الحقيقية بأخرى .. ولكن إذا لم تحل قصة الصورة فلن تكون رواية ناجحة .. فكثير من النساء تطلق لأسباب تافهة للغاية .. إنك تذكر زميلنا منذر طلق زوجته ؛ لأنها طلبت منه أن لا يدخن أمامها وفي وجهها .. وعللت بأنها تتضايق من الدخان وكبر الشجار .

ـ نعم ، أذكر تلك المأساة ، ثم سجلت عليه طلقة ورجعت إليه.

ـ صحيح ، وآخر أعرفه طلق لرفض زوجته استقبال أمه ، ولم تكترث فطلقها ، والحكايات كثيرة

ـ قد يكون هناك أسباب خفية .. وتكون هذه القشة التي قصمت ظهر البعير .

ـ ربما تكون هناك تراكمات وترسبات .. لابد من معرفة المجرم .. للأسف حتى صديقنا الجديد سيف لم يهتم بالبائع كثيرا ولا يعرف اسمه.

قال إياد : يا صديقي لو سأله عن اسمه لأعطاه اسما مزيفا .

ـ أكيد .. ذاك راح عن بالي .. ما دامت لعبة ، لابد من التخفي قدر الإمكان .. الملاعين نجحوا لأنهم فهموا شخصية سيف ، وفهموا شخصية مراد .. وقد تكون لمراد علاقات معها بعد التخرج من الجامعة والانتماء للنقابة .. قد يكونون التقوا ؛ فلذلك ركزت على رجل المقهى .. فسيف لا يعرف عنها شيئا بعد الانفصال إلا أشياء عامة بحكم المجاورة في حي بهية ، وصداقاتها الهامشية لبعض أفراد أسرته .. الرسالة هي التي أعادت الأشجان.

ـ ولماذا ستقابل سوزان ؟

ـ كانت شيوعية مثل مراد ، ولها علاقة معه ومع نبيلة كطالبة وكعضو في النقابة والجمعيات .. وهي متقدمة في الحزب على مراد كما فهمت من صبحي .. أما سيف فهو زميل كلية فحسب ولا يعرف عنها الكثير كما أخبر سوى أنها كانت نشطة في الكلية والجامعة أنشط من مراد حركيا.

ـ وهل ستعرف قصة الصورة مفصلة ؟!

ـ القصة شاعت فترة في الكلية بعد الطلاق ، ثم خفت الحديث عنها .. وستكون موضوعا لحلقة من الشيوعية في الستينيات ؛ ولعلنا نسمع منها شيئا عن تلك الصورة ولو عرضا .

بعد مضي ثلاثة أيام على لقائه بمراد اتصل به ليلا ؛ لأنه علم منه أنه لا يسهر في المقاهي بعد العودة من مكتبه في الشركة ، وأنه يتفرغ لأهل البيت ، والحديث معهم ، اتصل إدريس بعد

العاشرة ليلا وذكر بنفسه ، فقال مراد : أهلا بك عرفت صوتك .. هل جهز المقال ؟

ـ تقريبا جهز .. وقد قابلت المهندس سيف الدين وردة شخصيا ، وهو من سكان حي بهية .. حي كان له عز ومجد في سالف الأيام .. وخاصة الستينيات .. وهو ابن نفس دفعتكم الجامعية ولكنه بعيد عن السياسة والانتخابات .. وهو كما تعلم زوج تلك الفتاة التي أخذت من وقت حديثنا .. وذكرت أنها طلقت بعد تزوجها بأيام .. حاولت معرفة سبب الطلاق السريع .. وعلمت أنها نكحت طبيبا من العائلة.

قال مراد : صحيح ! ولم تكن لسيف اهتمامات في السياسة والأحزاب .. كان والدها قد أصبح وزيرا للصحة .. ولكن الرجل لم تطل وزارته ، فقد تعرض لحادث مروري أودى بحياته في مؤتمر طبي في أوروبا ما زلت أذكر هذا .. قابلته أثناء عمله كمدير لمستشفى الجامعة التعليمي

ـ الدكتور خالد أسعد .

ـ نعم ، ماذا قال الرجل عن طلاقه لزميلتنا نبيلة خالد ؟!

ـ وجدته شخصا مترددا وانعزاليا ..وبعد محاولات قال : أنا أحببت الفتاة منذ رأيتها في الكلية وبعد سنتين دراسة اعترفت بحبي لها ، وقبلتني دون سائر المطاردين .. قال : كانت محترمة ولها أصدقاء كثر من الجنسين ، ومن عدد من الكليات .. وكنا من العائلات الميسورة الغنية في نظر الطلاب .. وكلانا كان بعيدا عن السياسة والأحزاب ؛ ولكني بعد زواجنا بأيام تفاجأت بصورة عارية لها عارية جدا ، ولم تستطع تبرير حدوث تلك الصورة .. وكان الانفصال بدون شوشرة وزعم أنك تعرف بموضوع الصورة ، وأنها سبب طلاقه ، وأنك أحد المغرمين بها منذ التقيتم في الجامعة ، وأنها رفضت صداقتك وصداقة غيرك.. وقال : إنه ابتاع الصورة من أحد معارفك هل هذه الحكاية صحيحة ؟

تنهد مراد بصوت بدا واضحا لإدريس .. وقال : أهذا خرج من فم سيف ؟!

ـ نعم ، يا سيدي قلت له عن اللقاء بك ، واستغربت من قصة الزواج والطلاق السريع ، فكان الفضول وراء هذا اللقاء حتى أنه قال: لو كانت معي الصورة لأريتك إياها ، ولم يتزوج بسبب

هذه الحادث لليوم .

ـ فعلا يا أستاذ إدريس إن الرجل طلق زوجته التي أحبها سنوات الجامعة بسبب تلك الصورة السخيفة .. أنا لم أر الصورة ، وإنما حدثت عنها .. وأحببت نقل الأمر إليه ؛ ليتأكد .. ولم أرغب بأن يكون طرطورا ومغفلا عن قبح فتاته .. سأكشف لك سرا ما دمت تعمل في الصحافة والتحقيقات .. لقد تحدثت مع مديرك وتأكدت من تعاونك معه وعمل تحقيقات لصحيفته الأسبوعية وتوقع باسم مستعار الفتى نصار .. وإنك تقوم بتحريات متباعدة له .. وأخبرني أنك تكتب للصحف اليومية .

ـ شكرا ، أنا لم أخف عنك شيئا يا مهندس مراد .. واهتمامي بفترة الستينات لأنني ابن تلك الفترة مثلك .. وشاهدت الصراع الحاد والصارخ بين الحركات اليسارية واليمينية والقومية ، ولاحظت قوة الحركة الشيوعية في تلك الفترة .. وكتبت عن الرموز الكبيرة ودورها في أحداث ذلك العهد .. وسأكتب عن أربع شخصيات شيوعية عاشت ذلك الوقت.. وسأكتب عن أمور شخصية لأثير القارئ نحو هذه المقالات .. وسأقابل أربعة أسماء من التيار الإسلامي .. ونحقق في أمور خاصة حتى لا يكون التحقيق فكريا جامدا .. فهذا معروف للمثقف .. أما القصص والمواقف فهي غير موجودة .. والمقابلات تكشف مثل هذه القصص العابرة

ـ نعم ، تلك الفترة كانت بمثابة العصر الذهبي للفكر الشيوعي .. وصراعه ضد الإمبريالية والاستعمار والاستعباد ..كانت الشيوعية نجم العالم ومثيرة للشباب ولحماسهم .. وكانت تقام الدول على أفكار ماركس ولينين ، كما في كوبا كاسترو وماو في الصين وحرب فيتنام وكوريا الشمالية والمعارك الكبيرة في أمريكا اللاتينية .. وكان جيفارا

ـ لا أحد ينكر الزخم اليساري ، وهو يجتاح العالم تلك الفترة ..وانتشرت الأحزاب الشيوعية في العالم العربي والإسلامي بشكل واضح وقوي .. وكان الشباب الطلابي يندفع بقوة للانضمام لتلك الحركات الشيوعية .. فقراءة تلك الفترة أمر مثير في نظري وبالمقارنة مع اليوم فعلا كان ذلك العقد عقدا تاريخيا بالنسبة لكم .. نعود عن معلوماتك عن تلك الصورة التي تسببت

بطلاق نبيلة في شهر عسلها.

ـ آ! الصورة صدق يا فتى نصار أنا لم أر الصورة بعيناي ، حدثت عنها ، وتضايقت من خداعهم لزميلنا البليد المسكين ، فلم يكن أمامي إلا أن أهتم بالموضوع ، وأتحدث للرجل عنها ، ودللته على مكان يلتقي به بمندوب أو وكيل المصور ، وذهب فعلا وقابل الرجل ، وابتاع منه تلك الصورة السخيفة .. أنا لا أدري لماذا تقبل فتاة أن تتصور وهي مجردة من الثياب ؟! حقيقة كنا نسمع عن مغامرات وحفلات نسائية في الجامعة لا تكاد تصدق يا رجل لكن الأنثى إذا فجرت ماذا يهمها بأن تتعرى للمصور وغيره ؟ كانت الإباحية تعصف في الشعوب تلك الفترة التي بدأت بعد الحرب الثانية ؛ لكثرة النساء والأرامل .. كانت بين الطلبة جمعيات سرية تشجع الزنا والفاحشة .. كان هناك من يسعى لنشر الدعارة بين المثقفين والطلبة.. والنساء جنود لذلك ؛ وربما تلك إحدى الجمعيات اصطادت نبيلة قبل زواجها وتصويرها للضغط عليها من أجل الدعارة ومن أجل أنها ابنة مدير المستشفى التعليمي .. هذه الصور هذه الغاية المهمة منها .. ولما وقع الزواج سعوا إلى إفشاله بعرض الصورة على سيف .. وكان الطلاق غيرة ؛ ولكنها فور طلاقها أخذت تستعد لزواج جديد وتخرج .. وصار الوالد وزيرا فتركوها .. هكذا أتصور .. وكانوا يعلمون بحكم السنين محاولتي إقامة صداقة وعلاقة حب معها .. ولما سمع سيف خبر الصورة مني صدق ؛ لأنه رآني خصما له في حبها .. فوقع في قلبه أنني نلت منها قبل أن يصبحا صديقين .. و أنا أعترف أني نفذت رغبتهم غيرة وكرها للسيد ..لا أحد يحب الخيبة والفشل .. والجامعات العربية تتأثر بما يحدث في جامعات أوروبا المتحررة .. وعندنا من يدفع للإباحية والتحلل باسم الحرية وحق الإنسان أنا تلك الأيام حدثته عنها بقسوة ودون شفقة فقد اعتبرته فائزا عليّ أمام الطلاب والطالبات كنت آمل في النهاية أن أكون صديقها الوحيد .. لقد فتنت بها من أول ما رأيتها .. وتفاجأت بسرعة ردة فعل سيف وطلاقه لها مع الحب الكبير الذي شاع بينهم في مرافق الجامعة .. وأخبر الناس صحة قصة الصورة مبررا طلاقه .. ولم تقبلني الفتاة بعد طلاقها ، واعتبرتني سبب هذا الطلاق .. ثم خطبت قريبا لها ، وبعد التخرج تزوجته .. وهو

سيد كبير في وزارة الصحة العامة .. ووالدها عين وزيرا قبل زواجها الثاني .. وهي قد رحلت عن الدنيا منذ عهد قريب .. فقد نقل بعض أصدقاء تلك الفترة هذا الخبر .

ـ نعم ، أخبر المهندس سيف بموتها بمرض السرطان .. تحدثت أنت عن عصابات أو جمعيات سرية تعمل على إفساد الشباب وابتزازهم بتصويرهم عراة ليعملوا في دور البغاء .

ـ هذا صحيح ؛ وربما هذه العصابات السيئة الذكر ما زالت موجودة وبثوب جديد .. اليوم الآت التصوير تتطورت .. واليوم صور متحركة أفلام .

ـ هذا موضوع شيق ؛ ربما أهتم به .. ربما أستعين بك لمزيد من المعلومات لمعرفة كيفية القيام بهذا العمل خاصة قديما ومن يقوم به ؟

ـ المال المال أيها الإنسان .. عندما يدفع لمصور مائة دينار مائتان أكثر في ذلك الوقت كيف يرفض كيف يرفض؟!



وضع إدريس السماعة ، وقد شكر المهندس مرادا على هذا اللقاء الهاتفي المطول ، وقد استطاع الاحتيال وجره للحديث عن موضوع الصورة ، وقال لنفسه : هل هو صادق ببراءته من تصوير الصورة السخيفة كما يصفها ؟ هل حقا هو مجرد رسول بين العصابة وسيف الدين حاكم ؟!

جهز المقال الذي سينشره في جريدة قريبه الشرق المضيء كما رتب معه ؛ ليكون الموضوع صحفيا وليس أمرا خاصا .. وتكوّن المقال من صفحتين(إي فور) ، وصوره وعرض النسخة على مراد ولما اطلع عليها مراد وافق على نشرها بدون أي إضافة وأي تعديل ، وقال وهو يودع إدريس : متى ستنشر هذا في الجريدة ؟

ـ هذا يعود لرئيس التحرير .. وقد يضيف ملاحظات .. يختصره ، يقدمه على حلقة واحدة أو أكثر .. وعندما ينشر سأقدم لك نسخة مجانية من الجريدة .

ـ أريد عددا من النسخ .

ـ لا بأس ، سيكون لديك خمس نسخ مجانا .. ربما أستعين بذاكرتك عندما أقابل بعض

الأشخاص .

ـ أنا مستعد لذلك .. فالذكريات جميلة بحلوها ومرها ، فكيف إذا نشرت؟! أعلمت جديدا في قصة الصورة ؟

ـ أنا تعجبت يوم لقائنا من قصة الطلاق السريع ، ولم تشرح لي التفصيل ، فسعيت للقاء المهندس سيف عن طريق عنوانه في النقابة وموافقته على اللقاء .. فشل قصة حب كبيرة كما حدثتني مثير لشهوة الصحفي .. نحن نسمع عن طلاقات سريعة ؛ ولكنها قليلة بصورة عامة وقع في قلبي أن الصورة مزيفة خداع تصوير ؛ ولكن الرجل أكد نسبة الصورة إليها .. وخطر في باله التركيب والخداع الفني كما يستخدم في الأفلام .. وقال : إن الصورة التي رآها لم تكن مزيفة ، ولم يعد يملكها دفع بها إلى والد الفتاة عندما تناقش معه حول الطلاق .. والفتاة أنكرت وبقوة أنها تصورتها بعقلها وفكرها ، ولا تعرف الخدعة والحيلة التي تعرضت لها لتصور تلك الصورة .. وتمسك السيد بالفراق وإنهاء العلاقة الزوجية .. وأنا تفاجأت من كلامك عن جمعيات سرية للدعارة والإغواء .. وهو لم يسمع بمثل تلك الجمعيات ، واعتبر الموضوع انتهى ، وتعقد للأبد من ناحية النساء .. وما زال بدون زواج .. وأكد لي أن زوجته أو مطلقته لم تر تلك الصورة إلا تلك الليلة .. وصدمت منها .. والرجل الذي قابله في مقهى الكوكب الذهبي في مركز مدينتنا لم يره من قبل ، واعتقد أنه متخفي بلحية وشارب مزيفين .. ويرى أنه أحد طلاب الجامعة.

ـ أعرف مقهى الكوكب ؛ وربما دخلته مرتين ..كان المقهى المفضل لنا تلك الأيام مقهى الثورة العربية في شارع الأمواج .

قال إدريس : نعم ، أعرفه هو في طرف المدينة .. هو مقهى الشيوعيين كما يحب أن يسميه الخصوم

ـ نعم ، بل والمحبون ..كان أحد مقاهي الحركة اليسارية والماركسية .. كان فيه أمجاد الحزب واعتقالات الشباب من الأمن السري والقلم السياسي .

حك دقنه وسأل : هل تعرف ذاك الرجل الذي باع الصورة لسيف؟

ـ أنا لم أعرفه ، ولم أره ، ولا أدري هل هو أحد الطلاب كما تقول على لسان سيف ؟ كان الحديث عن الصورة عبر تلفون في نادي الكلية استدعيت لمكالمة .. والرجل يعرف قصة هواي ، ومطاردتي لنبيلة ، وطلب مني فعل ذلك ، وغامرت وفعلت أو قل نقلت الطلب .. وحصل ما أشتهي ؛ ولكنني لم أفز بقلبها؛ بل زاد حقدها عليّ .. وكانت كلما تتلاقى عيوننا تبصق إلى الأرض .. وتكرر ذلك .. وسيف انقطع كل شيء بيننا .. وقد يكون أحد الطلاب فعل ذلك واستغلوا فشلي نحوها .. من ستقابل بعد نشر هذا المقال؟

ـ رئيس التحرير له خطة ، تتلخص بأنه يريد النشر بعد اكتمال جميع المقابلات ، مع أربع أو خمس يساريين ، ومثلهم قوميون وإسلاميون ، وأنا اقترحت نشر هذا المقال؛ لتشجيع الآخرين على التعاون والتحدث عن ذكرياتهم ، وسبب التحاقهم بتلك الأحزاب .

قال مراد مستحسنا الاقتراح : هذا هو الأفضل ؛ بذلك تقضي على التردد .. من ستقابل بعدي؟

ـ هناك فتاة اسمها سوزان عرجنا على ذكرها أثناء الحديث معك .. وهي من الناشطات حركيا تلك الأيام .. وقيل إنها ما زالت تدافع بقوة عن الماركسية رغم موتها في روسيا .. وقد رتبت أموري الفنية معها .. وأنا أجمع معلومات عنها وعن نشاطها .

ـ صديقة قوية ونشيطة .. أعرفها جيدا ، وعملت تحت رعايتها في الجامعة ، وقد صعدت قوتها خارج القطر في فترة من الزمن ؛ وربما زارت موسكو للمشاركة في نشاطات عالمية.. وإذا احتجت أي شيء عنها فسوف أجيب .

ـ أقدر لك هذا التعاون ، وهذه الشجاعة .. فأنت فتحت قصة عصابة التصوير .. فأنا أبحث عن عضو عمل في تلك العصابة الرهيبة.. فهي قصة مشوقة كقصة طلاق سيف ؛ لعلك تتذكر أحدا من أسماء أولئك.

ـ وإذا تذكرت سوف أفيدك .. أنت كيف تختار شخصياتك ؟

ـ قلت لك إن رفاقا لك هم رشحوك للحديث عن تلك الفترة ، ومنهم الأخ صبحي وهو زميلي أيام الوظيفة.

ـ أنت تقاعدت من صحة البلدية .

ـ نعم ، وأنا أكتب للصحف والصحافة منذ زمن بعيد .. والتاريخ والمذكرات تستهويني كثيرا مع أنها تحتاج لجهد ومال .. وأجرة المقال ليست كبيرة ، وكذلك أشغل نفسي ، لا زوجة ولا أولاد .. قد يذكر لي محرر في صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية اسم كتاب فأطلع عليه وأقدم عرضا عنه لتلك الجهة ، أو أنا أعجب بكتاب نزل الأسواق فأقرأه وأقدمه لأحد الصحف مقابل أجرة زهيدة يا حضرة المهندس ؛ ربما تغطي مصاريف التنقل والطباعة .. والكتاب قد يقدم من الجريدة أو من المكتبة العامة لعلاقات خاصة معهم تسلية.

ـ هواية جيدة ، تحرك العقل وتنشطه .. وهي أحسن بكثير من الجلوس للعب الورق والنوم والتلفزيون .

ـ أحسنت! وإذا لقطت حكاية مثيرة أهتم بها كموضوع الصورة ، وكموضوع الجمعيات السرية التي أشرت لها .. ولما أجمع معلومات عنها سأتابع الموضوع إلى اللقاء أيها الصديق .

ـ حياك الله .. أنا في خدمتك ، وخدمة المذكرات والتاريخ .

قبلت السيدة سوزان مقابلة إدريس لبن ، وقدم لها المقالة التي كتبها عن مقابلته المهندس مراد زميلها في الحركة الشيوعية العربية ، وذلك خلال عقد الستينيات ، وذكر لها اسم صبحي زميله في العمل وترشيحها لهذا اللقاء ، وكان اللقاء يجري في صالة بيتها ، وبحضور زوجها عماد ، ثم استأذن عماد لما فهم الموضوع ، وخرج من الغرفة، فقال إدريس : أهو على نفس الفكر؟

ابتسمت وقالت : عماد شيوعي عريق ؛ ولكن الشيوعية ضعفت ، واهتزت على مستوى العالم وأصبحت ذكريات لدينا يا أستاذ إدريس .. وأنت لماذا مهتم في الأمر ؟

تحدث حديثا مطولا عن اهتمامه التاريخي في فكر الستينيات ، وإنه كتب عشرات المقالات عن الأحزاب والأفكار ، وعن رؤوس وقيادات تلك الأحزاب والمسميات .. وفي هذه الجولة سيكتب عن رجال كانوا قريبين من القيادة أو الصف الثاني كما يقال .. وقد بدأ الحوار مع المهندس مراد ، ثم عرج من خلال التوضيح إلى الحديث عن قصة الطالبة نبيلة خالد ابنة المدير

الأعلى للمستشفى التعليمي ، وابنة الوزير .. وقصة طلاقها السريع .. واضطر لمقابلة المهندس سيف وردة لاستيضاح الأسباب .. وكانت قصة الصورة ، ودور السيد مراد في ذلك الطلاق ثم ذكر الجمعيات السرية لتشجيع الإباحية والدعارة بين الطلبة .. وذكر لها أن المهندس سيفا من سكان حي بهية ، وكذلك المرحومة نبيلة ، وكال المديح لذلك الحي في الزمن الماضي .

وقالت : ومن لا يعرفه يا سيد إدريس ؟! هو كان جزءا من حي العرب

ـ صدقت .. وأنشأته السيدة بهية أو شيدت فيه قصرا عظيما ما زال يتربع فيه .. وتتابع الأثرياء ببناء قصورهم فيه حتى أصبح حيا مستقلا عن حي العرب .

ـ أنا زميلة لنبيلة ، وأعرف حكاية صداقتها لسيف وطلاقها .. تحدث مراد عن تلك الصورة .

قال : نعم ، تحدث عن الطلاق .. وسيف وضح سبب الطلاق السريع .. واعترف مراد بأن دوره مخبر لسيف بوجود تلك الصورة فحسب .. وذكر أن هناك جمعيات تشجع الزنا والإباحية .. عصابة من الطلبة والمصورين تقوم على تصوير صورة فاضحة للبنات وابتزازهنّ في الفجور والغواية

قالت : نعم ، كان هذا بيننا للأسف .. الفتاة التي لم يستطيعوا استدراجها برغبتها للسهرات والحفلات والمجون خاصة إذا كانت جميلة ومثيرة، يسعون لتصويرها في حالات مريبة وماجنة لتهديدها بتلك الصور.

قال : لكنه لم يذكر أسماء ، ولو اسما واحدا .. فقد شدني أمر هذه الجمعيات ، وهو يعتقد أنها ما زالت تعمل ؛ لكن بثوب جديد.

ـ لا أعتقد هذا .. البنات اليوم أكثر انفلاتا وطلبا للموضة والسفور .. كانت البنت أيامنا صورة في الجامعة ، وصورة أخرى خارج الجامعة .. اليوم العري مباح فلا حاجة للصور .. فأي مومس تقدم جسدها للتصوير .. المهم أن تأخذ المال .. وهناك دور دعارة مرخصة أو شبه مرخصة باسم النوادي الليلة والملاهي .. فلماذا الجمعيات اليوم يا عزيزي .. أصبحنا نرى أفلاما ليس صورا فحسب .

ـ هو ربما يقصد ذلك.

قالت : في رأيي ومشاهداتي أننا لم نعد لمثل هذه الجمعيات لممارسة الجنس الأبيض أو الرقيق الأبيض .. أغلب الدول تسمح بالدعارة سواء علنا أو سرا خاصة في البلدان الإسلامية .. كان التصوير والعري مصدر دخل تلك الأيام ؛ فربما تباع مجموعة صور عارية بمبلغ مهم سواء للفتاة أو المصور المحترف .. اليوم تشتري مجلة جنسية بدولار واحد .

ـ أتعرفين الخطة التي صوروا بها تلك المهندسة وقد كانت صديقتك كما فهمت ؟

ـ أنا لم أكن صديقة شخصية لتلك الجميلة يا إدريس تلك الفترة فيما بعد تصاحبنا ؛ أنا أختلط بالطلاب من جميع الكليات للتنظير الحزبي وأعرف الشباب المهووس بالنساء في ذلك الزمن وسمح ذلك لي أن أطلع على أسرارهم فبعضهم يعتبر حزبنا إباحيا ، ويدعو للإباحية الجنسية

قال : مراد المهندس أثار رغبتي في معرفة المزيد عن تلك الجمعيات ، وكذلك ثمن الصور الباهض .

قالت: الصورة كانت مهمة في تلك الفترة للإيقاع بالفتيات اللواتي يخشين الفضيحة والعار .. كان ذلك مرعبا في تلك الفترة من بلداننا .. فبعض أو ربما أكثر المصورين أصحاب محلات التصوير يرفضون فعل تلك الصور خوفا من الشرطة أو من أهل تلك الفتاة ؛ فلذلك من يغامر يطلب أكثر .. قل ثمن المخاطرة .

قال : كيف كانوا يخدعون الفتيات وهن بنات جامعات ؟!

ـ عندما ننتهي من موضوعنا الرئيسي سأحدثك بكيف هذا ؟

ـ جميل ! فالمهندس مراد لا يعرف وإلا صارحني .. اقرئي ما ذكره مراد .

نادت زوجها الذي أقبل يحمل الشاي وقالت لي : تحدث مع المهندس عماد .. فهو أيضا مهندس وهو قريب لي .. أنا تزوجت من عهد قريب .. كان متزوجا ، ثم تركته زوجته من سنوات .. وتزوجنا .. أنا سأدخل المكتب وأقرأ المقال .

غادرت الصالة وتحدث إدريس عن نشاطه الصحفي ، وهوايته الصحفية منذ ثلاثة عقود وأنه

يكتب في جريدة الشرق المضيء .

ولما عادت سوزان قالت : قرأتها ، إنها تجمع بين الأدب والتاريخ .

ـ ستتحدث عن كيف اهتممت بالحركة الشيوعية رغم صغر سنك؟ طالبة انتقلت من المدرسة إلى الجامعة .. وكيف قابل الوالدان اهتمامك الفكري المعادي لطبيعة المجتمع العربي المجتمع المتدين الأمي الجاهل ؟

قالت : كان هذا الفكر معروفا في العائلة ، لم يكن والدي شيوعيا ولا أمي .. لكن أحد أعمامي حمل الفكر اليساري العالمي .. عندما درس في القاهرة مصر .. والديّ لم يكونا متدينين ، لم نكن نعرف صلاة صوم في البيت .. أبي يحتسي الخمر ومثله أمي بعد زواجها منه كما تقول .. وفي مثل هكذا جو فلم يُهتم بما نحمل من أفكار .. فهي أفكار موجودة في محيط العائلة منذ كنت طفلة وطالبة .. التحقت في الجامعة مطلع الستينيات ، وأصبحت عضوة في الحزب الشيوعي المحلي خضعت لدروس في الإلحاد والبيان الشيوعي الأول .. وتعرفت سريعا على نشطاء الحزب في الكلية والكليات الأخرى والمدينة .. وكان لنا تلك الفترة نشاطات قوية ومقنعة .. وكنا متفائلين لآخر درجة .. وكنا نرى أن الدول ستتحول لشيوعية قبل نهاية العقد .. تعرفت على مراد وغيره .. وكان المهندس مجرد شيوعي ملحد ؛ لكن نشاطه ضعيف بين الطلبة .. كان همه الأول الجنس والنساء .. كنا نلتقي معه من أجل الفكر فقط .. وبحكم الحياة في ذلك الوسط كنت أسمع عن مغامراته ومغامرات غيره .. لا أنكر أن عناصر كانت تدخل الحزب ليست مشبعة بأفكار الحركة العالمية ، كانت تحقق لها رغبات شهوانية دون مساءلة وحساب ، ودون تعب ضمير .. وهذا من الجنسين يقع .. فالحرية الجنسية موجودة في الفكر الشيوعي ، لا شيء عندنا اسمه العفة أو البكارة كما في بلادنا العربية ؛ لأن الشيوعية في مرحلتها الأخيرة هي المشاعية في كل شيء ، وعلى رأسها الحياة الجنسية .

ـ سمعت أن هذا الأمر حدث في روسيا الستالينية ثم توقف .

ـ بسبب الأمراض الجنسية .. وهذا النشاط الجنسي والعلاقات أمر شخصي .. لا أستطيع أن

أنكر وجود ذلك بين الأعضاء الصغار والكبار .. ولكن الهدف الكبير للشيوعية العالمية تحقيق العدالة الاجتماعية لكل شعوب الأرض ، وإنهاء الرأسمالية والطبقية .

تحدثت عن حياتها الشيوعية خلال سنوات الجامعة ، وعن نشاطها وحماسها للثورة العالمية للقضاء على الإمبريالية ، وانتقلت للحديث عن نشاطها القوي في نقابة المهندسين ، وإنها من القلائل اللواتي فازت بالعضوية النقابية في أكثر من دورة ، واعترفت بأن الإسلاميين كانوا يحاربون بشدة في العمل النقابي ، وأن لديهم فكرا عفنا .

ولما انتصف الليل قال إدريس : سألخص الكلام كما فعلت في مذكرة مراد ، وأعرضها على حضرتك ، فالذي ترينه غير صالح للنشر تضعين عليها خطا أحمر ، وما يحتاج لتعديل نعدله ، سأنصرف تأخر بنا الوقت ؛ لكن ليتك تحدثينني عن عصابات التصوير ؛ لعلي أجد في البحث بعد انتهاء مهمتي في المقابلات ، فأهتم به واجعله موضوعي القادم.

ـ حسنا يا إدريس نحن بدون ذرية إذا أحببت المبيت عندنا فالبيت يسعك !

ـ أنا هذا موعدي في النوم منتصف الليل .. لكن حتى لا أعود مرة أخرى أسمع أم تحبين أن نجعله لجلسة أخرى .

ـ هذا يرجع لك.

ـ أنا أحب الآن ؛ لأني في المرة القادمة سأقدم لك ما سينشر .

قالت : الحكاية باختصار قد كان في الكلية أو بين طالبات الجامعة فتيات ذات جمال وفتنة ، ولا يسمحن بالتصور عراة ..ولابد أن محاولات جرت معهن ، ولسن شريفات بمعنى لا يصاحبن إنما هنّ يركضن وراء الغرام والهيام والرسائل والكاسيت .. وأولئك وراء الدعارة .

ـ أفهم عليك وما تقصدين ؟

ـ نعم ، فهؤلاء الفتيات يدعون لحفلة عيد ميلاد مناسبة مختلقة ، ويذهبن لشقة الحفلة للمرح واللهو .. وهناك يطعمن أو يسقين المخدر من خلال الخمر أو العصير .. ثم ينقلن لمكان التصوير داخل غرفة معدة في الشقة ؛ بحيث عندما تعرض الصورة عليهن فيما بعد يعتقدن أن

التصوير كان في مكان آخر ، وليس في الشقة .. ثم تتعرض الأنثى للابتزاز والتهديد لبيع جسدها ؛ وربما تصور الفتاة عارية وفوقها رجل لا يظهر وجهه لمزيد من الضغط والتهديد .. ثم تعاد الفتاة بعد التقاط الصور إلى شقة الحفلة .. ولا تعرف أنها صورت عندما نامت .. تفسر أنها أكثرت من الأكل والشراب وأن الصداع بسبب الشرب والتعاطي والرقص والغناء وبعد حين وأشهر تعرض عليها الصور فلا تتذكر كيف صورت ؟ لأنها تكون حضرت أكثر من حفلة بعد تلك الحفلة الخاصة

ـ نعم ، ذلك ربما ما حصل مع السيدة نبيلة خالد .

ـ بالتأكيد ، وهم لم يستفيدوا من تصويرها لحدوث الزواج ، فاضطروا لعرضها على سيف لتطلق طمعا بإخضاعها.



قدم سيف زائرا لبيت صديقه الجديد الكاتب إدريس لبن ، وكان إدريس قد جلب الطعام الجاهز للبيت ، فهما كانا على موعد ، وانتقلوا للمطبخ حيث مائدة الطعام ، وتناولوا العشاء ، وقدم المهندس الشكر للسيد إدريس، وخلال المائدة روى له قصة الشقق والتصوير التي سمع عنهما من مراد وسوزان ، واشتراك بعض الطلبة فيها للإفساد مقابل الحصول على المال والمخدرات ، ولما انتهى الطعام وانتقلوا لصالة الشقة قال إدريس : أتظن أن هذا حدث لنبيلة خالد ؟!

قال سيف بشك : لا أدري ! لم أسمع عن ذلك شيئا .. هذه لابد أنها تمارس على نطاق ضيق وسري للغاية .. وأما الحفلات والسهرات فكانت شائعة بين الطلاب ، وفي الحي الذي نعيش فيه ما زالت الحفلات والمناسبات قائمة .. هل يمكن أن يتعرض أحدنا للتخدير ولا يشعر به بعد الاستيقاظ منه ؟!

ـ إذا خدر شخص بحيلة ومكر فإنه يدرك أنه كان مخدرا ؛ فإنه يستيقظ مشوشا مضطربا .. وقد تحدث له أعراض جانبية نحو القيء والغثيان جفاف الفم والحلق وذلك بحسب نوع المخدر المستخدم .. وربما يلجأ للمنومات فهي أقل خطرا.

وتابع قائلا: هي كانت تنكر تعرضها للتخدير ، ولو من عهد بعيد .. وسوزان لا تعرف هل تعرضت نبيلة لتخدير أو هل ذهبت لتلك الشقة ؟ وهي وصفت الطريقة المستخدمة في تدمير المخدوعات .. سهرة دعوة في شقة خاصة ، ثم يحدث التخدير ، وتصور الفتاة في مكان خاص داخل الشقة أو مكان معد للتصوير .. وتصور صورا إباحية ، وتعاد إلى قاعة الحفلة .. ولما تستيقظ من التخدير فيغلب على ظنها أن الخمر أثرت فيها ، وأتعبتها ، وأنها نامت من السكر والعربدة ؛ لأنها وجدت نفسها في نفس الشقة والمكان .. ولا تظن أنها تعرضت للتخدير والتنويم .. ولا تظهر الصور إلا بعد المشاركة بعدة حفلات تالية .. وبعد حين ترى الفتاة صورها العارية .. فلا تدري كيف صورت ؟ وأين تعرضت للتصوير أو ينتابها الشك ؟

ـ ألا يستطيع الإنسان أن يميز بين النوم والتخدير ؟

ـ الصورة أنت رأيتها ، ودققت النظر فيها .

ـ نعم

قال : هل تتذكر الآن أنها كانت مغمضة العينين أم مفتوحتين ؟

ـ على ما أذكر أنها لم تكن مغلقة تماما ، ولم تكن مفتوحة تماما .. وتدرك أن المصور كان حريصا أن تظهر في الصورة العورة والوجه حتى لا ينكر صاحب الصورة أنها لم تكن صورته وأنها صورة مركبة من جزئين .. أنا تلك الأيام لم يخطر في بالي مثل هذا المكر والكيد وهذه العصابة .. فأنا اليوم أكاد أجزم أن ذلك حصل لفتاتي يا إدريس .

ـ هذا واضح يا صديقي ؛ لكن هل لهذه الدرجة لم تشعر نبيلة بالوضع واللعبة القذرة ؟

قال سيف : نبيلة كانت فتاة مرحة جميلة وتحب اللهو والسهر والأصدقاء ، ولم تشرب الكثير من الخمر حسب ما علمت منها وعنها .. وربما تثمل في بعض السهرات ، وتفرط في السكر لا

تنسى أننا أبناء حي يرى الخمر كالماء ومن عاداتنا الشرب ؛ لكنها أنكرت بقوة أنها تعرت في سهرة أو تعرت لتصور خالعة ملابسها كاملة

ـ حتى لو أنكرت ، فهي قد صورت ، فالصورة تدل على حدوث ذلك .

ـ اعترفت بأن الصورة حقيقية لها ، وأنها صورت بخدعة ما .. وهي كانت راغبة بمعرفة كيف صورت ؟؟ولكن هيهات هيهات أن نعرف إذا لم تعرف .. لم أكن أعلم بمثل هذه العصابة .. وربما هي مثلي .. لم تشر إلى ذلك ، وهي تدافع عن نفسها .. هل تستطيع أن تصل لشخص شارك في التصوير أو ساعد ؟

قال إدريس : لابد من مساهمين في الجريمة .. سوزان لم تذكر أسماء .. فالوقت بعيد ، هي ذكرت الطريقة المستخدمة .. وكما قلت إنه يمكن خداع الإنسان بالتخدير أو التنويم .. لكن عندما يصحُ من البنج والمنوم يتذكر أنه كان مخدرا أو منوما.

ـ لكن يا إدريس عندما تستيقظ الفتاة المخدرة أو المنومة ، وتجد نفسها في نفس الغرفة وحولها نفس الفتيات ونفس الأشياء من كراسي وسجاد وأشرطة هل سيقع في نفسها أنها تعرضت لتخدير ونقل وتصوير ؟!

ـ أحيانا يشعر المخدر بأنه محمول ، لكن يصعب عليه أن يتذكر أنه تعرض لتعري وتصوير في أوضاع مريبة كما تفعل إسرائيل في اصطياد بعض العرب للتجسس تحت التهديد والابتزاز ؛ لكنه عندما يرى الصورة يا سيف ألا يتذكر تلك السهرة ؟

ـ هذا سؤال يحتاج لطبيب تخدير .

ـ أحسنت ! نحتاج لطبيب مهتم في آثار البنج والذاكرة .. فأنا أسمع أن الإنسان تحت البنج قد يسمع أو يتحدث ، ويهذي بكلام ويعترف بأشياء لا يقولها وهو صاحي .. ويعللون ذلك باللاشعور واللاوعي .

قال سيف : وأنا مثلك أسمع ..علينا أن نستشير أخصائي تخدير أو علاج نفسي.

ـ ربما أيضا لكمية البنج ، ونوع البنج أثر في اللاوعي .. وبعد شهور من الحادث لا يتذكر

الإنسان ذلك التخدير ؛ وربما لكثرة السهرات والحفلات لا يتذكر.

ـ ولكن نعود إلى القول إذا نام ألا يسأل بعد استيقاظه لماذا كان نائما أو مضطجعا ؟ لا يحل اللغز إلا مجرم شارك في الجريمة يا إدريس !

ـ أكيد لو وصلنا إلى المجرم لحللنا اللغز من زمان .. من يعترف أنه قام بالتصوير ؟! من قام بالتخدير ؟!

قال سيف: الحقيقة أنك تقدمت تقدما كثيرا ، هل ستتابع المقابلات ؟

ـ سأعمل على مقابلة ثالثة ، وأتوقف ، ثم أعمل على النشر .. إن هناك مشاكل .. ورئيس التحرير عنده رأي آخر .

ـ هل تعرف طبيب تخدير بما أنك موظف صحة ؟

ـ سأفكر بذلك ، لا يحضرني أحد اللحظة .. نعم ، يجب أن نعرف كيف خدعت تلك المرأة ؟ لو أثبتنا براءتها لكان هذا خير ونجاح .

قال سيف : أنت مقدام يا إدريس! لا أدري لماذا تقاعست عندما أردت التعرف عليّ ؟!

تبسم إدريس وقال : هكذا أنت أيها الصديق! طبع طبعت عليه .. ألم تقعد سنتين قبل الخضوع لحب نبيلة ؟! أحببتها من أول أيام الكلية ، وانتظرت سنتين لتعترف لها بحبك بشخصها ؛ لكن الغريب أنك طلقتها بسرعة .. ألم تندم ؟

فكر لحظات ثم همس : الصورة لم تجعلني أندم .. الصورة جعلتني أرى كل النساء خائنات ، بائعات هوى .. وكما رأيت أخواتي متحررات أثناء الجامعة .. قلت كل النساء سواسية ، وكلهن يخن الثقة .. ذكرت لك أن أختا لي اختفت مع رجل يومين دون علمنا ، وقابلنا العودة ببرود مع أن صاحبها اعترف بأشياء سيئة.



اتصل المحامي خلدون مالك الجريدة الأسبوعية بإدريس ليلا وقال : لك زمن لم تزرنا يا إدريس.. هل أنت بخير ؟

ـ نعم ، يا أبا بسام أنا بخير ، وصحتي جيدة .. وأنا مشغول بمقابلات مع بعض شيوعيي عصر الستينيات .

ـ وأنا متصل بك من أجل ذلك .

قال : ومن أخبرك باهتمامي بذلك ؟

ـ سمعت في البداية من الطابع منصور .. وكنت أنتظر زيارتك لأفهم الموضوع بالتفصيل وأهميته .. ولمن تكتبه؟

ـ نعم ، هذا في البداية والتالي!

ـ التالي يا سيدي تحدثت معي طبيبة اسمها هند تتكلم عن صورة لأمها وهي صورة سيئة .

ـ هند .. من هند ؟!

ـ هند غريب ..طبيبة من سكان حي بهية.

ـ هند غريب ..لا أعرفها ، وماذا يهمها من موضوع الصورة ؟ وكيف عرفت بموضوع اهتمامي بهذه الصورة ؟!

ـ جميل !! تركت هاتفها وترغب بلقياك والحديث معك .

ـ أين ؟

ـ اكتب الرقم ، واتصل بها .. وذكرت لها أنني لا علم لي بشأن الصورة .. وقلت لها إنك تكتب لنا بين الفينة والأخرى ، ولست موظفا لدينا .

وانتهت المكالمة ، وعلى الفور اتصل إدريس بسيف ، ولما رد عليه قال: أتعرف طبيبة اسمها هند غريب؟

ـ هند غريب ..ولماذا؟!

ـ أتعرفها ؟

ـ لا أعرفها ؛ ولكن أعرف من هي ؟

ـ من هي ؟

ـ إنها ابنة نبيلة خالد .

شهق وقال : المهندسة نبيلة خالد ! وهل تعلم عن قصة الصورة شيئا ؟ وروى له حديث رئيس التحرير معه وأنها تسعى لمقابلته .

ـ ولماذا تريد مقابلتك ؟!

ـ للحديث عن الصورة بالتأكيد .. هل سوزان لها معرفة بها ؟

ـ سوزان صاحبتنا !

ـ نعم ، إذا كانت بينهما اتصالات ، قد تكون حدثتها عن اهتمامنا بشأن الصورة .

ـ هي درست معنا يا أستاذ إدريس ؛ ربما ظلتا على صداقة بعد التخرج ..

وهي تعرف بقصة زواجنا وانفصالنا السريع .. فأعتقد أنها استمرت بصداقة مع نبيلة .. عليك الاتصال بسوزان وسؤالها مباشرة عن الموضوع .. وهل ستقابلها ؟

ـ سأقابلها بالتأكيد ، قد يكون لديها أسرار من أمها .. أليست هي التي أرسلت الرسالة لك ؟

ـ أعتقد أنها هي التي حملت الرسالة .. وهي من سكان الحي ، وطبيبة معروفة ؛ ولكن عملها في عيادة مع زوجها في منطقة أخرى.

ـ حسنا يا سيف إلى اللقاء ! سأتحدث مع سوزان أو أذهب وأُقدِّم لها صورة عن المذكرة التي ستنشر عن مقابلتنا كما وعدتها .

استقبلت السيدة وزوجها السيد الكاتب إدريس ، وقدم لها المذكرة أو التقرير الذي كتبه عن قصة تعلقها بالشيوعية والماركسية في الستينيات ، وعن نشاطها الحركي ، وعن مستقبل الشيوعية في عالم العرب .

أعجبت المرأة بالمقال ، وكذلك زوجها ، وعلقت : إنك مبدع يا أستاذ إدريس رغم أن الصحافة عندك هواية وليست احترافا!

ـ نعم ، لست محترفا يا سيدتي ؛ لكني أحسن الكتابة في كل المواضيع .. لديّ سؤال

ـ تفضل .

ـ هل كنت على صداقة بالمهندسة الراحلة نبيلة خالد منذ سنة ؟

ـ طبعا ، كانت صديقتي وابنة كليتي أيام الشباب .. كنّا نلتقي ونتقابل ؛ وإن كانت على فترات متباعدة .. هي أرستقراطية ؛ ولكنها زميلة كلية .. وكانت نجمة هادئة في الجامعة .. وهي التي تعرضت لمكيدة الصورة التي دار بيننا الحديث عنها .. ولماذا السؤال ؟!

ـ هل تعرفين ابنتها هند ؟

ـ طبعا ، وهي طبيبتي المفضلة.. ما الأمر ؟!

ـ الأمر أنها تريد مقابلتي للحديث عن تلك الصورة القذرة لأمها .

ـ آه ! قد أكون أنا السبب .. لقد ذكرت لها اهتمامك بموضوع الصورة والشقق السرية لصيد الفتيات .

ـ انتهى الموضوع .. المقال الآن جاهز إذًا لا ترغبين بالتعديل والإضافة .

ـ وهل اتصلت بك ؟

قال : لا ، اتصلت بالجريدة .. لا تعرف هاتفي .. فاستغربت معرفتها اهتمامي لقصة الصورة التي سببت انفصال أمها عن المهندس سيف الزوج الأول .

قالت : بعد مقابلتنا كان لي موعد مع الدكتورة هند في العيادة .. وعادة عندما نلتقي يكون حديثنا حول أمها نبيلة التي تربطني بها صداقة قديمة .. ولا أدري كيف تطرق الحديث إلى المقابلة والماضي وذكرك واهتمامك بالصورة ؟! تحدثنا عنها وأبدت اهتماما بذلك ، وقالت بجرأة: أتعرفين يا مهندسة سوزان من صور أمي تلك الصورة القذرة ؟ فأنكرت .. فقالت : ما زالت تؤرقنا وتنغص علينا .. فأنت تعرفين المهندس سيف الدين زوج أمي الأول .. فهو تعقد من النساء .. وترك الزواج ، ويعيش وحيدا من أجل تلك الصورة .

قبل أن يغادر منزل سوزان وعماد طلب منها ترتيب لقاء مع طبيبتها هند غريب ، ورغب أن يكون في منزلها إذا سمحت الظروف أو مكان عام ، فاختارت السيدة أن يكون اللقاء في مطعم معروف ، فقبل إدريس الدعوة ، وقال لسوزان: كيف اهتمت هي بالموضوع؟

ـ لقد جاء بيننا ذكر أمها كما قلت لك، فذكرتني الذكرى بالحوار الذي دار بيني وبينك وبين مراد ، فشدها الموضوع خاصة موضوع الصورة العقدة والتي اهتممت أنت بها بدورك .. وذكرت لي أنك ستسعى لحل لغزها ، وقابلت المهندس سيفا من أجلها .. وأنا أعتقد أن لها علم بحكاية زواج أمها الأول ، وطلاقها السريع .. ولا تنسى أن حضرة المهندس من سكان نفس الحي من أجل ذلك أحبت اللقاء بك شخصيا .

قبل هذا التعليل وودع إدريس السيد والسيدة ، وقال وهو يغادر البيت : عندما يتم النشر سأضع بين يديك بعض الأعداد .

ـ يسرنا يا أستاذ التعرف عليك .. وهل ستنشر المقال كما قرأته وكتبته ؟

ـ في الغالب نعم .. هؤلاء ـ يقصد رئيس التحرير ـ كما تعلمين يقدرون المسؤولية الأدبية ؛ ولكن خبرتهم تدفعهم أحيانا للتعديل أو الإضافة والحذف حتى لا يعترض على النشر .

ـ أما زالت الرقابة على الصحف ؟ ألم ترفع ؟!

ـ كلام يا سيدتي .. ولكنها أضعف من الماضي .. اليوم يمنعون النشر باسم القانون والإساءة وغير ذلك من المصطلحات الرنانة .

ـ موفق يا بطل .. من سيكون التالي؟

ـ بقي اثنان . وذكر اسما

قالت: ابدأ بالسيدة سمر ..كانت معنا في الجامعة في كلية التمريض ، وأغلب وقتها مع طلاب الهندسة ..كان لها حبيب أو صديق مهندس .

ـ أعرفه المهندس خالدا .. وتزوجا بعد الجامعة ، ثم وجدته مع امرأة أخرى في بيتها .

قالت : هو كان يعرف فتيات غيرها من خارج الجامعة ؛ ولكنها كانت الأولى والمقدمة .. والرجل تزوجها دونهن .. وهي كانت تتساهل معه في غرامياته وصدقاته مع أولئك النساء .. وبعد الزواج طلبت منه أن يعقل كما نقول .. ولم يعقل ، فعاشا أربع خمس سنوات ، ثم حدث

الانفصال .. وولدت له ولدا ثم مات ، ولما طلقها سافر إلى أمريكا.

ـ بلد الرأسمالية !

ابتسمت وقالت : لم يكن الاتحاد السوفيتي يستهوي الشباب المهاجر ، ولم يكن الشاب شيوعيا مثلها .. كان محبا للرأسمالية ربما جكرا بها وإغاظة لها .. وما زالت علاقتنا قوية معها .. وهي من الناشطات في ذلك الزمن.

فقال : ولما طلقت ؟

ـ تزوجت رجلا من الحركة ، وما زالا زوجين سعيدين .. وهي بعيدة عن أسرتها وإخوتها .

عاد إدريس لمصافحة السيدة على مدخل البيت ، ومكررا الشكر على الضيافة والمعلومات.

لَبس إدريس أحدث بذلة يملكها ، وانطلق إلى مطعم اللقاء في حي بهية .. وهو يعرف الحي معرفة تامة ، وتردد عليه كثيرا بسبب سيف الدين ومطاردته .. دخل المطعم ورأى الطبيبة تجلس على مائدة تحدق في الداخلين ، وبين يديها وردة بيضاء ، فابتسمت له ، وأشارت له ، فتقدم نحوها ؛ كأنه يعرفها من سنوات .. تقدم باسما ومصافحا وقائلا : الدكتورة هند!

ـ نعم ، السيد إدريس !

ـ نعم ، مرحبا كيف الحال ؟

ـ بخير .. تفضل بالجلوس .

جلس السيد قبالتها وقال : وحيدة!

قالت : نعم ، وحيدة أحببت أن أقابلك وحيدة ؛ولكنهم يعرفون خاصة زوجي بهذا اللقاء .. أنا والدي الدكتور غريب .. وجدي وزير صحة سابق وقديم .. وزوجي الطبيب محمود .

ـ أنا إدريس موظف سابق ..عملت في الوزارة عهدا ، ثم انتقلت للعمل في صحة البلدية .. أرمل يا سيدتي ، ومتقاعد في الوقت الحاضر .. أهلا بك .

حضر نادل المطعم بإشارة من السيدة المعروفة لهم ، ووضع أمامهم قوائم الطعام ، فقال إدريس : اطلبي أنت يا سيدتي أنا آكل كل شيء .. وأنا شاكر لك هذه الدعوة ،وإن كنت أحب أن

نتعارف على فنجان قهوة .

ـ هل عرفت سبب اجتماعي بك ؟

ـ الصورة .. ذكرت لرئيس التحرير الصورة القاتلة ، وقابلت المهندسة سوزان التي تحدثت معك عن الصورة .

ـ أعرف ذلك ؛ لأنها تكلمت ، وأنت عندها.

ـ أجل ، هذا صحيح .

قالت : أنا أعرف تفاصيل قصة الصورة يا أستاذ إدريس .. الصورة التي كانت سببا لزواج أبي غريب من أمي نبيلة .

ـ نعم ، هذه حقيقة .

ـ أنت لا تعرف أمي !

ـ أبدا ، لم أرها في حياتي .

ـ وكيف عرفت بقصة الصورة ؟

تبسم قائلا : من نفس المهندس سيف الدين حاكم وردة .. فقد تعرفت عليه من بضعة شهور هذه حقيقة .

ـ أنت تعرفه حق المعرفة .

ـ أعرف قصة زواجه ، ثم طلاقه لأمك بعد أسبوعين أو ثلاثة من زواجهما بعد قصة حب اشتهرت في ساحات وحدائق الجامعة .. وأمك ـ رحمها الله ـ كانت تجهل جهلا تاما كيف صورت تلك الصورة ؟ وقرأت الرسالة التي أرسلتها أمك ، وهي على فراش الموت تطلب من السيد المهندس أن يسامحها ، وتؤكد له من جديد براءتها .

ـ أوه ! أنت مطلع بشكل واسع على القصة .

ـ أجل يا سيدتي .. وأنا سوف أبحث عن الحيلة الماكرة التي صورت بها تلك الفتاة المسكينة تلك الأيام.

وضع الطعام المختار على المائدة ، ومسحت الدكتورة دمعات ، وقالت: أمي كانت مظلومة يا أستاذ إدريس .. كاشفتني بتفاصيل حياتها في الجامعة، ومع السيد سيف ؛ ربما لا تعرف السبب

ـ نعم ، لا أعرف السبب .

قالت : السبب أيها السيد أن قريبا لي ابن عم تعرف على فتاة من آل وردة من أقارب السيد سيف ، ورغب بها زوجة ، فصار لغط شديد ، وغضبت أم أمي جدتي ، ورفضت هذا الزواج وذكرت الجرح الكبير الذي أصابها من سيف آل وردة .. ونشرت القصة من جديد ، وفشل الزواج .. فاضطرت أمي أن تحدثنا عن تفاصيل تلك الحكاية ، لي ولزينب شقيقتي الصغرى .

ـ نعم ، جريمة الصورة .

ـ وأنت ما معلوماتك عن الصورة ؟ وما هو دور سوزان في القضية ؟

ـ لا دور لها ، هي كانت زميلة لأمك في الجامعة ولسيف ولمراد وغيرهم .. وكانت مطلعة على قصة الحب التي كانت بين أمك والمهندس سيف ، وصدموا بالطلاق الذي حصل ..وأثار لغطا واستهجانا بين الزملاء .. وانتشر خبر الصورة التي سرعت بالطلاق .. فالمهندس سيف شخصية صعبة ومترددة أقولها بصراحة .. ربما القرار الوحيد الذي لم يتردد فيه هو طلب الانفصال .. فقد أخذ الموضوع بحساسية شديدة .. وتسرع .. فهو اعتقد أن وراء الصورة لعبة ماكرة ، وأن الزواج العاجل وراءه أمر خطير تغطية لدعارة وإباحية .. وأنه مكر به وجعل غطاء كان مصدوما منذ شاهد تلك الصورة .. أمك كانت جميلة وفاتنة كما قيل لي ، وحولها أصدقاء وشبان في الكلية في النادي وفي الحي .. واختارته فارسا دون غيره .. فاهتز وصدم جدا عندما عرف بأمر الصورة .. وأمك ـ رحمها الله ـ أنكرت معرفتها للكيفية التي تمت بها الحيلة .. فشعر الرجل أنه مخدوع ؛ ولكني علمت من السيدة سوزان أن عصابات تعمل في الجامعات على تصوير بعض الفتيات بصور مريبة للابتزاز والدعارة ؛ فكأن أمك تعرضت للخداع ، فصورت بوضعية مزرية ، لا أعني أنها مارست الحب بسبب تلك الصورة الصورة كشف أمرها بعد حصول الزواج .. وكان القصد منها أن يحصل الفراق بينهما وحصل .. الهدف واضح من كشف

الصورة لسيف .. وليس لأمك أولا .. وعلمت من سوزان أن هؤلاء الخبثاء يصورون الضحية دون علمها ، وبعد شهور أربعة خمسة تعرض عليها تلك الصور الشيطانية .. فإما أن تستسلم لرغباتهم والانصياع لهم أو تثور ؛ والضحية لا تدري كيف صورت ومكر بها ؟ لأنها ربما شاركت بعشرات السهرات والحفلات بعد حفلة التصوير السرية .. وسوزان تعرف ذلك من بعض الضحايا التي التقت بهن ؛ لأن بعض الفتيات كانت تلتحق بالحركة اليسارية هربا من عصابات الدعارة .. وأكيد أنت تعلمين أن السيدة شيوعية مخضرمة من جيل الستينيات ؛ ولكنها رفضت ذكر أسماء لي .. وإنما بينت طريقة الابتزاز والخداع .. تستدرج الفتاة المحبة للحفلات والسهرات إلى شقق الزميلات اللواتي يسكن بسكن خارجي .. هي سهرة ومرح وغناء جر رجل كما نقول .. تتعرض المقصودة لتخدير في القهوة في العصير في الخمر .. تنقل إلى حجرة لإجراء التصوير .. ثم تعاد إلى مكان السهرة .. فتظن أنها نامت من الشراب من الطعام .. لا يخطر في بالها أنها صورت صورا قبيحة إباحية .. وبعد شهور تعرض عليها الصور فلا تدري كيف ومتى حدث هذا المكر ؟ فأعتقد أن السيدة نبيلة تعرضت لمثل هذا الترتيب الشيطاني .. ولم تعرض عليها الصورة أو الصور ؛ لأنه لم يحن وقت الابتزاز .. فخطبتها وزواجها أفشل المخطط .. فورطوا أحد الزملاء بكشف أمر الصورة لسيف .. وهو فعل ذلك آملا الزواج منها ؛ لأنه طاردها منذ التقيا في الكلية .. ولكنها اختارت سيفا دونهم .. أرشده مراد أحد المغرمين بالسيدة إلى بائع الصورة ، وابتاع منه الصورة في أحد مقاهي المدينة .

ـ هكذا روت أمي القصة أيضا .. كانا في حالة ذهول وصدمة .

توقف عن الأكل ، وقال : الحمد لله ، أنا حياتي الأكل في المطاعم ؛ لأنني لم أتزوج بعد ترملي أنت يا دكتورة لماذا اهتممت بأمر الصورة ؟!

ـ كانت أمي حزينة لما آلت إليه حياة المهندس سيف .. فهو ابن حينا وجارنا .. فأخباره عندنا وهو كما تعلم حبها الحقيقي الأول .. والظروف أجبرتها على الزواج من والدي .. فلم تنساه أمي .. وإن كتمت ذلك عن الجميع ، كان زواجها الآخر سريعا ؛ لأن أبي كان متعلقا بأمي قبل

زواجها من السيد سيف .. فنسيان الماضي لم يكن سهلا .. فقصة دامت خمس سنوات ـ سنوات الجامعة ـ لم يكن نسيانها سهلا عليها .. وسبب لها ذلك الكثير من النزاعات مع أبي .. أدركنا ذلك لما علمنا القصة .. أمي كانت تتخيل نفسها إحدى بطلات القصص والروايات المصرية الرومانسية والعاطفية .. ومأساتها عمقت هذا التعلق بتلك القصص .. حياة المهندس سيف العزوبية كانت تؤرق أمي .. لو تزوج بعد تلك الأزمة يا أستاذ إدريس ربما ارتاحت أمي .. ارتاحت نفسيا ؛ لكنه ظهر لنا أنه تعقد من جنس النساء بسبب تلك الصورة الرهيبة .. والنَّاس لا ترحم .. فكنا نسمع أن أمنا السبب .. لماذا لم يتزوج المهندس ؟ السبب نبيلة وهو اسم أمي .

ـ ألم تحدث أمك بعد حين من الزمن عن كيفية خدعت وصورت ؟ فسيف يعترف أن أمك أنكرت بكل قوة وشدة معرفتها للخدعة التي تعرضت لها .

قالت بحزن بين : ماتت أمي وهي تتمنى لو تعرف الخدعة الرهيبة لالتقاط تلك الصورة ..لا تذكر أنها نومت أو خدرت.

ـ إنها كما يقول سيف عارية تماما .

ـ أنا فكرة الشقق السرية الشقق السوداء المظلمة راقت لي .. وأنا في الجامعة في كلية الطب سمعت بمثل هذه الأماكن قبل أن تسمع من سوزان ؛ ولكني لم أكن أصدق ذلك .

قام الخدم بتنظيف المائدة ، وطلبت قهوة لها ولضيفها وقالت : حديثك عن تلك الشقق كأننا في عالم الجاسوسية .

ابتسم وقال : نعم ، يا دكتورة .. كانت إسرائيل وما زالت تستدرج شبان وشابات فلسطين للعمل كجواسيس وعملاء على أهليهم ، فيستدرجون إلى شقق خاصة بعد اختيار الضحايا فيخدر ويصور في أوضاع جنسية قذرة ، ثم يهدد بعرض الصورة الفاضحة عليه ؛ فإما أن يتعاون معهم أو تنشر هذه الصور أمام أهله وأبناء بلده .. فأمام هول المناظر يضعف ؛ ليكون عميلا لهم حتى يفتضح أمره .

ـ سمعت بمثل هذه القصص .

قال إدريس : وهذا الاحتيال يستخدم مع بعض طالبات الجامعة ، وأعتقد أن السيدة تعرضت لمثل ذلك الكيد .. والمدروس لا يعرف أنه مكر به إلا عند مشاهدة الصور .. فإذا طال الأمر لبعض الوقت سينسى متى خدع ومكر به ؟ وحين يكون الإنسان في سهرة ، وتناول مسكرات وأطعمة ثقيلة وقد رقص وتعب ، فلما يستيقظ سينسب ذلك للإفراط في الخمر والسهر .. لا ينسب الصداع والألم لتعاطي مخدر إذ أنه جاهل تعرضه للتخدير أو التنويم الإجباري .. هل يدرك الإنسان أنه خدر قسرا إذا لم يكن هناك علامات وإشارات يا حضرة الطبيبة ؟!

ـ التخدير الطبي يكون بعلم المريض أو مرافقه إن لم يكن واعيا نتيجة حادث أو ضرورة إن لم يكن معه أحد .. وهو جزئي وكلي حسب العملية المراد فعلها .. فطبيب الأسنان يبنج اللثة أو موضع العلاج .. والمخدر الطبي له مدة وكمية ، ويقوم به طبيب مختص في التخدير خاصة للعمليات الخطيرة .. ويراعى السن والصحة .. وتأثيره على الجهاز العصبي حتى لا يحس المريض بالألم أثناء الجراحة .. فبعد التعرض للمخدّر يفقد الإنسان الوعي وهذا الأصل .. فأما في الموضعي يتخدر موضع الجراحة ، ولا يفقد الشخص وعيه .. وأما تخدير السليم فيقصد به أن يفقد الشخص وعيه وتهمد أعصابه .. ولا يدري ما سيفعل به إذا خدر وهو واعيا ؟! .. أما غدرا فلا يدرك أنه خدر إلا إذا استيقظ ؛ وربما لا يدرك كما قلت ينسبه لعوارض من كحول ومخدرات نعس شديد أشياء أخرى .. إذا الشخص لا معرفة له بالتخدير لا يخطر على باله أنه خدر رغم أنفه .. قد يتعرض المخدّر إلى غثيان أو حاجة للقيء ؛ ولكنه لا ينسب ذلك للتخدير لأنه يجهل أنه خدر .. وقد لا تحدث له أعراض التخدير الكثيرة .. أما في حالة التنويم بالمنومات فقد لا يدرك أنه نوم بمادة منومة إذا كان متعودا على استعمال المنومات .

ـ ألا يشعر المخدر بما يفعل به ؟

ـ نوع المخدر وتأثيره وكميته له دور في ذلك .

قال : لو أمك فرضا أعطيت مخدرا في كأس شراب في طعام هل تحس أنها خدرت بعدما تستيقظ

ـ حسب معلوماتي أنها تدرك أنها لم تكن في وضع طبيعي.. وإذا أخذ الشخص جرعة غير مناسبة

قد يفقد الذاكرة ، وقد يموت .. آثار جانبية تظهر ؛ لكن قد لا يستطيع تفسيرها إن لم يتخدر من قبل .. وعندما يكتشف أنه تعرض لتخدير فسيتذكر ما حصل له من تخدير .. وأمي كانت تنكر بقوة تعرضها لتخدير في حفلة سهرة أو منوم .

ـ لكن يا دكتورة بعد شهور هل يفطن الإنسان أنه تعرض لذلك ؟ وإذا حضر المزيد من الحفلات هل يتذكر ؟

ـ الذاكرة لا تنسى .. تخزن الأحداث العقل الباطن .

قال : أنا سأجلس مع طبيب عمليات وغرف التخدير وأسمع منهم .. أنا فكرت بهذه القصة بعمق .. كيف يخدع الإنسان ولا يدرك أنه خدع ؟!

ـ كيف ؟!

ـ كيف ...! أحد يهمه أمرك .

ـ أحد . وتطلعت حولها وهمست: هذا ابني .

ـ نعم ، أراد أن يقترب منا ، ثم تراجع .

فابتسمت هند وقالت : أسامة تعال .. هذا الأستاذ إدريس .

قام إدريس مصافحا للشاب ، وقال الشاب: أبي قلق عليك .

قالت : اذهب إلى هناك واطلب ما تشاء .. لم يبق الكثير من الكلام .

ولما ابتعد الشاب قالت : وقفنا لكيف يا أستاذ إدريس .

قال : كيف ؟ أنا فكرت يا دكتورة ـ أنا حياتي القراءة والكتابة والفضول ـ لو فرضنا أنها تعرضت لمنوم .. فيشعر المنوم بالنعاس والنوم وينام حيث يكون أليس كذلك ؟

ـ بالتأكيد ؛ ولكنه قد ينتقل لغرفة النوم قبل أن يستسلم له .. الأصل أن ينام إلا إذا فسد مفعول المنوم أو لم تكن الكمية مناسبة أو أكل طعاما أضعف مفعوله .. المنوم يشعر بالاسترخاء ثم تنام العيون .

ـ هل لو نوم الشخص يفقد الوعي كالتخدير ،وأنه نوم رغم أنفه؟!

ـ سوف يدرك بعد الاستيقاظ أنه كان نائما .. إذا كان في حفلة وشراب وأكل وتعب قد ينسب ذلك إلى التعب والإرهاق .

ـ أعتقد أن أمك نومت رغم أنفها.

ـ لكن المنوم قد يستيقظ في أي وقت إذا حرك نقل أوذي بدنيا .. وإذا أعطي أكثر من اللازم ربما تكون حياته في خطر .. وقد يشعر أنه غير مكانه .. وهو سيظن أن أحدهم ينقله إلى غرفة نومه ويحس بثقل ويعلم أنه حدث معه شيء .

قال: جميل ! هذا المنوم لو ترك حيث نام في قاعة السهرة وعري وصور ، ثم أعيد كل شيء لموضعه ليعتقد عندما يستيقظ أنه كان في حلم في كابوس خاصة عندما يجد كل شيء كما تركه عندما نام من الأشخاص والأشياء .. هل يدرك ما جرى له سرا ؟ فهو سيعتقد أنه نام من التعب والشراب والرقص والطرب .

ـ ما دام لا يعرف المنومات قبل السهرة قد لا يظن أنه نام رغم أنفه .. لا يقع له أنه بلع المنوم وإذا حصل ذلك في آخر السهرة وبعد منتصف الليل

ـ صحيح ما دام أن الشخص لم يتعامل مع المنومات ، ولم يخبر بذلك في الأغلب لا يدرك أنه تعرض لغدر .. فينسب نومه للإفراط في الطعام والسهر والشراب وخاصة بعد تأخر الوقت .

ثم قال : جميل ! اتفقنا أن المنوم غدر ؛ ربما لا يدرك تعرضه لذلك لثقته بمن يسهر معهم .. وبعد نومه أعطي مخدرا حقنة أو شما هل يشعر بشيء من ذاك ؟

ـ أتعتقد أن ذلك حصل مع أمي.. تنويم ثم تخدير .

قال : أعتقد هذا يا سيدتي !

لقاء مع إياد

التقى الصديقان والزميلان القديمان إدريس وإياد ، ولما فرغا من الضيافة المعتادة لخص إدريس لصاحبه نشاطه في قضية الصورة التي دمرت أسرتين أو عائلات .

فقال إياد : التخدير بعد التنويم لا أعتقد حصوله .

ـ لماذا ؟!

قال : استخدام التخدير فيه خطر كبير على حياة المخدر .. فالجريمة أكبر من اللازم .

ـ قد يشرف على التخدير طبيب منحرف .

ـ والتخدير يفضّل أن يعطى على جوع كما يجري في العمليات الطبية.. ويعطى على طعام ؛ ولكن قد يخرج المخدر طعامه ويقيئه خاصة إذا كان التخدر كليا ليس موضعيا .

ـ قد يقيء المخدر كما تقول .. وإذا خدر سرا قد يعتقد أن ذلك بسبب الأكل الزائد الفاسد وعلل في جوفه .. وقد لا يقيء المخدر .. وكلامك يا إياد عن المخدر لعملية جراحية ليس لعملية اعتداء وتصوير حتى لا يشعر بالألم والجراح .. أما تخدير لغرض آخر قد لا يستغرق وقتا طويلا ساعة أو أقل كما تخدر الحيوانات في الغابات والبرية .

قال : أنا عندي فكرة حول الموضوع لهذه الحفلة .

ـ ما هي الفكرة الإيادية ؟

ابتسم إياد لرفيق الدرب وقال : الفكرة يا سيدي أنها أعطيت جرعة مضاعفة من المنوم حبتين وليس هناك ضرورة لنقل الضحية لمكان آخر من الشقة، تصور في مكانها بعد إجراء بعض التغييرات الديكورية .

ـ فكرت في ذلك ، وهم حريصون على أن لا تتذكر الضحية مكان التصوير .. ونبيلة خالد لم تعرف أين مكان الصورة ؟ تخلى الشقة من الأشياء ، ثم تعاد .. قد يكون حصل مثل ذلك حتى لا يشعر المخدر بنقله وتخدره .

قال إياد : وأنت تراهنّ لا يلبسن الكثير من الثياب لستر أجسامهم .. ملابس داخلية وقميص

وتنورة أربع خمس قطع ..

تنهد إدريس وقال : لا يحل اللغز إلا أحد شارك فيه أو شارك في مثل هذه الجرائم !

قال : أكيد ؛ ولكن لنا يا إدريس أعطينا قدرات على التخيل ؛ ولعل السيدة سوزان لديها المزيد من المعلومات عن هذه العصابات الداعرة .. وما العمل الآن ؟

ـ العمل يا سيدي أن نبحث ونبحث حتى نلتقي بأحد المجرمين إذا كان على ما زال على قيد الحياة .

ـ وهل تراه يعترف بعد مضي كل هذه السنين ؟

قال إدريس : لعله يعترف من باب المكابرة والغرور .. الطبيبة هند أذكر أنها لم تعترض على حدوث التخدير بعد التنويم كما اعترضت أنت .

ـ ولماذا اهتمت هند بالقصة ؟!

ـ الفضول .. وتركت لها أمها تلك الرسالة التي كتبتها لزوجها الأول ؛ لتهتم بالأمر إلى حد ما.. الحكاية كلها عجيبة .. فعادة هؤلاء الأثرياء المتأثرون بالغربيين الغيرة عندهم ضعيفة نحو النساء والبنات .. فهم عشاق الموسيقى والحفلات والسهرات والرقص والسكر .. ونساؤهم شبه عاريات .. وسيف عاش حياتهم ؛ ولكنه صدم بصورة زوجته ، ليس غيرة إنما خيانة ومؤامرة .

ـ الغيرة لا تموت ؛ بل السكارى يغارون على بناتهم وزوجاتهم ؛ لكنهم يتساهلون بالمقابل ؛ لأنهم يتطلعون لزوجات وبنات أصحابهم .. في هذه البيئة لا دور في حركة الغيرة بين الناس .

عاد إدريس يقول : يا صديقي نحن لا يهمنا عادات الأغنياء .. رجال أو نساء وتلك الطبقة من المجتمع .. فهذه الفئة موجودة في كل المجتمعات .. أنا تعرفت على الرجل ؛ وبعد مطاردة كما تعلم عرفت قصته وعقدته .. فأنا أسعى لمعرفة لغز تلك الصورة الماكرة يا إياد .. لعلي بذلك أدفعه لإعادة ترتيب حياته ويتزوج .. تقدمنا كثيرا .. وهو مقتنع الآن أنه خدع ، ومكر به .. وعرفنا أن السيد مرادا زميله في الكلية لعب دورا قذرا .. وما كان دوره إلا مجرد بريد حالما بالفوز

بنبيلة التي صدته كل السنوات.. وفاز بها سيف الأحمق الساذج بنظره .. والماكرون يعرفون حقده وحسده لسيف ، فاستغلوه بكل خسة .. المحبون من طرف واحد لا إيثار عندهم خاصة في جامعة .. وهو شاب مغرور وصياد نساء فقبل بنقل الرسالة لسيف عن الصورة ومكان إيجادها والتحقق من صحتها .. والمهندس المهزوز الشخصية الغر في تلك الأيام والفارس الفائز بقلب نبيلة ابنة مدير المستشفى والأكاديمي المعروف صدم من الطعنة وتخيل أشياء لا حقيقة لها وأنه غطاء لماجنة .. سنتان يتبادل معها النظر فقط ، ولولا رغبتها فيه ما صبرت وانتظرت ؛ ولكنها أدركت شخصية فارسها .. ويقال الحب أعمى .. ويخيل لي أنها ذات شخصية قوية ؛ ورأت أنها أحد أبطال الروايات التي قرأتها .. فلما طلبت منه الخطبة أسرع ، ولما طلبت منه الزواج لبى ، وتزوجا وهما على مقاعد الدراسة ..ولما شاهد الصورة صدم وظن أو اعتقد أنه ضحية .. ولا أعتقد من نفس الصورة .. فهو يملك صورا لها تكاد أن تكون عارية ، صورا بثياب المسبح وهي مبطوحة حول المسبح مع فتيان مع بنات .. والفتاة تصورت هذه الصور الفاضحة بملء إرادتها .. .. وسيف مثلها بصور السباحة .. أما التعري الكامل فهو صدمة .. ولا تنسى إيحاءات مراد مخيفة .. فظن أن التي تسمح لنفسها بمثل هذه الصورة تقدم جسدها على مذبح الدعارة والفجور وإلا كيف قبلت لقط هذه الصورة ؟ وتوهم أنها عشيقة لآخر أو أكثر .. فهو يجهل الكثير من حياتها الخاصة ؛ بل قال : وقع في قلبي أنها مومس ، وما أنا إلا تغطية والزوج الديكور ؛ ولذلك سرع في زواجنا ؛ لأنها هي التي طلبت مني الإسراع في الخطبة، ثم الزواج ، ومع ذلك أعترف أنها كانت بكرا ليلة الدخلة .. ولكنه سمع عن الأغشية الصناعية التي يخدع بها الذين يهتمون بالبكارة عند الزواج .

ـ وهذا صحيح سمعت عنه من بعض الأقارب وبعضهم يسميه الترقيع

قال : فهذا ما وقع في نفسه تلك الساعات عندما شاهد الصورة ظن أن الدماء مصطنعة .. وأنا لا أعرف تفاصيل مثل هذه الخدعة .. وكيف تنطلي على الزوج ؟ مع أننا نسمع أن بنات لا تزول بكارتهن إلا مع الولادة الأولى .. واعترف أن الكثير من رجال وشبان الحي لا يهتمون بهذه

القضية .. ولا يَرَوْن عيبا وعارا أن يدخل الشاب على فتاة ويجدها غير عذراء ..لا يهمهم ما قبل الزواج ، كما أن الشاب قد يكون زانيا قبل الزواج ..فلماذا يدقق بعد الزواج؟

ـ أولئك زواجهم مصالح ومال وثروة .

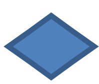
ـ صدقت ، فرأى الانفصال وبأسرع وقت قبل أن يجد لديه طفلا من ماء غيره .. ونبيلة دافعت عن شرفها وعفتها ؛ ولكنها لم تستطع تفسير وجود هذه الصور في حياتها ..وأقسمت أمام أبيها أنها لم تتعر أمام كاميرا أو مصور سواء كان ذكرا أم أنثى .. وقبل والدها الانفصال دون شوشرة وخصام ، وجرى الطلاق بكل روية وبساطة ؛ ولكن القصة لم تنته عند سيف ، فقد ظل رافضا الارتباط بأنثى نتيجة هذه الحادثة .. والمرأة أحست بالألم والمرارة والمعاناة بسبب عزفه عن الزواج .. وهي التي تزوجت وأنجبت .. فكانت الصورة كارثة لسيف وعقدة ، ومضت السنون دون أن يكشف أمرها .. من صورها ؟ وكيف صوروها ؟ حتى وصلت القصة للسيد إدريس .. ولما علمت هند أن أحدهم مهتم بقصة الصورة أحبت اللقاء به ؛ لأن أمها ماتت وهي قلقة نحو زوجها وحبيبها الأول.. وتريد تشجيعي للاستمرار بالبحث عن كيفية حدوث اللعبة .

وقال أياد : وعرف إدريس الحيلة والشقق المستأجرة لتنفيذ الجرائم الجنسية على مذابح الشهوات والإباحية .. وماذا يفعلون بالضحايا ؟

ـ يصبحن يا سيدي كما تقول المهندسة سوزان عشيقات لرجال البزنس مقابل المال ..قسم للقواد وقسم للضحية .. هناك بشر يمارسون الدعارة بعلم زوجاتهم ، وآخرون دون علمهن

تنهد إياد أسفا وألما : للأسف أيها الصديق الإباحية والدعارة من أكبر أسواق التجارة العالمية في أنحاء العالم كله ،حتى أن بلادا دخلها القومي من الدعارة والشذوذ والانحرافات الجنسية .. استغلال مرعب قاتل للثروة والأمراض الجنسية المدمرة كالإيدز .

ـ هذا صحيح وخطير وعقاب!



كانت السيدة سمر تستقبل إدريس بناء على توصية من صديقتها سوزان ، وكانت السيدة قد عملت ممرضة في مستشفيات الحكومة الرسمية، وتقاعدت واشتغلت في مستشفى خاص بضع سنين ، وهي اليوم متقاعدة من عدة سنين ، واستقرت في البيت .

فرحبت هي وزوجها وبعض أفراد أسرتها بالكاتب إدريس ، وجلسوا في صالة المعيشة ، وبعد الترحيب والتعارف وبيان الغاية من هذا اللقاء تركت الأسرة الغرفة لهما ، وقد بدأت تتحدث عن حياتها في الجامعة في مطلع الستينيات ، وكيف انضوت تحت الحركة اليسارية والشيوعية العالمية ، وتحدثت عن نشاطها في الإعلام وغيره ، وجرها إدريس بذكائه إلى ذكريات الشباب والسيدة نبيلة خالد والصورة .

فقالت : مدام نبيلة كانت فتاة فتنة للناظرين ، وأنت تعرف أن الفتاة الجميلة تلفت نظر الشبان إليها أكثر من الدميمة والسمراء ، خاصة في مجتمع شرقي .. وكيف في مجتمع جامعي متأثر بالحضارة الغربية ومبهور بها ؟! مجتمع حرية واختلاط .. وكانت الفتاة ابنة مدير وأكاديمي معروف في الجامعة وعلى مستوى المدينة كلها .. وكانت مع جمالها الفاتن تتبرج تبرجا مغريا ومثيرا للشباب الصغير الذي ما زال يعاني من فترة المراهقة والإباحية التي اجتاحت العالم بعد الحرب الثانية ، حتى أن المجتمعات الغربية ضجت وانزعجت منها .. فكيف ببلاد محافظة وتقاليد طال عليها الزمن ؟! كانت مهوى كل طالب معها .. وكانت ترافق في حرم الجامعة الجميع ذكورا وإناثا ؛ ولكن لم نسمع أن أحدهم كون معها صداقة خاصة ، وفاز بها كحبيبة وصديقة يا أستاذ إدريس.. هذا كان قبل تعرفها على سيف كحبيب .

وكان إدريس يهز رأسه ، وهو يسمع هذه المعلومات ، ومستغربا مما يسمع، وتابعت : كانت تصرح أمامنا بحبها لسيف الطالب الخجول سيف وردة .. وسمعنا أنه كان ولها بها ؛ ولكن لم يعترف لها بذلك الحب إلا بعد مضي أكثر من سنتين يا إدريس .. عرفنا بحبهما .. وهما كانا من أبناء الطبقة الغنية ،، ويسكنان نفس الحي حتى أن نبيلة احتفلت بمناسبة إعلان هذا الحب .. وذهبنا للغداء في أحد المطاعم الضخمة في قلب المدينة ؛ ربما كلفتها الدعوة مائة دينار في ذلك

الوقت .. قارن بنفسك.. كانت سعيدة بهذه العلاقة .. وكانت بعض الزميلات يستغربن هذا العشق لشاب يرونه معقدا وكثير الخجل ، وقليل الاختلاط بالصبايا .. وترفض أي كلام سيّء عنه .. كانت تحبه بصدق ، وليس مجرد فترة جامعة وانتهى ؛ ولكنها ظلت كما اعتادت تحادث هذا وذاك وكما عودتنا بقيت تشارك في الرحلات ، وتقول فترة الجامعة لن تعود .. وتشارك في النشاطات والحفلات والمناسبات ؛ ولكنها كانت تعادي الأحزاب .. ولم يجلبها أي تيار مثلي ومثل سوزان .

وبعد لقط نفس تابعت : تلك الفترة من الزمن كان أكثر طلبة الكليات العلمية كالطب والهندسة والصيدلة والتمريض من أبناء الطبقة الغنية في المدينة لارتفاع تكاليف الدراسة ماديا وهي مازالت مرتفعة اليوم كما ترى ؛ لذلك كنت لا تجد في تلك الفترة من أبناء الطبقة الفقيرة الكثير في تلك الكليات سوى المبتعثين على نفقة الوزارات الجمعيات وأصحاب المال .. وكان أهلوهم يتحملون مصاريفهم اليومية وأثمان الكتب والنقل واللباس ، فتجد بينهم معاناة بين شهر وآخر.. ولا ننسى أن بعض البعثات كانت تؤمن لهم الكتب وبعض المصروف .. ولكن النشاط الجامعي يحتاج لمزيد من الدخل والمصروفات ؛ لذلك كان يسقط البعض في قضايا أخلاقية كترويج الجنس والمخدرات لمزيد من المال .. ولا يعني هذا أن أناس الطبقة الغنية لا يحصل منهم هذا .. والطالب إذا لم يكن يحمل مبادئ تحميه من الفساد فسقوطه أسرع من غيره فكنا نسمع ونعرف بعض الفتيات تبيع جسدها من أجل المال ..وهناك من أجل الشهوات والمتعة .. وطلاب المساكن الجامعية يحصل منهم التفلت أو الذين يسكنون حول الجامعات لعدم حصولهم على سكن جامعي .. والفاسد يحب أن يرى كل الناس فسدة مثله .

ـ هذا قاعدة مهمة ومعروفة في علم الحياة والأخلاق .

وقالت : وكان رجال الطبقة الأرستقراطية ورجال المال يحبون إقامة حفلات وسهرات ماجنة ويحبون تواجد الفتيات الجميلات والجامعيات في تلك السهرات ، ويدفعون المال والذهب والجواهر مقابل سهرات حمراء يسمونها .. وموانع الحمل يوفرونها ، وأطباء الإجهاض

يغامرون إذا فشل المانع وحصل الحمل .

فقال إدريس : وكانت بعض الفتيات تقاوم هذا فيتعرضن للكيد والاحتيال في شقق الشيطان

ـ نعم ، هكذا الأمر تجر الفتاة المانعة والفاتنة إلى تلك البيوت باسم حفلة باسم العام الجديد باسم الفصل الجديد حفل وداع حفل ترحيب ..سهرة باسم عيد ميلاد عيد العشاق أسماء كثيرة تتردد وتسمع .. وهناك يرتب للضحية بخبث وشيطنة .

ـ وبواسطة التخدير تجرد من ثيابها وتصور صورا إباحية بأوضاع خطيرة ، فلما تَر الفتاة تلك الصور تظن أنها بائعة هوى مومس .

ـ فإذا كانت الفتاة الضحية ضعيفة مهزوزة لا تستطيع المقاومة تصبح فريسة سهلة للصيادين فبعضهن يسقطن بسبب الخوف من القتل من قبل أهليهن أو الحرمان من الجامعة والدراسة فتستلم للجلاد .. وبعضهن يهرعن للحركة الشيوعية كحماية لهن من الدعارة أو التيارات اليمينية المتشددة .. ورغم أن الجنس ليس مهما لدى الحزب ؛ لكنهم لا يقبلونه بهذه الطريقة الدنيئة والاغتصاب والإكراه .. فهؤلاء رغم قبحهم يخشون سطوة الأحزاب ؛ لأنهم سيشهر بهم ويفضحونهم .. فهذه إحدى وسائل النجاة من براثن عصابات الإباحية .. وصورة نبيلة شاعت في الجامعة بسبب الزواج والطلاق السريع.. ولم ير أحد تلك الصورة بعينه.. وبنات الأغنياء صعب ابتزازهن بالصور ، لسن بحاجة لمال ؛ وإنما تستغل صورهن إن كان لهن عشاق يرسمون للزواج منهن .. وفي الغالب يفشل هذا الأسلوب .. فكانت المخدرات السلاح الموصل لهن أو هنّ يهوين تلك الحياة الماجنة ..وأن الاستمتاع بالحياة والجامعة مرة واحدة في العمر .. وكما نسمع أن أهليهن لا يهتمون لبكارتهن كما يهتم بها أبناء الفقراء والطبقة المتوسطة العفة مهمة عند هؤلاء .. فهي صورت من أجل تدمير حياتها الزوجية وطلاقها .. راج في البداية أن مرادا وراء الصورة لعشقه الكبير لها.. ثم تبين أن لا يد له في الصور ؛ وإنما هو مجرد بريد .. ضربة وصابت كما يقال .

ـ كلام جميل وتفسير جديد يا سيدتي ! نعم ، لم تصور لاصطيادها للدعارة .. الهدف إفشال

حياتها الزوجية .. لقد استمعت لقصة الصورة من المهندس مراد والمهندسة سوزان ومن زوجها شخصيا المهندس سيف ، وأصبحنا أصدقاء من وراء هذه الصورة .. نحن وصلنا بالمعلومات حولها إلى تلك الشقق ؛ ولكن لم نعرف مكان لقط الصورة ، ولا كيف صورت ؟ أسمعت شيئا بها أنك كنت طالبة تمريض ؟!

ـ أنا سمعت عنها ، وعن غيرها لأني أعرف بعض الطلبة من كلية التمريض مشاركين للأسف في عملية الاصطياد للفتيات .

ـ من أجل المال المال .

ـ المال الدافع الأهم ، كان يدفع بسخاء ، كانت الحفلات الخاصة قد تكلف خمسمائة دينار في ذلك الوقت طعام شراب خمر صور .. أما قصة صورة نبيلة فأرى أنها كانت مختلفة ؛لأنها لم تكن بحاجة لمال .. وكانت تلبس ثيابها مستوردة ، وكلها ثياب قصيرة ، تكاد تكون عارية ، وكانت تشاهد في مسبح كلية الرياضة بالمايوه ؛ لكن لماذا صورت وعرضت تلك الصورة على زوجها لا أحد ممن عرفته عرف ، ولولا الزواج السريع لما كشف أمر الصورة .. كان الأمر حقا غريبا يا أستاذ .. علمت من سوزان أنك التقيت بابنة نبيلة الدكتورة هند .

حدثها بإيجاز قصة لقائه بهند ، وهي عرفت باهتمامه بأمر الصورة من حديثه مع السيدة سوزان وطلبته عن طريق الجريدة التي يكتب لها ، وذكر أنه اهتم بقصة الصورة عندما تحدث مع مراد وذكريات الستينيات .. وكانت الحكاية طريفة ، ثم تعرف على سيف ، وأنه سيتابع قصتها بعد إنهاء المقابلات الأربعة ، وبين لها أنها الثالثة في حديث الماضي والشيوعية العربية .

قالت : أنا أيضا أعرف الطبيبة هند ؛ ولكني لا أتعالج عندها .. لقد عملت في مستشفى حكومي قطاع عام ، ثم مستشفى خاص قطاع خاص كما يقال .. وما زلت أحمل وثيقة علاج مجاني أو ما يسمى بالتأمين الصحي .. هل حدثتك عن علاقة أمها بأبيها الدكتور غريب الذي أعرفه بحكم عملي في الحكومة ؟

ـ لا ، لم تحدثني بأمر خاص، هي رغبت بسماع ما عندي حول تلك الصورة .

قالت بحيرة : لا أدري هل يحق لي أن أقول أم لا ؟!

ـ أنا مستعد للاستماع .. وهذا يرجع إليك ، وإذا كان مهما ومثيرا ويساعد في قصة الصورة .

ـ لا دخل له في أمر الصورة ، لم يكن السيد غريب وراء الصورة ، ولا هو الذي طلب من مراد إخبار سيف بأمر تلك الصورة .

ـ أثرت شهيتي .

قالت : لن أثير شهيتك وفضولك .. أنت تعلم أن سيفا تزوج نبيلة قبل هذا الرجل .

قال : نعم ، أعرف أنه السبب في سرعة زواجها .. حدثني سيف عن قصة زواجه العاجلة إعلان الخطبة بسبب ظهور غريب كزوج منتظر الزوج القادم من أوروبا ، ثم الزواج بسبب الوزارة .

ـ نعم ، أنت تحدثت مع سيف بالتفاصيل .

ـ هو اعتزل النساء ؛ بل صدم منهن أو منها .. ولم يعد يعير النساء أهمية وما زال .

قالت : أنا بعد التخرج الجامعي لم أعرف عنه شيئا ، ولم ألتقِ به يا سيدي ؛ لكن ظلت علاقتي بنبيلة إلى أن ماتت ؛ ربما بسبب علاقتي الخاصة بسوزان .. والمهندسة نبيلة تزوجت بالدكتور غريب فور فشل زواجها من سيف وانتهاء العدة المعمول في المحاكم الدينية .. أنت مسلم يا إدريس !

ـ أنا مسلم يا سيدتي! .. وأصوم وأصلي الصلوات الخمس ، وأديت فريضة الحج ..وأعمل في الصحافة بشكل غير احترافي .. لست صحفيا رسميا .. أكتب لصحيفة أسبوعية أو أكثر .. أعلق على كتاب ، ألخص لهم كتابا اهتم به الرأي العام .. مقالا حول موضوع معين .. إجراء حوار مع شخص معين .. وأنا أكتب من أيام الجامعة .. ولي سنوات أرمل أعيش وحيدا .. هذا ملفي الشخصي .

ـ أنا حدثتني سوزان عنك .

ـ وأنا لي معارف وأصدقاء من جميع الفرق والأحزاب بحكم السن والعمل .. كنّا نتحدث

عن زوج نبيلة ، وهو ما زال على قيد الحياة .

ـ أعتقد أنه تزوج بعد ترمله بأسابيع .

ـ لم أسمع بذلك !

ـ ولا من سيف ؟!

قال : أعتقد أنه لا يعرف أو يعرف وغير مهتم .. فهو ربما لم يره في حياته .

قالت : نبيلة يا إدريس تزوجت طبعا بعد مصيبة الصورة المشهورة آنذاك .. ولم يكن والدها المعروف تلك الأيام ـ لعمله في الجامعة ، ثم لكونه مديرا لمستشفى الجامعة الطبي ـ بالمتشدد والمتعصب دينيا .. فعرض ابنته على الدكتور غريب ؛ لأننا سمعنا من نبيلة أنه رغب فيها فور عودته من بريطانيا حيث درس ، وقبل بها رغم أنها أصبحت مطلقة .. كان له هوى فيها .. وكان الدكتور خالد قد أصبح وزيرا .. فقربه وعينه في مستشفيات الدولة .. فهو صهر الوزير ولكن الوزير مات بعد الزواج بشهور ، وفي أول عام يعمل فيه كوزير .. وقد شيد لها والدها قصرا في الحي .. وبعد حين يسير بعد موت الوالد تمرد غريب على امرأته وأهلها .. وأصبح من زمرة رجال السهرات والفنادق والعلاقات الجنسية خارج بيت الزوجية .. قبلت نبيلة هذا الوضع المزري ؛ لأنها أصبحت أما .. والرجل فهو ابن الغرب بالنسبة للعلاقات والشراب .. ولم تقبل أمها وأسرتها الطلاق ثانية ، وعليها الصمت .. هذا سمعته منها ومن بعض أخواتها فقد سجلت عليه قضايا أخلاقية لم يكن الزوج المثالي .. فقد أوقف فترة عن العمل في قضية اعتداء على قاصر .

ـ أنا أدركت أن علاقته بالأسرة علاقة مصلحة وطمع وانتهازية .. والدكتور خالد لو كان مقتنعا به ما زوج ابنته البكر لسيف قبله .

ـ هذا صحيح ، واعترفت لنا نبيلة بذلك ، ربما لتبرر زواجها منه ، وخيبتها فيه .. لكن بعد طلاقها لم تجد هي ووالدها وأمها مجالا للرفض .. وكان طلاقها كما تعلم صدمة للجميع ، حتى نحن معارفها في الجامعة صدمنا ، لما عرفنا من قوة حبها لسيف .. وكانت له امرأة وسيدة بيت،

وولدت له بنتين وشابا .

قال : زينب وهند .

ـ زينب الصغرى صيدلانية ، وخالد طبيب مثلهم .. وهو أكبر أولاد وهم كلهم أطباء ما عدا نبيلة .. وزينب أرملة منذ سنوات .. وطلبت مني أمها قبل موتها أن أجد لها زوجا ، وأرسلت لهم اثنين ، فلم يقبلوهم

ـ ألها أولاد ؟

قالت : زينب لها بنت واحدة ، وتعيش وحيدة في فيلا في حي بهية .. تزوجها أنت يا إدريس ما دمت أرملا مثلها .

قال بدهشة من العرض : أنا.. أنا الفقير الغلبان يا سيدة سمر !

قالت بنوع من الحماس المفاجئ : صدق إذا كان لك رغبة في الزواج أنا أتكلم معها .. أنا أو سوزان .

قال بنفس الدهشة لتحول الموضوع إلى زواج : لن تقبل بي .. أنا ضعيف جنسيا .. وكنت أعاني من عدم القدرة على التلقيح والإخصاب .

قالت مشجعة الفكرة التي ولدت : اليوم لدينا التلقيح الصناعي، إذا كانت القضية قضية تلقيح أسمعت بطفل الأنبوب أو المختبر ؟

ـ أسمع ومن لم يسمع به ؟!

ـ نجاحه قليل ؛ ولكنه يثمر إذا حلمت بالزواج .. فالسيدة زينب جيدة ، وهي متدينة على غير عادة أهلها وحيها .

ـ ماذا تعنين بمتدينة ؟!

قالت :كان زوجها مسلما مصليا ويصوم .. علمها ذلك .. وترتدي الزِّي الديني .. وتفعل كما تفعل المتدينات .

قال بنوع من المزح : وهل تقبل بي ؟!

ـ أعتقد أنها تقبل إلا إذا نظرت إليك نظرة أرستقراطية .. فزوجها كان يعمل في الحقل الطبي فهو مثلنا مهندس طبي .. تعرف الطب اليوم آلات ماكنات أجهزة طبية كثيرة .

ـ أعرف هذه المهنة .

ـ فهو يعالج هذه الأشياء الوظيفية الكثيرة .. إذا قبلت بها مبدئيا سأسعى بنفسي بذلك

ضحك إدريس وقال : أتزوج بعد عشرين سنة عزوبيا ؟ ..أنا لا أصلح للنساء .

ـ أنا أدرك أن طبيعتك ضعفت أو ماتت إلا إذا ...

قال مقاطعا : بدون إلا إذا .. إنها تعيش في بيئة متحررة يا سيدتي .. أنا لا أشرب الخمر ، ولا حتى الدخان أقربه .. وأنا مدمن مقاهي ، وأجلس فيها يوميا ، ولا ألعب الورق وغيره ؛ إنما أتفرج على الناس .. أنت لماذا فتحت موضوع الزواج ؟!

ـ لما ذكرت أمر صلاتك وحجك تذكرت السيدة زينب .. فخطر في بالي الزواج وقلت أمها طلبت مني ذلك .

ـ أمها مهتمة بزواجها.

ـ نعم ، ومنذ هلك زوجها .. لا تريد زوجا منفتحا على الحضارة الغربية الخمر ولحم الخنزير والرقص .. تريد رجلا متدينا إلى حد ما .. وأنت مناسب .. وأعتقد أنها طلبت مني ذلك مع أنني لست متدينة ؛ ربما لأن لي أخا شيخا كبيرا .. شقيقي إمام مسجد كبير في المدينة .

ـ شقيقك إمام مسجد ..وأنت يسارية شيوعية !

ـ هكذا الدنيا ، فهي ظنت أن أخي الفاضل قد يستطيع تحقيق ذلك .

قال بتعجب : فهمت الآن!

شقيق سمر

تفاجأ إدريس بحق بأن يكون للشيوعية سمر شقيق دكتور في الشريعة الإسلامية ، وإمام لمسجد
واليوم الشيوعية ماتت في بلادها الروسية ، وأصبح الحزب الشيوعي الروسي من أضعف الأحزاب ، ولم يعد يحقق نوابا في مجلس الدوما الروسي ، والشيوعية خفت على مستوى العالم بانهيار الاتحاد السوفيتي ، ورفضت سمر الحديث عن أخيها وعنوانه ومسجده ، واستعان بإمام مسجد الحي ، فتوقع عدة أسماء وقال : ما اسم السيدة كاملا ؟

ـ لا أعرف إلا اسمين سمر عمران .

ـ افتح دليل الهاتف ..أغلب الأئمة يملكون هواتف منزلية للتواصل مع الإدارة .. وغدا عند الدوام الرسمي سأتحدث مع الإدارة لمعرفة عنوان مسجده ومن هو ؟

ولكن دليل الهاتف الأرضي سهل المهمة ، واستجاب الرقم المنزلي ، وتفاجأ الإمام بالطلب ، واعترف بأن شقيقته كانت إحدى كوادر الحركة اليسارية الإلحادية في المدينة .. وذكر له السبب باختصار .. وطلب منه مقابلة شخصية قصيرة .. ووافق الدكتور سمير عمران ، وحدد أن تكون بعد صلاة العشاء في مسجده .

وفي الليلة التالية كان إدريس يصلي العشاء وراء الشيخ سمير في مسجد الأندلس العربي ، وبعد الصلاة صافح إدريس الإمام معرفا بنفسه . فقال الدكتور باسما : أهلا وسهلا ..أنا في انتظارك هيا إلى مكتبي في البيت .

كان الدكتور سمير يسكن في شقة ضمن نطاق المسجد ، وعرض الرجل العشاء على ضيفه ، فاعتذر إدريس وقال : الشاي يكفي . ثم بين له سبب المقابلة ، ثم عقب ختاما : حقيقة يا دكتور أصبت بالدهشة أن يكون هناك دكتور شريعة ، وشقيقته من الأسماء اللامعة في الحركة الشيوعية

ـ لا تعجب من ذلك يا سيدي! كان نوح مؤمنا ، وكان ابنه وزوجته كافرين .. هذا يحدث في دنيا البشر .. أليس كذلك ؟!

ـ صحيح ؛ لكن كيف ؟

ـ أنت تكتب كما فهمت منك بعض المقالات عن الشيوعية ، وكيف اعتنقوا هذا الفكر المريض اليساري الإلحادي ؟ وكيف يَرَوْن أنفسهم بعد زوال قلعة الإلحاد العالمي الاتحاد السوفيتي ذلك السقوط المدوي؟ لكن الشيوعية كفكرة لن تموت ، هي فكرة قديمة تطورت وستبقى ؛ لكن لن تعتمدها دولة كمنهج حياة حتى الصين خرجت من عباءة الشيوعية اللينينية والستالينية من أيام ماو وخروتشوف

ـ نعم ، هذان هما السؤالان اللذان سعيت للإجابة عليهما من تلك المقابلات والذكريات ؛ ولكن خلال الحديث تحدث قصص فرعية ؛ فإما أن نتوسع فيها أو نختصرها ..فلما قابلت السيدة سمر أحد الأشخاص الأربعة الذين أجريت اللقاءات بهم ، كشفت لي أن لها شقيقا متدينا ، ويعمل في وزارة الدين فاستغربت فعلا .

قال سمير : ولماذا كشفت لك الأمر ؟وهذا ليس من عاداتها!

ـ هناك سبب لا أدري هل أتكلم عنه أم لا ؟

ـ هل هو سر ؟

فكر لحظات ثم قال : ما هو بسر.. سأقول لك .. هناك امرأة أرملة لديها بنت أرملة ترغب بتزويجها من شخص متدين ؛ لأن البنت متدينة إلى حد ما .. ورأت أختك أنني المناسب بصفتي أرمل من عشرين سنة .. ولما علمت أم البنت بأن لسمر شقيقا يعمل إماما طلبت منها ذلك .. وهي بالتأكيد لم تكن تعرف ابتعادكم عن بعض .. فهم يريدون متدينا بدون لحية وبدون ثوب قصير ؛ لأن الفتاة من طبقة ثرية وطبيبة صيدلة ومن سكان حي بهية التاريخي .. وسبب تدينها كما فهمت من السيدة سمر من زوجها المتدين .. فمنعها من السفور والتبرج ، وأثر فيها دينيا كما فهمت من سمر .. فهي بعيدة عن الخمر والدخان والمجون ؛ وكأنها ترفض زواج أحد من تلك المنطقة أو غير متدين .. فقد أرسلت لهم سمرا رجلين ، وتم رفضهما وكأن السيدة رأت فيّ زوجا مناسبا مع أني من طبقة متوسطة .. موظف متقاعد .. وأنا متأكد أن سمرا لم تتحدث معك في مثل هذا الموضوع .

قال مبتسما : هذا صحيح يا أستاذ إدريس! هل ذكرت لك سمر كيف كفرت بالله وأنكرت وجوده وتركت الإسلام ؟

ـ نعم ، ذكرت كيف أصبحت شيوعية ؟ لأن هذا جواب السؤال الأول للمقابلة .

ـ دعني أسمع ؛ ربما أضفت لك شيئا لم تذكره لك .. أكتبت المقال ؟

ـ نعم ، سهرت عليه أمس ليلة امس ، ولما يجهز ـ طبعا ـ سأعرضه عليها ، ثم يقدم لرئيس التحرير ، وقد يضيف أو يعدل .

ـ ماذا قالت عن بدايتها الإلحادية ؟

قال: تعلم أن كل من يتكلم عن نفسه سيبدو للقارئ بطلا.. القليل من يعترف أنه إنسان بسيط ونكرة ..كلهم أبطال .. ويتوهم أنه قابل خروتشوف وبريجنيف .

هز سمير مؤكدا هذه الملاحظة : الكل أبطال .. صدقت !

ـ أنت أكيد تعرف الشيوعية والماركسية ، وكيف نشأت ونمت في أوروبا ثم روسيا ؟

ـ لولا الحرب العالمية الثانية لماتت الشيوعية أو حصرت في الاتحاد السوفيتي .. الشعوب الأوروبية لم تقبلها ؛ لكن تحالفها مع الرأسمالية ضد النازية والفاشية التي أرعبتا أوروبا رفع من شأنها .. فالانتصار أعطاها دفعة قوية على مستوى العالم .. وصارت حلما للشعوب المستعمرة من قبل الرأسمالية .. وظنت أنها الخلاص .. وخاصة لما تحررت الصين باسم الشيوعية .. وكما استطاع الروس الاستيلاء فور انتهاء الحرب على برنامج القنبلة الذرية فأصبحت ضخمة في عيون الضعفاء .

قال إدريس : تكلمت السيدة أنها تعرفت على الشيوعية من بعض فتيات مدرستها الثانوية ، وأولئك الفتيات عرفن الشيوعية من آبائهن وأقاربهن ، وكانت تقرأ بعص البيانات الثورية السرية داخل المدرسة ..وكان حلمهم الكبير أن تعم الشيوعية العالم كله كما غمرت روسيا والصين وكوبا وأوروبا الشرقية .. ولما أدركت إحدى الفتيات حماسها ورغبتها ألحقتها بإحدى الخلايا السرية ، ثم اكتشفت أن قريبا لوالدها شيوعي ، فازدادت حماسا للانخراط في العمل

الشيوعي، واهتم بها الرجل القريب ، ونشطت حركتها داخل الحركة الطلابية بنشر الأفكار الشيوعية ، وتوزيع البيانات والنشرات والتعليقات .. وتبناها الرجل وشجعها وبين لها محاسن وأحلام الشيوعية العربية بأن تلحق في ركب الدول اليسارية ، والتحرر من أذناب وبقايا الاستعباد الغربي .. وتعلمت منه ومن غيره رسائل ماركس وأعلام الفكر الشيوعي .. ولما دخلت الجامعة أصبحت منظرة نشطة في خلايا الشيوعيين في كليات الجامعة المختلفة .. واستمرت على ذلك حتى تخرجت ، ومن ثم نشطت داخل الحزب .. وظل نشاطها السياسي قويا ومعروفا حتى نام الاتحاد السوفيتي ، فخفت صوتهم ، ويعيشون على الذكريات .

قال سمير بعد تنهد وحزن : لقد اعترفت لك أنها الشيوعية الوحيدة في بيتنا .

ـ لا ، لم تتحدث عن أسرتها الكبيرة ؛ لكنني علمت أنها تعلقت بشاب في الجامعة .. معذرة يا دكتور سمير .

ـ تكلم بكل راحة .. أنا أعرف أختي الملحدة .

ـ المهم علمت من بعض رفيقات السيدة أنها أحبت شابا له نفس الميول الإلحادية ، وكان الشاب كثير العلاقات الغرامية كغيره من شباب الجامعة تلك الفترة من حياتهم .. ومع ذلك استمر حبهما وتزوجا بعد التخرج ، ثم طلق الرجل الحزب الشيوعي ، وهاجر إلى أمريكا رأسماليا ، ثم تزوجت زوجها الحالي الشيوعي مثلها .. وأنجبت منه ثلاثة مواليد .. وهي اليوم حزينة لما آل إليه الفكر الشيوعي وسقوط الشيوعية كدولة في كثير من الدول الشيوعية ، وتحولها لأحزاب ضعيفة كما في البلاد العربية والإسلامية ..كانت تظن أن الشيوعية الجنة الأرضية .

ـ ما زالت ملحدة لا تعترف بوجود إله .. هل أتكلم ؟

ـ تفضل

قال بنغمة بدا فيها الحزن لإدريس : كانت سمر الأولى في الأسرة .. أقصد المولود الأول للزوجة التي ولدت بعد ثلاث سنين من الزواج .. كان الأبوان ملهوفين عليها .. وبعد ثلاث سنوات أخرى جاءت أختي سحر .. وبعد تسع سنوات زواج ولدت أنا أستاذ إدريس .. الذكر الأول

وجاء بعدي اثنان .. لقد كانت البنت المدللة في الأسرة .. ولم يكن والديّ بالمتدينين بالمعنى الشامل للتدين ، والمعنى المعروف اليوم .. كانا يصليان يصومان لنفسيهما.. ولم يربيا ابنتهما على التدين والإسلام وفهم الإسلام ككثير من الأسر والعائلات .. ولما وصلت الإعدادية لم تُمارس الصلاة واللبس الشرعي ، ولا الاغتسال من الحيض مع أنها دخلت مرحلة البلوغ الشرعي ،.. لم تهتم أمي بذلك ، معتقدة أن المدرسة تعلمها ذلك .. كانت تغتسل نظافة لا عبادة ككثير من بنات المسلمين اليوم ؛ لأن التي لا تصلي كيف ستعرف هذه العبادة الشرعية أو تفكر فيها أو تتعلمها ؟!" لما يكبر بصلي ، لما تكبر بتعرف " هذه الشعارات السلبية .. أين علموا أولادكم الصلاة على سبع، واضربوهم على عشر ؟ وكما قالت لك في الثانوية نضجت فكريا وجسميا ، وكانت تقرأ وتقرأ ، ولم يهتم أبي وأمي بما تقرأ وتطالع .. وأبي قارئ أما أمي فلا تقرأ ..كان أبي يخدم في الجيش الوطني عسكري ..كثير من وقته في المعسكرات .. وتقاعد برتبة عقيد يا إدريس وكما قال تفاجأ بأفكار سمر وإعجابها بخروتشوف والروس ؛ ولكنه لم يحاول ثنيها عن تلك الخزعبلات كما أخبرني فيما بعد .. فهو لم يقدر خطر الشيوعية يومذاك ..ويمكنك أن تقول أنه يجهلها جهلا تاما ؛ ربما اعتقد أنها حزب سياسي كالأحزاب الدارجة في البلاد ؛ إنما كانوا يَرَوْن صراعا دائرا بين أمريكا وروسيا .. والدولة تدور في الفلك الأمريكي الغربي تسليحا واقتصادا بسبب الحرب الباردة .. وقد تفاجأ بها شيوعية في الجامعة ؛ ولكنها قد خرجت عن السيطرة .. هذا طبعا نتيجة التساهل .. فانتبه لسحر ولي .. وأخذ ينفر من الشيوعية وفكرها .. ويحذرها من خطرها وقتلها للشعوب المسلمة في القوقاز والعالم .. ومنع سمرا أن تتحدث عن شيوعيتها في البيت وأمامنا ؛ لذلك لما أنهت سحر الثانوية العامة بدون نجاح ، لم يشجعها على الإعادة ؛ بل زوجها لقريب لنا لابن عمنا .. فكان زواجها كحماية لها من التورط في أحلام سمر وانزلاق سمر .. ونعم ما فعل .. وكان القريب الذي تحدثت عنه سمر وشجعها على البقاء في الشيوعية لم يكن معروفا دوره لأبي إلا بعد دخولها الجامعة .. وهجره والدي هو وأسرته ولم يعد يُستقبل في البيت وغيره .. ولما نجحت أنا في الثانوية العامة كانت سمر قد أنهت جامعتها ، واشتغلت

في أحد مستشفيات الدولة ومتزوجة من زميل جامعتها كما أخبرتك .. وأنا سافرت مصر للالتحاق في جامعة الأزهر الشرعية كطالب شريعة وحصلت الماجستير والدكتوراه منها أيضا واليوم أعمل محاضرا في كلية العلوم الدينية في المدينة هذه ، وفي نفس الوقت أقوم بإمامة الناس في المسجد .. طبعا سعيت مرات ومرات لانتشال سمر من أوحال وأوهام الحلم الشيوعي ؛ ولكنها تعتبرني رجعي وأحمق ..كل من يتعلم الشريعة عندهم جاهل وأحمق ومعقد .. ونتيجة فارق السن بيننا لم نكن أصدقاء مجرد أخوة .. ولما شببت كانت تعيش مع زوجها الأول .. وقد رحلت أمنا عن الدنيا وأنا أدرس في مصر القاهرة .. وتزوج أبي بعد وفاتها بأشهر .. فكان وضعنا الأسري مربكا إلى حد ما .. واستخدمت أسلوب الرسائل معها ومع زوجها دون فائدة وأثناء الإجازات حاولت ؛ لكنها تسخر وتهزأ مني ، وتدعوني للتحرر واعتناق الشيوعية .. ولما تزوج أبي لم يعد لها مكان في الأسرة ، ولم يهتم أحد بأفكارها حتى أخوي الأصغر مني تعلما ولم يتأثرا بها البتة بفضل الله .. وهي شبه مهجورة من الجميع .. ولما فشل زواجها لمسنا أملا بتوبتها .. ثم تزوجت ماركسيا أسوأ من الأول ، ومع الزمن أصبحت غير موجودة في حياتنا ، ربما حدثت بيننا بعض التلفونات بمناسبات مرضية .. وأنا كنت استغل مثل هذه الأمر معها للأسف دون فائدة .. الهداية التوفيقية بيد الله تعالى .. ومات أبي قبل عشر سنوات تقريبا .. ولم تلد امرأته الثانية له ، وما زالت تسكن في بيتنا القديم .. وما زلت أتفقدها .. فهي ليست بحاجة لمال ، فهي تعتاش على راتب والدي التقاعدي ، وما ورثته من مال أبي وتنازلنا لها عن البيت .. وسمر لم تهتم بميراثها ، وشرعا لا تستحقه لكفرها وضلالها ؛ ولكنها قانونا تعتبر مسلمة .. فهذه قصتي مع شقيقتي الكبرى .

ـ أنا أعرف الكثير من الحركيين ، وبعضهم تابوا وعادوا إلى حضرة الدين والإسلام .. وتاب الكثير منهم وثاب قبل سقوط الشيوعيين في روسيا وما حولها وموتها.

ـ هذا أمر متوقع وهو موتها ؛ لأنها تصادم الفطرة والعقل .. والدين ولو كان فاسدا تحتاج إليه الناس .. فالقرامطة طائفة الحادية ظهرت في التاريخ ثم هلكوا .. ولم نعد نسمع عنهم .. وهذه

بقايا أفكارهم بثوب عصري واقتصادي .

قال : لا يسعني إلا أن أشكرك يا دكتور على هذا الحديث الطويل .. أنا فعلا تفاجأت بأن يكون للسيدة شقيق كإمام ، وإلا نحن نعلم أن في البيوت شيخ وملحد .

قال سمير : عادة يأتي اعتناق الشيوعية للبيت المهلهل دينيا .. والدين في البيت مجرد عادات وطقوس .. وكذلك تساهل من الأسرة ، وجهل بالشيوعية جهلا تاما .. والانحلال الخلقي يساعد على ذلك .

ـ والأصدقاء .

ـ وهذا سبب رئيس .. الصاحب ساحب .. البيت أساس التربية والأخلاق الحميدة والقدوة .

قال إدريس قائما : وساحات الجامعات مرتع خصب لكل فكر ، ولكل صراع فكري .. شكرًا دكتور سمير .. لقد تعرفنا على حضرتكم .. فهذا شرف لي ولعلنا نلتقي مرة أخرى .

دفع المقال الخاص بسمر إليها ، وطلب منها أن تقرأه لتضيف أو تحذف منه ، وأخذ بالحديث مع زوجها وابنها المتزوج منذ عهد قريب ، وكان ضيفا عندهما ، ولما انتهت القراءة وضعته على منضده أمامهم ، وقالت : حقا رائع جدا يا أستاذ إدريس ! رغم أنني أكتب مقالات وبيانات ؛ لكن أعترف ببراعتك في كتابة الفقرات ، وترتيب الأفكار للقارئ .. لست أول صحفي قابلني لكنك أروعهم ؛ ربما لأني من عشر سنين لم أعد أتقابل معهم .. اليوم لا أحد يهتم بِنَا ؛ كأننا متنا بموت الاتحاد السوفيتي .. هكذا الناس أليس كذلك؟!

أجاب إدريس : هكذا الناس .. عندما يكون الإنسان قويا مهما التفوا حوله ، وإذا ترك المركز والوظيفة هجروه .

قال الزوج مبتسما : كلامك صحيح إلى حد ما .. الناس يريدون أشياء فلما يصرف عن مركزه فماذا يريدون منه ؟! لماذا يلجأون إليه ؟ وأيضا يكون قد ظهر جيل جديد لا يعرفون الرجل القديم .. لماذا جريدتك مهتمة بقدامى المحاربين على رأي العسكريين ؟

ابتسم إدريس : هذا اهتمام شخصي مني ..الجريدة التي أكتب لها لا تهتم بهكذا موضوع .. هم المهم أن يجدوا مادة ينشرونها ؛ لأنها جريدة أسبوعية .. ربما تهتم بقضية رأي عام حاضرة .. أنا أكتب لها منذ ثلاثين سنة .

وشرح لهم علاقته بالجريدة والصحف ، وأنه يكتب بمزاجه ودون التزام دائم وقال : وأنا لست متفرغا ومحترفا وموظفا ، هي هواية فحسب . وبين لهم أنه يقدم المقال ، ولرئيس التحرير أن يرفضه يختصره يعدله ، وذلك حسب حسه الأمني .

وقال : تخطر في بالي الفكرة وأهتم بمتابعتها والبحث عن أبطال لها .. الصحف تهمها الصفحة الرئيسية ، وما في داخلها مواضيع خاصة .. الرياضي يهتم بصفحة الرياضة .. بعضهم يهتم بأخبار الاقتصاد والتجارة .. بعضهم بالإعلانات ..وآخرون يهتمون بصفحة التسلية .. وبعضهم يقرأ لكاتب معين وتعليقاته السياسية والثقافية والاجتماعية .. بعضهم يهتم بالصفحة الدينية ، وما تطرحه من أفكار .. وبعضهم بصفحة النعي خاصة قراء الصحف اليومية .. وأحاديث الذكريات لها قراؤها ومحبوها ؛ لذلك ترى الصحف قد تشتري مذكرات سياسي زعيم .. وأنا كتبت خلال مسيرتي الكتابية كثيرا عن رجال ورموز وطنية ثورية قيادية عن نضالها وأفكارها .. وقد يهتم بها مراكز البحث المحلية والدولية والمؤرخون ومراكز التجسس والمخابرات .. فالشيوعية لم يعد لها ذاك البريق ببلاد العرب وغيرهم ؛ لكن ما زال لها أتباع .. ففي فترة الستينيات كانت قوية وثورية حتى ظن البعض أنها على وشك قيادة العديد من الدول العربية .. أما اليوم فشغل العالم الحركات الإسلامية والأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي كأن المسلمين لم يكونوا في فترة ازدهار الاتحاد السوفيتي .. الكل متخوف من الإسلام السياسي القادم .. وسيظهر المقال في الصحيفة في الوقت المناسب ..

وستكون بعض الأعداد بين يديك.. ألديك ملاحظات عما كتب ؟

ـ لا ، تمام هو كلامي وأفكاري .. مجلات الحزب ما زالت تقبل كتابتي وتعمل على نشرها .. وتتابع أخبارنا الاجتماعية وبعض نشاطنا الضعيف .. لم تعد مؤتمرات الحزب مهمة للصحافة

اليومية اليوم .. مجرد خبر صغير ينشر في الصفحات الداخلية .. أيام العز ذهبت .. والمؤتمرات لا جديد حقيقة فيها ؛ إنما ذهاب وجوه ومجيء وجوه للقيادة ..كنّا خلال المقابلة تحدثنا عن قصة الصورة والسيدة نبيلة واهتمامك بأمر الصورة .

قال : صور نبيلة قصة غامضة!

ـ هل هناك ما يشغلك عنها ؟

ضحك وقال : عرفنا أن هناك عصابة كانت تحتال على بنات الجامعة والتغرير بهن وتصويرهن صورا فاضحة للإيقاع بهن في عالم البغاء والدعارة .. لم نصل لشخص عمل في هذا الإجرام أصابه الندم ، وكشف لنا المزيد من الحيل والمكر .. فلم نعرف كيف صورت ؟وأين؟ ولماذا؟!

قالت بكل صراحة : على كل حال أنا أعرف بعض الفتيات تلك الأيام شاركن في تلك الشقق طبعا هن اليوم عاملات أو متباعدات مثلي.. وسأتحدث مع واحدة منهن ؛ لعلها تقبل أن تكشف شيئا من أسرار تلك الحقبة ؛ ولعل عندها شيئا من قصة تصوير نبيلة .. هي من اللواتي سقطن في براثن تلك القوى ، وعرفت ذلك منها فيما بعد ؛ وذلك خلال عملنا في أحد المشافي ؛ وذلك في ساعات الذكريات والندم وكشف الأسرار .. وأنا كنت أعرف نشاطها قبل العمل معها عندما يكون لدى الإنسان فضول ما نحو قضية ما يهتم بها ..قد تكون قد شاركت في عملية خداع نبيلة وجرها لوكر من أوكارهم .. قصة نبيلة بعد التخرج ضعفت في ساحات الكليات العلمية .. وجاءت أحداث أخرى .. هي لم تشر لقصتها يوما .. وأنا أعرف أنها متورطة مع عدد من فتيات الكلية

ـ إذا وافقت على المقابلة والإفادة ؛ فأنا مستعد لسماع ما عندها .. شكرًا لكم أيها السادة ، وأتمنى لكم السعادة .

قالت : عفوا يا إدريس لم تقل لي ردّك في الزواج من شقيقة هند غريب وابنة نبيلة خالد !

ابتسم ونظر لزوج سمر وقال : وهل أصلح للزواج ؟! لا أعتقد يا سيدتي ويا سيدي ..صحيح أنا أصلي وأصوم وأعبد الحي الْقَيُّوم ، وابن طبقة متوسطة .. ولا أملك القصر والسيارة والمال

ولا أعتقد أنها ترضى بي .

قالت مشجعة : أعتقد أنها ترضى ؛ لكن القدرة الجنسية لا أدري أهميتها بالنسبة لها .. أنا أرى أن تقبل مبدئيا ، ثم تعمل الفحوص اللازمة ؛ وربما هي لا تفكر بالجنس ؛ إنما تريد زوجا .

قال زوجها مستغربا من تقريرها : لا تريد الحياة الجنسية ! ولماذا تتزوج ؟! ولماذا يتزوج الناس ؟!

نظرت إليه وقالت : وهل الكبار يتزوجون للجنس يا إياد ؟!وهل تبقى طاقة وقوة بعد الخمسين ؟!

قال إدريس : أكيد الجنس أيام الشباب ليس كأيام الكبر والسكري والضغط ؛ ولكن الشهوة والبنوة مطلوبان لدوام الحياة الزوجية .. لو كنّا زوجين ومرض أحدنا فعلينا بالصبر والصبر وكان ذلك مقبولا .

هتفت بإصرار : قل نعم أرغب بالزواج.. ودع الباقي عليّ.

قال بشك :آسف فعلا يا سيدة سمر ! لي أكثر من عشرين سنة لم أنم مع أنثى .. وقضيت عشر سنوات مع زوجتي في عذاب ، ولم تحبل امرأتي .

ـ يقولون الرجل قد ينجب ولو عمره ثمانون سنة .

ـ والله أسمع بذلك ! بل رأيت زواج مشلول من أنثى .. شكرًا لكم .

ـ فكر فكر يا صديقنا .. وسأتحدث مع هند وأرى ردة فعلها .

ـ يا سيدتي اهتمي بموضوع المرأة التي عملت في خداع وتغرير الزميلات لتحدثنا عن تلك الحيل .

قالت بثقة : أعتقد بعد مضي ثلاثين سنة على تلك الحوادث يمكنها الاعتراف .. اليوم لم تعد تحتاج الدعارة إلى شقق سرية .. اليوم التصوير بكاميرات الفيديو والصور المتحركة .

ـ اليوم يا سيدتي النوادي الليلة المرخصة والملاهي والحانات ! لم يعد العمل خفية.. فهذه المواخير مرخصة بالقانون ، ومحمية من قبل الشرطة للأسف .. نحن نتقدم عالميا بمثل هذه الأشياء من

أجل خاطر السياح .. وضعفت مؤسسة الزواج ، وكثر الطلاق ، وزادت الدعوة للسفور والتبرج، ولم يعد ذلك عيبا !



تعشيا في مطعم في حي الشاعر ، وذلك عن اتصال بينهما ، وكان ذلك بعد صلاتهما العشاء في أحد مساجد حي الشاعر .. وهذه كانت أول صلاة لسيف بعد زمن طويل .. فهو لا يعرف الصلاة ولا الصيام ؛ إنما هو مسلم .

قال سيف لإدريس: أريد أن أصلي أول مرة في حياتي !

فطلب منه إدريس الاغتسال غسل الجنابة ، وشرح له كيفية ذلك الاغتسال .. فهو في حياته كلها لم يغتسل هذا الغسل التعبدي .. ووعده بتفصيل الأمر عندما يلتقيان .. ولا تستغرب أيها القارئ من جهل الكثير من المسلمين هذه العبادة الشرعية ؛لأنهم لا يفقهون الإسلام ، وربما يحسبون أن صلاتنا كصلاة اليهود والنصارى وغيرهم من العباد ، لا يعرفون الإغتسالات الشرعية ؛ إنما الصلاة حركات معينة وانتهى الموضوع .. هؤلاء لا يعرفون الوضوء والاستنجاء ولم يريا والديهم يفعلون ذلك .

كانت أول صلاة كما قال لإدريس في حياته التي تزيد عن الخمسين سنة .. كان إدريس يصلي ومثقفا وملما بمسائل شرعية ، وإن لم يكن شيخا ، ورجل دعوة إسلامية .. وعبر عن سروره تجاه صديقه الحديث ، وكان يرجو له الثبات والقبض على دينه وتوبته .. فالإسلام اليوم يتعرض لتشويه عالمي وإلصاق تهم الإرهاب والوحشية فيه .. كان حديثهم أثناء الطعام عن الصلاة والوضوء ونواقضه ، واستمر الحديث في ذلك بعدما رجعا لبيت إدريس .. وكلاهما يحب السهر وحضر إياد السهرة ، وتعرف الرجلان على بعضهما ، وشجع إياد المهندس على الاستمرار في الصلاة والتوبة .. وبين إياد لسيف صفة الطهارة بناء على رغبة إدريس الذي رأى أنه أقدر منه

في الدين والعبادات ..وعلمه الوضوء النبوي والصحيح كما ثبت عن رسول الله ﷺ من النية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق وغسل الوجه واليدين إلى المرفقين ، ثم مسح الرأس مع التمثيل لما حصل ، وختم بغسل القدمين إلى الكعبين وذكر الوضوء الثابت عن النبي ﷺ ، ثم مثل له الاغتسال دون استعمال الماء وأعطاه رقم هاتفه الخاص للاتصال به عند الحاجة لأي مسألة شرعية .. واستعار كتابا صغيرا من إدريس حول هذه العبادة .. ولما انتهى الدرس الديني حدثهم إدريس عن مقابلاته لسمر . وختم قائلا: أتعرفها أيام الجامعة ؟

فأبدى سيف معرفته لها وإن لا يتذكرها جيدا اليوم . فقال إدريس : إنها عاصرت فترة دراستكم في الجامعة .. وهي على معرفة وصداقة جيدة مع سوزان ونبيلة ومراد مع إنها طالبة تمريض .

فقال سيف معقبا : كانت تتردد كثيرا على كلية الهندسة من أجل الشباب اليساريين ..وتعرف نبيلة بحكم تدريبها في المستشفى التعليمي حيث كان والد نبيلة مدير المستشفى .. وكنا نتردد نحن على المستشفى لعلاج طارئ ومستعجل أثناء الدوام والمحاضرات ومعالجة الرشح والزكام والإنفلونزا الموسمية والجروح فعرفناها .

فقال إياد :إذن قابلتها .

قال إدريس : نعم ، قابلتها وزوجها .. وتحدثت عن الكيفية التي دخلت بها الحركة اليسارية والماركسية ، وأكدت لي موضوع الشقق السرية للسهرات واصطياد الفتيات ..وأنها التقت ببعض الضحايا ، وساعدت على إنقاذهن من العمل في الدعارة .. وأنها تعرف بعض المتورطات في اصطياد الفتيات والشباب.. وأنها ستحاول إقناع إحداهن بالحديث معي

فقال إياد بتعجب ظاهر : معقول ذلك !

ـ هذا ما وعدت به .. وأنا لا أعتقد أن إحداهن أو أحدهم يقبل ذلك .

ـ لا تنسى زوج وأهل الفتاة أو المرأة.

قال إدريس : العجيب يا إخوان أن لسمر شقيقا من أمها وأبيها إمام مسجد دكتور في الشريعة الإسلامية ، واضطررت لمقابلته؛ لأعرف كيف تحولت للشيوعية من بيت مسلم .

وتحدث قليلا حول مقابلته لسمير.

قال سيف : يبدو أن موضوع الشيوعية راق لك .

ـ كان هو سلم الوصول للمعلومات .. فمراد شيوعي يا مهندس سيف .. ولن نخسر بنشر بعض المقالات عنهم للأجيال القادمة .

وقال إياد : شقيقها شيخ حقيقي ، ولم يستطع إعادتها الدين .

ـ لليوم لم يستطع .

قال سيف : دنيا عجيبة فعلا ! لم يستطع نقلها من الفكر الأعوج.

قال : الأمر ليس سهلا يا سيف ! كان هذا الفكر في مطلع الستينيات مهوى الكثير من الشباب الجامعي على مستوى العالم .. غرق العالم بالمادية والوجودية والإباحية .. والعالم الإسلامي كان يستفيق من سباته برحيل الاستعمار عن كثير من بلدانه .. فكان ينظر للفكر الماركسي هو المحرر لنا من ربقة الاستعباد ..كان الصراع محتدما بين الشرق والغرب .. أنا أقول أن ذلك العقد هو العصر الذهبي للشيوعية العالمية .. كوبا الصين فيتنام .. وكانت الدعاية قوية لبيان إنجازات الروس والقوة العسكرية الروسية .. والفتاة بينها وبين شقيقها ست سنوات كانت مغرقة في الإلحاد .. وهو على مقاعد الدرس الأساسي .. وهي اهتمت بالماركسية في المدرسة الثانوية ، وتغلغلت فيها بالجامعة .. ووالدها كان عسكريا جاهلا بخطر هذا الفكر ، وتقاعد على رتبة عقيد .. وبدا لي أنه كان متساهلا معها .. وقد ولدت بعد ثلاث سنوات زواج ، وهي البكر .

قال إياد : هو لم يكن شيوعيا ولا متعاطفا !

ـ في الجيش كما تعلم يمنع الالتحاق بالأحزاب السياسية .. أما التعاطف فلست أدري .. لم يقل سمير ذلك ؛ إنما هو تساهل وتهاون وجهل بماهية الفكر الماركسي .. والأمر الثاني أن السيدة سمرا ترشحني لأن أكون زوجا.

صاح إياد : زواج ! زواجك أنت .. هل منها ذلك أو لمحت به أنت ؟!

لم يعجب إدريس من دهشة إياد فمنذ ترمل وهو يحبب له تكرار الزواج . فقال : لم أطلب منها

ذلك ، ولم ألمح بي ؛ لأني نسيت الزواج من قاموس الحياة .. ليس بغضا في النساء كما هو حال صديقنا سيف .. أنا لي عشرون سنة لم أقرب أنثى لما تخبره عني يا إياد .. وشطبت الموضوع من أفكاري ، مع أن الدين ـ يا مهندس سيف ـ يرغب بالزواج ؛ ولكني كما أخبرتم غير صالح للنساء والخلافة .

فقال سيف : وكيف رشحتك المناضلة الحمراء ؟!

ـ جميل ! المناضلة الحمراء .. هناك سيدة أرملة وغنية ، وعندها بعض التدين تريد زوجا عنده بعض التدين .. تريد مسلما محترما يصلي ويصوم

قال إياد : المناضلة تتحدث عن زوج كهذا!

قال إدريس : نعم ، دعني أذكر الأسماء ؛ ربما سيف يعرفها بحكم المجاورة .. السيدة نبيلة خالد زوجة سيف الأولى والأخيرة تزوجت من قريب والدها بعد الطلاق .. وولدت له بنتين هند وزينب وولدا نسيت اسمه .

قال المهندس سيف : أعتقد أنه خالد على اسم أبيها بسبب ولادته بعد موته .. من ستتزوج ؟!

ـ زينب أرملة وهي متدينة بسبب زوجها المتدين .. وكانت تلبس اللباس الشرعي المحسن .. ابتعدت قل عن السفور والتبرج الصريح كما فهمت من سمر.. وسمر صديقة لنبيلة وسوزان من أيام الجامعة ، وظلت الصداقة بعد الجامعة ، وتعرفت سمر على بنات نبيلة الطبيبة هند والصيدلانية زينب ، وحتى أن شقيقهن طبيب .

قال سيف : أجل طبيب معروف في الحي .

ـ هند ترغب بتزويج أختها الأرملة ؛ وكأن المرأة تريده متدينا كزوجها يتمسك بمظاهر الدين كصلاة وصوم ولباس وبعد عن الخمر ، تعودت على ذلك .. ولأنهم يعلمون أن لسمر شقيقا يعمل إماما لمسجد ؛ فكأنهم لا يعرفون سوء العلاقة بين الأخوين .. أرادوا منها عريسا لزينب وكذلك طلبت أمها أم نبيلة أو نبيلة نفسها من سمر ذلك .. وأرسلت سمر لهما عريسين ، ولم تقبل بهما الفتاة .. ومن خلال حواري معها عرفت أن أصلي وملتزم بالإسلام التقليدي وغير

متشدد كما يقال عن أمثالي ، فعرضت عليّ ذلك ..وسمر تزوجت طالبا تعرفت عليه أيام الكلية ثم طلقها وطلق الشيوعية معها وهاجر إلى أمريكا ، ثم تزوجت رفيقا آخر .. ووالداها ماتا ، وعلاقتها ضعيفة بأهلها منذ اعتناقها الشيوعية وتخرجها وزواجها .. فهي لا تستطيع أن تطلب من سمير فرشحتني للزواج .. وتعذرت لها بهجري للزواج من يوم ترملت ولكنها مصرة على زواجي والسعي فيه .. ويا ترى أتوافق سيدة كزينب على متسول مثلي أم لا ؟! وهي من سكان حيكم يا سيف ؛ لتعيش في مثل شقتي .. وفهمت من سمر أن لها صيدلية كبيرة في الحي .

ـ أعرفها ؛ وربما ابتعت منها بعض الأدوية خاصة في ساعات الليل المتأخرة .. والله إذا قبلت بك تزوجها .. أنا رأيتها كذا مرة ، وحدثتني كذا مرة .. وهي تعرف أنني كنت زوج أمها في أيام الشباب .. وأعرف هندا ، وتكلمنا في مناسبات عرضية ، وأحيانا تمزح وتمازحني هند كيف حال زوج أمي الأول ؟ فأتطلع فيها ربما ابتسم .

وتابع سيف مفسرا : في مناسبات اجتماعية كنت اضطر لحضور بعض الوقت ، مثل زواج أخت، بنت وابن أخت أو زواج ابن وبنت أخ .. عزاء قريب جدا ..فكنت أصدف أفراد من عائلة الدكتور خالد .. مهما حاولت الاختفاء لابد أن تظهر لمناسبة ما ..وحتى نبيلة رأيتها بضع مرات ونحي بعضنا بالإشارة وهمس وتمتمات .. والحقيقة أن زوجها الدكتور غريب لم يكن عفيفا معها يا إدريس ويا إياد .

فعقب إدريس: كانت مجرد زوجة ..هو كان يحلم بالاستفادة من والدها بالتقدم إداريا داخل الوزارة .. وقد اتهم بالاعتداء على قاصر ، وأوقف عن العمل حينا من الزمن .

ـ صحيح ، سمعت بهذا.

ـ النساء يتكلمن ..وتزوج فور وفاة زوجته بأسابيع قليلة.

قال سيف : هو تزوجها بعد طلاقي رغبة من والدها خالد .. وكان يطمع بها زوجة قبل زواجي منها ، وكان ظهوره كزوج من أسباب زواجنا ونحن في الكلية .. خدمه القدر وعينه المرحوم خالد في الحكومة وبعد الزواج في الإدارة فور تسلمه منصب الوزير ، بعدما كان يخدم في

مستشفى كطبيب ..هو درس الطب في بريطانيا كما سمعت من نبيلة ، مثل أبيها .. وهو ما زال يمارس العمل الإداري.

قال إياد : المهم أنت لا ترغب بالزواج منها لماذا يا عزيزنا ؟!

قال سيف : إذا استطاعت هذه السمر أن تقنعها بك تزوجها .. هي فعلا متدينة .. تلبس الجلباب الطويل .. وهذا كان يثير استغرابي .. كنت أظنها موضة .. اليوم عرفت السبب أن ذلك بسبب زوجها المتدين .. وهذا نادر في بنات الطبقة الثرية والبزنس .. وحي بهية اليوم ليس هو الحي القديم .. ففيه من الطبقة الوسطى والأقل ماديا حتى الفقراء .

قال إدريس : وهل أستطيع العيش معها يا سيف ؟!

تبسم سيف وأجاب : تستطيع ..وما ينقصك ؟! امرأة في الأربعينيات أو قريب منها .. فهل ستتزوج صبيا أو شابا صغيرا ؟

ـ كم ترى عمرها ؟

ـ أنا تزوجت أمها في منتصف الستينيات ، وطلقتها في نفس العام .. وهي تزوجت الدكتور غريب في حزيران من عام ١٩٦٥ يبدو أنها أصغر مما حسبت.

ـ هي أصغر من هند بعام ونصف.. وقد تزوجت أثناء الدراسة في الجامعة مثل ما حصل مع أمها ..وهي درست في تركيا .

قال إياد: من أين حصلت على هذه المعلومات ؟

ـ من سمر.. هي تتحدث تلفونيا من أجل المقال ، ويعرج بنا الحديث حول زينب وموضوعها ولديها طفلة تعيش مع أم زوجها الميت بناء على رغبة الجدة .. وهي دون العاشرة ، وتقضي أيام العطل عند أمها .. وهناك أيها السادة أمل في لقاء امرأة كانت تشارك في الشقق السرية وتحاول سمر إقناعها بالحديث معي .

فقال سيف : أرى أنها صغيرة عليك .. كيف تريدك سمر زوجا لها ؟! ألا تعرف عمرك ؟

وعقب إياد: صغيرة فعلا .. المرأة إذا اجتمع إليها رجل ستطلب حقها الشرعي في المعاشرة ..

وأنت تحتاج لعلاج .. تحتاج لامرأة من سنك .

فقال إدريس : العلاج اليوم أفضل من الأمس .. اليوم تجد المنشطات الجنسية والأدوات المساعدة الطبية ؛ لكن هل هذا يقنع المرأة ؟وخاصة إذا كانت ترغب بالذرية والحمل .. لا أعتقد أنها تقبل بي وأنا ابن ست وخمسين سنة .. وإذا فكرت بالزواج جديا سأتزوج امرأة تصغرني ببضع سنين .. امرأة يائسة من الخلفة والولادة .. وسمر تحدثني عن طفل الأنبوب والله حلو أن يصبح الرجل أبا يا سيف ! ولو على كبر ، كما حصل لسيدنا إبراهيم، ومن بعده زكريا .

قال إياد : فعلا اليوم نسمع عن طفل الأنبوب والتلقيح الخارجي ؛ بل نسمع عن حمل خارج الرحم واستئجار رحم وتجميد النطف في بنوك المني .

قال سيف : هل فكرت بالزواج قبل حديث سمر ؟

ضحك إياد وإدريس وقال إياد : منذ ترمل يا حضرة المهندس ونحن أنا وإخوته وأخواته نعرض عليه النكاح والتوكل على رب السموات والأرض .. إنهن لا يعرفن الضعف الجنسي وضعف الباءة .. عندهن الطب حلال المشاكل الإنجابية .. فلانة وفلانة عشر سنين ثم ولدت فلان نكح فلانة عشرين سنة ، ثم انفصلا ، هو تزوج وولد له ، وهي تزوجت وولد لها .. الصحيح يا سيد سيف الأستاذ العزيز إدريس قصر في ذلك .. الطب فعلا كل يوم يتقدم .

قال إدريس: فكرت كذا مرة بالزواج منذ ترملت ؛ لكن المعاناة التي كانت بيني وبين المرحومة بسبب ضعف الإخصاب تقف حاجزا لصرف النظر .. وكل مرة أهم بها أتذكر ذلك .. ثم أني مرتاح في حياتي يا سيف تأقلمت أو تبرمجت معها .. كانت مشكلة الخلفة مزعجة جدا لي .. صحيح النفس تتوق للنساء وللولد .. صحيح لما ير الإنسان الأطفال لإخوته وأخواته وجيرانه يتمنى أن يكون لديه مثلهم ؛ لكن قدر الله غالب .. الأمر له سبحانه .. أخذت بأسباب العلاج سنوات وسنوات دون فائدة .

قال إياد : كله بأمره .. ما أنزل الله من داء إلا جعل له دواء .

قال سيف: ما دامت سمر تريد ذلك ، وترى أنك مناسب ، فدعها تسعى لذلك .. فإذا قبلت

البنت تزوجها .. وكما أشرتم الطب يتقدم ؛ وربما تتمكن من الإنجاب عن طريق الأنبوب .. من المهم أن تكون البنت على بينة من وضعك الجنسي وضعف الإنجاب .. فهي في عز الفترة لإنجاب الأطفال .. والله جميل أن يكون لك ولد يا إدريس بعد هذا السن ! أنا أعتقد أن لها أربع سنوات أرملة .. ووالدها هل يقبل ؟!

رد إياد فقال: أعتقد أن والدها مجرد ديكور يا مهندس سيف ما دامت علاقته بأمهم نبيلة ضعيفة ولم تكن طيبة ، وتزوج بعد موتها بزمن يسير

فقال سيف : هو تزوج لتغطية فضائحه ، لقد كانت كثيرة ومنتشرة بيننا كعائلات .. هو تعلم في بريطانيا الطب ، وتعلم معه العيش مع الخليلات .. أنا الذي لا يهتم بحياة الناس أسمع قصصه ومغامراته النسائية .. فزواجه شكلا ، ومثله كثير في الحي .

تلقى إدريس اتصالا من الطبيبة هند غريب ، ولما انتهت المجاملات التقليدية ، قالت : هل جد جديد في شأن الصورة ؟

أدرك أن ذلك تبريرا للاتصال فقال باسما ومجاملا : لا جديد يا دكتورة هند ! وصرح قائلا : أنا على موعد مع إحدى فتيات ذلك الزمن اللواتي عملن في مثل تلك الشقق السرية .. ولعل لها دورا إذا وافقت على اللقاء والحديث عن ذكريات الماضي .. فالأمر حساس ودقيق .. وهذا بجهد من السيدة سمر صديقة أمكم في ماضي الزمان .

ـ حدثتني سمر عن لقاءاتك بها .. فهي صديقة لي بمقام الأم .. ونحن نعمل في القطاع الطبي ثم حدثتني أمرا آخر .

تجاهل الإشارة وقال : أمر .. ما هو ؟

ـ زواج شقيقتي .

ـ آ .. تذكرت .. لقد تحدثت سمر معي بمثل ذلك ؛ لكني بينت لها أن زمن الشباب ولى ..ولي عشرون سنة أرمل غير صالح للعمل يا دكتورة .. وإلا تزوجت من سنوات وسنوات .

ـ أنا أختي أصغر منك بكثير يا أستاذ إدريس ولديها ظروف .

ـ أنا دخلت في السادسة والخمسين .

قالت : هي تقترب من الثلاثين .. هي تزوجت صغيرة أثناء سنوات الدراسة الأولى لظروف معينة .. قد تعرفها في المستقبل ..قبلت في بعثة طبية في تركيا لعلاقات خاصة لأبي بالأتراك .. فزوجها أبي قبل سفرها .. وكان الأمر غريبا علينا .. ولكن الرجل قريب لأبي .. وقبل قبلها كطالب في تركيا في الطب البشري .. وعاشا هناك حوالي عشر سنوات .. كان والده يملك مال قارون .. عاشت بعيدة عنا .. وتدينا هناك .. فقد كان زوجها أحمد متدينا ..والتحق بإحدى الجماعات الدينية هو وهي .. وكانت جدته تركية الأصل .. ولما رجعا توظف ، ومرض ، ثم مات ـ رحمه الله ـ ولم تلد شقيقتي إلا ابنة واحدة ..وهي تعيش مع جدتها والدة الدكتور أحمد .. وأختي لما تحدثنا بموضوع زواجها بعد حين وافقت من حيث الفكرة على أن يكون متدينا غير متعصب كما ترى في بعض الشيوخ

ـ فهمت ذلك من السيدة سمر ؛ ولكني عجوز بالنسبة إليها يا دكتورة .. وأنا لم أستوعب اختيار سمر لي .

قالت : رأت أنك متدين بدون تعصب لفئة أو حزب وبدون لحية ودشداش.. رأت فيك صفات قد تناسب في رأيها زينب أختي .. فهي كما قلت لك صديقة حميمة لأمي وللعائلة .. وأمي طلبت منها ذلك قبل موتها بأكثر من سنة ، وكانت جدتي والدة أمي ترغب أمي بتشجيعها على الزواج ثانية ..وقد يكون فارق السن مهما لو كانت زينب لا تعاني من بعض المشاكل المهمة .

ـ أنا أراه مهما يا دكتورة .. فأختك نصف عمري تقريبا .. وأنا قضيت عشر سنوات مع زوجتي في معاناة وتعب بسبب عجزي عن الإنجاب.. طبيب من هنا ، وآخر من هناك.. المهم شيبتني ولي عشرون سنة دون زواج .. كلما أهم بذلك أتذكر حياتي السابقة فاضعف .

قالت : نحن لم نفاتح زينب بالأمر .. هو كلام بدأت به سمر واعلم أن أختي لا تلد ، فبعد ولادتها لابنتها الوحيدة اضطرت طبيا لإزالة الرحم .. فهي لا يمكن أن تفكر بالحمل ؛ ربما هذا ما شجع سمر أن تعرض الأمر عليك .. فأنتما متساويان في هذه القضية .

تنهد إدريس وقال : آ فهمت الآن ؛ إنما تريد زوجا فحسب .

ـ نعم ، زوجا يسترها وتستره .. زوج مناسب ، لا يهتم بالخلفة والولادة .. سمر فاجأتني باختيارها لك .. وطلبت مني الحديث معك لتأخذ الموضوع بشكل جدي .

بعد صمتها بلحظات قال إدريس : أتعلمين يا دكتورة أن المهندس سيفا تحدثت معه من أيام بهذا العرض فرغبني بالزواج من السيدة زينب .. وقال إذا قبلت بك ورغبت بالذرية فهناك طفل المختبر والأنبوب .. وذكر أنكم تلتقون في مناسبات اجتماعية وتسلمون على بعض .

ـ نعم ، نحن نعرف المهندس سيفا حق المعرفة .. هو الذي عزل نفسه عن الناس ، ويبغض الاختلاط بهم .. وكانت أمي تتألم له ومن أجله ، وتعلم أنه تعرض لكيد ومكر ، وتسرع في الطلاق .. على كل حال على رغم صغر أختي بالنسبة لك ؛ فإذا كان لك رغبة بالزواج من جديد فكر جيدا ومعمقا قبل أن أعرفك بزينب .. وهي تعرفك نظريا لاهتمامك بموضوع تلك الصورة المدمرة ، فقد حدثتها عن ذلك الاهتمام .. وهي بحاجة لبيت الزوجية .

قال : أشكر لك اهتمامك بنا وتوكلي على الله يا دكتورة .. وسأفكر بعمق بمسألة الزواج بعد سماع مشكلة الرحم .. أنا طبعا تعرضت خلال السنوات الماضيات لضغط من الإخوة والأخوات من أجل البناء من جديد .. ولكني صراحة تعقدت من زوجتي الأولى وإلحاحها القاتل على العلاج ، لم تيأس حتى ماتت فجأة .. تعالجت دون فائدة .

ـ ما دمت يائسا من الذرية فهذا مما دفع سمر لاختيارك زوجا لشقيقتي .. ولم تحب سمر أن توضح لك ظرف زينب قبل موافقتك وعرض الأمر عليّ .

ـ الإسلام كما تعلمين يشجع على الزواج وترك العزوبية .. سأفكر بجد كما طلبت ولكن ...

ـ ولكن ماذا ؟!

ـ أنا لست غنيا مثلكم .. أنا أعيش على قد الحال على راتب التقاعد .

ـ إذا حصل النصيب فزينب لا تنظر للمال وإلا تزوجت من أرامل الحي وأغنيائه .. هي ترغب بمتدين لتبقى على ما شبت عليه .. وهي ما زالت تزور تركيا لحضور مناسبات دينية عند تلك

الجماعة التي انتمت إليها .. وهم ما زالوا يزورونها ويتواصلون معها .

ـ لم أفهم هذه الجماعة !

قالت : كأنها فرقة صوفية أو شبيهة بها ..لا أعرف تفاصيل مثل هذه الجماعات ؛ لكنها منتشرة في تركيا وبلدان أخرى .. المال ليس عقبة ، بس ربما تضغط للحياة في الحي في منزلها .. وقالت سمر إنك تملك شقة خاصة

ـ نعم ، لي شقة في حي الشاعر بنيتها أيام الشباب ..ورأي الدكتور الوالد

قالت : لا يتدخل فينا .. هو متفرنج أكثر من الغربيين .. مجرد أب كما نقول .. فهو يرى أن الأنثى حرة في حياتها ما دامت قد بلغت سن الرشد وكذلك الشاب .. فكرة أوروبية .. وأخي خالد أصغرنا .. وهو طبيب مثلي ..لا أعتقد أن يرفض وينظر لفارق اجتماعي ومالي .. اليوم الآباء والأمهات والأقارب تدخلهم بسيط ، وحتى في المشاكل الزوجية دورهم عندنا محدود كل واحد يدبر أمره .. وأنت أصبحت صديقا لنا .. فوالدي لم يكن اهتمامه بالأسرة كبيرا .. وتعلمنا من أموال أمنا .. وإن لم يقصر معنا ؛ لكن أمي عملت كمهندسة كما تعلم، وورثت عن والديها المال الكثير .. فكانت علاقتنا بأمنا أكثر قوة .. شكرًا .

وضع إدريس السماعة بعد هذه المكالمة الطويلة ، والتفت إلى صديقه إياد الذي كان في زيارته وقال : أمر محير ! هذه أخت العروس الدكتورة هند .. إنهم يرغبون بتزويجي من البنت ؛كأنني طلبت منهم ذلك .. عقلي يقول لي غامر .

وروى لإياد ما يتذكره من المكالمة ، فقال : شيء غريب فعلا يا إدريس ! هل خلت الدنيا من الرجال أم هو القدر ؟ تعرفك على سيف .. لقاءات مع رفاق سيف ، ثم حديث عن زواج .. وهذا العيب في الفتاة من حظك يا صديقي حتى لا تطالبك بعلاج ويتبعه علاج .. وهل تعلم سمر أنك لا تنجب ؟!

ـ أكيد علمت أو فهمت .. وأعتقد أنها تعلم من سوزان قبل اللقاء بها .

قال إياد مشجعا : عندما تقابل الفتاة ،وتتحدثان بكل صراحة ،وترى وجهة نظرها غامر ؛ لكن

تسلح بالمؤخر ، لا تجعله كبيرا فوق الطاقة ، وهم ليسوا بحاجة لمال ؛ لكن الكبر .. أحدهم تزوج فتاة ، وطلب والدها خمسين ألف مؤخر زواج .. ومن أجل فلان وفلان تنازل عن خمسة

ـ أنت ترغب أن تراني زوجا .

ـ هذا من زمان .. وما زلت أتمنى أن تتزوج .. البيت مهما كانت الظروف يحتاج لقرينة .. فكلنا يرغب أن يراك زوجا .. والبنت ما دامت قد فقدت الرحم فسوف تقل رغبتها بالمعاشرة الزوجية ..فلن تتعبك يقال إن الرحم المفقود يضعف هرمون الأستروجين .. هرمون الغريزة الجنسية .

ـ شكرًا إياد إنك دائما تشجعني على ذلك .. سأتحدث مع سمر وهند وسيف وزينب، ثم مع أخي الكبير أبي نصر وأختي أم حاتم .. أنت موافق .

قال مبتهجا : طبعا موافق .. إذا حدث الزواج فأنت ستصبح من سكان حي بهية ومن الأثرياء ومن الروعة أن يكون لك صديق ثري ومن أهالي بهية تزوره .. ولما الواحد يزورك يصحب زوجته معه مثل باقي البشر .. ولا تجعل الشيطان يشرق بها ويغرب بسبب تأخره عن البيت .

ضحك إدريس وقال : معك حق.

وبعد انتهاء ضحكهما انصرف إياد مودعا وداعيا ، وقبل المقابلة الرابعة التي يسعى إليها في سلسلة المقابلات التي اخترعها ؛ ليعرف أحداث تلك الصورة تكلم مع السيدة سمر ، وحدثها عن اتصال هند الطويل ، وطلبها منه التفكير بعمق وجدية بموضوع الزواج من شقيقتها ، وأنها تراه الرجل المناسب لها ، وأنه يرغب بلقاء خاص بزينب لفهم وجهة نظرها بالاقتران به ، ويرغب بالحديث معها في أمور خاصة ، والتعرف عليها وجها لوجه .

هتفت سمر فرحا وقالت : ممتاز يا أستاذ إدريس ! صدق لما عرفت أنك أرمل ، وتعاني من زواجك القديم ، تشجعت لعرض زينب عليك .. أنت تحدثت مع سوزان عن حياتك الشخصية .. فوقع في نفسي أن أعرض عليك زينب ، فهي مثلك تعاني بسبب يأسها من الإنجاب بعد ولادتها وحيدتها وترملها المبكر ..قلت أنت الرجل المناسب .. وقلت لسوزان

سأتكلم معه فهو أصبح صديقا لنا .. فهي لا تريد أطفالا ، تريد زوجا كسائر الناس يعيشان الحياة الزوجية .. الوحدة بالنسبة لها مؤلمة يا إدريس.. تعيش وحدها في قصر .. وهي غير منسجمة مع بيئتها تتألم بصمت .. لا تحب السفور مثلنا ، لا تحب الشراب والسهرات .

قال: حدثتني هند عن إزالة رحمها ، وإن البنت الوحيدة تعيش مع جدتها.

ـ نعم ، أيها الصديق أنت المناسب لها بما أنك عاجز عن الإنجاب .. ستعيشان بسعادة .. وهي طيبة وتحب الخير والصدقة ، وتسافر إلى تركيا سنويا من أجل دفع المال لجماعة أو جمعية دينية تنتمي إليها.

ـ نعم ، أنا عاجز عن الإخصاب ، وعانيت منه في سنوات زواجي كلها .. علاجات كانت نتيجتها صفر .. وهذا كان يرهبني من تجديد الزواج ، حتى فكرت أن أتزوج أرملة ، وأربي أولادها .. ولم يتيسر ذلك يا سيدتي .. تحدثي مع هند الدكتورة وشقيقتها من أجل لقاء أولي لقاء تعارف .

قالت : لا بأس ، الآن سأتحدث مع صديقتنا هند .

لقاء زينب

كما أحب إدريس لقاء زينب أحبت المرأة اللقاء والتعارف ، واختير بيت سمر لهذا اللقاء ، هيأت سمر صالة المعيشة ؛ ليكون اللقاء فيها .. حضرت هند تصحبها زينب لبيت سمر ، وهو المعروف لهن ، وإن لم يدخلنه من عهد بعيد ، رحبت بهن أحسن ترحيب ، ومن العادات التقبيل على الخد مرة على اليمين ومرة على اليسار تعبيرا عن الود والمحبة بين المتعانقين .. وجلسن في صالة الشقة ، وكان الموعد بمجيء إدريس بعد صلاة المغرب .. وصل إدريس لحي سكن سمر وصلى في أقرب مسجد لبيتها ، ثم تمشى لبيت سمر ، وكان في استقباله على باب الشقة زوج سمر ، ورحب به .. وكانت سمر ترحب به بعد دخوله الشقة ، ثم ساقته حيث تجلس زينب وهند ، وجرى التعارف والترحيب ، وانسحب زوج سمر .. وبعد دقائق فعلت سمر وهند مثله ، وبعد فترة من الصمت قالت المرأة : يا أستاذ إدريس أنت صحفي!

نظر إليها بتمعن وقال: هل قالوا لك إني صحفي ؟

ـ لم يقل لي أحد ذلك ؛ ولكني فهمت أنك تعمل في الصحافة .

ـ لست صحفيا يا سيدتي الكريمة ! أكتب كهاو وكتسلية .. أنا كنت موظف رقابة صحية مفتش صحة على المحلات الغذائية والمطاعم والمقاهي .. وتقاعدت منذ عشر سنوات .

قالت : كنت متزوجا وترملت .

ـ نعم ، تزوجت كما يتزوج الخلق .. وعشت معها عشر سنوات ، ثم ترملت .. ولي عشرون سنة بغير زوجة.

حدث صمت للحظات ثم قالت : أنا سمعت من شقيقتي هند عن اهتمامك بالصورة التي أدت لطلاق أمي ـ رحمها الله ـ من المهندس سيف وردة ..ولماذا اهتممت أنت بأمر الصورة ؟

قال : سؤال كبير فعلا يا دكتورة زينب ! حاولت لما علمت بقصة الصورة أن أعرف كيف كانت الحيلة الماكرة ؟ لأخذ تلك الصورة قهرا وبصورة سرية .. فاكتشفت أشياء رهيبة كانت تحدث في المدينة ، ومع بعض طالبات الجامعة .. التفاصيل تحتاج لوقت .

رددت : تحتاج لوقت ! أنت تعرف المهندس سيف وردة ؟

ـ تعرفنا بسبب الصورة ، وصرنا أصدقاء ، وأطلعني على رسالة أمك التي كتبتها له قبل موتها التي تطلب المسامحة منه ، وتطلب معرفة كيف وصلت الصورة إلى رجل المقهى ؟ وكيف تم خداعها ؟

مسحت زينب دموعا تساقطت عند ذكر أمها وقالت : آسف .. هل أنت مستعد للحياة الزوجية بعد كل هذه السنين من العزوبية ؟

تنحنح وقال: أنا في البداية اعتذرت عن أي زواج ،كما اعتذرت طوال السنوات الماضية ؛ ولكن جاءت إشارات مشجعة بالزواج منك .

ـ مثل !

قال : مثل .. هل حدثوك عن ضعفي الجنسي؟

ـ ضعفك الجنسي .. هذا أنت صريح !

ـ ولماذا نضحك على بعض ؟ أنا تزوجت ، ولم أتمكن من الإنجاب لضعف الحيوان المنوي لديّ ورغم العلاجات الكثيرة لم يقدر الله لي الإنجاب ؛ وذلك سبب لي الكثير من المشاكل مع الزوجة وهذا مؤشر على ضعف الطاقة الجنسية ..وكذلك هجري للزواج كل هذه السنين ، وقلقي الكبير من الحياة الزوجية ، والعودة لمثل هذه الصراعات .. ولكنهم أخبروني أنك مرضت بعد ولادة طفلتك ، واضطررت لإزالة الرحم ، فلا تفكرين بالإنجاب.

تحدثت عن رحمها ، ومشاكلها الصحية ، واضطرارها لإزالته ، والتخلص من معاناته وهي تدرس في تركيا لإكمال الدراسة ، واستمع إدريس ، ولما انتهت قالت: لماذا تريد أن تتزوج؟!

تمتم حيرة من السؤال : لماذا أريد أن أتزوج ؟! وأنت لماذا تريدين الزواج؟

ـ لست أدري !.. أختي هند وقبلها أمي تريدان ذلك .. هند تقول : رغم أننا نعيش حياة منفتحة عن سائر فئات المجتمع ، ونعشق الغرب في لباسنا وطعامنا وعاداتنا.. فالزواج حماية من الشائعات والأقوال .. ولم يعد الحي الذي نسكنه يحوي أهل الثراء فقط .. إنها تُلِّح عليّ

بالزواج حماية لسمعتي .. عليّ أن أكون زوجة أمام الناس ، ولراحتي النفسية أيضا .. أليس الناس يتزوجون من أجل الولادة ؟

قال : هذا سبب مهم .. التناسل والمحافظة على النوع ؛ ولكن كم تلد المرأة في عمرها ؟ عدد قليل .. الاستمتاع والمتعة الجنسية هدف آخر ؛ ولذلك هي من متع الدنيا والآخرة حيث لا أولاد .. الولادة للمحافظة كما تعلمين على النوع .. والزواج كما بين النبي الحصان للفرج والغض للبصر عن النساء .

قالت بتفكر: صلى الله عليه وسلم .. وإذا ضعف الجنس هل من حاجة للزواج ؟

ـ أكيد نحن بحاجة للزواج ولو ضعف الجنس ..كلما يتقدم الإنسان عمرا تضعف قدرته الجنسية ؛ لذلك يلجأ الناس للأدوية والمنشطات والأجهزة الطبية .. هل إذا مرضت الزوجة وضعفت عن أداء واجباتها في المعاشرة ترمى في الشارع ؟ قد يكون الحل شرعا الزواج من أخرى ، وما يسمى التعدد عندنا ، وعند غيرنا الخليلات .. وإذا مرض الرجل وضعف هل يرمى في الشارع ؟ الإسلام إذا رأت المرأة أنها بحاجة للنشاط الجنسي أن تطلب الطلاق ، وبعد حين يحقق لها القاضي رغبتها حتى لا تقع في الزنا وتتخذ الأخدان .. وحسب مُشاهداتي أرى أن النساء تصبر على الترمل أكثر من الرجال ، وخاصة أن الكبر يؤثر مبكرا عليهن أو ما يسمى بسن اليأس وانقطاع الطمث وهرمون الجنس .

قالت : صحيح أنا صيدلانية وأنا مثقفة يا أستاذ إدريس .. وقرأت عن الإسلام وقضاياه المعاصرة ، وما زلت أقرأ ..وقرأت فلسفة التعدد في الإسلام .. ووجهات نظر القدماء والمعاصرين ، وأشكال الزواج الجديدة في المجتمعات الإسلامية من العرفي والمسيار .. وقرأت عن الزواج في المجتمعات الغربية وصوره المثيرة للدهشة.

قال : سيدتي معذرة ربما طال اللقاء ! فها أنت رأيتني وتعرفت عليّ ، وأنا قد تشرفت برؤيتك وعرفتك .. وسمر أو هند أو حتى أنت تتحدث معي لاستيضاح أي شيء عني عن شخصي الضعيف ؛ فإذا رأيتني صالحا للحياة معك فلا مانع من العودة للحياة الزوجية .

ونهض قائما ، فوقفت متضايقة وقالت : أراك متعجلا ؟!

ـ آسف جدا ..اقتربت صلاة العشاء يا سيدتي ! وتنحنح بصوت عال ، فأقبلت هند وسمر حيث كانتا يرونها حيث تجلسان . فقالت هند: هل تحدثتم جيدا ؟

قالت زينب : الوقت قصير.. والرجل مستعجل.

ضحكت سمر وقالت : هند لم أفهم !

قالت زينب: لم نتحدث كثيرا .. سيغادر للصلاة .. على كل حال يا أستاذ إدريس هذا اللقاء للرؤية والتعارف .. أنت لم تتكلم عن نفسك كثيرا .

ـ ليس لديّ الكثير لأقوله عن نفسي .. أنا أرمل ، ولم أتزوج بعد ترملي ، ولم أحاول لأني عانيت من زواجي الأول .. وجبنت عن تكرار الزواج ؛ ولكن اليوم الأمور في نظري تغيرت ؛ ربما ينجح الزواج .. وهذا لم يكن يخطر على بالي !

قادته سمر إلى مدخل الشقة مودعة ، وقالت : شكرًا يا أستاذ إدريس سمعت أنك ذاهب لمقابلة السيدة عبير .

ـ هي المرشحة الرابعة للحديث عن أيام الجامعة في الستينيات .. كان لديّ حوار مع رجل للتوازن رجلان وسيدتان .. السلام عليكم.

ـ مع السلامة.

وعادت سمر للصالون ، وقالت بدون مقدمات : يبدو أن عريسنا لم يعجب الدكتورة زينب .

قالت بتهكم : هذا عريس يا سمر !

ـ هو عروس!

ـ هذا لباس عريس جاء ليقابل امرأة!

ضحكت سمر وقالت : أعتقد أنه جاء بهذه الهيئة متعمدا ..ويبدو أنه نجح .

قالت زينب : هو لا يريدني !

قالت سمر : لم أقل ذلك يا زينب .. إنك من طبقة اجتماعية ، وهو من طبقة أخرى .. وإن لم

يكن بيننا فواصل .. هند قالت : رجل متدين ، ليس متشددا ، ودون لحية طويلة وثوبا قصيرا كما نرى شبابا اليوم .. وكبيرا في السن إلى حد ما .. لا رغبة له بالولادة .

فصاحت هند قائلة : شكرًا لك سمر والشكر لزوجك .. فمواصفات الرجل مناسبة واعتذري للرجل نيابة عنها ، وعن أي جفاء بدا له منها .

قالت زينب : أنا لم أرفضه يا هند ! .. ولم أقبل .. قلبي لم يرتاح له .

قالت هند كأنها محتجة : لم يرتح له قلبك وأنت ترينه أول مرة ! .. نحن الذين بذلنا جهدا ليغير رأيه بالزواج ، ويغامر من جديد .. رجل لن يفكر بالخلفة والإنجاب .. وقد عرفناه جيدا بخاصة الأختان سمر وسوزان.

قالت سمر: صح هذا يا زينب! نحن بعد تأمل رأيناه زوجا مناسبا لك .. وإذا تيسر رجل أصغر منه قد يفكر بعد حين بالذرية .. نحن لسنا في أوروبا أن يكون للواحدة شريك إلى حين والعكس صحيح .. لكل مجتمع تقاليده ، وإن كنت أراها سيئة .. والرجل ليس قريب لي ، ولا صديق العائلة .. الظروف التي جمعتنا به معروفة لهند .. فلعلها تحدثت عنها .. وبالنسبة للمعاشرة الزوجية ـ وأنت الطبيبة الصيدلانية ـ ببعض المنشطات والمقويات تتمتعون بالزواج الكل يضعف مع التقدم في العمر والرغبة تقل .

ـ أنا لم أهتم بهذه الناحية .. فلي سنوات لم أعاشر أحدا .. ولما مرض أحمد لم يحصل بيننا أي اتصال واستمر مرضه سنتين ؛ لكني أهتم بشخصه ، وجعلني أن أراه عجوزا سيموت غدا

قالت سمر : هو ليس صغيرا ؛ كأنه خمس وخمسون سنة ؛ ولكنه نشيط يتحرك يكتب يقرأ يحقق لا يجلس في البيت نهارا .. أنا رأيته مناسبا لك مائة بالمائة حسب طلب هند .

قالت هند : صحيح .. وهو إنسان بسيط يا زينب ولين ومثقف .. سيفهم عليك طلباتك .. وأنا لست متعاطفة معه من أجل موضوع أمنا .. وهو ليس بالصحفي الكبير هو هاو .. هيا بنا

قالت زينب : على كل حال يا سمر سأفكر به بشكل جدي وعميق .. أرجوك لا تزعلي مني .

ـ أزعل منك ! أبدا يا زينب هذه حياتك أنت ليست حياتي ؛ ولكن المرأة لو تجد زوجا ولو

ديكورا خير من دون زوج .. لو زارك أحد ليلا سيسبب لك الإحراج .. أنت تعرفين أقوال الناس .. ولو دخل أحدهم بيتك صباحا ، سيقولون قصة غرام جديدة رغم فسادهم وشرورهم من أجل ذلك هند تحب لك الزواج .. ليس من أجل الجنس والأطفال .. من أجل أقوال المغرضين .

ـ شكرًا سمر .

كانت هند تسوق السيارة عائدة وشقيقتها زينب جهة حي بهية حيث تسكنان منذ ولدتا ، وبعد مضي وقت قالت زينب : مالك صامتة ؟ كأننا عائدون من مأتم!

ـ مالي صامتة يا أختي ! ماذا أقول ؟ هذا هو الرجل الذي جاءنا عن طريق سمر.

ـ أنا راغبة بالزواج ، وكذا مرة قلت سأتزوج .. لكن أريد الزوج المناسب ، وليس أي زوج .. أنا قلقة .. أخشى الفشل والطلاق بعد الحصول على لقب أرملة .

قالت : سنة الحياة الموت والحياة .. ها هي سمر تزوجت بعد أن طلقها زوجها ، وطلق الشيوعية مع طلاقه منها كما تقول ، وهاجر لأكبر بلدان الرأسمالية .. ومن حسن حظها أنها لم تلد منه .. وها هي سعيدة بزوجها الثاني ، وزوجت أطفالها منه .. ومن الصعب أن نجد زوجا متدينا في حيينا يا زينب .. والرجل قبل من ضغط سمر عليه ..وأقنعته بصلاحه للزواج .. هو لم يوافق نهائيا .. ينتظر موقفك .. لم يفاتح أحدا من أقاربه .. هو تحدث مع المهندس سيف وردة الذي تعرف عليه من بضعة أشهر ، ورفيق آخر كأخ له .

ـ سيف زوج أمنا الأول .

ـ نعم

ـ هذا الرجل بدا لي غريبا .. فهو بدا لي كارها للنساء بسبب زوجته التي ماتت ، ومعقدا منهن وسيف هذا رغم مجيئه للصيدلية وشراء أدوية له وللخادمة العاملة في بيته أسمع أنه معقد ويكره جنس النساء .. كذا مرة سمعت من أقاربه ذلك ؛ بل بعضهم يكرهه ويبغضه .

قالت هند : أمي درست معه وتزوجته .. وكتبت له الرسالة التي تخبرين .. فهو يعتقد أن أمنا

هي التي دمرت حياته وكرهته في جنس النساء والإناث .. فهن في نظره فاجرات مومسات ولكني سمعت أنه صار يصلي .

ـ سيف يصليّ

ـ نعم ، يعلمه إدريس الدين .

ـ إدريس صاحبنا الذي قابلناه قبل وقت يسير !

توقف السيارة أمام بيت زينب فقالت : ادخلي لنتعشى سوية ..وأسمع منك قصة المقابلات مع هؤلاء الشيوعيين ..ولماذا فعل إدريس ذلك ؟!

ـ البيت !

ـ اتصلي وأخبريهم أنك في الحي وعندي .

قالت هند بتردد : ما رأيك أن نؤجل ذلك ليوم آخر ؟

ـ الأفضل الليلة ، فالوقت مبكّر ..قبل قليل أذن العشاء .

نزلتا من السيارة ، وفتحت زينب بوابة الفيلا ، وتبعتها هند ، وفتحت لهما الخادمة الخاصة بزينب باب الفيلا ، ورحبت بهما ، وقالت لها زينب: يا جوزفين اتصلي مع المطعم، واطلبي العشاء. حنت الخادمة رأسها "بنعم"، ودخلتا غرفة الزوار ، واستأذنت زينب لتغيير ثيابها ، ودخلت هند الحمام ، وخلال ساعة كان العشاء قد حضر من المطعم ، وأخذتا بالأكل ، ولم تتحدثا عن سمر وإدريس وسيف والزواج ، ولما انتقلنا إلى غرفة الجلوس والسمر قالت زينب : يا هند لا تغضبي مني أنا أحبك ، وليس لي في الدنيا إلا أنت وأخي خالد وابنتي كريمة .. وأنا أعلم قوة حبك لي ، ورغبتك في سعادتي ، واهتمامك بحياتي وزواجي منذ فقدت أحمد ؛ لكن ألا ترين فارق السن بيني وبين الرجل ، إنه فرق كبير .

ـ الأعمار بيد الله أولا .. والرجل صحته جيدة كما علمت .. فهو لا يعاني من السكري أو أي مشاكل في القلب .. ولا أتصور أن يقبل رجل صغير السن الزواج منك إلا إذا كان طامعا بثروتك خاصة ممن نعرفهم .. ولليوم لم يتقدم إليك أي شخص من المعارف والأقارب ؛ ربما

بسبب علمهم بتدينك ..فهم لا يحبون هذه الصفة في الزوجات .. يحبون التبرج والسفور واللهو وأنت تعلمين ذلك .. والرجل مثقف ومرح ومتدين بدون تشدد وتعصب وغير متزمت وتقبل الأمر من سمر وهي في نظره كافرة .. وهو لا يعرفها قبل انخراطه في المقابلات الخاصة بجريدة صاحبه أو قريبه .. والأمر الأهم أنه لا يهمه أن تلد زوجته ؛ ولذلك تشجعت سمر لمساعدته ؛ لأنه عانى من زواجه القديم .

ـ لكنها حياة زوجية وبيت وطبيخ ونفيخ .

ـ يا سلام ! الخادمة ماذا تفعل عندك ؟! وحتى ونحن في بيت الوالد تعلمنا ذلك ؛ لأن ذلك من واجباتنا تجاه الزوج والأولاد ؛ ولكن طول عمرنا نأكل من تحت أيدي الخدم والمطاعم .. أنا استرحت للرجل ، ليس لأنه مهتم بقصة أمنا وسيف وبراءتها .. فأمي ليس بريئة تماما يا زينب فالصورة القذرة صورتها دون منازع ، لم تنكر أن الصورة لها ؛ لكنها ترفض فكرة أنها تعرت حرة أمام أحدهم ليصورها ..كيف خدعت ؟ كيف مكر بها ؟ هذا ما كان يغيظ أمنا يا زينب وماتت وهي لا تدرك كيف حصل معها ذلك؟ لذلك كتبت رسالة لسيف أن يذهب للمقهى ويبحث عن الرجل الذي باعه الصورة .. ويعرف منه كيف وصلت إليه الصورة ؟ ولكن الوقت تأخر للغاية .. لماذا طلبت منه ذلك؟ الله أعلم .. وتوصل إدريس إلى قصة الشقق السوداء التي تقاد إليها الطالبات الساذجات، ويخدرن ويصورن عاريات ؛ لابتزازهن للعمل في الدعارة أو الفضيحة .. وأمي لا تعرف بمثل هذه الشقق.. ولم تتحدث عنهن يوما وكانت تعرض الصور على الضحية بعد زمن حتى لا تتذكر وقت الخداع .. وأين ؟ وسقطت العديد منهن في براثن تجار الجنس والفجور .. وسيف كما فهمت كان يرى أمي ملاكا لا يمكن أن تقع في مثل هذه الهفوة أو الغفلة فصدم صدمة قوية .. وظن أنه خدع من قبل أمي وأهلها ؛ فكان الانفصال بسرعة ، وجنح به الخيال بما وراء الصورة من خبايا .. أنا لا أضغط عليك بالزواج منه .. هذه حياتك أنت ، لا حياتي ؛ لكني أحب لك الخير والسعادة .. وأن يكون لك الزوج الطيب المحب ..لا تصلح الحياة لشابة صغيرة مثلك بدون زوج يعيش معها يجلس معها ،

ويؤنسها يفرح لفرحها ، ويتعاطف مع حزنها.. يرافقها في الحفلات والمناسبات لو أنك كبيرة لربما كان الأمر أهون يا عزيزتي .. فكري بترو وعمق .. أنت لك ظروفك الخاصة .. وأنت تعلمينها أكثر مني .. وسيف الذي تعقد من النساء وأبى الزواج بعد الطلاق حبب للرجل الزواج منك .. لا أدري ما السبب ؟! فنحن ليس بيننا صداقة خاصة ، ولا عامة إنه مجرد جار له ذكريات مع أمنا أيام الجامعة ، وظلت أمنا تحتفظ بصوره تلك الأيام .. هذه الذكريات دفعتنا للتعرف عليه ، وليس بيننا سوى أهلا مرحبا كيف الحال في بعض الأحوال كالالتقاء في مناسبة اجتماعية كعرس أو مأتم اضطر لحضورها من مناسبات أقاربه الذين نعرفهم .. فلا دخل لنا في زواجه ، ولا طلاقه .. قولي لي ما أخبار أبي ؟

ـ مريض .

قالت هند : أعرف هذا .. وتحدثت معه بالتلفون ، وطلب زيارتي وزوجي ؛ ولكن زوجي يرفض الزيارة ، وقال: اذهبي وحدك ..لا يريد اللقاء به .. وإذا فعلت ذلك سيغضب والدي وربما سيطلب مني أن أطلب الطلاق .. لم أكن محظوظة بالزواج منه ؛ ولكنه والد الأولاد.

ـ صار معك كما صار مع أمي ـ رحمها الله ـ تزوجت من لا تحب وترغب .. لا أدري كيف يحدث الزواج يا هند ؟! .. تحدثت مع طبيبه المعالج فقال بصراحة قاتلة : سيموت قد استفحل المرض في بدنه ، وأجهزة الدفاع تضعف يوما بعد يوم ..إنه السرطان .. ولم تعد تسمن المسكنات والمخدرات .. وقد يتعرض لجرعات من الكيماوي الطبي على أمل .. وهو ضعيف .. زوريه وحدك أو اقنعي زيادا بالذهاب معك .. وإنها قد تكون زيارة الوداع .

ـ سأفعل .. الآن اسمحي لي بالانصراف .

ـ الحديث لم ينته بيننا.

قبلتها مودعة وهي تقول : فكري بجد بزواجك ..أنا لن أغلق الملف حتى أراك زوجة ، ليس مهما من هو صاحب الحظ .. إلى اللقاء . وعانقتها مجددا مودعة وخرجت .

إدريس لم يفكر بلقاء هذه الفتاة عبير حامد ، وسمر عمران ، هو كان مخططا للقاء مراد وسوزان

فالأول هو الذي كشف أمر الصورة لسيف ، ثم تبين أنه لم ير الصورة ؛ إنما استغل لنقل الرسالة وسوزان كانت صديقة لنبيلة ولمراد .. وكلنا يعلم أن سبب هذه اللقاءات هو معرفة كيف حدث التصوير الإجرامي ؟ ووجهت سوزان إدريس نحو سمر ، وتأكد من موضوع الشقق السوداء ، وسمر وجهته لعبير على أنها العضو الرابع للمقابلات .. وقد أدرك أن وراء الأكمة ما وراءها .. ظن أن لديها شيئا حول الشقق .. وهي في نفس الوقت عملت في الحركة الشيوعية كسائر الأسماء المختارة .

التقى بها في مقهى عام يجمع بين الجنسين، والسبب أن الآنسة عبير ما زالت عزباء عانس ـ كما يقال ـ منذ تخرجت من الجامعة ، وهي بدون زواج شرعي .. جرى التعارف والترحيب ، وقالت : لم أستطع استقبالك في بيتي؛ ولأنك رجل غريب عن الحي ، وأنا أسكن مع أمي .. ولي أخوة جيران في الحي .. فأنا لم أتزوج بعد ، ولن أتزوج .. وأنت خير من يعرف التقاليد رغم أن أهلي يعرفون أنني أجلس مع شباب الحزب ..فالتقاليد تحكمنا عندما يرونك مع رجل غريب عنهم يعتقدون فيّ السوء والزنا .. لا يرون أن هناك حوارا بين رجل وامرأة.

فقال : نعم ، ما زالت التقاليد تحكمنا خاصة الأحياء الشعبية .

قالت عبير : وحتى أحياء الأثرياء صداقة رجل وامرأة تعني الفاحشة والخنا .. هذا المقهى يرتاده الرجال والنساء .. لا للعب الشدة كمقاهي الرجال .. هنا الدخان والثرثرة فقط .. ها هنّ فتيات يدخن النرجيلة .. حديثنا عن الحركة الشيوعية في الستينيات .

ـ العقد الذهبي على ما أظن .

ـ يمكنك أن تقول ذلك ..كان الفكر يتكلم فيه.. في السبعينات أصبح الرصاص يتكلم .. وفي الثمانينات الإصلاح والتقويم ، ثم انفرط الحزب الشيوعي السوفيتي ، والأهم في الحركة الشيوعية العالمية .. أنا صرت شيوعية لظروف معينة ، لا تعرف عنها شيئا .

قال بفكر وتأن : أنا رشحت لي للحديث عن فترة دخولك الحركة الشيوعية من قبل زميلتك السيدة سمر عمران .. وهي تعرفت عليها عن طريق المهندسة سوزان .. اليوم الشيوعية

أصبحت هواية وتغني بالأمجاد

ـ تغني بالأمجاد !

ـ نعم ، عندي سؤالان سألتهما لرفاقك الأول كيف انخرطت بالشيوعية العربية ؟ وهي حركة الحادية صادمة للمجتمع المسلم ، والثاني هل ما زلت تؤمنين ومتمسكة بالفكر المادي وتلك الشعارات ؟

تنهدت وقالت : أنا عرفت الشيوعية ، وسمعت بها في الجامعة ، وعرفتها عن طريق سمر زميلة الكلية ، ولم أنخرط فيها إلا بعد أن تعرضت للاغتصاب ، وتصويري حيلة عارية وفي أوضاع جنسية لا تخطر في البال ؛ وذلك رغم أنفي .. فالتحقت بالشيوعية حماية لنفسي من الدعارة ؛ وذلك نصيحة من صديقتي سمر .. فالجنس مباح عندنا ولا أهمية للعفة .. والدعارة مرفوضة

أدرك إدريس حسن اختيار عبير لهذا اللقاء .. فها هي تعترف بالأذى الذي حل بها .

فقال : هل يمكن الحديث عن ذلك المكر في هذا المكان العام؟

قالت : يمكن.. أتصور لا أحد يهتم بما نتكلم .. قبلت طالبة في الجامعة في كلية التمريض كسمر ..كنت في نظرهم جميلة ..كنت أحب الثياب والعطور والتبرج ، وصحبت الشباب والشابات من السنة الأولى ، وكنت في نفس الوقت ساذجة حسنة الظن بكل شخص .. تعرفت على شباب الحركة الشيوعية ؛ لأنني لم أكن متدينة أصلا ؛ ولكني لم أكن أعرف الإلحاد هل هناك إله أم لا ؟ ولم أهتم بالتحزب .. فكنت بعد انتهاء المحاضرات أعود لأقطن مع فتاة شريكة لي في السكن .. أنا عرفت الشباب من أيام المدرسة الثانوية أصاحب ذا فترة وأتركه إلى آخر .. ولما التحقت بالجامعة تجاهلتهم كلهم .. تعرفت على شاب في آخر السنة الأولى شابا أثار إعجابي .. كان جيدا وكان ينفق بسخاء عليّ من مرطبات كحول ساندويتشات هدايا من العطر .. تعلقت به .. ولم نفكر في الزواج طبعا صداقة كلية .. أمامنا سنوات للتخرج واستمرت العلاقة بعد انتهاء السنة الأولى .. وأثناء عطلة الصيف كنت ألتقي به في وسط المدينة ، نتناول الطعام ، نذهب السينما المسرح كان سامر يغمرني بالغزل والأحلام والهدايا ، وكنت عاجزة عن تقديم

شيء له أكثر من بضع قبلات خلال كل هذه الشهور ..كان يتظاهر أنه مغرم بي .. حقيقة كنت مفتونة ومبهورة به وبكرمه ومطاعمه ، لم يتحرش بي جنسيا ..كنت أتوقع أن يطلب مني المعاشرة مقابل ما يقدمه ؛ لكنه لم يفعلها ، هل أحد يعطي بدون مقابل ؟! انتظرت عدنا للسنة الثانية ، وهو المحب الكريم .. ودعاني إلى حفل أول السنة في بناية راقية .. ورأيت فيها الكثير من فتيات الجامعة ..وسررت بوجودي في هذه الحفلة العامرة ، ثم تكررت الدعوة بعد ذلك لمثل هذه الحفلات الخاصة به ، ويرافقها طعام رقص غزل خمر دخان.. وكانت البنايات تتغير بين حفلة وأخرى ، حتى أنني لم أكن أدري من الداعي لها ؟ هو يدعوني لمشاركته فألبي الدعوة إلى أن فاجأني يوما بصورة إباحية لي ، كنت بغير لباس عارية تماما .. صدمت لم أستوعب الأمر خلت الأمر خدعة أو لعبة ، واتهمني بالخيانة والغدر ، وأنني بعت جسدي لمحب آخر .. دافعت هن نفسي بشدة دون فائدة .. المهم اختفى من حياتي بعد عرض تلك الصورة ، ثم ظهرت لي بعد حين يسير فتاة تحمل لي عددا من الصورة العارية والإباحية ، وكلمتني بكل وقاحة وصراحة بأنني إذا لم أقبل العمل بالدعارة ستذهب تلك الصورة لأهلي وتنشر بين طلبة الجامعة .. وبعد رفض شديد وتمنع عرضت عليّ معاشرة رجل واحد مقابل أن يسلمني الصور .. المهم سقطت في براثنهم وشققهم حالمة بالحصول على الصور .. كانت أياما عصيبة وسقوطا مريعا في مستنقع الرذيلة .. فكانت سمر صديقتي ، وحدثتها بالورطة التي وقعت فيها ؛ وربما سمعت بما حل بي فكشفت لها الحقيقة التي أتكلم بها أمامك فضمتني للحزب الشيوعي حتى لا أشغل نفسي بالبكارة والعفة .. وتوقف هؤلاء عن تهديدي وفضحي لما لما أعلنت شيوعيتي ؛ لأن الحزب هدد بفضحهم .. ونشر قصتي في مجلات الحزب وبياناته .. وهكذا صرت عضوا في الحركة الشيوعية العربية ، ولأنجو من بيع جسدي لمن هب ودب ..كنت كلما أقابل أحدهم لأخذ الصور يطلب مني المضاجعة والزنا .. ثم يرمي عليّ عشرة دنانير أو عشرين .. كنت رخيصة ؛ ولكنها ورطة لا تنسى .

فعقب إدريس : إذن نفذت بجلدك بدخولك الحزب .. ونجيت من الدعارة والإباحية .

قالت : الشيوعية لا يهمها الشرف والدعارة .. هي غير محرمة عندهم .. الجنس بالرضا والاقتناع بدون تهديد وابتزاز ..وأنا لليوم أرفض الزواج .. ولما كبرت سني ضعفت الرغبة بذلك ، وحرصت ألا يعرف أهلي أنني امرأة ، ولست عذراء

ـ لم يتقدم إليك أي شيوعي .

ـ سيرفضه أهلي ، وهم سكتوا على شيوعيتي على مضض للحرية التي نتمتع بها ، وللمال الذي أقدمه لهم .. فأنا تعلمت التمريض ، وعملت في قطاع الدولة ومشافي خاصة بعد التقاعد .. وما زلت أعمل .. وأنا اليوم غير شيوعية ، تركت الحزب في أواخر السبعينيات ؛لأنني غير مقتنعة بالإلحاد .. ولا يعني هذا أنني متدينة ، لم أعرف التدين يوما .. هذه قصتي يا أستاذ إدريس .. واعلم أنني ما زالت لي صداقات مع الرفاق وغيرهم ..هل بقي شيء؟

ـ والشاب الذي غرر بك ما مصيره ؟

ـ هو بعد أن مثل دور الصديق والسخي اختفى من حياتي .. ثم تبين لي أنه لم يكن طالبا معنا هو متخرج من زمن ..وكان يأتي الجامعة متظاهرا بأنه طالب ؛ ليصطاد المغفلات المراهقات مثلي .. فالعاشق الولهان الشريف مات .

ـ مات

ـ نعم ، مات ، والأصح لقد قتل .

ـ كيف ؟!

ـ لم أكن أول فريسة له ، كان يظهر في كليات مختلفة ، فهو مجرم ناعم .. الله أعلم كم يقبض أجر كل جريمة ؟! كرر العملية مع فتيات أخريات .. وهناك فتاة اعترفت لأهلها بما حصل معها من احتيال وخداع ، وجاءوا الجامعة والكلية التي كانت تدرس فيها الفتاة ، وأشبعوه ضربا ورفسا وطعنا بالموس ، ونقل إلى المستشفى ، ثم مات .

ـ والتحقيق !

ـ التحقيق حول الصور .. لا، كان التحقيق حول الجماع ، وعرضت على الطب الشرعي فبين

أنها عذراء ، لم تفض بكارتها .. وقتل المخادع وراحت عليه .. وسجنوا الإخوة بضع سنين .. وسمعنا أنهم خرجوا ، وتزوجت البنت ، وأصبحت أما .

وبعد لحظات من الصمت ، وطلب المزيد من القهوة قال : يا أختي العزيزة كيف كُنتُم تصورون ؟! تخدرون تنومون .

ـ حسب الحفلة .. هناك حفلات تمتد للفجر .. أتوقع أن التصوير يحدث فيها .. نتعب من الرقص والشراب والغناء ، فينام كل واحد حيث يكون .. وهناك حفلات مختلطة ، وهناك حفلات قصيرة تنتهي قبل نصف الليل .. وأعتقد أن هذه الحفلات تغطية على حفلة التصوير من الصعب أن أعرف متى تم تصويري ؟ فأنا عندما أنام أحسب أن ذلك بسبب الكحول والتعب والأكل الكثير .. فتحديد حفلة التصوير إذا كنّا في حالة تخدير لا يعرف ؛ وربما تكشف لنا الصور بعد نصف سنة ..كيف سأتذكر ؟ لا يعرف المخدوع أي حفلة مكروا به .. إنهم شياطين وأرجح أنهم يستخدمون المنوم أو مخدرات غير خطرة كالتي تستخدم في تخدير الحيوانات الخطرة لعلاجها أو نقلها .. والصور تكون في غرف خالية من الأثاث .. سجادة على الأرض .. والمصور محترف في لقط الصورة .. وعندما نستيقظ سيذهب الظن إلى الشراب والرقص .. أنا عرفت فتاتين خلال الجامعة استدرجتا للفخ .. أنا ضعفت للحصول على الصور ولكنهم ماكرون .. فكان أمامي الحزب الماركسي للتوقف عن الدعارة والفضيحة .

ـ يعني أنك لا تذكرين ما حصل تلك الليلة .

ـ لا أذكر ليلة الجريمة ..فتكرار الحفلات بعدها لا يدعك تعلم .. ولا يكاد أسبوع أو عشر أيام تمر بدون دعوة وسهرة.

ـ ألا يحدث زنا ؟

ـ أنا لم أر ذلك .. كانت تحدث قبلات حركات .. أما تعري وزنا لم يحدث أمامي شيء ..الزنا له شقق خاصة .

قال : حدثت عن هذه الشقق من قبل سمر وسوزان قبلها ..ولم تعرفا مكان التصوير ، هل هو

نفس الشقة أم تنقل لمكان خاص بالتصوير ؟

ـ أعتقد في نفس الشقة ؛ وربما تكون هناك شقة يجري فيها التصوير .. فشقق الحفلات كثيرة .. لا أدري كيف توفر؟! أنا شاركت في أكثر من خمس شقق كحفلات وسهرات .



لما رجع إدريس من المقهى حيث قابل الآنسة عبير اتصل بالسيدة سمر ، وقال بعد التحية : الآن عدت من مقابلة مع الآنسة عبير ، هل هي الفتاة التي عملت في تلك الشقق ؟

ضحكت وقالت : أنت فهمت ذلك ، لا ، تلك المرأة ما زالت ترفض أي مقابلة ، وأي حديث عن تلك الأيام .. الأخت عبير حامد هي ضحية مثل نبيلة خالد .

ـ أتعرفين غيرها من ضحايا الشقق ؟

ـ أعرف حوالي عشر فتيات أُكرهن على الفجور ؛ لكن الاتصال انقطع معهن بعد الخروج من الجامعة .. نبيلة المهندسة لم تعرف أنها صورت إلا بعد زواجها من المهندس سيف .. أما عبير فاعترفت لي بذلك .. واستطعت إنقاذها.

ـ والشاب الذي قتل .

قالت : عندما تعرف عليها كان متخرجا من إحدى الكليات ، ولأنه وسيم وجميل ابتاعوه ؛ ليجر الفتيات إلى تلك الشقق بعد قصة حب ورومانسية لفتيات متعطشات للأسف للحب والغزل .. ولما ينته دوره مع إحداهن ينتقل لكلية أخرى ، ويصطاد فتاة حددت له .. الحقيقة المرة التي علمتها أن عصابة رهيبة كانت تدير هذه المواخير .. والشاب الذي ورّط عبير قتل ؛ لأنه المورط وصياد .. المصور مجهول حسب علمي ، فالشاب صياد فقط .. لكن الفرسان كثر ربما لا يعرفون بعضهم بعضا .. هو يفعل ذلك مقابل أجرة .. فهم يدفعون ثمن غرامياته وحفلاته وثيابه وهداياه .. وظيفة يا إدريس .. لم يحزن عليه أحد لما قتل .. فقد كان مكشوفا في

تورطه في تلك القضايا الأخلاقية السيئة .. أفهم أنك لم تستفد كثيرا من عبير!

قال : استفدت طبعا ، استفدت قصة حياتها ، وكيف عملت معكم ؟ ولكنها خرجت من الحزب .

ـ نعم ، خرجت قبل سنوات .. هي كان نشاطها ضعيفا مجرد عضو .. كانت محطمة نفسيا .. وحتى أثناء عملها خاضت عدة مغامرات عاطفية فاشلة .

ـ لم تتكلم عن ذلك .. ركزنا على قصة اصطيادها .. فعلا موضوع الصور والشقق مثير ؛ ولكنه قديم ، يبقى مجرد حكاية ومأساة لمن وقع فيه .. وهي ضحية كما قلت ، ولا تذكر كيف خدروهن أو نوموها ؟ لديهم مكر وخداع بارع .. وأين حدث التصوير ؟ لا تستطيع معرفة البناية .. وقلت تلك المرأة ترفض أي مقابلة أهي ذات بعل ؟

ـ لا بعل ، ولا بصل .. قوادة .. وهي نصف مشلولة ، لا زوج ، ولا أولاد .. كانت مشرفة على إحدى الشقق .. وأعتقد أنها تعرف كيف كان يتم التصوير والتنويم والتخدير ؟ صديقتي نبيلة كانت تتمنى لو تعرف كيف صوروها ؛ لتكتب لزوجها الأول الحيلة التي تعرضت لها كانت قلقة بشأنه ، وتشعر أنها سببت له عدم الذرية والنساء .

قال بشفقة : هو جعل كل النساء نبيلة ، وهو يعترف اليوم أنه تسرع ، وغلبه الانفعال والغضب وقد سيطرا عليه ذلك النهار عندما رأى الصورة القبيحة .

ـ أنت تعرفه سيد إدريس !

ـ نعم ، تعرفت عليه منذ عهد قريب ، وأصبحنا أصدقاء ؛ وذلك بسبب الصورة .. شكرًا عندما أنتهي وأعد القصص للنشر سأتحدث معكم ، سلمي على الآنسة عبير .

وقبل أن ينهي الاتصال سمعها تسأل : هل تحدثت هند معك بعد ذلك اللقاء ؟

ـ من أجل أختها أم من أجل أمها ؟

ـ من أجل الزواج !

ـ لم يحدث شيء بعد لقاء التعريف .

قالت مشجعة : سيحدث شيء يا أستاذ إدريس إنها خائفة فحسب ، إنها تعيش وحيدة ، وقد يكون مرض والدها مؤثرا عليها .

ـ وهل هو مريض ؟!

ـ نعم ، هو مريض منذ سنة.. سرطان في القلب ولا أمل في العلاج هنا ولا هناك .

ـ هو من جيلنا!

ـ أعتقد .. وهند مهتمة بزواج أختها لأسباب عدة .

ـ منها!

قالت : الوحدة التي تعيش فيها زينب .. أنت كيف تعيش وحيدا ؟!

ـ حياة لا تسر .. إذا مرض الرجل قد يتضاعف المرض قبل أن يدخل عليه أحد ؛ ولكني تعودت عليها .. وجيراني في الحي أخي وأختي وبعض الأقارب .. تعودت على الوحدة عشرين سنة .. أحدهم يقرع الباب ...

وضع السماعة ، وخرج يفتح الباب ، فوجد سيفا أمامه ، ويحمل طعاما جاهزا ، فساعده في إدخال الطعام ، وقال : اتصلت بإياد وهو قادم .

قال : حسنا ! شكرًا يا سيف .. يبدو أن طعام مطعمنا لا يعجبك .

ـ لا ، لا ، بل طعامكم جيد .. ولكني أحببت أن أكرمكم.

ـ أكرمك الله .. بارك الله فيك .. ها هو صوت سيارة إياد يقف أمام العمارة .

ـ أنا كلمته من المطعم .

خرج إدريس لفتح الباب لإياد الذي زلف مسلما مصافحا ، وانتقلوا إلى حجرة الطعام وتعشوا وخرجوا لصلاة العشاء في المسجد ، ثم عادوا للسهر والسمر ، وحدثهم إدريس عن لقائه بالآنسة عبير في مقهى النضال العربي .

فقال سيف معقبا :يا الهي ! لقد كنت مغفلا تلك الأيام .. لم أسمع بهذه الأفلام الرهيبة أو لم أكن أركز على سماعها .. الحوادث كثيرة في الكليات .. هذا لا يخطر في البال!

قال إياد : إنه تدبير محكم ؛ ولكنه لا يخلو من ثغرات .. وماذا استفاد الشاب القتيل من تغريره بهن ؟!

ضحك إدريس تهكما وقال : المال والبدلات والحب .

قال سيف : الأشرار لا يفكرون في النهايات ..لا يفكرون في مصالحهم الآتية والشرعية .. ولكنها لم تعرف كيف وقعت ؟

ـ لا تعرف ، واستسلمت للتهديد على أمل أخذ الصور .. ولما خابت بذلك أنقذتها سمر بإدخالها في الشيوعية ، فابتعدوا عنها .

قال إياد : المهم أنها تعرضت للتخدير بطريقة لم تعرفها ، الشخص إما أن يصور بإرادته وعلمه أو رغم أنفه ويدرك ذلك بعد الاستيقاظ ، أو رغم أنفه خدعة وحيلة ولا يدرك ذلك وهذا ما حصل مع امرأتك يا سيف لم تدرك كيف صورت ؟كن ضحايا لعبة أكبر منهن !

قال سيف : للأسف لم أكن أسمع بمثل هذه الأشياء والشيطنة ، وحتى نبيلة كانت تجهلها أو علمت بها ، ولم تلق لها بالا .. لم تحدثني يوما عن مثل هذه الشقق السوداء الحمراء .. على كل انتهت القصة ها هنا .. ولم أكن أعلم بمثل الأوكار .. وأنا أشهدكم أنني سامحتها .

قال إدريس : أنت كنت طيبا يا سيف .. انعزاليا إلى حد ما .. فغفر الله للجميع .. وأهل الشر لا ينتهون إلى قيام القيامة .

قال إياد ملطفا الجو : قدر الله وما شاء فعل يا إخوان .. الآن ماذا جرى لك مع السيدة زينب ؟

تنحنح إدريس ، ومسح فمه من بقايا ما يأكله : تقابلنا في بيت السيدة سمر ، تحدثنا عن مشاكلنا الجنسية بكل وضوح .. وطلبت الحديث عن صورة والدتها ، وقصتي مع الصورة .. فاعتذرت بالوقت ، وكان وقت العشاء يقترب وخرجت للصلاة ..وأنا أنتظر الرد ليصبح الموضوع جديا لعلي أتزوج أنا وسيفا في ليلة واحدة .

ضحك سيف وقال: يا صديقي لا تربط نفسك بي .. أنا نسيت شيئا اسمه الزواج

ـ لا رهبانية في الإسلام .

ـ لن أذهب للدير يا صديقي! أنا طابت لي حياة العزوبية .. أنا أفكر بزيارة مكة .

قال إياد : الحج!

ـ نعم

قال إدريس مشجعا: فكرة جيدة ! أنا مثلك أرغب بذلك.. أنا حججت قديما مع إياد في بعثة البلدية .

قال إياد مشجعا لهما : اليوم الخدمات والرعاية للحملات أفضل .

قال إدريس : أتمنى لك التيسير يا صديقنا.. فالحج ركن عظيم من أركان الدين .. هل تصلي في البيت ؟

قال : بالتأكيد .. وأقرأ جيدا .. أنا أفكر بإطلاق لحيتي .

قال إدريس : لا تتعجل يا صديقي حتى تتقوى الطاعات عندك ، وعندما تجتاز الصيام ورمضان خاصة تتأسى بالسلف الصالح بشأن اللحية .

عندما رجع سيف للبيت بعد منتصف الليل أخبرته الخادمة أن سيدة اسمها زينب اتصلت به وتركت رقمها ، وطلبت أن يتصل بها بأي وقت من الليل ، أخذ الرقم وتركه على مكتبه ، ودخل الحمام ، واغتسل وتوضأ ، وصلى بضع ركعات كقيام ليل ، ودخل مكتبته المنزلية ، وتناول كتابا كان يقرأ فيه ، وقرأ بضع صفحات ، وغفي على الكنبة ، واستيقظ على آذان الفجر وتوضأ وسار للجامع الذي يتوسط الحي .. وهذا أقدم مسجد في حي بهية ، ولم يكن المصلون بالعدد الكثير ، كانوا صفا واحدا ، وبعض أنفار في الصف الثاني ، ولما قضيت الصلاة غادر المسجد سيرًا على الأقدام إلى بيته .. وما كاد يستريح ، ويتناول القهوة من الخادمة حتى رن جرس الهاتف ، فتناول السماعة قائلا : نعم .. زينب أهلا صباح الخير أو السلام عليكم أحسن أنا بخير .. ترغبين بالحديث معي .. آ أنا دائما في البيت .. ليلة أمس كنت في زيارة .. بعد العصر

أمر على الصيدلية أذكر موقعها .. حسنا ، بعد الصلاة سأكون في الصيدلية إن شاء الله .

غادر المسجد بعد صلاة العصر ، وركب سيارته باتجاه صيدلية زينب التي تقع بين أول حي بهية وحي العرب الكبير ، دخل الصيدلية بعدما ركن السيارة أمامها ، رحبت به زينب ومساعدتها وقدمت له مقعدا ليجلس عليه، ولما أنهت الترحيب والجلوس قالت : كيف أنت؟

ـ بخير

ـ أنت تصلي يا سيد سيف!

ـ نعم ، من عهد قريب تعلمت الصلاة .

ـ هل أنت مرتاح في الصلاة ؟

قال بحماس: جدا يا سيدتي! كيف أنت ؟ وكيف الدكتورة هند؟

ـ كلنا بخير ..كنت أحب أن أسالك عن شخص تعرفت عليه حديثا .

ـ إدريس .

ـ نعم ، إدريس .

ـ نعم ، عرفته وأزوره في بعض الأمسيات ، وتحدثنا عن والدتك ، وما تعرضت له من مكر ، وتدبير شيطاني ؛ ولكنها لم تعرف من غدر بها .. ما زال الفاعل مجهولا

ـ هل تعلم أن هذا الرجل العجوز قد قدموه لي كزوج ؟

ـ أعلم ذلك .. وهو رجل جيد واجتماعي ومغامر وصحفي وفضولي ومتدين إلى حد جيد .

بعد صمت قالت : لو كنت ابنتك أتقبله لي ؟

ـ لم أفهم قصدك يا سيدتي ! أنت تزوجت وترملت ، وهو تزوج وماتت زوجته .. بينكم أشياء مشتركة قد تساعد على نجاح الزواج .. فكلاكما لا يسعى للولد .. وأنت ـ معذرة ـ كما علمت قد أزلت الرحم ..وهذا يسبب الضعف الجنسي .. وهو يعاني من ذلك .. وأنت ترغبين بزوج عنده مسحة من التدين بمعنى أنه غير متشدد .

ـ مسحة من التدين ! هذا كله علمته من إدريس .

ـ نعم ، هكذا قالوا له يا سيدتي .. هو لا يعرفك ، ولم يقابلك إلا تلك الأمسية .. فمصدر معلوماته عنك المرضة سمر زميلة أمك أيام الجامعة .. وعلمت حديثا أنها ظلت على صداقة مع أمك رحمها الله تعالى .

بعد صمت قالت : أنت طلقتها من أجل الصورة !

ـ نعم ، من أجل الصورة ..كان الموقف رهيبا يا دكتورة زينب ..عريس منذ أيام قليلة يتفاجأ بصورة لزوجته دون لباس عارية تماما ..كانت صدمة لي .. لم أستوعب الصدمة .. وتصورت نفسي مجرد ستار لشيء رهيب

ـ والحب!

ـ ما هو الحب ؟ يا سيدتي لما يكتشف الإنسان خيانة ماذا يبقى للحب ؟ إنها لم تنكر أن الصورة لها .. ذكريات مريرة .. ماذا تريدين أن تعرفي عن إدريس ؟

ـ أهو الزوج المناسب لابنتك زينب ؟

ـ حسب مواصفتك هو الزوج المناسب .. أنت ترغبين بالستر .. وهو كذلك .. هو ليس بالغنيمة يا دكتورة يعيش على تقاعده بعد خدمة عشرين سنة .. فهو راتب ضئيل ؛ لكنه يملك شقة تصلح للحياة الزوجية الهادئة .

ـ أترى أن الزواج سينجح ؟ ولن ننتقل إلا المحكمة بعد أسبوع زواج .

ـ إذا لم ترغبي أنت بالطلاق ، فلن يحصل من طرفه .. هو بعد موت زوجته لم يقبل بالزواج خشية الزواج من امرأة ترغب بالذرية .. ويعود للتحاليل والعلاجات

ـ يعني أتوكل على الله .

ـ اسألي أو تحدثي معه مرة أخرى .. وأعرضي شروطك عليه ..وأما الطلاق إذا لم تطلبيه أنت فلا أعتقد أن يفعله إلا مضطرا .

هتفت : مضطرا .. ما تقصد بمضطر ؟!

فجأة دخلت هند وهتفت فور رؤيتها المهندس سيف المهندس : سيف هنا .. مرحبا زينب كيف

حال المهندس المعتكف ؟

مدت يدها لتصافحه فقال: آسف لم أعد أصافح النساء .

صاحت دهشة: ماذا؟!

فقالت زينب : المهندس تمشيخ من عهد قريب !

ـ آ .. وأنت شيخة ..فأنا آسف بإزعاجي لكم .

قال : كيف حالك يا دكتورة هند ؟

ـ أنا الحمد لله .. ماتت أمي وهي حزينة لك ، ومن أجلك يا مهندس سيف .. ما أخبارك ؟ ولماذا أراك هنا ؟!

قالت زينب : أنا طلبت منه المجيء .. ماذا تريد الأخت الكبرى ؟

ـ اتصل بي خالد .. يريد أن نلتقي عند الوالد الآن .

ـ الآن يا هند !

ـ نعم .

قال سيف وهو يقوم عن الكرسي : كيف حال الوالد اليوم ؟

ـ حاله صعب يا مهندس سيف!

ـ شفاه الله .. سمعت بمرضه .. خفف الله عنه.

قالت زينب: شكرًا مهندس سيف على تلبية الدعوة ؛ لعلنا نلتقي مرة أخرى .. كان موضوعنا يا هند عن السيد العجوز إدريس .. فهو كما تعلمين من أصدقاء سيف

قال سيف: صرنا أصدقاء بسبب المرحومة نبيلة والصورة الإجرامية .. وقد التقى بفتاة تعرضت لما تعرضت له أمكم ـ رحمها الله ـ الاستدراج إلى شقة وتصويرها بطريقة إجرامية ، ثم باعت نفسها للحصول على الصور وخشية الفضيحة ، ومع ذلك نالوا منها ، ولم تحصل على الصور ، فلجئت للحزب الضال الشيوعي ..وتوقف أولئك عن التعرض لها خوفا من صحف الحزب وبياناته الثورية ؛ لكنها لا تذكر كيف خدعت وصورت ؟

سألت هند : إدريس التقى بها ، وكيف وصل إليها ؟!

ـ عن طريق الممرضة سمر .. هي التي ضمتها للحزب لتحميها من الدعارة .. وظلت لليوم بدون زواج حتى لا يكشف أهلها أنها فقدت عذريتها من شلة مجرمين .

ـ لم تحدثني سمر عنها .

ـ وهل تحدثك عن كل شيء ؟ هي صديقة أمكم .

ـ أنا آسفة .. هي في الحقيقة صديقة أمنا .. فنحن صادقناها تبعا ؛ ولكنها قصة مهمة هناك ضحايا كثر .. سيف العزيز نحن بحاجة للجلوس معك

ـ معي ! هذا صعب يا دكتورة .

ـ أما زلت تكره جنسنا ؟!

ـ لحتى الآن لم أتخلص من كرههن أو عقدة الاتصال بهن ..وأنا قابلت الدكتورة زينب ؛ لأني أدركت أنها تريد أن تسأل عن السيد العجوز على رأيها .. فأنا شجعته حقا على الزواج إذا قبلته الدكتورة .. فهو ليس لديه عداوة نحو النساء عقدته الحمل .

رئيس التحرير

كان إدريس قد قدم القصص الأربعة لسكرتير تحرير الجريدة الأسبوعية ، وطلب تحديد موعد لمناقشتها مع رئيس التحرير المحامي خلدون ، وبعد أن اطلع الرئيس عليها ، وعلى ما كتبه إدريس المعروف لهم ، اجتمعا لترتيب النشر ، فوضع الرئيس ورقة أمام إدريس ؛ لتكون مقدمة أمام تحقيقات إدريس . وقال : أحسنت الكتابة يا صديقنا كعادتك! .. وهل تعرفهم شخصيا؟

ـ لا ، أول مرة ألتقي بهم يا سيدي .. فكرة خطرت في بالي .. كيف قبل هؤلاء الشبان الصغار ترك دينهم والتحقوا بالمنهج الماركسي ؟ هل كان ذلك عن قناعة أم صداقة أم انبهار بالفكر الشائع وثورة لينين وكاسترو؟ ولماذا ظلوا موالين ومقتنعين بالفكر الشيوعي رغم موته في أقوى دولة ماركسية الاتحاد السوفيتي ؟!

ـ جيد أن يتحدث الناس عن ماضيهم .. هو للتاريخ مهم .. بعض القرّاء يحبون قراءة مثل هذه الصفحات من الماضي القريب .. اقرأ مقدمتي .

قرأ إدريس ما كتبه رئيس التحرير :

الماركسية منهج مادي الحادي ظهر في أوروبا ، وامتد لأنحاء العالم ، وأصبح منهج حياة لعدد كبير من القادة في الصين وكوبا وروسيا ، وكان له صدى في العالم العربي والإسلامي ، وتأثر به شبابنا وشباتنا ، واتخذه بعضهم منهج حياة ؛ ورغم زخمه وقوته وسرعة انتشاره لم يصل للحكم الصريح إلا في اليمن الجنوبي ، وبعض أحزابه شاركت في الحكم في بعض دول العالم العربي والإسلامي ، وبعضها دخلوا البرلمانات على شكل أفراد وأعضاء برلمان، وحكم بعضهم كأفراد وعضو برلمان ، وفترة الستينيات من هذا القرن فترة حماسية بالنسبة للشيوعيين العرب.

هذه نماذج لشبان اعتنقوا الماركسية في أول حياتهم لدوافع مختلفة ، أحدهم اتبع المنهج الماركسي حبا في النساء ، ودون الشعور بالإثم والمعصية ، وفتاة دخلت الماركسية لتحمي نفسها من شبكات الدعارة هربا من الجنس ، وآخر لحق بالشيوعية حماسة للفكر اليساري والتمرد على التقاليد المنتشرة في المجتمع ، فأرجو أن يستمتع القارئ بأفكار وذكريات هؤلاء الأربعة ، وقد

يكون لنا حديث مع غيرهم .. وهذه الحلقة الأولى ... وضع إدريس الورقة ، وقال: أليست مقدمة طويلة يا أبا بسام ؟

ـ أستطيع اختصارها .. مقالك كبير كذلك .. وليأخذ المقال والمقدمة والإعلانات صفحة كاملة المهم هل تحب أن تضيف شيئا عليها ؟

ـ لا ، أنت تصرف كما يحلو لك ؛ لكن أعلمني عندما يبدأ النشر لأتمكن من شراء الأعداد اللازمة لإرسالها لهم ؛ لأنني وعدتهم بذلك .

ـ سيفعل زكي ذلك .. سأبدأ في نشر ذكريات سوزان ، ثم سمر ، ثم عبير ، ثم نختم بقصة المهندس مراد .

قال : ليس مهما الترتيب عندي .. كانت فكرة وعملت عليها كل هذه الفترة .

ـ الدكتورة التي طلبت الحديث معك هل قابلتها ؟

ـ نعم ، قابلتها بعد اتصالك. وذكر له قصة أمها باختصار فقال : أنا سمعت بمثل هذه الشبكات من الدعارة ..كنت أظن أن الفتيات يذهبن بحريتهن ، وليس تحت ضغط الابتزاز والتهديد !

ـ هذا صحيح يا أستاذ ! لكن هناك فتيات جميلات كن يرفضن الانصياع لتلك الشهوات ، ويرفضن تسليم أجسادهن بإرادتهن ، فيتعرضن للتخدير والتنويم ، ويصورن عاريات ، ويقوم أحد الشبان بعرض صورهن تلك عليهن ، فيخضعن للدعارة أو يلتحقون بالأحزاب النشطة كما حصل لعبير .. ولليوم ترفض الزواج أو فات الزواج خشية أن يعرف أهلها أنها فقدت عذريتها من أيام الجامعة بطريقة منحطة .. احتمت بالحركة الشيوعية .. فبعض الأسر كما تعلم صارمة في مسائل الشرف ؛ بل الشاب الذي استدرجها وغرر بها كرر عملته مع غيرها .. وعرف أهل فتاة اعترفت لأهلها بجرمه.. فقتلوه بالسكاكين وسط الجامعة يا أبا بسام .

ـ أرجو أن يتقبل قراء جريدتنا مثل هذه المواضيع .. عندما نقوم بالنشر سأخبرك .. وإذا نجحت فكرتك ولقيت استحسانا ، سنطلب المزيد من المذكرات .. سلم لي على الدكتورة هند غريب .

ـ قد أتزوج من شقيقة لها .. مشروع زواج .

ـ زواج! أنت ستتزوج!!

لخص له حكاية الزواج الجديد ، فقال أبو بسام : هذا لو حصل كما يقال فتحت لك ليلة القدر ربما لا نعد نراك .

ـ هل يتغير الشخص بسرعة ؟!

ـ المال والجاه والزوجة يتغير الكثير .. لا تنسى من إخباري بكل تطور في هذا الزواج العجيب ولكنها صغيرة بالنسبة لسنك يا إدريس .

ـ صحيح .. ومنذ ترملت لم يتقدم لها أحد من مستواها الاجتماعي مع أنها طبيبة وغنية ..وقد ورثت عن زوجها ، وعن أمها .. ووالدها طبيب في الوزارة وهو على وشك الموت من السرطان .. وأمها مهندسة ، وأختها طبيبة ، وكذلك شقيقها الوحيد طبيب .. وتعيش في حي بهية .. وهو اليوم لم يعد كما كان .

ـ أتمنى لك التوفيق ، وإذا حصل الزواج وقبلتك .. فادعونا لحفل الزواج.

ـ حفل الزواج وهل سنحتفل ؟!

ـ أكيد سيكون هناك حفل في قاعة أو فندق ذي نجوم خمس .

نهض إدريس مسلما ، وشاكرا لرئيس التحرير .

بعد هذه المقابلة بعشرة أيام نشرت الحلقة الأولى على إحدى صفحات الجريدة الأسبوعية "الشرق المضيء" ونشرت المقالة الخاصة بالمهندسة سوزان ، نشرت المقالة مع بعض التعديلات الطفيفة ، وإضافة بعض الهوامش ، ولما استلم إدريس الأعداد ذهب بنفسه لشقة السيدة سوزان ، ووضعها في صندوق الصحف الموضوع أمام المنزل ، ولما اطلعت السيدة على الصحيفة ، وقرأت المقدمة المضافة اتصلت بإدريس شاكرة النشر ، وعقبت فقالت : لماذا هذه المقدمة الطويلة ؟

ضحك إدريس؛ لأنه هو نفسه علق على طولها، وكان متوقعا لمثل كهذا اعتراض فقال : هذا

شغل رئيس التحرير ليس شغلي .. المهم أن المقابلة نشرت كما عرضت عليك .. أما المقدمة والعنوان فهي للفت القارئ وإثارته لقراءة كل المقال ، ولا يكتفي بالعنوان والمقدمة والتلخيص؛ لأن بعض القرّاء يكتفي بالعنوان .. بعضهم بالمقدمة .. بعضهم بالتلخيص.

اقتنعت بالتعليل ، وهي تعلم أن رئيس التحرير يحب أن يظهر بصمته على المقال : بدأتم بي مع أنك قابلت مرادا قبلي !

ـ هذا أيضا شغل المحرر وسكرتيره .. أنا حريص أن ينشر ما اتفقنا عليه يا حضرة المهندسة .. الأمور الأخرى من عمل التحرير .. فهم المسؤولون في النهاية عن النشر ونجاحه .. أنا فكري وعقلي في المقال نفسه ؛ وليكون سهلا ومقبولا من طبقات القرّاء المتنوعة لم أحاول مقارنة بين فكر وآخر .. جعلتها وثيقة تاريخية .

ـ الحق أنك بارع في الكتابة الصحفية !.. ولك خبرة كبيرة .. أنا عندما قرأتها رغم معرفتي بكل تفاصيلها ظننت أن هذه المعلومات عن شخصية غيري ، ولا أقرأ صفحات من حياتي أنا إنما أقرأ قصة صديقة ورفيقة لي .. ألم تنتم لحزب أخ إدريس ؟

ـ نعم ، لم أتحزب ؛ لكنني تعرفت خلال هذه السنين على اليميني القومي اليساري الديني .. وأحب الندوات الخاصة .. وكنت أكلف من قبل رئيس التحرير الأستاذ أبي بسام بحضورها وكتابة تقرير عنها .

ـ أحسنت يا أستاذ إدريس ! أتسمح بسؤال خاص ؟

ـ سؤالان يا مهندسة سوزان!

ـ أنت تعلم أني كنت صديقة المهندسة الراحلة نبيلة خالد ، وكذلك للممرضة الغالية الرفيقة سمر .

ـ أعرف ، وكانت السيدة نبيلة هي الرابط بين المقابلات الأربعة أو صارت هي الرابط .

ـ علمت أنك وافقت على الزواج من الدكتورة زينب .

ضحك إدريس للحظات قبل أن يقول: رفيقتك سمر ورطتني في هذه القصة ، وقابلت الفتاة

الأرملة بعد أن راقت لي فكرة الزواج بعد عزوبية امتدت لربع قرن ، وتوقفت الحياة عند المقابلة قالت : الموضوع ما زال قائما ؛ لكن والدها في حالة مرضية صعبة يا أستاذ إدريس ، فالناس في ظروف كهذه تتوقف عندهم الحياة .. ويوقفون الزواج والأفراح .

ـ الأمر لله من قبل ومن بعد .

ـ ألا تقبل دعوة للعشاء أو الغداء بمناسبة نشر المقال ؟

ـ أقبل دعوة لشرب الشاي أو القهوة .

ـ سوف ارتب الأمر مع زوجي إياد .

ـ السلام عليكم .

ـ وعليكم السلام .

ترك السماعة والتفت لإياد قائلا : إنها السيدة سوزان تتصل بمناسبة نشر مقالها .. فقد أعجبها النشر .. الإنسان يحب أن يتحدث عنه الناس ، ويثرثرون أخباره وأقواله .. شهوة الشهرة .

ـ وكيف لا يعجبها ؟ ربما من سنوات وسنوات لم يهتم بها أحد .. أحد ليسمع حكايتها وتاريخها النضالي كما يزعمون .. تاريخ الكفر والضلال

ـ سألتها أثناء اللقاء هل تُحبين أن تعودي على ما كنت عليه قبل الشيوعية ؟

ـ ماذا ردت ؟ هذا لم ينشر طبعا .

ـ أكيد لم ينشر قالت : ماذا كنت قبل الماركسية ؟ لم أكن شيئا .. اسمنا مسلمون ، لا نعرف من الإسلام شيئا .. يا إدريس لا نعرف صلاة ولا صوم ولا دين .. في البيت حياة دون مبدأ ؛ ربما عرفت عن الإسلام عند اعتناقي للشيوعية الكثير من المعلومات من المناقشات مع شباب التيار الديني .. كانت حياتي فراغا ، فجاء ماركس وملأها .. ولا تنسى وهجها تلك الأيام وعلى مراهقة مثلي .. حملت الماركسية في قلبي ونفسي .. كان الانبهار بها جميلا وممتعا .

ـ هي من أسرة ماركسية!

ـ تستطيع أن تقول ذلك.. الفكر الإلحادي معشعش داخل البيت .. الأدهى سمر كان والدها

ضابطا عسكريا ، وملتزما بالصلاة وشعائر الدين الظاهرة .. وكذلك والدتها ، واقتنعت بالشيوعية قبل الجامعة .. أما السيد مراد فكان يسمع عن الشيوعية قبل الجامعة في المدرسة الثانوية ، لم يكن شيوعيا ، كان معجبا بها متعاطفا .. ومن أول أيام الجامعة مشى مع الشباب الشيوعي دون اندماج حقيقي ، ثم انضم إليهم للتغطية على مغامراته العاطفية والجنسية فيما بعد كما يخبر من يعرفه .. وفعل ذلك حتى لا يشعر بالندم والإثم من تلك العلاقات .. فالجنس حلال عند الشيوعيين إذا كان الرضا من الطرفين دون اغتصاب أو إكراه .. وتشجع الماركسية عليه للقضاء على مؤسسة الزواج والأسرة التقليدية .. ويعتبرون العفة مرض وتسلط .. ويرون أن النساء مشاع وحق لكل رجل .. وأن هذا كان في المرحلة الأولى من مراحل الشيوعية .. نظرة بهيمية كالحيوانات ؛ لتخليص الناس من عقدة الكبت والحرمان .. وهم في نفس الوقت يرفضون الدعارة والعمل فيها .. وهم يرفضون العفة والطهارة .. وسعى ستالين على ما أظن إلى نشر الشيوعية الجنسية في روسيا ، ثم ألغى البرنامج عندما تفشت الأمراض الجنسية بين الذين عاشوا تلك التجربة .. والإباحية بدون ماركسية شائعة في الغرب .. وأفلام الجنس صناعة تملأ العالم .. والمجلات الإباحية تباع على الأرصفة في أمريكا وأوروبا الغربية باسم الحرية الشخصية والشذوذ والانحرافات الجنسية .. واليوم الإجهاض في دول الكثلكة مباح ، وإن لم تبيحه الكنيسة .. فثورة الجنس والفجور تعصف بالشعوب حتى صرنا نسمع بالإيدز وصعوبة علاجه .. والإعلانات الجنسية التي تظهر فيها النساء

المتبرجات لإثارة الغرائز تملأ الصحف والمجلات .

قال إياد : لا حول ولا قوة إلا بالله

أخذت الجريدة تنشر مقالات إدريس تباعا ، كل أسبوع حلقة ، ولما نشرت الحلقة الثانية كان إدريس وسيف وإياد يتعشون في أحد مطاعم حي بهية ، وبينما هم يتعشون دخلت الدكتورة هند المطعم ، فالتقت العيون ، فذكرت لصاحب المطعم ما تريد ، وتقدمت نحو مائدتهم محيية

فرحبوا بها ، داعين لها مشاركتهم الطعام ، فشكرتهم ، وذكرت لإدريس أنها اطلعت على المقالات المنشورة ، وبينت إعجابها بيراعه وعقله ، وقالت لسيف : أرغب بمقابلة خاصة إذا سمحت .

ـ مقابلة .. لماذا ؟! ها نحن نتقابل .

ـ متى تكون في البيت ؟

ـ ها نحن بعد العشاء سنسهر بالبيت .

ـ جيد.. سأذهب بالطعام لبيت والدي ..وسوف أمر عليك .

ـ أنا في انتظارك إذا كان ذلك لا يسبب لك حرجا .

ـ لا تهتم .. أنت بمقام الوالد .

بعد جلوسهم في بيت سيف بساعة أدخلت الخادمة الدكتورة إلى غرفة الاستقبال ، وقدمت الخادمة القهوة ، وتركتها وحدهما فقالت هند : أريد منك طلبا .

ـ طلبا بشأن زينب!

ـ لا ، موضوع زينب الآن في إجازة .

ـ لا تريد الزواج .

ـ تريد الزواج ، ويبدو أنها لا تريد السيد العجوز ..طلب آخر يا مهندس سيف .

ـ تفضلي بذكر الطلب .

ـ الطلب أن والدي الدكتور غريب يرغب بالحديث معك مباشرة وبلقاء قريب .

ـ طلب .. ولماذا يريد اللقاء بي ؟! أليس هذا غريبا ؟! نحن لا نعرف بعضنا .

ـ لا أدري ؛ لكنه سمع بلقاء زينب بك في الصيدلية فعلق عندئذ فقال : هذا الرجل ظلم لو أستطيع اللقاء به ربع ساعة من الزمان ؛ لو لم أتزوج نبيلة لردها إلى ذمته .. هل كنت ستردها يا مهندس سيف لو لم تتزوج ؟!

ـ لم أفكر بذلك يا هند ! كان الطلاق نهائيا، ومضت شهور العدة ، ولم تحصل الرجعة .. لم أفهم

بعد قصد والدك باللقاء !

ـ هل أرتب لذلك ؟

انتفض وقال بانزعاج ظاهر : لا، لا ، أنا آسف يا هند .. أنا لولا قصة زواج إدريس وزينب أختك لما حدثت هذه اللقاءات أنا قبلت باللقاء كما تعلمين من أجل صداقتي مع إدريس .. أنا آسف يا هند .. أنا أعيش في الماضي .

ـ كما تشاء ، وإذا فكرت باللقاء بأبي وغيرت رأيك فاتصل بي أو بزينب .. شكرًا على الاستقبال وسلم لي ضيوفك .

جاءت الخادمة ورافقت السيدة إلى خارج الفيلا ، وعاد سيف للجلوس مع ضيفه ، وأشعل سيجارة من جديد، وظل صامتا وواجما لحين ، مما دفع إياد ليقطع الصمت قائلا : ماذا تريد ضيفتك ؟

نظر في عيني إدريس ، ثم قال : لم يكن الكلام حول زواج إدريس من زينب ..كانت تريد مني الموافقة على لقاء مباشر مع والدها .. له رغبة باللقاء الشخصي بي .. لقد اعترف أمامهم أنه ظلمني ، وأنه كان يتوقع لو لم يعجل بالزواج من نبيلة أن أردها زوجة .

قال إدريس : هو يقول ذلك! ولماذا صدر عنه هذا القول؟! أكان والد نبيلة يعتقد أن ذلك سيحدث ؟

ـ لا أدري يا إدريس ! كان الطلاق نهائيا ، ولم أفكر بالعودة ، كان الطلاق بسبب قضية خطيرة ولم تكن ساعة غضب وزعل فقط .."هذا الرجل ظلم " هكذا قال أمام هند .. ولو لم أتعجل الزواج ، لربما ردها إلى ذمته ، لو أستطع اللقاء به ربع ساعة من الزمان .. أنا يومذاك لم أفكر بردها ، حتى أن والدي ذكر ذلك فاستهجنت الفكرة .

قال إياد : رفضت مقابلته .

قال بعصبية : فورا .. وذكرت لها أنني لولا موضوع زواج زينب من الأخ إدريس لما تحدثت مع زينب ولا معها .. أنا منذ تلك المصيبة انصرفت النساء من نفسي .. جرح له ثلاثون سنة هل

سيندمج بلقاء وابتسامة ؟! النساء سخيفات .. شر لابد من التعايش معه .

قال إدريس : هذه مقولة منتشرة حول الزواج من النساء .. شر لابد منه .. إنهن الأمهات يا سيف والبنات والأخوات والعمات والخالات .

قال سيف : ستقول لنا إنهن نصف المجتمع .. وكيف نعطل نصف المجتمع ؟ وها هن طبيبات ومهندسات وممرضات .. ماذا قدمن للمجتمع ؟ لا شيء .. إنما رفعن نسبة الطلاق في المجتمعات بسبب تملكهن للمال .. عدم احترامهن الحياة الزوجية .. سببن عطل كثير من الرجال .. سمعت أن عددهن في وزارات التعليم والمعارف يفوق الرجال ، وكذلك الصحة العامة .

قال إياد : والأطفال نصف المجتمع كذلك .

قال سيف : وأين نحن ؟

قال إدريس ساخرا : سمعت أن الرجال في بعض الدول ينشئون جمعيات تطالب بحق الرجال كما فعلت النساء .. وللمطلقات جمعيات ، وللعوانس جمعيات .

قال سيف: الناس كما يبدو لي لا يدرون ما هي حقوقهم ولا واجباتهم ؟

قال إياد : أمم وشعوب هلكت وانتهت .. ونحن سنلحق بهم ، ونسير على دربهم .. كل يغني وصلا بليلى .

إدريس : من ليلى ؟

ـ ليلى امرأة .

قال سيف : ما قصتها ؟

قال إياد باسما : يقال إن شابا اسمه قيس أحبها ، وغرق في هواها حتى صار مجنونا .. فيقال مجنون ليلى .



عندما انشغل إدريس بقضية سيف والصورة والمقابلات خف ظهوره في المقهى الذهبي ،كان

يمر للاستراحة ، وشرب كوب شاي أو فنجان قهوة ، وينطلق في مهامه ، لم يعد يطيل الجلوس ولما انتهت التحقيقات والمقابلات عاد لبرنامجه القديم من التردد على المكتبة العامة ، ويقضي فيها بعض الوقت ، ثم يصلي في مسجد المدينة الكبير مسجد سيدي سعيد ، ويتغدى ويجلس في المقهى حتى الغروب ، والعودة للحي والسهر مع إياد أو مع سيف أو مع كليهما .

كان يجلس في المقهى عندما دخل سيف ، فانتقلا إلى الشرفة المكان المفضل لإدريس خلال كل الفصول إلا الأيام المطيرة أو الباردة جدا ، قال سيف : لم أصدف إيادا في المقهى .

ـ إياد لا يحب المقاهي .. أحيانا نلتقي بالمكتبة العامة أو أرافقه إلى النادي .. فهو عضو في نادي رياضي .. كان رياضيا أيام الشباب .. والنادي في مدخل المدينة من جهة الغرب نادي الشمس

ـ هل انتهت قصتنا يا أستاذ إدريس ؟!

ـ لم تنته بعد .. نحن عرفنا الكثير من الحقائق .. لا تنتهي الحكاية إلا بمعرفة من قام بالتصوير أو أمر به ومن خدر ؟ .. والآنسة عبير كما أخبرتكم لا تعرف كيف صورت ؟ هي رأت الصور الكثير من الصور القذرة .. الغريب أكرر أن في قصتك صورة واحدة ، لم يعرض عليك غيرها

ـ نعم ، صورة واحدة ومقطع من الفيلم .. أكرر صورة واحدة .. تحدثت معي السيدة زينب .

ـ ورطناك معنا !

ـ لا، لا ، أبدا .. أنا الذي ورطتك في الحقيقة .. ترجاني أن أقابل والدها .. فهو يلح عليهم بهذا الطلب .. وليس بيني وبينه أي لقاء أو كلام .. وأنا رفضت بشدة ؛ وربما بحدة .. أنا رأيته كذا مرة بمناسبات أضطر لشهودها .. ولم يحدث بيننا أي كلام أو حتى تحية .. فماذا يريد ؟ وهو يعترف بأنه ظلمني .. ولا أدري .. هل زواجه من مطلقتي ظلم لي يا إدريس ؟ وماذا سيفعل بعد ثلاثين سنة إذا وقع منه ظلم لي ؟!

ـ قد تكون رغبة مودع .. أليس هو على وشك الموت بسبب المرض العضال كما سمعت ؟ نسأل الله العافية .

ـ أنت تعرف لولا حديث الزواج لم أفتح مجالا نحو تلك الأسرة للقاء بي .. ما رأيك بمرافقتي

إلى الحج ؟

ـ أنا حججت مرة ، وأرغب فعلا بالحج ثانية ولكن ...

ـ إذا تقبل أن أتكفل بحجتك أنا مستعد .

ـ تدفع عني رحلة الحج ؛ ولكن الأجر يذهب لك .

ـ المال هبة مني .

ـ متى الحج السنة ؟

ـ نحن في شهر حزيران .. فالحج انتهى السنة .

ـ فعلا نحن في شهر حزيران ، غفلت على أننا احتفلنا بالعيد قبل شهرين .. السنة القادمة في شهر نيسان إن شاء الله .

قال سيف : نعم ، هكذا في الرزنامة ..وطبيب القلب يقول بإمكاني السفر دون عوائق وبالطائرات أيضا .. إذا قبلت يكون هذا غاية الإكرام منك لشخصي حتى إمام مسجد بهية قال لي : إذا ملك المسلم الاستطاعة وجب عليه الحج والأفضل أن يعجل به .

ـ نعم ، الفقهاء يرى بعضهم تعجيل الحج إذا تحققت شروط وجوب الحج .. وبعضهم يجيز التراخي في أداء فريضة الحج .. سأفكر جديا في الرحلة .. أمامنا عشرة أشهر.

ـ خذ الموضوع بجدية كاملة يا إدريس .. أريد أن أعرف تلك الديار .. أعرف مهد الإسلام والدنيا .

ـ لماذا لا تذهب عمرة ؟

ـ العمرة قال الشيخ ليست بفرض .

ـ صحيح ، ولكنك تتدرب وتتعرف .. أنا أعرف شركات تساعد على أداء العمرة وبالطيران

ـ والإعلانات تملأ الصحف .

ـ الإعلانات كثيرة ، والصادقون قلة والاختيار صعب ، سأتحدث مع بعض شركات السياحة أنت عليك أن تسافر مع شركة سياحية عريقة يا صديقي .. والعمرة رحلة قصيرة أسبوع أو

أقل .

قال سيف : أترافقني فيها ؟

ـ أنا سوف أرافقك في رحلة الحج .. هيا نقابل إيادا في النادي .. أنا سمعته يتحدث عن عمرة من يومين لا أدري له هو أو لأخيه .

ـ وهل يسافر بالطائرة ؟

ـ تارة بها ، وتارة برا .

دفع إدريس ثمن المشروبات ، وغادرا المقهى إلى نادي إياد بسيارة أجرة ، ووجداه في حالة تدريب ، فتوقف ورحب بهما ، وقال باسما : هذه أول مرة يدخل المهندس نادينا !

ـ لم أكن أعرف أنك تهتم بالرياضة والنوادي .

ـ الحق على الإستاد إدريس الرجل العجوز !

فغمرهم الضحك ، فهذه الصفة التي ألصقتها زينب بمن تقدم لخطبتها ، وشرح إدريس سبب هذه الزيارة ، وقال إياد : أنا حجزت للعمرة وإنما عن طريق البر؛ لأني سأذهب بأمي وأختي كمحرم لهن ، ولكن يمكن أن أرتب أن نلتقي بمكة في نفس الفترة الزمنية .. وأنا أعرف شخصا يحب السفر بالطيران لجدة .

قال إدريس : هذا أفضل .. من هو ؟!

ـ لا أدري هل تعرفه أم لا ؟ إنه السيد خميس بدر معلم متقاعد ، وصحته معتلة ، فيعتمر بالطيران سأتصل به وأعرف منه وقت عمرته ؛لأنه عرض عليه مرافقته في عمرة هذه السنة .. فهو منذ تقاعد ويحرص على أداء العمرة سنويا .. وذلك من سنوات .

قال سيف : اتفقت مع إدريس أن أحج معه الموسم القادم في نيسان بمشيئة الله سبحانه .. تكلم مع الإستاد خميس ؛ فإذا وافق تعرفنا عليه ، ونترافق، ما دام صاحبكم .

قال إياد : الإستاد خميس منذ أيام المدرسة ، ونحن نصلي الفجر في المسجد المجاور .. وربما اعتمر خمسين مرة .

العمرة

عاودت هند الاتصال بسيف مترجية المقابلة مع أبيها ، فاستغرب هذا الإلحاح ، وفعلت زينب مثل هند حتى شقيقهم خالد اتصل هو الآخر بسيف وعرف نفسه، وقال : لا نعرف السبب الوالد متلهف للحديث مع حضرتكم!

تنهد سيف وقال : أنا لم أتحدث مع أبيك يوما ما ..ولو التقيت به صدفة ؛ فأنا لا أعرفه.. لماذا يريد أن يراني ؟!

ـ منذ علم بلقائك بزينب في الصيدلية وهو متشوق للقاء بك ؛ ولكنه لم يذكر أي سبب أمامنا

ـ سوف أفكر .

استقبل بعد هذا الاتصال صديقيه إيادا وإدريسا ، وكانوا قد رتبوا لهذا اللقاء ؛ لأن إيادا قد التقى بخميس بدر ، ولما قاموا عن العشاء انتقلوا إلى غرفة الجلوس والاستقبال ، وضعت الخادمة أمامهم الشاي والمثلجات والفواكه والمكسرات ، واشتغلت بتنظيف المائدة بغرفة الطعام.

قال إدريس : لم تكن طبيعيا يا سيف أثناء العشاء!

ـ انتبهت لذلك! لم يكن هناك شيء إنما هذا الدكتور خالد شقيق هند وزينب اتصل بي راجيا الذهاب لمقابلة والده .. عمري ما تحدثت معهم ؛ ربما التقينا ببعض المناسبات كعزاء أو فرح خاص بأبناء الإخوة والأخوات، ولكني لم أتكلم معهم أو حتى أحاول التعرف على أشخاصهم

ـ منذ لقائك بزينب والرجل يرغب باللقاء بك .. اذهب إليه لتعرف أي ظلم ألحقه بك هذا الرجل .. وهل إذا تزوج الرجل مطلقة قد ظلم زوجها المطلق ؟! هذا يكون إذا أفسدها على زوجها وتسبب في الطلاق .. هل له دخل في طلاق لنبيلة ؟!

ـ هو الذي عجل بزواجي من نبيلة .. تزوجتها خشية أن يطلبها .. لم تكن أمها تطيقه واليوم ماذا سيفعل لي ليزيل أي ظلم لحقني منه ؟ فات الزمان أنا أتوجس شرا من هذه الدعوة .. لقد علمت أن امرأته التي تزوجها بعد ترمله بأسابيع قد هجرته .

قال : هي هجرته منذ أسابيع ، وعلمت من سمر أثناء حديثنا عن زينب أنها تركته منذ اشتد عليه المرض .. هي امرأة صغيرة ، وابنة أسرة غنية ، تريد اللهو والمتعة ، لا تريد أن تكون ممرضة

قال سيف : أنا علمت ذلك من أختي ؛ وربما حصل الطلاق .. يبدو أنها وجدت ذكرا جديدا وكما قلت ترفض أن تكون ممرضة له في ساعة العسر .

قال إياد بعد صمت : لابد أن هناك موضوعا بشأن الزوجة نبيلة خالد .. قد تكون أوصته بشيء قبل موتها .. وتناساه .. ولقاؤك بزينب ذكره بك .. ولا أعتقد أنه يفكر بتزويجك زينب فهذا شيء لا يحل ولا يجوز شرعا يا إدريس .

قال إدريس : نعم ، يقولون الدخول في الأمهات يحرم البنات ؛ كأنها قاعدة فقهية .. نعود الآن إلى رحلة العمرة بعد أن عرفنا سبب هم سيف .. لقد تكلم إياد مع الأستاذ خميس بدر .

قال إياد : نعم ، اتصلت به فور عودتي للبيت ، ثم زرته ، وشرحت له المطلوب ، فرحب بذلك وأبدى عجبه منك يا سيف !

قال سيف : لم أفهم سبب العجب!

ـ يا سيدي الفاضل لما ذكرت له من أنت ؟ ووصفتك له ، قال : إني أسمع به ، وتعجب من رغبتك بالعمرة أو من توبتك .

قال إدريس : اشرح أكثر يا إياد .. هذا لغز جديد!

ضحك إياد وقال : يا سيدي الكريم! الرجل يعرفك من أيام مصنع الدواء الذي كنت تعمل فيه .. له شقيق يعمل في المصنع فني صيدلة اسمه ربيع .. وقد التحق بالعمل معكم قبل تقاعدك بسنوات ثلاث .. ويظن أنك تعرفه.

ردد سيف الاسم مرات قبل أن يقول : لا أذكره ، لم أكن أهتم بالأسماء والأشخاص .. كان يهمني العمل .. لكن أحمد أعرف بالاسم مني ، لقد كان يمارس عملا إداريا .

ـ المهم أن السيد خميسا يرحب بمرافقتك وصحبتك ، ويسعده التعرف عليك .. وسيرتب أمر الرحلة بحكم الخبرة ، وسيقدم لك كل العون والمساعدة .

ـ إني أحاول تذكر ابن أخيه ربيع ..عندما أراه قد أذكر صورة ابن أخيه .

ـ هو لما سمع اسمك سيف حاكم وردة .. فورا تذكر أنه سمع هذا الاسم أمامه أكثر من مرة قال : سمعت هذا الاسم من قبل .. وذكر أن ابن أخيه ما زال على رأس عمله في المصنع .

قال إدريس : متى سنذهب لزيارة الأستاذ خميس ؟

ـ متى شئتم ؟ والأفضل أن نرتب لموعد حتى لا يخرج يميناً أو شمالا .

قال سيف : غدا ما رأيكم .

ـ غدا لا بأس بعد صلاتنا العصر في حينا ..أقول لكم ما دمتم ستزورون الحي فليكن الغداء عندنا في البيت عند أم أحمد .. طبخة فلاحية ، ونصلي العصر في الجامع .. وإذا صلى خميس معنا نرافقه ، وإن لم يصل معنا نسير لبيته .

قال إدريس : أنا موافق يا سيف! لي فترة ما أكلت من طعام أم أحمد .. وهي ماهرة في الطهي خاصة الطبخات الأثرية والشعبية .. وستقارن بين طبخها وطبخ المطاعم والفنادق .

قال سيف : عليّ أن أقبل فالأخ إياد أخ فاضل .. سأمر على إدريس

وأصلي الظهر عنده ، ثم نمشي لحيكم إلا إذا كان عند إدريس خروج مبكّر .

قال إياد : جميل ! وأهلا وسهلا بكم .. دعني أتصل بالسيد خميس .

انتقل لمكان الهاتف الأرضي ، وتحدث مع السيد خميس، ورتب معه الموعد ، ووعد الرجل بالانتظار .

وتناول الأصدقاء الغداء في اليوم التالي في منزل السيد إياد أبي أحمد ، وطاب لهم الطعام وخاصة سيف .. أما إدريس فقد اعتاد على ذلك بين الفينة والأخرى .. فهم أصدقاء منذ ثلاثين سنة .. وقدم الشكر لأبي أحمد وأم أحمد .. وكان سيف قد أحضر هدية لأم أحمد ، وتقبلها إياد شاكرا . وصلوا العصر في جامع الحي ، ثم ركبوا سيارة سيف إلى بيت خميس الذي كان في استقبالهم مع ابن أخيه ربيع الذي أحب رؤية المهندس سيف بعد هذا الزمن ، وانقطاعه عن العمل في المصنع تعانق ربيع مع المهندس الذي عرفه فور رؤيته ، وتذكره وقال : أهلا بالأستاذ ربيع محمد ..

تذكرتك .. كنت تعمل في قسم صناعة الأدوية.

وبعد التعارف بين خميس وسيف وإدريس رتب خميس لرحلة عمرة مع إحدى الشركات التي يتعامل معها ، وطلب من سيف تأمين جواز السفر ليقدم للسفارة السعودية ؛ ليحصلا على تأشيرة دخول الأراضي السعودية المسئولة عن تيسير الحج والعمرة للمسلمين بصفتها الحاكمة للديار المقدسة .. وبعد الضيافة والاحترام ، قال إدريس : أنا سأمر عليك يا سيف وآخذ جوازك

قال سيف: بل أنا سأمر عليك .. ونذهب إلى أبي أسعد .

فقال خميس : ليكن قبل الظهر حتى أتحرك جهة الشركة .. ولو أحضرت معك بعض الصور الشخصية .

بعد صمت قال ربيع : اتصل بي عمي مخبرا بأمرك .. فسررت لتوبتك .. وعجبت من هذه الدنيا يا مهندس سيف!

قال سيف : كيف المصنع بعد تقاعدي ؟

ـ كما هو يا سيدي ! لكن هناك تحسينات في خطوط الإنتاج ، وإضافة نوعيات جديدة من الأدوية .. والحق أن المصنع يتقدم .. ولدينا كما هي العادة موظفون جدد.

ـ أكيد هكذا الدنيا .. أنا ما زلت صديقا للمدير الدكتور ابن خالي .. وهو حسب علمي اليوم يتردد قليلا على الإدارة .. ابنه استلم المهام الرئيسة .

ـ نعم ، هناك عدد من أقاربكم يعمل في المصنع .

ـ ما شاء الله !

ـ أنا أعرفك ، لم تكن اجتماعيا .. كنت دائما رسميا .. وأيامها لم تكن تصلي.. تغيرت !

ـ نعم ، أنا أصلي من عهد قريب بسبب تعرفي على هذا الرجل ـ وأشار لإدريس ـ فتغير الحال والحمد لله .. إذا احتجت لمساعدة يا سيد ربيع أنا في الخدمة .

ـ تزوجت ..كانت لك حكاية تجاه النساء .. يتهامس بها الموظفون !

ـ لا ما زلت لهن كارها .. توقف بي الزمن عند الزوجة الأولى .

ـ سمعنا أنها ماتت !

ـ أجل ، رحلت .



بعد اكتمال نشر الحلقات التي أعدها إدريس للجريدة تابع كتابة المقالات الثقافية والعلمية من جديد ، ولقراءة الكتب وتلخيصها.. وقبل منتصف الليل بقليل اتصلت السيدة سمر ، ورحب بها ، واعتذرت عن الإزعاج فقالت: أما زلت مهتما بقضية الشقق السوداء مسرح الدعارة .

ـ الموضوع أغلق بعد مقابلة السيدة عبير ؛ لأنه لا معلومات جديدة ، وجاء الحديث عن الشقق بطريقة لا يعرفها إلا من علم بها .. فهي السبب كما تعلمين وراء انتقال عبير للحركة الماركسية خشيت أن تصير مومسا ما دامت قد دفعت الغالي دون استرداد الصور.. هل جد جديد ؟ هل تلك المرأة العاملة بتلك الشقق لانت وتريد الكلام ؟

ـ المرأة تلك لم أتصل بها منذ رفضت الحديث ، ولا شيء عنها .. يبدو أن أحد الرفاق الذين قرأوا المقالات له معرفة بتلك الشقق تحدث معي راغبا بالاتصال بك.

ـ أتعرفينه ؟

ـ أعرفه كشخص حركي ، ولا أعرف مقدار معرفته بتلك البلايا ؛ كأنه قرأ ما كتبته عن الآنسة عبير والإشارات التي جاء ذكرها في المقال .

ـ الرجل يجب أن أقابله.

ـ يجب أن يتحدث معك على الهاتف ..هو من سكان مدينة أخرى وبعيدة عن مدينتنا.

ـ لا بأس يا سيدة سمر ..وإذا وجدت لديه معلومات مهمة حول الشقق سأجدد اهتمامي بها يبدو أن عملها ما زال لليوم ؛ ولكن بصورة أخرى.. فرئيس التحرير سمع عنها قديما وحديثا ويذهب إليها الشباب من الجنسين دون تخدير وتنويم .

قالت : يثور الأمر بين الحين والآخر دون متابعة .

ـ يثور عند حدوث فضيحة أو ضحية ..لا أدري ما دور الشرطة في مثل هكذا قضايا ؟

ـ الدعارة كانت قديما سرية .. اليوم مسموحة يا أستاذ إدريس أليس هناك بوليس آداب كما نسمع ؟!

ـ يغض الطرف عنها كما يغضون الطرف عن بيع الخمور.

ـ تقريبا متى تحب أن يتصل بك ؟

ـ الليلة بعد أن أضع الهاتف ..قبل الإغلاق أتسمحين بسؤال ؟

ـ آ .. تكلم.

ـ أنت تكلمت عن الشقق تلك ، وعرفت بها ، والسيدة سوزان كذلك، والآنسة عبير .. المهندس مراد لم يأتِ على ذكرها أله علاقة بها ؟!

ـ لماذا هذا الاستفهام بهذه الطريقة ؟!

ـ لماذا ؟ لأنه يا سيدتي هذا الرجل هو الذي أخبر المهندس سيف عن الصورة العارية لزوجته نبيلة .. وهو الذي أخبره عن المقهى ليلقى الرجل ويأخذ منه الصورة

ـ مراد قام بهذا الدور بناء على رسالة من مجهول ؛ لأنه لما طلقت نبيلة على أثر تلك الصورة تحدث مراد عن دوره معتذرا أو متبجحا .. هو برر أنه ظن أن أحد الطلاب في الكلية يعرف هواه لنبيلة وأراد أن يستغله بدون أن يواجهه مباشرة .. ونفذ ما في الرسالة ظانا أن سيفا قد لا يفعل ، ولا يقابل الرجل .. شخص استغل حقده على نبيلة وسيف .. وهو راوده أمل بعودة نبيلة إليه كحبيبة وصديقة .. وهو بين لنا ذلك ..وأنه فعل ذلك بناء على رسالة .. وليس على اتصال أو مقابلة .. هو لم يعش قصة حب مع نبيلة كما فعل صاحب عبير .. هو طاردها وفشل .. والفاشل يحب الانتقام .. هو شاب في مطلع الشباب.. ونبيلة كانت مرحة وجميلة وفتنة للشباب ..حقيقة كانت تشعر كل من تعرفه بأنه صديق عزيز .. وتعلق بها مراد وكلنا كان يعرف أن هواها نحو سيف الذي لم يجرؤ أن يبادلها الغرام إلا بعد سنتين من الكلية وهي كانت تعيش الرومانسية

والقصص التي تقرأها .. والحب أعمى .. وظل مراد متعلقا بهواها حتى انتهت سنوات الجامعة وكانت نبيلة على علم بتعلق مراد بها .. وكانت تشارك بالنشاطات والرحلات الجامعية والمناسبات والمهرجانات .. ولم يتمكن المهندس مراد من النيل منها ولو قبلة ؛ بل كان مجال سخرية لبعض الطلبة والطالبات بسبب ذلك .. كانت مخلصة لسيف الذي كان يتهرب كثيرا من المشاركات الطلابية والنشاطات المختلفة .. بصراحة كان مراد ضعيفا أمام إغراء الطالبات الماجنات .. ويمارس الحب دون إكراه وتردد .. ويستسلم لهن بسهولة .. وكان لا يرى حبيبة حقيقية له إلا نبيلة .. وفشل بفعل أي صداقة خاصة معها .. وكانت هي تتصرف مع بلطف وتصده بأدب.. ولما خطبت نبيلة واحتفلنا بذلك في مطعم الكلية يئس مراد من الفوز بها .. وكان واضحا للمقربين منه حقده عليهما ورغبته بالانتقام منهما ، ولم يكن أحد يعلم بالصورة قبل حدوث الطلاق .. ومراد نفسه لم يشاهد الصورة .. ولما تزوجت بعد أشهر قليلة تحطم مراد كليا .. وتلقى مراد تلك الرسالة على بريد الجامعة من شخص يعرف تعلق مراد وحقده وكرهه لسيف .. وأكد لسوزان أنه لا يعرف المرسل ؛ ولكنه رأى تنفيذ ما في الرسالة فرصة للانتقام لعل وعسى؛ ربما هو غير مصدق لوجود مثل هذه الصورة .. كانت الصورة مفاجئة للجميع حتى نبيلة أخبرتني أنها تفاجأت بها وصدمت .. قال مراد : أحدهم يعرف غرامي بها فاستغل الغيرة والحقد على سيف .. وكانت الرسالة تبين أن هناك فرصة لطلاق سيف ونبيلة كانوا يعرفون ردة فعل سيف .. فهم يعرفونهم .. وفعل مراد ما في الرسالة مع سيف من ذكر الصورة والمقهى والوقت للقاء مالك الصورة .. لماذا أرادوا طلاقها ؟! لا أعتقد محبة بمراد .. وحصل ما تنبأت به الرسالة .. وقال مراد لنا : لم أكن أصدق أن يحدث ما حصل .. ومع الطلاق لم يفز مراد بنبيلة ..كان هناك رجل طبيب قريب للعائلة قادم من أوروبا وتزوجها ، وهو والد زينب وهند وشقيقهم خالد الدكتور غريب .. مراد لعب الدور على أمل أن يكسبها بعد الطلاق إذا حصل فيكون البطل المنقذ .

ـ لم يتكلم معي عن هذا التفصيل ،لم يهتم بقصة الصورة .. وكيف أفسدت حياة زوجية ؟! ولا

عن الشقق السرية .

ـ لا أعتقد يا صديقنا أن الرجل له علاقة بتلك الشقق .. أي فتاة كانت تسقط في فخ الرذيلة كانت تصبح كمومس ، ويعرف الكثير من زملائها عنها هذا السقوط ؛ فإذا لم تجد من يدفع ستدفع .. أنا تدربت في كلية الجامعة للتمريض فنرى مثل أولئك الفاشلات ؛كأنها جاءت للجامعة للفجور والفسق ، وليس للدراسة .. ولا تنسى أن هناك فتيات يأتين من دول أخرى كبعثات أو على نفقة أهليهن ، والغربة تفعل فعلها .. لقد كنّا نرى بعض الطلبة من الجنسين يحملون مجلات الجنس والإباحية ؛ بل سمعنا عن أشرطة كاسيت لمثل ذلك .. كان دعاة الإباحية والفوضوية في ساحات الجامعة .. الإباحية كانت تجتاح العالم ؛ ربما كانت أشد من اليوم خاصة في المجتمعات العربية المبهورة بحضارة الغرب .. والبعض يعتبر سنوات الجامعة فرصة للخروج عن التقاليد والعادات والأخلاق الحسنة .. ومع استخدام موانع الحمل كالحبوب وغيره كان يحدث الحمل ، ويجري الإجهاض السري .. كانت تشيع بيننا ولو على استحياء شعارات الجنس الآمن ، كما يحدث في جامعات أمريكا وأوروبا .. كانت ثورة جنسية محمومة تغمر العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .. كان الشباب يتعرضون لحرب جنسية شعواء!

تنهد إدريس بعمق وقال : شكرًا لك يا سيدتي على هذا الكلام ! أنا عشت تلك المرحلة ؛ ربما لأنك عملت في المستشفيات رأيت من القصص والحكايات المثير .. وأنا أرحب باتصال الرجل أو الرفيق قلت ما اسمه ؟

ـ اسمه عارف فوزي .. سأتحدث معه ليتصل بك إلى اتصال آخر .

وضع السماعة وقال : رسالة .. سيف لم يسمع بتلك الرسالة ؛ لأنه لم يتصل بعدها بمراد من أجل الموضوع .. ونبيلة لم تهتم بكيف وصلت الرسالة لمراد ؟ وكانت قد طلقت قبل العودة للجامعة .. لا أدري كيف كان يعيش سيف في الجامعة ؟! من بعث له تلك الرسالة ؟!لابد أن يكون من طلبة الجامعة ، وعلى اطلاع بعشقه للفتاة .. وعلى معرفة بطباع سيف وردة فعله.. لماذا كشف أمر الصورة ؟! لم يكن هناك عرض زنا وضغط للفاحشة .. وكما قالت سمر كانت

المطاردات للفتيات المتوسطات الحال والفقيرات المتعثات على نفقة الآخرين .. رجل استغل حقد مراد .. هل من محب آخر لنبيلة لم يظهر على الشاشة ؟! كانت الفتاة جميلة ومثيرة للغرائز بلباسها وتبرجها وسفورها .. فلابد أن يشتهيها الكثير ، ويطاردها الكثير ؛ لكن لم أر في الذكريات إلا مرادا .. قيل أن هندا تشبه أمها إلى حد كبير ؛ لكن يبدو أنها لم تكن بالجمال الصارخ لأمها .. معروف بين طلبة الجامعة من يريد اللهو والعبث والمغامرات ؟ سيجد ذلك وسيجد من يشجعه .. ومن يريد أن يكون جادا سيجد ذلك.. الرسالة هل ما زالت عند مراد ؟ لم يذكر لي عنها شيئا ..هو لم يولِ اهتماما لموضوع الصورة والسيف .. كان الموضوع الأهم عنده الحديث عن الشيوعية والعمل النقابي وضعف الحزب الشيوعي في روسيا والعالم العربي أم تراه اخترع قصة الرسالة للدفاع عن نفسه أمام زملائه ورفاقه الذين لاموه على تورطه في طلاق سيف ونبيلة سنعرف من كتب الرسالة ؟ سنصل إليه يوما .. شخص خبيث يعرف حب مراد لنبيلة ، ويعرف شخصية سيف ووسواسه القهري .

بينما إدريس يراجع المعلومات التي سمعها عن الرسالة التي تلقاها مراد من مجهول حول موضوع الصورة التي دمرت زواج جديد رن جرس التلفون ، فرفع السماعة مرحبا بالمدعو عارف ومعرفا بنفسه .

ـ قرأت مقالتك الأربعة ، وأعجبت بها وأعادتني للماضي البعيد ، والذي يهمني بالحديث معك ذكريات السيدة عبير وسبب انتمائها للحركة الشيوعية ، وذكرها للشقق السرية ، وحفلات الطلاب والطلبة فيها ، وحفلات الإباحية التي تجري فيها .. الرقيق الأبيض .

ـ نعم ، يا سيد عارف أشارت السيدة الجريحة إلى تلك الشقق الغامضة في رأيي .. ولم تفصح عن الكثير من المعلومات عنها .. ألديك معلومات مهمة كما أشارت سمر ؟!

فجر قنبلة عندما قال : قبل تواجدي في الحركة الشيوعية يا أستاذ إدريس كنت ابن إحدى تلك الشقق .. كيف سنلتقي مباشرة لأمتعك بما أعرف عنها ؟ أنا أسكن في مدينة بعيدة عنكم أحتاج

إلى لقاء نهاري ومبكر .

ـ جميل ! وأنا ، ربما ذكرت لك سمر سبب اهتمامي بهذه الشقق ؛ لأني سمعت عنها منها .. ومن عبير وسوزان فاستغربت من وجودها .. واليوم أوكار الدعارة متطورة .. يجب أن نلتقي يا سيد عارف .. ماذا تعرف من معالم مدينتنا لنلتقي بالقرب منه ؟

ـ مسجد المدينة الكبير سيدي سعيد .

ـ حسنا .. في أي يوم ؟ ما تقول في الغد ؟

ـ ممتاز ممتاز كيف سنعرف بعضنا بعضا؟

ـ سأضع على رأسي قبعة حمراء .

ـ جميل يا سيد إدريس إلى اللقاء!

لما صلى الظهر جماعة في المسجد "سيدي سعيد" وخرج إلى الساحة الأمامية للمسجد ، وضع القبعة الحمراء على رأسه ، وأخذ يضبطها يميناً ويسارا ، ويتمشى في تلك الساحة ، ولم يطل الانتظار ، فقد تقدم منه رجل من جيله أو أقل منه بسنوات قائلا : الأستاذ إدريس !

ـ نعم ، أهلا بالأستاذ عارف !

تصافحا ورحب كل منهم بالآخر ، ثم ساقه إدريس إلى مطعم السيد سيف القريب من ذلك المسجد ، وتناولا الغداء وطول الوقت، وإدريس يرحب بالرجل ، ويشكره على شجاعته وحبه لإضافة جديد لموضوع الشقق ؛ لعل أن يكون تحقيق لإدريس حولها .. وبعد وجبة الطعام انتقل به إلى مقهى الكوكب الذهبي الكوكب الخالد بالنسبة لإدريس ، وجلسا حيث اختار إدريس ، وقدم لهما الشاي والماء ..وعادة المقاهي لم تكن مكتظة بالزبائن في أول النهار ووسطه ؛ إنما يكثر الرواد في ساعات المساء ، وأول الليل .. ولما أخذا بالشرب للشاي ، قال إدريس : كيف اهتممت بأمر هذه الشقق وتعرفت عليها ؟!

ـ عندما أخبرني بعض الرفاق عن النشر في جريدة الشرق المضيء أخذت أتابع ما كتب باهتمام وحنين للماضي .. وأنا أعرف الرفاق الأربعة شخصيا ، وإن لم نعد على تواصل من سنوات ..

والمقالة التي تحدثت فيها عبير أثارت ألما وحزنا وتاريخا لديّ .. وذكرتني بتلك الأماكن وحياتي الماضية .. فتحمست للحديث مع سمر فرحبت بي وتذكرتني وشجعتني على الحديث معك وذكرت أنك اهتممت بموضوعها ، وليس لديك معلومات كافية للنشر عن الدعارة في المدينة، وهذه الأماكن ، وأعطتني رقم هاتفك الشخصي ، لأنك لا تعمل كموظف في الجريدة .. ومهدت لي الحوار معك .. وأنا عملت مع سمر في نفس المستشفى قبل أن استقر في قريتي .

ـ عملت في نفس المشفى!

ـ المستشفى الحكومي ، لم ندرس سوية ؛ لكن الحياة العملية عرفتني عليها .. أنا ممرض مثلها ، كانت في قسم وأنا في قسم آخر .. أنا تخرجت بعدها من الكلية ، وتدربت في مستشفى الجامعة مثلها .. ولم أكن شيوعيا تلك الأيام .. فأعرفها من خلال الكلية معرفة سطحية .. ومن خلال العمل بعد التخرج أكثر .. ومن خلال الحزب فيما بعد .. كانت ناشطة سياسية وما زالت ، وعرفت عبير من عملنا في المستشفى .. وعلمت قصتها .. لم أعرفها من خلال تلك الشقق .. فقراءتي للمقال أدركت أن لا معلومات تفصيلية لديكم .

ـ أنت أدركت ذلك من قراءة المقال!

أخرج الرجل جريدة وتابع إدريس : أنا كاتب المقال كما تعلم .. أكمل يا سيد عارف .

قال عارف : اتصلت بسمر كما قلت .. وقلت لها إن الصحفي أشار لموضوع الشقق السرية ؛ ولكن معلوماته مرتبكة ، وفيها ثغرات .. وشجعتني على الالتقاء بك شخصيا .. وأنك مهتم بالموضوع جديا .. وتريد أن تعرف هل ما زالت هذه الشقق موجودة أم زالت واختفت؟

ـ صحيح .. المعلومات حولها شحيحة .. السيدة عبير لا أدري هل تعرف مأساتها مع تلك الشقق ؟!

ـ الناس تتحدث .. والإنسان يحب أن يتحدث عن نفسه .. تعرضت لتصوير سري واغتصاب وهي لم تكن بكرا لما دخلت تلك الشقق .. وهي خشيت من الدعارة فلجأت للحزب اليساري حتى لا تتحول لمومس .

ـ نعم ، لديك معلومات لم نتحدث عنها في المقابلة .. أنت درست التمريض قبلهن ، ولم تنتم لحزب .

ـ نعم أنا ابن الريف ابن إحدى القرى النائية تلك الأيام .. اليوم كبرت القرية ، وأصبحت نصف مدينة ، وزاد سكانها أضعافا، وشوارعها معبدة .. وإن كان أكثر سكانها يعملون في الزراعة .. رحلت للمدينة للدراسة على نفقة الوزارة وزارة الصحة لأدرس وأعمل في الوزارة حسب نظام الابتعاث ..والجامعة تحتاج لمال ، تحتاج للمتعة والمصروف .. المهم وأنا في السنة الأولى عرض عليّ العمل بعد الدوام من الساعة الخامسة مساء حتى الخامسة صباحا داخل شقة من هذه الشقق .. لم يكن العمل واضحا لي .. ظننته في البداية كحارس ليلي .. كان العمل ظاهره شريف وبريء.

ـ لم أفهم عليك بعد !

ـ ستفهم .. أتسمح لي بالدخان ؟

ـ دخن .. المقهى جعل مكانا للتدخين .

قال : العمل تبين هو كخادم في الشقة ، مقابل عشرين دينارا شهريا .. ونوم وأكل وأشياء أخرى وذلك بدل أن استأجر سكنا مع شركاء من الطلبة المتغربين عن قراهم ومدنهم .. سكن مجاني ، وطعام مجاني ، ومال ، وكل ذلك مقابل خدمة لرواد الشقة .. فهذا مغر لشاب ريفي يجهل المدينة جهلا تاما .

ـ ماذا يعمل حضرة الخادم في تلك الشقق ؟!

ـ أهم عمل هو خدمة نزلاء الشقة .. نزلاء الشقق أغلبهم من الطلبة ومن الجنسين .. يأتون للسهر والغناء والسكر والعربدة .. وأنا عليّ أنا أقدم لهم الشراب المسكر والقهوة وغيرها والطعام القادم من المطاعم .. وأنظف الشقة بعد رحليهم .

ـ يوجد شقق أخرى عملت بها .

ـ لا ، أنا عملت في شقة واحدة حتى أنهيت عملي معهم ؛ ولكنني أعرف شققا أخرى .. وأعرف

بعض من عمل فيها مثلي .. وعادة تكون هذه الشقة ضمن بناية يغلب على شققها الشركات والمكاتب .. وأغلبها تكون مغلقة في الليل .. وعندما تبدأ السهرة من النادر أن تجد شقة مشغولة وحتى شقة اللهو لم تؤجر كسكن ، هي مؤجرة كمكتب لشركة أو محامي .. وأنا الخادم للشقة ساعات الليل .. والبواب لابد أنه قد أطعم ليسكت ويتجاهل ما يحدث في الليل من صخب وضجيج وسكر .. والشقة خاصة الصالة عادة تكون معزولة ، فلا يخرج صوتها منها .. تأتي ليلة السهرة سيارة الطعام والشراب والحلوى ، وأدخلها مع عمال المطعم إلى المطبخ .. وتشرف على الحفلة أو السهرة امرأة شابة .. وأساعدها في تقديم الطعام للضيوف ، ثم أنصرف إلى المطبخ أو أي مكان ما عدا مكان السهر .. وعادة تبدأ السهرة بعد العاشرة ليلا .. وأكون قد قدمت الطعام ووضعت الشراب في مكانه ، وأختفي إلى حد ما ..وعليّ يا سيد إدريس إغلاق باب الشقة نهائيا بعد تناول طعام العشاء .. ولا أفتح لأحد أبدا .. ولكن هذا لم يكن صارما ، كان هناك من يتأخر وبناء على هاتف أفتح له .. وهناك من يخرج بناء على هاتف أو أصابه مرض مفاجئ بعد الأكل يبدأ السكر والرقص والأغاني من أجهزة التسجيل الحديثة في ذاك الزمن .. ويستمر السهر إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ..ويبدأ الضيوف بالانصراف خاصة الذين يملكون سيارة أو متفقين مع سائقين .. وهناك من يعجز عن الانصراف فيبقون حتى انصرافي صباحا وإغلاق الشقة .. والفتاة المشرفة على الشقة قد تسهر بعض الوقت ، ثم تغادر ، من النادر أن تمكث لآخر السهرة وهذا يحدث في الأسبوع مرة أو مرتان أو ثلاث فقط .

ـ هل يحدث دعارة ؟

ـ أعلم أن هناك شققا تحدث فيها دعارة وزنا .. أما مكان عملي فرقص غناء طعام سكر .. قد ينفعل أحد الشباب ، ويخلع ملابسه الخارجية ، ويبقى بملابسه الداخلية أو إحدى السكرانات تفعل ذلك .. قد يحدث لمس عناق مجون .. المسؤولة عن الشقة تحذرهم من الجنس والتعري الكامل .. وتقول لهم بصراحة من يريد ممارسة الجنس فليتحول إلى شقة أخرى .. أعتقد أن هذه الشقة كانت تمهيدا للشقق الأخرى .. فالذي يستسلم للإغراء خاصة الفتيات تنقل إلى

مكان آخر .. وهذا كان معروف لنا شفويا.. وقد يثار أحدهم فعليّ منعه من ذلك، وطرده من الشقة أو أتصل برقم معين ، فيأتي اثنان ويقومان بطرده .. ممارسة الزنا ممنوعة سكر غناء رقص حتى أنه قد تقدم مدربة لتعليمهم الرقص .. إذا رغب البعض بذلك ، هي مثل الحانات شراب أكل متعة انصراف.. قد تسمع سبابا قبيحا ، وكلاما جنسيا وقذرا يقهقهون عليه ومنه .. هذا كله أسمعه من خلال مكان اختفائي عنهم .. أنا مجرد خادم لهم .. والأخطر عندي عندما تهيأ ضحية للتصوير .. ويجري في الشقة التي أعمل بها ؛ لأنها شقة بريئة أمام الزبائن .

قال إدريس : جميل ! من أجل ذلك لا تُمارس فيها الدعارة ولمزيد من الثقة لدى الرواد !

ـ هذا ما يفهم من منع الجنس فيها .. وهناك ترتيب خاص من المشرفة ليلة التصوير .. قبل أن يبدأ التصوير تعلن المشرفة رغبتها بالمغادرة ، وتعلن أنها ستقدم لهم كأس الوداع ، ويصحب ذلك التصفيق والهياج .. وتكون قبل ذلك وضعت في الأكواب التي سأقدمها مادة التخدير هي عبارة عن كبسولات خاصة .. وتخرج هي من المطبخ أمامي وهي وتصيح فيّ قدم كأس الوداع للأصدقاء ، فأدور عليهم .. وبعد حين أفتح لها الباب ؛ كأنها مغادرة كعادتها ، وتتظاهر هي بالذهاب للمرحاض ، وغسل وجهها قبل الخروج .. وخلال وقت قصير يقع الساهرون نياما ظانين أن الخمر أثرت فيهم ، واللهو أرهقهم ، ثم يدخل أحد المصورين .. وتنقل الفتاة المقصودة إلى حجرة مجردة من الديكورات والأثاث وتفرش سجادة .. خاصة يجلبها الذين أحضروا المصور .. وتجرد الفتاة من ثيابها ، وتبدأ حفلة التصوير مدة دقائق ، قد لا تتجاوز العشر دقائق ، ثم تعاد الفتاة بعد إعادة ملابسها عليها إلى صالة الرقص .. ويجتهد أن توضع على الوضعية التي كانت عليها حتى لا يخطر في بالها أنها تعرضت للنقل والتصوير ويأخذ المصور ومن معه السجادة .. وينصرفون تصحبهم مديرة الشقة .. هكذا يحدث التصوير في الشقة التي أعمل فيها .. والمفروض أن أكون أنا خلال ذلك في المطبخ ، ولا أخرج حتى تطلب مني المشرفة الخروج لإغلاق الباب وراءها .. وعندما يبدأ انتهاء مفعول المخدر يبدأ الاستيقاظ والتثاؤب وينسبون نعسهم للشراب ، وعدم تحمل الكمية ، ثم يأخذون بالانتقال لمراحيض الشقة واحدا

تلو الآخر .. والبعض ينصرف .. والبعض ينام حيث هو من جديد ..والصور المأخوذة كما أعلم لا تظهر للضحية إلا بعد عدة حفلات أخرى ، فلا تتذكر الضحية متى تعرضت للتصوير فعادة كان يستيقظ المخدرون بعد ساعة من الزمن والذي تعاني منه الضحية يعاني منه الآخرون الصداع والقيء والغثيان ..وعليّ تنظيف الشقة قبل مغادرتها صباحا بمواد كيمائية تستخدم للتنظيف وإزالة الروائح السيئة .. فربما بال بعضهم على ثيابه ومكانه ، وقد يقيء بعضهم ويستفرغ في الصالة .. ولا تنسى الشراب المسكوب وأعقاب السجائر .

ـ حقيقة هذا شيء مذهل ومقرف يا عارف ! كيف كنت تتحمل ذاك ؟!

ـ مع الوقت والمال والتعود عليه تستسلم ولا تبالي بما يحدث .. هم طبعا يتظاهرون على أنني لا أراقب أعمالهم الخفية ؛ لكن الفضول وما فيه .. وربما لا يحدث التصوير إلا بعد زمن يطول شهران ثلاثة ويحدث مرة ؛

لأن هناك فتيات يسقطن في مهاوي الرذيلة سريعا بعد بضع حفلات يبعن أجسادهن مقابل المال أو الشهوات

تنهد إدريس قرفا وقال : طبعا هناك شقق أخرى !

ـ نعم ؛ لكنني لا أعرف عددها ولا أماكنها ، وحتى لا يمكن نقلي للعمل في غيرها .. هذه يا سيدي شقق صيد الضحايا غير المستسلمات للعمل كبغايا .. وأنا أعرف أين تقع هذه الشقة ؟ لكنها اليوم لم تعد شقة فساد أصبحت مكاتب شركة أخشاب .

ـ لماذا استسلمت للعمل معهم لما علمت كيف يجبرون الفتيات على البغاء ؟!

ـ الغربة السبب الأول ، والحاجة المادية ثانيا .. وهم يعرفون كيف يوظفون ويختارون الشباب الفقير مثلنا ؟ القروي البسيط .. وأعترف لك أنني تعلمت شرب الخمر والزنا .. وقد أقمت علاقات جنسية عابرة مع المشرفة نفسها .. وبعض الفتيات .. وذاك خلال الأيام التي لا يكون فيها حفلات .. ومن تورط معهم يصعب عليه الفكاك ؟ كانت المشرفة كلما أقضي لها شهوتها تدفع لي ، وتوصيني بكتمان السر التخلص من الفجور ليس عملا سهلا خاصة عندما يكون

الشباب غير متدين وغير مكترث بالدِّين وأنا تركت العمل معهم في السنة الأخيرة للجامعة.

ـ ولماذا تركت العمل ؟

ـ عادة يمكث الخادم معهم كما علمت من المشرفة والمرتبة لتلك السهرات حتى يتخرج من الجامعة ويلتحق بعمل ؛ لأنه لم يعد بحاجة للعشرين دينارا إذا توظف .. ويصبح خطرا عليهم أنا تركتهم في السنة الأخيرة لكارثة حلت بي .. كانت ابنة عّم لي من ضحايا تلك الشقق .. صدمت لما رأيتها تدخل الشقة التي أعمل بها .. وهي صدمت لما رأتني .. كان المشهد قاسيا ولما عرفت المشرفة ذلك أمرت بإنهاء خدماتي خشية الفضيحة ، وهددت بالقتل إن تفوهت بشيء عن الشقة .. ونقلت ابنة عمي لشقة أخرى .

ـ هل عرفتك ابنة عمك ؟

ـ طبعا يا رجل ! وكيف لا تعرفني ؟ بل أخبرت أن الفتاة مومس ، فلا داعي للشرف والفضائح وكان عليّ أن أصدق .. فنحن سواء .. كانت تريد المال مثلي لتشتري المزيد من الثياب والزينة المال مأساة ومصيدة .. لزمت الصمت ، ولذت به حتى أتممت الدراسة .. وتخرجت وانتقلت للعمل في إحدى مستشفيات الحكومة فور التخرج لم تكن في تلك الأيام بطالة أو شبح البطالة وفي ذلك المستشفى زادت معرفتي بالسيدة سمر ، ثم تأثرت بالحركة الشيوعية والإلحاد ، وصدقت أنه الجنة على الأرض .

ـ الكثير من الشباب الغلبان يعمل ما عملت .

ـ أنا لا أعرف كم عدد الشقق ؟ لكني علمت من المشرفة أن الكثير منها لديهم ، وأنها مسؤولة عن شقة ثانية .. قلت لك كانت تأتي إليّ في بعض الأيام التي تكون الشقة خالية من السهرات للزنا وتدفع .. القلب مات .. وأحيانا أسمح لبعض العشاق بالاستفادة من الشقة مقابل المال وكتم السر .. مع الوقت يصبح لدى الشخص جرأة وطمع بمزيد من المال .. وإذا كشف الأمر ليس هناك إلا الفصل أو الطرد .

ـ إذن كنت تساعد بوضع المخدر للجميع .

قال : نعم ، تحضره المشرفة على الشقة معها .. وفي الكأس الأخيرة يوضع ليلة التصوير .

ـ أتعرف الضحايا شخصيا؟

ـ القليل ؛ بل لم أصدف فتاة من كلية التمريض خلال عملي في الشقة.. فعبير لم يجري تصويرها عندي .. أغلب من كان يتردد على شقتنا طلاب الكليات الاقتصادية والاجتماع.

ـ أتعرف المهندسة نبيلة خالد ؟!

ـ نبيلة خالد لا أعرفها شخصيا ؛ لكنني سمعت بقصة طلاقها ، وأنها كانت ابنة مدير المستشفى الجامعي .

ـ هل سمعت أنها ترددت على تلك الشقق ؟

ـ لا ، لم أسمع .. أنا أحببت أن أعطيك فكرة صادقة عن تلك الشقق تلك الأيام ، وكيف يجري تدمير أولئك الفتيات؟!

تفكير إدريس

رجع إدريس للبيت بعد توديعه عارف ، وقد أخذ عنوانه قد يحتاجه في معرفة جواب سؤال أو احتاج لسماع المزيد من قصص وجرائم تلك الشقق ، بعدما صلى العشاء تعشى، وجلس مفكرا فقال لنفسه: هل السكران لا يفرق بين المسكر والمخدر ؟ كلاهما يذهب العقل .. هل نبيلة خالد أعطيت مخدرا ؟ لم تذكر ذلك عندما داهمها سيف بالصورة ، وظلت تنكر ذلك ، وماتت وهي تود لو تعلم كيف خدرت؟ إنها تجهل جهلا تاما كيف صورت ؟ وأين صورت ؟ وهذا الرجل أعطاني صورة لما يحدث من أجل التصوير .. وعبير تجهل كيف صورت ؟ ولكنها تعلم أنها صورت في إحدى الشقق السوداء ، وباعت جسدها في تلك الأوكار .. فقصة عارف توضح ما حدث مع عبير وغيرها ؛لأنها اعترفت أنها كانت تتردد على تلك الشقق والسهرات .. هناك فرق واسع بين قصتها وقصة نبيلة .. هل كانت نبيلة تذهب لمثل هكذا سهرات ؟ عبير كانت تذهب بصحبة الحبيب والحلم الواعد .. نبيلة لم تفعل ذلك الحبيب لم يفعل ذلك ، ولم يتحدث عن مثل ذلك .. لم تذهب لمثل هكذا شقق أو تنام في شقة غامضة .. وهي ليست بحاجة لمال لتمارس البغاء .. وأحبت سيفا ، وقضت سنتين وهي تطارد من مراد وغيره حتى اعترف سيف بحبها وقبلته .. وسيف ذكر لي أنها كانت عذراء عندما تزوجها .. القصة يكتنفها الغموض.. أتصنعت غشاء بكارة مزيف كما نسمع ؟ لا يحل الغموض إلا رجل كعارف رآها بأم عينه في إحدى الشقق .. من كان يدير كل هذه الشقق السوداء ؟! لابد أنها عصابة دعارة .. والغريب أنها صورت صورة واحدة .. فعبير عرضت عليها عدة صور .. وعارف يقول إن المصور يمكث عشر دقائق وهو يصور ..فهذا يدل على أكثر من صورة .. ولم تصور بأوضاع مختلفة كما حدث لعبير .. مراد لم ير الصورة ، نفذ تعليمات بناء على رسالة .. ولأنه يكره سيف ، ويحلم بنبيلة طيلة هذه السنوات غامر ونفذ ، ونجحت المهمة ، ولم يفز بالزواج منها ..لا هو ولا أحد الطلبة كانت من نصيب قريب والدها الدكتور القادم من أوروبا غريب .. أهذه الرسالة ما زالت حية يا مراد؟ لم يكن صريحا بالحديث عن تلك الصورة ، كان غامضا ولا مباليا .. هل تعلم سمر

بمصير هذه الرسالة ؟ وهل رأتها ؟ سيف لا معلومات عنده عن تلك الرسالة .. واقتربت العودة من العمرة وسنسأله بعون الله.. ألم يسمع الطلاب يتحدثون عنها ؟ سيف انعزالي .. لو سمع لذكره لي ، وبما كتبه في الأوراق .. حكاية نبيلة خارج السياق كما يقال .. واللغز لماذا صورة واحدة ؟ وعبير عدة صور بأوضاع مخزية ؛ لتستسلم بسرعة .. لأن من يرى تلك الصور سيعتقد أن الفتاة خبيرة في الدعارة والفجور.

رن الهاتف فخمن المتصل ، وكانت سمر ، فقال بعد التحية والسلام : أنت الشخص الذي كنت أرغب بالحديث معه !

ـ لقد قابلت عارفا .

ـ نعم ، وحدثني عن عمله كخادم في إحدى الشقق ، وتحدث بالتفصيل عما كان يمارس داخل تلك الغرف السوداء من تحلل وإباحية وتصوير وتخدير ، خاصة في الكأس الأخيرة ، ونقل الضحية إلى حجرة لإجراء التصوير من قبل مصور وأعوان له ، وهي مجردة من ثيابها ، وفي أوضاع مثيرة ؛ لتخضع الضحية بسرعة عندما ترى الصور الفظيعة ..كان يقبض ويأكل وينام على حسابهم ، وتقابل مع ابنة عّم له في تلك الشقة فاضطر لترك العمل أو الطرد بمعنى أدق .. وهدد ، ولم يتعرض للقتل أو الأذى ؛ ربما خشوا ابنة عمه أن تتكلم ، وتحدث فضيحة .. وهو جبن ، ولزم الصمت حتى أنهى تعليمه ، وتعين في مشفى ، ولم يتحدث عن حياة ابنة عمه ومصيرها أتعرفين ذلك ؟

ـ لا، لم يتكلم أمامي عن ذلك أبدا مع أني أدركته في بعض سنوات الجامعة .. وأنت قلت هددوه إنما المقال هو الذي ذكره بتلك الشقق السوداء .. وهو دخل الحركة بعد الجامعة بسنوات .. فعرفته من خلال الحزب أكثر من الجامعة ، ومن خلال العمل .. لم يعمل معنا كثيرا انتقل إلى عدد من المشافي والمراكز الطبية الصحية .. ولم أكن أستطيع هضمه مع شيوعيته هو يعرفني بحكم نشاطي البارز يا إدريس وحضوري للندوات والمحاضرات في عدة مواقع داخل المدينة وخارجها .

ـ المهم أن القصة أعقد من ذلك ؛ولكنه شاهد جيد ..وهذا يدل على وجود تلك الشقق حقيقة وهو يعرف بعض الخدم ؛ لكنه هذه الأيام لا يعرف مصيرهم ونهايتهم .. وأعتقد أنهم مثله من أبناء القرى والريف تورطوا من أجل المزيد من المال وتوفير ثمن الطعام والسكن حول الجامعة واستغلوا بطريقة جيدة وخبيثة .. ولا يذكر أنه التقى بعبير أو نبيلة في تلك الشقة العامل فيها كخادم .

ولما سكت قالت : ولماذا كنت تحب الاتصال بي؟

ـ لماذا ؟ آه لماذا ؟! ذكرت أن المهندس مرادا كشف أمر الصورة لسيف بناء على رسالة من مجهول

ـ نعم ، قلت مثل هذا الكلام .

ـ هل يمكنك معرفة مصير هذه الرسالة إذا ما زالت عند المهندس يحتفظ بها ؟هل مزقها ؟

ـ وهل هذا يقدم في قضيتنا شيئا ؟

ـ لعل كاتبها له علاقة بتلك الشقق .. أنا سألت عن هذه الشقق .. المعلومات ضئيلة .. بعضهم يقر بوجودها ؛ ولكن ليست بالصورة السوداء التي أرسمها .. فالمهندس سيف لا يعرف عنها شيئا .. اليوم الحانات والملاهي الليلية والنوادي الليلة تغني عنها ؛ بل السلطات تسمح بوجودها .. لم تعد الدول بحاجة لمواخير سرية لإيجاد ضحايا جدد .

ـ ما زلنا يا إدريس نسمع عن فظائع الجنس .. اليوم تصور الأفلام.

ـ اليوم تطورت فنون الانحرافات الجنسية والسادية والشذوذ ونكاح المحارم ، ولا يحتاجون لتخدير وتنويم ..اهتمي بموضوع الرسالة ، هل ما زالت موجودة ؟ لأنني وعدت سيفا إن فتح لي قلبه من أجل قصته مع نبيلة أن أعرف من صورها .. سأتصل بك بعد أيام .

أغلق الهاتف وأحضر سلة الفاكهة ، وبدأ يأكل ويمضغ ، وهو سرحان في قصة عارف .. وظل مسيطرا عليه لماذا صورة واحدة لنبيلة وصور كثيرة لعبير ؟ أين باقي الصور ؟ ولماذا تنكر نبيلة تعرضها لتخدير وتنويم ؟ فعبير تعترف أنها تعرضت لمثل ذلك بدون أن تعرف متى وكيف وأين ؟ وعارف لا يعرف أولئك المصورين ؛ ولكنه بين أن أكثر من مصور تردد على الشقة

خلال سنوات عمله .. ولم تذكر المشرفة له أي اسم ممن يأتون للتصوير ونقل الضحية إلى حجرة التصوير .. وكان يسمح لبعض الشباب بالاختلاء بالشقة دون علم المشرفة مقابل بعض المال حل لغز الشقق وطريقة الدعارة لم تحل مشكلة سيف ونبيلة ..ولا أعتقد أنه يستطيع معرفة كل زبائنه ؛ ربما الأكثر ترددا يعرفه أو من كوّن معه علاقة خاصة .. هل حقا نفذ مراد الخطة مع سيف عن جهل وبناء على رسالة من مجهول ؟! لماذا لم يتحدث معي عن تلك الشقق بصراحة ؟ أكان يجهلها حقا أم تظاهر بالجهل ؟ وهل ينفذ تعليمات من مجهول فقط ؟ وهذا المجهول توقع الطلاق وتدمير حياة زوجية عن حب من سنوات .. رسالة من بريد الجامعة .. قضية معقدة ولماذا الإباحية ؟ أين الزواج ؟ نسمع عن زواج عرفي زواج الفرند .. أصبحت حياة الزواج عبء على الشباب .. زواج المسيار .. زواج المتعة ينتشر بقوة .. حياتنا السرية تعقدت .. العفو العفو يا رب السموات والأرض .

كان إدريس يدرك صعوبة المهمة التي يقوم بها والوصول إلى مصدر الصورة والمصور ، وليس بالأمر السهل بعد ثلاثين سنة .. وهل ما زال البائع على قيد الحياة ؟ ولد ملايين ومات مثلهم إن المعلومة يجب أن تصدر من صاحبها .. من قام بها ؟ فالسيد مراد لم يتحدث أمامه عن رسالة ولا ذكرها ؛ إنما ذكر دوره بطلاق سيف ونبيلة .. وسيف نفسه لم يتابع موضوع الصورة ، كان الذي يهمه رؤية الصورة هل هي حقيقية أم خدعة فنية كما يحدث في الأفلام والمجلات من تركيب للصور والشخصيات ؟ والفتاة اعترفت بأنها صورتها دون إنكار ؛ ولكنها حارت بالكيفية التي صورت بها والمكان والزمان ..كيف صورت بدون علمها صورة خلاعية أدت إلى تدمير حياتها الزوجية وزرع الشك في نفس الحبيب ؟ رأت أن أحدهم خطط لتدمير حياتهم صورها وأعلم زوجها بأمر الصورة عن طريق مطارد لها رفضته مرارا وتكرارا .. نجح مراد ؛ ولكنها موقنة أنه مجرد رسول ، لم يصورها .. هناك من صورها ، وحصل ما أراده الماكر .. وبعد ثلاثين سنة وهي تموت كتبت رسالة لزوجها الأول تطلب المسامحة والتحقيق في حقيقة الصورة بالعودة للمقهى .. هل عرفت من صورها ؟ وباع الصورة لسيف وصمتت عنه .. من يريد من

مطارديها الطلاب تدمير حياتها الزوجية ؟ لم يتقدم أحد للزواج منها بعد الطلاق ؛ إنما أعلمها والدها أنه سيزوجها لقريبهم غريب الذي رغب بها بعد عودته من بريطانيا .. مراد أكثر مزعجيها لم يتقدم لخطبتها ..كان يهم بذلك ؛ لكنه كان ينتظر هدوء العاصفة ونسيان دوره .. لقد استطاع الخصم استدراجه ليخبر سيفا بأمر الصورة الشيطانية .. لا أعتقد أن لتلك الشقق الشيطانية دورا في فساد زواج سيف .. هناك شخص كان حاقدا على سيف ونبيلة أو على أحدهما هل كانت تعرفه ؟ هل عرفت من صورها وعجزت عن ذكره لأسباب قاهرة ؟ ..وكيف قبلت أن يصورها ؟ هي أنكرت علمها بالتصوير .. هل هي صادقة ؟ هل كذبت ولم تستطع التراجع عن الكذب ؟ الناس تكذب للدفاع عن نفسها في الوهلة الأولى .. الرسالة تؤكد جهلها مكان التصوير .. أخبرت سيفا أنها تجهله .. كانت متعجبة ومذهولة كما أخبر سيف ليلة رأت الصورة كيف لقطوا لها تلك الصورة التي دمرت حياتها ؟كانت مذهولة للغاية حتى أن سيفا ظنها تمثل من شدة الصدمة .. فقال إدريس : الاعتراف الاعتراف هو الحل أن يعترف الفاعل .. وهل يعترف بعد ثلاثين سنه من الجريمة ؟ لعبة كبيرة لعبت على الزوجين بدهاء ومكر .. هل لغريب يد فيها ؟ لأنه هو الذي فاز بنبيلة أليس هو سبب العجلة بزواجها من حبيبها وفارس أحلامها وزميلها في الكلية ؟ أمه قالت ذلك لأم نبيلة .. وأم نبيلة تعرف حب نبيلة لسيف وردة .. كان الرجل قادما بشهادة من أوروبا من بريطانيا مثل والدها .. ومراد كان يرغب بها زوجه كيف عرف غريب مرادا ؟ كيف عرف غريب سيفا وعقليته ؟ لماذا نفذ مراد ما طلب منه ؟ الحقد والغيرة والانتقام .. كيف استطاع غريب تصويرها تلك الصورة دون علمها أم كانت تعلم ؟ هل كان بينهما شيء من وراء سيف ؟ مراد كيف صورها وهو بعيد عن تلك الشقق السوداء ؟ لا حل إلا أن يعترف الفاعل والمدبر لهذه اللعبة .. لو كان وراء التدبير غريب لماذا تزوج نبيلة بعد زواجها ؟ التقرب للوالد والرغبة في المناصب .. لما أصبح خالد وزيرا لم يقدم له الكثير مجرد نقله للعمل الإداري في الوزارة .. وحياته لم تكن سعيدة معها .. كانا مجرد زوجين كما فهمت .. كان صاحب نساء وعشيقات كما تعلم في الغرب ، وقد اعتدى على قاصر وافتضح مراد له دور

غير تلك الرسالة .. لم يسرع لطلب يدها ؛ بل كان يتجنب اللقاء بسيف وبها بعد الطلاق .. هل حاول ؟ لم يتحدث أحد بذلك .. من سيعترف يا إدريس ؟ ستبقى القصة غامضة .. غريب لماذا يرغب بمقابلة سيف ؟ أعنده شيء لحل غموض تلك الأيام ؟ بماذا ظلم سيفا ؟ أهو الذي سبب الطلاق ؟ ومن ظلم سيفا ؟ هل لوالدها دور في تدمير زواج ابنته ؟ لم يظهر منه أي رفض له .. سيف لا يعرف غريبا قبل الزواج.

أراد إدريس إغلاق الملف بعد هذه المراجعات والاستفهامات، وقال لنفسه : لقد فعلت ما أستطيعه وما بوسعي .. عرفنا كيف كانت تستدرج الفتيات لتلك الدور ؟ وعرفنا كيف يخدعون ويصورون ؟ والضحية عرفنا جهلها بيوم التعرض للتصوير ..وأن هناك حفلات تمويه قبل أن تعرض الصور على الضحية ؛ لتستسلم لهم .. ومن يصور مجهول .. وقصة نبيلة تختلف عن قصة عبير .. العاشق الولهان الصياد هو الذي قدم لها الصور واختفى .. مراد حاول الحياة كعاشق ولاعب مع نبيلة ، ولم يحصل شيء بينهم .. ولم تصحبه لشقة وسهرة .. نعم يجب إغلاق الملف يا سيف .. والرجل قد سامح مطلقته عن كل الألم والجرح الذي تسببت له فيه .. ورجع للمقهى ، ولم يلتق بالبائع يا سيدة نبيلة ؛ ولكنه التقى بإدريس الذي بذل الوقت والجهد للوصول للمصور دون فائدة .. سيف أخذ الصورة ، ولم يحاول معرفة المصور أو البائع ، كانت متلهفا لشراء الصورة ، وعاد للبيت ، وعرض الصورة على نبيلة .. كان مصدوما مذهولا ، واتخذ قرار الفراق قبل العودة للبيت ، وسارع بمقابلة والدها ومبررا سبب سرعة طلاقه .. استغرب الوالد الصورة ، ولزم الصمت ، ووافق على الطلاق كما يريد سيف.. وهل صدق ابنته عندما حلفت له أنها لم تتعرى لتتصور ؟ وقبل زواج غريب من ابنته بعدما أطلعه على أمر الصورة ..وقبل غريب بها .. ولم تكن المرأة الوحيدة في حياته .. وقبلت العيش معه على علاته وفساده .. انتهى التحقيق يا مهندس سيف!

الموت

في منتصف شهر أب اتصل سيف بصديقه إدريس مخبرا بموت الدكتور غريب ، فاسترجع الرجل ، وأخبر سيف أن إحدى أخواته أخبرته بذلك ظانة أنه سيشارك في الجنازة بعدما شاع عن عودة اتصالاته بزينب وهند .. وكان غريب قد اتصل به مهنئا بالعمرة ، وراغبا بلقاء يجمعهم ، فتأسف له وشكره على الاتصال .. وبعد نقل الخبر ، قال : سيصلون عليه في جامع الحي .

شجعه إدريس على المشاركة في الصلاة من أجل خاطر البنات ؛ ولكنه قال : لا تطاوعني نفسي فماذا بيني وبين البنات ؟ كانت أمهن يوما ما زوجة لي .. واسمع بالمناسبة علمت أن موضوع الزواج ما زال قائما .. إنما الذي أوقفه اشتداد المرض بأبيهن .. فتعال ونذهب معا.

ـ ذهابي غير مناسب يا سيف .. سيُفهم أنني أفعل ذاك ليس قربة لله ؛ إنما لأجل زينب.. أما أنت فجار لهم في الحي .

قال : ليست لديّ الشجاعة لفعل ذلك ؛ لربما لو قصدت الجامع دون العلم بجنازة لصليت كما يحصل عادة .

ـ أذهب معك للدفن نرقق هذه القلوب ساعة من الزمن .. هل سيدفن بعد الصلاة ؟

ـ نعم ، هذه العادة ، وسيدفن في مقبرة العرب حي العرب .. هذه مقبرة

أهالي بهية .. سيصلى عليه بعد الظهر كما قالت أختي غدا نلتقي ، سيأتون به من المستشفى إلى المسجد ثم المقبرة.

قال : المقابر تساوي بين الأغنياء والفقراء ، كما يفعل صف الصلاة في الجامع .. سأكون عندك بعد الصلاة ؛ لنذهب المقبرة .. يذهبون مشيا أم راكبين .

ـ بعيدة المقبرة عن المسجد .

ـ نحضر الدفن للعبرة وتذكر الآخرة.

صلى إدريس الظهر في أحد مساجد حي العرب ، ثم مشى إلى حي بهية حيث بيت سيف ،

وكان في انتظاره ، فركب بجواره وقال سيف : المقبرة تحتاج لسيارة بالنسبة لنا .

وصلت سيارة الموتى إلى مكان الدفن المخصص ؛ وكانت تشرف على الدفن شركة خاصة بالدفن والتغسيل ، ونقل أشخاص الجثة إلى القبر الذي التف حوله المشيعون .. وتمت طقوس الدفن حسب الشريعة الإسلامية ، حيث ينزل لجوف القبر شخصان أو أكثر لتناول الجثة ممن حملوها من سيارة الموتى .. ويتم وضعها على جنبها الأيمن جهة القبلة .. وتحل أربطة حول الساقين والرأس .. ويقول أحدهم : على ملة وسنة رسول صلى الله عليه وسلم .. ويغلق القبر بعدد من البلاطات الإسمنتية ، ثم يهال عليها التراب ، ثم يبنى عليه في الأيام التالية الإسمنت والحجارة حتى لا تنبش .. وقد يقف أحد الشيوخ ليذكر الناس بالموت والزهد بالحياة الدنيا ويدعو للميت.. ويأخذ المشيعون بالانصراف ، ويتأخر أقرباء الميت حتى ينصرف أغلب الحاضرين ، ويذهبون لتناول طعام الميت في مكان معد لذلك .. ثم يجلسون في بيت العزاء لمدة ثلاثة أيام متتابعة.. واليوم المطاعم تعد هذا الطعام عن روح الميت مقابل أجرة يدفعها أهل الميت أو أبناؤه .

أما إدريس وسيف فبعد المشاركة بالتشييع ذهبا إلى أحد مطاعم المدينة ، وتناولا طعامهما .. وكان سيف يسأل : هل سنعزي البنات ؟

ـ سأتصل بهند وأُقدِّم لها العزاء هاتفيا فقط .. وأطلب منها تعزية أختها وأخيها.. وأنت !

ـ ليس بيني وبينهم رابط يا إدريس .. ولكني سأرسل لهم برقية عزاء ؛ لأنه إذا فرط موضوع زواجك من زينب سيغلق الملف كما أغلقنا ملف أمهم .

ـ نعم ، انتهى ما بيننا وبينهم .. كنت أود لو أنك قابلت الرجل ؛ لنعرف الظلم الذي ألحقه بك ويريد الاعتذار عنه .

ـ ظلم من قبله ! لم أجلس معه في يوم من الأيام ، ولم أتعامل معه في صغير ولا كبير ، لو طالت مدة زواجنا قد نتعرف عليه .. ربما يريد أن يقول: إني ظلمتك بزواجي من نبيلة كما قالها مراد

ـ أعتقد أن الأمر أكبر من الطلاق .. الرجل عنده شيء كبير .. كان يرغب بمسامحته على

شيء كبير !

قال سيف بحيرة : شيء كبير ! أعندك معلومات عن ذلك ؟ ماذا تقصد ؟!

ـ أقصد أنه له دور خطير في الصورة والطلاق .. أنت ذكرت في صفحات المذكرات أنه السبب وراء تعجيل الزواج .. وأن أمها لم ترغب بأن يتزوج من بنتها ، وفضلت زواجك عليه لابد من سبب لم تذكره لك نبيلة بوضوح .. وأن والدها كان يميل لزواجها منه.. ويبدو أن الأم فرضت رأيها .. وأنك خير منه مع أنك ما زلت طالبا .. وهو متخرج كدكتور ؛ فلعله رأى أن زواجك منها تحدي له .. فخطط لطلاقك ، وتدمير زواجك ، والانتقام منها بالزواج منها .. فهذا الظلم الذي أصابك منه .. فمراد لم يكن له دور كبير في الطلاق ..كان مجرد ناقل رسالة .. أخبرك عن الصورة والمقابلة في المقهى الذهبي بناء على تعليمات وصلت إليه .. وهو كان طامعا بالزواج منها بعد أن فشل في اصطيادها كحبيبة وعشيقة .. وكان يرى أن ذلك سيكون بعد التخرج والعمل .

ـ قل لي كيف صورها غريب ؟! وكيف أقنع مرادا بلعب ذلك الدور ؟!

ـ هل تظن أننا نحن الأذكياء في العالم ؟ هذا ما استوعبته من اعترافه أمام بناته بأنه ظلمك .. استطاع أن يتزوج نبيلة .. وقد تكون نبيلة عرفت هذه الحقيقة بمرور السنين .. وكانت تريد منك الوصول للحقيقة من مقابلتك البائع المجهول .. لابد أن لها مقصدا بالطلب منك بالعودة للمقهى ، والبحث عن ذلك البائع .

ـ ولو سلمنا بصحة خيالك ، وبهذا السيناريو وحصل .. كيف صورها بدون علمها ؟ التخدير خدرها ولم تدرك ذلك !

ـ حيلة ما ؛ كأن يضع كاميرا سرية في حمام .

ـ لم تكن الصورة يا إدريس في حمام ..كانت الصورة في فضاء أو قاعة .. وكانت راقدة على ظهرها فوق سجادة تشبه سجادات الصلاة .. وكانت منفرجة الساقين عارية تماما .. والصورة توحي فعلا بأنها في حالة تخدير مستسلمة .. المصور أراد أن تظهر العورة والصدر والوجه ،

حتى لا أنكر أن الصورة لها .. هي زعمت أنها لا تعرف مكان لقط الصورة ، ولا أنها تعرضت لتخدير .. والرجل اليوم قد مات .. وإذا هذا الذي تشك به من تلك الجملة أمام بناته فقد رحل وأخذ سره معه .. وهل البنات يعرفن في رأيك ؟

ـ هند قد تكون تعرف ؛ لذلك اهتمت بالموضوع لما سمعت عن اهتمامي بالصورة .. وتكلمت مع رئيس التحرير كما تذكر .. واتصلت بها ، والتقينا ، وكان اللقاء عن الصورة .. ربما هي تشك كما نشك اليوم بالسيد غريب .. وربما الأم تعرف أنه الفاعل .. فقد يكون اعترف لها بتدمير حياتها معك في ساعة سكر في ساعة غضب وغرور .. فالمغرور أحيانا كثيرا يحب أن يتباهى بجرمه ومعصيته وحقده.

لما رجع سيف للبيت انشغل فكره بما سمعه من إدريس ، وشكه بزوج امرأته نبيلة ، وأنه قد يكون وراء مأساته ..وفكر بالصورة الوحيدة لها ، وبالصور الكثيرة لضحايا الشقق السرية .. وجد نفسه لا يعرف شيئا عنه ؛ لأنه لم يهتم به يوما ، ولم يتقابل معه في حياته قبل الزواج أو بعد الزواج ؛ ربما اشتركا في حضور مناسبة فرح أو موت ؛ ولم يجر بينهما أي تعارف .. عادت به الذاكرة إلى أيام الزواج والخطبة .. ذكر أنها أخبرته أن قريبا لوالدها عاد من بريطانيا كطبيب ، وأنه يتقرب من العائلة بالزيارات المكررة ، ويكثر من الجلوس مع والدها الدكتور خالد ، ثم تطور الأمر عن حديث عن زواجه من نبيلة كما حدثتها أمها ، وأنه يفكر بطلب يدها وخطبتها وأن والدها لا يعترض ويراه كابنه وبناته .. وحدثتها أمها بأن تشجع سيفا ليطلب يدها ؛ لتمنع زواجها من غريب .. ووافق سيف ، وتشجع والده لهذا الزواج لما التقى بنبيلة ، وحدثت الخطبة، ثم بعد حين تحدثت أن والدها أستشير ليكون وزيرا في الحكومة القادمة ، وأنه مرشح للوزارة وأن من الأفضل أن يتزوجا شرعا قبل التوزير خشية أن يرفض الوالد الزواج عندما يكون وزيرا وفعلا بعد طلاقه منها صار الرجل وزيرا حقيقيا كما أخبرت نبيلة .. مشى الزواج سريعا ، لم تظهر نبيلة أي علاقة وعاطفة لغريب سوى أنه قريب للعائلة كغيره من أقاربها .. إنها تريده هو زوجا لها .. رجل شاب يفعل ما كان يفعل طلاب الكلية من اللف والدوران حول نبيلة .. كل

يرغب بإقامة صداقة وغرام معها أو حتى الجنس إذا قبلت كما كان يفعل مراد ، وشاع في الكلية كانت لها صداقات مع الجنسين ؛ لكنها لم تتهور إلى علاقات غرامية وحب .. صمدت سنتين حتى اعترفت لها بأني أريدها .. وظهر أنها كانت تحلم بي كما حلمت بها .. وأعلم أنها ظلت تطارد من قبل مراد وغيره ؛ ولكنها كانت تصدهم وتعلن هواها لي .. وقلنا نصبر على مضايقات ومعاكسات الناس حتى نفارق الجامعة.. لم تعمل علاقة خاصة مع أي طالب قبل أن أعلن لها حبي ، ولا بعده ..وجرت التطورات الكبيرة في السنة الرابعة وفي مطلع الخامسة .. وكان الزواج القصير .. كيف سأعرف بعد هذه السنين أن غريبا كان مطاردا وخصما لي فيها ؟.. هو كان يدخل القصر ويسرح ويمرح قبل إعلان الخطبة وبعدها ..إنه قريب الدكتور .. والدكتور خالد أكاديمي ومدير مستشفى وثري جدا وابن الحضارة الغربية .. تعلم في بريطانيا .. وكان يزاوج بين عادات العرب وعادت الغرب .. ومحلا للحرية للجنسين ، لم يكن متعصبا ومعقدا كما كانت تحدث نبيلة .. وأن البنت كالشاب عنده حرة هم سواء تفعل ما تشاء .. وبعد فترة صمت عاد يقول : لا أدري ما دخل غريب في إفشال زواجي ؟! هو ليس بحاجة لواسطة للعمل كطبيب في الحكومة .. كل طبيب يقبل للعمل في مستشفيات الحكومة .. تنفع الواسطة للعمل في هذه المدينة ، وغيرها من المدن الكبيرة ؛ بحيث لا يخدم في المدن البعيدة كما هو معتاد في أول التعيين أو للعمل في الإدارة بدون المرور في مراحل الخدمة وقليل ذلك ..لابد للطبيب أن يعمل في مهنته لعدة سنوات قبل أن يحول لعمل إداري بحت .. لماذا فعلا أهملت موضوع الصورة والبائع ؟! لماذا حدثت نبيلة هندا عن الصورة وقبلها سوزان ؟! وبعد ساعات قضاها مفكرا ومقلبا للأمور ومتذكرا المعلومات طلب قهوة مرة ..وأخذ يتذكر الإلحاح من هند وزينب وخالد وحتى من غريب نفسه لإجراء لقاء به "هذا الرجل ظلم" من ظلمني ؟! هل هو الظالم ؟ كيف ظلمني ؟ هل كان هو سبب طلاقنا كما يظن إدريس ؟ وهل وهو يدرك أنه يموت ندم وأحب هو الآخر أن أسامحه ؟ هل اكتشفت نبيلة دوره ؟ لذلك طلب المسامحة منها ، ثم مني .. من أرسل الرسالة للسيد مراد ؛ ليخبرني بالصورة الحقيرة ومكان ووقت اللقاء؟ لماذا قبل مراد لعب

هذا الدور ؟ أكان يأمل بالزواج منها ؟ هل الدكتور خالد هو الذي عرض ابنته على غريب بعد طلاقها العاجل أم أن غريب تظاهر بالشهامة والتضحية أمام الدكتور وبادر بطلب يدها ؟ هي كانت تقول إن والدها يريد تزويجها من قريبه .. لابد أن إشارات جرت بينهم .. أمه كلمت أمها ؛ لذلك طلبت السيدة من ابنتها مفاتحتي بأمر الخطبة ..كانت نبيلة تريدني أنا دون غيري زوجا .. ولكني خذلتها ؛ ولم أتحمل الصدمة والمكيدة !

انتهى شهر أب من عام ١٩٩٦ دون أن يعرف سيف سبب ورغبة غريب باللقاء به دون معرفة سابقة .. وهند وزينب لم تتحدثا معه ؛ كأن كل شيء انتهى بوفاة غريب .. فراجع طبيبه الخاص وقضى ليلة في المشفى .. ولما اطمئن على قلبه طبيا أقنع إدريس بالسفر إلى إسطنبول التركية لقضاء أسبوع لتغيير الجو كما يقال .. واستمتعا بتلك الرحلة ، ومضت الأيام سريعا ، ولم يفكرا كثيرا بغريب ودوره في إفساد حياته الزوجية ، واعتبر ذلك من الخيال الجامح ؛ ولكنه شعر بالندم على عدم زيارته لغريب ، ومعرفة الظلم الذي وقع عليه ؛ لذلك لما رجعا اتصل إدريس بهند معزيا مرة أخرى ، وزعم لها أنه حاول أن يقنع سيفا لمقابلة الراحل ؛ ولكن ما زالت طباعه تغلب عليه .. وخاصة صفة التردد الشديد .. وحاول استدراجها عن سبب هذا الطلب الغريب فذكرت له أنها لم تعرف السبب لذلك الطلب .. وأنه لما علم بزيارة سيف لصيدلية زينب والحديث معها أحب هو الآخر اللقاء به ..وتكلم عن الظلم لهذا الرجل ولم يوضح لهم الظلم الذي يقصده ..وطلب مني أن أقنعه بلقائه .. ومات والدي وهو يرغب بذلك.

وقالت : كما قلت ما زال السيد يعيش في الماضي.. الناس تتغير وتتقلب .

فتجرأ إدريس وقال: ألتلك الرغبة علاقة بالصورة القديمة التي دمرت حياة أمك الزوجية ؟!

لزمت الصمت لم ترد للحظات ، ثم قالت : صدق لا أدري ! نحن لما شببنا وجدنا أن العلاقة بين والدينا سيئة .. وبصراحة تبين أن لأبي علاقات قبيحة مع النساء ..ولم يكن ذلك يعجب أمي .. وكانت تمتنع عن فراش الزوجية بسبب علاقته الجنسية خارج الزواج ..كانت الأسباب في نظرنا تافهة يا إدريس لم نكن نعلم بقصة سيف وأمنا وسبب طلاقها ..كان ذلك متأخرا ..

ولما أنهت زينب الثانوية سافرت للدراسة في تركيا كبعثة ، ولقرابة بين أم غريب والأتراك .. وتزوجت أحمد الذي درس هندسة الطب .. وأنا قبلها بسنتين دخلت كلية الطب لأن والد أمي كان وزير صحة ، فأحبوا أن يكرموه فقبلت بكلية الطب .. ربما لأبي دخل بذلك .. وابتعدت كلية عن نزاعات أمي وأبي وفضائحه .. وأنا أعترف بذلك ؛ لأنني اعتبرك صديقا عزيزا علينا يا إدريس .. وأنت اجتهدت في معرفة الذي خرب وفسد علاقة أمي بسيف المسكين .. إنني أشفق عليه كثيرا .. وخالد أخي أيضا دخل كلية الطب .. ونحن عرفنا بقصته مع أمي بوضوح عندما أراد شاب من العائلة الزواج من فتاة من آل وردة .. ورفضت جدتي هذا الزواج بشدة بسبب ذلك الماضي .

ـ نحن لما ذكرت الظلم الذي أصاب سيفا حاولنا معرفة أي ظلم يقصد الوالد ؛ لكن سيفا أبى ورفض الذهاب لمعرفة الظلم الواقع عليه من أبيك أو من شخص يعرفه أبوك .. وأنا خطر في قلبي أن الأمر له علاقة بالصورة والطلاق .

ـ لم يتكلم أبي عن أي تفصيل ؛ إنما رغب بلقاء الرجل مباشرة .. وترجيت صديقك وفعلت زينب وأخي، ثم أبي اتصل به بعد عودته من العمرة من أجل اللقاء ؛ لكنه أصر على الرفض لم يتحدث أبي عن صورة ، ولا ذكر لنا شيئا من قصة أمنا مع سيف .

ـ شكرًا يا دكتورة هند! أنا سعيد بالحديث معك ؛ لأن قضية الصورة شغلت فكري لما عرفت قصة طلاق سيف خلال تلك التحقيقات .. أنا وصلت لمعلومات مهمة وتفصيلية بما سميناه بالشقة السوداء .. وكيف يخدعون الفتيات ؟ إذا التقينا في يوما ما سأسرد على مسمعك أهم التفاصيل والمكر .

●

بعد منتصف شهر أكتوبر تلقى السيد سيف بريديا رسالة غريبة وغامضة ، جاءت عن طريق البريد الرسمي ، ووجد داخل المغلف رسالة أخرى ، فلما اطلع عليها ذهل ودهش واحتار واتصل بإدريس على الفور ، وذاك لبى النداء بسرعة البرق .. كانت الرسالة من الدكتور غريب

زوج نبيلة خالد ، ووصلت من مكتب أحد المحامين واسمه خليل سعيد برقع ، كان في رسالة المحامي بعد التحية والسلام كتب "طلب مني الدكتور غريب غنصرو أن أرسل لك هذه الرسالة المغلقة على هذا العنوان "وذكر عنوان بيت سيف .. وأن تصلك بعد موته بشهرين ، وشكرا" وضع إدريس رسالة المحامي ، وأخذ رسالة غريب بلهفة واضحة عليه .

"هذه رسالة قلت للمحامي أن تصلك بعد موتي بشهرين ؛ ولتعلم أني تركت لك أهم وأخطر رسالة في حياتي ، وستصلك بعد موتي بثلاث أشهر ، كما رتبت مع السيد خليل المحامي .. تحياتي لحضرة المهندس سيف حاكم وردة ..ولما خشيت أن ينسى محاميّ الخاص إرسال الرسالة إليك حسب الاتفاق بيننا كتبت هذه الرسالة ، وأعطيتها لمكتب محاماة أتعامل معه في بعض القضايا لأضمن أن تصلك الرسالة الأهم .. هناك حقائق عليك أن تعرفها .. قد أكون أنا الذي دمر حياتك وأفسدها .. والسبب أني أحببت المرأة التي تزوجتك ، ورفضتني ، واختارتك ، فلم أتحمل ذلك الفشل.

علمت أن نبيلة خالد كتبت لك رسالة تطلب المسامحة والاهتمام بموضوع الرجل الذي باعك الصورة تلك الليلة ..لابد أنك تذكرها ، ولم تنساها ؛ لأنها ليلة فارقة في مصيرك .. ووجدت أنني أحق منها بطلب العفو والمسامحة ؛ لأنك لم تتزوج بسبب تلك الحادثة، وطلقت واعتكفت دون امرأة .. ستعرف القصة مفصلة في الرسالة القادمة إليك عندما يرسل إليك المحامي الآخر المظروف المغلق حسب الاتفاق .. اصبر "

قرأ إدريس الرسالة ثانية ، وتنهد قائلا: أنا أعرف ما سيكون في الرسالة القادمة بعد شهر .

ـ وأنا لما قرأتها عرفت الحقيقة التي كنت لا أريد أن أصدقها .. لم يخطر على بالي أن يفعل هذا الدكتور كل هذا الإجرام والكيد .. لم تكن صورته واضحة أمامي .. لم تذكر نبيلة الكثير عن أخلاقه وصفاته وغروره .. إنه يكتب من باب الغرور والطيش .

ـ أنا لما التقيت بعارف فوزي كملت المعلومات عن تلك الشقق .. أما صورة واحدة فهي من شخص آخر .. باعها لك ، لم يبعها لصاحبة الصورة إذن المقصود إفساد الزواج .. ولا مصلحة

لأحد في ذلك إلا لغريب ومراد .. ورجحت غريبا لقرائن أخرى .. هناك عاشق آخر لعب لعبته الذكية .. وهو قريب منها ، ومطلع على أسرارها وحياتها.

ـ أفكارك الأخيرة خشيت أن تصح .. نبيلة تعلم أن زوجها لعب لعبة كبيرة علينا ؛ لكنها كانت زوجة .. ولها أولاد منه .. كانت تعيش على الهامش .

قال إدريس : إنك مثلها ضحية لم تتزوج ! ومضى قطار العمر وأنت معقد من ناحية النساء .. لا زوجة ولا أولاد .. أخيراً سنعرف كيف

خدعها الرجل وصورها تلك الصورة ؟

قال بحزن باد على وجه : أتراه يعترف بالحيلة الخبيثة يا إدريس ؟!

ـ لو لم يريد أن يعترف لماذا يكتب ؟ أتصور أن الطريقة بسيطة وسهلة .. استخدم عقارا معينا عقارا يستخدمه رجال المخابرات في التحقيق .

ـ لم أفهم .

ـ أخذت بالقراءة عن وسائل وطرق يصور بها الشخص ولا يدرك ذلك .. هناك يا سيدي عقارات تستخدم للسيطرة على المستجوب أي يفقد ذاكرته لزمن محدد .. وهناك من يستخدم التنويم المغناطيسي ليعترف المستجوب بمعلومات أو أنه عمل لجهة معينة .. فالدكتور غريب طبيب أعصاب ودماغ .. هناك أطباء يعملون مع أجهزة المخابرات الكبيرة والعالمية ، وكما نسمع ونقرأ يقوم أطباء تلك الأجهزة على إعطاء الشخص المُستجوب عقارا معينا .. فيستسلم للطبيب ، ومهما طلب منه سيفعل .. وهذه الأدوية ممنوعة ومحرمة دوليا ؛ لكنها تستعمل كما تستخدم عقاقير الهلوسة .. وهي ممنوعة .. نعم ، السيدة تعرضت لتجربة ذلك وتعرت لا إراديا وصورت .. ولما انتهى مفعول العقار ، لم تشعر بما حصل معها ، وأنها فقدت الذاكرة أو نومت مغناطيسيا .

خيم الصمت للحظات ، ثم همس سيف : ثقافتك واسعة جدا!

ـ نحن لم يخطر في بالنا أن الرجل زوجها هو الفاعل إلا لما أغلق ملف الشقق السرية ، وسماع

عبارة " هذا الرجل ظلم ".. ذهبنا أن لمراد يدا ؛ لأنه الخصم لك ، وأكثرهم مطاردة لها .. لم يكن الرجل في الصورة ..لا في مذكراتك ، ولا رسالتها إليك .. ونحن ذهبنا أنه تزوجها ؛ لأنها قريبته ، ومطلقة في شهر الزواج الأول .. لم يخطر لنا أنه هو الذي سعى لذلك الزواج للانتقام منك ومنها .. والذي لفت النظر إليه مؤخرا رغبته بلقائك .. ووسط أولاده لتقبل اللقاء به .. وتكلم عن الظلم ، وليس بينك وبينك أي علاقة عمل صداقة .

ـ هل هذه الأدوية التي تتحدث عنها حقيقة أم شغل أفلام وسينما ؟!

ـ طبعا حقيقية يا سيدي! في الخمسينات كانت تجرى تجارب على أفراد وجماعات وسجناء وخصوم بهذه العقاقير .. المرضى النفسيون ألا يعطون أدوية وعقاقير للسيطرة عليهم ؟

ـ معروف هذا .

ـ فالمريض النفسي عندما يعطى مثل هذه العقاقير ماذا يحل به ؟ فعلم النفس وطب النفس للسيطرة على العقول والأدمغة والنفس .. لقد قاموا باختراع عقاقير تسبب فقدان الذاكرة ؛ ربما لم تنجح تلك العقاقير النجاح الكامل .. وهناك عقاقير تؤثر على العواطف والشعور بشكل جزئي أو كلي ..كبسولة مع الطعام فتؤدي إلى فقدان الذاكرة .. هناك يا سيد سيف عقاقير تظهر الشخص بأمراض صعبة للخداع .. وأعتقد أن غريبا لما فشل بالزواج من نبيلة بطريقة طبيعية وسارعت بالزواج منك قرر القتال .. وعمل معها شيئا فظيعا استطاع أخذ صورة لها بحيث لم تشعر بها .. لا تنسى أنه قادم من بريطانيا حيث كانت الحرب الباردة والصراع بين الشرق والغرب .. وكل الوسائل مباحة .. ستقرأ في رسالته فك غموض الصورة والبائع وتكليف مراد هل تعلم أني قرأت عن الغازات المضحكة والمبكية والمخدرة ؟ خلال الحرب الباردة استخدمت أشياء كثيرة ، ومواد أهلكت الملايين من البشر دون أن يدرك أحد أنهم هلكوا تحت التجارب سواء في الغرب أو روسيا والصين .. كثير من التجارب تجري على السجناء ؛ لأنه لا يكترث بحياتهم أحد .. سجين ومات .. لأنهم هناك عندما ينتهون من تجارب العقار على الفئران وغيرها يجرونها على البشر .

عندما عاد إدريس للبيت رن جرس الهاتف الأرضي ، وتفاجأ أن المتصلة هند غريب .. وبعد التحيات والسلام والترحيب سمعها تقول له : رأيتك اليوم في الحي !

ـ رأيتني !!

ـ رأيتك تخرج من التاكسي ، وتدفع له الأجرة أمام بيت سيف وردة .. كنت في الشارع أعاين مريضا .

ـ آ .. فعلا كنت عند المهندس بعد الظهر بقليل .. ما أخبارك يا دكتورة ؟

ـ جيدة يا سيدي .. ما أخبار المهندس؟

ـ جيدة أيضا يا سيدتي!

ـ هل من جديد بشأن تلك الصورة اللعينة ؟

ـ هل من جديد ؟! أنا قلت لك إني قابلت إنسانا كان يعمل في إحدى تلك الشقق كخادم كحارس كمجرم .. وشرح لي ماذا يفعلون فيها ؟ وكيف يخدرون ويصورون الضحايا لابتزازهن وإفسادهن للعمل في الدعارة والفاحشة ؟ لكنه لم يصدف وأن رأى السيدة أمك في سهرة في حفلة .

ـ فعلا تلك الصورة لغز غامض! حتى أمي رغم زواجها من أبي كانت تشغل بالها تلك الصورة رغم مضي عشرات السنين كيف وأين ؟

ـ أسالك يا دكتورة بناء على الثقة الكبيرة بيننا والصداقة.. أمك ـ رحمها الله ـ لم تعرف سر تلك الصورة .. أم أنها لا تريد أن تعترف .. فقد أخبرت سيفا بأنها لا تعرف كيف وأين ومتى؟

ـ لا أعتقد أن أمي تعرف الحيلة التي فعلت بها لأخذ تلك الصورة وإلا قالت لأمها ولي .. كانت أمي بعد زواجها من أبي تقضي كل وقتها بعد العمل مع أمها .. كانت تحبها كثيرا حتى كان أبي يفتعل المشاكل معها بسبب ذلك .. ولما مرضت جدتي تركت العمل ، وظلت معها .. أعتقد أن أمي ماتت وهي تجهل الحيلة ؛ لذلك أنا اهتممت بالموضوع كما تعلم لما علمت أنك اهتممت بموضوعها كما أخبرت صديقة أمي المهندسة سوزان .. وسعيت للتعرف عليك

واللقاء بك .

ـ على كل حال إذا حدث شيء مهم عسى أن أتحدث معك .

ـ شكرًا يا أستاذ إدريس شكرًا ..ولَك تحية من أختي زينب .

ـ من زينب .. شكرًا لكم جميعا .

ـ أما زلت راغبا بالزواج يا إدريس ؟

ـ لست أدري وأتمنى لها التوفيق والسعادة .

ـ هي لم ترفضك يا أستاذ إنما مرض الوالد واشتداده تلك الفترة دفعنا للتريث والهدوء ، ثم الموت .. فعلينا أن نحترم التقاليد الدارجة .

ـ أنا معتاد على العزوبية ، وأنت تعلمين ذلك من قبل أن تذكر العزيزة زينب .. والرجال تتزوج في أي سن .. ولما يصير الأمر جديا أفكر جديا .. سلمي عليها وعلى الدكتور خالد .. أنا أعرف جدك خالد .. كنت في أول تعييني بوازرة الصحة قبل العمل في البلدية كمفتش صحة ؛ لكننا لم نلتق لقاء شخصيا.

ـ سلام عسى أن نلتقي يا أستاذ إدريس آسف على إطالة المكالمة .

ـ أبدا .. وعليكم السلام .

وضع السماعة ، ودخل مطبخه ، وأعد لنفسه وجبة عشاء من المعلبات ، وتفاجأ بعدم وجود الخبز ، فاتصل ببيت أخيه طالبا الخبز ، وبينما هو يتعشى حضر إياد صديق العمر كما يقول ، فشاركه العشاء ، ثم انتقلا لصالة الجلوس والاستقبال، واطمأنا على صحة وأحوال بعضهما البعض ، وقال : قبل دخولك كانت تتحدث معي الدكتورة هند غريب .

ـ أخت زينب .

ـ نعم ، تقول عن أختها إنها ما زلت تفكر بالزواج ؛ إنما ظروف مرض الأب وموته هدّأت الأمر

ـ إذا كان لك نصيب بها سيحصل بأمر الله كم رفضت أن أزوجك منذ ترملت يا إدريس ؟ كم بذلت من الجهد والحيل دون فائدة وأصررت على الرفض ؟!

ـ أنا نفسي لا أعرف ما الذي جعلني أغير رأيي يا صديقي ؟!

ـ هل لأنها دكتورة ؟!

ـ لا أعتقد يا صديقي ؛ ربما لأنها عاجزة عن الحمل .. والشفقة أيضا .

ـ أأشفقت عليها ؟

ـ يمكنك أن تقول ذلك .. هناك أشياء تحدث يصعب تفسيرها .. رق قلبي لمأساتها.. وهي فتاة محافظة .. وعندها بعض التدين ؛ لأنها عاشت في تركيا مع أسرة متدينة.. بينهم قرابة واضطرت للزواج من قريبها زميلها في الجامعة .. كانت ابنة عشرين عند الزواج ، تزوجت صغيرة .. وهي لا تريد العودة للتبرج والسفور في الشارع .

ـ أنت مسكين ، وهي مسكينة .. تحدثت مع سيف عصرا ، وأخبرني بتطورات جديدة وغريبة وأن ملاحظاتك في الأيام الأخيرة حول غريب لها موضع من الصواب .

لخص له إدريس قصة الرسائل التي وصلت لسيف من غريب بعد موته .. وأنه يريد كشف الحقيقة لسيف زاعما العفو والمغفرة .. وقال : وأنا أقول الغرور والتشفي .

ـ معقول هو شيطان لهذه الدرجة!

ـ معقول يا صديقي! لم يتقبل الهزيمة وأن تتزوج سيفا ، وهو الراغب فيها ، هو العاشق المجهول بالنسبة لنا ..كان في الظل ، والمضحي بالزواج من مطلقة في ظروف فضائحية ..كان محبا للفتاة وأعتقد أن نبيلة حدثته عن حبها لسيف وعشقها له ، وحدثته عن مطاردات مراد لها .. فلعب على الجميع ، وتزوج منها ، وأصبح صهرا للدكتور خالد المرشح للعمل كوزير ، قد يكون هو أكثر شخص تأثر بموت خالد المفاجئ .. ومغامراته النسائية والشهوانية تذكر بإجرامه وعدم احترامه للمهنة .. ووظيفته والشهادة مهما تكن لا تدفع الشخص لاحترامها .. الشهادة مكانة اجتماعية .. فقط الناس البسطاء يحترمون فلانا طبيبا فلانا مهندسا .. والنَّاس تهمها المكانة الاجتماعية في المجتمع .. والمهن في الحقيقة تكمل بعضها بعضا .. فعامل النظافة مهم للمجتمع كالطبيب ؛ وربما أكثر لو تترك النفايات فترة طويلة في الأحياء ستسبب أمراضا كثيرة .. هل

نستطيع العيش بدونهم اليوم ؟ نبيلة عرفت الحقيقة المرة ، اكتشفت أنه وراء الصورة والطلاق ولكنّ هندا تنكر أن أمها تعرف من وراء الصورة ؟.. لكن لما نقرأ رسالتها لسيف اليوم توضح أنها تعرف الأمر ؛ ولذلك طلبت المسامحة بعد كل هذه السنوات من الآلام والضيق .. كانت تريد من سيف أن يتزوج ؛ ليكون أبا كما هي أم ؛ ولعلها تعرف بائع الصورة ، فأردت منه أن يذهب للمقهى ؛ ليتذكر ذلك البائع الذي أرسله مراد أو غريب ليقابل سيفا.. ويتظاهر أنه مشفق ويريد أن يبيع تلك الصورة .

ـ مراد هل تحدث لك عن الرسالة والصورة ؟

ـ هو رسول كما قال لسيف .. واعترف أنه فعل ذلك حقدا من سيف ، وعلى الزواج منها ، وعلل نفسه بالزواج منها بعد التخرج إذا طلقت .. وهو لليوم يذكرها ومغرما بها لولا موتها ، قال بدون مواربة : تمنيت أن أكون زوجها ..كانت فتنة لي .. وظل يطاردها حتى بعد أن تزوجها سيف .

من المعروف أن الانتظار لشيء يمر على المرء بطيئا وصعبا نفسيا ؛ ولكنه يمر .. الزمن لا يتوقف لما حل شهر نوفمبر تشرين الثاني كان الفريق في انتظار الرسالة .. وكان سيف قد طلب من إدريس أن يقرأ الرسالة قبله عندما تأتي .

اتصل المحامي المعين من قبل غريب بالسيد سيف ، وأخبره عن وصية غريب والرسالة ، فأعلمه أنه علم بوجودها من أحد المحامين ، وأعلمه المحامي بأنه تعهد للدكتور الغريب بإيصال الرسالة الخاصة بعد موته بثلاثة أشهر ، وأعلمه أن الرسالة بين يديه منذ ستة شهور فهو كتبها كما أخبره بعد اشتداد المرض عليه ، وأنه لا مفر من الموت ، والرحيل من عالم الأحياء إلى عالم الأموات ..وأخذ عنوان البيت ، واتفقا على اللقاء مكانا وزمانا ، وبدوره اتصل بإدريس وجلسا في بيت سيف في انتظار المحامي المكلف بنقل الأمانة ، وفي الخامسة مساء وليلا أدخلت الخادمة الزائر .. فالظلام يحل في فصل الشتاء مبكرا في تلك المنطقة .. استقبل سيف وإدريس

المحامي وجرى التعارف .. وقدمت القهوة للضيف الذي أخرج المغلف من حقيبته ووضعه على منضدة بينهم قائلا : ها هو يا سيدي المغلف مغلقا كما أودعه الرجل عندي !

ـ لقد أرسل لي رسالة بانتظار هذا المغلف .

ـ لا أدري .. وعندما تقرأ الرسالة رسالة صديقي غريب .. فهناك رسالة أخرى لك .. سأتصل بك بعد أيام من أجلها حسب ما طلب مني.

ـ رسالة أخرى!

ـ ستعرفها عندما تقرأ هذه الرسالة كما قال لي .

وغادرهما المحامي شاكرا حسن الاستقبال ، ولما عادا للجلوس بدأ الارتباك على سيف فعبر قائلا : إني خائف منها يا إدريس !

ـ ولماذا تخاف ؟ هو سيعترف كيف مكر بنبيلة وصورها تلك الصورة التي عرضت عليك لتطلقها ؟ سيعترف بكيده ومكره وغرامه بها الذي اضطره لفعل ذلك .. أغلب ما فيها لدينا عنه معلومات .. فلا داعي للخوف والقلق والتوتر .. الرجل ميت، والمرأة ميتة يا صديقي!

فتح إدريس المغلف الأصفر بعد أن قرأ اسم الدكتور ، واسم سيف المرسل إليه .. ووجد أن الرسالة في مغلف آخر ففتحه ، وأخرج الأوراق البيضاء المسطر عليها الاعتراف .

بِسْم الله الرحمن الرحيم

المهندس سيف الدين حاكم آل وردة

السلام عليكم ورحمة الله

صحيح نحن لم نلتق وجها لوجه ؛ لكني أعرفك جيدا ..لم تقصر نبيلة بوصفك لي منذ عدت لأرض الوطن والتقيت بوالدها العزيز الدكتور خالد أسعد .. هي فعلت ذلك حتى لا أتهور في علاقتي معها .. أنا أحببتها من خلال زياراتها لندن .. كان والدها ينزل في بيتنا أثناء رحلاته إلى أوروبا ..لم أقتنع بحبها لك اعتبرته لهو وتسلية.

هذه قصتي معك أكتبها مضطرا ، ليس خوفا منك أو من ضميري .. من يعش هناك لا ضمير

عنده ..أنت تعرف أن النساء هناك رغم الحرية مجرد سيدات للهو وممارسة الجنس باسم الحرية الشخصية ..هذه يوم وآخر مع غيرها .. المهم رضا الطرفين .. وكثير من الخيانة الزوجية يغض عنها الأزواج والزوجات .

أكتب لك مضطرا من غير ضغط من أحد ..أشعر قديما أني ظلمتك خاصة لما علمت أنك تركت النساء والزواج بسبب حبك لنبيلة خالد .. فعجبت من ذلك الحب .

أكتب إليك لأني أسأت إليكما .. وقد علمت أنها كتبت لك رسالة تطلب منك العفو والمسامحة وهي البريئة من ظلمك ، ومن عدم زواجك ، والاعتكاف في بيتك .. فقلت : وأنا أستعد للموت أنا أولى منها بالاعتذار ، وطلب العفو رغم الشر الكامن في نفسي .. فأحب أن تعفو عني يا مهندس سيف ! الزمان لن يعود للوراء أعرف هذا ؛ لكن ما زالت الناس تتصالح وتغفر لبعضها البعض .

كنت مفتونا بالنساء منذ طفولتي ومراهقتي ..كانت النساء نقطة ضعف كبيرة في حياتي .. عرفت الزنا وأنا دون الخامسة عشرة .. كنت أصحب بعض أقاربي إلى بؤر الزنا مقابل مبلغ بسيط من المال كانت تقبل به البغي .. وبنات الهوى في أوروبا كثيرات وعجيبات في فن الدعارة ولا أدري هل سمعت عن سقطاتي هنا لما عدت ؟ الفجور مثل المرض يسري في جسم الإنسان عليّ أن أبدأ من البداية ، نجحت في الثانوية العامة ، وتيسر لي السفر إلى إنجلترا لدراسة الطب كغيري من الإخوة والأخوات والأقارب .. والدكتور خالد من الأوائل الذين تعلموا الطب في إنجلترا .. فأنا أعرفه قبل السفر .. أنا أكبر منك بخمس سنوات حسب حساباتي .. والرجل وأمي أبناء الخالات .. وتعلمت الطب كاملا في بريطانيا رغم ما أشرت إليه من ممارسة الزنا صبيا ..كنت ذكيا في المدرسة.. ونحن نتعلم بمدارس أهلية غير تابعة للدولة فنتعلم الإنجليزية بأحسن من أهلها .. درست سبع سنين طب ، وقبلها فصول في تعلم اللغة وتخصصت في طب الدماغ والجهاز العصبي ..وتفوقت وأبدعت كما يقال ؛ لأنني أحببت العلم والطب .. وأحبت أمي العودة للوطن لأتزوج من ابنة الدكتور خالد نبيلة التي عرفناها من زياراتها للندن مع

أهلها، وهي شابة لم تنه الثانوية العاملة .. وهي طالبة في كلية الهندسة أعجبت بها ؛ ولكنها للحق لم تكن تستلطفني كزوج المستقبل .. نسبت ذلك إلى تقاليد الشرق وصغرها .. وحدث لي بعض المشاكل الأخلاقية أيضا أثناء العمل في المستشفيات البريطانية فقبلت بالعودة للوطن كإخوتي وأخواتي الدراسين في بريطانيا.. عدت في نهاية عام الستين وكانت العروس في أول سنوات الجامعة ، وإن والدها لا يريد تزويجها قبل إنهاء الدراسة .. فعملت في مستشفى أمراض عقلية وكان بيت الدكتور خالد كبيت أمي ؛ لأن أبي مات في بريطانيا أثناء فترة التعليم ، فاعتبرنا الدكتور خالدا بمنزلة الوالد .. وكان هو يقوم بمثل هذا الدور في المناسبات الاجتماعية السارة وغير السارة .

أمي تُلِّح عليّ بالزواج منها ، وأنا أخبرتها أن البنت تحتج بالدراسة ، ونبيلة هي الثانية في ترتيب أسرة الدكتور ، يكبرها نبيل ، ويصغرها باسم ، وهناك فتاة اسمها نوال ..أنا لا يهمني الزواج من نبيلة رغم حبي لها .. أريدها زوجة وتكوين أسرة .. أنا لديّ علاقاتي الجنسية الخاصة .. فلم تكن تزعجني قضية الزواج ..فصبرت على أمل الزواج منها في النهاية ، وتحقيق رغبة أمي .. كانت تصارحني بمعاكسة الشبان لها منذ لحقت بالدراسة ، وخصت شابا اسمه مراد ..كان أكثر الناس لها تعقبا .. تجده أمامها في الساحة ، في القاعة ، في الكافتيريا المطعم هي تتحدث عنه وتصدت كثيرا له.. وهو لم ييأس من المحاولات .. وكنت أرى أن الدكتور يميل لتزويجي منها ولكنه يؤجل الحديث إلى ما بعد الجامعة .. كانت صريحة هي معي .. تقول: إياك أن تفكر بالزواج مني.. أنا أعرفك يا غريب لن أعيش معك رغم الحب الذي تزعمه لي .. وكانت أمها تبغضني جدا دون سبب أعرفه يا مهندس سيف ! ولا تحب أن تعد أمي بشيء .. في السنة الثالثة فاجأتني بأنها تعلقت بشاب معها اسمه سيف .. وكانت تتحدث عنك أمامي بوله وعشق لم أصدقه .. وإنها منذ رأتك في الجامعة وهي تحبك ، وأنت خجل من التصريح لها بذلك .. اعترفت لي بكل صراحة أنك اعترفت لها بحبها .. وكانت سعيدة بك حتى أنني كنت أغار وأضيق من ذكرك ، وأظل أسألها عن موقف مراد منك .. فتقول : يكاد أن يجن من الغيظ والقهر

وأنا مثله ؛ لأنني أردتها من أعماق قلبي كحبيبة وسيدة بيتي ..وأمي تريدها لي ، وأنا أحب أمي ولا أدري ما ستفعل عند موتي القريب ؟ ولكن أرى أنها لن تعيش بعدي كثيرا ، فهي كبيرة في السن .. وتحدثت أمي مع ابن خالتها فوعد بزواجها بعد الجامعة .. فاستشاطت أمها غضبا وسخطا ، وطلبت منها أن تدفع سيفا لخطبتها كما علمنا ذلك عند الخطبة ..كانت أغلب سهراتنا في بيت الدكتور منذ عدنا من بريطانيا .. كانت تحدثني عن غرامها العنيف بك وأهمس بأنه حب جامعة ، لن يدوم مع التخرج سيذهب ونتزوج .. تفاجأت حقيقة أنها على وشك الخطبة منك .. وذلك في السنة الرابعة لها .. تحدثت مع والدها فقال: البنت هواها معه ، وأنت تعرف أننا لا نكره أحدا على الزواج ، وزعمت أنها تحبه ، ولا تريدك .كان صريحا ، وهذا أعرفه فيه .. وقال : إن والده رجل كبير في البلد ، وعالم التجارة والثروة ، ومن سكان الحي .

لم أستطع تقبل الهزيمة ، فزت عليّ ، صممت على الزواج منها غصبا عنها .. أنا أعرفك من كلامها ، وأعرف المهندس مرادا من كلامها .. وأنا طبيب أعصاب ، وأعمل في مستشفى أمراض عقلية .. بين يديّ عقاقير خطيرة ، وأخذت استدرجها بالحديث عنك ، وعن مراد وكيف فزت بها ؟ وكيف سيكون موقفه منكم إذا تزوجتها ؟عرفت كل ما أريد عنكم وعن زميلاتها ؛ كأنني أعيش بينكم ومعكم ..كانت ترى أني ضعيف ، وانتهى أمري؛ لكن حقدي كبير ويملأ جوفي ..لقد استخفت بي ، وإنني قد هزمت .. فصممت أن ألعب معها لعبة كبيرة حتى تتزوج منك ، ثم تقبل بي صاغرة ذليلة .. أعلنت الخطبة رسميا ، فتيقنت أنك الفائز فكرهتك حقدت عليك ..وقبلت أمي بالزواج من أختها نوال فور دخلوها الجامعة .. فطلبت التريث .. وكيف أتزوج طفلة ؟! كان عليّ أن أجد حيلة يفرط ويفشل بسببها الزواج وقبل أن تزف إليك.. وكانت الحيلة أن تصور عارية ..وأبعث لك تلك الصورة بالبريد .. أنا عرفت شخصيتك المهزوزة والضعيفة من كثرة حديثها عنك .. أنا طبيب أعصاب ودماغ وأقرأ الأفكار وأرى ردة فعلك على الصورة .. هل تبتعد عنها أم يغلب عليك الحب وتغض الطرف عن عريها ؟ وذلك قبل أن أنتقل لحيلة أخرى ؛ ولكني تفاجأت قبل أخذ الصورة بزواجكم ..وكان

المبرر أن والدها سيُصبِح في الفترة القادمة وزيرا .. وخشيت أمها أن يرفض والدها زواجك منها .. أمها لا تحب أمي وتضيق بها .. لولا قرابتنا للدكتور خالد لما سمحت لنا بدخول القصر كانت تعاملنا لاعتبارات اجتماعية .. والدكتور يحترم امرأته ولغناها الفاحش ..وربما أن لها جزءا كبيرا من القصر .. في القصر هذا قاعة رياضية يا مهندس سيف فيها بلياردو وطاولة تنس وألعاب أخرى ونصف ملعب كرة سلة .. كانت نبيلة تُمارس الرياضة في تلك القاعة ..وكنا أنا وبعض أخواتي وأقاربنا نلعب فيها أثناء الزيارات والسهرات العائلية .. كانت نبيلة تحب لبس ملابس الرياضة القصيرة أثناء وجودها في القاعة الرياضية ، وتحب التباهي بجسدها نصف العاري ؛ بل يعجبها الغزل فيه وبجمالها الفتان جدا .. وهي ماهرة بالسباحة حيث مسبح القصر، وتسبح كما تعلم أمام الرجال دون أي تردد بثياب البحر والسباحة .. الحقيقة أنها تربت على عدم الشعور بالفرق بينها وبين الرجل فتلبس السروال القصير .. وتنزل للعب كرة المضرب أو السلة دون أي تحرج منا فكان نزولها بتلك الصفة عاديا ..وهذا الذي دفعني للتفكير بصورة عارية لها ..كان الأمر سهلا بالنسبة لي.. لكن أريد فرصة .. ذهبنا ذات نهار إلى قاعة الرياضة كما نفعل ذلك .. فأخذت تركض في القاعة لمدة ربع ساعة قبل أن نلعب الطاولة .. لم تكن تخاف مني أو تحسب لي أي حساب أو أي رجل قد يثور غريزيا ويغتصبها ..كانت تشعر بالأمان كانت تعتبرني ابن أوروبا كوالدها الذي تعلم عادات الإنجليز ويمارسها في البيت وفي العمل .. منذ الخطبة وأنا أعمل لإفساد الزواج ؛ لأنها رفضتني كزوج .. في أوروبا كنّا إذا تعلق شاب بأنثى يكونان علاقة دون زواج ، ويعيشان بدون عقد بينهما .. وذاك المجتمع يتقبله ، وقد يفعله شبان من أصول إسلامية ..كانت تعلم أني مغرم بها وأشتهيها كما يشتهي الرجل الزوجة .. ولكنها مخلصة لك في الحب ، لا تسمح لأحد بلمسها وتقبيلها ، كانت تريد سيفا وحده.

كانت تركض بالقاعة الخاصة بالقصر ، وأنا اتصلت بالخادمة طالبا للقهوة لي ولها .. رأيت أنها فرصة لتصويرها بالكاميرا الخاصة التي أحملها دائما .. والتي أحضرتها من لندن ..ولم ينقطع ترددي عليها خلال السنوات الماضية.. طلبت القهوة متظاهرا بالصداع، ولما جاءت القهوة

وانصرفت الخادمة ، وضعت مسحوقا جهزته لمثل هذه اللحظة منذ بدأت أفكر بأخذ الصورة فيصبح الشخص بعد عشر دقائق خاضعا تحت السيطرة شربنا القهوة المرة حتى أن نبيلة اعتبرت القهوة مرة جدا فقلت لها: إن البن هذه الأيام تعيس مغشوش . قالت: بل نأتي بها من أجود المحلات .لما استقرت القهوة في بطنها ظلت جالسة على مقعدها، حيث كنّا نستمتع بشرب القهوة والاستراحة بعد جولة من الركض .. لما أدركت أنها تحت السيطرة ، طلبت منها أن تتبعني فقامت مستلسمة، وأمسكت بها، وخرجت بها من قاعة الطاولة إلى فضاء وأرض جرداء قرب القاعة ، وأحضرت بساطا صغيرا وقلبته ، وأمرتها بالنوم عليه ، وخلع كل ملابسها ففعلت ، ونفذت ما طلبته دون أي مقاومة .. ظهرت عورتها ، وهممت باغتصابها لفتنتها ؛ ولكن سيكشف الأمر بعد عودة عقلها إليها .. أخذت الصورة ، وأمرتها بلبس ثيابها ، وأعدت البساط الصغير من حيث أخذته ، وعدت بها إلى قاعة المضرب حيث كنّا نشرب القهوة وانتظرت حتى عاد إليها وعيها بعد نصف ساعة من بدء العملية .. نجحت الحيلة .. قالت: إني أحس بصداع يا غريب .. هذه القهوة فعلا سيئة ! قلت : أطلب لك المزيد .. قهوة بسكر ..لعبنا بعض الوقت ثم عدنا للقصر .. وشاركنا العائلة الغداء ..وكان جل حديثنا عن يوم الزفاف القادم في نهاية الأسبوع .. وهذه الأيام تستخدم هذه العقاقير في متابعة الإعاقات العقلية في مراكز العلاج ، وخبرتها أثناء عملي وتدريبي في بريطانيا عند معالجة الأمراض العقلية ، وكيفية السيطرة عليهم عند الهياج والهيجان والثوران .. ومكثنا لنصف الليل ذلك اليوم .. ولما رجع الدكتور غادرت أنا وأمي .. هكذا تم تصوير الآنسة الفاتنة .. أنا قاومت بشدة حتى لا أقع عليها يا مهندس سيف ؛ لكنك استمعت بها عشرين يوما ..كانت الخطوة التالية أن أرسل لك أنت الصورة حتى لا يحصل الزواج ؛ ولكن تأخرت فرصة التصوير .. فعدلت الخطة قلت دعها تتزوج ، ثم نرسل الصورة الرائعة أنا أحسن التصوير الفوتوغرافي تعلمت ذلك في بريطانيا .. كنت آمل أن تطلقها قبل الدخلة ، ولكني قلت ربما بعد الدخلة أفضل .. فهي تصبح زوجة والغيرة أكثر ، والغضب سيكون أشد .. ورأيت أن زواجي منها بعد الطلاق سيكون أسهل ،

وستقبله هي والدكتور خالد .. وهذا ما حصل ولما حصل الزواج حسب العادات وبعد أسبوعين كتبت رسالة لمراد زميلكم في الكلية أذكر فيها الصورة العارية التي أملكها ، وأنها قد تحقق الطلاق ويتزوجها بعد طلاقها .. وطلبت منه الاتصال على رقم هاتف ذكرته في الرسالة إذا أحب تحقيق ذلك .. وبالفعل اتصل على الرقم المذكور في الرسالة ، وبعد التفاهم والتبيان توهم أنني أحد الطلبة في الجامعة ، ولي قدرات غامضة .. ذكرت له مكان اللقاء والوقت ، وأن يتكلم معك في نهار ذلك اليوم ..وإذا لم تحضر للجامعة أن يتصل بي ؛ لترتيب يوم آخر .. وفعل كما خططت له، وتظاهر لك بأنه حريص غيور عليك ، ونقل لك الرسالة .. وهو يعتقد أن أحد الطلاب وراء العملية، ولا يريد كشف نفسه.. وتبين أن الرجل يحقد عليك أكثر من حقدي وغضبي .. وكان رقم الهاتف أحد هواتف المستشفى الذي أعمل فيه .. وحذرته من الذهاب إلى المقهى تلك الأمسية حتى لا يفشل المخطط .. أنا لا أعرفه شخصيا ، ولم أره في حياتي ..عرفته عن طريق فتاتك نبيلة .

لقد استطاع مراد كما أوهمته أن يشحنك شحنا شديدا على زوجتك التي أصبحت خائنة في نظرك ..وأنت تريد الدليل فقط .. ذهبت للمقهى وأنت غاضب ناقم ، ومغتاظ على نبيلة المخادعة الماكرة التي جعلتك غطاء على فجورها .. هكذا أوحى إليك مراد .. وأنا أعرف شكلك من الصور الكثيرة لك عند نبيلة ..وعندما جلست في المقهى جاءك رجل يضع شاربا سميكا ولحية قصيرة ونظارة خضراء على عينيه وباعك الصورة وقطعة من الفلم.. وأنت ذهلت فورا من صورة نبيلة مجردة من لباسها ..نبيلة الحبيبة الشريفة .. وهذا البائع هو أنا متنكرا .. ورأيت غضبك وسخطك.. فتيقنت أنك ستطلقها كما رسمت ودبرت ..كيف صورت ؟ هي لا تعرف .. أين صورت ؟ لا تعرف أنها صورت في قصر والدها .. نجحت العلمية ..وعلمت أنك قابلت والدها ، ورأى الصورة ، ووافق على الطلاق كما أردت أنت .. وعادت نبيلة للقصر مصدومة مذهولة ، وأشعرت الدكتور لما تحدث عن طلاقها بأني مستعد للزواج منها رغم الكارثة ..ولما انتهت العدة الشرعية ، ظهرت أمامهم بمظهر الشهم المضحي الذي يريد أن يستر

على قريبته ..ووافقت نبيلة مكرهة ، وهي ما زالت تحت ظل الصدمة من الزواج والطلاق والصورة .. فرحت أمي بزواجي .. وهي تتعجب من سرعة طلاق نبيلة .. عاشت نبيلة السنة الأولى في حالة دهشة وصدمة من حياتنا ..كيف صورت ؟ متى وأين؟ وهكذا أصبح جسدها ملكي بصورة ..كانت تبكيك عندما تحس أنني لا أراها .. ولا تهمني البكارة والعذرية المهمة لدى الشرقيين .. هذا في الغرب لا قيمة له ، وأنا منهم .. أدركت إدراكا تاما أن نبيلة لا تحبّني رغم مرور أشهر ؛ لم أظهر أمامهم بسرعة ، وانتظرت حتى تتخرج ثم تزوجتني .. وكانت الوزارة قد غيرت ، ودخل فيها حماي ، ونقلني إلى وظيفة إدارية في الوزارة حسب رغبتي ، وأنا صهره يومئذ .. لم تكن سعيدة نبيلة معي ، كانت تعيسة للغاية .. أنا مجرد زوج يداعب جسدها وأنا لم أكن مخلصا لها .. كان لي عشيقاتي وفتياتي .. ولم تدم وزارة عمي ، لقد مات في حادث فخسرت عونا كبيرا لي في الوزارة ، لم أكن قد عملت علاقات قوية ؛ ولكني صهر الوزير الذي مات شهيد الواجب .. أثناء ندوة عمل في أوروبا كان موته صدمة للعائلة وأمي التي كانت تتغنى بوازرة ابن خالتها ونسيبها .. ولدت ابنتنا هند بعد وفاة عمي بشهرين ، ومع ذلك ظلت علاقتنا باردة وحزينة .. وخلال خمس سنوات كانت قد ولدت ثلاث أولاد .. كانت نبيلة رغم الأولاد ترغب بالطلاق ؛ ولكنها لا تنطق بذلك ..كان يمر علينا شهور ولا تسمح لي بمعاشرتها كزوج .. كنت أشعر أن نبيلة تحس أن لي دورا في طلاقها منك .. تقول أمامي بحقد : كيف صورني المجرم ؟!وأين صورني تلك الصورة ؟! إنها صورتي . فأقول لنفسي : هل تتهمني بهذه الأسئلة ؟ وأرفع صوتي فأقول: صاحبك تخلى عنك ، لم يتحمل غلطة واحدة منك قارني بيني وبينه .. قبلتك زوجة مطلقة .. قبلتك رغم تلك الصورة التي حدثني عنها المرحوم والدك .

ـ كيف مكر بي ؟ كيف خدعت ؟!

أعترف أنها تشك بي كإحساس ؛ ولكنها لم تستطع تخيل ما حصل ..كانت جل وقتها مع أمها التي تكرهني وتكره أمي .. أختها سافرت بريطانيا لتتعلم ، وتزوجت هناك .. لم أعترف لها بأني

وراء صورتها وطلاقها .. زادت مغامراتي النسائية ؛ بل كنت أسافر فرنسا ولندن لقضاء الشهوات .. كنّا مجرد زوجين وأسرة ..وكلما كبرنا كانت تقل المعاشرات الزوجية ؛ ربما مر عليّ سنتان دون أن تسمح لي بإقامة علاقة زوجية ، كنت بيننا دائما ، كنت أكرهك أكرهك ، وكنت أخشى طلاقها وأن تعود إليك ؛ لأنك لم تتزوج .. ومشت الحياة ودخلت زينب الجامعات التركية ببعثة خاصة ، وتزوجت عندما بلغت العشرين من قريب لي ، وأصبحت معروفا أمام العائلة بزير النساء كما يقال .. دخلت هند كلية الطب ، وخالد سافر بريطانيا ليدرس الطب .. كانت علاقتي بالأولاد ؛ كأنهم أبناء رجل غيري .. عرفت الأسرة قصة زواج أمهم بعد طلاقها منك .. وقعت على فتاة دون سن الزواج القانوني ويريد أهلها أن أتزوجها سترا على شرفهم .. وهي التي قامت بإغوائي ، صدمت الأسرة بتلك الفضيحة .. وزاد النفور بيننا جميعا كعائلة.. النفس الشرقي ظل مسيطرا عليهم .

أنا الذي ظلمك يا مهندس سيف ..كنت شابا لم يحتمل أن ترفضه فتاة جميلة كنبيلة .. كرهتك بسببها .. ينشرون الإباحية في البلاد ، ولا يريدون لنا نقوم بها .. كانت نبيلة حزينة لك وعليك وتتمنى أن تسمع خبر زواجك .. فهي ترى أنها السبب في حرمانك من النساء راودتني نفسي أكثر من مرة بطلاقها لتعود إليك .. ولكني لم أستطع فعل ذلك .. لم أحتمل أن تكون بين ذراعيّ رجل غيري بعد تملكي لها باسم قانون الزواج .. أنا فكرت كذا مرة أن أعترف لها ولَك بما فعلته بكم .. ولكني أجلت ذلك لساعة الموت .. وهذا ما فعلته .. وتركت لك مالا لدى المحامي عسى أن تقبله تعويضا على ما ألحقته بك من دمار وحزن ، وإذا لم تقبله تصدق به أو أعطه لأي إنسان أو مشروع .. إذا كان الاعتراف يريح النفس فها أنا اعترفت لك وحدك ..لا يهمني غيرك أنا مسلم مثلك ؛ ولكني لا أعرف من الإسلام إلا كلمات تقال أمامي في العمل في العيادة في الإدارة .. لم أعرف الصلاة يوما ، ولا الصيام .. نحن نؤمن بالحضارة الغربية والعادات الغربية ربما أكثر من الغربيين شرب الخمر عندي كالماء .. لحم الخنزير من أفضل اللحوم .. أذهب للفنادق الكبيرة من أجل التلذذ بأكله .. وقد عرفت بريطانيين لا يأكلونه مثل المسلمين الملتزمين

قد أكون أزعجتك بهذا الاعتراف .. نبيلة كانت تريد هذا الاعتراف ؛ لتبدأ حياتك من جديد علمت برسالتها ، وطلبها منك البحث عن بائع الصورة .. أخبرتني هند عن هذه الرسالة ..لا أدري هل كانت تعرف هي البائع ؟! فلا أحد يعلم ما فعلت بكما إلا الله .. علمت من هند أنك مشغول بالبحث عن مصور هذه الصورة .. فأحببت أن أريحك من البحث العقيم ..أنا بحاجة لمسامحتك .. ماتت نبيلة وهي تحبك أكثر مني .. نعم ، أجزم بذلك ، وأعترف به .. وقد كانت تحتفظ بصورك وتشاهدها ، ورسائلك وتقرأها ولم أحاول أخذها ، وكثيرا ما ترسم شخصك، وتكتب اسمك ؛ ربما لإغاظتي قالت : لن يموت حبي له ، ولن أحبك أبدا يا غريب !

إضافة

تعجبت من لقاء زينب بك ، وإنك تؤيد زواجها من ذلك الكاتب المغمور ، وعرفت أنه صديقك .. نعم ، هي بحاجة لرجل كما تقول هند .. وأنا قلت لها : الزواج لابد منه ..ورجل كهذا قد يكون مناسبا ؛ لأنك لا تلدين .. وهند تسعى لمصلحتك .. الزوج يحب الذرية ولا إمكانية للذرية عندك فهذا مناسب ..واعلم أن البنات يحببنك يا سيف ، رغم أنهن بناتي ، ومتعاطفات معك من أجل أمهن .. وهذه هي الأقدار ، وداعا.

الغضب

كان سيف أثناء القراءة يتألم ، ويتمزق ضيقا ،ويحدق في السقف تارة ، ويتمتم من القهر والغيظ فلما انتهت القراءة خيم الصمت القاتل على القاعة لعدة دقائق قبل أن يقول سيف بغضب وحقد : يا له من وغد كبير ! لم يخطر في بالي يوما بأنه المجرم اللعين !

وبعد صمت ونفس عميق تابع : هذه هي الأخلاق التي تعلمها من معاشرة الأجانب .. الغاية تبرر الوسيلة.. الميكافيلية .. أخلاق الإباحية الاختلاط السفور التعري ..

قال ادريس : حدثت أن رجلا شرقيا أخذ زوجته إلى مسبح مختلط ، وشاهد رجلا يحدق النظر في زوجته شبه العارية فاحتج عليه صارخا : لماذا تنظر إلى امرأتي ؟ أرأيت السخف ؟! فالدكتور خالد ـ رحمه الله ـ تعلم مع الشهادة التقاليد والعادات الغربية .. ولا أعتقد أنه كان مصليا عابدا هذا عندهم من الرجعية والتخلف .. تحملني يا سيف ! ومثله غريب .. والإسلام حذّر من الخلوة بالمرأة الأجنبية ، لو كان هذا معروفا في بيت الدكتور خالد ما خلت بغريب .. وما صورها ؟ولا تعرت أمامه بثياب الرياضة .. هو لو خشية الافتضاح من الاغتصاب لنال منها كان يشتهيها بعنف وقوة .. فلم يتحمل ويطيق اللعين أن يفشل زواجه منها .. هناك كما نعلم ونرى في الأفلام والمجلات يعيش الرجل والمرأة كزوجات بدون رباط مقدس ، بدون زواج .. وفي نفس الوقت قد يكون للرجل عشيقات خارج بيت الصداقة .. ولها هي الأخرى عشاق المهم عندهم الرضا .. وهذا لم يكن في بلادنا في تلك الأيام .. اليوم اخترعوا لنا الزواج العرفي والسياحي وأسماء كثيرة .. والجنس عندما يسيطر على إنسان يصبح الانفكاك منه صعبا .. يعيشان معا حتى يملوا حدثت أن أحدهم عقد عرفيا على أكثر من عشر فتياتأهذا زواج ؟ أهذا تعدد ؟

ـ إنه فجور وزنا. .سرقها مني بخسة ونذالة!

ـ صحيح سرقها منك بخسة ونذالة !.. أنت تسرعت بالطلاق ، ذهبت إلى أنها فعلت ذلك بإرادتها .. وأنت معذور بهذا الاحتمال! يصعب عليك أن تصدق أن امرأة تتعرى للكاميرا

بدون رغبتها .. الرجل كما يعترف كان يعرف نفسيتك .. وذلك من كثرة حديثها عنك ، ويعرف الكثير عن مراد منها أيضا .. واعتبرت أنت الصورة نهاية المطاف .. وكلام مراد الخبيث جعلك تعتقد أنها فاجرة بنت هوى .. والماضي لا يعود .. وهي ماتت، وهو مات.

تنهد سيف وقال بجنون : الذكريات يا صديقي لا تموت!

ـ ألست أنت الذي نزلت المقهى لتبحث عن الحقيقة ؟ فالرجل أراحك من البحث مع أننا بحثنا حتى حفيت أقدامنا .. البنات كيف سيستقبلن هذه الفظاعة والنذالة؟!

ـ أناني ! يا له من وغد حقير! يريدني أن أسامحه .. هذا لا يمكن ..حرمني من لذة الدنيا وشهوتها.

ـ الغضب بعد فوات الأوان لا ينفع .. يضر بصحتك وقلبك .. نحن ارتحنا حقيقة من هذه المعلومات .. عرفنا كيف صورت ؟ وأين ومتى ؟ السيطرة على دماغها ، وصورت في ساحة أو فناء في القصر .. وأنت سامحت نبيلة ، وهي ضحية مثلك .. أما غريب فدع مسامحته للأيام فهو لم ينظر إلى عظم الجرم المقدم عليه .. المهم شهوته وانتقامه من أناس لم يسيئوا إليه ، والذي ساعد على نجاح الجريمة دور الخبيث مراد الذي كان عاشقا لها.. اللعين جعل من نفسه شهما أمام الدكتور خالد وابن العائلة

عاد الهدوء للمكان بعد التنفيس ، ثم همس سيف : هناك رسالة أخرى كما يقول المحامي .

ـ أعتقد ما أشار إليه غريب التعويض المالي.

ـ يريد أن يعوضني عن تلك السنين بالمال .

ـ هذا هو الفكر الأوربي .. الضرر يعوض بالمال .. ولهذا اخترعوا شركات التأمين.

ـ لن أقبله لست بحاجة لماله .. والأذى النفسي والشخصي الذي لحق بي لا يعوّضه مليون دينار أو دولار !

ـ هو جعل لك الخيارات في الاستفادة منه أو التصدق به أو إهداءه لأي شخص .

ـ أتقبله يا إدريس ؟

ـ هذا إحراج كبير لي! أنا صحيح بالنسبة إليكم فقير ؛ لكني أملك بيتا ـ والملك لله وحده ـ ولي راتب تقاعدي أصرفه كل شهر .. والعدل أن أي إنسان يتعرض لضرر أن يعوض .. وشرعا هذا حلال يا سيف .. فالتعويض عن الضرر قانون عالمي .. فالمال من حقك .. فالرجل يرى أن ذاك كفارة وتعويضا .. ليس أمامه إلا فعل ذلك ما دام قد أقر بجرمه وأذاه .

ـ سأعطيك إياه تتصرف به كيف تشاء؟! فهذا لا يمكن أن يعوض ثلاثين سنة راحت من العمر ومن العذاب .

ـ أنت أخطأت .. لا تتضايق من صراحتي ،كان عليك أن تتزوج ، ولا يقف بك الزمن عند نبيلة ، واليوم تستطيع أيضا أن تتزوج .. وأنا مستعد للمباشرة في تحقيق ذلك .. أنت ابن خمس وخمسين سنة .. وأنا أعرف أناسا أكبر منا ، وتزوجوا وولد لهم .

ـ أنا مثلك ..طبيعتي أعتقد أنها ماتت .

ـ أنا لن أزوجك فتاة صغيرة .. لو تزوجت أنثى فوق الثلاثين قد تلد لك .. أرجوك أن تفكر بالزواج جيدا وجديا .

ـ أنا فكرت بذلك طول السنين الماضيات ، وتبين لي عدم القدرة على الحياة الزوجية .

ـ ما أنا مثلك رميت الزواج وراء ظهري ، ثم غيرت رأيي ووافقت على الزواج من ابنة غريب أترضاها لي بعد هذه الرسالة ؟!

ـ لا دخل لها يا صديقي في جرائم أبيها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، أجرم والدها بحقي قبل أن ترى النور .. ولا أقول ذلك مجاملة لصداقتنا

قال إدريس مسرورا ومشجعا : أحسنت يا سيف ! الماضي لن يعود ، ولا يرجع بعد الموت .. أتمنى أن أراك متفائلا يا سيف ومتأهلا بزوجة صالحة مناسبة!

ـ الزواج بعد هذا العمر!

ـ افرض أنك ترملت مثلي .. ألا تتزوج ؟ أنا هجرت الزواج ؛ لأنني لا أنجب .. المرأة حياة الرجل ..علينا أن نعيد حياتنا الزوجية.. نبيلة ـ رحمها الله ـ كانت تريد لك الزواج .. عليك

أن تنساها كزوجة وخائنة.. لقد ثبتت براءتها قطعيا يا سيف ..وأنها ضحية مثلك.

ـ والمال!

ـ هو لك يا سيف .

ـ لا أستطيع قبوله البتة .. الأمر شديد على النفس ..سأعطيك إياه تتصرف فيه كيف تشاء ؟ فلو أعدته لزينب وهند وخالد لا يقبلونه ما دام الوالد تنازل عنه.

ـ وأنا أقول ذلك، لابد أنه حذف من الميراث، وأخرجه قبل موته ، وهم لا يعرفون به ، لم تذكره هند في أي حديث جرى بيننا .. وأنا أفضل ألا يعرفوا بقصة هذه الرسالة أو ما فيها يا سيف .. ليس لأنني ربما أتزوج زينب كما تشير هند ، فقد لا يحصل الزواج .. أنا أتصور ـ رغم إنكار غريب ـ أن نبيلة عرفت كيف صورت ودمرت ؟ ولكنها لم تخبر أحدا بذلك ؛ لذلك طلبت منك العودة للمقهى ، وتفكر بالبائع لتلك الصورة بعد ثلاثين عاما ؛ لكنك لا تعرف شخص غريب لتتذكر شكله ، ولو لم يكن متنكرا .. هو ذكي ، فغطى عينيه بنظارة ؛ لأن العيون كان من الصعب تغييرها .

ـ إذا قبلت المال يا إدريس سألتزم الصمت بقية العمر .

ـ وتتزوج!

ـ سأفكر من جديد

ـ صدق سأبحث لك عن عروس من أهل الدين والتدين ، تتابع معك المسيرة ، وتعوضك عن تلك السنين .

ـ آه ! لو كان لي صديقك مثلك تلك السنوات الماضيات.

ـ هذا تقدير العزيز الحكيم .. أرأيت كيف كانت البداية ؟!

ـ أضحك من نفسي لما أتذكر تلك المطاردات ..وأقول لماذا فعلنا ذلك ؟!

ـ طبيعتك النفسية القلق والخوف.. وها نحن أصدقاء وأخوة !

ـ أنت عملاق في نظري يا إدريس! أنت رائع جدا ! كان عليّ أن أكون أقوى مما أنا عليه ؛

لكني أعترف أنني ضعيف ومهزوز ، وأضعف أمام العقبات والصعوبات ، وأصاب بالحيرة والتردد .

لما استوعب الرجلان الرسالة ، وانتهى التعليق على مضمونها وعرف من أفسد زواج سيف ، وما ترتب على حياته من نتائج على هذه الحقائق، قاموا لصلاة العشاء جماعة في البيت ، وكان سيف قد طلب عشاء من أحد مطاعم الحي ، وبعد العشاء قال إدريس : اللحظة يمكننا أن نقول القضية انتهت !

ـ وأنت عليك أن تكتبها كرواية بأسماء مستعارة كما تحدثنا قديما في ذلك

ـ بهذا سأضطر لكشف دور غريب

ـ لا يعرف دور غريب إلا أنا وأنت وإياد الذي سيعرف مثلنا .

ـ وبنات غريب ونبيلة .

ـ تستطيع أن تكتبها بذكائك ؛ بحيث لا يعرفن أن المرتكب للتصوير والدهنّ .. أنا متأكد أنك ستفعل ذلك .

ـ عليّ أن أفعل ذلك .. سنخترع لها زوجا آخر .

وقضيا يتحدثان حتى منتصف الليل ، واستأذن إدريس بالانصراف ، ورفض المبيت عند صديقه ، وقال سيف : سأوصلك .

فحاول إدريس منعه من ذلك ؛ ولكنه حلف، وقال سيف: يلزمك سيارة

ـ الآن لا تلزم ، وإذا تزوجت زينب سيكون معي سيارة مثلها .. لقد قال والدها عني الكاتب المغمور، ويبارك زواجي منها .

ـ صدق أنها مناسبة لك .. وأنا تشجعت للزواج من حسن كلامك .. وإنني لن أنسى الماضي والجرح إذا لم أتزوج .. فزواجك مناسب منها .. أنا لا أعرفها إلا معرفة سطحية .. ولولا أنها ابنة نبيلة المظلومة مثلي ؛ لقلت لك إنساها أخشى أن تكون بنت أبيها .

ـ إنها تصلي يا سيف!

ـ عجيب فعلا من يصلي في حيينا ! الصف في الجامع كثيرا لا يمتلئ.

لما ترك إدريس أمام منزله ، ورجع للبيت قرأ الرسالة مرة أخرى ، وعلق على نسيان القصة : هل أستطيع ذلك ؟ فلن يرجع شيء مات .. انتهت نبيلة اليوم من حياتي .. غفر الله لها .. وعسى أن أغفر لزوجها.. أنا أتحمل ذنب نفسي .

ووضع الرسالة حيث وضع رسالة نبيلة التي بدأت بها قصتنا هذه ، وحمد الله أنها كانت سبب تعرفه على إدريس وإياد الرجل الطيب .

وظل مستيقظا حتى صلاة الفجر ، وانطلق للجامع وصلاها جماعة مع المصلين ، ثم عاد ورقد في فراشه يفكر في حياته حتى غفي ونام ، واستيقظ في العاشرة نهارا فتناول الإفطار الذي أعدته الخادمة الآسيوية ، وشرب الشاي والقهوة ، وتجهز لصلاة الظهر ، وبينما هو ينتظر ارتفاع الآذان قال : ولماذا لا أتزوج ؟! الطبيب قديما قال: إنني أستطيع الزواج ، ومشاكل القلب لن تعيق الحياة الزوجية ؛ ولكنها لن تكون كحياة الأصحاء .. بقليل من العناية تنجح الحياة الزوجية .. إدريس الصديق العزيز وعد أن يجد لي الزوجة الصالحة والمناسبة.. نعم ، عليّ نسيان نبيلة والماضي .. نعم ، خدعت ومكر بي وظلمت ، ولم اصغ لتوسلاتها بنسيان تلك الصورة .. ولم أصدق أنها لا تعرف كيف صورت ؟.. رحمك الله يا نبيلة !كنت أشجع مني ..ليتني أصغيت لعقلك ورجائك .. أوهمني اللعين مراد أنك امرأة زانية فاجرة .. وأنك أحببتني لتغطي على دعارتك .. يا لي من غر ! صدقت نصحه .. وأنا أعلم مطاردته لك منذ التقينا في الكلية .. تزوج يا سيف؛ لعلك تصبح أبا ، ولديك طفل تقر به عينك.. يصبح ما أملك من مال وعقار له .. هذه الفيلا تكون له ولزوجتي .. كيف ستكون هذه الزوجة ؟ ظل يفكر بحياة جديدة حتى سمع النداء الشرعي ، فلبى النداء فسار إليه مشيا على الأقدام كما يفعل عند صلاة الفجر ، ولا يذهب بالسيارة إلا في أيام المطر ، وعندما لا يريد العودة للبيت بعد الصلاة .. وبينما هو يتقدم نحو المسجد توقفت سيارة قريبا منه ، وسمع صوتا نسائيا يهتف باسمه ، فتوقف ونظر فإذا هي

الدكتورة هند ، وحيته بالسلام.

ـ كيف حال الدكتورة ؟

ـ بخير .. وأنت .

ـ وأنا مثلك .. أهلا وسهلا.

ـ إلى أين ؟ اركب لتوصيلك .

فأشار للجامع ، وقال: إلى هذا .

ـ نسيت ! كيف الصلاة؟

ـ هي حياة يا دكتورة ! الصلاة حياة المسلم .. عليك بالصلاة يا دكتورة!

ـ صدق دائما أعد نفسي بذلك ؛ لعلي أصلي .. شكرًا على وقوفك معي.

ـ لا حرج يا سيدتي ! وسلمي على شقيقك وشقيقتك.

ـ سلمك الله .. صلاة مقبولة يا مهندس سيف!

ـ أراك بخير . وأشار مودعا.

ولما ابتعدت تابع مشيه إلى الجامع ، وصلى الظهر ، ورجع للبيت يخطط لنشاط اليوم ، وجلس يشرب النسكافيه ، رن الهاتف ، وكان المتحدث إدريس، وطلب اللقاء عصرا في المقهى الذهبي وطلب منه أن يأتي بسيارة أجرة ليعفيه من توصيله ليلا .. وقبل العصر غادر سيف الفيلا بسيارة أجرة لمركز المدينة ، وبعدما صلى العصر في مسجد سيدي سعيد سار إلى مقهى الكوكب الذهبي ووجد إدريس وإيادا في انتظاره ، وتعانق معهما .. ولما جلس وانتهى الترحيب والسلام ، قال إدريس : قضيت ساعتين في المكتبة العامة ،وأحضرت إيادا ، وحدثته عما جاء في رسالة السيد غريب ، وأعلنت انتهاء القضية ، وسأشرع بإذن الله بتحويلها لرواية اجتماعية ، وحدثته عن السعي لتزويجك بعد أن ثبت أن ليست للمرحومة يد في العقدة التي حلت بك من النساء ، ولازمتك طيلة هذه السنوات ، والنساء كالرجال في الطيبة وفي الخباثة.

قال إياد : نعم ، يا مهندس سيف الغالي! عليك أن تعيش التجربة والحياة الزوجية.

قال سيف بمسحة حزن : هذا ما يشغل فكري من مساء أمس من كلام إدريس المرشد الحقيقي لي .. وطبيبي قال منذ عهد :إنني يمكنني الزواج كسائر الخلق ، والتكيف مع مشاكل القلب ؛ لكن عليك المعاشرة بتعقل ، ليس كشاب صغير السن .

صاح إدريس جذلا : رائع رائع يا صديقنا الكريم!! أنا وإياد سنهتم بالموضوع والبحث .. إياد يا حبيبي العروس متدينة ، فوق الثلاثين ودون الأربعين ، على أمل أن تلد للمهندس إذا قدر الله ذلك .

قال إياد : البنات كثيرات هذه الأيام .. أيريدها طالبة جامعة ، عاملة أم غير عاملة أم ثانوية عامة ؟

قال إدريس : المهندس في رأيي يحتاج إلى امرأة بيت ، وعانس فاتها قطار الزواج ، وذات الدين يا إياد .. اظفر بذات الدين .. هو لا يستطيع نكاح ابنة عشرين .

قال سيف: هذا موضوع لا يناقش هنا في مقهى.

ضحك إدريس وقال: لا تهتم لنظرات الناس؛ ربما سمع أحدهم وعنده عروس .

قال إياد : لو كانت أرملة أو مطلقة !

قال سيف: هو الأفضل بالنسبة لي .. فتاة بسيطة تحب الستر والحياة الهادئة.

قال إدريس : أنت حدثتني يا اياد مرة عن قريبة لك ، قبل خمس ست سنوات.. نسيت اسمها حك إياد رأسه ،وقال : فاطمة السيد! ..فاطمة هذه سيدة ترملت يا سيف .. أعتقد أنها تزوجت يا إدريس تزوجها قريب لنا.. اليوم أولادها شباب ، قد يكون أحدهم في الجامعة.

قال سيف: ترملت على أولاد .. ستر الله عليها.

ـ طفلان .. أنت لا تريدها موظفة.

ـ لا ، لا .. أريدها ربة بيت.. الخير موجود ، ولست بحاجة لمالها وعملها

قال إياد بثقة : سنجدها ..أيام فقط.

قال إدريس : هل اتصل بك حضرة المحامي ؟

ـ لم يتصل .. هو قال بعد بضعة أيام ؛ كأن قراءة الرسالة ستستغرق شهرا

ـ ربما ينفذ تعليمات غريب ..وإنك ستتعرض لصدمة و و ..

ـ شيء لا يصدق يا إياد !.. يغدر بقريبته ؛ لأنها رفضت الاقتران به .. ويزعم أن والدها كأب للعائلة .. اليوم ظهرا قابلت هندا .

قال إياد : ابنة غريب!

ـ نعم ، كنت سائرا لصلاة الظهر في الجامع ، أوقفتني وتحدثنا ، وشجعتها على الصلاة ، وأرسلت معها سلام لخالد وزينب .. لا أدري لماذا يتلكؤون في أمر زواجها ؟! فليحسموا أمرهم ويقولون نعم أو لا .

قال إدريس : لكني غير مهتم يا صديقي.. الزواج عندي أمر ثانوي ، لم أتركه بسبب عقدة النساء مثلك .. تركته لعقدة الحمل والولادة .. عجزي عن التلقيح .. وأيامنا لم يكن التلقيح الصناعي للبشر منتشرا ومعروفا .. دعوا الأمور تسير على مهلها ، وإذا لنا نصيب بالزواج نتزوج ولا تنسوا أن والدها رحب بالزواج من الكاتب المغمور .

بعد صلاة المغرب تناولوا الطعام في مطعم الذكريات ـ المطعم المقابل لساحة مسجد سيدي سعيد ـ ثم تفرقوا إلى بيوتهم ، ولما دخل سيف المنزل أخبرته الخادمة أن شقيقته أم فراس في انتظاره ، فحياها ورحب بها ، ثم دخل غرفة النوم ، وتخفف من البذلة .. فسيف يحب عند الخروج من البيت ارتداء البذلة ، وقد اعتاد على ذلك .. وكان مستغربا لزيارتها ، ومتوقعا لمشكلة ما .. وكان قد صلى العشاء قبل العودة ، وعرض على أخته العشاء ، فذكرت له أنها تعشت مع أبي فراس زوجها .. رحب بها من جديد ، وقدمت لهما الخادمة الشاي بالنعناع وقال: أهلا بأم فراس ، لابد أن هناك أمرا مهما ؛ لتنتظرني أم فراس .

قالت : نعم ، الأمر مهم وخطير في رأيي

لم يتكلم سيف ، تابعت : ابنتي هيام تريد الطلاق .

ردد قائلا : هيام تريد الطلاق لماذا؟!

ـ وجدت في بيتها عاهرة ! وجدت مع زوجها عاهرة!

ـ وهي لا تعرف أن زوجها عاهر! شاب يعشق الزنا والفجور ومعروف بذلك .

ـ تعرف .

ـ ما دامت تعرف .. عليها التحمل والصبر .

ـ كانت في العمل كما تعلم ، أحست بتعب فعادت للبيت معتقدة أن البيت فارغ ، معتقدة أن فريدا في البنك ، فلم تضغط على الجرس، استخدمت المفتاح ؛ لعلمها بأن اليوم عطلة الشغالة ، وستعود في الليل، فتحت ودخلت ، فسمعت صوتا في حجرة النوم ، فاستغربت أو توقعت ، فدفعت الباب ودخلت ؛ لترى فتاة عارية تنام على سريرها ، وزوجها يتفرج عليها جالسا على كرسي في غرفة النوم فصاحت غضبا وثورة ، فاعتذر لها عن الموقف ..فقالت كما قلت : أنا أعلم كما يعلم الكثير أنك فاجر وزاني ، وغررت بي عند الزواج؛ لكن أن يصل الأمر إلى حجرة نومي وكرامتي فهذه الوقاحة بعينها.. ليس أمامنا إلا القاضي ..وطردت البنت .. وتقبل فريد الطلاق .. وتركت بيت الزوجية .. وها هي عندنا في البيت .. تحدثت معي أم فريد .. وتحدث والده مع أبي فراس لتسير المركب .. ولكن هيام تصر على الطلاق .. وجئت إليك ؛ لتتحدث معها.. فهيام تعز خالها سيفا.

ـ هيام طيبة ؛ ولكنها لم تحسن الاختيار .. الشاب كان معروفا بأنه نذل وحقير .. وهي حدثتني أن الرجل لا يمل من الخمر والزنا ؛ لذلك تتعجب كيف قبلته وتزوجته ؟!ومن أجل ذلك هي لا تريد الإنجاب منه.. وتأخذ موانع الحمل .. كانت تأمل بزواجه أن يصبح إنسانا متحملا للمسؤولية كما كان يعد .. وأنها المرأة الوحيدة في حياته والمخلص لها .. ماذا تريدين مني؟

ـ لا داعي للطلاق .. يتعهد أن لا يكررها في البيت .

ـ الفاسد من الصعب تحرره من فساده ..سمعت مرة من هيام أنه كاد يعتدي على أخته ، وهو في حالة سكر ذات ليلة .. لتبق عندكم بضعة أيام حتى نفكر بروية وتأن ..وسأتحدث معها ، وأرى وجهة نظرها بالحياة معه .. لها خمس سنوات متزوجة .

ـ أربعة يا سيف! أنا قلت لها لو تلدين منه طفلا ؛ ربما تغير .. فالأبوة لها مذاق خاص عند الرجال .. فتقول : ألم يربط بيننا ميثاق الحب ؟وهو أقوى رابط ، إذا كان الحب سليما وصادقا فهل يربطه طفل يا أمي ؟ أرجوك يا سيف أن تقنعها بنسيان الطلاق .. الطلاق ليس الحل .. الصبر عليه هو الحل .

ـ الصبر هو الحل .. سأسمع منها ..أنا تكلمت معه مرة ، فقال: يا سيف أنت لا تعرف النسوان فعد لمحرابك .

بعد العاشرة صباحا اتصل المحامي بسيف وقال : كما ذكرت لك تلك الأمسية أن السيد غريبا ترك لك رسالة أخرى .. متى أمر عليك ؟

ـ المناسب لك يا سيدي!

ـ الآن أنت في البيت حسب الهاتف .

ـ نعم ، أنا في البيت ، وأتكلم معك منه .

ـ لا تخرج حتى أمر عليك .

ـ حسنا! أنا في انتظارك يا سيدي المحامي .

تناول فطوره ؛لأنه عندما يسهر للصبح ينام بعد الصلاة ، وانتهى من فطوره، وجلس في مكتبه يشرب القهوة ، ولما أدخلت الخادمة المحامي لصالة الجلوس خرج محييا ومستقبلا ، وطلب القهوة له وللمحامي ، وعرض عليه الإفطار فضحك المحامي ، وقال : بعد قليل يا سيدي سأتغدى .. كيف حال المهندس سيف ؟ أنت لم تكن من أصدقاء المرحوم

ـ ولا عمري رأيته ؛ ربما اجتمعنا في مناسبة في الحي ..ولا أعرفه شخصيا .. لست من أصدقائه ؛ ولكن طليقتي كانت زوجته .

قال المحامي دهشة : آ ! الرجل الذي تزوجها ، وطلقها في شهر العسل !

ـ نعم ، طلقتها في شهر الزواج الأول .

قال الرجل بحيرة : عجيب! لقد ترك شيكا على أن أسلمه لك بعد قراءة الرسالة الخاصة !

ـ شيك.. هو أشار إليه في تلك الرسالة يا سيدي الكريم .

تناول سيف الرسالة من يد المحامي ، كانت رسالة مغلفة ، وأخرج المحامي من حقيبته الشيك وقدمه لسيف قائلا: أليس هناك قصة ؟!

ـ نعم ، هناك قصة كبيرة لا تنسى .. إننا نحن سكان حي واحد .

ـ الرجل كان غنيا وثريا كبيرا ، يملك الملايين يا مهندس سيف! ألا تريد أن تقرأ الشيك وتعرف قيمته ؟

تطلع سيف على المبلغ الموجود في الشيك ، وكان ثلاثمائة وعشرين ألف دولار أمريكي .. ثلث مليون ..فقال : كل هذا لي!

ـ نعم ، أليس اسمك المكتوب على الشيك سيف الدين حاكم آل وردة ؟!

ـ نعم، هذا اسمي .. حرم الورثة من هذا المبلغ من أجلي!

ـ قلت لك ماله كثير .. وليس له إلا ذكر وابنتان وأمه حية ؛ لكن هل يمكنني أن أعرف لماذا أعطاك كل هذه المبلغ قبل موته بزمن يسير ؟!

فكر سيف لحظات قبل أن يقول : لأنه تزوج امرأتي ، زعم حبها فطلقتها لأجله .. وهو يعوضني عن كل سنة بعشرة آلاف دولار .

ـ أحب زوجتك نبيلة خالد وطلقتها ليتزوجها!

ـ هذا ما حصل .. فأحس أنه ظلمني ، فأراد أن يدفع لي تعويضا عما ألحقه بي من أذى .

ـ هناك حكاية كبيرة!!

ـ نعم ، هناك حكاية كبيرة .. هل تريد أن أوقع لك على إيصال ؟

ـ ليس ضروريا ، فلن تطير.. المهم أنك استلمت الشيك ، وتستطيع صرفه في أي وقت تشاء ؛ لأننا أودعنا المال هذا باسمك قبل إظهار هذا الشيك .

ـ ما ذكرته صحيح يا أستاذ .

ـ أنا أصدقك ؛ لأني لا أعرف بينكم أي اتصال .. وأنا أتعامل معه من أكثر من عشر سنوات يا

حضرة المهندس !

ـ على كل سيقوم كاتب بكتابة قصتي مع نبيلة وغريب ؛ فإذا صدرت سأدفع إليك بنسخة .. واعلم يا حضرة المحامي أنني ـ بفضل الله ـ أملك الكثير ..ولست بحاجة لماله .. ولا طلبت منه مالا .. ولم ألتقه شخصيا في يوم ما .. وإن كنت أسمع باسمه من زوجتي نبيلة قبل طلاقنا يبدو أنه ندم على ما جناه عليّ ، وتسببه في طلاقنا ، فأراد أن يعوض ذلك مالا .. وهو لا يغني عن الماضي الأليم شيئا .. وسأهبه لصديق عزيز عليّ .. فهو أحق به مني.

ـ عجيب أمرك يا مهندس سيف !ستهب كل المبلغ لصديق .

ـ نعم ، وهذا الذي دفعني لقبول الشيك .

خرج المحامي من بيت سيف مذهولا من إهداء هذا المبلغ إذا صدق لصديق ، وحتى تخلي غريب عن هذا المبلغ لعجيب ؛ لكنها الدنيا .. تصافح الرجلان أمام بوابة الفيلا ، وقال المحامي : لا تنسى إرسال نسخة من القصة التي ستكتبها .. ونحن على استعداد تام لتقديم أي خدمة لك يا مهندس سيف .. وتركت لك بطاقة عن هواتفنا ومكتبنا .. شكرًا على الاستقبال والقهوة .

ـ العفو يا سيدي .. وجزاك الله خيرا!

مشت السيارة بعد تحية باليد ، ودخل سيف الفيلا وهو يردد كل سنة بعشرة آلاف دولار .. نعم الفكر البراغماتي .. المال عن سنوات العزوبية .. العمر لا يعوض بالمال ؛ إنما هو مواساة ، كما ندفع الدية في الدهس والقتل لأهل الميت .. الميت لا يعود .. ستصبح يا صديقي يا إدريس من الأثرياء وإذا تزوجت زينب ستصبح مليونيرا .. سبحان ربي .. يعطي من يشاء بغير حساب !

قرأ الرسالة ، وكلها أسف واعتذارات ، وبين مرة أخرى أنه يحب أن تتزوج ابنته زينب من صاحبه الصحفي المغمور.

ولما كان إدريس يدخل مدخل البناية بعد صلاة العشاء في جامع حي الشاعر ، وجد سيفا أمام الشقة منتظرا ، فتعانق الصديقان ، وخرجا للعشاء في أحد مطاعم الحي، ثم رجعا للبيت ، واستأذن سيف للصلاة ، وأخذ إدريس يعد أغراض الضيافة من الشاي والمكسرات والفواكه

وقرأ إدريس رسالة غريب .. وعلق لنفسه: الرجل يحبني دون أن يعرفني ! .. إنه يشجع سيفا على تزويجي من ابنته .. وقال الصحفي المغمور .. أنا هاو لست صحفيا بمعنى الكلمة .. وقال لسيف : ما دام والدها مباركا لزواجها مني لماذا لم تحسم الأمر ؟! هناك عائق مجهول يا سيف !

ـ لا أدري ! هند لم تذكر لي شيئا لما التقينا قدام المسجد .. ولكنها أكدت أن الزواج قائم .. وزينب بعد لقاء الصيدلية لم التقِ بها .. تحدثت معي على الهاتف سعيا للقاء أبيها .. واعتذرت وخالد لا حس لها في القضية .. ولما قابلني بموضوع الوالد لم يذكر زينب وزواجها.. الظرف كان غير مناسب .

أخرج سيف الشيك وقال وهو يمد يده به لإدريس : هذا الشيك لك كما اتفقنا ! وإذا رفضته سأعيده للورثة .

اطلع إدريس على الشيك وهتف دهشة : ويحك ! كل هذا لي .. غير معقول يا سيف! هو أعطاك إياه !

ـ وأنا لولا دعوتك لي بقبوله ما قبلته ، ولمزقته في وجه المحامي .. واعلم أن الرجل دفع عن كل سنة عشرة آلاف دولار .. والمحامي قال : إن المبلغ بالنسبة لثروة الرجل ضئيل .. فهو يملك الملايين .. له استثمارات في بريطانيا ، شريك مع إخوانه وغيرهم .. والمبلغ موضوع في حساب خاص باسمي .. يعني لا دخل له بالميراث في أي وقت نسحبه .

ـ يا إلهي! أنا أملك هذا المبلغ ، ولا في الأحلام!!

ـ يا سيدي لو تزوجت زينب سيكون هذا المبلغ شيئا بسيطا .. ستملك الملايين كما فهمت من المحامي .

ـ ذاك لها يا سيف!

ـ هل ستبخل عليك ؟! صحيح أن المرأة لها شخصية مالية مستقلة ؛ لكنهما وجهان لعملة واحدة

ـ أخشى أن يكون هذا الشيك حاجزا بين زواجنا.

ـ ليس بالضرورة أن تعرف كما اتفقنا .. اتفقنا أن لا نكشف سر الوالد للبنات وخالد .

ـ والبنك ألا يخبرهم بسحب المبلغ ؟

قال المحامي : إن الرجل وضعه في حساب باسمي أنا ، وليس له دخل بالميراث الذي لم يقسم كما أخبر المحامي ؛ لأنه سيتم حصر ثروة الرجل .. وهذا يستغرق وقتا .. سنذهب إلى البنك ونسحبه ونحوله إلى اسمك بالتنسيق مع حضرة المحامي ، حتى يسهل البنك تحويل الحساب لي شخصيا .. واعلم يا صديقي ؛ بل أعز إنسان عرفته في حياتي إنني كتبت لك وصية وستعرفها بعد موتي .. أنت أخ عزيز يا إدريس ! أخ تمنيت أني لو التقيت به قديما ؛ لكن كل شيء بقدر أنت حببت لي الحياة ، وجعلتني أعود إليها .. هما أحلى عامين في حياتي ..أنت كنز حقيقي يا إدريس !

ـ عجيب أمر الدنيا! أنا عملت أكثر من عشرين سنة موظفا ، ولم يجتمع لي مثل هذا المبلغ .. وفي ساعة من العمر أملك هذه الثروة ! سأصير ثريا مثلكم يا سيف؟!

ضحك سيف وقال : أنا ولدت ثريا ، لم أصعد السلم درجة درجة .. كان والدي من أكبر التجار في البلد .. وكانت أمي تملك ثروة كبيرة ورثتها عن والديها .. وها أنت في لحظة تصبح ثريا مثلنا

ـ لو لم تقبل المبلغ ماذا كان سيفعل به المحامي ؟

ـ سألته هذا .. فأجاب سيذهب للجمعيات ، وبعض النوادي التي يدعمها ، لن يعود للورثة

ـ حسنا ! عندما أعمل الرواية يجب أن تكون طباعتها من هذا المبلغ أقسم على ذلك .

ضحك سيف وقال : حسنا ! لا بأس .. فقط طبعتها الأولى .. أنا كما تعلم ألفت بعض الكتب في الهندسة للمصانع وبعض المعاهد.

ضحك إدريس بدوره وقال : حسنا ! لا بأس الطبعة الأولى فقط .. عندما تتزوج سأبدأ بكتابتها ليفرح القارئ بختمها بزواج البطل ، كما هي العادة في الكثير من الروايات .

استشار سيف إدريس بقضية هيام ابنة شقيقته أم فراس.

ـ هل جلست مع الفتاة ؟

ـ لا ؛ إنما كلمتها بالهاتف، وروت الموقف ، وهي تبكي ، وذكرت أنها اضطرت للذهاب للعيادة

مرتين ، ولم تعد لها رغبة للحياة الزوجية .. أنا كما تعلم لا أتدخل بمشاكل وقضايا العائلة .. فبعضهم يعتبرني مجنونا ، ولا أعرف الدنيا ، ولا مشاكلها ؛ بل يشيعون اليوم أنني على وشك الموت ؛ لذلك صرت أصلي وأعتمر .. ولذلك يتزوجون يطلقون دون أي تدخل مني ؛ لكن شقيقتي أم فراس ترى أن هيام تُكن لي بعض الاحترام .. وتزورني بين الفينة والأخرى ، فظنت أنني قد أستطيع منعها من الطلاق ..واعلم أن هيام تزوجت عن قصة حب للرجل .. إعجاب في حفلة أو سهرة ، ثم لقاء خاص ، وفترة حب ، ثم إعلان الزواج .. وهي كانت تعلم أن له علاقات جنسية مع أخريات قبل الزواج .. كانت ترى أنها ستذهب مع الزواج والبيت ؛ ولكن بعد الزواج أخبرتني أن فجوره زاد وسكره زاد ، ويأخذ منها المصروف .. وأصبحت الشقة مخدع غرام وسكر لأصحابه وصاحباته .

ـ إذا أصرت على الطلاق بعد حين من العاصفة فلتطلق .. هذا الزوج لا يتاجر به .. وهي كما قلت تخشى الحمل منه ؛ لفساده ، وأن الطلاق مصير حياتهم .. وأين ستعيش إذا طلقت ؟

ـ ستعيش في بيت والدها .. والدها مدير بنك ؛ ولكنها ستعاني .. فهم يحبون أن تبقى المرأة متزوجة ، ولو فعل زوجها كل الأفاعيل السيئة .

العروس

استطاع إياد إيجاد بضع عرائس مناسبات لسيف ، وواحدة عن طريق إدريس ، فقال إدريس : سنبدأ جولة أولية على عرائس إياد .. طبعا لن تذهب نساء كعادة العائلات هنا .. سنذهب نحن يا سيف .. ندخل على الأسرة ، ونجلس مع الأب أو الأخ ، وتحضر العروس بالقهوة .. فإياد شرح لهم من أنت ؟

قابل سيف ، ورفاقه الأسر الأربع ، ورأى المرشحات للزواج ، وكلهن أبدين الموافقة على الزواج منه رغم كبره ومرضه ، وشاهدوا عروس إدريس، ورشح إدريس واحدة منهن ، وطلب من سيف التركيز عليها ، فهي جامعية معلمة لغة عربية ،ومتدينة ، وعمرها ست وثلاثون عاما ومستعدة لترك العمل عند الزواج ، وهي لم تتزوج من قبل .

وقال : البكر أفضل من الثيب من الناحية النفسية يا سيف ! وصحتها جيدة .. وأنا أعرف والدها كما رأيت .. لقد عمل معنا في الصحة ..كان سائق سيارة.. أنا تعجبت لعنوسة ابنته هل من سبب يا إياد ؟!

ـ خطبت أكثر من مرة .. وفسد الزواج .. وهي من ناحية الجسم والسن مقبولة .. فكر فيها يا سيف .. وإذا في بالك غيرها تكلم !

قال إدريس : أنا سأتحدث مع والدها يا سيف ، وأعرف منه سبب تأخر زواجها ؛ ليطمئن قلب سيف وقلبي يا إياد .. لو مطلقة أو أرملة هناك أسباب أدت للطلاق

تحدث مع والدها ، وبعد مقدمات وأمثلة علم أنها خطبت ثلاث مرات ، وكانت بعد حين ترفض الزواج ، لأنها تكتشف في خطيبها ما لا يعجبها .. وكلما كبرت الفتاة قلّ خطابها ، وأن صحتها جيدة ، وليس لديها أمراض منعتها من الزواج .

فوافق سيف على الاقتران بها ، وذهبوا لمقابلة والدها وإخوتها مرة ثانية ، وتحدث إدريس عن حياة سيف واعتزاله العمل ، وأنه متفرغ للبيت ، وأنه منذ طلق زوجته بعد زواج قصير لم يتزوج مرة ثانية ، ولم يحاول .. اعتزل النساء حتى أقنعه إدريس وإياد بذلك .. وأنه يعاني من بعض

المشاكل القلبية ؛ ولكن الطبيب بين أنه يستطيع الزواج ، والقيام بالمعاشرة الزوجية دون مشاكل تذكر .. فقط عليه المباعدة بين كل معاشرة وأخرى ، وقال لهم : نحن أحببنا أن نتكلم بالمفتوح حتى لا تقولوا غدا ضحكتم علينا وخدعناكم ..هل سمعتم ما قلت ؟ سمعتم الحقائق .. فالرجل ابن خمس وخمسين سنة .. ليس شابا صغيرا .. ولم يعش الحياة الزوجية إلا ثلاثة أسابيع ولم يطلق لأسباب صحية ؛ إنما هناك أسباب أخرى لا داعي لذكرها يا أبا محمد .. فكروا بالرجل جيدا .. وغدا بمثل هذا الوقت نسمع الرد .

وعده أبو محمد بالرد ، وغادر الضيوف البيت ، وهم يتبادلون المجاملات والسلامات.

أكمل القوم السهرة في منزل إدريس، وقال إياد : وإذا رفضت البنت عريسنا سننتقل إلى أسرة أبي جمال .

وفي مطلع النهار التالي اتصل أبو محمد بإدريس ، وطلب مقابلته وحده ، فركب إدريس سيارة لبيت أبي محمد ، وقدم له الرجل الشاي ، وقال: البنت يا إدريس قابلة للارتباط بصاحبك سيف ولكننا لم نفهم مشاكل القلب التي أشرت إليها مساء أمس .. لكن ...

تنهد إدريس وقال بضيق: هذه لكن المشكلة!

ـ ولا مشكلة ، ولا هم يا صديقنا ! البنت فهمت أن الرجل مريض بالقلب ، وقد لا يطول به العمر .. فتريد شقة باسمها .

ـ يا أبا محمد الأعمار بيد الله أولا .. والإنسان كلما كبر سنا ظهرت عليه أمراض معينة ، منها السكري الضغط ضعف البصر والسمع المفاصل هشاشة العظام .. الرجل تزوج زميلة درست معه في الجامعة ، ومن سكان حي بهية ، وقضت معه أقل من شهر ، وطلقت نتيجة مؤامرة خبيثة وحرم على نفسه الزواج والنساء .. ولما تعرفت عليه من عامين تقريبا استطعت أنا والأخ إياد أن نغير رأيه نحوهن .. وهو قد تدين من زمن يسير .. وإذا عشنا للعام القادم سنذهب للحج سوية .. والشقة لماذا ؟ لماذا هذا التفكير ؟! خشية الطلاق ..إذا ابنتك محترمة وتخاف الله كما ظهر لنا ستعيش أحسن عيشة .. وستترك الوظيفة .. والرجل يعيش وحيدا مع خادمة آسيوية في

الفيلا .. وهم من سكان حي بهية حي الأثرياء القديم في المدينة .. والأموال كثيرة .. وقد عمل صاحبي مهندسا في مصنع دواء عمل كنائب لمدير المصنع حوالي عشرين سنة .. وأسرته غنية من أجيال .. اسمع يا أبا محمد إذا عاشت ابنتك بعده سترث قصرا ومالا كثيرا يغنيها العمر .. المهم أن لا يحدث الطلاق من طرف ابنتك .. أنا يا عمي أشتري لها شقة

ـ أنت! وما دخلك يا رجل ؟!

ـ الرجل عند كلمته .. أنا هذا الرجل وهب لي مالا كثيرا ؛لأنني ساعدته في قضية.

ـ كلامك غريب يا إدريس ! وهب لك مالا ستعطيه لابنتي!

ـ لتطمئن.

ـ كم وهبك؟

ـ أكتم السر .. ربع مليون.

صاح الرجل دهشا وغير مصدق : ربع مليون دينار !

ـ نعم ، حذار أن تتكلم عن ذلك .. سأكتب عنه كتابا، وأتحدث فيه عن هذه الهبة العظيمة.

ـ هذا شيء لا يصدق!!

ـ بل أخبرني أنه شملني بوصيته .

ـ ماذا فعلت له ؟!

ـ سر كبير ؛ ولكنه سينشر على شكل رواية ؛ كأنها عن شخص آخر .. الشقة عندي يا أبا محمد وليبق أمرها سرا .. هي هدية خاصة لكم .. حذار أن يعلم بها أحد .

ـ هذا شيء مذهل!

ـ هذا الفضل من الله! الرجل يأخذ أيضا راتبا تقاعديا من جمعية ونقابة المهندسين .. وهو يتصدق به .. لن تخسر ابنتك بإسعاد هذا الرجل .. والسيارة هدية مني عند الزواج .. نحن رأينا بنات غير ابنتك .. فرأيت الأولى منهن فتاتك .. رأيت أنها سترتاح مع الرجل وتفهمه .. وهو طيب ، وقادر على الحياة الزوجية باعتدال .. ونحن عندنا أمل أن تلد له .. لترث هي ومن تلده

أمواله .. فأخوه وأخواته من أصحاب الأموال والغنى .. وهو انعزالي عنهم .. قليل الاختلاط بهم .. ومحب للبيت .

ـ حقيقة أنك كشفت لي أشياء مذهلة ؛ لولا معرفتي لك من أيام البلدية ما أصدقها ! اسمح لي باستدعاء البنت ؛ لتنقل لها أهم الكلام .

جاءت البنت ، وحيت السيد إدريس، وجلست ، وبعد مجاملات شخصية ، قال والدها: العم إدريس راغب لك الزواج من المهندس سيف .. وهو تعهد لي إذا طلقك الرجل ، وأنت لم تطلبي الطلاق سيقدم لك شقة .. وأقنعني بذلك .. ولا داعي لكشف الأسرار ؛ ولكنها ستصدر في كتاب عن حياة سيف على شكل رواية حماية للأحياء.

وأكد إدريس هذا التعهد ، وقال الأب : ولعل سيفا سيوضح لك الغموض في حياته .. والرجل من الأغنياء ، ومن سكان حي بهية .. وسيقدم لك العم إدريس بهذه المناسبة سيارة كهدية منه هكذا قال أبوها ، وتابع فقال : هذه فرصة يا بثينة ! لتعشين حياة الأزواج .. والأخ إدريس رجل عند كلامه ..وفعلا يريد لك الخير!

فقالت : ومشاكل القلب التي تحدثتم عنها أمس !

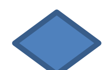
قال إدريس : هو مريض بالقلب ، ولا يعني هذا أنه سيموت غدا أو بعد شهر أو بعد عشر سنوات ..عادة مريض القلب سيكون ضعيفا في الحياة الجنسية إلى حد ما .. ليس مثل شاب صحيح البنية مفتول العضل .. سيف لم يعش الحياة الزوجية .. له أكثر من ثلاثين سنة لم ينام مع امرأة حتى ولو بالحرام .. القلب أثناء المعاشرة الزوجية يتعرض لضغط كبير ، يحتاج لضخ دم بقوة ؛ لذلك من يتعرض لجلطة قلبية ينصح بالبعد عن الجماع عدة شهور .. يعني صاحبنا ليس صغيرا .. والطبيب المتابع لحالته أخبر بأن بإمكانه الحياة الزوجية عدة مرات في الشهر .

قال أبو محمد : فهمت عليك يا إدريس فهمت يا بثينة !

هزت رأسها بالإيجاب ، وقال وهو ينهض : والرجل يطمع يا ابنتي بأن تلدي له .. ونحن قدمناك لسنك المناسبة .. وهناك إمكانية الحمل بإذن الله .. وأنت متدينة .. والرجل تدين من

عهد قريب بسبب صحبتي له وإياد .. وترك الخمر منذ صحبنا .. ولم يكن يشربها كثيرا ؛ لكنه تربى على أنها ماء.

ولما غادر الرجل ، قال الأب لابنته: لم تعودي صغيرة يا ابنتي !وأنا إدريس عشت معه زمانا طويلا أيام العمل ، ولا يمكن أن يخدعنا ؛ بل وضعنا في صورة سليمة للرجل .. فهو ابن خمس وخمسين سنة .. وفي النهاية أنت حرة ولَك الاختيار .



وافقت أسرة أبي محمد على زواج ابنتهم من السيد سيف ، وتخلى سيف عن السرير المفرد ، وجهز غرفة نوم بأثاث جديد ، وخلال أسابيع كان السيد سيف يتزوج من جديد أمام دهشة واستغراب أقاربه وجيرانه .. فأصبح حديث الحي ، وانتقلت بثينة المعلمة إلى الحياة الزوجية في حي بهية ، وقد جرى احتفال متواضع لسيف أشرف عليه إدريس وإياد ، وتقبل سيف هدية إدريس لزوجته السيارة ، وتعجب بعض الأقارب من زواج سيف من فتاة من حي شعبي ؛ ولكنهم تعودوا على غرائب سيف ؛ لذلك الكثير من أقاربه لم يحضروا حفل الزفاف ، ولم يكترث لهم سيف ، وحتى بعض أخواته لم تحضر ، ولم يقبلوا زواجه .

اتصلت هند بمنزل سيف ، وباركت له الزواج ، وتمنت له الخير ؛ ولكنها عجبت من صبره كل هذه السنين ..وكيف لان في النهاية؟! وذكرت أنها كانت تحب له ذلك ، وأن أمها تمنت له ذلك في حياتها ..وسألته عن العروس .

ـ ليست قريبة لي يا دكتورة .. إنها امرأة صالحة ـ إن شاء الله ـ وذكر اسمها ، وعائلتها والحي الذي كانت تعيش فيه .. وفي نهاية المكالمة ، وعدته بزيارة لتبارك له ، وتتعرف على أهله ، فرحب بذلك .

وقدم إياد وزوجه ، ويصاحبهم إدريس للتهنئة والتبريك ، ورتب لهم إدريس دعوة طعام في أحد الفنادق .. وحدث قبل تلبية دعوة إدريس أن تعرض سيف لوعكة صحية .. أدخل على أثرها المستشفى ، وقضى فيه ثلاث ليال ، ثم تعافى بفضل الله ورحمته .. وقضى إدريس الأيام

الثلاثة معه في المستشفى ..وكان يأخذ زوجته إلى المستشفى في سيارتها ويعيدها .. وتعرف على طبيبه الخاص ؛ لذلك لما خرج معافى أبدت امتنانها لإدريس على وقفته معهم.. فأكد لها أن سيفا أخ له .

وقال : هذا أقل الواجب . وخاطب سيفا فقال : أنا باشرت في كتابة المسودة لقصة حياتك ، وخلال شهر ستكون بإذن جاهزة ، ولما تقرأها أبدأ بتبيضيها.. طبعا لن يعرف أحد أنها قصتك إلا من يعرفك حق المعرفة ؛ لأني سأضيف إليها فصولا وأحداثا لا دخل لك فيها ، فقبل رحلة الحج ـ إن شاء الله ـ ستكون في الأسواق .. عرض عليّ صاحب الجريدة نشرها على عدة حلقات فاعتذرت بأنك ستنشرها مرة واحدة .. وهي قصة بعيدة عن السياسة لعدم اهتمامك بالسياسة

بعد زواج سيف تغير نظام زيارته لسيف ، كان يصلي العصر في حي العرب ، ومع المغرب يغادر الحي عائدا لبيته .. جاء زائرا عصرا ، فوجد أن هندا وزينب في ضيافة سيف وزوجته ، فسلم وحيا ، وجلس وعلمت هند أن إدريس هو الذي سعى في زواج سيف ، واختيار العروس ، وتبين لهنّ أن العروس أكبر منهن ؛ ولكنها مناسبة لسيف ، وتمنوا لهم التوفيق .

بعد هذه الزيارة بأيام تلقى إدريس هاتفا من الممرضة سمر ، ولما سمعوا أخبار بعضهم بكل اختصار ، قالت: أنا صرت مغرمة بجريدة صاحبك التي لم أقرأها يوما قبل أن أعرفك يا أستاذ إدريس ! وأستمتع بما تكتبه أنت ، ومقالات الفتى نصار .

شكرها إدريس على متابعة مقالاته ، فقالت : هل عرفت من صور المهندسة ؟

ـ أصدقك القول أني عرفت في النهاية ، وصرت من ورائها غنيا .

ـ رشوك لتصمت !

ـ لا ، ليس رشوة هدية تبرع .. وستكون الحقيقة في كتاب عن السيد سيف في مطلع العام القادم لم تصور الصورة في تلك الشقق ..صورت مع الرجاء الكتمان في القصر .. قصر والدها .

ـ شوقتني لفهم القصة.

ـ حسنا ! بما أنك صديقة ، وساعدتينني في فهم حكاية الشقق سأرتب لزيارة لك .. الأمر يحتاج

لكتمان ، وعدم نشر للضرر الذي قد يصيب بعض الناس .. وهل من جديد بينك وبين الدكتور سمير ؟

ـ سمير أخي !

ـ طبعا أخوك !

ـ هل قابلته ؟

ـ أنا ألم أقل لك إني التقيت به أثناء إجراء الحوار معك ؟! ذهبت وصليت خلفه ، وتعرفت عليه لأنني عجبت من شيوعيتك وتدينه ! ففهمت الحكاية وفارق السن بينكما أيام الطفولة والمراهقة وحدثني عن والدك العقيد ،وعن أختك سحر وعنك .

ـ هذا أنا الآن مكشوفة لك !

ـ هذا يا سيدتي عرفته عندما بدأنا الحوار ، وذكرت أن لك أخا متدينا وإمام مسجد .. فسارعت بالبحث عنه ، وقابلته ، وذلك قبل كتابة مقابلتنا ، ودعاني لزيارته ، ولكني انشغلت بصديقي سيف .. وها نحن زوجناه من بضعة أسابيع .

ـ قرأت الخبر والتهاني ببعض الصحف ، ولم يخطر ببالي أنه سيف زميلنا أيام الجامعة .. عرفتني عليه سوزان ، وحضرت زواجه من نبيلة .. شخص لا ينسى لطلاقه الغريب ، وفي نفس الوقت لا يذكر .. معادلة صعبة .. أخيرا تزوج .. عليّ الاتصال به وتذكيره بنفسي والتهنئة .. لقد كان صائما عن الزواج ..كلما يأتِ ذكره بلقاءتنا مع نبيلة كانت حزينة من أجله.

ـ لقد زارته بنات نبيلة هند وزينب من قريب للتبريك والتهنئة .

ـ لي فترة لم أتحدث معهن .. موضوع زينب لم يتحرك !

ـ مات والدها .

ـ أعرف ، وذهبت للعزاء.. وأنا لا أدري لماذا توقف الموضوع ؟! هي لم ترفض صراحة ، ولا قالت لا أريده .

ـ هناك أمر غامض لا أحد يريد الإفصاح عنه ؛ ربما الدكتور خالد معترض على زواجي مع أن

والدها بارك زواجنا قبل أن يموت .

ـ هل قابلته ؟

ـ لا، لكنه كتب رسالة في ذلك .

ـ على كل حال سأحرك الموضوع ..أنا لا أعتقد أن خالدا معترض .. أنا أعرفه هو محب لعمله وهادئ ؛ فهو ساعدني في أمرين داخل أروقة الوزارة ..وهو جراح قلب .. ويعمل العمليات في مراكز علاج القلب ، ولا يتدخل في شأن أخواته .. علينا أن نلتقي لنسمع حقيقة الصورة.

ـ سأفعل.. أريد أن أتدخل في الصلح بينك وبين الدكتور سمير .

ـ لسنا متحاربين ؛ إنما أفكارنا متحاربة .

ـ وتتحدثون بواسطة الهاتف في فترات متباعدة ؛ كأنكم في بلدين متباعدين!

ـ هو يريد أن أعود لدينه .. وأنا لا أريد .. ولا أومن بدين سماوي .

ـ اليوم تصالحنا مع اليهود .. وقضينا شبابنا ، وهم يصدعون رؤوسنا ببغضهم وتدميرهم يا سيدتي .. دينكم الأرضي مات في بلاده ، ولم يعد يبحث عن حكم العالم .. انتصرت الرأسمالية عليكم .. فلماذا المكابرة ؟! عشرات الشيوعيين الذي عرفتهم في مطلع شبابي ذهبوا للحج والعمرة .. الشيوعية أصبحت في نظري ونظر الكثير تاريخ .. ليس عيبا أن يتراجع الإنسان عما اعتقده صحيحا في يوم ما .. لا أريد أن أعمل نفسي عليك واعظا وشيخا .. واليوم كثير من المسلمين مجرد مسلمين يزنون يشربون يكفرون يتعرون .. شوارعنا لا تختلف عن شوارع باريس ولندن .. مسلم مسلمة لا تلتزم بالإسلام ، لا صلاة ، لا صوم ؛ ربما يعرفون أنهم يتزوجون على النظام الإسلامي، وحتى الشيوعيين يتزوجون على النظام الإسلامي ؛ لأنهم لا يحكمون ، ولما يموت الشيوعي تحمل جنازته للمسجد ، وهو الذي لا يؤمن بوجود الله .. والدين أفيون الشعب .. وزعم بعضهم أن الاله مات .. ومع ذاك عندما يهلك يذهب به أهله للمسجد ؛ لتصلى عليه صلاة الجنازة .

ـ ستتكلم بذلك .. وتناقشنا أنا والرفاق بهذا الحال ، وما صرنا إليه .. ليس من السهل التخلص

من ذلك يا إدريس .. أنتظرك غدا.

ـ لا بأس أصلي المغرب في حيكم .. ونشرب الشاي .. سلمي على زوجك وأولادك .. وليكن هو الآخر في الانتظار ؛ لأن الخلوة بالمرأة لا تحل.

ـ آ ! هذا صرت شيخا أخيرا !

ـ أنا طول عمري أصلي وشيخ ؛ ولكن أحيانا أضطر للخلوة والسرية.

ـ جيد ! أليس اسم إدريس على وزن إبليس ؟

ـ لا، إبليس لعين .. وإدريس اسم ورد في القرآن ، وهو اسم نبي .



تحدثت سمر مع هند بشأن زواج إدريس وزينب ، وعلى زينب أن تقول: نعم أو لا .. وأخبرتها أن الأستاذ إدريس سيزورها الليلة بعد صلاة المغرب ، فاستأذنت هند بحضور هذه الزيارة ، فرحبت سمر بذلك ، ولما جاء إدريس تفاجأ بوجود هند ، فسلم ، وجلس ، ولم يتحدث حول الصورة ، وأخبر أن الشقق السوداء لا علاقة لها بصورة نبيلة وطلاقها ، وأن المهندس مرادا لا يد له في التصوير ، وأدركت سمر أن إدريس لا يريد الكلام عن الصورة أمام هند بأكثر مما صرح به .. وانتقل الحديث للحديث عن زينب والزواج.

فقالت هند : أنا سأتكلم بصراحة يا سمر ويا ا إدريس .. زينب لم ترفض الزواج منك ؛ إنما الذي حدث أن زينب العزيزة كما تعلمون قد أزالت الرحم بعد ولادتها في تركيا .. وقبل سنة قبل ظهور إدريس في حياتنا اكتشفت أنها تعاني من سرطان الثدي الشائع بين النساء .. فالأدوية لم تعد تجدي نفعا في علاجه .. فستخضع لعملية إزالة الثدي السقيم ..ولما جاء إدريس إلى هذه الغرفة على ما تذكرون ضعفت عن إخباره بالحقيقة .. هي تريد الزواج .. فحاولت تشجيعها على قول ذلك لما تقابلتم هنا ؛ لكنها لم تستطع فعل ذلك .. ولم تسمح لي بالحديث عنها .. كان

الظن أن العلاجات ستنجح بالشفاء ، وتوقف هذا المرض .. فكان قرار الطب البتر ، ومع اشتداد مرض أبي تجاهلنا العلاج والزواج .. وهي صدقوا أنها راغبة بوجود شريك يتفهم ظروفها ومأساتها وتعيش الحياة الزوجية .. لا تريد توريط إدريس بمشاكلها الصحية ، فافتعلت أنها تفكر ومترددة .. والأمر لك يا إدريس .. هي قابلة بك زوجا بدون تردد .. وها أنا وضحت لكم سبب كل هذا التأخير .. قد يكون سرطان الثدي من أقل أمراض السرطان خطورة ؛ ولكن المريض يعاني .. وخشيت أن تترمل ثانية .. فأنا أمام السيدة سمر أطلب منك التفكير والنظر بها جد .. وأنا أتمنى أن توافق ؛ لتحقق لها السعادة بالزواج والحياة الأسرية التي هي إليها مشتاقة .. وإذا قبلت الزواج منها سنؤجل العملية إلى ما بعد الزواج والأعمار بيد الله

قال إدريس ملتفا لسمر : كان عليك أن تقولي ذلك من قبل.

قالت سمر : أنا لا أعرف هذا إلا الآن .

قالت هند : أحيانا كثيرة لا يستطيع الإنسان ذكر كل شيء .

قال: أنا لم أقصدك يا سمر ! وأنا قبلت بها سابقا ؛ ليس لأنها أول امرأة تعرض .. ولو صارحتمونا بذلك لتزوجها منذ زمن من أيام الوالد .. أنا ما زلت مستعدا للزواج منها يا دكتورة هند .. أنا الذي شجعني على الزواج منها عندما تحدثت السيدة سمر بذلك عدم قدرتها على الإنجاب ؛ لأني أنا عاجز عن ذلك في سنوات زواجي الأولى .. أنا قبلت بعد تأمل ليس لهفة على الزواج ..وليس طمعا بمالها ..كله بقدر الله.

قالت سمر : الآن الكرة عندكم يا هند .. وأنا متأكدة لو رغب إدريس بالزواج للزواج لتزوج من زمن بعيد كما نرى في دنيا الناس !

قالت هند : أشكركم جميعا ! وما دمت أنت مستعدا للزواج من أختي رغم علتها فعلى الرحب فالمال الذي تملكه ماذا يفعل لها بعد الموت يا إدريس ؟ سيصلك الجواب خلال أيام لكن إذا قدر الله وحصل النكاح الشرعي أفضل أن تقبل العيش بقصرها دون أي حرج .. وهي تحب العمل كما تعلم .. وصدق أيها العزيز أنها تقدم الكثير والمال والأدوية للجمعيات والأماكن

الصحية المجانية .. وسترى ذلك بنفسك .. وأرجو أن لا تشعرها أنك تزوجتها شفقة ورأفة حتى لو وقع ذلك في نفسك سابقا أو الليلة .

ـ العاطفة جزء من حياتنا يا دكتورة .. أنا قبلت ـ كما قلت ـ أصلا لأني لا أنجب .. فهذه العقدة التي كانت تمنعني من الزواج .. وبالنسبة للحياة معها في قصرها هذا أمر عادي .. لا حساسية لديّ .. فسأؤجر الشقة أو أعيرها .

قالت هند وهي تقف : جميل ! وأنا سعيد بها تكلمنا .. اتفقنا وستسمع أخبارا سارة .. أتحب أن أوصلك بطريقي ؟

ـ شكرًا .. أنا أنتظر زوج السيدة لحديث خاص .. سأدعوهم للإسلام .

ـ معقول! هذه مهمة صعبة ! رأيت مجادلات عقيمة لسمر .. فشقيق سمر دكتور شريعة ، ومن المشايخ .

ـ الله يضع سره في أضعف خلقه كما يقال .

وبعد وداع هند عادا للجلوس وقالت : هو في البيت ؛ ولكنه استحى من هند . ونادت بصوت مرتفع ، فظهر زوجها بعد قليل وسلم على إدريس ، وبعد التحايا قالت : قبل أن تتحدث عن الإسلام والدين تحدث عن الصورة .

ـ باختصار ، ولأنكم أصدقاء ، وساعدتموني في التحريات حول الصورة .. فالذي صور نبيلة هو والد هند ؛ ليطلقها سيف ويتزوجها .

صاحت استغرابا : الدكتور غريب!!

وبعد دهشتهم قال : نعم ، هذا ما تبين لنا .. وصورها داخل القصر باستخدام مسحوق السيطرة على العقل الذي يستخدم في علاج المرضى العقليين ، حيث كان يعمل في مستشفى أمراض عقلية ونجح .. وسيصدر كتاب عن حياة سيف بقلمي على شكل رواية اجتماعية .. ولا يعرف أحد أنها عنه إلا من يعرف المهندس سيف مثلكم .

ـ وأنتم كيف عرفتم ؟!

ـ هو اعترف لنا قبل موته برسالة خاصة.

قالت : هو فعل ذلك ليتزوجها !

ـ نعم ، طلبها قبل سيف ؛ ولكن أمها لم تقبل به .. والفتاة كانت تحب سيفا كما تعلمين .. ففعل الحيلة ، وورط مرادا عن طريق رسالة .. وسيف لما رأى الصورة ذهب عقله ، وتسرع بالطلاق وظهر الرجل أمام والدها بالبطل والشهم .. وتزوجها ، وماتت نبيلة وهي لا تعرف الحقيقة ؛ لكنها تشك بخبثه دون دليل أو اعتراف .. وهو لم يكن نظيفا.

ـ هذا معروف عنه .. وكانت بناته مخزيات من مغامراته رغم حياتهم في حي لا يهتم بمثل هذه القصص .

ـ وهذا سيظهر في القصة دون إظهار الأسماء الحقيقية .. وأرجو أن لا يبث هذا الخبر .

ـ وربع المليون !

تحدث إدريس عن التعويض الذي دفعه غريب لسيف ، ورفض سيف قبوله ، وحول على حسابي ، وقال : عوضه عن كل سنة عشرة آلاف دولار .

صاح زوج سمر : مذهل هذا السيف ! معقول!

قالت سمر : شيء رهيب الدافع والقابض والفائز !

قال إدريس : إذن هي ليست رشوة .. وهذا ما حصل .. فأنا في أقل من ساعة تحولت ثريا .. وإذا تزوجت زينب سأكون من أهل حي بهية ؛ ولكن ينقصني الورثة .. وسيف بسبب قصة الصورة صار صديقا لي .

قالت سمر : يا إلهي ! ما زال هناك أناس بهذا السخاء ! وقصة الدكتور سمير .

ـ سمير أخوك .. عندما تحدثت عن سبب طلب أم نبيلة منك أن تجدي لزينب زوجا متدينا ذكرت أن سبب الطلب أن أخاك إمام مسجد .. فتحريت عنه ، وقابلته ، وعرفت المزيد من المعلومات الخاصة عنك .. وحدثني أنه حاول مرات ومرات إقناعك بالعودة إلى الإسلام .. ووجد منك عنادا وصلابة أكثر من الروس الذين تخلو عن الماركسية في أيام معدودات وعرفوا

أنها نظام حياة فاشل ومتأخر ومتخلف .. ومن العجيب أن بعض العرب متعلق بها أكثر من أهلها!

قال زوجها : لم يعد أحد ينظر إليها كمنهج حياة يا صديقنا ! لكننا عشنا شبابنا وكهولتنا عليها فمن الصعب على بعض الناس التخلي عن ماضيهم وتاريخهم .

ـ رواسب الماضي ، والتضحيات التي قدمها لا تهون عليه ، والذي سجن وحرم من العمل في مؤسسات من أجلها .. يا سيدي العرب قبل الإسلام عبدت الحجارة والأشجار والكواكب وتركوا ذلك وعبدوا الله .. بعضهم بسرعة وبعضهم ببطء.

ـ وبعضهم تظاهر بالإسلام .

ـ قصدك المنافقون

تحدث سيف مع إدريس قائلا بفرح طاغ : تحدثت معي هند قبل دقائق .. وتقول لك: ألف مبارك يا إدريس لزينب سعيدة بقبولك لها بعد أن عرفت أنها مريضة بسرطان الثدي ، وتقدر شجاعتك ، وتضحيتك.. وهم بحاجة للقائك ، فاخترت بيتي للقاء عصرا ..صَل العصر عندنا صلى العصر في حي بهية ، ولما دخل بيت سيف ، كان الدكتور خالد وشقيقاته في انتظاره ، وسلم وحيا الجميع ، وجرى التعارف بينه وبين الدكتور خالد ، وأعجب إدريس بخالد ، ووجده مثل الطفل الصغير جسما وصوتا .

وقال خالد : أختي زينب لا تمانع من الاقتران بك يا أستاذ إدريس.. وقد ذكرت معلومات طيبة عنك.. وسنؤجل العملية الجراحية والاستئصال إلى ما بعد الزواج حتى تذهب بنفسية طيبة ، وزوج محب لها .. وأقول إن الأخت العزيزة ترغب أن تعيش معها هنا في حي بهية قرب صديقك العزيز سيف ، وقرب صيدليتها .. وذكرت هند أنك لا تمانع في ذلك ، ولا حرج .

قال إدريس : وكما يعرف أخي سيف أنا قضيت عمري أعزب مثله؛ لذلك انجذبنا لبعض بسرعة للتشارك المعنوي بيننا، فيمكنني العيش هنا ، وفي حيكم وبدون أي حرج أيها الأصدقاء وأنا أشرف بالزواج من الدكتورة زينب أخت حضرتكم .. وأنا أعترف أن الذي جعلني

أتشجع وأقدم على هذه المغامرة تشاركي مع الفاضلة بعدم قدرتنا على الإنجاب وهذا أمر الله علينا ، نسلم له .

وتحدث سيف فقال : إدريس أحب إليّ من إخوتي وأهلي .. لما تزوجت من عهد قريب كما سمعتم مرضت ، وقَعَدت في المشفى ثلاث ليال قضاهن معي .. رب أخ لك لم تلده أمك .. وهذا الرجل منهم .. وألف مبارك لك يا دكتورة زينب .. وألف مبارك لك يا أستاذ إدريس والأستاذ بكالوريوس صحة عامة .. يعني متعلم في الجامعة يا دكتور خالد .. وسيكون أفضل جار لنا.

واتفقوا أن يكون الزواج يوم الجمعة القادم ، وذهبوا لبيت زينب فقال سيف : أرى أن نغير غرفة النوم فقط يا إدريس كما فعلت أنا .. وهي هدية مني ، وأقسم على ذلك .

ومشوا إلى قصر خالد قصر الدكتور غريب ، وقدم لهم العشاء ، وتعرف إدريس على زوجة خالد وأولاده .. له طفلان فقط .. وجاء زوج هند ، وشاركهم العشاء ، وتعرف على إدريس وقال إدريس: غدا سأرتب أمور الزواج ، ونذهب للقاضي لعقد الزواج.. والجمعة نحتفل بالزواج.

قال خالد :حفل الزواج كما تريد زينب تريده أن يكون بسيطا ، وفي نادي الحي يا مهندس سيف ومقصور على عدد بسيط مائة إنسان وسيكون الحفل على نفقتي بإذن الله .

فقال إدريس: وأنا ماذا أدفع ؟!

قالت هند : المهر والصداق عليك.

ـ هذا مفروغ منه يا دكتورة هند .. نحن لم نتفق على المهر يا دكتور خالد .

قالت زينب : سيكون المهر دينارا واحدا يا أستاذ إدريس .. أنا لست بحاجة لمال، ولا متأخر ولا أثاث .

قال إدريس : قبلت يا سيدتي الكريمة .. وسأدفع عشرين ألف كذهب تتزينين به كذكرى لزواجنا الخالد .

ـ أحرجتني يا إدريس وسأقبله !

وفي مساء الجمعة احتفل الأصدقاء من جهة الطرفين بزواج إدريس وزينب في أحد الناديين في حي بهية ، وكان إياد وسمر وسوزان وعبير من ضمن المدعوين من جهة إدريس ، ولما انتهى الحفل تفرق الناس ، وأقيمت سهرة خاصة في منزل زينب شارك فيها الأعزاء العروسين العشاء وبعد شهر من الزواج خضعت السيدة زينب لجراحة لإزالة الثدي المريض ، وتعرضت لعلاجات صعبة ؛ ولكنها أحست بالسعادة بوقوف إدريس بجانبها خلال تلك المحنة ، وكذلك صديقه سيف .. وكانا لا يفارقان المستشفى إلا لماما للصلاة أو النوم بضع ساعات .. وخرجت السيدة بعد عشرة أيام ، وعادت للبيت وهي في غاية السرور من حب إدريس لها .. وكان عليها أن تتابع العلاج حتى تشفى تماما ، ولما استقروا في البيت قدم لهم زوج هند بهدية سيارة منه ، ومن زوجته بمناسبة الزواج ، وبمناسبة نجاح العملية ..وتسلم إدريس المفاتيح شاكرا .. وكانوا سعداء رغم مرض زينب .. ولما اقترب موسم الحج تجهز سيف وزوجته ، وإدريس وزوجته إلى رحلة عظيمة عند المسلمين ، وعندما تكون بالطائرة ستكون مريحة إلى حد كبير وأيسر من رحلة بالبحر والبر .. ورحلة الحج تكون بعد رمضان بشهرين .. وكان إدريس قد نشر القصة قبل السفر بأسبوع .. وكانت طبعة راقية وثمينة .

تمت

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

الشقق السوداء



٢٠١٥

حياتي قبل الحياة

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

حياتي قبل الحياة


حياتي


قبل


الحياة

نادي القراءة

دخلت قاعة القراءة الكبرى في نادي القراءة في شارع القارئ ، في هذه القاعة تجد عددا كبيرا من القراءة الصغار والكبار الذكور والاناث ، ولا يجلس فيها إلا من يرغب في القراءة فقط ، أما من أحب الثرثرة والمجادلة فهناك قاعات أخرى لذلك ، وفي النادي مقاهي صغيرة لجلسات خاصة أو عائلية ، ومطاعم متنوعة ، ولديهم في النادي مسرح صغير ، وصالة عرض لأفلام خاصة ، والاشتراك في النادي كعضو مقابل مبلغ يسير .

وأهم رواد النادي الأدباء والشعراء وغيرهم ، والنادي مفتوح لكل المواطنين ، ولا أريد أن أزيد في وصف نادي الثقافة والقراءة المجانية ، المهم أنني زرت النادي على موعد مسبق مع ثلاثة أشخاص عرفتهم من زمن بعيد من أيام المرحلة الاعدادية وأحببتهم ، أقصد الصديق العزيز مال الدين حسين الدين .. وثاني عرفني عليه مال الدين في المرحلة الثانوية ، ثم قبل سنوات عرفني على توأمه الأخت الفاضلة أولى التي تركت المعهد الفرنسي وتزوجت رجلا قد تزوج مرات متعددة ، وعملت في المعارف كمدرسة حتى تقاعدت من زمن يسير .

درسنا في مدرسة اعدادية واحدة أنا ومال الدين ، وكنا نقرأ الروايات البوليسية معا سواء في المدرسة أو في المنازل ، ونتبادلها ، ولما انتهى الثالث الإعدادي رحل لمدرسة ثانوية ، وذهبت لأخرى ، وظللنا أصدقاء لليوم عام ١٩١٧ ، وأصبحت أستطيع كتابة رواية ، وأستطيع تأليف كتاب ،فرغبت أن يحدثني عن أشياء عن حياته ؛ لعلي أستطيع تحويلها لقصة يتسلى بها الناس وذكرى لي ، ويطلع عليها الأجيال القادمة ؛ كي يعرفوا صورة مجتمعنا ؛ كما نجتهد لنعرف كيفية كانت حياتهم ومعيشتهم ، وبعد نقاش جاد قَبل أن يتحدث عن محطات مهمة منها ، أو أهمها واخترنا الحديث عن علاقته بأسرة ثاني موسى شاب تعرفنا عليه في فترة الثانوية .. وقصته فيها أشياء مهمة ..كيف هي حياة تلك الأسر الغنية إلى حد ما ؟ وكيف يستطيع الانسان التخلص من رواسب الماضي مهما كانت ؟ وأن التوبة يمكن أن تكون لكل عاصي أن يتحصل عليها مهما ارتكب من المعاصي .. ووافقت السيدة أولى بالحديث عن علاقتها وعواطفها نحو

مال ومقاومته لرغباتها الشهوانية ، وأنه استطاع أن يقنعها بالشفاء من كل أمراض المدنية والرغبة التي تدفع الناس للضياع مهما كان السقوط ، وذلك الفصل الذي كتبته عن نفسها واعترافاتها الصريحة ، قد تُعين من عاشت بمثل ظروفها وحالها أن تعود للحياة السليمة المتوافقة مع الحياة الإسلامية ، ولا تبقى على عنادها ، وتستسلم لشيطانها إلى الأبد .

قرأت في كتاب لمدة ساعة ، ثم غادرت قاعة القراءة متوجها لمطعم النادي الذي يسمونه المطعم الصحراوي بسبب شبه قاعاته بلون الصحراء والرمال حيث سيكون اللقاء على مائدة مال .

وما كدت أجلس حتى رأيت ستة عيون تحدق بي باسمة ، فابتسمت لهم ، وانتقلت لمائدتهم مصافحا لمال وثاني ومحييا لأولى ، ومعزيا بوفاة زوجها فشكرتني ، ورحبنا ببعضنا ، وتحدثنا عن أمورنا الخاصة، وأخبارنا ، وتناولنا وجبة مشتركة ، توددنا فيها لبعضنا بعضا حتى أني قلت لأولى: هل من زواج جديد ؟

ابتسمت وقالت : حدث ثاني عزيزي مالا بذلك فقال : أولى تترمل يا مال .. فهي كانت تريدك زوجا .

فقلت : وماذا رد مال يا ثاني ؟!

فتنهد ثاني وقال: قال بعد سبع وخمسين سنة نعدد ! وبعد أن داهمتنا الامراض نكرر .. أولى ذكرى جميلة يا ثاني ! ولا امرأة بقيت لي صديقة إلا هي .. فلنبق على ذلك .. وهي أخت فاضلة .. وكلما ترغب بزيارتها ؛ فأنا مستعد لمرافقتك نتبادل معها الحديث عن الروايات وغيرها .. فما زالت هذه الهواية تصاحبنا .

قال أولى : هذا أفضل يا جمال ! .. فصحتي اليوم لا تجعلني زوجة تقوم بواجباتها الزوجية ، ولن أتخلى عن شقيقي ثاني الأرمل مثلي من سنوات .

قال : أنت تعشين في بيتكم في درب القلعة !

قالت : نعم ، عدت إليه والعود أحمد كما كنا نعيش أيام والديّ وأهلا بكم في كل وقت وحين .

قال مال مندهشا : هل رحلت ؟!

قالت : منذ أن انتهت عدة الوفاة قبلني ثاني بالحياة معه .

فقال مال : هذا أسهل للقاء بك ! لم أعرف هذه المعلومة إلا الآن .

قال ثاني مبتسما : لها أيام معي يا مال .. والحمد لله ـ ووضع كفه على صدره وقلبه ـ وأنا سعيد بعودتها للبيت.. وكما تعلم أن شقيقي يزيد يعيش في الطابق الأرضي منذ وفاة والدتي .. وأنا في الطابق الاعلى .. واليوم لماذا التقينا هنا ؟

فقال الكاتب الراوي : لشكركم على ما كتبتم من خصوصياتكم ، ولأعزي أولى وإن تأخر عزائي ؛ لأنني لم أكن في المدينة من شهور ، ولأخذ موافقتكم على نشر ما اعترفتم به ، وامكانية نشره كما كتبتم ؛ لعل من اطلع عليها يعلم أن باب التوبة مفتوح ، وأن السعادة بالعودة إلى الإسلام مهما ارتكب الانسان من الآثام ، وأنه يمكن للمبتلى بالجنس ومشاهدة أفلامه أن يلجأ للإسلام ؛ لينجو من براثنه كما حصل لكما .

فقال مال : ويرغب صديقنا بإلقاء عددا من الاسئلة علينا خاصة أولى .

فقال الراوي : نعم، إذا أحبت ذلك ، والاسئلة حساسة نوعا ما ؛ وربما محرجة ؛ ولكن حراجتها أقل مما قلتموه .

قالت المرأة : هنا ..!!

قال : سنرتب لهذا إذا قبلتم .. وأقترح أن يكون في منزلك يا ثاني .

قال ثاني : لا مانع لديّ في الاجابة على أي سؤال أما أولى فلا أدري ؟

التفت الجميع إليها وقالت : كيف هي الاسئلة ؟

قال : عن المرأة والحياة الجنسية .

قالت بتردد قصير : إذا كان السؤال مناسبا أجيب عليه .. فأنا مربية ومدرسة وأواجه ؛ بل واجهت مثل هذه المشاكل من الطالبات والمراهقات .

انتقلنا لأحد مقاهي النادي ؛ لنشرب القهوة ، ونرتب لموعد مناسب لعرض بعض الاسئلة المحرجة على أم جلال .

ذهبنا لبيت ثاني في درب القلعة ، وطفرت الدموع من مال عندما دخل البيت وهو يصعد للطابق الثاني .

فقلت : تذكرت الماضي.

قال : تذكرت الماضي وأم ثاني وأباه .. كلما ألتقي بثاني هنا تدمع عيناي يا جمال .. كانت تألفني تلك المرأة ـ رحمها الله ـ وتتحدث معي كصديق ورجل كبير .. رغم صغر سني يومئذ .

وجدنا ثانيا قد أعد لنا غداء وضيافة ، فقبلنا ضيافته وشقيقته، وترحمنا على الأموات وذكريات الطفولة والمراهقة .

وقدمت لنا خادمته الشاي والفواكه ، وتحدثنا عن أحوالنا وذرياتنا وقال مال : لنبدأ لمَ اجتمعنا له .

قلت : السؤال للجميع ..هل وجدتم من فرق بين الحياتين حياة الجهل والعصيان وحياة التوبة ؟

تركوا الإجابة أولا لأم جلال ، فابتسمت وقالت : تقديم المرأة حسنا ! وهل لهذا التقديم سند شرعي ؟

صمت الثلاثة وقال مال : الدكتور يشير للعبد الضعيف بالرد .. بارك الله فيكم .. الاكرام والاحترام مستحب إن لم يكن واجبا .. الحق أن هناك تفصيلا .. ففي بر الوالدين حق الأم مقدم على حق الأب للحديث الصحيح عن النبي ﷺ أمك أمك أمك .

قال جمال : جميل ! حملته أمه وهنا ووضعته وهنا ، ثم الرضاعة .

قال مال : إكرام العالم والرجل الكبير والمرأة الكبيرة وذو الشيبة مطلوب شرعا ، والايثار مرغوب فيه ؛ لكن قولهم لا إيثار في القربات أو الطاعات بعضهم يرى ذلك ، وابن القيم الامام عارض هذه القاعدة في بعض كتبه وبعضها أيدها . وحق الضعيفين حرج عليه النبي ﷺ أما عبارة النساء أولا فهناك تحوم حولها قصصا أشهرها القصة الإيطالية أن شابا أحب فتاة وأحبته

ورفض أهلهما زواجهما ، فقتل نفسه قبلها ، وهي نكصت ، ثم تزوجت غيره فلذلك ظهرت عبارة النساء أولا من باب الحذر الذي ظاهره الاحترام ، ثم أصبح هذا عرفا في الغرب وعند الاحداث الجسام يقدم انقاذ النساء والاطفال على الرجال وفي كثير من الامور .

قال الكاتب : جميل فعلا ! لعل السيدة تجيب أولا .

قالت أولى : دائما أنت ممتع يا مال ! ما زلت تقرأ .

فضحكنا وقال ثاني : مال عجيب ! شكرا لك يا صديقنا .

قالت السيدة : حياتي بعد التوبة بالتأكيد أفضل وأروع .. فرق كبير بين حياة الهدف والغاية واضحة منها رضا الله والجنة ، وحياة من أجل الحياة ، ثم موت لا أدري ما بعده ! كنا نبحث عن متع الدنيا بدون غاية .. لهو ولعب وإضاعة الوقت .. هذا ما عندي .

قال ثاني مكملا : كان همنا اشباع الغرائز والحاجات الفسيولوجية فقط .. أما الروح فلم يكن لنا أي اهتمام بها ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)﴾ الحياة بعد الضياع كما قالت شقيقتي أرقى وأعظم .

قال مال : أنا فترة ضياعي كانت أقل منهما ؛ لكن حياتي بعد التوبة والعودة أفضل وخير مليون مرة عن حياة الجاهلية .. ذاك الفضل من الله لنا جميعا .. قد تكون توبهما أكثر دفئا مني ، فالذي يقع في الآثام أكثر تكون توبته فيها حرارة أكثر ؛ ولكنها توبة ، فأنا مثلا لم أعرف الخمر والنساء .

قال ثاني : ما أصعب أن يكون هدفك في الحياء لمجرد الشهوات والملذات !

قالت أولى : المشكلة البيئة والتربية .. الكل لديه الرغبة بكسب الملذات .. هكذا الحياة في نظرهم .. مال يجلب ، ثم ينفق على تلك الشهوات بدون ضوابط ، بدون غايات عظيمة .

قال الكاتب : جزاكم الله خيرا .. المهم لماذا الجنس يفسد حياتنا ؟

قال ثاني : لابد منه للحياة ، وهو فطرة وطبع وغريزة خلقت فينا والانبياء مارسوه .

قال مال : بالزواج ، ولم يفعلوه خارج الزواج .

قال ثاني : أكيد .. أنا قصدي الحاجة الجنسية مغروزة في الجنسين الذكر والأنثى ، فكما نأكل ونشرب ونتنفس ونُخرج وننام فالجنس مثل ذلك .

قال الكاتب : هذا مسلم به يا أصدقائي !.. السؤال لماذا نذهب إليه خارج العلاقة الزوجية ؟

قالت أولى : كما قال ثاني الغريزة فينا كغيرها من الغرائز ، وتبدأ ظاهرة بعد سن البلوغ لكلا الجنسين ، ويبدأ التفكير فيها ، ويتفاوت ذلك بين شخص وآخر ، والمجتمع الذي يعيش فيه الشخص هو الذي يكبح اندفاعها أو الاندفاع فيها دون محاسبة .. فنحن الشرقيون لا نحب تصريفها إلا في علاقة شرعية في مؤسسة الزواج يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أحصن للفرج ، وأغض للبصر فالبصر مفتاح الجنس .. أما المسلم الذي يجهل دينه ، ويجهل الحلال والحرام ؛ فإذا وجد منفذا إليها سيذهب إليه سواء بالمال أم بالحب والغرام .. فنحن نسميه الزنا ما دام لم يكن هناك زواج .. وغيرنا يسميه غراما وعشقا وخدنا ما دام بالرضا .. والسن له دور كبير في هذه الغريزة اقداما أو تراجعا .. تفكيرنا فيها اليوم ليس كما فكرنا فيه أيام الشباب .

قلت : والبرود الجنسي أهو مرض ؟

قالت : أنا معلمة ، ولم أدرس علم النفس إلا كثقافة .. وكنت أرى ما تعاني منه المراهقات خاصة الضعيفات في التحصيل الدراسي فينشغلن فيه كثيرا .. توصف الكثير من النساء بذلك .. لأن الرجل يستطيع إنهاء الجماع بدقائق وأما الانثى فيتحقق لها ذلك بعد زمن .. فهذا ما يدفعهم لوصف الأنثى بالبرود .. وربما لا تهتم بما يقال عن النشوة والرعشة ..المهم عندها الحب والعاطفة والاشباع العاطفي بالكلام بالغزل واللمس .. فالزواج هو من أجل الجنس وقضاء الرغبة .. فالمرأة تلبس وتأكل وتشرب في بيت والديها فلماذا تقترن برجل ؟ ! زين للناس حب الشهوات من النساء فالرجل هدفه الجنس والمرأة هدفها الحب .. وهذا معروف من قدم الزمن .. فالمرأة عندما تحمل تقل رغبتها في اللقاء ؛ إنما تقبل به إرضاء للزوج .. وهي مستعدة لقضاء أربعين يوما في النفاس ولا تفكر به ، ولا يعني هذا أنها عديمة الرغبة ؛ لأنها كما قلتم

حاجة فسيولوجية ، يحتاجها الجسم .. والحديث النبوي موجه للذكور يا معشر الشباب والمرأة تستطيع أن تعيش أرملة أكثر من الرجل.. وأيضا الزوجة الأهم عندها الولد والامومة ، وفي نظري هي أصبر من الرجل عن المعاشرة .

قلت : وما تقولين بالحرية الجنسية والزنا؟

قالت : يقصدون بالحرية الجنسية ممارسة الجنس بدون زواج وعقود مثل البهائم تماما ودون مساءلة .. والفتاة تستدرج لذلك بداية بالحب والكلام الجميل والغزل وهذا الذي يثيرها وترغب فيه ، وأن يكون لديها حبيب ، ثم تتطور العلاقة للجنس؛ لأن الشاب يريد ذلك ، وهي تقبل ظانة أنه صادق العواطف ، وهو أخذ ما أراده منها ، وأصبحت ضحية له ، ثم سيملها وسيعتقد أنها سلمت نفسها لغيره ، كما سلمت نفسها إليه ، فينتقل لغيرها .. أما لماذا تقبل الزوجة وذات الزوج الزنا ؟ فأعتقد أن ذلك له أسبابا كثيرة ، قد تكون الرغبة والشهوة ، وأن الزوج لم يحقق لها ذلك بسبب الامراض والعنة ؛ لأنه ليست كل النساء بنفس القوة والشبق والاعتدال .. فلها حيز في جسدها ، وقد يكون فعلها للثأر لكرامتها من زوجها بكثرة خيانته لها .. فأنا عشت في أسرة فاجرة ـ أقصد أسرة زوجي الأول ـ الكل يبحث عن الزنا والانحرافات الجنسية ، وتعرضت للإذلال بسبب هذه العلاقة يا سيدي ، ولم أكن أعرف من الدين شيئا ؛ فلذلك اضطررت أن أتخذ العشاق عمدا ، ولم يكونا بتلك الفحولة التي يتحدث عنها بعض الناس .. كانت معاندة لمازن كما كتبت ، وأنني لم أهتم بهجره لي .. وتذكر عندما تقرأ قصتي كان ذلك لقبول هؤلاء لي ، وأن وجود ذكر ليس من الأمر بصعوبة ؛ إنما تسلية والتخلص من الانشغال بتلك الرغبة الملحة .. وتذكروا أنني لم أكن متدينة لأخشى هذه الجريمة .

قلت: أشكرك الدين هو المانع للإنسان من السقوط والركض وراء هذه الرغبة ولو بالزنا .

قالت : أكيد وليس الخوف من أمراض الجنس وغير ذلك أليس كذلك يا ثاني ؟

قال ثاني : بلى ، هذا صحيح .. أنا وقعت في الفاحشة صغيرا وكبيرا ، بدأت تسلية ورغبة سهلة التحقق .. يختلف هدفي عن هدف أولى .. وأنا تلك الأيام كنت أشفق على أولى ، وأتعجب من

صبرها عن الرجال ، وكبتها لرغبتها الجنسية .. فنحن أقصد عائلتنا لم نكن ننظر للقضية ؛ كما ننظر إليها اليوم .. رغبة وعلينا تحقيقها سواء بالحلال أم الحرام .. فهذا الميزان غير موجود في العائلة هكذا تعلمنا يا جمال !

قال جمال الراوي : التحدث بهذا الأمر أمام البنات والفتيان بصراحة أصواب أم خطأ ؟

قالت : ربما في زمن كهذا .. زمن منفتح بالحديث عنه ، ووجود الصور والافلام الاباحية الحديث عنه مهم ، ويساعدهم بحماية أنفسهم ، فما يقول الدكتور ؟

قال الدكتور : الحديث جائز .. عندما نقرأ في كتب كذم الهوى لابن الجوزي ، وطوق الحمامة لابن حزم ، وأخبار النساء لابن القيم ، ونقرأ قصة النبي يوسف عليه السلام والكثير من الكتب داخل الكتب فيمكننا أن نتحدث عن الجنس بكل حرية ، وأرى أننا بحاجة بالحديث عنه أكثر لأنه أصبح يشكل خطرا على الشباب ذكورا واناثا ، والكثير من الجنسين جهال بالإسلام والتدين ، والتقليد للحضارة الغربية واضح في كل شيء أكل شرب لباس حلق الشعر ؛ فإذا تركنا هؤلاء بغير علم فسيضيعون كما ضعت وكما مرضت منه .. فكل شيء عندنا فيه علم .. الاستنجاء الاغتسال ادأب الزواج .. ما يقول عزيزنا مال ؟

ابتسم مال الدين وشكر وقال : الافلام الاباحية تملأ الانترنت ، وتختلف الغايات لكل شخص بالنظر إليها ، حتى أن البعض وصل للإدمان .. فنحن بحاجة لأدوية وحلول ؛ وكما قال الدكتور كثير من المسلمين لا يتحصنون بالدين والطهارة .. وهذه الغريزة من أقوى وأعنف الغرائز وأهلكت أمما كما نقرأ وحدث من قوم لوط لكن .. هل يكفي التثقيف فيها لحل مشاكلها ؟ هل يكفي أن نقول حرام ؟ هناك من لا يهمهم الحرام ، وهم يأكلون الربا .. فهي معصية مثل سائر المعاصي .. وهل يكفي حماية الشباب الملتزم المتدين منها ؟ فالضعف يقع فيه الجميع .. وسن الزواج ارتفع في كثير من بلداننا الاسلامية ، والطلاق زاد في غالب بلدان العالم .

قلت : حسن ما الحل ؟

قال مال : الحل ، لابد أن يكون هناك من حل وحلول .. والتمسك بالدين أحد الحلول ، فها

هم في الغرب يتعلمون عن الجنس من أول الابتدائي ، ومع ذلك بلدانهم ترتكب فيها جرائم الاغتصاب وهتك الاعراض .. والمرأة اليوم لها نفس صفات المرأة من أول الزمن .. والشهوات نفس الشهوات .. اليوم مثيرات الغرائز أكثر .

قال جمال : كيف نقاوم الافلام الجنسية ؟

قالت : أنا عندي فتيات تشاهد هذه الافلام بدون مانع .. ويعترفن بأن والديهنّ يفعلون ذلك .. فماذا سيمنعهن من الوقوع في الجنس إذا توفرت لهن الاماكن لفعل ذلك ؟

قلت: هذه هي المأساة يا دكتور !

قال الدكتور : حتى لو سمحنا شرعا بجواز رؤيتها هل ستعالج بذلك القضية ؟ فالنسبة للمتدين يكون الحل سهلا ، ولكن بالنسبة للصغار والجهال أنا في رأيي أن الأمر صعب .. الناس تعرف ضرر السجائر وتدخن ، يعرفون خطر الخمر ويشربونها .. أنا لا حل قاطع عندي .. فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

قال مال : الارادة للمبتلى أن يحمي نفسه ، ولا يشاهدها، ويبحث عن البديل الشرعي .

قلت : وما هو البديل؟

قال مال : البديل القراءة للكتب للقصص اشغال وقت الفراغ .

قال جمال : حسن .. لماذا العلاقة الجنسية مفسدة للحياة الزوجية ؟

قالت : لأنها الغاية من الزواج ؛ فإذا ضعفت ضعف الود والسكن بينهما .. وهي من أسباب فسخ الزواج ، وقد تكون من دوافع التعدد .. إذا كان الضعف من قبل الزوجة .. وقد تترك المرأة زوجها بسبب عجزه ومرضه .

قال الدكتور : إلا إذا كان كلاهما عاجزا عن المعاشرة بسبب .. أمراض .. كبر .. صبر أو أحدهم يرغب بالتضحية من أجل الآخر .

قال الكاتب : هل تكون السعادة بدون مال ؟

فقال مال : كل الفقراء سعداء من غير مال في الغالب .

هززت رأسي وسألت : هل تكون السعادة بدون جنس ؟

قال الدكتور : أعتقد جاوبنا على هذا السؤال ..لماذا العلاقة تلك مفسدة للحياة الزوجية ؟ يمكن أن تتحقق السعادة بدون جنس بقبول كل واحد منهما الآخر بكل عيوبه .

قلت : آخر سؤال .. الجهل بالجنس هل يضير ؟

قالت أولى : في رأيي لا يضير ، كما العلم به قد لا يفيد .. فهل القدماء وأهل الارياف والبوادي مثقفون في الجنس ؟ انهم يعيشون على الفطرة كما يقال .. وهذا أمر ينقل لهم بالتجربة ؛ لذلك تجد الكثير من الشعوذات والوصفات شائعة بينهم ..لا يضير الجهل به .

قال الدكتور : أعتقد أن جواب أولى فيه الكثير من الصواب .. فالقدماء والأميون في العالم يتزوجون ويعرفونه بدون ثقافة .. يتعلمونه من الحيوانات التي تعيش بينهم .

قال الكاتب : علينا أن نشرب آخر فنجان لنرحل .. وعندي عرض لكم يا ثاني وأخته .

خيم الصمت ، وحضرت القهوة التي اعدتها الخادمة ، ولما شربت .

قال الكاتب : بارك الله فيكم .

قال الدكتور : قلت أن لديك عرضا .

ابتسم هو ومال فقال الكاتب : العرض .. كلنا نعلم هوى أولى بالزواج من مال يا ثاني قبل هذه الحياة المديدة .. العرض هو خطبة الرجل لها .

قالت : وي يا جمال ! بعد كل السنين .

قلت : فكري يا سيدتي بعرضنا .. فأنتم من سن واحدة .. نفس العمر .. أنت كبيرة .. وهو مثلك .. تذكري أنه رجل العجوز .

قالت : ما الفائدة منه ؟ قال مال : شكرا يا أولى !

قال الكاتب : من سمع كلامك يظن أنك مراهقة .. ما رأيك يا دكتور ؟

قال ضاحكا :الرأي لأولى .. لقد أحبت الرجل بجنون حتى أني تفاجأت لما علمت بتلك الرغبة بالزواج منه ، وكان صديقي الفاضل يومئذ يخدم الجيش

نظرت أولى في عيني مال وقالت : أأنت جاد بعرض جمال ؟

رد : وهل هو يمزح ؟

قالت : يا الهي ! أفي هذا السن أتزوج ؟!

قال الدكتور نيابة عنها : على بركة يا أولى ! الاحلام تتحقق مرات في أجيال أخرى .

أخذت بالبكاء ،وانصرف الضيفان ، وقد قبلت بالزواج من حبيبها الأول ، ونقول بارك الله لهما وعليهما ، وجمع بينهما على خير ، ويسر لهما الاقتران والسعادة .

ولما نقرأ هذه الفصول من ذكريات الاصدقاء الثلاثة نحضر حفل زفافهما ونبارك لهما من جديد ونصف ليلة زواجهما الأولى فإلى الذكريات والاحداث .

البداية

بدأت حكايتي لما أصدرت وزارة المعارف نتائج الثانوية العامة لعام ١٩٧٨، لم أجد اسمي في قوائم الناجحين .. والحق أنني أعلم ذلك ؛ لأنني لم أقدم الاختبارات بشكل جيد ومريح ، فقد قصرت في بعض المواد وأهمها الرياضيات .

رغم الذكاء كما أزعم فشلت في اجتياز تلك المادة .. كنت ضعيفا في تلك المادة ، ولم أتحصل على دروس تقوية ، وخاصة فيها وفي مادة اللغة الأجنبية .. فنحن نأخذ مادة لغة أجنبية انجليزية أو فرنسية .. فأخذت الاولى منهما .. وعلى ما أظن حملتها مع مادة الرياضات الفرع العلمي .

كان صديقي ثاني أذكى مني في مواد الدراسة والحفظ والاستذكار .. فكان نجاحه متوقعا ، ولم يكن مفاجئا ، وكذلك نجاح شقيقته أولى توأمه . كنت أعيش في وادي النزهات ، وهو يسكن في درب القلعة ، ولم يكونا بعيدين عن بعضهما ، وكلاهما من أحياء المدينة الكبيرة .

المدرسة الثانوية بين الحيين هي التي جمعتنا ، وتعرفنا فيها على بعض ، من الصف العاشر درسنا سوية ثلاث سنوات ، كان بيته بيتي ، وكانت الثانوية تلك الأيام أول وثاني وثالث .

التقينا أول مرة في ملعب كرة اليد ، وجمعنا الملعب ، فصرنا أخوة لعبة ومدرسة ، نجحت في اللعب أكثر منه ، وتقدمت فيها ؛ ولكني لم ألعب مع فريق المدرسة .. تقدم آخرون عليّ.

كان دراسة أكثر مني ، ونجح في النهاية ورسبت . قالت توأمه عندما ذهبت إليهم مهنئا ومباركا : خيرها في غيرها يا مال الدين ـ هذا اسمي ـ أحببت لك النجاح مثلنا ؛ لكنك كنت يائسا وبائسا تلعب كثيرا ومغرقا في اللعب والسجائر.

قلت : مبارك النجاح يا أولى ..تمنيت لك ذلك .. وشكرا على مواساتك.. أين رفيقنا ثاني؟

ـ تفضل أبي في الداخل .. ذهب لشراء بعض الحلوى لما علم بقدومك ـ إن شاء الله ـ تنجح في المرة القادمة .. أكيد ستعيد الكرة .

كانت أولى عندما تعلم بمجيء مال تلبس ثيابا جميلة وتمشط شعرها .. فهي ترى أنه يحب ذلك فرددت على أكيدها فقلت: لست أدري يا جميلتي ! دائما أنت جميلة .. والنجاح جمّلك أكثر ..

وجوابا على السؤال لست أدري ؛ ربما .. العلم عند الله يا أولى العزيزة .. سنفتقد الزيارات بعد الثانوية .

قالت وحبها معروف لديّ : لن نغلق الباب في وجهك .. أنت صديق العائلة ..كل العائلة .. ولَك مودة في قلوبنا جميعنا .

قال : سنفترق يا عزيزتي !

قالت بحماس : سنبقى أصدقاء كما كنّا في هذه السنوات الثلاث .. أنت عزيز على القلب يا سيد مال الدين .. كل العائلة تعتبرك ابنا لها .. فالحديث معك ممتع .. هل قرأت قصصا جديدة ؟!

تبسمت وقلت : نعم ، قرأت العربي المجلة .. وبعض الألغاز المصرية التي نحب متابعتها التي قد وصل أعداد جديدة منها .. سآتيك بها .

قالت : إني بدأت أقرأ أجاثا كريستي طبعة المكتبة الثقافية .. لقد أحضر لي الوالد بعضها فهو محب لها .

ـ قرأت لها قصة أو اثنتين .. الشبح الغامض ، ولا أظن أنه الاسم الحقيقي .

خرج والد أولى أبو ثاني مرحبا بمال ومصافحا ، وبارك له مال بنجاح ولديه ، وتمنى موسى والدهما النجاح له في الجولة القادمة.

فقال مال : إذا تقدمت إليها يا سيدي .. اعلم أنني مسرور لم حصل لولديك الآنسة أولى والعزيز ثاني .

جلس مال في غرفة الضيوف ، وقدمت أم ثاني ، وقبلت الشاب صديق ابنها البكر كما تفعل في كثير من الأحيان ، ورحبت به .. فهو صديق ابنها الأهم في السنوات الأخيرة .. وكم سهرا معا .. ودرسا معا .

فقالت : كان عليك أن تجاهد يا مال .

ـ فعلت يا خالتي .. الرياضيات مادة كانت صعبة عليّ رغم حبي لها.

قالت : لعل المرة القادمة تكون أفضل .

ـ لا أدري! هل ستكون جولة قادمة ؟

قالت أولى : اسمح لي أن أحضر لكم الشاي .

هززت رأسي وقلت : شكرًا يا أولى سنفتقد شايك .

قالت أم ثاني : ستبقى صديق العائلة يا مال .. فهذه سنوات من العمر مضت تعودنا على وجودك معنا في المساء والليل .. ستبقى صديق الشباب حتى أولى كانت تحب وجودك الدائم وتعتبرك أفضل من كثير من صديقاتها وزميلاتها في المدرسة .. وترتاح في الحديث معك لصغرك وثقافتك خاصة غرامك في المطالعة التي تهواها .. فحتى ابني يزيد يحبك ويغرم باحاديثك الشيقة وأخبارك الغريبة .

قال : أنا أقدر لكم حبكم لشخصي يا خالتي .. كنتم لي كالأهل .. لن أنسى صداقتكم لي وكرمكم وتحملكم لإزعاجي .. افكر بتسليم نفسي للجيش .. وأخدم ما عليّ .. ولا داعي للتأجيل قبل اعادة الكرة .

قال موسى : الأفضل يا مال أن تدرس قبل الجيش .. فهو لن يطير .. ويصبر عليك .. أخشى إن قدمت الجيش أن تنسى الثانوية بسبب خدمة الجيش .

قالت الأم: كلام عمك موسى في موضعه ومحله .

قال : النفس شالت كما يقال من الدراسة .

قال موسى : لا تيأس يا ولدي ..فأنا قلت ذلك حتى لا تنسى المعلومات التي حفظتها خلال فترة الدراسة .. فلابد أنها مخزنة في دماغك .. وذهابك لخدمة العلم والجيش قد ينسيك إياها كلها أو أكثرها .. وعليك بدروس خصوصية للرياضيات واللغة الأجنبية وأي مادة صعبة.

أحضرت أولى الشاي حسب ما تعرف عن حب مال للشاي ، وأحضرت معه بعض المكسرات وسكبت الشاي وقالت : تفضل يا أبي

تناول موسى الكوب شاكرا برأسه ، وقبل مال المراهق الكوب ، وهو يقول : شكرًا أولى سنفتقد شايك

ـ البيت مفتوح لك.. سنبقى أصدقاء ، وستجمعنا القصص والكتب .. فأنت أخ كريم للعائلة وأخ لثاني .

قال مال : ماذا ستدرس الآنسة بعد النجاح يا أبا ثاني ؟

قال : كليه الآداب لغات فرنسي أو إنجليزي

قالت أمها : أنا أرغب أن تدرس إدارة أعمال .

قال مال : المحاسبة جيدة أو السكرتارية .. اللغات أتصور أجود يا عّم موسى .

قال موسى : الاختيار يعود إليها .. هي من سيتعلم لا نحن .. اللغات تعمل في الترجمة في الصحف في التعليم حتى في المؤسسات المالية .

ـ والأخ ثاني .

ـ يريد أن يدرس في كلية العلوم فيزياء كيمياء مدرس العلوم .

قال : أتمنى لهما كل توفيق .

قالت أولى : كنّا نتمنى مرافقتنا في الجامعة يا أخ مال .

قالت الأم : لن تفرق سنة إذا أعاد الامتحان

قال بضيق : النفس تعبت يا أم ثاني عن الدراسة .. أحبطت ولا رغبة للمعاودة هذه الأيام .

قال موسى : بعد حين سيذهب أثر الفشل .. وتعود لك الحيوية التي نعهدها فيك .. وتنشط للعودة والدراسة .. فأنت تمتلك الروح الإيجابية يا مال !

قال : أنت متفائل يا عمي!

قال : وأنت عليك أن تتفاءل ولا تحبط .. عظماء لم ينجحوا من أول مرة في المدارس ثم نجحوا .

ضحك مال قليلا وقال : عظماء.. يا إلهي!

قالت أم ثاني : لا تدع اليأس يغزوك يا مال .. كن كما تعودنا عليك .

قال: يبدو أن ثانيا سيتأخر .

صاحت أولى : اصبر يا صديقنا .. إنه قادم .. صدق أنه ذهب لشراء الحلوى لما علم أنك قادم

لزيارتنا .. فإننا محبوك ، ونعتبرك من أفضل الأصدقاء في السنوات الأخيرة .. ويحب الكل سماع أخبارك وأشعارك .

قال موسى: أما زلت تكتب القصائد ؟

تبسم الشاب وقال : استهواني الشعر زمنا .. اليوم هجرته ؛ لكن الآنسة تحب أن تذكرني بما كتبت لها أول تعارفنا بكم .. كانت تطلب مني قصائد لمناسبات معينة فأصدق أنني شاعر واكتب لها.

قالت أولى : صدق أن معلمة اللغة العربية أعجبت كثيرا من قصيدتين لك .. ولم تصدق أن هاوٍ ألفهما .

ضحك مال الدين وقال: أما أنني شاعر فلا ؛ وإنما معلمتك تلك لا تفقه في الشعر والأدب شيئا .

قال موسى بتردد : ربما ؛ ولكنك تكتب جيدا .. لقد قرأت لي أولى بعضا مما كتبت لها وراق لي .

قال بحياء : أشكرك يا عم موسى على لطفك مرة ثانية .. أيضا راق لي الرسم كما استهواني الشعر .. ربما يفعل الانسان ذلك متأثرا بما يقرأ عن أبطال القصص وقدراتهم الخارقة .. فبعضهم يفعل مثل هذه الأشياء

قال موسى : هكذا الناس يبدون بالمحاكاة والتقليد ، ثم الاحتراف يا بني .. لا يولد أحد شاعرا أو قاصا أو رساما .. ها هي أولى تحب رسم الخطوط والزخرفة العربية .. ولعلك تعرف عنها هذه الهواية.. فأولى يعجبها رأيك في كل شيء .. فهي تعتبرك عملة نادرة .

غرق مال ضحكا وقال : أنا وأولى نحب المطالعة ، هذا ما جمعنا أكثر .. نتبادل المعلومات حول القصص والروايات والمجلات .. أليس كذلك يا أولى ؟

ـ صحيح يا أبي .. ولكني أعجبت بك قبل أن أعرف هوايتك هذه .. فأنت قارئ جيد ومثقف .. ولاعب كرة يد جيد كما يقول ثاني .

قال موسى : ولاعب شطرنج ممتاز .. أعجبني لعبك يا بني .. لو تجد ناديا ومدربا ؛ لربما أصبحت بطلا في هذه اللعبة

قال مال : وماذا أفعل في البطولة يا عمّ ؟! .. فالأفضل أن أبقى هاويا .. فحياتنا صعبة وشقاء وفقر ، وأمامنا العمل والجيش الاجباري

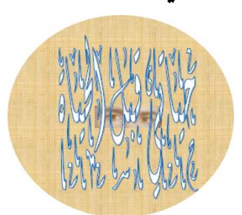
قالت أم ثاني : المهم الدراسة والثانوية يا مال .

حضر ثاني وجلب معه العشاء والحلوى ، ورحبنا ببعض عناقا .. فنحن رفاق المرحلة الثانوية .. وكرر مال المباركة ، وكرر الآخر المواساة ، فهما قد التقيا يوم إصدار النتائج منذ اسبوع ؛ إنما مال أحب أن يهنئه أمام الأسرة كلها ، ويبارك للآنسة أولى التي كانت تفخر بصداقته وصحبته لكل الأسرة ، وتفخر بصداقته لثاني .. وتجلس معهما في أوقات تركهما للدراسة والمراجعة .. وتسمع كلامه وثقافته ونشاطه .. وهو يسمع قصصها في المدرسة مع المدرسات والطالبات .. وبالمجمل يسمعان أفكار وأحلام بعضهما ، وتجمعهما هواية الكتب والقصص وتبادلها والتعليق عليها .

ولما انتهى الطعام والحلوى عادوا للجلوس في غرفة الاستقبال يشربون الماء والشاي من جديد . وكان ثاني ووالده يرغبان الشاب بتكرار الامتحان قبل الخدمة العسكرية الالزامية والجيش والتجنيد ، وأن الشهادة إحدى وسائل التقدم والمستوى الاجتماعي ، وأن الشهادة ليست هي مصير الانسان ، ويستطيع الانسان تحقيق الثروة والعمل من غير شهادة وجامعة ؛وإنما الشهادة مهمة في حياة المثقف ، وقد يعمل بها في الوظائف الحكومية وغير الحكومية .. وكذلك مواصلة الدراسات العليا كالدكتوراه للعمل في الادارة كدكتور أو جامعة .. وفي نهاية الجلسة دفعت أولى له مجموعة من القصص والكتب وقالت : لنبقى على تواصل ، وبيننا هذه الكتب .. فأنا أعلم شغفك بذلك .. ؛ ربما الجامعة ستبعدنا عن بعض أياما وشهورا .. فأرجو أن نبقى على تواصل واتصال ، وأن تبقى صداقتك لثاني ولي .. أليس كذلك يا ثاني ؟

هتف ثاني : بلى ، يا أولى .. فالأخ مال صديق كبير لكل الأسرة .. وعزيز على الجميع .. وبالتأكيد سنبقى زملاء كما كنّا خلال السنوات الثلاث.. يا مال فالبيت بيتك .. فأنت أخي كما أولى اختي .. فلا تخجل من زيارتنا رغم الفراق .

قال الشاب حياء : أنتم أغلى من الأهل يا ثاني ويا أولى .. لا أريد أن أدلل على ذلك .. فاحترامكم واجب وفرض عليّ .. وأنت نعم الأخ ، وأنت نعمت الأخت .. لا أنسى فضلكم وحبكم وتشجيعكم وسهرنا معا ، والحظ لم يحالفني وقد ضعفت الهمة .



التحق الشقيقان ثاني وأولى بالجامعة العربية الأول في كلية العلوم تخصص فيزياء ؛ ليكون معلم فيزياء .. فهو يحب التدريس ، وتعجبه مهنة المدرس ودوام نصف نهار .. وأولى دخلت الآداب لدراسة اللغة الفرنسية كما أحبت فهي معجبة بفرنسا والثقافة الفرنسية والأدب الفرنسي ؛ كأنها متأثرة بأدباء فرنسا .. وأنا أصرت أمي الغالية على قلبي أن أحاول مرة أخرى، وتكفلت بالمصاريف والنفقة على الدراسة الخاصة ، فسجلت اسمي في مدرسة خاصة بموقع عجيب في وسط المدينة قرب محكمة شرعية ، وحصلت على تأجيل خدمة الجيش الإجبارية لعام آخر .. فخدمة العلم لابد منها قبل الدراسة وبعدها .. فالكل ملزم بقضاء سنتين أو أكثر في القوات المسلحة الوطنية . لم استطع الاستمرار في المدرسة ، ضقت ذرعا وإفلاسا .. كرهت مقاعد الدرس ، وجدت نفسي غير قادر على الاستمرار .. لماذا لليوم لا أدري السبب ؟! لم استطع إكمال المرحلة الثانوية عام تسعة وسبعون فقررت أن اتعلّم فن التمديدات الكهربائية الخاصة بالمنازل والفنادق والفلل والمدارس حتى ينتهي العام الدراسي وألتحق بالتجنيد ..حسمت أمري أمام الملأ من قومي وخلاني في هذه الخطة .. الجيش أولا أخلص من الإجباري ثم عودة للثانوية .. لابد من التغيير ، وجدت تشجيعا من بعضهم ، وبعضهم رفض هذه الخطة ..التعليم أولا وهكذا ..وتلقيت رسالة من الصديقة أولى عزّ عليّ يأسك من الثانوية العامة يا مال الدين .. علمتك مقداما مثابرا .. لا أدري لماذا تضعف عن قراءة كتب المدرسة ؟! وأنت تقرأ عشرات الصفحات من الكتب والمجلات والروايات .. أليس هذا من العجيب ؟! .. المحبة

الغالي على قلبها أولى موسى .

فعلا هذا ما يحير كل من عرفني أيها الاصدقاء علقت القراءة والغرام بها منذ الفصل الخامس ، كنت أقرأ قصة الزير سالم والهلالية منذ الصف الخامس أو الرابع ؛ بل أذكر أنني اشتريت قصة المهلهل وأنا في الخامس الابتدائي الأساسي .. وقرأتها في ثلاثة أيام بخطها الصغير وصفحاتها الكثيرة ، وعلى قراءة سلسلة الألغاز المصرية التي أغرمت بها في المرحلة الإعدادية المتوسطة ، كنت أقرأ الكثير منها خلال الحصص في المدرسة.

كانت في طريق المدرسة مكتبة تؤجر هذه القصص ، فكنت أقف أمام المكتبة أقرأ لغزا لم أقرأه بقرشين على ما أذكر اليوم بأقل من ساعة ، ثم أستأجر عددا آخر لقرأتها في البيت ..كنت مستمتعا بذلك ..القراءة متعة ولذة لا حرمنا الله منها ، وما زلت لليوم محبا لها .. عجيب حبي للقراءة وكرهي لدروس وكتب المدرسة الثانوية رغم غرامي في المعرفة وكل المعرفة .

تعرفت على مجلة العربي الكويتية صغيرا .. كان ثمن العدد عندما بدأت أتابعها بثمان قروش وعشرة قروش .. كانت مجلة أنيقة وورقها أبيض مصقول من أجود الورق اللامع في ذلك الزمن .. كانت مجلة فاخرة .. وتعرفت على الكثير من مجلات ذلك الزمن سوبرمان الوطواط النجوم مجلة الشطرنج وكتب الشطرنج العراقية والمصرية .. وما زلت احتفظ بشيء منها ؛ وربما زاد .. وتعلمت لعب الشطرنج وافتتاحيتها ونهاياتها .. وكنت أذهب هناك وهناك للمباريات والتحدي .. أصابني هوس فيها .. وألفت كتابا صغيرا فيها .. وما زال مخطوطا بخطي الصعب القراءة ؛ ولكن لغة الشطرنج رموز وسهلة القراءة للمحب الولهان ، وشكلنا يومها نواة نادي شطرنج ، وصحبتني في رحلة التجنيد ، وفقدت رقعة أو حجزت في فترة التدريب الأساسي .

أما مهنة الفني الكهربائي فهي مهنة جميلة لمن أحبها وأتقنها، وعرف أسراها .. كانت أجرة العامل يوم عملت فيها خمسة وسبعين قرشا ؛ ولأني كنت أحمل شهادة توجيهي راسب أجرت دينارا واحدا في اليوم .. من الصبح حتى المساء بعد العصر.. تعلمتها خلال شهرين ، وكان بإمكاني العمل في ورشة وحدي .. وفعلا قد عملت ؛ لكن الانسان يحتاج للمزيد من الخبرة ،

الفكرة واحدة ؛ لكن الفن فيها يختلف ..يختلف التمديد في المنازل عن الفنادق والمدارس .. وربما أعطاني المتعهد الاول دينارا خجلا أقول ربما ؛ لأنه رفع أجور كثير من العمال .. عادة أصحاب الشغل يحبون إطالة فترة التعلم للجديد أكبر فترة من الزمن .. بعض المعلمين الذين عملت معهم أسرعوا في نقل خبرتهم لي ؛ ربما محبة أو غير ذلك .. والله أعلم .

السبب أن الفني إذا تعلم الحرفة بسرعة سينتقل للعمل معلما وبأجرة أكبر .. فالعامل اجرته بسيطة وقليلة بالنسبة للمعلم المتقن .

كان عليّ أن أتعلم قبل التجنيد والوقت يداهمني .. الموعد مع الجيش في شهر أيلول عام ثمانين .. لم يكن العمل غريبا عليّ .. كنّا في عطل المدارس السنوية في الصيف نعمل .. وقد عملت في مهن مختلفة مع المعارف ، وحتى في البيع المتجول كالحلوى والبالة والتحميل والتنزيل للرمل والطوب والبلاط والاسمنت ، وفي أماكن مختلفة في المدينة وحتى الفواكه والخضار في أماكنها والأسواق الكبيرة .. الواحد يحتاج لمصروف والشراء للدخان والتبغ ..قصة كبيرة عطلة المدارس .. فقد كنّا نرفع المواد للطوابق لمعلمين البناء والقصارة والبلاط وغيرهم عملت في حدادة البناء والنجارة وتنظيف الخشب من المسامير وفك الطوبار مع عدد من المعلمين شقاء في شقاء ؛ لكننا كنّا شبابا على قدرة على إنجاز مثل هذه الأعمال .

كان من نتيجة مثل هذه الأعمال الجلوس في المقاهي للتعاقد مع معلمي مثل هذه المهن .. وكان من نتيجة الجلوس فيها لعب الورق والشدة والتعلق بالدخان والسينما والرياضة .

لم يكن العمل في هذه المهن والحرف مستمرا ،كان متقطعا لم يكن دائما .. كان يخضع لعوامل وظروف شتى .. كنّا نعمل حتى نعود للمدرسة والعام الدراسي من جديد .. بعض الشباب يقضون تلك الأيام في النوادي والمسارح وغيرها .. نحن بحاجة لمصروف أثناء انقطاع المدارس ..كم هو قاس الفقر والطفر !

رغم هذه الآلام ما زلت أقرأ وأقرأ .. إنني مفتون بالقراءة . كنت أجلس ورفاقي في مقهى وسط المدينة ، مع جلوسي وتعرفي على عشرات المقاهي في أنحاء العاصمة إذ أنا من سكان العاصمة

كما يقال .

عرفت مقاهي الحي والأحياء المجاورة ؛ لكن مقهى الذهب في سوق الذهب هو المقهى الأهم يومها .. مقهى الشلة والرفاق واللعب والعنوان .

لم نلعب الميسر من يملك يدفع .. تعلمنا عشرات الألعاب من ألعاب الكوتشينة بأسماء كثيرة .. ألعاب كثيرة.. اللعب أيام الشباب له مواسم.. كنّا نستمتع بكرة القدم لعبا ومشاهدة حيث كان فريقان يشغلان تنافسنا ومجادلاتنا ومعاركنا وصراعنا .

لم تعد تتصل بنا يا مال ! فشقيقي ثاني حبيبك يقول :إنه لم يعد يراك .. لا تنسى ثلاث سنوات صداقة جمعتنا .. لديّ قصص وكتب كثيرة تحتاج إليك أكثر من الأول ؛ لأنني طالبة جامعة ، حتى ابنة عمي تسأل عنك.. فقلت لها مع رسوبك هربت من الحي .. ولم تعد قدماك تدخل حي درب القلعة .. المخلصة أولى .

أجبت برسالة أشكر اهتمامك أنت وعزة بشخصي .. كانت مثلك تحب لي النجاح .. حاولت الدراسة من تشجيعكم ، ولكني ضعفت وغادرت المدرسة بعد أن دفعت الرسوم وبعض الاقساط .. إنني أعمل وأستعد للتجنيد .. فموعدي شهر أيلول ثمانين .. نعم شهر أيلول الموعد يا أولى .. أحب رسائلك وكلماتك ونصائحك .. ألم تجدي صديقا بعد في طلاب الجامعة ؟ .. يقولون الجامعات مرتع لقصص الحب والغرام وغير ذلك .. المخلص مال الدين حسين .

كتبت بعد حين لا يا صديقنا ، بعدي لم أجد أو اتخذ صديقا محبا عاشقا مع أن بعض الفتيات تنقلن خلال هذه الشهور بين أكثر من حبيب وصديق .. هناك أحدهم يحاول يحوم حولي ؛ لكن ثقافته ضحلة .. وأتعجب كيف نجح في الثانوية وأنت رسبت؟! صديقك جل وقته مع الفتيات والحبيبات كما يحدثني .. أتمنى لك التوفيق ؛ ولعل الجيش يضيف لك تجربة جديدة ومفيدة وتستمتع به؛ لعلك تزورنا قبل التحاقك بالجيش .. فسأطلب من ثاني أن يدعوك لتناول العشاء والطعام مع الأسرة ..وأخيرا لثاني صديقتان في الجامعة لحتى الآن .. لا أدري من تكسبه وتفوز به ؟ أمي كما تعلم تخاف من الفتيات وألعابهن مثلك تماما .. لم أعد أسمع أخبار فتاتك

نهلة ..المشتاقة لكم أولى .

كان لابد من الرد أدبا كما هي يا أولى ..تحضر في الصيف مع أسرتها من الخليج.. فوالدها حسب ما أعلم يعمل في تلك البلاد .. ولا أدري ما يعمل ؟! فأنا كما أخبرتك شفويا عيوننا فقط التي تحب بعضها.. لم أكتب لها ، ولم تكتب لي ؛ لكنها عندما تراني أقف قرب بيت عمها حيث ينزلون لقضاء إجازة الصيف تخرج لتبادلني العيون والهوى .. هذا حبنا إذا سميته حبا .. فهي تبدي اهتماما بي .. أنا أفهمه والعشاق يفهمونه .. ولكني عذري الهوى على رأي بعضهم .. أنا رأيت بعض حب المراهقين والفتية من الجنسين رأيتهم أثناء لقاءاتهم وجلساتهم التي يسمح لي بالقرب منها كحارس أمين فأرى حبهن وشوقهن .. وما هو بحب ! الكل يتسلى ببعض ؛ فإنهنّ عند أول طارق يتزوجن ويختفين من وجوهنا .. هدفهنّ التسلية بالشباب .. ولم يعجبني هذا السخف .. شكرًا لرسائلك اللطيفة .. لعلي أزوركم قبل السفر إلى معسكر التدريب .. فقد قمت بالفحص الطبي ، وعين شهر تسعة أيلول الشهر التاسع من العام ثمانين لدخول المعسكر .. لعلنا نلتقي .. سلمي على والديك وإخوتك سلام كبير .. المخلص مال الدين حسين .

فعلا قمت بإجراءات الالتحاق بمعسكر التدريب كمجند لمدة عامين ، قمت بالفحص الطبي المقرر ، وتعين يوم الاجتماع في منطقة من المدينة فلا أذكر اسمها اليوم ؛ لكنها في المدينة الكبيرة . ودعت الأهل والعمل ؛ ولعلي كنت أملك بعض المال ، ولا أذكر قيمته وعدده ، ولما أعلن عن اسمي صعدت لحافلة عسكرية سيارة كبيرة معدة لحمل الجنود والطعام والذخيرة ، قد تكون علامة للخشونة العسكرية .. ولما اكتمل العدد المطلوب للشاحنة تحركت بنا جهة معسكر التدريب حيث يتسع المعسكر المقصود عشرات ألوف المجندين في البلاد .. وهو في قلب الصحراء وعادة كل أربعة شهور يستقبل المعسكر دفعة جديدة من المجندين .. السنة تستقبل فيها ثلاث دفعات على ما أذكر .. كنت من الدفع الأولى بعد العاشرة .. المهم دفعة شهر أيلول عام ثمانين .

وصلنا المعسكر مع الليل أول الليل ، كان الاستقبال في المعسكر الصحراوي الضخم من قبل الجنود الأقدم والضباط وضباط الصف ،كل ثلاثين مجند ضمن فصيل .

الفصيل يسمى فصيل مشاة لأخذ دورة أساسية أولية .. بعد الوصول يذهب بنا إلى الحلاق ليحلق رؤوسنا على نمرة صفر زيرو بواسطة ماكينة كهرباء .. ثم يصوروننا لإخراج بطاقة عسكرية ورقم عسكري لمجند بدون رتبة عسكرية مكلف عسكري اجباري.. ثم يستلم المجند ملابس وثياب عسكرية بدلات كاكي تسمى فوتيك ، وملابس مراسم للمغادرة والخروج من المعسكر حالة الإجازة ، ملابس داخلية جوارب جاكيت عسكري فلدة .. معطف شتوي للوظيفة العسكرية ليلا ، ملابس صوفية للبرد والشتاء .. بوريه غطاء رأس شعارات معدنية عليها اسم الجيش والشعار المعدني المعلق على البوريه .. حذاء طويل الساق للتدريب وآخر للإجازة .. علب طلاء أسود لتلميع الحذاء .. صندوق معدني لحفظ الملابس .. بطانيات وسرير وكوب للشاي والماء وصحن للطعام ومعلقة وربما أشياء أخرى غابت عن ذهني .

الحمام جماعي كحمامات المساجد .. عدة مراحيض خارج ثكنة المنامات .. الثكنة العسكرية تتسع فصيل كامل .. وكل عدة فصائل تعتبر سرية ومجموعة سرايا تشكل كتيبة وهكذا ثم لواء فرقة جيش .

للمجند ثلاث وجبات يوميا في الصباح مع شروق الشمس عند الظهر وفي الغروب ثالثة ، وبين الصباح والظهر وجبة على نفقة المجند يشتريها من دكان ومطعم الوحدة أو تجلب من الخارج عن طريق أحدهم .. ويباع في المعسكر في دكان الجندي الكنتين المعلبات والسجائر والحلوى الرخيصة وهناك نادي وتلفزيون وشراء الشاي وغيره .

وهناك حلاق وكوّى .. ويبدأ التدريب صباحا حتى الظهيرة ثم حصة تدريب عصرا يوميا ما عدا الجمعة.. وهناك عيادة أولية .. الدورة هي لياقة بدنية والطابور العسكري والمشية العسكرية وألعاب رياضة المشي .. وهناك عقوبات بدنية ووظائف حراسة ليلا غفارات تسمى .

حلق الدقن واللحية فرض كل صباح ، وكذا ترتيب السرير وتصفيط الأغطية البطانيات يوميا

ما عدا يوم الجمعة وقبل المغادرة للتدريب أو الإجازة .

كثيرة الطوابير على المراحيض والمغاسل على الطعام والتدريب وكل شيء. يمضي الشهر الأول بدون إجازة للمجند إلا من كان له واسطة أو مات أحد والديه .

يدرب المجند على بعض قطع السلاح ، وأهمها بندقية فردية فكا وتركيبا ، ويتدرب على تنظيفها وتلميعها وعلى بعض الأسلحة الأخرى والقنابل اليدوية .. والرماية الحية لعدد من الطلقات في آخر الدورة التي تحتاج لثلاثة شهور ، ثم ينقل المجند بعدها الى وحدات متنوعة من الجيش في طول البلاد وعرضها حسب الحاجة والثقافة والمستوى العلمي .. كانت دفعتنا أول دفعة تحتوي عددا كثيرا من المتعلمين في الغالب .

الحراسات الليلية التدريبية يتعرض فيها المجند للتفتيش من قبل عرفاء الفصيل ومن ضباط الصف ومن الضباط في بعض الأحيان.

يدرب المجند على استخدام القنابل اليدوية وسحب الصاعق وقذفها على مكان معين ، وعلى مدفع الهاون وعلى المدفع المحمول على الكتف لتفجير الدبابات والناقلات والاليات العسكرية وأغلبه تدريب نظري .

كل التركيز على المشية العسكرية يد يمين مع رجل يسار والالتفات يمين يسار . بعد الشهر الأول من الحجز والتدريب يسمح للمجند بإجازة نهاية الاسبوع بعد ظهر الخميس لصباح السبت .. والبعيد ربما يعطى يوما آخر كل أسبوعين .

يغادر المجند المعسكر بواسطة حافلة عسكرية لأقرب مدينة كبيرة ، فينام ليلة الجمعة وليلة السبت ويسعى صباحا لمعسكره أو لمكان معين .. وتأتي سيارة عسكرية لنقله للمعسكر الكبير في جوف الصحراء القاحلة .

والعسكري يجب أن يتناول وجبة الغداء يوم الخميس قبل مغادرة المعسكر بثيابه الرسمية .. فلكل عسكري وجبة طعام مخصص حسب برنامج ما.

ولكل سرية نادي عسكري ، ومطعم للطعام والسهر والسمر يسمى كانتين .. وله ميس ودكان

وفي النادي كراسي وتلفزيون ويعرض برامج ميكي ماوس .. والمعسكر له وقت يتوقف فيه التيار الكهربائي عدة ساعات .. وعند الفجر تعود الكهرباء ، ويبدأ صحيان العساكر ، ويبدأ النشاط بحلق اللحى والذهاب لدورات المياه ، ثم تلميع البسطار والشعار العسكري المعلق على البوريه ، والاستعداد لطابور الافطار ، ثم الانطلاق لميدان التدريب .. وبعد حين شهر يقل التدريب المسائي .. ويسمح بلعب كرة القدم وغيرها .

وكونت نادي شطرنج رغم أنها غير ممنوعة حجزت لنهاية الدورة ، ثم انتقلت ، ولم تعد إليّ الرقعة ولا القطع .. وأحيانا يقام طابور ليلي أو عند الغروب كتدريب مفاجئ أو عقابي حتى يتعلم المجند الخضوع والضبط العسكري .

ثلاثة شهور متتابعة في ذلك التدريب ، ثم يتخرج المجند ، ويرسل إلى وحدات الجيش المختلفة .. وألحقت بكتيبة اتصالات لاسلكي وسلكي في الشمال حيث الحدود كمجند إشارة واتصالات .. سأتحدث لك يا أولى عن أسلحة الجيش ؛ لأني كتبت هذا الكلام لصديقتي أولى فهي تحب ذلك كما أحس وأشعر .. واعترفت لي باستمتاعها بأي حديث أتكلم به .. واستمتعت في قراءة تلك الصفحات .

كنت مستعيرا لصندوق بريد من أحد رفاق الحي في وادي النزهات المجاور لدرب القلعة ، وقد كان السبب اشتراكي بمسابقة شطرنج عن طريق مجلة الشطرنج ، وهي اللعب مع ثلاثة آخرين بالمراسلة على ما أذكر ولمدة محددة من الزمن .. شطرنج بالمراسلة نقلة إرسال نقلة استقبال .. أذكر أنني فزت على اثنين والثالث انتهى الوقت المحدد .. والمفاجأة أن أحدهم بعد انتهاء الدور كان أحد طلبة المدرسة أحد الشعب الأخرى .. ورفضت الالتقاء به بعد انتهاء الدور .. ونشرت النتائج في أحد الأعداد .. وما زلت أحتفظ بوثائق ومسودات تلك الأدوار البسيطة .. وأنا ألفت كتابا قبل الجيش في الشطرنج ولعبها وقراءة أدوارها .

واحتفظت بصندوق البريد إلى حين ، وأستلم رسائل أولى عليه أثناء دراستها في الجامعة .. فكنت أستغل فرصة الإجازة لقراءة تلك الرسائل الجميلة والمثيرة .. كانت تكتب لي من مقاعد

وحدائق وساحات الجامعة .

كتبت لي رسالة جاء فيها صديقي البطل مال الدين حسين حولي شباب رغم حبهم لي كما يزعمون ويدعون أنا غير مقتنعة بهم .. وأحدهم يزعم أنني فتاته المنشودة والتي كان يبحث عنها خياله من سنوات ؛ بل كلهم يقول ذلك .. وهل يصدق هذا الزعم ؟ صديقي أنت الوحيد الذي اقتنعت بما يحمل من أفكار ومعتقدات رغم هروبك الى الجيش والصحراء الحارة المليئة بالغبار والرمال لم أميل لأحدهم ما رأيك بصحبة هؤلاء الطلبة العشاق ؟ وأخي ثاني محتار في اختياري لأحدهم .. وطلب مني أن أخذ رأيك ومشورتك بتلك الصداقات .. وأنت لم تعد تزورنا منذ دخلنا الجامعة ؛ كأن لم يكن بيننا صداقة وزمالة وساعات رائعة .. نعم صداقتنا لم تنقطع ماذا أفعل صديقي بهؤلاء الفرسان ؟ قل لي أيها الصديق المخلص .. أنا على يقين أنني لن اتزوج أحدهم ؛ لأننا من جيل واحدة سن واحدة .. وأمي لها قريب يكبرني بسنوات مستعد وجاهز ؛ ليكون لي زوجا .. وهو من أقاربها وتريد فعلا تحقيق ذلك قبل أن أتورط بعلاقة فاشلة مع أحدهم .. تراه مناسبا ..ولكنها فترة الجامعة يا مال .. وتقول إن أبي يقبله ولا يمانع إذا قبلته وترك الأمر لي ، ولم يتحدث معي بذلك وهذا طبع أبي .. أليس هذه معضلة ؟ عندما تأخذ إجازة وتقرأ هذه الرسالة زرنا .. فالبيت ينتظر زيارتك .. ويعرف أهلي عمق ما بيننا من صداقة وانفتاح .. وإن رأيك أفضل من رأي ثاني .. فأمي سمحت لي بدعوتك ومشاركتك بهذا الكلام .. أمي تحبك كما تعلم .. وترى نضجك وعجبت من فشلك في الثانوية.. وترى أن ظروف صعبة حدثت لك ، ولم تكشفها لنا .. أمي لولا السن المتقاربة بيننا يا مال لشجعتك على الاقتران بي لشغفي بك وبكلامك أيام مراهقتي التي لم تنته بعد .. وأنت تعرف ذلك ، وسمعته أكثر من مرة من أمي .. فأمي تزوجت أبي عن حب تقول .. فهي تحبك مثلنا .

فكتبت لها أن لا تتعمق بحب طلاب ، فهذا لا يقوم على أساس متين .. رغبات ثم يبحث عن غيرها ؛ لعله في سنة أخرى يرى فتاة أخرى فيتحول إليها .. فالجميلات كثيرات والصائدات العابثات أكثر ؛ فإذا رأى أجمل منك سينقلب قلبه إليها .. لا أساس سليم لهذه العلاقات ..

الاختلاط بين الجنسين والمراهقين مضلة كبيرة .

وأما الزواج من قريب أمك فقد يكون مبكرا .. أنت في السنة الثانية أليس كذلك ؟ فلينتظر إلى ما بعد الجامعة أو قرب انتهائها صديقتي .. فليس الزواج أثناء الجامعة مفيدا خشية الحمل والولادة وتعطل عن الدراسة ، وهناك الرضاعة الطبيعية أفضل من رضاعة القنينة هكذا كتبت لصديقتي بعد تخرجي من الدورة الأساسية للمشاة .. وعندما رحلت لصحراء جديدة حيث وحدة عسكرية للخدمة باقي سنوات الخدمة في سلاح الاتصالات السلكية واللاسلكية كتبت لي.

أنها ترغب أن تعيش قصة حب ، فالشاب يستهويها وهو يعشقها بشدة كتبت لها الفشل صعب خاصة في الحب ، فقد يكون صاحبك هذا عاشق جسد .. وما هو لعاشق روحك كتبت كل الفتيات لهن أكثر من صديق ، ويتحدثن عن علاقات بريئة ، فكتبت لها أي براءة في عشق جامعة؟ هل الشاب مستعد للزواج منك عند التخرج أم سيعمل حتى يظفر بك ؟ وكم سيستغرق وهو يجمع المال يا أولى ؟!

كتبت أني أقسو عليها

كتبت أنا أمنعك من التهور .. والأمر إليك .. وأنت طلبت مشورتي ووعدتها بلقاء مباشر عندما يروق لي الجو ووعدتها أن يكون قريبا .

أنا أعلم أن أمها تحبّني ، وتراني صديقا حقيقيا للعائلة الكريمة .



سوق العمل والتدريس

أمضيت أكثر من سنة في خدمة الجيش الوطني ، وقررت في أول إجازة أن أزور بيت صديقي ثاني وشقيقته أولى ، كانت أولى وشقيقها يقتربان من إنهاء السنة الثالثة من الجامعة .

كان اللقاء بعد المغرب ، وكان يوما ماطرا ، لم يتغير رقم هاتف منزلهم الذي أحفظه منذ بدأت صداقتنا قبل خمس سنوات تقريبا ، رحبت بي أم ثاني ، وطلبت مني العشاء معهم ، فلهم أكثر من سنتين لم يروني جسديا .

حين دخلت درب القلعة عادت بي الذكريات لإيام الثانوية والصداقة وبدايتها .. ذكريات جميلة .. تعشقت عبير تلك الأيام والليالي والسهر مع ثاني وأسرته ، وجلسات أولى الأدبية وغير ذلك .

وقفت أمام بوابة البيت لأضغط على زر الجرس الكهربائي .. فكرت كم ضغطت عليه عدد كرات ليلا ونهارا وصيفا وشتاء . . لما ضغطت فتحت أولى البوابة .. كانت جميلة كما تعودت على أناقتها دائما .. كانت تحب الجلوس معنا بملابس الخروج قليلا ما جلست معنا بثياب المهنة أو المنامات .

كانت جميلة تلك اللحظة ؛ كأنها عروس ترحب بزوجها ، وتسريحة شعر وعطر بين فواح يضرب الأنف سريعا .. فتحت البوابة فرحة وسعيدة بي شعرت بذلك ، ورددت البوابة لأسمعها تهمس باضطراب قبل التحية :كم أنت قاس يا مال! سنتان ولم تضغط على هذا الجرس .

دخلت البوابة وأنا أقول بعشق ووله :تحياتي .. الدنيا صعبة سلام عليك .

ـ وعليك السلام يا حبيب !

تصافحنا كما تعودنا وفاجأتني بأن ضمتني لصدرها ضمًّا عنيفا ، وتأوهت وارتجفت وصعقت .

قالت : لا تخف إنني أحبك.. أنت أخ عزيز وصديق غالي .

قلت مذهولا : يا إلهي !ماذا فعلت يا ابنة الكرام ؟

ـ أحبك أحبك .

ـ وأنا أحبك إنك عزيزة على قلبي ولكن ...

ـ لا تخف .. لن أتزوجك .. فأنت تحترم الأسرة .. ولا تحب أن تبدو خائنا .. أعرف هذا وحفظته .. ونحن من سن واحدة .. فنحن أقوى من الزواج .

ـ ماذا ستقول أمك وهي تنظر إلينا ؟!

ـ لن تقول شيئا .. لن تفعل شيئا .. هي تعلم كم أحبك وأرغب فيك شريك حياة .. وكما تقول لو لم تكونا قريبا سن لكنت أولى الناس بالزواج مني .. هكذا تَر أمي المانع السن .

ـ العاطفة قوية عندك نحوي يا أولى!

ابتعدت عن صدري بعد كل هذه الهمسات ، وأخذت يدي وقبلتها ؛ وربما تمنت تلك اللحظة لو قبلت شفتيها .. فهي تعلم حبي لها ؛ كأنها تقول ذلك ؛ ولكنها تعلم حيائي من أمها .. فهمست دون وعي : حبيبتي ! آه !! ليتني أحبك .

وقلت لنفسي وهي تداعب وجهي : هل جنت أولى ؟ فهي لم تفعل ذلك معي من قبل .

ولما زلفنا للداخل قبلتني أمها من وجنتي كما كانت تفعل قديما وقالت : أهلًا بالفارس مال الدين .. قلبك قاسي علينا .

قبلت كفها وقلت : أبدا أبدا أيتها الخالة الغالية ! إنما الحال تغير بعد الثانوية ..كان الفراق اضطرارا كما تعلمين .. انتهت الدراسة بفشلي ، ونجاح أولادك .. وغدا سيتزوج ثاني وأولى وأنا .. أليست هكذا الدنيا يا سيدتي الكريمة ؟

ـ يا لك من فيلسوف .. نعم ، هذا المصير .. كيف أنت والتجنيد ؟

ـ في خير حال .. مستمتع به .. لقد أنهيت دورة اللياقة والمشاة ودورة الاتصالات والشيفرات العسكرية .. وانتقلت إلى وحدة مقاتلة في سلاح الدبابات والفرسان أو الدروع كما تسمى اليوم .. أين الرجال ؟

قالت أولى وهي تنظر إليّ بشغف بين: أبي عند أمه ومعه أفراد الأسرة .. ويعتذر لك .. ولتعلم

أن أمه مريضة .. وثاني سيأتي فهو مع صديقته في المسرح .

ـ إنه يعلم بمجيئ .

قالت :كلنا يعلم أيها الغالي والجافي .. هو يعلم بالتأكيد.. ألم ترتب معه قبل الاتصال بنا ؟ ولكن موعده مع تلك الفتاة مرتب له قبل اتصالك وسيجمع بين الامرين مسرح وحب ومال .

قال متهكما: من صديقته اليوم ؟!

ضحكنا الثلاثة وردت أولى : كثيرات يا حبيبي حسناوات أخي كثيرات .. وأنا دون حبيب حتى الشاب الذي حدثتك عنه طار من برودتي كما يقول .. قد وجد من تعشقه وتحبه كما يزعم .. فارقني .. كم شكرتك من قلبي عندما ذكرت لي سوء حب الجامعة والتقلب ! كان يراني الأولى في حياته وهواه .. وأمي تعلم بنصحك وتعلم بمثل هذه الحكايات .. والحق أننا نحب مثل هذه الأشياء يا مال ؛ لكنك دائما في خيالي محذرا .

قلت : الحمد لله على صبرك .. هؤلاء الشباب يحبون مثل هذه الصداقات العابرة والعلاقات الطيارة .. فأنا أسمع قصصهم وضحكهم من قلوب العذارى .. ألم يقل شوقي : خدعوك بقولهم حسناء والغواني يغرهنّ الثناء؟ .. نسمع بقصص الحب والغرام والهوى أسهل كلمة تقال أحبك .

قالت دون تمهيد : من أجل ذلك ضممتك لصدري وتنهدت ؛ لتسمع خفق قلبي لك .. أنت أحسن حبيب ..أنا أقر بذلك أمام أمي .. تراك أمي خبيرا في فهم البنات .

نظرت لأمها بخجل واضطراب التي ابتسمت لي ولم تنطق وقلت: مما أقرأ وأقرأ .

لما قلت ذلك قالت أمها: أنت تحسن القراءة والتدبر يا مال .. فكلنا يقرأ ..قراءة عن قراءة تفرق .. منذ وعيت وأنا أقرأ الصحف اليومية والجرائد ، وحتى لما تركت العمل ظلت عادة تصفح الصحف والمجلات النسائية هوايتي .. وفيها عرض الكثير من المشاكل والحلول المقدمة لإصحاب الحاجات وطالبي النصح والإرشادات .

ولما سكتت أم ثاني عدت أسأل عن أفراد الأسرة فقالت : يزيد مع أبيه كما قلنا وعلا عند صديقة

لها تدرسان ..فهي في نهاية العام الجامعي الأول .

صحت : يا إلهي ! الأيام تمر من بين أيدينا بسرعة .

قالت أم ثاني : سنتعشى ، ولن ننتظر ، فقد سمحوا لنا بذلك .. هيا إلى غرفة الطعام

قال مال : أستطيع الانتظار يا سيدتي !

اجابت : ولماذا الانتظار ؟! موسى سيتعشى مع والده وإخوته .. وثاني قد يتعشى مع رفيقة المسرح الآنسة منايا .

قلت : هذا اسمها !

قالت : نعم ، هذا اسمها .. منايا

ـ حسنا يا سيدتي !

قالت أولى : سنتعشى يا مال ثم نجلس وحدنا على انفراد .. بيننا حديث طويل .. أرجو ألا تتردد .. وسيكون الباب مواربا ، قد تسمعنا أمي ، وقد لا تسمعنا .. هذا يعود لها .. الحديث حول مشاكلي وزواجي من مازن قريب أمي .. بيني وبينك فأنا أحب أن أسمع كلامك وحدي .

نظر لأمها وقال : الخلوة خطرة يا أميرة أولى.. أليس كذلك يا أم ثاني؟!

ـ كأنك شيخ يا مال ، الخلوة هذه عند المتدينين .

قالت أمها : هي تريد ذلك .. وأنا أعرفك أزعم جيدا يا مال .. سأكون في الصالون .. وقد أسمع كلامكم .. فهي تريد رأيك في موضوع مهم وخطير .. وقد أدخل عليكم بين الفينة والأخرى بشيء.. أنت ابن ثالث لي

قلت بخجل شديد : ما أخطر هذا الكلام يا أم ثاني !

قالت : نحن جربناك وأنت في سن المراهقة ، لم تختلس قبلة من أولى رغم اعجابكما ببعض .. وابنتي تحب رأيك في أمورها الخاصة .. ومن إعجابها بك كنت أظن أن بينكم علاقة خاصة ؛ ولكن أولى نفت ذلك .

قلت : لم أكن أسمح لنفسي بالخيانة .. أنتم فتحتم لي قلوبكم قبل بيوتكم .. فأنتم أعز الأهل والأصدقاء .. والأيام دلت وأكدت ذلك .. فلن أجرؤ على خيانتكم .. لا أذكر أني قبلت أنثى باسم الحب والصداقة .. أنا عشقت الحب العذري إذا كان هذا صحيحا .. لم أقبلها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها .. كما زعم زوج ليلى لقيس بن الملوح العاشق المشهور .. وأولى وثقت بي .. فلم يحدث أن قربت يدي لشيء منها ولو مازحا .. لم يحدث سوى المصافحة .

قالت : هذا ما تأكدت منه.. وأنا أثق بأولى خاصة تلك الأيام يا صديقنا .. أما أيام الجامعة فهي مسؤولة عن نفسها .. أنت رائع! ومن يعرفك يعجب بك ويحبك بحق .. ألم تعانق فتاة في حياتك ؟

ـ لم يحدث يا سيدتي هذا إلا اليوم عندما فاجأتني الفاتنة أولى بذلك على الباب إذا كنت تشيرين إلى ذلك ..وهي ترحب بي .. وكان ذلك مفاجأة

ـ وأنا تفاجأت مثلك برغبتها .. وأنا سمحت لها بذلك .. قالت أنا مشتاقة لضم مال إلى صدري إني أحبه فقلت افعلي .

تفاجأت حقا من صراحتها فقلت : يا إلهي! ألم تخافي من ردة فعلي وضعفي؟

ـ ماذا ستفعل ؟ أنت في الهواء .. وأولى ناضجة ، ولو تريد الخيانة لفعلت ذلك .. فحولها شبان كثر .. زملاء كثر .. وهي تسمع نصحك.

تبسمت لهذا الحوار وقلت لأولى: ألم يقبلك أحد ؟

قالت : حدث مرة واحدة دون رغبة مني ؛ ولكني أبعدته واحتقرته ، وقضيت يومين أبكي ، وأمي تهون الأمر عليّ ، تعلمت أن أكون لرجل واحد وهو زوجي .

قالت أمها : نحن في عصر عجيب يا مال .. ماذا يفعل الأهل أمام هذا الانفتاح الإباحي الرهيب ؟! القصص والصور والأشرطة والسينما والتلفزيون والرغبات والشهوات ، ونحن أسرة غير متدينة ، وأنت تعلم ذلك ، لست غريبا عن عاداتنا .. فزوجي يشرب الخمر من قبل أن أتزوجه وعلمني على شربها .. وهو لا يحب ذلك للأولاد يقول لهم لما تكبروا افعلوا ما شئتم .. هو لا

يشرب أمامهم .. نفعل ذلك في حجرة نومنا ؛ ولكنه أحيانا يكون سكرانا أمامهم .. وأحيانا اضطر لشرب القليل من سوء رائحتها كالدخان تعلمته منه .

قالت أولى: أمي دعينا من عيوب أبي .

ردت : مال اليوم كبير .. وكان يسأل ثانيا عن ذلك قديما .. كما قلت نحن لسنا أسرة متدينة ومتزمتة .

قلت مرددا مفكرا : متدينة ومتزمتة.. نعم ، ماذا يعني هذا ؟!

قالت: أنا أسأل عن هذا .. أنت الذي عليه الإجابة يا مال.. أنت تعرف في الدين أكثر منا لقد سمعت بعضا من أحاديثك لثاني أيام الثانوية عن الأحزاب الدينية .. أما زلت تذكر ذلك ؟

ـ نعم ، وما زلت أصلي أحيانا وأصوم كذلك .. أنا من أسرة متدينة كما الكثير من الأسر .. تدين تقليدي يا أم مال ؛ لذلك أفعل ذلك .. وأترك ثم أعود ، ولا أعتبر نفسي متدينا وملتزما .. وأعتبر نفسي إلى حد ما مصليا .

نهضت قائلة : حسنا ! هيا إلى العشاء طال الحديث .

قالت أولى : حبيبي ـ وهذا لفظ دارج بينهم ـ قالت : حبيبي مال الدين اسمك مثل أسماء الباكستانيين مال الدين حسين الدين

تبسم ورد : ربما أحد أجدادي منهم يا عزيزتي .

ـ ما أجملك ! تسخر مني !

ـ صدقي لا أدري .

دخلوا حجرة الطعام المعروفة جيدا لمال ، وضعت المائدة وانشغل مال أثناء الأكل يفكر بما سمع هذا المساء ، وعن سبب غياب الرجال وحتى باقي أفراد الأسرة ، وعن هذا اللقاء المرتب ، لم يأكل كثيرا ، وفعلوا مثله ، ولما انتهى الأكل ، ورفعت الأطعمة.

قالت أم ثاني : سأدخل المطبخ لغسل الأواني يا أولى خذي راحتك مع مال .. ودعي الباب مفتوحا كما اتفقنا .

ذهب مال بصحبة الفتاة إلى غرفة من غرف البيت إلى حجرة جلوس ؛ ربما استخدمت يوما في الدراسة ، وتركا الباب نصف فتحة .

قالت بعد الجلوس قبالة بعضهم : دخن إذا أحببت ـ ووضعت أمامه منفضة سجائر ـ فهي تعلم أن الشاب يدخن من أيام الثانوية .

فاستأذن بإشعال سيجارة فقال : شكرًا أولى.. ما الأمر ؟ الجو غريب الليلة .. ولماذا هذا الاستقبال والاجتماع ؟

حدقت للحظات بعينيه وقالت : نعم ، أنا تصرفت معك هذا المساء تصرفات غريبة تصرفات مراهقة .. سأفسرها لك .. أتسمح لي بالدخان ؟

قدم لها سيجارة وهو على استغراب ؛ لأنه يعرفها أنها لا تدخن .

فقال : لعل الجامعة علمتك التدخين مع الدروس .

ابتسمت وقالت :فأفعل ذلك في بعض الأحيان .. أتسول سيجارة من أبي أو إخوتي وبعض الزميلات .

ـ حسنا .. أنا مصغ لفاتنتي .

قالت : أنت دخلت بيتنا منذ ست سنوات أليس كذلك؟

ـ بلى ، منذ تعرفت على ثاني في المدرسة الثانوية ، واتخذنا بعضنا رفاقا وزملاء ، ثم تعرفت على الأسرة .

قالت : ومع ذلك لم تحاول مغازلتي كما يفعل الشباب .. لقد اعتبرتني كأخت حقيقية ، مع أنني كنت أجلس بينكم في ملابس البيت .. وقال لك ثاني أمر عادي إنها كأختك .

قال : وأنا اعتبرت ذلك حقيقة يا أولى .. ويجذبنا حب القراءة والهوايات المشتركة .. وأنت لم تحاولي مغازلتي .

ـ بل حاولت ؛ ولكنك تجاهلت ذلك ؛ وافترضت فيّ البراءة والعفوية .. أنت تعرف أنني أحببت أن أكون لك حبيبة غير الصداقة .

قلت معترفا لا مجال للكذب : أعلم ؛ ولكن ثقة أمك وأبيك بي منعتني من ذلك .. وتطورت تلك النظرات والاشارات وتجاهلتها .

ـ أنا كنت أختبرك لما تجاهلت حبي ؟

ـ وهل نجحت في امتحانك ؟

ـ جدا ، وأصبحت أغلى صديق .. وجعلتني ألا أنصاع لرغبات الجسد وقبول معاكسات الشبان .. حتى أنت عندي أفضل من البنات والقريبات ورأيك مقدس .

ـ ومن أجل هذا قبلت صداقتك الأخوية .

وقالت بدون مقدمات : ألم تشتهيني يا مال كزوجة عشيقة كما كنّا نقرأ ؟

كان سؤالا صريحا وصارخا بالشهوة ، فهي اليوم طالبة كلية ناضجة كأنثى ، نظرت في عينيها وبعد فترة صمت قلت : حصل ؛ لكن هناك موانع وضوابط يا أولى .. وهل كل ما يشتهى ينال .. أشتهي طعاما فاكهة ما ولم أحصل عليها .. ماذا أفعل ؟ وهكذا النساء .. ليس كل ما يشتهيه المرء يدركه .. نرى شيئا في فلم في الشارع في الكتاب نشتهيه لا نحصل إليه أو هو خيال .. كم راودني خيالك في بعض الساعات !

ـ جميل منك هذا الاعتراف! ألم تفكر بامتلاكي كأي أنثى أو الزواج مني؟

قلت : فكرت ؛ ولكنه مجرد فكر .. أنت أنثى .. ولماذا خلقت الأنثى ؟ ليشتهيها الذكور .. وستكونين لرجل واحد .. أنت أنثى وأنا ذكر .

قالت : لما احتضنتك قبل ساعة تحركت غريزتك نحوي.

تنهدت بعمق وأنا لا أدري أين ذاهبة بي الليلة : أكيد ! لست حجرا أو ملاكا يا أولى .. وهذا في رأيي أمر طبيعي ؛ ولكني تمالكت نفسي ورغبتي .. وقلت جنت فتاتي .. ولما رأيت أمك تقف على الباب استغربت تصرفك .. وأدركت أنها تراقب ذلك ، وتعرف تصرفك وأنني سأعرف سبب هذا الفعل الغريب .

تأوهت وعادت للتنهد وقالت: آه يا مال ! لقد اشتهيتك كزوج وتخيلتك تنام معي في

الفراش ..وحلمت بذلك عددا من المرات ؛ ولكني أعرف وفاءك وبغضك للخيانة ، وتكره الخائنات .. ولو حصل هذا واقعا لابتعدت عن البيت.

ـ لماذا هذا الحديث اليوم ؟

همست بوضوح :لأنني أحبك كحب امرأة لزوج وعشيق .. أرى فيك حبيبا وعشيقا .

ـ زوجا ! يا لك من طفلة ! وهل يستطيع مجند بعشر دنانير أن يفتح بيتا وأن يكون زوجا ؟! فإذا قضى الانسان شهوة الجسد ماذا سيكون بعدها؟.. لشهوة الروح أفضل أكمل .. متعة الجسد تنتهي بقضاء الشهوة والرغبة .. الشهوة التي تجتاح الناس اليوم .. كم يفتن الشباب إذا رأوْا صورة امرأة عارية ؟

ـ وهذا تجده عندنا في الجامعة ترى اللهفة في عيونهم وشفاههم عندما يجدون مجلة اباحية ...

ـ الموضوع المهم .

عادت تقول :نعم ، المهم أنك اشتهيني كما تشتهي الرجال النساء ؛ ولكن هناك موانع أبعدتك عني .

ـ أكيد ..وأنت تعرفينها ، وحديثك الليلة عجيب !

ـ أكيد يحق لك أن تستغرب هذه الصراحة .. عندما كنا نتكلم بمثل ذلك بها في الروايات كنت لا تستغرب .. أما لما نتكلم عن أنفسنا تستغرب ؛ ربما تقول هذه وقاحة ـ وأشارت إلي بالصمت ـ أمي يا مال تريد تزويجي من قريب لها وأنا أدرس .. لا تريد لي السقوط في أحضان الشبان والطلاب خاصة الذي حدثتك عنه في رسالة ، ثم وجد من تقبله عشيقا حبيبا .. ليست الاسماء القضية .. ترى أنني أضعف أمام الرغبة .. تخشى أن انفلت كما حصل لثاني بعد هذه السنوات من الكبت .. والشاب قريبها راغب فيّ بقوة ، وزارنا في البيت .. وأبي لا يمانع ، ويرى ذلك أحسن من علاقات الدراسة .. وأنت ما تقول ؟

حككت رأسي الأقرع وقلت: أنا بالطبع أعرف أولى وأحلامها وخيالاتها .. أنا بالطبع لا أعرف الشاب .. وأنت فعلا خائفة على نفسك .. ليس أمك فحسب .. أليس كذلك ؟

قالت : بلى ، أنا صريحة ، وأنا مثل الناس .. الرغبة تجتاحنا يا مال .. دائما أفكر برجل يداعبني ويثيرني كما أسمع من البنات .. ذاك الشاب كاد يوقع بي ، وأستسلم لرغبة هذا الجسد .. وهو تحول لزميلة لي لاستسلم له كما فعلت صديقتي .. وأطلب منه العودة .. ويرى أنني سأضعف وأسلمه جسدي .. فهو يتعرض لي عن بعد ؛ كأنه يقول أنا جاهز حتى لو أنني أصادق فلانة .. فأمي تريد أن أقبل بمازن قبل الضياع في مستنقع الغرائز .. وأنا أريد رجلا صراحة يا مال .. أنا أنثى .

قلت : اسمه مازن .. أنت مقتنعة به .. وقد قدم البيت عدة مرات .. أنت فتاة ناضجة يا أولى .. تستطيعين أخذ القرار بالزواج .

قالت بسخرية : هكذا ببساطة ..أنا لست مقتنعة به ؛ لكنه رجل مثلك يلبي حاجتي لرجل .

ـ نعم ، هكذا ببساطة ..أنت من كلامك الليلة .. النار تشتعل في قلبك للحب والغرام .. جسدك يضعف أمام الرغبة .. الزواج خير من العلاقات السريعة.. تزوجي ؛ ولتكن الخطبة سريعة خشية الاستسلام لها ، ثم يطلقك قبل الزواج الفعلي كما يغرر ببعض الفتيات .

ـ هل تراني شهوانية ؟

ـ ليس هذا قصدي ..كلنا لديه شهوة ، وخلقت فينا .. أنت لديك طاقة تُحبين تفريغها ؛ فلتكن بالحلال والبعد عن الغرام الفاشل؛ ولتكن في حب مازن الذي هو قريب أمك ..ويحبك .

صرخت : يحبني ! كيف عرفت ؟هل تعرفه ؟! هو يشتهيني فقط .

ـ لا ، ولا أذكر أنني رأيته عندكم ، ولا صدفته ؛ ولكن بعض رسائلك وأنت تتحدثين عنه ، والرغبة الجامحة في ثنايا كلامك وألفاظك تدل أو توحي بحبه لك وحبك له .

قالت بتفكر : الرغبة الجامحة يا إلهي ! لم أعاشر رجلا يا مال ما زلت عذراء!

قلت : أنا لم أقل إنك عاشرت رجلا ؛ لكن الكلام له إيحاءات وما وراءه .. ولهفتك على الاقتران قبل إنهاء الجامعة يدل على قوة الرغبة لشريك

قالت: أمعقول هذا كلامي ،ولا أشعر به معقول ؟!

قلت بصرامة : نعم ، معقول يا صديقتي .. لو تسمح الظروف لأعدت قراءة ما تكتبين .

عادت للسكون والتحديق في عيني : أستغرب منك هذا الكلام ، وهذا الفهم .. أنا أفكر كغيري برجل المستقبل .. أليس هذا أمرا فطريا ؟

ـ بلى ، المرأة خلقت لتكون زوجة .. خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها

ـ هذا قرآن !

ـ نعم ، قرآن .

ـ تقرأ القرآن يا مال !

ـ أكيد ، وأصلي وأصوم .

عادت تقول : أتزوج من مازن وترضاه لي ؟

قلت : مازن خير من غيره .. فهو يريدك .. وهو يعرفك ما دام قريبا لكم .. ويكبرك سنا ويشتغل .. فهو الذي حرك غرائزك للزواج .. وهو معروف للأسرة وخاصة أمك .. وهي تراه مناسبا لشبابك .

قالت بعشق لي : وأنت ألا أنتظرك ؟.. وربما الإشارات التي بانت لك في الرسائل موجهة إليك أنت .

قلت : نحن من جيل واحد وأصدقاء ومتى ؟

ـ الأصدقاء يتزوجون .

وانتقلت وجلست لصق فخذيه ووضعت يدها على فخذه وقالت: أليست لديك رغبة فيّ ؟

ـ أنا أحبك فعلا يا أولى ؛ لكن زوجة يصعب ذلك وبعيد .. أنا لم أنجح في الثانوية بعد .. لا دار ولا مال .. وإذا عدت إليها سيكون لديك على الأقل طفلان وربما أكثر .

مست وجهه وقالت : آه كم أرغب فيك ؟!

ـ ويحك أترضين لي الزنا والفاحشة ؟

ـ لم أفعل شيئا بعد والباب مفتوح .

تنهد وقال: الخلوة يا حلوة .

همست : قبلني يا مال .. دعني أشبع من شفتيك قبلني قبلة العاشق .

همست : يا الهي! الرغبة ترتفع لديّ أيتها الحبيبة .

ـ أنا أرغب فيك أنت .

طوقت عنقه فقال: لا، لا يا أولى .. فلنبق أصدقاء شرفاء .. أنت جميلة ومثيرة .. وعيناك جميلة وكلماتك تشعل النار في جسدي .

ـ وأنت جميل ! أنت أجمل فارسا أحببته كما تحب النساء الرجال .

اقتربت شفتاها من شفتيه وقالت : قبلني .

ـ الباب مفتوح

ـ أعلم .. قبلة الفراق والزواج من غيرك .

ـ لا سنبقى أصدقاء يا أولى .. لا تستسلمي للشيطان .

ـ القبلة الوحيدة استسلام للشيطان .

قلت : القبلة مفتاح الجنس .. أرجوك يا أولى تزوجي .. أنت النار والشهوة تلعبان بك .

ـ أتخاف من القبلة .. دعني أقبلك أنا .

ـ يا إلهي !ما بك اليوم ؟

ـ أهواك وأرجوك .

ـ كيف ؟ ابتعدي أين أمك ؟

ـ أمي في غرفتها ، لم أسمح لها بسماعنا .

ـ والباب المفتوح

قالت : لنتكلم بحرية ، ونحب بعضنا بحرية

ـ لا أريد أن أخسر صداقتك ورسائلك بقضاء شهوتنا يا أولى .

ـ لن أسامحك إذا لم تقبلني

ـ وأنا لن أسامح نفسي إذا فعلت .

ـ لي سنون أحبك .

ـ لم أفكر بذلك .. نحن أصدقاء ..عليك بالزواج من مازن في أسرع وقت .. تزوجي يا حبيبتي لم يعد عندك صبر عن الحب والجنس .

قالت : لم يعد عندي صبر عن الجنس .. أريد رجلا أنام معه وأحضنه ويضمني إلى صدره .. لماذا لا تكون أنت يا مال؟ أنت صديق العمر .

ـ أتقبلين لي الخيانة ؟

قالت وأنا أكاد أصدق : هذه ليست خيانة ..الكل يعلم في هذا البيت بحبي وشغفي بك .. وإنني أحبك كحبيب .. أحبك أكثر من الصداقة .. أمي ستقبل أن أتزوجك .. أنت لا تفارق فراشي يا مال .. أحس بك في كل لحظة .. ومعي في الحمام في الفراش في الجامعة رغم براءة نظراتك لجسدي فأنت تحب وتشتهي هذا الجسد وترغب فيه.

قلت : أنا أعترف باشتهاء هذا الجسد ؛ ولكنني لم أفكر بأن أكون الزوج الذي ينام مع هذا الجسد

قالت : طال انتظار القبلة .. مالك تقف !

ـ طالت الخلوة .

ـ أحبك . وقبلتني رغم أنفي وهمست : جسدي لك وقتما تشاء بزواج أو غيره لن تغضب منك الأسرة يا مال .

تزوجت أولى من مازن بعد هذا اللقاء الغريب والمثير ، وتعجبت من موقف الأسرة كلها منه .. موقف والد أولى .. كيف سمح لها بهذا اللقاء ؟! موقف أمها الموجودة معنا .. وفعلا لم تظهر بعد العشاء .. ذهاب ثاني ويزيد وعلا

اعتذرت لهم عن حفل الزواج الذي دعيت إليه ؛ كأن لم يحدث تلك الليلة شيء .. هل كانوا يجهلون أمر ما سيحدث ؟

وبقيت في المعسكر لم آخذ إجازتي الأسبوعية للبيت حتى استوعب ما حدث تلك الليلة ، كان اللقاء مرعبا بالنسبة لي ، وعلمت منه خطر الخلوة بأنثى يحل الزواج منها ، علمت خطر الشهوة لأني كدت أستسلم لنداء الرغبة وأقع في الحرام ، وعلمت منه خطر صداقة الجنس الآخر .. نارا اشتعلت في لحمي كله ، وما صدقت أن نجوت وخرجت من البيت هاربا ، ولم أقابل أحدا أثناء هربي قصدي أمها .. هربت من النار المشتعلة في جسد أولى .. أدركت خطر الجنس والنساء والغريزة تلك الساعة .. وكم راودتني النفس بالاستسلام .. الفتاة تريد ذلك بدون أي شك ، ولا ترى فيه أي حرج حتى ولو في قعر بيتها .. فكرت بضمها لصدري ومداعبة جسدها وأشياء أخرى .. كانت مستسلمة للغاية .. كانت ستسلمني جسدها بدون أدنى شك .. تلك اللحظات تفاجأت بصبري وهي تعرض نفسها عليّ .. الله سلم .. الخلوة بهنّ فتنة كبيرة .. فهن فتنة كبيرة جدا .. كانت ساعة مرعبة لأعصابي وشهوتي .. كنت لما أسمع قصة من معارفنا عن سقوطه اتهمه بالرضا والخور .. ومن ثم عجبت بعد النجاة من نجاة النبي يوسف الصديق من امرأة العزيز .. من امرأة حاكمة مالكة ، ومن شاب محكوم .. من شاب في بلد غربة .. فأنا امرأة لم تكن حاكمة، ولا تملك شيئا كادت توقع بي وتهوي بي إلى مستنقع الفسق والأجساد ، وتهوي بنفسها ، وتمرغ شرفها للذة دقائق .

أصبحت بعيدا عن أسرة موسى .. قصتي معهم انتهت بانتهاء الثانوية العامة ، ظلت علاقة مناسبات ومجاملات .. وكانت أكثر علاقة ظلت مع أولى بواسطة الكتابة إلى أن كانت الليلة التي أرادت الفتاة أن اعاشرها معاشرة الأزواج .. مما اضطرني للهرب .. وأنا في رعب وحيرة من تصرفات تلك الليلة السوداء .. أرسلت لي عدة رسائل تعتذر عما فعلت قبل أن تنكح مازنا ولم أرد عليها شكرتني في بعضها على أنني لم أستسلم لرغبتها الجامحة وطيشها تلك الليلة .. وقالت : سأبقى أحبك حتى ولو كنت مع مازن في الفراش . المهم أنها تزوجت بعد الحادث في الصيف ، وأصبحت ذات بعل وهي على مقاعد الجامعة .. وأنا تغير مسار حياتي الشخصية .. أنهيت خدمة العلم في العام التالي في الشهر التاسع كما بدأت منه .. والحمد لله أصبحت حرا

طليقا ، وشلت عن عاتقي هما وشبحا رغم استمتاعي صدقا بهذين العامين .. كان موقع خدمتي ممتعا ومثيرا .

ولما عدت للحياة المدنية كنت في حيرة ما العمل ؟ ما المطلوب ؟ تعددت المهن والأعمال .. الشاب يحتاج لمصروف ودخان وحياة ، لابد من العمل فاشتغلت في الطوبار والبناء كنجار وكحداد بناء .. كانت أياما قاسية وفراغا عجيبا في الحياة .. شهادة اللاسلكي لم أعمل بها ـ شهادة منحت لي من القيادة العامة لجيش الوطن ـ فكانت العودة للمدرسة في فكري .. أنا أعشق الفكر والأدب أكثر من المهن وعمل اليد .. أمضيت عاما ونصفا في حيرة وارتباك واضطراب حتى قدمت الثانوية العامة عام أربعة وثمانين ، ونجحت بفضل الله تعالى نجاحا بسيطا ؛ لأني درست في البيت فقط دراسة بيتية وامتحان .. وكان النجاح الغريب والمفاجئ لكل من يعرفني .. وبعد ذلك ماذا أدرس بهذا المعدل القليل ؟ ماذا أدرس ؟ حيرة من جديد !كان لي زملاء مثلي درسوا محاسبة إحدى أعمال قسم الاقتصاد والتجارة .. والنتيجة العمل كمحاسب في شركة تجارية أو بنك .. نعم بنك تجاري .. هذا ما كان أمامي .. دراسة معهد في كليات تجارية كليات متوسطة بين الجامعة والثانوية ..قد تكون جسرا للجامعة ، وكان عليّ أن أعمل لتأمين أقساط الدراسة.. العمل صباحا والدراسة مساء للحصول على أي شهادة.. كان أمامي الدراسة كمعلم أو إدارة أعمال أو سكرتارية معهد متوسط.. في النهاية درست في المعهد ليلا أو عصرا بعد دوامي في الورشات كفني كهربائي .. ولم أعمل في مهنة المحاسب يوما واحدا ولا ساعة واحدة مجرد شهادة ؛ لأنه في العام أربع وثمانين نفسه تغير مسار الحياة فعلا .. أصبحت متدينا بمعنى الكلمة .. تركت لحيتي على سجيتها .. وبدأت أقرأ في كتب الدين والعودة إلى الإسلام .. تفضل الباري بالعودة والمن عليّ بذلك .

لا أذكر كيف كانت اللحظة الاولى للتوبة ؟ مرضت مرضا شديدا الانفلونزا الحادة ، بعد أسبوعين تحسن الوضع ، تركت الدخان نهائيا بفضل الله .. تبت إلى الله .. لم تكن التوبة على يد شخص ما .. نفسي اشتاقت للتوبة والأوبة .. بدأت أرتاد المسجد لصلاة الجماعة خاصة العصر ..

تعرفت على إمام المسجد المصري الجنسية ـ مسجد الحي ، أقدم مساجد وادي النزهات ـ المسجد معروف لي ، وترددت عليه كثيرا .. وأصلي فيه الجمعة غالبا ، ومنذ عهد الطفولة .. كنت أجلس عصرا لاستماع كلام الرسول ﷺ على لسان الشيخ .. كان يقرأ من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم أحببت الشيخ شريفا .. وشجعني الشيخ على العلم الشرعي .. وقرأت التوحيد للشيخ محمد ، والواسطية لابن تيمية .. وجدت علما جديدا ؛ لكن العمل صباحا والدراسة ليلا لم يسمحا لي بالجلوس طويلا مع الشيخ الشاب المتحمس ، الحنبلي المذهب ، القادم من الجامعة الاسلامية في مدينة النبي ﷺ عرفنا الشيخ الفاضل على العلماء ورأينا شيخ العصر في مسجدنا الشيخ أبا عبد الرحمن الألباني ـ رحمه الله ـ كان ذَا هيبة ، ويذكرك بعلماء السلف .. كنت مبهورا به .

لكن شيخ جامعنا قامت عليه حربا خفية أجبرته على الرحيل والعودة لمصر .. فغادر الشيخ الشريف العزيز النفس إلى بلده .. أصبح المسجد في حيرة ، وخفت العلم السني والحماس العلمي لحين .. واشتعل الصراع بين الأحزاب الإخوان التحرير الدعوة الصوفية .. حرب خفية .. ثم سيطر التيار السلفي على المسجد .. انسحب الاخوان إلى مساجد أخرى .. اختفى الصوفية .. وضعف التبليغيون .. وأكثرهم أصبح سلفيا .

عدت للتوبة والإسلام ، وأصبحت محبا للصلاة بروحها وقنوتها ، محبا للعلماء لدروس المشايخ والعلم الشرعي .. أخذت أنسى صفحات الماضي وحوارات الماضي وفتيات الماضي .. انتهت المراهقة وإن كانت متأخرة .

بعد زمن المحاسبة بيسير تعرفت على شيء يسمى المعهد الشرعي .. معهد يعلم علوم الإسلام ويدرس المواد الشرعية مجانا وشهادة وفرصة عمل في وزارة الدين والإسلام .. قدمت أوراقي وكان ذلك في آخر عام سبع وثمانين .. وقد مضى الفصل الأول من الدراسة ، وبدأت لما قبلت من الفصل الثاني .. تأجل الفصل الأول حتى انتهي من الثاني والثالث والرابع ، ثم العودة للفصل الأول .. وبدأت مطلع سبع وثمانين .. نعم قبلني مدير المعهد كطالب مكافح ومجتهد

ومحب للعلم الديني .. أحببت العلم الديني .. وهو علم لا يشبع منه حتى القبر ، وإن كانت الدراسة الشرعية كمعهد وجامعة لا تشبع نهم المحب العاشق للعلوم والمنهاج الاسلامي ؛ ولكنها مفاتيح للعلوم كما كان يقول أحد علماء المعهد .. كان لديّ جوع وعطش لفهم الإسلام .. مضت سنتا الدراسة سريعا سريعا .. وأعتقد أنني تخرجت من المعهد عام تسع وثمانين ، وبعد التخرج بشهور عينت كإمام مسجد في أحد مساجد المدينة .

أما صديقتي القديمة أولى فتزوجت كما قلت لكم من قريب أمها ، وتخرجت من الجامعة تحمل شهادة جامعة آداب لغة أجنبية عام اثنين وثمانين .. وأصبحت أما .. وذكرت أنها رغبت بتسمية ابن لها بمال على اسمي ، ورفض زوجها هذا الاختيار بشدة ، واتهمها بعشقي ..وأنها باعت جسدها لي قبل زواجهما حتى رغبت بالانفصال ، لولا تدخل أمها في نفي ذلك الاتهام ، وأقسمت لمازن أنه لم يكن بينها وبيني أي علاقة جسدية .. وهدأت الأمور ، وعملت في معهد لتدريس اللغة الفرنسية للطلاب الراغبين بذلك .. والمعهد تابع للسفارة الفرنسية .. وراتبها أكبر من راتب زوجها .

وأما ثاني فقد تخرج مدرسا لمادة الفيزياء كما أحب أن يكون ، وعمل في مدرسة عسكرية أثناء خدمته للعلم كمدرس لمادة العلوم ، ثم الفيزياء لطلاب المرحلة الثانوية .. وتزوج ، ولم يتزوج من فتيات الجامعة وعشيقاته ، ولم أحضر زواجه أيضا رغم تلقيّ دعوة واتصالا هاتفيا .. كنت يومها قد أصبحت شيخا لا يحضر الأعراس وما شابهها .. أصبح العلم والسمت الشرعي مهواي .. أصبحت مجالس العلم مهواي وراحتي .. فكنت أتنقل بين المساجد لسماعها .. عادت البسمة لأمي بعد عودتي للدراسة ، وكما فشلت أولا في الثانوية كنت الناجح الأول فيها على مستوى العائلة .. إنه القدر العجيب .. أين يذهب بنا القدر؟ يذهب بنا إلى حيث يشاء الله .. سبحان ربي !

تزوج ثاني بعد أكثر من عام في العمل كمدرس تلاميذ ، لم يتزوج كما ذكرت سابقا من رفيقات الجامعة اللواتي تعرف عليهن ؛ وربما نال منهنّ جنسيا كما تدعي أولى ، ولثاني علاقات جنسية

كاملة من أيام الثانوية .. علمت ذلك من رسالة من أولى التي لم تنقطع بالكتابة إليّ حتى بعد تلك الليلة السوداء الغريبة كما وصفت لكم .. وأنا في العادة قليلا ما أرد عليها قبل تلك الحادثة .. علمت منها قصة تفاصيل زواج ثاني .. الفتاة جارة لهم في الدرب لم يكن بينهم علاقات خاصة .. كلهم من سكان درب القلعة .. كان والد الفتاة ميساء مديرا لمدرسة .. فتاة تصغره بثلاث سنوات .. رآها مرة واحدة بعد تعرفه على أبيها المدير والقيم لمدرسة ثانوية .. فخطبها من أبيها الذي قبله ، ورحب به صهرا له ولأسرته بحق الجيرة وبحق زمالة للتدريس . ولما دعيت لحفل الزواج اعتذرت لهم بأني لا أحضر حفلات زواج مختلط ـ وقد أصبحت متدينا بحق وحقيقة.. وهم وغيرهم لم يكونوا يتوقعوا أن أتدين بتلك الصفة ، وأصبح شيخا حقيقة .. فأنا منذ فشلي في الثانوية ضعفت لقاءاتي بتلك الأسرة ، وإن بقينا أصدقاء ، ثم كانت تلك الليلة التي أرادت أولى أن تصبح فيها علاقتنا علاقة أجساد بعد أن كانت علاقة أرواح وربك نجى وستر .. والذي ما زال يحيرني دور أمها الموجودة معنا في البيت ودور اختفاء باقي أفراد الأسرة.. أمر محير وما زال غامضا !

أولى مع ذلك لم تيأس من صداقتي ، وظلت تكتب لي من حين لآخر بأخبارها ومشاكلها مع زوجها وأسرتها .. تعتبرني ملاكا ومستشارا أبديا ، ولم أعد أكتب لها منذ هربي منها تلك الليلة السوداء كما كنت أفعل أحيانا قبلها .. وما زلت متشوقا لمعرفة سر تلك الليلة فعلا ..ولماذا سمحت لنفسها بعرض جسدها وشبابها عليّ مع وجود أمها في البيت ؟ تعشت الأم معنا وسر اختفاء أبيها وشقيقيها وأختها ..وأختها تزوجت أيضا بعد دراسة الجامعة ..

وأنا لا أدري لماذا أرادت أن تتحول الصداقة البريئة ـ كما كنّا نزعم ـ إلى صداقة جسد ؟! نحن في زمن عجيب .. لماذا لم أعرف ؟ لم تكشف لي سر تلك الساعة في أي خطاب .. فقط شكرتني على عدم الاستسلام لرغبتها وضعفها .

ولما قبلت في معهد المحاسبة أصبح عملي في الورشات من الصباح حتى الثانية ظهرا ست ساعات شغل فقط ، ثم المعهد حتى الغروب .. وكانت رحلة متعبة .. وتعلمت لكل بداية

نهاية .. والأيام تمضي وعليّ الصبر .. فأمي تحب لي ذلك ، وجاهدت معي دعاء ومالا .. وكانت غايتها أن يتعلم أكثر عدد ممكن من ذريتها .

ولا أذكر أثناء الدراسة الأولى أي حدث مهم في حياتي الخاصة والعامة سوى توبتي وحبي لصلاة الجماعة سواء في البرد والحر .. وكانت ملاحقة المشايخ وسماعهم والجلوس معهم مهمة .. ولم أتخذ منهم شيخا دائما إنما محاضرات وبعض الدراسات.. لذلك رحبت بدراسة المعهد الشرعي بعد ذلك .

هجرت معارفي القدامى سلام وانتهى الكلام .. بحثت عن أصدقاء جدد .. وكان لي ذلك بفضل الله حتى أن بعض القدامى يراهن على الانتكاس وينتظر عودتي إلى التيه وحلق اللحية التي اقتنعت أنها سنة نبوية ، ومن يومئذ لم أمد يدي إليها .. من تلك السنة منذ سمعت أحاديث اعفائها.. والحمد لله كانت السنة هواي ومقصودي ومبتغاي حتى الموت .. بعدت عن البدع بكل عنفوان وقوة .. وحاربنا أهل البدع قدر المستطاع وباللين والرفق ، لم نكفر أحدا ، ولم نحمل سيفا بالعلم والقدوة قدر الطاقة .

رأيت مؤامرة على إمام مسجدنا السني ؛ ولكن البذرة وجدت ، وأنبتت جيلا سلفيا عاشقا عاملا بالسنة والحمد لله .. وما زال أكثرهم سنيا ملتزما وذلك الفضل من الله وحده .

كانت معركة رهيبة اضطر فيها الشيخ المهاجر للاستقالة والعودة لبلاده رأيت كيف يحارب العلماء بكل بغض وكره ؟! .. كنت يومئذ تلميذ معهد المحاسبة .. كثير من فصول المعركة لم أرها سمعتها سماعا .. قضى عندنا الشيخ أربعة عشر شهرا ما زالت في وجداني وذاكرتي .. تعلمنا منه سنة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ..حب صلاة الجماعة ، وطلب العلم وحب العلماء السنيين .. رفض الاعتذار للخصوم بإباء ليبقى .. نعم رفض ورفض الانتقال لمسجد آخر .

عرفت كيف يحارب العلماء ؟ ظل المسجد لشباب السنة والاعتقاد الصحيح اعتقاد السلف الصالح .. وذُكرنا بكيف كان يحارب أهل السنة في القديم والحديث من قبل العامة والسفهاء

والمخاتير والأحزاب والوجهاء الجهال ؟ ..كان وقتي لا يسمح لي بالقتال عمل شغل دراسة.
أنهيت المحاسبة وعرض عليّ العمل في السعودية في أحد بنوك الربا المشهورة ، والعمل في تونس كمحاسب ، العمل في مصنع للفول كمراقب عمال ، العمل في مصنع مواسير ، العمل كرئيس فرقة حفلات زمار أو طبال يا للناس ! ويا للجهل ! وكان الاختيار الدراسة من جديد دراسة الشريعة في كلية شرعية على نفقة وزارة الجوامع والدين ؛لأكون إماما من بعد الضياع والتيه .. وهذا شيء لم أفكر ؛ ولكنه صار بفضل من ربي .

اتخذت كما قلت أصدقاء جددا ، وهجرت أصدقائي القدامى هجرا جميلا ، وهجرت المقاهي والسينما والرياضة معهم منذ بدأت التدين الحقيقي .

ذكرنا أن صاحبنا وصديق الشباب ثانيا تزوج بعد عمله كأستاذ مدرسة من بنت مدير المدرسة وظهر أنها من بنات الجيران ، لم نكن نعرفهم تلك الأيام ؛ لأني أعرف الكثير من رفاقه في درب القلعة ، ولم تمض حياته الزوجية آمنة هادئة .. كانت هناك مشاكل سمعت عنها من بعض رفاقنا إذا تقابلنا وسألت عنه ، واتصل بي وطلب المساعدة وزعم أنني تخليت عنه، وعن صداقته ، ونسيت العشرة والعيش والملح ، وطلب العون وتجديد الصداقة فذكرت له أنني تغيرت وعدت للإسلام والأمان والدين وأنني تغيرت ، ولم أعد كما عرفني أول مرة .. وتركت كل الماضي .. وأنا أعلم أنه سمع بقصتي وتغيري .. هذا أمر لم يكن مخفيا أو سرا .. وأبدى رغبة باللقاء بي لمساعدته في مشكلته الخاصة ، فوافقت ، فلا تُنسى كما يقال عِشرة سنوات مهمة من حياة الإنسان .. وكان ذلك بعد أكثر من سبع سنوات من الفراق والبرود .

جاءني إلى المسجد مسجد الرباط ، استقبلته عند باب المسجد وعانقني وعانقته وتعاتبنا ، كل يلوم الآخر .

وقال : أين سنتحدث ؟

أخذته إلى مكتبة بيت الله حيث كنت أحد أعضاء المكتبة وأحد المسؤولين عنها .. وعاد العتاب وتذاكرنا أيام زمان .. وتناسيت تلك الليلة الغامضة من حياتي .. فهو لم يشهدها .

قال : أنا تزوجت بنت زميل لنا في التدريس . وقص عليّ حكاية زواجه من ميساء بنت المدير وبنت الجيران .. والقصة أن البنت راغبة في الانفصال وتركه بسبب الحمل وتأخره.

فقلت : وما موقف والدها وأسرتها ؟

الوالد : يا مال متردد .. وأمها ترغب بذلك .. وترى أن هذه السنوات كفاية عن تأخر الحمل .. هذه الحكاية يا شيخ مال الدين .

ـ وسبب عدم التخليف .

ـ يبدو أنني عاجز عن ذلك برغم الفحوصات التي تقول غير ذلك ، وأن سنوات الزواج هذه كافية.. لنا أكثر من سنتين يا صاحبي .

ـ سنتان زواج تكفي .. وماذا أستطيع أن أقدم لك أنا ؟

ـ تتحدث مع والد البنت وتبين له مساوئ الطلاق ، وأن الصبر مطلوب ، وأن الذرية من الله .

ـ وهو المربي لا يعرف ذلك .

ـ يعرفه ؛ ولكن لما يسمعه من غيري له وقع آخر .. ويزعم أنه التقى بك .

ـ التقى بي ويعرفني !

قال : هو ذكر ذلك أمامي .

قلت لصديق المرحلة الثانوية : صدق يا ثاني أنني لا أعرفه ؛ ربما إذا رأيته تذكرته .. المهم أن ألقاه .. فأنت صديق العمر .. ذكريات وسهرات يا ثاني .

قال : هذا العشم فيك يا مال .. متى سنذهب ؟

ـ اليوم .. وسآخذ معي بلالا .

ـ من بلال ؟

قلت مبتسما : صديق الجامع .. هو حلال مثل هذه القضايا والمشاكل .

عرفه على سيد بلال ، وبعد صلاة المغرب انطلقوا الى درب القلعة ، وطرقوا بيت المدير حمي ثاني أبي ميساء .. ومن حسن الحظ وجدوا الرجل في البيت وذكر أنه يعرفهم ، وصلينا في مسجدهم ..

ورحب بهم ، ولما عرف سبب الزيارة امتعض في البداية ، ثم قال: أنا جاهز لأي حكم منكم ، فمجيئكم مقدر عندي .

استمعوا لسبب المشاكل بين الزوجين من طرف الرجل وابنته التي حضرت الجلسة لتشهد الكلام ونتائجه في آخر الجلسة ، وأبدت استعدادها للعودة لبيت الزوجية على شرط أن تعيش في بيت مستقل ، وبعد تردد ونقاش قال ثاني : عليّ أن أتحدث في ذلك مع والدي .. فكما تعلم يا مال بيت الأسرة كبير وواسع .. وأنا أكبر الأبناء .. وإذا سبب طلب الطلاق هذا سأستأجر بيتا يا ميساء .. وأمري إلى الله كما يقال .. ويا سيد مال الدين ويا أخي بلال إذا لم يحدث حمل خلال سنتين لثلاث سأطلق ، ومن حقها أن تكون أما .

تم الاتفاق على ذلك ، وأن من حق ميساء الذرية بعد سنوات خمس أو ست من الزواج ؛ لأن ذلك أحد غايات الزواج .

حضر والد ثاني بناء على هاتف ، وراح في عناق طويل مع مال ، وعلق على لحيته مع قليل من العتاب .. واطلع على الاتفاق وحديث الصلح .. وطلب هو من والد ميساء أن يستأجر بيتا لابنته بيتا قريبا من داره .

ولما قال الرجل : تشاور مع أم ثاني .

قال بحدة : امرأتي تحب سعادة ابنها يا أبا رمضان .. ونحن نحب لهما أن يرزقا ذرية .. من يكره ذلك ؟! ولماذا تتزوج الناس ؟ وأنا ساعدت في علاجه .. وكل أطباء العقم أكد أنه يستطيع أن ينجب ، ليس لديه مشاكل من هذه الناحية طبيا .. وميساء تعلم ذلك .. شكرًا لك شيخ مال الدين وشكرا شيخ بلال .

وتم الصلح ، وانصرف الشيخان لحيهما شاكرين الله على ما أجرى على أيديهما من صلح ومنع طلاق ولو إلى حين .

وتلقى مال رسالة من أولى بسبب هذه الحادثة ، وتمنت أن تعود الصداقة القديمة بينهم ، وأن ينسى مال تلك الليلة ، وما حدث فيها من إغواء ومراودة .

وما زال مال الدين يرغب بمعرفة سر تلك الليلة والمراودة مع علم والدة أولى وثاني بها .. ولماذا سمحت لابنتها بذلك؟!



السفر والإمامة

ما دمت يا مال الدين محبا للعلم الشرعي فهناك معهد شرعي مجاني في ذلك الموقع يعلم الدين

هذا ما قاله لي طالب الماجستير الشرعي الإندونيسي عبد المجيد الساكن في الحي ، ويصلي في مسجدنا ، ويعاشرنا ليتعلم اللسان العربي الشعبي .

ـ أين ؟ وذكر مكانا جوابا على أين .

ذهب مال وقدم الأوراق المطلوبة للمعهد الشرعي ،ولما قبل تفاجأ فعلا .. وشكر الله على قبوله تلميذا شرعيا، وسيبدأ الدراسة من الفصل الثاني فالأول قد فات موعده .. والدراسة صباحا وتنتهي ظهرا ، فلا مجال للعمل صباحا في الكهرباء أو غيرها .

الدراسة الشرعية مواد ومعارف دينية فقه تاريخ خطابة ووعظ قرآن تجويد لغة نحو شعر أدب حديث مصطلح عبادات معاملات حدود تاريخ فقه تاريخ تشريع .

مضى الفصل كما تمضي الأيام ، تجدد حماسي مع مضي الفصل الاول لي .. كانت الدراسة جميلة في شيء تحبه وتهواه .. وإن لم ترو عطشان وتسد جوعا للعلم الشرعي .. نتف ومفاتيح على رأي أحد الشيوخ في المعهد ..كنّا نخطب في مساجد تحت التدريب تسمى مساجد صغيرة ، ولما اشتغلنا في القرى كانت كبيرة .

وصاحبي ثاني بعد عودة امرأته ميساء له تعاقد للعمل في إحدى دول النفط كما يفعل الشباب العربي تحسينا لوضعه المالي بضع سنين .. أنا في الشريعة المتوسطة وهو إلى السفر .

ولما تخرجت من المعهد الشرعي رجع لأرض الوطن منهيا عقده ومطلقا لزوجته حسب الاتفاق الذي ذكرناه سابقا .. لم تلد المرأة ؛ فكان الفراق ، فارقها بمعروف ، وواسيته وقلت الخيرة فيما يختاره الله الملك .. وقد بارك تخرجي ونجاحي وعملي كإمام مسجد ، وهو دهش مما حصل لي وانقلاب حياتي .. نحن قدمنا الثانوية أول مرة ثمان وسبعين درس وتزوج وعمل وسافر ، وأنا بعد عشر سنين تخرجت ، وتعينت إماما سنة تسع وثمانين .

عملت إماما للصلاة وخطيبا في أحد مساجد القرى البعيدة عن قلب المدينة الكبيرة .

أهم عمل ووظيفة للإمام إقامة الصلاة لرواد المسجد صلاة الجماعة ، ثم الخطبة نهار الجمعة ومناسبات الأعياد والمواعظ في بعض المساجد في المنطقة .. ووفقت في ذلك بفضل ربي وباختيار ربي .. ولم أفكر يوما بأني سأكون إماما وشيخا .

الإمام يعد الخطبة ليلقيها على مسامع الحاضرين لصلاة الجمعة ..وما زلت أحتفظ بخطب البدايات ، وكان الجهد فيها واضحا والمصادر مبينة .

كان مسجدي مسجدا قرويا وبسيطا بمعنى الكلمة ، لا مشاكل فيه تذكر ، ولا أحزاب ، ولا تيارات حزبية .. صلي وامش .. وكنت أقضي يوم العطلة الأسبوعية كموظف في وادي النزهات عند أصدقائي الجدد في تلك الدكان الصغيرة مع الصديق الكبير حسين .

عملت في مهنة لم أفكر فيها يوما ، ولم تخطر في بالي هذه الوظيفة العظيمة .. وكانت قدرا عجيبا .. ويحق للمرء أن يعجب من تدبير القدر ، ويستسلم له ، كنت في تيه ، ثم نور وإيمان ، إنه أمر ربي لا إله إلا هو .. لا راد لأمره سبحانه وتعالى!

لم أكن تزوجت بعد ، وقد اقتربت من ثلاثين سنة ، أنهيت المعهد الاول ، ثم التحقت بالمعهد الثاني، ولم يكن بينهما فاصل طويل إنه القدر !

الناس لا تحب أن يكون الشيخ والإمام أعزبا .. فهذا يتحدث عن أخته ، وهذا عن قريبته وجاريته مما دفعني لمفاتحة أمي بالزواج ، فاقترحت أن أتزوج من بنات العائلة الكبيرة ، ولا داعي لتغريب النكاح .. وأنا لم يكن في خلدي أي أنثى معينة ؛ لأني لا أعرف بنات العائلة بصورة بينة .. وقدر الله أن يكون الزواج في أيلول عام تسعين .

وبدأت حياتي الزوجية سلسة وهادئة ساكنة .. والحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ولما رجع صديقي ثاني من الغربة جدد الاتصال بي ، وبدأ يأتي للقائي في دكان صاحبي حسين لسماع أخباري ورحلة تديني .. وأسمع أخباره وأفكاره .. وكان لقاؤنا كل سبت حيث هو يوم عطلتي بدلا من الجمعة ، نجلس في الدكان دكان الأخ حسين خلو نشرب الشاي نتناول بعض الطعام مع صديقنا الفاضل .. وكان نعم الأخ والفاضل ؛وربما يحضر بعض الرفاق والأئمة

ونتحدث في مسائل شتى وحتى السياسة والاقتصاد .

كان ثاني يرغب بالزواج من جديد ، فالرجل لا يستطيع العيش بدون امرأة ؛ ولكن مشكلة الخلفة تقف حجر عثرة أمامه ؛ فكان يفكر بنكاح أرملة أو مطلقة تقبل به .. فهو من جيلي ثلاثون سنة .

تجددت الصداقة القديمة صداقة الثانوية ؛ لكن دون أن أذهب لبيته ، فالوضع غير مناسب .. أنا اليوم متدين وملتزم ، وهو وهم غير ذلك .. وبيتي بعيد في قرية .

قال : يا مال أريد زوجة ..لا أريد العودة لإيام الجامعة وتلك الأعمال .

فكرت وقلت : هل تحبها فتاة متدينة ؟

ـ لم أصل قط .

ـ التوبة بابها مفتوح .

ـ التوبة كيف تكون ؟

قلت : كما فعلت .

ـ والخمر !

أجبت : كانوا أكثر منك سكرا وخمرا وتابوا .. وأنت في السفر لم تكن تشربها

ضحك وقال: كانت تهرب إلينا .. تباع سرا في بعض المدن الساحلية ، وتهرب للداخل .

ـ ثاني عليك أن تتغير .. ألم تمل من الخمر والعبث والنساء ؟ كنت سيّء السمعة أيام الجامعة .

قال : ملعونات .. لقد دمرنني فتيات الجامعة ..كل من عرفتهن تزوجن .

قلت : سيجدن من هو على شاكلتهنّ .. إذا أحببت أن تعود علاقتنا كما كانت قديما عليك أن تتغير .. عليك بالتوبة يا ثاني .. أنا اليوم محسوب على طلبة العلم .

ـ هذا يحرجك .

قلت : نعم ، عندما يعلم الناس فساد أخلاقك ماذا يقولون علينا ؟ .. عليك أن تحسم أمرك ؛ لأكون لك عونا .

ـ سأفكر .

ـ فكر كما شئت .. سمعنا أن أولى ولدت ولادة صعبة .

قال: كادت أن تهلك ؛ ولكن لها عمر .. من أخبرك ؟

ـ رأيت شقيقك يزيدا في السوق قبل زمن يسير .. كنت أشتري ثوبا جديدا وحدثني عن ذلك .

ـ ما زالت تتحدث عنك وتحبك .

ـ لم يحدث بيني وبينها شيء سيئا مريبا يا ثاني أيام صداقة الشباب.. وأنت خير من يعرف ذلك .. رأيت صداقاتها من صداقتي معك .

ـ هذا ما عرفته .. وأنا تفاجأت حقا لما أخذت تتحدث عن رغبتها بالزواج منك أيام الجامعة وأيام تجنيدك .. ظننت أن بينكم شيئا دون علمي ، وأنك رغبت بها زوجة ، فكنت في دهشة وحيرة وسكت .

ـ صدقني كنت أظنها تمزح عندما نتكلم في مثل ذلك الموضوع .

ـ كلنا أحببناك يا مال ؛ لكنها أيام الجامعة اعترفت للأسرة بأنها تريدك زوجا فدهشت أنا وأمي وأبي من رغبتها تلك .. وقلنا لها تفاهمي مع مال .

ـ دعنا من الماضي يا ثاني ! فأنت صديق الذكريات .. عد إلى الله .. دعك من أفكار الإلحاد واللادين

قال : أليس اللادين دينا ؟

قلت : دين الهوى والشيطان.. الذي لا دين صحيح له يعبد الشيطان .

قال : أنت بطل يا مال الدين !ولك من اسمك نصيب وجاهدت وتركت جاهليتك وشيطانك ..ما هو الشيطان ؟

أجبت: لما تتدين ستتعرف على الشيطان عندما تصلي ستعرف الشيطان وما هو الشيطان ؟ .. عندما تتوب فعلا ستعرف من الشيطان صدق ذلك .

ـ فعلا أرغب بمعرفة هذا الشيطان الذي تتكلمون عنه وتتعوذون منه .

قلت : لا أدري كيف عملت في الخليج ؟

تبسم : هناك الكثير من الفجرة والفسقة مثلي كما نحن في نظركم .. الشيطان كما تزعمون في كل مكان .

صرخت مللا: أنت أحد الشياطين يا ثاني .. لا تضحك قال تعالى : ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان .. إن لم تعبد الرحمن ستعبد من ؟ ..الشيطان

ـ على كل حال أنا حريص على صداقتك .. وقد أتعرف على هذا الشيطان الذي يتحدث عنه الشيوخ .

ـ الله يهديك ويصلحك .

ردد: أمين .. وأتمنى ذلك ، تحملني يا مال !

ـ إني أتحملك وأحب لك الخير ، وما أحب لنفسي .. سلم على الوالدة والوالد كانوا لي كأبوين .

ـ أمي عاتبة عليك كثيرا .. كانت تعتبر نفسها أما لك .

ـ وأنا أعتبرها كذلك .

الحج موسم ثلاث وتسعين

كان موسم الحج على ما أذكر عام ثلاث وتسعين صيفا في حزيران على ما أذكر .. ولم يكن الأمر سهلا .. فهذه أول مرة أغادر البلاد أو قل أسافر .

فكانت الرحلة شاقة ومتعبة ؛ ولكنه حج ، وقدره الله لي ، وشكرته كثيرا وأثنيت عليه على هذه النعمة الكبيرة .. والحمد لله حمدا كثيرا .

ولطبعي الخجول أعجز عن وصف هذه الرحلة إلا أنها كانت متعبة ، ورافقت الحجيج بانفعال متباين بين الخوف والحماس .. وبذلت جهدي وعلمي المتواضع في بيان وشرح مناسك الحج وإن وقع مني بعض الأخطاء ، الجميل في الحج أنه عبادة جماعية .

زرنا المدينة أولا بعد رحلة شاقة في حافلات متعبة ، زرنا المدينة المقدسة والقبر الشريف والبقيع والمواقع التاريخية البارزة .

وانتقلنا لمكة الشريفة ، ورجعت للديار سالما بفضل الله تعالى .. فله الحمد والمنة .. فتحصيل فريضة الحاج لشاب صغير من الأمور المهمة في حياة المسلم خاصة إذا كان صغيرا أو موظفا صغيرا .. وذكريات تلك الرحلة مشوشة في ذهني ؛ لأني أكتب هذه السطور بعد أكثر من ربع قرن .

ولما عدت غانما قدم الناس والجيران والأصدقاء للتهنئة والتبريك وشراب الماء المقدس زمزم ، وأكل التمر الحجازي ، والحصول على الهدايا ، ولابد أنني أحضرت منها ؛ لأن هذه أول مرة أسافر فيها خارج البلد .

أكيد كنت متوترا وقلقا عند السفر ، وسعيدا عند العودة .. وقد أصبحت حاجا وعمري ثلاث وثلاثون سنة .

الحج عظيم ! ويذكرك بأشياء كثيرة وعميقة في التاريخ .

علمت من صديقي القديم ثاني أن والديه حجا مثلي وفي نفس الموسم ؛ ولكنا لم نلتق خلال الموسم .

لدى الناس عادة أن المسلم عندما يكبر ويزيد عمره عن الخمسين والستين عليه أن يحج ويسلم وأن عهد المعاصي والشباب انتهى .

فرحت لهذا الخبر فرحا صادقا ، وأنهما عادا للحق والإسلام ، وتابا إلى الله ورغبت بالذهاب للسلام عليهما ، وتهنئتهما بالحج ، والمباركة لهما ، واللقاء بهما بعد هذه السنين من الفراق ، وأنا أحببت ذلك اليوم لذكريات الماضي ، وتأخر هذا اللقاء بضعة شهور لظروف خاصة بهم .. مرضت الأم مرضا شديدا ، وعانت منه ؛ ولكنها كسبت الحج والتوبة .

وثاني ترك الشراب كما قال ، وأخذ يصلي ويقطع كما قال .

في الشتاء كان اللقاء رحبت بي أم ثاني على النمط القديم عانقتني ، ونسيت نفسها ، وأنا تجاهلت الأمر ، ثم تذكرت أنني أصبحت شيخا وإماما وهي حاجة ، وكنت بلحية طويلة وثوبا سنيا وبعد قالت ونحن نجلس : أنت شيخ بجد يا مال الدين !

تحدثنا عن الصحة ومرضها وشفائها وتقاعد موسى من العمل ، وتحدثنا عن رحلة الحج وتعبها وحرها وقالت : أنا تركت السفور والخمور قبل الحج يا مال وكذلك زوجي .

ـ الحمد لله له الفضل والمنة .

ـ تأثرنا بك يا مال الدين سماعا .. أنت قدوة لنا في العودة لديننا .

ـ أنا لا شيء يا أم ثاني .. أين الحاج موسى ؟

ـ سيأتي مبكرا .. هو في بيت أمه .. أنت تعلم أن والده مات قبل موسم الحج وتلقينا برقية منك .

قالت : رحم الله أموات المسلمين .. والحمد لله على الهداية .

ـ أولى صديقتك القديمة هنا .. أتأذن لها بتحيتك .

ـ هذا إحراج يا أم ثاني .

كانت تقف بالباب ،وقالت ربما بتهكم أو جدية : لماذا الإحراج أيها الشيخ ؟! ألا تستقبل النساء وقد لبست ملابس محتشمة إلا شعر رأسي .. لم أستطع تغطيته ..لم أتعود على ذلك .

نهضت قائما وعيناي في الارض : مرحبا يا أخت أولى ! كيف أنت ؟ وماذا سميت بكرك ؟

ـ كنت راغبة بتسميته مال .. مازن زوجي رفض هذا الاسم .. وظن أن بيني وبينك ما يشين وسوء حتى أنني أقسمت له أنك شريف وعفيف .. وما زال قلبه منك بشيء ، وحدثت بيننا الكثير من المشاحنات بسبب صداقتنا .. الناس لا يصدقون أننا شرفاء .. وكثير من البنات أحبت شخصا ، ولم تتزوجه ، والعكس يحصل .

ـ هو جاهل .. أنا لما أراد زواجك جاءني دون أن أعرفه .. وسأل عن علاقتي بك ، فأقسمت له أننا لم يحصل بيننا مريب ، ولم أمس شعرة منك .

ـ لم يقل لي ذلك .

ـ وهل يقول الأزواج كل شيء يا أم ... ؟

قالت : أم جلال .. ابني الأكبر جلال .. اهلًا بك يا صديقنا القديم .

ـ أين زوجك ؟

ـ في البيت رفض المجيء للتعرف عليك .. هل علمت أن ثانيا سيتزوج أخت مازن .. أخته الأرملة .. وأنا نصحته بالبعد عنها يا مال الدين .

نظرت لثاني وقلت : أما زلت قوية يا أولى تتدخلين في شأن الآخرين ؟

حدقت بي : أأنا قوية يا مال ؟

ـ أنا أعرفك.. اجلسي .

وجلس الشيخ وجلست وفعل ثاني مثلهم ، وقال لما خيم الصمت والسكون : نعم، يا مال .. قد أتزوج شفاء شقيقة مازن الأرملة .. لديها ثلاثة أطفال ؛ ولعل الرابع يكون مني .

ـ إن شاء الله يا ثاني .

قالت أولى : أتمنى من أعماق قلبي أن يطول زواجك منها .. كان زوجها جميل يعاني ويعاني يا ابن أمي وأبي .. كيف الحج يا مال ؟

ـ الحمد لله وفقنا إلى ذلك ، وأتمناه لك .

ـ شكرًا .. دائما أنت رائع ! كم الفرق بين أيام زمان وأيام اليوم يا مال.. أكيد أنك لا تدخن

اليوم .. وأنا أعلم عمرك ما شربتها يوما ما .

قلت مبتسما : نعم ، نعم ، لم أعرف الشراب بفضل الله أيام ضعف الإيمان أيام الجهل ولا الزنا .. والسجائر تركتها منذ أكثر من عشر سنين .. من أربع وثمانين .

قالت : أتخيل الزمن وقف بنا إلى تلك الأيام .. كم هي سريعة رغم ذلك! في نظري ما زلت رائعا يا مال !

ـ لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما في أنفسهم .

ـ تعودنا على السفور والتبرج والقليل من الخمر .

ـ هداكم الله .. مالك يا أم ثاني صامتة ؟

قالت صافنة ساهمة : كم تغيرت يا مال الدين ! وكم الفرق بينك وبين أيام زمان أيام يوم دخلت علينا صديقا للعائلة !

ـ ولكني يا أم ثاني رغم ذلك لم يعهد على شرب الخمر ولا الزنا .. وهذا ما كان يحير ثاني ويقول : أكثر رفاقك يسكرون ويخمرون ويعرفون البنات وجل أوقاتهم في التسكع إلا أنت !

قال ثاني : إني أذكر ذلك الكلام بيننا ..كأنك كنت شيخا بيننا .. لم تكن تبدو لنا متدينا مثل اليوم .. كنت كأغلب الناس .

ـ كنت أصوم وأصلي.

ـ ليس كمثل هذه الأيام .. اليوم تغبط يا صاحبي .. هل أدعوك لحفل زواجي ؟

ـ لا ، لن أحضره .. اليوم لا أحضر حفل زواج إلا إذا كان شرعيا .

ـ وهل زواجنا غير شرعي ؟

ـ قصدي الحفل والفرق الموسيقية .

ـ لكم دينكم أيها الشيوخ ولنا ديننا ؛ ولكني لا أستغني عن صداقتك .. ولا أنسى موقفك أنت والشيخ بلال معي أيام ميساء .. لقد زوجها والدها .

ـ هل ولدت ؟!

ـ لم أسمع .. أسمعت شيئا يا أولى ؟

قالت : لا ، لم أسمع بعد .. ألا ترغب بزيارتي يا مال ؟ أعرفك على مازن .

ـ لا داعي لإحراجه .. فالرجل يكرهني كما بد لي من كلامك .. ويعتقد أنه كان بيننا سوء وما يشين .

قالت : هو يتحدث عن ذلك لسوء ظنه بي .. فهو يعرف من أنا ؟ وأنا أعرف من هو ؟ حياتنا جافة .. مجرد شريكين سرير واحد يا مال الدين .. أنا لم أحسن الاختيار .

ـ على المرء أن يرضى بما قدر له يا أولى .. تخيلي لو تزوجتك كما كنت ترغبين .. هل تقبلين بلبس الجلباب والزي الشرعي وأن تتركي التبرج والسفور والعطور .

ـ لم يكن يخطر هذا في بالي رغم لمحات التدين التي كانت فيك .. لم أكن أتصور كما قالت أمي أن تصبح إماما وشيخا .

قلت : أنا لست شيخا بمعنى الشيخ .. أنا دراستي متواضعة .

ـ لكنك إمام وحاج اليوم .

ـ ذلك الفضل من الله وحده .

قالت : المهم انصح صاحبك بالبحث عن زوجة غير شقيقة مازن .

قالت الأم : دعيك من ذلك يا أولى .

صاحت : حتى لو طلقني مازن كما يهدد دائما .. سأتكلم احذر يا ثاني إنها امرأة عوجاء غير مضبوطة .. إنها امرأة منحرفة .

قالت الأم : لا وقت لهذا الكلام أمام مال يا أولى .

صاحت : مال أخ وصديق عزيز .. سأنصرف الآن .. ليتك ترد على رسائلي المستمرة إليك ..وعليك أن تنسى تلك الليلة من حياتنا .

قال مال : ليتني أنسى يا أولى!

ـ عليك بالنسيان .. حج مبارك .. ربما أحج في يوم ما .. ها هي أمي تخلت عما كانت عليه ..

المرض يهد البدن والنفس .

قالت الأم : كم أنت قاسية يا أولى ! أنا لم أجبرك على الزواج من قريبي مازن .. أنت كنت تريدون زوجا أو رجلا .. ومازن راغب فيك وتكلم عليك .. هل جئت بعريس ورفضته ؟ انصرفي إلى بيتك .

ـ كان العريس موجودا يا أمي .وأشارت إليّ

أجابتها : لم يكن مال ـ وها هو يسمع ـ يرغب فيك زوجة .. ولم يكن سنه تؤهله للزواج ..كان مجندا بعشر دنانير ..أليس كذلك يا مال ؟

قالت بغضب : لو وافق لانتظرت حتى أتخرج وأصرف عليه حتى يقوم على قدميه .. لم يكن عليّ خدمة علم .. وكان عملي سريعا ومحجوزا .. وها هو قريبك يستدين مني ، ولم يسدد فلسا واحدا .

قال مال : لم يكن في بالي الزواج من أولى للصداقة والثقة التي أوليتموني إياها يا أم ثاني ، وأكدت ذلك لثاني أن الذي بيني وبين أولى حب الكتب والقراءة .. وما لمست يدي شيئا من بدنها إلا مصافحتها ، وحتى الزواج نفسه لم يخطر في بالي تلك الأيام .. طالب فاشل وفقير .. كانت عائلتي غير قادرة على تزويجي يا أم ثاني .. فنحن أكلنا عيش وملح ، فلا أخون هذه النعمة .. فهل أخونكم ؟ كان عليّ أن أكون رجلا بمعنى الكلمة .. وصدقوني ما عرفت الفاحشة مع أي بنت متزوجة أو غير متزوجة .. وهذا من حفظ ربي .. رغم العبث في مثل هذه المواضيع ؛ انما هي من الأفلام والمجلات .. وثاني كان يعلم ذلك عني.. وأولى نفسها تعلم ذلك كنت أخاف النساء والبنات .. كانت الصداقة غايتي الوحيدة وحب الكتب والقراءة هي التي وثقت علاقتي بأولى .. هل رأيتني غازلتك يا أولى ؟

قالت مقرة : كنت أنا المخطئة ، فلما كنت أسمع حديثك عن شعراء الجاهلية.. أمرؤ القيس ونساؤه وعنترة وعبلة أظن أن هذه الكلام لي كلام مبطن .. إياك أعني واسمعي يا جارة .

ـ وماذا أفعل لظنك .. أنا كنت جادا وأحب قراءة تلك الاشياء ، وحفظ تلك الأشعار

والقصص .. والإنسان يستمتع إذا وجد من يصغي له كما كنت تصغين .

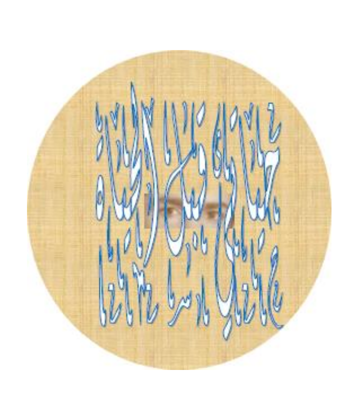
تنهدت قائلة : هذه أدركته بعد تلك الايام الجميلة .

ـ نعم ، فلتبق ذكريات جميلة .

قالت : إلى اللقاء .. المهم انقذ صاحبك من هذا الزواج.

التفت لصاحبي وقلت : عجيب هذا الزواج في نظري !

صاح ثاني بغضب وضيق : أريد امرأة.. هل أعود لإيام الجامعة والحانات يا مال ؟ يحتاج الرجل لأنثى في البيت .. لا أدري كيف صبرت أنت عن النساء لثلاثين سنة ؟! أولى عندها ذلك أفضل من هذا الزواج .. أظل أعتمد على أمي في غسل ملابسي الداخلية ، وغسل ثيابي وكويها يا مال .. وأنا لا أستطيع أن أكون متدينا مثلك ، وأتزوج امرأة متدينة تلبس ثيابا سوداء تدخل الحزن والضيق على النفس مع السلامة يا أولى .. حافظي أنت على بيتك وأولادك .



ذكريات أخيرة

هذه ليست مذكرات كاملة شاملة أو يوميات إنها مشهد مختصر من حياتي أو جزء منها ، لم أكتب عن كل الأصدقاء والأسر التي عرفتها وعرفتني ، لم أكتب عن صديقي الذي غرق ومات عندما كنّا صغارا ، ولا عن الآخر الذي صعق من أجل إنقاذ أمه من غسالة ـ رحمهم الله ـ وعن غيرهم ..كانت حياتنا في ذلك الحي صعبة فقر وتشرد وبؤس وخيم ومخيمات ومياه وسيول هذا ابتعد عنه القلم ، ولا حاجة لذكره .. فقط قصة أسرة أحببتها مراهقا وشابا، وما زلنا على الدرب .

إنها أسرة ثاني التي عرفتها أيام الجاهلية كما أحب تسميتها وأيام العودة والإسلام بعد فترة ضياع وتيه .. كان من حولي فرق الإلحاد والأحزاب الدينية .. وسبحان ربي لم أقع في شبكة هؤلاء ولا أولئك.

لماذا ؟ لا جواب.. ليس عندي جواب ..كان لي رفاق غرقوا في مستنقع الجنس والزنا .. ولي أصحاب استعفوا ونجوا .. كنت متفرجا على الطرفين حتى وصلت لمرحلة التوبة الحقيقية بعد إنهاء مرحلة الجندية الإجبارية .. هكذا كان يسمى التجنيد الإجباري ..لماذا ؟ لا أعرف .. كنت مغرما يوميا بالجلوس في المقاهي .. وكله مع التوبة مات واختفى ، والسينما وحتى الرياضة إلا لعبة الشطرنج ما زلت أهواها وأمارسها .

كل رفيق له حكاية ونوادر .. تعلقي بالدِّين دفعني لترك كل زملاء الماضي أفرادا وأسرا إلا ثاني وأسرته .. اتخذت رفاقا جددا .. لا أعرف من ماضيهم شيئا .. وهم كذلك جمعنا الدين والعلم .. إنهم ملتزمون .. بعضهم سار للجهاد ورجع ، وبعضهم مات هناك .. أقصد الجهاد في أفغانستان .. وبعضهم طلب العلم وأصبح دكتورا في الشريعة الاسلامية .. وبعضهم رحل عن الدنيا إلى رحمة الله .

وتعلقت في فترة التسعينيات بقراءة المجلات الإسلامية والثقافية وحتى السياسية والأدبية ، وجدت بعد حين لديّ ألف عدد منها.. منها العربي والفيصل والمجلة العربية والمنهل والحرس

والثقافية الأردنية واليرموك وطبيبك وطبيب العائلة والحكيم ومنار الإسلام والأمة وماجد وأحمد والمستقبل وفصول والقصة والقاهرة وأسماء كثيرة لعلي اعمل بها قائمة للتاريخ ؛ لأن بعضها عجزت عن الاستمرار في مطالعتها ، وعرفت سلسلة عالم المعرفة وغيرها .. العلم والثقافة لا يشبع منهما .. وعشرات الروايات والقصص الواقعية والخيالية قرأت وملكت .

وعليّ أن أختم هذه الذكريات بقصة ثاني وأولى توأمه ، فلم نتحدث عن أخيه ولا أخته علا ، لم تكن علاقتي بهما قوية ؛ ربما يعتبروني نكرة ولا يُستحق الجلوس والحديث معي .. لكل رأيه وشأنه .. لم أتحدث عن أسرتي أخوتي أهلي زوجتي فله مقام آخر .

كما توقعت أولى كان زواج ثاني الثاني جحيما حسب رسائل أولى ، وحسب ما يصلني من مقاطع .. بعد الزواج بزمن يسير بدأت المشاكل الزوجية بين ثاني والأرملة شقيقة مازن .. الأسرتان منفتحتان كما يزعمون بمعنى أن الدين لا أهمية له في حياتهم العامة والخاصة .. ومتشابهات بينهم كالسفور والخمور والصالونات واللبس والربا .. حياتهم الاجتماعية بشكل عام مفتوحة ومرنة .. الذوق العام عنوانها .. ومع ذلك لم يتقبل ثاني حياة زوجته العامة والخاصة فهي تحتفظ بكل أصدقائها وأصدقاء شقيقها مازن وآخرين وشقيقاتها وزوجها السابق في سهرات وحفلات داخلية وخارجية ، لم يحتمل ثاني هذه الحياة الصاخبة والمجون والاستهتار بالأجساد والشراب ؛ فكان زوج وليس بزوج ولا خصوصية .. شلة تدخل وشلة تغيب .. تسهر في البيت ؛ كأن لا زوج لها .. لم يستطع ثاني التأقلم والتكيف معها ومجاراتها كما تقول أولى سواء في البيت في الفنادق والملاهي .. وتريد أن ينفق عليها وعلى كل ذلك وشراء الملابس ودفع للصالون أجرة المكياج والتبرج وعلى أصحابها وسكرهم ومجونهم .

تدخلت أمه في الأمر ، فرفضت الأرملة السابقة نصحها والتدخل بينهما وحياتها.

غرق في المزيد من الشرب زاعما الهرب من الذل والهوان الذي يعيشه مع زوجته ، وأهملها ولم يعد يقربها كزوجة ، ولا هي سائلة عن ذلك ، ومضت سنة على هذا الحال الأسود ، لم تعد زوجة في نظره ، وضاق والده موسى من تصرفات زوجة ابنه الشاذة والمثيرة والماجنة ورغبه بالطلاق

والخلاص منها ، ولم تعد تعجب ثاني حياتها المستهترة بكل الأخلاق والقيم على الأقل في البيت الخاص بهما بيت الأسرة بيت الأب .. وتضييع حياته بالسكر والمخدرات لا يحل مشاكله فما يكاد يهبط الليل حتى يغرق في الشراب والسكر حتى ترجع المرأة من سهرها أو يخرجون من بيتها .. والإزعاج للوالد والوالدة لا ينتهي فأصر والده على طلاقها أو يغادر بيت الأسرة وحتى أمه قريبتها لم تعد تطيقها وتصبر عليها .. وكثرت المشاجرات والمنازعات بين الأسر دون فائدة .

استأجر بيتا عند مازن شقيق المرأة ؛ فكان ثاني يترك المرأة مع شلتها ويقضي ليله عند أمه طعاما وشرابا .. وقبل مضي السنة الثانية كان الطلاق ، ودفع الوالد كل ما يترتب عليه لإنقاذ ابنه ثاني .. وكانت سمعة ثاني في المدرسة والوزارة والجيران في أسواء سمعة .. ونتيجة لطلاق أخت مازن طلقت أولى هي الأخرى .. مأساة اجتماعية .. وكتبت لي الآن تحررت من سنوات العذاب يا مال .. صدق أنني كنت في عذاب .. وليس زواج .. كنت أعيش في الجحيم التي يتحدث عنها الشيوخ إذا كان هناك جحيما كما تقولون.

كتبت لها مضطرا عن حقيقة وجود الجحيم وأن جحيم الدنيا مع جحيم الأخرة لا يذكر .

فلم تتأثر من كلامي ، ولم تهتم برسالتي ، وكتبت ترد بعد حين لم يعد لكلامك تأثير عليّ كالماضي يا مال .. ولا أدري لماذا كان كلامك قديما مقدس عندي ؟ اليوم أنت لا شيء .

دعوت لها بالهداية وتوقفت عن الكتابة لها ناصحا ومرشدا ، وأحببت لها ما أحببت لنفسي ، وأشفقت عليها وعلى ثاني إلى أن سمعت بموت أمها وحضرت دفنها ، وتكلمت واعظا على قبرها لنفسي والحاضرين .. وبعد انتهاء العزاء فكرت باللقاء بها وبشقيقها.

ولكن يزيد رفض ذلك ، وأعلمني أن شقيقه يعيش في حالة إحباط ويأس ولا يفارق البيت ويعيش مع الخمر ليل نهار .. وأولى تعود من عملها وتفعل مثله شراب في شراب حتى أنها تطرد أولادها إذا جاءوا لرؤيتها ، وأن طلاقهما كارثة أكثر من كارثة الزواج .. فعجزت عن الحل والمساعدة .

الحق لم تكن تشغل حياة ثاني وأخته حياتي إلا قليلا ؛ إنها ذكريات سنوات الثانوية هي سبب اهتمامي بهم وتطاردني وتلاحقني للاهتمام بهما وبأخبارهما .. فنحن منذ فشلي الأول في الثانوية ضعف ما بيننا بشكل عام ؛ لكنها الذكريات واللحظات الممتعة لم تختفِ تماما .. فكنت اضطر للحديث هاتفيا مع يزيد للسؤال عنهما ، ويخبرني أن حياتهما مزرية خمر مخدرات .. وهي بعد الطلاق في حياة مزرية .. ليس كما كانت تزعم قبل الطلاق .. وكشف لي يزيد أمرا خطيرا حدث في البيت بيت الوالد .. فقد حاول ثاني الاعتداء جنسيا على أولى وضربته بسكين مطبخ .. وطلب مني يومها المساعدة ، فجئت البيت ، وكان الوالد الأرمل محطما حزينا ، وبكى وهو يتحدث عن فعل ثاني .

فقال : لقد حاول الملعون معاشرة أخته أثناء نومها .

تكلمت معه ، وكان في حالة سكر ورفض أي مساعدة وقال : لا تصدق ذلك ..إنها هي التي تتحرش بي .. لقد اشتاقت لزوجها اللعين ، اشتاقت لعشاقها بعد الطلاق .

ـ ما هذا الكلام يا ثاني ؟

ـ كان مازن مجرما يا مال ، كان لا يغار عليها ، يسمح لها بالنوم مع العشاق.

ـ لا أحب أن أسمع هذا الكلام يا ثاني .. قبل سنوات نصحتك بالتوبة والتدين ، ولو فعلت لزوجتك زوجة عفيفة شريفة .

ـ ليتني أصغيت إليك ..كان مازن اللعين يرسم عليّ للزواج من أخته العاهرة .

ـ لم يفت الوقت والأوان .. دع الشراب والمخدرات .

ـ لا تصدق أنني حاولت الاعتداء عليها .. هي توهمت ذلك وصدقته .. أنا دخلت غرفتها لم أكن أظن أنها تنام عارية مجردة من الثياب .. ظننت أنها خرجت من الاستحمام لعارض ما .. فاقتربت منها .. فتوهمت أنني أريد اغتصابها فصرخت وصرخت ، وذهبت للمطبخ وأخذت سكينا ؛ كأنها سكين فواكه وضربتني بها على ذراعي .

ـ حسنا يا ثاني ! إنني أصدقك أين أولى ؟

قال : في بيت خالتي أم مالك .

ـ حسنا ! متى ستبدأ التوبة ؟

ـ عليّ أن أتوب يا مال .

ـ بعد هذه السمعة عليك بالتوبة يا ثاني .. أنت ما زلت شابا يا رجل لم نبلغ الأربعين بعد .

تحمس ثاني موسى وذهب للحمام بعدما ضعف السكر ، واغتسل ، وبدأت توبته بعد ذلك الحادث المؤلم ، وعاهدني على ترك الخمر والمخدرات .

وخلال أشهر كان رجلا آخر فعلا ، وتبين لي فعلا أن حادث اتهامه بمحاولة الاعتداء على شقيقته وهما منها ، للوضع المريب ، وهو نومها عارية ، فحسبها قد داخت أثناء الاستحمام ، فأراد مساعدتها ، وهي استيقظت فتوهمت أنه حاول الاعتداء عليها .

ترك بيت الأسرة لما ترك الخمر والمخدر ، واستأجر بيتا خاصا في وادي النزهات حينا القديم ، وفرح والده الشيخ الكبير بذلك فرحا لا يوصف .. واقتنع بأن أولى بالغت في اتهامه ، ثم درس ماجستير شريعة ودكتوراه شريعة .. وعدنا أصدقاء أنا إمام صغير .. وهو دكتور شريعة في إحدى الدول .. وما زالت صداقتنا .

وكتبت لي أولى رسالة ترغب بلقائي لكشف سر تلك الليلة السوداء في صداقتنا عندما أرادت تقديم جسدها على مذبح الحب والشهوات إذا قابلتها في بيت والدها .

وعليّ أن أترك الكلام لأولى ؛ لتكتب فصلا من حياتها أو جزءا من أيام عمرها كما اتفقنا مع راوي هذه القصة صديقنا جمال شاهين .

أولى موسى

سأكشف أوراقي وأهم ذكرياتي لكاتب حياتي قبل الحياة التي تحدث فيها مال عن مراحل أيامه ومراهقته وتوبته المفاجئة .

أنا كنت في زمن تهرب فيه الناس من التدين والإيمان ، كان الصعود للفكر المزيف القومي والوطني واللاديني ، فليكن هذا معلوما لديكم ، ولا يعني هذا أنه لم يكن هناك متدينين وجوامع ومشايخ ، كان وجودهم صامتا خافتا ضعيفا ، لا اهتمام ولا اكتراث لوجودهم حتى معلمات التربية الدينية كان صوتهن خافتا ، ولا يبدين لك أنهنّ متدينات ، ولا تأثير لهن على الطالبات ، أخص من علمنني في المراحل الدراسية الثلاث .

نحن مسلمون بالهوية والاسماء فقط ، أنا دخلت المدرسة عام ستة وستين ، اليوم في نظري تغير الحال ، تغير كثيرا ، لما تعرفت على السيد مال الشاب الرفيع الأسمر كنا من أهل الدنيا ؛ وكأننا خلقنا لها فحسب ، ولا نعرف الآخرة ، وما فكرنا فيها إلا بقدر ضئيل وغموض ، لا أحد يتحدث بحرارة وقوة عن الدين ، أو لا يوجد حولك وقربك من يكلمك عن الدين .

قصتي تبدأ مع وجودي على ظهر هذه الأرض عندما خرجت صارخا من رحم أمي في مطلع الستينيات ؛ لذلك يجدر بي أن أتحدث عن زواج أبي وأمي ؛ لأنه كان لهم نصيب من الحديث في الفصل الأول من الذكريات .

عائلة أبي غنية ، وإن لم تكن من الطبقة العليا في المدينة ، وليسوا من الطبقة المتوسطة ،كنا بينهما ..كان والده موظفا في الدولة كما هو ، ويملكون عقارات وأراضي زراعية يتوارثونها ، وتدر عليهم مالا مستمرا .. هم من أبناء المدينة ، وإن تمتد الجذور إلى الريف.. فتاريخ العائلة يقول إنهم من الأسر الثرية ،لم يكونوا من أهل الفقر والفاقة كما علمت من تاريخ العائلة .. وبعض رجالها خدموا السلاطين الذين حكموا البلاد قديما ، وبعضهم كان يملك المراكب والسفن .. أقول ذلك الكلام ؛ لأن والدي موظف وزارة المالية ، ولا يعتمد على راتب الوظيفة والحكومة فحسب ، هناك دخل ودخول أخرى تمد بها الأسرة ؛ لأننا نعيش في بحبوحة من

العيش .. وحياة المدينة تختلف كثيرا عن حياة القرى والريف والبادية ؛ لذلك تجد فيها عائلات لا تعرف دينها عامة وخاصة .. وقد يكون التدين في القرى أكثر ؛ ولكن الجهل يغمره أكثر .

أقول ذلك ؛ لأنه لم يكن في بيتنا دين ؛ انما نحن مسلمون فحسب ، فلا نعرف الصلاة والصوم وطقوسهما .. فكنا نحتفل بالأعياد عادة ، من لبس وحلويات ، وتهاني ، وزيارات ، وقد يضحي الوالد وأجدادي وأعمامي كما يفعل المسلمون الموسرون .

فأبي لا يعرف الدين ، ونحوه أمي ، فهي من عائلة شبيهة بعائلة أبي دينا ومالا .. الأخلاق هي الدين فقط .

تخرج أبي من الجامعة القسم التجاري والاقتصادي ، والتحق بالعمل فور تخرجه في وزارة المالية للدولة حتى أصبح مع الزمن مدير الموازنة العامة للدولة ، وذلك في آخر أيامه الوظيفية وقد حصل على الماجستير والدكتوراه في المحاسبة والضرائب .

تعرف على أمي من خلال الوزارة حيث التحقت هي أيضا كموظفة في نفس الوزارة ، ولما تعرف عليها وتعارفا ، وبعد قصة غرام قصيرة تزوجا .

أبي عمل قبل أمي في الدائرة المالية ، وبعد عام من تعارفهما العاطفي تزوجا كأي زواج ، وبمساعدة والده جدي أمير بنى والدي بيتا في درب القلعة حيث التقيت بهال الدين .. وهو درب تجد به أحياء يسكنها الأغنياء ، وحي أغلب سكانه فقراء ، وحي خليط من الفريقين .. نحن في قسم بدا بداية للموسرين .. ومنهم من يعمل مع والديّ في الوزارة .

كان والدي موسى مجتهدا في عمله ، ومثله أمي ، أبي أكمل الدراسات العليا ، أمي توقفت عند الشهادة الأولى .. فيعتبر الوالد خبيرا اقتصاديا في الدولة والمال .. كان السيد الوالد محبا لأمي ، وإن تخلل حياته قبل الزواج علاقات عابرة مع الجنس الآخر وخلال البحث عن زوجة وحتى بعد زواجه له سقطات وهفوات وغراميات مع العاملات ، أمي لم يحدث لها من ذلك شيء .. وهي صامتة عن حياتها الخاصة قبل الزواج ، وأثناء الزواج وأبي يثق بها ويحبها كحب الرجل لزوجته وأم أولاده .. لم نعرف عنها الكثير سوى أنها زوجة مخلصة لوالدي الغالي .. وأبي الرجل

الصامت الذي لا يتكلم عن نفسه ، لكن نعرف عنه من سقطات اللسان من كلام وتعليقات بعض الأقارب وأصدقاء العائلة وزملاء العمل .. نسمعها على سبيل الدعابة والاستفزاز .. كان وما زال محبا للطرب وكبار المغنين الذين عرفهم في مطلع حياته .. وكان يحب السمر منذ أيام الشباب والمسرح والسينما خاصة الأفلام الكبيرة والمصحوبة بدعاية خلابة .

أبي يشرب الخمر أو الشراب ولا يكثر منها إلا في مناسبات وسهرات خاصة مع بعض رفاقه ، ويكثر منها في سهرات ماجنة ، وله براد خاص لها ، ولا يحب أن يشرب أمامنا .

ويقول : لما تكبروا افعلوا ما شئتم ، عندما تستقلون في حياتكم افعلوا ما شئتم ، لا يتعاطها أحدكم على حسابنا.

لم يحاول تعليمنا الشرب ، وأنا عرفتها بعد المرحلة الإعدادية خلال مناسبات عائلية وحفلات في النادي أو غيره ، وأحيانا أختلس من زجاجة أمي ، أمي تعلمتها من أبي ، ولا تكثر منها ؛ لكنها تشربها ، ولا تسمح لأبي أن يسكر أمامنا ، وهو غالبا في حجرته لما يستقر في البيت .

فالتدين كما نعرفه اليوم لم يكن له وجود في بيتنا ، ولا أقول ذلك لأبرر سوء أخلاقي فيما بعد ، فلا صوم ، ولا صلاة ، نسمع بها فقط .. عندنا سجادة واحدة ، لما يصدف وجود جدنا يستخدمها، ثم تخفى في خزانة حتى يأتي مرة أخرى ، حتى جدنا عرفنا أنه صلى على كبر .. وهذا حدث مع أبي وأمي أيضا كما سأتحدث .. ولما تعرفنا على مال الدين لم يكن متدينا بالنسبة لنا ، وإن يتحدث عن صلاته وصومه ، لم أره يصلي في بيتنا ، أما الصيام فبدا لنا أنه يفعل ذلك ، وهو في الغالب ما يأتينا مساء بعد الغروب أو بعد العشاء خاصة أيام الشتاء ذات النهار القصير ، وحديث الدين ثانوي بينه وبين مال أو تعليق على تدين رفيق لهما في المدرسة واتهامه بالتدين الكاذب والسخرية منه .. والحق كان الفتى إذا تكلم في الدين تراه مبدعا ، ويزعم لنا أنه جالس بعض الشيوخ وشباب التيار الإسلامي ، ولم يستهويه التدين والأحزاب الدينية ، أو نراه كذلك لجهلنا بالدين .

أقول ذلك وأكتبه ؛ لتعلم أن ما نفعله لا يحاكم دينيا ، نحن نفعله بحكم العادة والتقاليد

والأخلاق التي تربينا عليها .

حياة مال تلك الأيام مثلنا أنا وثاني ؛ والحق أنه لم يشرب الخمر ، وصدقنا ذلك ، وأكد ثاني ذلك ولم يقرب النساء المتزوجات والعازبات كثاني، الذي له علاقات مع متزوجات ، وهو من مستوى اجتماعي فقير .. وفي البداية عجبت من صحبة ثاني له ، ولم نعرف أهله وإخوته ، أخي ثاني تعرف على بعض اخوانه فيما بعد ، فهو له أخوة كثر .

بعد زواج أمي هدى سالم وأبي موسى أمير بسنتين ولدتنا أمي ، كانت أول ولادة لها ، وضعت توأما ، خرجت أولا للدنيا ؛ ولذلك سميت أولى ، وبعد أقل من ساعة خرج شقيقي ثاني ، وقبلت العائلة هذه الاسماء ، ولدنا في مستشفى الأجنبي الامريكاني ، ويتعالج فيه الأجانب وجاليات السفارات من بلدنا ومن البلدان المجاورة .

لم نختار نحن أسماؤنا ، كان الاختيار لها من قبل أبي .

أبي كغيره من الرجال لا يحب الكثير من الكلام ، كان يحضر معه بعض الكتب والمجلات الاقتصادية العالمية يقرأها في المنزل ، كان عمله مستغرقا وقته ويتقنه ، وكان يملك سيارة منذ عمل موظفا صغيرا في الدائرة المالية للحكومة ، وبعد ولادتي بسنتين ولدت أختي علا ، ثم كان يزيد ، ثم توقفت أمي عن الحبل والولادة .

وقالوا كفى ، كان تأثير الحضارة الغربية على أسرتنا بينا واضحا وكبيرا وحتى على كل العائلة عائلة جدي وأمي وكأعمامي وأخوالي وخالتي ناعمة لها ولد واحد فقط ، لم يكونوا يحبون الكثير من المواليد بعكس الفقراء في البلد .

درسنا كغيرنا في مدارس الحكومة ، لم ندرس في مدارس خاصة السبب في اعتقادي قرب مدارس الحكومة من بيتنا .. مدرستي تبعد عن البيت أقل من نصف كيلو متر ، والذكور تبعد عن الإناث مثل ذلك ، لم تكن المدارس مختلطة في الغالب .. كانت الصراعات العسكرية محتدمة لأن البلاد بعد تفكك الدولة العثمانية انقسمت لدول بعضها خاضع للاستعمار الانجليزي وبعضها للفرنسي خاصة بلاد الشأم والعراق .. وكانت الانقلابات العسكرية كثيرة هنا وهناك .

كانت الألعاب والأطعمة توفر لنا بشكل جيد ودائم .. والدراجات واللعب في الشارع ، وأحيانا يأخذنا الوالدان لنادي الوزارة أو نادي المقاصد الأكبر حيث هو نادي الطبقة الغنية في المدينة ثقافي رياضي واشتراكات ، ولا يدخله إلا الأعضاء المساهمون .

الملابس حدث عنها ولا حرج كثيرة ومتعددة ، والاحذية كذلك .. كنّا منعمين ، ولم نشعر بحاجة لشيء أو نقص .. النادي يوفر لنا مجالات اللهو والأصدقاء والرياضة والمكتبات وألعاب الصغار المراجيح وغيرها حتى صالة العرض والمسرح الصغير يوجدان في نادي المقاصد الأكبر وقاعة الألعاب الرياضية والتنس .. ويمكن للشخص أن يختلط بالشبان والبنات الأكبر منه سنا سواء من أقاربنا أو جيراننا أو معارف والدينا ؛ لكن الإنسان يحب أن يصاحب ممن من جيله وعقله .

أحسست في مرحلة الإعدادية بتغير النظام في حياتي وحياة ثاني ، وإنني أصبحت فتاة بالغة تأتيها الدورة ، فعليها أن تبتعد عن الشبان من جيلها .. وتغير نظام التعامل معي في البيت ، وأن البنت تختلف عن الرجل بسبب الحيض ، وعليّ الابتعاد عن الذكور والعبث ،المهم.. أنني أنثى وشابة عليّ مرافقة الفتيات من جيلي ، وكان ذلك .

بدأنا نسمع الغزل والحب بين شاب وفتاة .. وهناك أشياء على الفتاة مراعاتها .. ونسمع عن المعاكسات ورسائل الغرام من المراهقين ، وأشرطة الأغاني تهدى للمراهقات والمراهقين .

وبدأنا نتعرض للمعاكسات والاشارات ، ونسمع بعض مغامرات الفتيات عن عشاقهنّ واصطحابهنّ لدور السينما والمطاعم والمشي في الاسواق والمتنزهات .. كنت أحب أن أسمع ، ولم أحب أن أمارس ذلك عمليا رغم محاولة بعض الفتيات جري لذلك الحب الساذج .. استسخفت الكثير من تصرفاتهن ومراهقتهنّ .. وحببتني أمي بالقراءة والقصص والروايات والكتب لتفريغ هذه العاطفة والرغبة .. فكان عشاقي وأصدقائي أبطال هذه القصص وصفحاتها ، واطلعت على قصص عربية وغربية وفرنسية مترجمة كأحدب نوتردام ، والكونت دي مونت ، والبؤساء المختصرة ؛ لأنني لما كبرت علمت أن هناك طبعة مطولة ، واكتفيت

بالمختصرة ، وكثير من القصص غير المشتهرة قرأت ، وكنت أصحب أمي وأبي للسينما والمسرح ولم أجد البطل المشاهد في الروايات والافلام على أرض الواقع تلك الفترة من حياتي ولكني رغبت أن يكون لي حبيب وصديق أتحدث معه وأحبه ويحبني ويحلق بي في الفضاء الواسع .

حاول بعض أقاربي من أولاد أعمامي وأخوالي أن يكون ذلك الحبيب والبطل ، ولم أستسغ ذلك لم أجد أحدهم ذلك البطل الذي رسمته في وجداني وأحلامي ، وانتهت المرحلة الإعدادية دون حبيب وصديق ، لم أعمل علاقة مع أي شاب قريب أو غريب ، لم أجد ذلك الفارس القادم على جواده الأبيض ؛ ليطير بي إلى عنان السماء ، لم أجده حتى أنني كنت أسمع كلمات جافة وحادة من بعض الفتيات لفشلي في تجربة هذا الحب ، وهذه المغامرات .. فبعضهن تحدثك عن شاب اليوم بغرام ووله ، وبعد أيام تسبه وتخونه، وتخون صديقاتها بأنها استولت عليه ، وأخذته منها ، وضحكت عليها عندما صحبتها أثناء مقابلة لرفيقها فانقلب إليها .. وقصص كثيرة نحو ذلك ، ثم وجدت آخر ، ثم عاد لها الأول نادما ومعتذرا.. أهذا هو حب جولييت وروميو ؟ .. وإذا علقت الفتاة بشاب أكبر سنا منها تجده راغبا في جسدها ، ويرغبها بالاستسلام للجنس وقضاء الشهوة .. ويحدث الفصام إن لم يحدث الاستسلام .. فهل هذا حب أم زواج أم عبث وسخف ؟! فكانت تحدث مآسي ومحاولات انتحار أو زواج قسري .. وتنحرف فتيات صغيرات إلى الرذيلة .. وتنقل من شاب إلى آخر .. وتفسد بنات ، وتنحرف أخريات باسم الحب .. هذه علاقات المرحلة الإعدادية .. أقول مضت ، ولم أجد لي حبيبا كما فعلت أخريات .. ابنة عمي عزة أكثر من عشرة شبان علقت بهم ، رافقت بعضهم لوسط المدينة ودور السينما .

ظهور مال الدين

انتقلت إلى المدرسة الثانوية للبنات ..قد يكون فيها أكثر من عشرة صفوف أول ثانوي .. وانتقل شقيقي الغالي ثاني نصفي الثاني إلى مدرسة ثانوية للذكور .. وقضى ثاني فترة عبث وتسالي كما يقول في فترة الاعدادية مع العابثات من بنات المدارس أو من بنات الجيران والشارع في درب القلعة .. عادة شبان الحي يذهبون لمصاحبة البنات في أحياء أخرى ، وكانت علاقته قصيرة معهن كغيره من الفتيان ، وحتى في النادي كانت حوله شلل من البنات .

انتقل إلى مدرسة بين درب القلعة ووادي النزهات في الحسينات وغيرها من الاحياء .. كانت تلك المدرسة تستوعب أيضا أعدادا كبيرة من طلاب الثانوية القسم العلمي ؛ لأن المرحلة الثانوية فيها عدة أقسام منها العلمي ويستطيع الطالب بعد الثانوية أن يتعلم كل التخصصات والقسم الأدبي يتعلم في الدراسات الأدبية والتجارية ، والتجاري يتخصص في أعمال التجارة .. وهناك القسم الصناعي والزراعي والفندقي والشرعي .. والبنات أيضا لهن تخصصات خاصة بهن كالخياطة والتمريض .

فيها مدرسة الحسينات التقى ثاني بمال الدين الشاب اليافع الأسمر النحيف الذي يشبه الهنود أو اليمنيين لونا وبنية .. التقيا لأول مرة ، فقد جاء من مدارس وادي النزهات للقسم العلمي .. فالناجح فيه يدرس طب هندسة قانون ادارة أدب مجاله واسع .. تعرف عليه في ملعب كرة اليد كلاهما يلعبها أو يهوى لعبها ، وثاني تعلمها في نادي المقاصد ، على أثر نزاع بينهما على هدف محسوب أو ملغي تعارفا ، ثم ترافقا وتصادقا فوق العادة ، وتطورت صحبتهما ، وجمعهما سوى الرياضة الدخان ، ثاني يدخن لإكمال صورته أمام حبيباته المراهقات ومال لم أعرف لماذا تعلم الدخان ؟ .. كان ثاني من النادر احضار أصحابه إلى داخل البيت ؛ لأنه لا يحب جلوس البيت كثيرا .. دائما خارج البيت مع أبناء أقاربنا أو أبناء الجيران من جيله أو من أبناء أحد الناديين . كان مال من شباب المقاهي ، في فترة ما بعد المدرسة .. ويذهب لمقاهي وسط المدينة .. وله مقهى مفضل علمته طبعا فيما بعد اسمه مقهى الذهب في سوق الذهب .. مقهى كبير .. ويغلق بابه

ليلا عند منتصف الليل ، وهو يجلس في مقاهي النزهات والحسينات وحتى درب القلعة .. فالمقاهي كالمساجد منتشرة في الأحياء للشباب والكبار .. يلعبون فيها ألعاب الورق والشطرنج وتدخين النرجيلة ونقل الاخبار والتعليق عليها .

لما يكون مارّا من دربنا نحو مقاهي قلب المدينة ، ومن أمام منزلنا يصفر لثاني فيخرج له في الشارع ، ويرافقه للمقهى أو وسط المدينة .. وأحيانا يرافقه للسينما إذا كان هناك عرض لفلم جديد .. كلاهما يذهب للسينما.. أما المقاهي فتعلمها ثاني من مال ورفاقه في المدرسة أو الحي .. وأثناء العودة ليلا تراه يوصل ثانيا لباب البيت ، ويتابع طريقه سيرًا على القدم جهة وادي النزهات .. لا يهاب المشي في أنصاف الليل ، واعتاد على ذلك كما يقول ثاني .. وكان يقول لأمي زميل المدرسة وفي ملعب كرة اليد ، ومحترف في لعب الورق .. فأمي تلعب الورق مع بعض الزميلات.. أمي تدخن وتشرب القليل من الخمر، تزعم أنها تعلمت ذلك من أبي .

قبل نهاية الفصل الأول من الأول الثانوي دعاه ثاني لدخول البيت على غير العادة ؛ لكننا نعلم من كلامه معنا عنه قوة الصداقة بينهما خلال هذه الشهور ، فهما لا يفترقان في المدرسة إلا أثناء الدروس ، دعاه ثاني لشرب الشاي فهما مغرمان به ـ هذا طبعا علمناه فيما بعد ـ وكان معهما يومئذ شاب ثالث صديق لمال ومن حي النزهات ، وهي المرة الأولى والأخيرة التي دخل ذلك الشاب منزلنا العتيد ، نحن كان ينظر إلينا أننا أغنياء ومن الطبقات العليا مع أننا غير ذلك ؛ لكن ذلك الجزء من الحي هكذا كانت صورته عن باقي أحياء درب القلعة .. جلسوا في صالون البيت ، وقدمت لهم أمي الشاي ، وتعرفت عليهما ، وشجعتهما على الدراسة والمدرسة وبينت لهم أهمية النجاح .. وانصرفت ، وأثنت أمي أمامي على مال من أول جلسة .. كان يخجل كما تقول من التحديق والنظر إليها بعكس زميله الثاني ؛ كأنه كان متعجبا من جلوس أم ثاني معهم ولو لبضع دقائق .

أما أنا فلم أكترث لهما ، ولم يكن أمر دخولهما مهما لي ؛ ربما تسألت لا شعوريا كيف أدخلهما ثاني لبيته ؟.. نحن البنات أنا وعلا أمر دخول زميلاتنا وجاراتنا إلينا أمرا معتادا.. لم يكن حدث مهما

وهكذا نظرت لزيارة مال ، لولا اهتمام أمي وحديثها عن مال أمامي لم أعر ذلك الزائر أي اهتمام .
فنحن لا نعرف أصدقاء ثاني من الحي أو النادي ، فهم يظهرون ويختفون مثل رفيقاته.. ليس له صديق دائم ؛ لكنا أدركنا أن علاقة مال وثاني فوق العادة وقوية .. فهو يتحدث عنه أمام أمي قبل أن يدخل البيت لشرب الشاي .. وكان ذلك من خلال الملعب والمقهى والرياضة والمدرسة .
بعد هذه الزيارة للبيت بأسبوع حضر مال مرة أخرى ، ورحبت به أمي مرة أخرى .. وهو كالعادة يأتي بعد الغروب إذا أراد الدخول .. أما إن كان لديهم سينما أو مقهى يلتقيان قبل الغروب ويمشيان لوسط المدينة .. فلا يبعد قلب المدينة عن درب القلعة كثيرا .. أما إذا كان السهر في البيت لدراسة أو اختبار يأتي بعد المغرب أو العشاء .. ويظل عندنا لنصف الليل وأكون عادة مستيقظة إما بقراءة رواية أو مادة دراسية .. وقليلا ما يكلفني بصنع الشاي أو القهوة .. أمي تفعل ذلك حتى تنام .. وأحيانا ثاني نفسه يفعل ذلك عندما يدخل مال المرحاض .. أبي وأمي في بعض الأمسيات يذهبان للسينما أو المسرح أو زيارة أو مناسبة فيأتي مال ويسهر مع ثاني .
قبل نهاية الفصل أخذت زيارة مال تتكرر للبيت ، وإذا لم تكن أمي في البيت أنا أصنع الشاي لهما ، ويقدمه ثاني له لا أدخل عليهما ، ولم أفكر يوما بالتعرف عليه ، لم أكن قد وصلت لهذه المرحلة ، وكما لا أحب دخول ثاني عليّ وأنا مختلي مع صديقاتي .. فلا أسمح لنفسي بذلك ، ثم أنا بنت .. وصرنا نسمع باسم مال يتردد في بيتنا .. تعرف عليه والدي ، وأثنى عليه ووصفه بالجيد ، ويزيد أيضا تعرف عليه ؛ ولكنه ينسحب لغرفته .. يزيد لا يحب الجلوس مع ثاني كثيرا .. فهما لا يتفقان في الميول والطباع .. له رفاقه وشلته .
كانا يذهبان للسينما معا ، لم يعد ثاني يرافقنا إلى العروض الجديدة في البلد .. وهو من قبل مال كان مقلا من صحبتنا .. ويذهبان معا للمقهى مخبرا لأمي .. أو يذهبان لمطعم للعشاء .. كانت أمي تحب معرفة أين نحن ذاهبون ؟ ولم يكن ثاني يرى في ذلك تدخلا .. هو يعلم كم تحبه أمه ! وكم هي متعلقة به ! كان ذلك واضحا لنا في البيت ، ولا يعني ذلك أنها كانت تميزه عنا ..

كان ثاني معجبا بصديقه مال للغاية ، ويبدو أن مالا مثله في الإعجاب والصداقة رغم ما بيننا وبين مال من الفارق المالي ، وتكرار الزيارة يدل على ذلك ، ودخوله البيت يدل على ذلك ..كان يغيب أسبوعا أو أكثر قبل أن يزورنا في البيت ، ومرات يوميا ؛ كأنهما يتفقان على ذلك في المدرسة .. وقلت لكم كان سهرهما يطول لنصف الليل في الغالب ، وكلما مررنا قرب باب الصالون نشم رائحة التبغ ، ونسمع ثرثرتهما ومرحهما .

مضى الأول الثانوي دون أي اهتمام زائد مني بمال ، رغم كثرة تردد اسمه في البيت من قبل أمي أو ثاني .

حدثني ثاني عن شغف مال بالقصص والكتب خارج كتب المدرسة ، وعن حبه للألغاز والمغامرات وارسين لوبين وشارلوك هولمز وأجاثا وديماس وزيفاكو وغيرهم ممن تكثر ترجمات أعمالهم في المكتبات التجارية .

لم يظهر مال خلال عطلة الصيف إلا مرات معدودة ، علمنا من ثاني أنه يشتغل لينفق على نفسه ورواياته ، وأنه لم يكن من الأغنياء مثلنا يجد من يصرف عليه .

المهم أصبح مال معروفا داخل الأسرة نسمع ونهتم بأخباره من ثاني .. وهذا يتحدث به لوالدتي التي كانت تسأل عنه بشكل دائم ومعجبة بصداقته لثاني .. فهو لا يشرب الخمر .. أمي لا تحب الخمر ؛ إنما تشربها مجاراة لوالدي وأصدقائهم نادرا ما تسكر وتثمل .. ولا يعرف البنات حتى أن ثانيا قلّت مغامراته النسائية ومواعدتهنّ .. فكنت أشعر أحيانا بالغيرة من حب أمي لثاني .. وكان ثاني يحدثها بكل شيء من أخباره في المدرسة والأماكن الأخرى .. ومرات بالتفصيل الممل وتصغي إليه بكل كيانها حتى يصمت ، أما أبي فلم يكن كذلك ، هو يجلس قليلا معنا أو يعالج مشكلة معنا ، ويدخل غرفة نومه ، ولا يخرج منها للعشاء معنا .. ونحن نرى أنه يفعل هذا ليسكر وحده ، فلا يحب أن نراه يشرب ، وأحيانا يخرج لنا وهو ثمل ويتحدث مع أمي بعصبية أو صراخ ويعود لحجرته ، وقد لا نعرف سبب هذا الانفعال ، ولا نهتم عادة لماذا فعل ذلك ؟

هكذا ظهر السيد مال الدين في بيتنا وبيننا كصديق لتوأمي ، كانت نفسي تراودني بالتعرف على

مال والحديث معه كما تفعل أمي ؛ لكن كانت هناك حواجز لم تكسر .. هو صديق أخي .. وهو ذكر وغريب عن العائلة ، لا يمت للعائلة بأي صلة.. والذي دفعني لهذه التفكير أيضا طول صحبته لمال وحبه للقراءة ؛ كما يكثر ثاني من تكرار ذلك أمامي ؛ كأنها إشارات للقاء به .. أنا أبناء العمومة والخالات وغيرهم لقاءات قصيرة وعابرة تحية وسلام ووداع عندما يزورننا أو نزورهم أو نراهم في النادي أو في نزهة ورحلة عائلية .. أمي هذا ما كانت تسمح به .. أمي كانت تريد مني ومن شقيقتي أن نصل لبيت الزواج بدون مشاكل وذكريات سيئة وقصص لا أخلاقية، وتقول أهم شيء للفتاة سمعتها وشرفها ؛ لذلك ما كنت أحب التمشي مع الشباب أقارب أو أباعد ، وعندما أجلس في مكتبة النادي إذا حاول أحد الشباب الاقتراب وفتح حوار لم أرد أتجاهله أو أغادر ؛ لأن الشاب إذا وجد صمتا انصرف .. وأدرك أنني لا أحب مرافقة الذكور فينصرف .. البنت هي التي تسمح له بالتمادي ، وسيجد ضالته في غيرها ؛ فإذا تعلقت ببعض الفتيان ، ثم تركتهم أو تركوها تبين لها أنهم يريدون الجسد ليس الروح .. يتحول اللقاء معهم للحديث عن الجنس والاثارة سواء مع القريب أم البعيد .. وإما أن تستسلم الأنثى لهم للعبث بها أو تهرب قبل فوات الأوان .. قبلني أحد الأقارب فغضبت منه ، وغضبت أمي ، ولم يعد يسمح له بدخول البيت .. كانت أمي حريصة أكثر منا في مثل هذه العلاقات الطائشة كذا تسميها .

كما ذكرت لكم علاقتي مع الجنس الآخر من الأقارب لم تتطور مع أحدهم إلى علاقة عاطفية وغرامية ؛ لأن الزواج لم يكن في مقدمة أولوياتي .. الجامعة أولا .

وذكرت لكم أن مالا دخل بيت الأسرة في الأول الثانوي لي ولثاني ، وأصبح صديقا للأسرة بشكل عام ومقبولا وعلى غير العائدة ؛ لأننا لم نعرف خلال السنوات الماضيات صديقا ثابتا لثاني ، صديقا دائما .. فهذا جعلنا نهتم بالأمر إلى حد ما حتى أن أمنا كانت تبش له وتقبله ، ولم يعترض هو ولا ثاني ؛ وكأنه ابن لها .. لم أفكر في ذلك إلا فيما بعد طبعا .

وكان أبي قد تقبله صديقا لثاني ، ولم يحتج أو يعترض هو الآخر رغم خطورة المرحلة ، واقترابنا

من الثانوية العامة التي ستنقلنا لمرحلة مهمة ومصيرية .. فكان يخرج من غرفته يسلم والجلوس بعض الوقت ، ويدخل لحجرته ؛ فكان من طبع الوالد المكث في حجرته ، وأحيانا كثيرة يغلق الباب بالمفتاح ؛ ربما لمعاقرة الشراب دون ازعاج ، وتطرق أمي الباب عليه إذا أرادت الدخول ويفتح لها .. وعادة أمنا تبقى معنا حتى ساعة النوم نومها .

كنت أرى مالا من النافذة أثناء عبوره بوابة البيت ، فعرفت صورته .. فهو يقرع الجرس ، وهو يعلم أنه في البيت ، فيخرج له ثاني ؛ لأنه على ما أعتقد يرتبان لذلك في المدرسة ، لم يصدف أن رن الهاتف من أجل ذلك ؛ لأنني في الغالب من يرد على الهاتف ، ويزيد أحيانا .. يكون البيت خاليا في أول النهار غالب الأيام .. نحن نذهب إلى المدارس والأبوان للوظيفة إلا أيام العطل أو عطلة أحدنا لظرف ما ، ويرجع الأبوان مع العصر الرابعة مساء صيفا وشتاء

لم تكن لديّ رغبة في البداية إلى التعرف إلى مال الدين أولا إنه شاب وثانيا ثاني لا يحب ذلك ، ولم يحدث أن عرفني على شاب من معارف النادي وغيره وثالثا أمي لا تسمح بذلك لقريب فكيف بغريب ؟ لكن علاقة مال بالعائلة على غير ما عهد في الماضي .. والشاب له سنة في صحبة أخي ، وما زالت صحبتهما مستمرة ، وهذا لم يعهد في ثاني .

أبي لا يتدخل في حياتنا منذ الصغر ترك المهمة للوالدة هدى سالم . في عطلة الصيف لم يحضر مال لبيتنا إلا مرات معدودة ، وكانت يوم الجمعة حيث تخرج العائلة في رحلات خلوية أو حدائق عامة كبيرة ، وإذا لم يخرج ثاني معنا ندرك أن مالا سيزوره ويتغديان في مطعم ، ثم تكون الزيارة والسهرة .. فهما يهويان مشاهدة الافلام السينمائية وأكل المطاعم والمقهى يلعبان بعض الوقت ويقفلان للبيت وإكمال السمر .. كان ثاني يتحدث معي بذلك عن نشاطه وصاحباته ومعارفه وأنا أسمع ؛ وكأنني لا أسمع ، ولم أعجب بمال إلا أنه قارئ مثلي .. لا أهتم بالرياضة لعبا واعلاما أو لعب الورق .. كنت مرات أخذ سيجارة من أمي كنت مدخنة ربما في الأسبوع مرة ولم يكن ذلك ممنوعا كان متروكا لذوقنا .. فكثير من فتيات النادي الأول والثاني تدخن .. نادي المالية فقط لأعضاء الوزارة ولعائلاتهم .

لما جاء الثاني الثانوي حدثت تطورات بالنسبة لي ، استمرت الصداقة بين ثاني ومال سواء في المدرسة في الشوارع في البيت والأخير هو المهم بالنسبة لي وكان يأتي وحيدا كما تعودنا في العام الفائت ، الشاب الذي رافقهم مرة لم يعد ؛ لذلك نسيناه .

كانت أمي ترحب بمال كما تعودت ، وأصبح صديقا لها ، وتطبع على خديه قبلاتها كما تفعل معنا .. كيف حدث هذا ؟! لا أدري ؛ بل تجلس وتتحدث معهم ؛ كما تتحدث مع رجال النادي كانت تدخل عليهم بالشاي والمكسرات ، وأحيانا تقدم لهما عشاء خفيفا ، وتجلس تسمع لكلامهم وتعلق وتناقش .. فأدركت أن الأمر تطور كثيرا ، وأن الشاب أصبح ابن العائلة ، لا صديق فحسب ، ولم تفسح لي المجال للتعرف عليه ، ومشاركتهم الجلسة مع أنني لمحت لها بذلك .. فلم تدعوني لفعل ذلك .. وثاني رغم أنه يحدثني عنه لم يدعوني لذلك ، ولم يمنعني .. وأبي أحيانا على غير العادة يطيل الجلوس معهم ، ويتناقش مع مال بأمور غريبة علينا حول الأخبار والسياسة وهذا لم يكن من طباع أبي في البيت ، ثم كان يشجعهم على الدراسة والاستعداد للعام القادم .. هذا التطور حدث من أول شهر في السنة الثانية ؛ إنهم لا يحبون السهر في الخارج لثاني ؛ فكأنهم وجدوا ذلك أفضل من خروجهم للمقاهي ، ولم يعودا يلحان على ثاني لمرافقتهم إلى مشواريهم وعروضهم المسرحية والزيارات والحفلات الغنائية.. فأخذت أفكر جديا بالتعرف على هذا الشاب الذي غير سلوكيات في البيت دون إرادته بالتأكيد ، وقلت ما دام الشاب صديق الأسرة لماذا لا أتعرف عليه مثلهم ، وقد أصبح مقبولا ؟

خرجت الأسرة لشراء ملابس وسهرة ، فآثرت البقاء ، واعتذرت عن الخروج معهم .. وجدتها فرصة بريئة للتعرف على مال ، وتطوعت لتقديم الخدمة لهما بدلا عن أمي ، ولم يعترض ثاني على ذلك ، لما جهزت لهما الشاي لبست ملابس جميلة ، لم أدخل عليهما بالبيجامة وثياب البيت ، طرقت الباب بلطف .

فقال ثاني : ادخلي يا أولى.

دخلت وسلمت ووضعت الشاي على طاولة أو منضدة وحييت الشاب وقلت بحياء قبل أن

أصبه : أهلا بالأخ مال الدين .

فبادر ثاني فقال : هذه توأمي يا مال ، ولدت قبلي بزمن يسير .. نحن توأم .. وسبق أن حدثتك عن ذلك ؛ فسميت أولى ؛ لأنها ولدت قبلي، وسميت ثانيا

كنت أسكب لهما الشاي ، وتابع : وهذا حبيبي مال الدين حسين رفيق المدرسة والملعب والصف .. لقد انتقل لصفي يا أولى .

تمتم مال مرحبا وفعلت مثله ، وأدركت بقوة عمق الصداقة بينهما ؛ كأنه يعرفه على زميل .

وعاد مال يقول : أهلا بالآنسة العزيزة أولى .. تشرفنا بالأخت العزيزة ـ وكان يشير إليّ بالجلوس ـ أخت حبيبي ثاني .. فأنا مثلك أحب المطالعة كما يحدثني ثاني عنك .

ثاني يحدثه عني عجبت ، وعجبت لجرأته أيضا فهو يتكلم ؛ كأننا أصدقاء منذ عهد بعيد .

نظرت لثاني الذي قال دون حرج وتردد : نعم ، هو مثلك في حب الروايات المملة .. يموت في القصص والقصص الفارغة منذ الطفولة .. نحن من نفس السن يا أولى ؛ وربما ولد يقرأ .

وضحكوا وتبسمت وتعجبت من كليهما ؛ كأني أجلس معهم من قبل قرن ، وكررت الترحيب بمال وشكرته وقلت وأنا أقف: تريد شيئا آخر يا ثاني .

فقال : ما دام أهلك في الخارج اجلسي معنا .. فمال أصبح من العائلة كما تقول أمك وابن لها ؛ ولعلك تجدين بعض القصص التي ليست عندك .

عدت للجلوس وأنا مصدومة من تصرف ثاني ، فجلست قبالتهم ، وعدنا أنا ومال نرحب ببعضنا ونختلس النظر ببعض .. وبدأ أنه لم يجلس مع فتاة قبل هذه المرة رغم جراءة كلامه لي في أول لقاء .. وأخذنا الحديث عن القصص والروايات بسرعة ؛ ولعل أول رواية تحدثنا عنها إحدى روائع يوسف السباعي ، وتحدثنا عن بعض مسرحيات شكسبير ، ووجدت لديه اطلاعا رائعا ، وبعد حين استنزفنا معلوماتنا واستعراضنا كمجاملة.

فقال لي ثاني : كيف ترين ثقافة مال يا أولى ؟

ضحكت وقلت : صاحبك قارئ عميق ! يقرأ شرقا وغربا .. فهو يقرأ عربيا وغربيا .

وبعد نصف ساعة استأذنت لأحضر لهم شيئا آخر فقال مال : الشاي يكفي يا عزيزتي أولى! أنا سررت بالتعرف عليك .. فقد أكثر أخي ثاني بالحديث عن ثقافتك وحبك للقصص .

شكرته وقلت لثاني: أتشربون القهوة ؟

قال : لا بأس .. أنت لماذا لم ترافقي العائلة ؟

فقلت دون تردد : شعرت بالتعب اليوم ، ولا رغبة لحضور المسرح .. وعدت نهى صديقتي في المدرسة بأن نحضرها معا .

ـ القهوة يا أولى قبل أن تنامي .

هكذا بدأ أول جلوس لي مع مال ، تعرفت عليه تلك الليلة مباشرة كضيف وصديق للعائلة ووجدته شابا مثقفا ومهذبا وحييا رغم تظاهره بالجراءة للحديث معي أو هو جريء بالكلام حقيقة ؛ كأنه لا يخاطب فتاة لأول مرة يجلس معها أو من كثرة حديث ثاني له عني وحبي للقراءة بدا ؛ كأننا أصدقاء .. وثاني كما ذكرت سابقا كان يحدثني عنه بدون تحرج ، ولا أعتقد أن أخي يظن أنه ستحدث قصة حب بيننا من لقاء .. فأخي فاشل في علاقاته مع الجنس الآخر لم أسمع له قصة في ذلك تستحق الاهتمام ، صحبة سريعة وفراق .

أدخلت القهوة ، وخرجت متظاهرة بأنني شبعت من الحديث معهم عن الأدب والروايات .. الحق أنني كنت مبهورة بمال ، ورغم صغر سنه كان قارئا ممتازا بدا ذلك من خلال اللقاء ، لم يكن دعي ، وعلمت أنه لاعب شطرنج ممتاز من خلال كلامنا .

لما رجعت الأسرة تلك الليلة كان مال مغادرا ، وثاني نائما ، وأنا مستيقظة وظللت في انتظارهم لأرى الملابس الجديدة ، ولم أحدث أمي عن جلوسي لمال ، تركت ذلك لثاني الذي لا يخفي شيئا عنها .. لقد رغبت بالجلوس معه ثانية ، لم تكن رغبة حب وعشق ، فبيننا فارق طبقي كبير ؛ فأنا ثرية كما قلت لكم بثراء والديّ ، ومال فقير كما علمت من أمي وثاني ، واجتياز ذلك الحاجز ليس من السهولة بمكان .

غاب مال أياما قبل العودة لسهرة أخرى والحديث عن الأدب والقصص ؛ لذلك قلت لثاني:

لقد وعدت ـ كما تعلم ـ مالا صاحبك بثلاث روايات .. هل تأخذها له ؟

قال : لا داعي لأخذها له في المدرسة عندما يأتي أعطيه إياها .. أنا لاحظت أنه أعجبك الحديث معه عن الروايات وانسجمتما معا .

أجبت ملاحظة أخي : كان واعيا يا ثاني لما يقرأ .. تظن أنه يحفظ الرواية عن ظهر قلب .. أنا بنت ووقتي في البيت أكثر منه كما بدا من كلامك فأتأمل وأدقق فيما أقرأ ، فظهر أنه يقرأ أكثر مني وأنا أقرأ أقل منه، ومع ذلك كان يعرف الكثير من التفاصيل في قصة شكسبير عطيل والملك لير .

قال معجبا : عندما يتحدث مال عن قصة يا أولى يستطيع تلخيصها بكلمات .. ويستطيع تفصيلها ؛ كأنه يقرأها لك بفقراتها .. حسب رغبة المستمع .. وهو يحب الشعر ، ويحفظ عشرات القصائد في الشعر القديم المعلقات والحماسة والحديث كشوقي والبارودي.. الشعر الحر يقرأ منه ؛ ولكنه لا يحبه ، ولا يراه شعرا .

ـ لا يراه شعرا ! وماذا يراه ؟

تبسم وقال : هبلا وضحكا على الناس ؛ لذلك يقول لي هذا عمره قصير لا يبقى إلا في المكتبات .

ـ شوقتني للجدل معه .

قال : اعلمي أنه يكره الجنس الآخر .

ـ يكرهنا !

ـ حذر .. لا صديقة له .. يكتب رسائل غزل للبنات لأصحابنا .

قلت : كيف كان يحدثني ؛ كأننا أصدقاء من قرن ؟

قال : ربما من كثر حديثي عنك ؛ وربما لصداقته لأمي .

قلت : بماذا يتحدث مع أمي ؟

تنهد ورد : ألم تحدثك أمك عن ذلك ؟

ـ ولماذا تحدثني عنه ؟!

قال مؤكدا لي اعجابه بصديقه مال : لا أحد يجلس معه جلسة شاعرية إلا فتن به .. هو يحضر الفلم مرة واحدة يصبح ؛ كأنه هو كاتب سيناريو الفلم أو قصته .. لابد أن تجلسي معه أكثر ؛ لتستمتعي بالحوار معه .

فقلت : أمي قد تعارض جلوسنا مع غريب .

قال بثقة : لا، ذكرت أمامي كذا مرة ، لو جلست معك أولى لسرت من الحديث معك حول القصص والكتب .

قلت استغرابا : أمي قالت ذلك!

قال : أمك مثلي مسرورة بصداقتنا .. فهي تحدثه عن مشكلة بينها وبين صديقة لها في النوادي في الدائرة تجد لديه أفضل الاقتراحات لحلها .. فهو مثقف في الدين في المجلات والفن .

تفاجأت بما أسمع من ثاني ، وكدت لا أصدقه .. أمي تناقش مشاكلها مع مال الشاب الصغير !ولكن أعلم أن أمي تجلس معهم في الغالب إن لم تكن في خارج البيت .. ومهد لي ثاني بهذا الحوار العودة للحديث مع مال بدون أي حرج وأي محظورات .

وقال : تجدينه يعرف تفاصيل القصة رغم كثرة قراءاته .. وبعض القصص يقرأها أكثر من مرة ومرات .. ويعلق لو فعل المؤلف كذا لكان أفضل

قلت : أوه ! يريد أن يعدل على فكر الكاتب وخياله.

قال : هو يقول الكاتب يقول ما يقول ربما الفكرة التي عندي لم تأت بخياله .. ومرات يحصر الكاتب الحل باحتمال أو اثنين.. فيقول هناك احتمال ثالث ورابع ؛ لكنه أي الكاتب يعلم أن القارئ لا يهمه التفكير يهمه القراءة والانتهاء منها .

قلت : هذه فلسفة .. فعلا لمست بالوقت القصير معه أن عنده شغف .. وجدت من يسابقني.

ـ مال بعد انصرافه مغادرا من عندي يظل للصبح يقرأ لا ينام قبل قراءة رواية أو قصة كاملة .

ـ والمدرسة !

قال : يأتي .. لا يحب الغياب.. قد يقرأ بعض القصص ذات الحجم الصغير في المدرسة .. يقرأ

ذلك أكثر من كتب المدرسة .. وعند اللعب يلعب حتى يمل .. سواء في ملعب السلة أو كرة اليد حيث بدأت حكايتي معه .

سألت : ما الذي جمعكم ويجمعكم ؟

قال : أنا عرفته من خلال ملعب كرة اليد ،كنّا نلعب سوية ضمن فريق واحد أو خصمين .. وهو هذا العام انتقل لصفي .. فصرنا أبناء صف واحد .. وهو جيد في الدراسة ؛ لكن لديه ضعف في مادة اللغة الأجنبية ومادة الرياضيات إلى حد ما .. الكمال لله وحده .

عدت أقول : المهم لديّ روايات جديدة لو أعطيته إياها .

ـ عندما يحضر يا أولى أفضل ، وإذا أحببت فاستعيري منه .. فهو يملك الكثير ، ويفقد الكثير لدى الشباب .. فهو يوزعها بين زميل وآخر .

ـ أخشى أن لا تسمح أمك بالجلوس معكم .

قال كأنه غير مصدق بمنعها : أمي لا تسمح ! هي تجلس معنا .. هذا الأمر لك .. فهال شاب محترم ، وأثق به ، ويحترم التقاليد والبيت .. وهو يحب من يسمع له عن الأدب والشعر .. إنه يقول الشعر ، ويرسم أحيانا .. هواياته كثيرة يا أولى .. والشاب لا يحب البنات والمغامرات العاطفية .

ـ قلت ذلك ؛ ولكنه شاب مراهق .

تبسم وقال : هو يكتب الرسائل للعشاق كما قلت لك .. ويقول لي هذا دليل كذب هؤلاء المحبين .. غيرهم يكتب لهم فأين الحب والمشاعر ؟ هم يبحثون عن التسلية .. وهو لم يحاول لنفسه إلا مرتين ، ثم ندم كما قال لي .. وأبدى اعجابه بك خاصة حبك للقراءة .

ـ قال لك ذلك .

قال : نعم ، إعجاب قراءة ،لا إعجاب شاب بفتاة هوى وغرام .. فهو يفتن لما يجد من يقرأ مثله ويطالع مثله .. ولو كانت أولى .. ويحب من يسمع له ويناقشه في قراءته .. يقول نمتحن الذاكرة .. من أجل هذا أعجب بك .

ـ أخشى أن يجبني ما دام يكره جنس النساء!

قال : لا أعتقد أن يصل الأمر إلى ذلك .. هو لا يحب مرافقة الشباب لمدارس البنات للصيد كما يقول .

ـ ليصيد فتاة ! وضحكت أولى

وتابع شقيقي : وهذا ما يفعله بعض الزملاء .. بعضهم يذهب لمرافقة صديقته أو حبيبته لبيتها .. مال لا يستسيغ هذا الهبل كما يقول .. ويقول تضيع ساعة أو أكثر في التسكع والكلام الفارغ .. وأيضا نحن أصدقاء فلا أظن أن يغدر بنا .. وأنا أعتبرك أعقلنا في البيت .

ـ لكني أنثى ولي مشاعر وعواطف .. قد أحبه أنا .

قال بهدوء : ممكن .. لكني لم أسمع عنك شيئا من هذا القبيل .

ـ لم أجد الفارس الذي أهام به .. قد يكون مالا . ضحك شقيقي وقال : لا أعتقد .. فالشاب محترم .. ونحن نحن.. وهو شاب فقير يعلم ما الفرق بين أسرتينا إلا إذا أنت عشقته كما يحدث في بعض القصص ..الأميرة تحب الفقير و .. و.. و ..

ضحكت وقلت : وهذا يحدث في الروايات وفي الواقع .. أنت تثق به لهذه الدرجة .. وهذا حب كبير منك له .

ـ أعز صديق ؛ بل هو صديقي الوحيد اليوم ، حتى أمي اقتنعت بصداقتنا ، وتحدثه عن صديقاتها ونوادرها في النادي ومع الجارات .

قلت : هذا ما يثير الدهشة !

فقال : وأنا أثق بك .. وأنا لا أمنعك من الحب ، ولا دخل لي بذلك ؛ لكن لا أحب أن أخسر مالا يا أولى .. وكثيرا ما ذكرت اسمك أمامه .. نحن توأم .. فهو يعتبرك أنا.. وأنا فكرت قبل نهاية الفصل الماضي أن أعرفك عليه ؛ لتتحدثنا عن هوايتكما المشتركة القراءة للروايات .

ـ أنت تغامر بعواطفي يا ثاني .

ـ صحيح لم يسجل عليك صحبة شاب في النادي أو الشارع ؛ لكنك تتحدثين مع أولاد العم

والخال بأدب واحترام .

قلت : لم يعجبني أحدهم لأحبه .. أنا أرغب بالجامعة قبل الحب يا ثاني .

ـ كلنا يريد ذلك .

قلت لنفسي : عجيب أخي في هذا الحديث ! هل يرغب لي بحب مال.. هذا غير معقول طبعا .. ويتحدث عني لمال ؛ كأنه يتحدث عن فتاة لا تمت له بصلة .. وثاني نادرا ما يشرب الخمر لأقول كان ثملا ؛ لكني طربت لصراحته وشجاعته ؛ ليتحدث معي بهذه الصراحة عن موضوع حساس ودقيق في نظر الناس والأسرة .. فهو لا يخشى عليّ من عشق صاحبه .. هل لأنه لم يسجل عليّ قصصا قبل ذلك.. فرآني عاقلة ومحافظة إذا صح التعبير .. فها هو مال يرى مثلي سخافة هذه العلاقات ويعتبرها هبلا .. ويكتب رسائل ويسخر من ناقليها لمحبوباتهم وهي تحمل أفكاره ولغته.

فقلت : شكرًا ثاني إنني أحبك أنت .. وشكرا لثقتك بي .. أنا مثل صاحبك أعتبر هذه العلاقات أسخف من السخف .. عاطفة مزيفة يا أخي العزيز

قال : نعم ، بينكما أشياء متشابهة .. تعودنا على حسن تصرفك .

احتضنت شقيقي بحب ، وقبلته من رأسه ..كان لقاء غريبا من ثاني وجريئا وصادقا .

الصداقة

حضر مال بعد هذا الحوار الجريء والصريح بيني وبين ثاني ، وإنه لا يعتبر جلوسي مع صديقه محرجا له ، وسمحت أمي لي بالجلوس والحوار دون أي مانع لما علمت عن جلوسي القصير معهم منذ فترة ، ودردشة مال معي.. لم تَر خطرا عليّ من الحديث معه ، والحديث يدور داخل البيت وبوجود ثاني .. وتقبل مال وجودي معهم ، ولم ير في ذلك أي حرج .. وهذا ما عبر به صراحة لأمي .

فقال : أولى أختي كما أنت والدتي . فهو يعتبر نفسه صديق لكل العائلة، وكان حديثنا عن الأدب والقصص ، وخرجت للقاء كالمرة السابقة بلباس الخروج من البيت ، كنت ألبس السروال الطويل عادة وبلوزة تغطي الذراعين ، ورأسي وشعري مكشوف .. نحن لا نلبس غطاء الرأس وكنا نتحدث نحن الأربعة ؛كأننا نجلس في النادي ، وكانت أمي تمدحني وتثني على عقلي وتربيتي المتزنة ، ومال يثني على تربيتها .

كانت أمي معجبة بمال ، ومحبة له حتى أن وسواسا دخل قلبي من هذا الحب لهذا المراهق ؛ ولكني طردت هذه الخواطر الرديئة لعدم وجود ما يدل عليها ، وثانيا وجود ثاني معهم ، وأخلاق مال ، وقبول والدي لجلوسها معه دون اعتراض ، ولم أعرف عن أمي قصصا سيئة بعكس أبي .

وقالت : العجيب يا مال إنك تزعم أنك تكره البنات ، وأنك لم تصاحب أي فتاة .. وأنت في هذه السن ، وتحفظ كل هذا الغزل ! كان قد أسمعنا بعض أبيات الغزل لشعراء الجاهلية .

فقال : الغزل كان كتمهيد للشعر والقصائد ، وكذلك وصف الناقة والاطلال .

فقال ثاني معلقا : يحفظه ؛ ليكتب رسائل الغزل للزملاء .

وتحدثنا حول هذا الموضوع ثم قال : شكرًا لكم .. أنتم كأهلي .. وثاني يعلم ذلك .

بعد هذا اللقاء الثاني الدافئ كانت أمي تعتبر خروجي للترحيب بمال أمرا طبيعيا عاديا ، ولم يعد خروجي لذلك محرجا لي .. وانسجمت حقيقة معهم في الحديث عن شأني الخاص والعام كما

هم يفعلون .. فأمي تحدثهم عن مشاكلها في الدائرة أو مشاكل الموظفات وتسمع تعليقات مال وثاني ؛كأنها تتشاور معهم .. وكل جلسة تأخذ بعض الوقت للحديث عن الروايات والجديد منها في الأسواق ، ورأينا في هذه القصة وتلك ، وكانت أمي مسرورة من انسجامي مع مال حتى أني صرت أحدثه عن مشاكلي في المدرسة ومع الزميلات ، وأسمع حكمه ورأيه .. وأنا أتعجب من ذلك الانسجام والسماع حتى أني سألت نفسي لما كنت أتحدث معه عن أمور خاصة .. هل أنا مغرمة به من غير أن أشعر ؟! أهذا هو الحب الذي يتحدثون عنه ؟! هو لا يتحدث عن الحب كعلاقة معي .. فالفجوة بيننا كبيرة .. وصارت لديّ خشية من الوقوع في هواه.. أنا لم أفكر بذلك ؛ لكنه أصبح هاجسا في وجداني ومخيلتي ، وقلت لنفسي : ثاني يتحدث عني معه بدون أي حرج ..كانت ثقته بهال كبيرة ، وحتى أمي تثق به من ناحيتي ، وتقبلت جلوسي معه بالبيجامة فعلت ذلك مرة ، ولم تهتم أمي ولا ثاني هل يرغبون بزواجي منه ويمهدون لذلك ؟ إنه فقير من الفئة الكادحة .. كيف سيوفر لي عيشا كما أعيش في بيت أبي ؟ كنت في حيرة في تفسير هذا السماح ..كنت أجلس معهم بثياب الخروج إلا مرة كسرت الحاجز ، ولم يحدث شيء حتى مال لم يعلق ، وقلت لنفسي سأكرر ذلك بعد حين .. لم أحاول الغزل معه أو اعطاءه فكرة أني أغرم به .. وهذا لم يكن بعد ؛ إنما صار هذا بعد .. وتجاهلني كليا لما أخذت أرسل له إشارات عاطفية ورغبة بعلاقة عاطفية ؛ ربما استاء وخشي من تطور الأمر .. صرت حقيقة أتشوق للقائه كالعاشق الولهان .. وخشيت الافتضاح وإدراك أمي لحركاتي أو حتى ثاني لما أبوح به له من كلام حب ومن غمز وجمل معلقة .. فكنت أتحدث عن غراميات فتيات المدرسة والجيران ، وما أسمع من قصص البنات ، وأتحدث معه صدقا ؛ كأنني أتحدث مع صديقة أو زميلة مدرسة ، وأتحدث مع ثاني عنه بدون أي حساب .

قلت لكم إن العائلة لتمضية حياتها تذهب للمسارح والسينما والحدائق والنزهات .. فأبي يحب ذلك ، وفي الغالب ترافقه أمي .. أما نحن مرة هكذا ومرة أخرى لا نذهب حسب المزاج والرغبة .. وتمنيت مرافقتهم لمال وثاني إلى السينما أو مطعم ، لم أكشف مكنون قلبي لهم .

وأصبح مع الوقت وجودي معهم أمرا طبيعيا ، ولو لوقت قصير إذا كانت هناك صديقة أو أقارب يزورونا من جنسنا النسوي.. لم أجد معارضة من أحد أو نقد .. وترى أمي أن ذلك طبيعي ما دمت أنا راضية به ، ويريحني من البقاء وحدي في غرفتي حتى لو بقيت لنصف الليل.
مال أحدث تغيرات لم أتخيل حدوثها في البيت ، حتى أبي لم يعترض على طول سهرنا معه ، كان يرى مالا رجلا ومهما في البيت ، ويعتبر مالا كنزا أن خفف من سهر ثاني في الخارج ، وإذا خرج مع مال نعرف مكانهما.

كنّا مرة أنا وثاني ومال وحدنا في البيت ، كانت النية أن يذهبا للمقهى لموعد مع رفاقهم في لعب الورق ، ولما علم مال بخروج العائلة واقتراح ثاني البقاء في البيت وعدم تركي وحدي ، وافق مال على الاقتراح ، وأنا أسمع بعد تردد قصير ، وقوله الأصدقاء سيعتبون علينا نعتذر لهم غدا ودخلا وقال ثاني : لغينا الخروج يا أولى .. لم نحب أن تبقي وحدك خوفا عليك من الغيلان يقال يا مال إن الغول حيوان خرافي !

قال : نعم ، هذا صحيح مع أن الأمهات تخوف صغارها بالغول والغولة .

حييت مالا كالعادة ، أصبح أمرا لازما الخروج للترحيب به ، وشكرت شقيقي على تعاطفه ، وقلت مازحة : لعلك خفت يا ثاني أن أدخل صديقا في غيبتكم .

ضحكوا وقال : لم يخطر في بالي ذلك يا أولى .. فأنت في الخارج لا صديق لك .

ـ القلوب تتغير يا مال أليس كذلك ؟

قال ثاني : أختي يا مال لم نسجل عليها صحبة شاب .. أنا فعلت وفشلت علا مثلي .. أما يزيد فله عدة رفيقات كما يزعم.. وتذكر يا صديقي أنه يصغرني بأربع سنوات ؛ ولكني لا أصدقه .. فهو إذا جلس مع فتاة اعتبرها حبيبة .. ادخل أيها الصديق !

بيتنا واسع يتكون من طابقين ، نحن الأولاد الأربعة لنا الطابق العلوي والأسفل للوالدين وغرف الاستقبال والمعيشة .. الذي تقدم في علاقتي بمال أصبحت أمد يدي لمصافحته ، وهو يفعل مثلي.. وأحيانا يمازحني بكلمة غزلية أو بيت شعر عاطفي ، ويقول : البنات تحب الغزل

يا ثاني ولو نفاقا .

فيقول ثاني : أصحيح يا أولى ؟

رددت : قد يكون ذلك صحيحا كما نرى من بنات المدرسة .. ترى الشاب يكلمها بما يفعل مال .. فتذوب حبا ، وتصنع من الحبة قبة .

فعقب : إذاً يا مال احذر من الغزل بأولى ؛ لأنها إذا أحببتك ستغير حياتك

قال : بماذا ستتغير حياتي يا ثاني ؟

لم أشعر أن مالا يغازلني من خلف الستارة بما يفتتح حديثه معي ، فقد قال ثاني : إن مالا يكره النساء .. وكررت أمي ذلك .. فهل هو صادق بكره النساء أم هو زعم؟! لم أتناقش معه في ذلك لحتى ذلك الوقت .

كنت أفكر بهذه الكلمة والكره ، وما يعني الكره لنا عنده ؟ وهو منسجم معنا أنا وأمي ، ونحن من جنس النساء ، لم أشعر بأنه يكرهني ، ويعاملني بضيق أو بغض ؛ بل أراه فرحا وباشا لرؤيتي ، ويقابلني بالابتسام والغزل .. وفيه صفات جميلة وطيبة ، بل صرت أتخيله معي في السرير زوجا ويداعبني وأداعبه .. وأحلم به زوجا ، ثم أعترض على هذه الأفكار ، وهذا الخيال .

صنعت لهما الشاي ، ثم دخلت ولبست ملابس البيت ، خلعت ملابس الخروج ، وكان الأمر عاديا بالنسبة لهم ، لم يعلق أحدهم على فعل هذا .

وهما مغرمان بالشاي ؛ ربما يشربان إبريقا كاملا ، ويطلبان المزيد ، يتحدثان عن الرياضة ومنافساتها والنوادي الرياضية .

ويتحدثان عن المدرسة والطلاب والمدرسين والمدير ، وعن مغامرات الشباب النسائية ، ثم يفسحان المجال لي للحديث عما أشاء من قصص في المدرسة مع الزميلات في النادي كما يتحدثون .. نضحك نعلق ندخن .. أنا لا أكثر من الدخان سيجارة أو اثنتان طول الجلسة .. ثم نأخذ بالحديث المشترك بيني وبين مال عن آخر لغز بوليسي وصل البلد .. فهذه الألغاز كانت تصل شهريا للمدينة ، ونتحدث عن المؤلفين مثل هوجو وإسكندر وزولا والسباعي ، ومن

يخطر على بالنا ، ثم سمعته يقول : أنت فتاة عجيبة وممتع الحديث معك !..لم أكن أتخيل فتاة في سنك تقرأ مثلي.. أغلب البنات يبحثن عن الأغاني العاطفية والمغامرات الولدانية.. أما الثقافة والجدية فهذا قليل .. أقول ذلك حقيقة .

قلت : كما تجد شبابا جادين .. هناك فتيات جادة ، ولا يفارقن المكتبات سواء في المدرسة أو النوادي .. وهناك الزاهدات في الثقافة .

ضحك وقال : حلوة كلمة الزاهدات يا ثاني ! لي صديق عاجز عن قراءة الرسائل التي تأتيه من الصبايا .. صدقوا أنني لا أبالغ سوى الهدايا والدفاتر التذكارية التي تهل عليه منهن .

أخذ ثاني يكيل له المدح حتى غرق بالخجل والحياء ولي .

فقال مال : أنا الحيي من النساء اندمجت في النقاش معك.. أنت ممتازة يا آنسة حقا .. ففي كتب المدرسة تتعمقين ، وفي القصص تقرئين بصورة جدية وتعين ما فيها .. هذا ذكاء منك!

قلت لنفسي : أهذا غزل فيّ منه ؟ هل هو حب مبطن؟! أمره يحير .

وهذا الكلام لما يصدر من شاب مراهق لفتاة مراهقة ، فهو خطير وجريء وأمام أخي، فقلت : شكرًا لكما .. أشكر لك هذا الثناء لي ولأخي الحبيب وتوأمي يا مال .

قال : هذه الهواية ليست لدى ثاني .

فقال ثاني : رغم سعي أمي لزرع هذه الهواية فيّ لم أنجح ؛ لكنها نجحت مع أولى .. وتعطيها لتشتري الكتب والقصص .. حتى يزيد وعلا ليسا مثلها

قال مال : متى تقرئين هذه القصص والكتب ؟

قلت : عادة في المساء قبل النوم أو قبل الذهاب للمدرسة إذا استيقظت مبكرة .

قال : تستغلين الوقت .

ـ أجل ، أستريح لما أرجع من المدرسة.. في العادة لم يكن والدي قد عادا من الدوام اليومي .. نتناول الطعام المعد ليلا أو فجرا ، ثم أراجع إن لم أنم بعض الوقت حسب إرهاق المدرسة ، ثم القراءة إلا إذا خرجنا في أمر ؛ ولكني أقرأ قبل النوم حتى لما أسهر بصحبتكم أفعل قبل

النوم .. ولا يعني هذا أنني محبوسة .. وأنا لا أخرج دائما معهم .. فاستغل خروجهم في المطالعة .. أخرج لتغيير الجو واكتساب المعارف من مخالطة الناس .. ولي منافسات في المدرسة وفي نادي المقاصد أو نادي المالية .

عقب مال : هذا أفضل شيء للفتاة .. أحسن من تضييع وقتها في التسكع مع شباب مثلج غير محترم يبحث عن الشهوات والوهم والضياع .

ضحكنا فقد قالها بعصبية وحقد بدا لي وقلت بمكر :كان ثاني يحب ذلك وما زال .

قال ثاني : لا ، يا أولى تغير الوضع منذ عرفت مالا .. لا أدري يا مال لماذا تهرب مني الفتيات سريعا ويبحثن عن غيري ؟! لست بشعا ، أنت الوحيد الذي لا يمل من سماعي .. قبل جلوسك معي كانت هذه ـ وأشار إليّ ـ تسمع خمس دقائق وتنسحب .. اليوم تجلس معي وتسمع بالساعات .

فقال مال باسما : لأنني موجود ؛ ربما أنت وحدك ممل .

ـ لماذا أنت لا تمل من سماعي ؟!

ضحك مال وقال : لا أدري! .. أذكر أول مرة تعرفت عليك بجد كما تذكر عندما جرى بيننا نزاع على هدف .. هل هو صحيح أم لا ؟ ثم تصالحنا وأصبحنا أصدقاء .

قلت : تخاصمتا على هدف .

قال : أنا زعمت أن الهدف خاطئا ، وأصر ثاني على صحته ، وحكم الزملاء بيننا .. وجمعنا الدخان سرا في المدرسة .. هات سيجارة خذ سيجارة وصرنا زملاء صف بعد زمالة الملعب .

قال ثاني : وجدت فيك شيئا جعلني أرتاح لصحبتك .. وأنك لا تستسلم للخصم بسهولة ، ثم تقبل الاعتذار وتعتذر .

ـ شكرًا يا ثاني .

كانت سهرة ممتعة معهما وخرج الشاب ليلا ، وقد صافحني مودعا ، وهو يقول : الحديث معك في غاية المتعة.. أخشى أن أغير نظرتي عن النساء .

قال ثاني : ليتني أفهم هذه النظرة ! وأنت لم تصاحب فتاة .

ضحك قائلا : ها أنا صاحبت شقيقتك الغالية .. ومن خلالها سأفهم عقلية النساء .

فتجرأ ثاني فقال : هل تعتقد أنك ستصل يوما إلى علاقة غرام معها ؟

صاح :لا ، لا ، لست من أهل الغرام والهوى .

وقلت : أنا وأنا مثلك . ولم يكن ذلك صحيحا .

وسلم واختفى ، وأنا ذهبت لسريري أحلم بالغرام والهوى .. هل يتحدث عني هذا المراهق ؟ لقد أحببته فعلا إنه يدرك أنني وقعت في هواه ؛ لذلك يذكر الحواجز .. لا يريدني أن أتورط . قضيت ساعة أتقلب في سريري وأتخيله ينام بجواري .. هل ورطني ثاني وأمي بهذا ؟ لكنني كنت أرغب باللقاء به من أجل القصص وهذه الهواية وقلت : لا يمكن أن يغامر معي ، فليس هناك أمل لزواج بيني وبينه ، ولا أظنه يقبل أن أكون عشيقة له .

أصبحت في مأزق حقيقي ، فقررت أن أتوقف عن الجلوس معهم ، فثاني يورط بي دون أن أشعر .. هل ما بي حب كالذي أسمعه من بنات المدرسة والنادي؟ لذلك لما جاء بعد ليال تظاهرت بالمرض ، وقاومت لم أشاركهم السهر .. وفعلا قضيت المساء مريضة بالصداع ، ثم القيء وبعد هذه المرضة خرجت ، وجلست وقتا قصيرا ، ثم اعتذرت بالتعب والصداع فرافقتني أمي لحجرتي وقالت : ما بك يا أولى ؟

ـ متعبة يا أمي ! دروس اليوم أتعبتني .

ـ هل أسأ إليك مال أو ثاني ؟

قلت : لماذا هذا السؤال يا أمي ؟!

قالت : أنت منذ جلستك الأخيرة معهم عند غيابنا مترددة في السهر معنا

ـ لا ، لم يغضبني أحد منهما ؛ بل أن أسر من الجلوس معهم .. وأنفس عن روحي .

ـ من أجل هذا سمحت لك بصحبتهم .

قلت : شكرًا لك يا أمي .. فرصة طيبة ؛ لكنني متعبة فعلا يا أمي .

ـ حسن !

لما حضر مال في الزيارة التالية ـ كان يحضر في الأسبوع ؛ ربما ثلاث مرات للسهر ـ أيام الاختبارات كان يتوقف الشاب عن الزيارة ـ فلبست أجمل الفساتين ، ونزلت مرحبا به ، وحضرت أمي كالعادة بالشاي والمكسرات أو البسكويت، نهض مال مسلما ومسلما خديه لأمي أصبح طقسا مطلوبا بدا لي ، ولما عادوا للجلوس قال: أهلا بأمي الثانية .

رحبت به أمي من جديد ، وسألته عن أمه وأهله وقالت: كيف أنت اليوم يا أولى ؟

قلت : بخير يا أمي

قال : تركتها متعبة المرة الماضية الحمد لله على السلامة .

قلت : لي أسبوع منهكة يا مال .. لم أستطع السهر معكم المرات الماضية .

قال ثاني: أنت لا تنامين مبكرة عادة .

ـ نعم ، كان لدينا في المدرسة أسبوع نشاط متعب .

دعت لي أمي والشابان بالعافية والقوة ، وتحدث ثاني عن قرب امتحانات الفصل الأول والاستعداد لها ، ثم عقب فقال : هل فتحت كتابا يا مال استعدادا لها ؟

تطلع في عيني وقال :أنا لا أعرف كيف يقرأ الناس في كتب المدرسة ؟!

فقالت أمي : كما تقرأ في كتب غير المدرسة .

قال : هذا سر .. أنا أندمج في قراءة كتب علمية وأدبية .. ولما أفتح كتاب المدرسة أنعس وأحس بثقل .

قلت : كثير من الناس مثلك .. كيف تنجح؟

قال ثاني : فعلا كيف تنجح ؟ عمرك ما حملت مادة .. وأنت تعلم أن شرح الاستاذ لا يكفي .

قال: أتصفح الكتاب .. وقد أركز على أشياء معينة .. وربك يجبر .

قالت أمي : إلهام يعني!

تبسم وقال : تقريبا ؛ لذلك أترك الدراسة لثاني .

قلت : ألا تغش وتكتب رشتات ؟

قال : أبدا ؛ بل بعضهم يغش عني .. أنا فقط أسعى للنجاح ،لا أهتم بالعلامات العليا .. والأسئلة متنوعة للقوي والمتوسط والضعيف .

قال ثاني : الأسبوع القادم قد تبدأ الامتحانات حسب ما تسرب .. أين ستقضي أسبوعك ؟

ـ رفاق المقهى يتذمرون من غيبتي ..سأستغل الإجازة عنك معهم ..والنادي الذي أسسناه سأتفرغ له .

قالت أمي : أي نادي ؟

قال ثاني : أولاد حيه أسسوا نادي للعب كرة القدم نادي شعبي.. ومال له نادي شطرنج خاص.

تحدث الشاب عن قصة نواديه ولعبه فيها ، ولما خيم الصمت ، قالت أمي بسؤال مفاجئ له ؛ وكأنه لي : ألم تعرف الحب يا مال ؟

تطلع إليّ للحظات ، وقال : عرفته كما عرفه ثاني ؛ لكني ما خرجت مع أي فتاة للمشي في شارع إلى مطعم إلى سينما .. تعرفت على بعض الفتيات في الحي ..نتحدث في ضوء النهار ؛ بل كتبت شعرا في واحدة منهن .. ولم أجلس معها في خلوة ؛ كأنها طلبت أن أكتب فيها قصيدة ففعلت .. ومرة فتاة دعتني لحبها فاعتذرت لما نقلت لي رسالتها .. وهناك فتاة أراها في السنة مرة عندما تأتي من السفر ، حب سنوي .. ويصدف أن أكون منتظرا رفيقا تقف قبالتي تبادلني حركة العيون وغير ذلك .. وأحيانا أشاركها الهبل ، ثم لما تسافر ينتهي الأمر جملة .

قلت : وكيف تزعم أنك تكره النساء ؟

قال : وما زلت .. ولا أعتبر هذه الوقفات غراما بالنساء أو حبا يا آنسة .. الحب الذي أعرفه غير ذلك .. ها هو ثاني التقى بعشرات الصبايا ، ولم يقع في حب إحداهن أو العكس.. الحب أعمق من ذلك.. لي أصدقاء سنوات يغرقون في الحب واللقاءات .. ويحلمون بالزواج من محبوباتهم يا أم ثاني .. أما لقاء فكيف حالك ؟ ما أخبارك ؟ يمسك يدها .. أهذا حب ؟ لا لا .. هذه سذاجة .

قالت أمي : وإذا كانت هناك فتاة تحبك ، وأنت لا تستطيع حبها ماذا عليها أن تفعل ؟

قال ثاني : ولماذا يحبها يا أمي؟ وهو عاجز عن حبها والوصول إليها .

قلت لنفسي : هل تقصدني أمي وتريد نقل رسالة لي ؟

فقلت : ولماذا لا يستطيع حبها يا أمي ؟!

قالت أمي: امرأة متزوجة مثلا أحبتك ماذا تفعل يا مال ؟

قال باسما : أهذا لغز أم حقيقة ؟

ـ لنفرض أنه حقيقة .

رد بجرأة عرفتها فيه : هذه لا تحبه ؛ إنما تشتهيه ..تريد الزنا ، والله أعلم .

فقال ثاني : فعلا هذه امرأة شهوانية تطلب الفاحشة يا أمي .. ما دام لها زوج فلتحبه .. أما إذا لم تحبه فتطلب الطلاق .

قال مال :نعم ، تطلب الطلاق وتحبه .. وقد لا يقبل بها المحب زوجة .

تنهدت أمي وقالت : هذا إذا كانت متزوجة ، وإذا كانت عزباء أو مطلقة أو أرملة أحبت مالا وأنت لا ترغبها حبيبة ماذا تفعل هذه الفتاة ؟

فقال : ماذا تفعل يا ثاني ؟

رد : لماذا لا يستطيع حبها؟

قالت : أميرة ملكة غنية

ـ فعلا هذه صعبة يا مال .

فقال مال : يهاجر من البلد حتى تتزوج أو ...

وسكت فقلت : أو !

قال : لا داعي لأو .

قالت أمي : أو تموت يا أولى .

صحت : أوه ! حسن هذا له !.. وهي ماذا تفعل ليذهب عنها هذا الهوى ؟

قال ثاني : تنسى وتبحث عن ذكر آخر ؛ لنفرض أن الحبيب قد مات .. هل ستبقى من غير حبيب ؟ لا يصدق ذلك .

قال مال : عليها بنسيانه ، وكما قال ثاني تبحث عن رجل من مستواها الاجتماعي .

هل هذه كانت رسالة لي؟ هل أدركت أمي الحب الصامت في قلبي لحبيبي مال ؟ أنا أدرك تماما أن مالا يحس بحبي ..وأن كل هذه الأشعار الغزلية رسالة لي ..أنا غنية وهو فقير .. أنا أبي دكتور مالية ووالده عامل بسيط .. أحببته وسأظل أحبه وإن لم أتزوجه .. فهذا الحل عندي يا مال .. الأيام قد يكون لها أمر وكلام آخر .. حبيبي مال .. ألستم أنتم الذين سمحتم لي بالجلوس معه واللقاء به؟!

اختفى مال مع أيام الامتحانات ، قالت أمي : أتحبين الشاب يا أولى ؟

نظرت إليها مليا ثم قلت : ولماذا لا أحبه ؟ ألستم تحبونه ؟!

قالت بهدوء : نحن أحببناه كصديق لنا.. أما أنت فتحبينه كحبيب ؟

قلت : لا أدري!

ـ أنا أمك يا أولى ، وأعرفك لست غبية .

قلت : والحل يا أمي!

كان الحديث بيننا فقط : أنت من جيله ..وأنت من تعرفين من نحن ؟وهو صديق ثاني ، ولا يقبل خيانته .

قلت : أنا حبي له في قلبي يا أمي ! وأعرف من أنا ؟ ومن نحن ؟ ومن هو ؟

قالت : فالزواج منه يا ابنتي صعب .. وأنت أمامك الجامعة قبل الزواج .

قلت : أعرف يا أمي .. لن أخلو به .. ولن أغازله .. ولن أكتب له .

ـ الأمر صعب عليك ، ولم أكن أتوقع منك ذلك .

ـ القلب بيد الله .

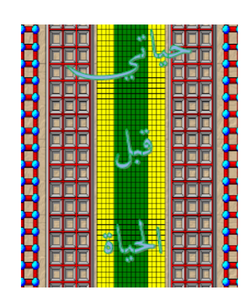
ـ العقل من الله .

قلت : لم يلمسني يا أمي ، ولم نخلُ ببعضنا .. فأحبه في الخيال ، وأعرف أنه لا يفكر بي زوجة أو حبيبة .

قالت : نسلم أمرنا لله أفضل .

قلت : أشكرك يا أمي ! وإذا ترين أن لا أخرج للحديث معكم أفعل .

قالت : لا أمنعك من ذلك .. فليبق الأمر بينكم حول هوايتكم المشتركة فثاني لن يتخلى عنه بسهولة .. فلنصبر حتى تنتهي هذه المرحلة .



النجاح والفراق

أحببت مالا حبا صامتا ، رغبت بأن أتمشى وإياه في حديقة ، أذهب معه إلى مسرح أو دار عرض .. الحواجز بين العائلات لا تسمح بذلك إلا إذا تحديت أسرتي.. وهل يقبل مال ذلك؟ لا أظنه يقبل ؛ لأن الحب بدا داخل بيتنا ، لم أعرفه في شارع أو نادي أو أي مكان ..نشأ الحب في بيتنا .. وهو صديق أخي الوحيد ..وأنا متأكدة أن الشاب يحبني ، عيونه تتكلم ، وحركاته وحديثه يقول ذلك ؛ ولكنه لا يريد خيانة صديقه الذي سمح له بدخول البيت والجلوس مع أمه وأبيه وأخته .. نعم عليّ أن أكظم عشقي لهذا الشاب كما يفعل هو .. الحب الصامت .

رضيت كما تريد والدتي بحبي الصامت والجلوس معهم ، وحصر علاقتي به بالقصص والثقافة لا مجال للخلوة والقبل والمداعبة تركتها للفراش والأحلام والخيال.

دخلت الثانوية العامة ، وبدا الاجتهاد لي ولثاني .. علينا أن نجتهد .. عرض الوالد علينا المدرسين الخصوصيين ، فقبل ثاني ورفضت أنا فلست بحاجة لهم .. قلّت زيارات مال .. لم تنقطع كانت ليلة الجمعة فقط ، ولم يحدث لحبي الصامت أي تطور .. اليأس فقط .. فنحن من جيل واحد ..وهو الفقير وأنا بنت الغني .. ومال لم يحاول جري لعمل يسيء للعائلة .. وجاءت الامتحانات بعد سنة طويلة .. نجحت بمعدل جيد جدا ، وثاني تقريبا مثلي وأما صاحبنا مال فلم ينجح .. وهذا كان متوقعا كما قال ثاني .. فهو ضعيف للغاية في مادتي الرياضيات واللغات الأجنبية .. كنّا نتمنى له النجاح مثلنا .. واتصل بي مهنئا وبأمي ، ووعد بزيارة من أجل ذلك .. وفعلا كانت بعد هدوء عاصفة نتائج الثانوية العامة .. حضر بعد أسبوع بعد ترتيب مع ثاني وقبلني لأول مره من ناصيتي وهو على البوابة مهنئا .. وقبل أمي مباركا .. وسهرنا معه ، وجاء والدي وثاني .. وتعشينا سوية بصحبته وواسيناه وحدثنا أنه يفكر بالذهاب لخدمة العلم ، وشجعناه جمعينا بالكرة ثانية .. وعرفت أنها زيارة وداع أيضا .

ولما انصرف شكرنا شكرًا أخجلنا .. فالرجل له لسان جميل ، وتمنى لي التوفيق في الجامعة ، وسمحت له بتقبيلي ثانية .

وقلت له : أحبك وسأبقى أحبك فقال همسا مثلي : وأنا كذلك . وأعطاني رقم صندوق بريده وقبل ثاني وأمي وقال : لعلنا نلتقي .. الأمور ستتغير .

قالت وقد دمعت عيناها : أحببناك يا مال ، ونتمنى أن لا يكون هذا لقاء وداع .

قال : لا أنساكم يا خالتي أبدا .. فأحلى ثلاث سنين كانت لحتى الآن .. واستوصوا بأولى خيرا .. فهي أعز صديقة ومعرفة لي .

فقال ثاني : أحبك يا مال كما أحب أسرتي .. وأنت الصديق الغالي.. وستبقى صداقتنا ..فانت تعرف البيت والحي والهاتف.

اختفى جسد مال ، ودخلت حجرتي أبكي .. بكيت وكثيرا ما بكيت من أجل مال ..وكنت قد تصورت معه في البيت طبعا .. تصورنا ذات ليلة بكاميرا اشتراها يزيد ، فهو من هواة التصوير. أخرجت تلك الصور ونظرتها من جديد ، وهمست : أحبك يا مال الدين هل تكون شريك هذا السرير يوما ما ؟ أليس ذلك نهاية الحب الزواج ؟

التحقت بكلية اللغات أدرس اللغة الفرنسية كما كنت أرغب ، وأخي كلية العلوم ؛ ليكون مدرس علوم .

يشعر الانسان بالفرق بين الثانوية والجامعة ، شعرت أنني كبرت سنوات .. الاختلاط لم يكن جديدا عليّ ، فنحن نختلط بهم في النوادي التي نشترك فيها ، لم أكون أي صداقة مع فتيان وشباب النوادي ، لم أجد من يهواه القلب .

كنّا نتابع أخبار مال الدين عن طريق ثاني الذي اشتغل مثلي في الجامعة ، وبدا يتلاشى مال من حياته ، فقد وجد في البنات وفتيات الجامعة هوى ورغبة أكثر ، فبدأت مغامراته سريعا .. وأمي تتابعه بحرقة وخوف .. فهي درست في الجامعة مثلنا ، وتعرف مغامرات الجامعة وبنات الجامعة حيث يضيع الشباب بين السيقان والخمور والفجور ، وتخاف عليّ أيضا من التعرف على شاب شهواني يفترسني كما تقول بكل صراحة .. الشباب عندها ذئاب يبحثون عن الرغبات .. والفتيات مستعدات لذلك ،وأنا لمست ذلك سريعا.

فكنت أكتب لمال بما أرى وأسمع ، ويقدم لي النصائح والإرشادات والمحافظة على نفسي وشرفي وعدم الانزلاق في مغامرات غير محسوبة .. وكنت أسمع ما يقول وينصح وأقبل به .. أكتب له وأنا في الحديقة ، وأنا في المكتبة .. كنت أجد لذة في الكتابة إليه وسماع أخباره .. وفرحت لما أخبرني أن أمه مصرة على أن يعيد ، وأنه سجل في مدرسة خاصة ، ثم علمت أنه ملّ وأخذ يعمل في مهن مختلفة، وأنه مصمم على الذهاب للجيش وأداء خدمة العلم .

الجامعة عالم جميل لمن أحب أن يكون جميلا ، وعالم بشع لمن أراد ذلك .. مطاردة الشباب للبنات أمر تشمئز منه النفس .. ترى ذكورا لا هم لهم إلا البنات .. وبنات أيضا لا هم لهن إلا ذلك .. وهناك الجادون من كلا الجنسين فتعرضت لمضايقات ومحاولات تكوين صداقات همها العبث والشهوات قاومت وركزت على دراستي ؛ لكن فرعي كله شباب من أسر غنية .. الدراسة أمر ثاني لهم ..تصاحبه تجده يريد جرك لحفلات وسهرات ..وبعض الصديقات سقطن ، وصار همهن قضاء ليلة في حضن شاب فاسد شهواني .. ثم تنتقل لآخر .. وأخرى ترغب بزوج بعد التخرج.. فيقضي شهوته ويتركها تبحث عن غيره .. الوضع لم يكن مريحا لي .. وبعضهن تساعد الشباب في اصطياد الشابات لمثل هذه المغامرات .. استطعت اجتياز السنة الأولى بدون السقوط رغم فساد من حاولت صداقتهن .. لم تسمح لي نصائح وحماية أمي ورسائل مال بالانزلاق للهاوية .. ولم أجد الفارس الصادق الذي لا يريد الجسد .

لديّ جهاز مناعة ولكن الإثارة والرغبة تلتهب في الجسم مما تسمع وترى تظن أن الجامعة مرتع للبغاء .. تدخل حديقة تجد ما يريب .. تدخل المطعم كذلك .. وجدت النادي أهون شرا من ساحات الجامعة وخاصة كلية الآداب .

كنت أتحدث مع أمي عن ذلك ، وتنصحني بحسن الاختيار للزملاء والزميلات ، وأن الفتاة إذا سلمت نفسها لشاب سيهجرها بعد حين ويبحث عن غيرها .. وهي ستضطر البحث عن غيره لتجبر كسرها فالصبر والثبات هو الأفضل .. وأكثر أحاديث الشباب عن الرغبة والجنس والعلاقات العابرة ، وأن فترة الجامعة لن تعود .

دخلت السنة الثانية وعلاقتي بهال رسائل ، وهو يستعد للذهاب للجيش لأداء التجنيد الإجباري كما يسمونه .

ولما تجند دخلت السنة الثالثة في الجامعة ، أصبح لديّ الرغبة بقوة لإيجاد البديل عن مال ، وأن لا أمل بالزواج منه ونهاية لحبي له .. هو خرج من الدراسة ، وهذا سبب آخر يباعد بيننا سوى المستوى الاجتماعي والطبقي المصطنع والسن ؛ لكن حبه في القلب .. فحدثتني أمي عن زوج عن ابن خالتها مازن سميح درس الطب سنة ، ثم تركه ودرس القانون ، وهو يعمل محاميا في مكتب خالي هاني سالم .. وهو يرغب بزوجة بعد تخرجه وعمله .. أنا أعرفه جيدا ، دخل بيتنا ، ودخلنا بيت أمه خالة أمي ، وأعرفه من خلال النادي المقاصد الكبرى .. وكان ينظر إليّ حقيقة دائما بشهوة ورغبة واضحة في عينيه .. حاول معاكستي مرارا ؛ لكنني اعتذرت له ، وأخبرته أنا لا أحب هذه الأفعال الصبيانية ، وانتهى الأمر حتى دخلت في السنة الثالثة .. وكان هناك شاب جامعي يرغب بي زوجة بعد التخرج ، ولم ينل مني قبلة فانقلب إلى فتاة تمشي معي ؛ ليدفعني للغيرة ؛ ليعود إليّ فتجاهلته .. فحاول ثانية فصرفته بالتي هي أحسن .. كان الأمل في الحياة مع الشاب الذي تفتح له قلبي يتضاءل .. مازن مصر على الزواج مني وخالة أمي تضغط على أمي وأبي .. وأن الشاب مستعد للصبر حتى أتخرج إذا حدثت الخطبة أو الزواج واكمال الدراسة .. وأنا الرغبة برجل تزيد في جسمي .. الجسم يصيح والشهوة تزيد والهرمون يرتفع لديّ .. مغامرات ثاني تعزز النار في جسدي .. أريد رجلا .. أريد حبيبا ..أريد أن أفرغ طاقتي التي زادت لديّ حتى أن أمي أدركت أنني على وشك السقوط ، وأنني ما زلت متعلقة بهال.

قالت أمي : تزوجي من مازن.. أليس هو رجلا كغيره ؟

قلت : لا أحبه يا أمي كيف سأسلمه جسدي قبل روحي ؟

ـ قد تحبينه بعد الزواج .

قلت : هل الزواج قضاء الشهوة فحسب ؟

ـ هذه أهمها.

قلت : أنا أريد مالا .. هو الحبيب الذي أحببته .

قالت : أمر الوصول إليه أمر لا تقبله العائلة يا ابنتي.. أما مازن فلن يعترض أحد .

قلت : هل أسلم نفسي لشباب الجامعة أفضل على أمل أن يحن أحدهم للزواج مني .

ـ لا شباب الجامعة ولا مال .. مال لا يقبل أن يتزوجك .

قلت بغضب : لماذا ؟ لأنني ابنة هدى سالم وموسى أمير .

قالت : لأشياء أخرى .

قلت : صدقي لو لم يجد رفضا منكم لقبل أن يبادلني الحب .. ولم ينظر للغنى والفقر .. هل سيبقى فقيرا يا أمي؟ .. وأنا سأعمل براتب كبير لما أتخرج .. ها أنت تساعدين أبي في مصروف البيت .. لو وجد تشجيعا منك لعبر عن حبه صراحة لي.

قالت : وكيف سيقبل بك وهو في الجيش بعشرة دنانير لا تكفيه سجائر ؟!

قلت : سيقبل .. أنا متأكدة أن الشاب يرغب بي ؛ لكن الحواجز التي كانت في طريقه دفعته أن يبتعد .. ولماذا يعترض ثاني على الزواج من صديقه ؟

ـ أنا أعلم رغبتك الشديدة به من تلك الأيام .. الظروف لم تكن تسمح .. أنتم صغار .

ـ دعيني أحاول ؛ فإذا رفضني سأقبل الزواج من قريبك مازن .

قالت : كيف ستحاولين ؟!

قلت : سأقنعه بالزواج مني وبحبي له .

قالت : افعلي ما تشائين يا أولى !

عانقت أمي وأخذت موافقتها على الاقتران بمال ، وقلت الآن جاء دورك يا مال .

تحدثت مع ثاني عن رغبتي بإقناع مال صاحبه بالزواج مني فامتعض ، وقلت : وافقت أمي على ذلك .. وأنا معجبة به .

ـ وهل وافق هو ؟!

ـ لا نتحدث بذلك.. وهو كما تعلم في الجيش .. وأنت منذ انتهاء الثانوية لم تعد تجتمع به إلا

عرضا .

قال : لم تجدي إلا مالا !

حدثته عن مازن وعدم رغبتي بالزواج منه ، وإذا وافق مال سأتزوج منه رغم فقره .

قال : لم أكن أظن أنك واقعة في هواه لهذا الحد .

ـ لم يظهر لي ذلك .. أنا التي أحببته ، ورفضته أمك .

ـ وأبي .

قلت : ليس مهم رأي أبي .. الرأي لي يا ثاني .

قال : المطلوب مني .

قلت : أنا أريد أن يزورنا مال وأصارحه برغبتي هذه ، وأحاول إقناعه ؛ فإذا لم يوافق سأتزوج مازنا .. هكذا اتفقت مع أمك .

قال : البنات عجيبات .

قلت : لم أحب أحدا في الجامعة .. أريد مقابلته في البيت ؛ لأتحدث معه في الأمر ، وأحسم أمر مازن .. عليك أن ترتب دعوة له وأنا أحدد اليوم .

استسلم ثاني لرغبة شقيقته ، وخشي أن تقابله من دون علمهم ، وحدث مالا برغبته بلقائه ورغبة أولى أن تحدثه شخصيا بأمر مهم وشخصي ، وتحدد له وقت اللقاء.

اللقاء الحاسم

وافق مال على الزيارة واللقاء وبعد غروب الشمس في يوم ماطر ذهب لدرب القلعة ، وضغط على الجرس ، فتحت أولى البوابة ، ولما دخل عانقته ، واحتضنته وضمته لصدرها كغائب رجع من السفر ، وقلبها يخفق بشدة .. وارتبك مال لفعلها ، وكانت ترتدي فستانا فوق الركبة ، وتضع عطرا مثيرا للرجال ، كانت كأنها زوجة في استقبال زوجها العائد من السفر .

جلسوا في الصالون ورحبت أمها به وكان حديثا مطولا ، ثم خلت به وحدثته عن رغبتها بالزواج منه ، وكانت تقوم بحركات اغراء ورغبة جنسية واضحة ،وتكاد أن تسلم نفسها له ، وهو يتمالك رغبته وشهوته ويدافع عن نفسه ، ولا يحب الخيانة والزنا ، وبذلت جهدها لينام معها ، ولو ساعة ما دام لا يرغب بها زوجة ، وكانت ساعة عصيبة عليه مما دفعه أن يرفعها عن فخذيه ، فقد جلست عليهما ، وحاولت تقبيله من شفتيه وهو يمانع ، ووضعت يده على ثدييها فدفعها عن نفسه ، ونهض قائما وخرج مسرعا من البيت ، وهو لا يدرك ما حدث ، ويعجب من رغبتها واستسلامها لشهوة الجنس ، ولما اختفى دخلت أمها ، ووجدتها تبكي فصاحت : سلمته جسدي ورفض هرب .

ـ ماذا فعلت ؟

قلت : عرضت عليه بدني ورفضه .

قالت : ماذا أسمع ؟! هل جننت؟!

قلت بجنون الشهوة : أريد رجلا .

قالت : تريدين رجلا بالحرام !

صحت فيها : وهل نحن نعرف الحرام ؟!

قالت : هل فعل بك شيئا؟

صرخت : هرب .. رفض هذا الجسد .. سأتزوج مازنا لعلي أجد لديه ما لم أجده عند مال .. أأتخذ عشاقا لتهدأ النار في هذا الجسد ؟

قالت أمي وقد عاد إليها طبعها: وهل الجنس يهدئ النار ؟

قلت : الجنس حاجة ملحة للجسم .

قالت : أنت جننت .

صحت : وماذا يفعل ثاني ويزيد مع البنات ؟!

أخذت تبكي أمي ، وأنا أبكي .

ثم سكنّا ، وكان الحل قبول مازن ذكرا لي ، وكان ذلك خلال صيف العام الثالث لي في الجامعة . لقد فشلت بإقناع مال بالزواج مع اعترافه بحبه لي واشتهائه لجسدي ، وقدمت له بدني على طبق من فضه ولم يقبل، وأعلم أنني أخطأت خطأ كبيرا في حقه .. وأما أهلي فليس لهم اهتمام عندي . أتى مازن وأهله ، وقرأوا فاتحتي ، وقبلني الشاب بشهوة أشعلت الرغبة فيّ وأسرعنا بالزواج ، وسلمت نفسي لمازن البغيض لقلبي، ولم أحبه يوما ؛ إنما كان مجرد شريك فراش ، لم أجد عنده الحب ؛ إنما شهوة نقضيها معا ، ولما ينته اللقاء ؛ كأننا أصدقاء شارع أو نادي .. كنّا مجرد زوجين .. ولم يكن بالزوج المنشود ،ولم تكن معاشرته ترضي امرأة .. كله عيوب .. وأعتقد أنه عاشر نساء غيري .. فهو لم يكن شريفا وطاهرا .. وأنا منذ أول ليلة اعتقدت أن له عشيقات وبنات هوى .. كان مستهلكا أقول ذلك ؛ لأن هذا واضح وبان مع الوقت .

التخرج

بعد زواجي السيء من المحامي مازن سميح ابن السبع والعشرين سنة بسنة تخرجت من الكلية .. وكان أبي قد يسر لي عملا فور تخرجي في معهد تدريس اللغة الفرنسية للشباب العرب .. وكنت قد ذهبت عددا من المرات للمعهد ولي معرفة به .. وكان هناك شبه اتفاق على ذلك .. ورغم ما حدث بيني وبين مال كنت أكتب له ، واعتذرت له عن تلك الليلة السوداء ، وبدا أنه تقبل اعتذاري ورغبتي به زوجا أو عشيقا .

ولما تخرجت هو أيضا أنهى خدمة الجيش ، وقل رده على رسائلي ، وبعد تلك الليلة لم يطرق باب بيتنا ، وخفت علاقته أصلا ببيتنا كما تعلمون منذ النجاح في الثانوية .. وظللت متعلقة به رغم زواجي ، ولم يكن مازن الرجل المريح لي .. فأنا كنت أسمع قبل الزواج عن مغامراته النسائية السيئة ؛ لكن الأسر عندنا تسمح بذلك للرجال وتغض الطرف عنه .. وقد حدث ذلك لأبي قبل استقراره العاطفي ، وسكتت أمي عن ذلك ..ولما دخلنا سن المراهقة لم يحدث ذلك من أبينا أو لم نسمع .. وقبلت بالزواج ؛ لأني احتجت لإشباع تلك الغريزة بالحلال قبل السقوط الذي أخذ يلح عليّ .

قلت يوما لمازن : هناك امرأة تتصل كثيرا بالبيت اسمها بلا

حك رأسه وقال : هل تريد شيئا ؟

تقول : إن لها قضية عندك .

قال : لها قضية عندنا ولماذا لا تتصل بالمكتب ؟

ـ وتقول إنها صديقة لك .

ـ صديقاتي كثيرات يا أولى .

قلت : ألا تريد أن تخفف علاقتك مع النساء وقد تزوجت ؟

قال : أرغب بذلك ؛ ولكن التخلص منهن يحتاج لوقت يا أولى .

قلت : لك اليوم زوجة وحبيبة .

قال : أنت زوجة .. لست حبيبة .. أنت حبيبك مال .

قلت : قلت لك ليس بيني وبينه أي علاقة جسدية يا مازن .. وأنا تعلقت به فترة الثانوية .. فقد اختفى من حياتنا بعد نجاحنا في الثانوية .. وما خرجت معه يوما ، ولا خليت به خمس دقائق يا مازن .

قال ببرود : ليتني أصدق .

قلت : ليس بالضرورة أن تصدق .. أنت لا تستطيع محاسبتي على عمل فعلته قبل زواجنا .. هل سألتك عن نسائك قبل الزواج ؟.. وأنت لليوم تُمارس البغاء معهن .

قال : أنا حر .

قلت : إذاً لا حق لك بمحاسبتي ، ولو اتخذت عشيقا .

قال بوقاحة : اتخذي عشيقا إلا مالا .

قلت : كانت لحظة ضعف عندما قبلت بك .

قال : أعلم ، ووقع في قلبي أنك سلمت لنفسك لرجل ، واحتجت لترقيع الأمر .

قلت : لو حدث ذلك ما تزوجتك ، ولو قبل بي مال ما تزوجتك يا مازن .

رد قائلا : أعلم .. متى ستحملين ؟

قلت : أنا لا مشكلة لديّ .. المشكلة عندك.. قلت لا خلفة قبل خمس سنوات زواج .

قال : غيرت رغبتي ، أمي وأمك يريدان الحمل .

قلت: سأتوقف عن أخذ الحبوب ؛ لعلك إذا صرت أبا تترك النساء والعشيقات .

قال : لا عشيقات لديّ .

قلت : لا تضحك عليّ .. أنا سمعت من أختيك شفاء وهناء وأخيك هاني

فقال ساخرا : هذا لا شيء يخفى .

هكذا كنّا نقضي أوقاتنا بنشر غسيلنا خاصة مازن .. وكان عليّ القبول بهذا الواقع المر ؛ لأنني لم أتزوج ملاكا كما تقول أمي .

شغل العمل في المعهد الفرنسي وقتي من المهاترات مع زوجي الشبق للنساء وهو ضعيف جنسيا لم أجد فيه الفحولة التي يتظاهر بها أو أنا مريضة جنسيا ، مع أنني لم أمارس الجنس قبل الزواج كنت عذراء لما تزوجت الفاشل مازن .

الدوام في المعهد يبدأ من العاشرة صباحا حتى الثانية بعد الظهر أربع ساعات التدريس .. هناك أنشطة أخرى رياضة مكتبة أبحاث ترجمات تأخذ المزيد من الوقت .. قد أعود مع الغروب للبيت أو أذهب في زيارات خاصة .. أصبح البقاء في البيت للشقاء والنزاع ..وكثيرا أذهب للمبيت عند أمي فأجدها وحدها تجلس مع التلفزيون ، وأبي في حجرته يخرج مرات ليرحب بي ومرات لا أراه ، هذا طبعه منذ دخلنا الجامعة .. رغبة القراءة استمرت معي طول سنوات الجامعة وفي المعهد ..كنت أقرأ الروايات باللغة الفرنسية .. فاطلع على طبعات أصلية لأدباء فرنسا .. بعد سنة من العمل ذهبت في رحلة لفرنسا وباريس على نفقة المعهد للمزيد من المعرفة عن فرنسا .

بعد عودتي بيسير علمت أنني حامل من المدعو مازن ، وفي عام أربعة وثمانين وضعت مولودي الأول .. كان ذكرا ، تشاجرت مع مازن على تسميته أردت أن اسميه مالا بدون الدين ، فرفض مازن بشدة ، وعيرني بأنه اسم عشيقي .. يا ليته كان عشيقي ! تدخلت أمي وخالتها وسميناه جلالا ، ولما انتهت اجازة الأمومة تكفلت برعايته حماتي أم مازن ، حتى أعود من المعهد ، فتركت العمل الاضافي ، ومع وجود الطفل لم نخلص من المناكفات مع بعض حتى وصل به الظن مرة أن يقول هذا الطفل من أين أتيت به ؟ فصعقت للاتهام ، وكاد الأمر يصل للطلاق والفراق ، وتم ترقيع الأمر ، وعدت إليه ذليلة .

أحببت طفلي ، ولم يرضع من صدري سوى أول أيام ، ثم كف صدري عن الحليب ، فتعود على الحليب الصناعي .

رغم ولادتي لجلال لم تنته المشاكل مع مازن ، وقلت له مرة : لماذا تزوجتني يا مازن ما دمت تراني مومسا ؟

فقال : انتقام .

دهشت وقلت : انتقام ! وماذا فعلت لك للانتقام مني ؟!

قال : أسأت لي مرة في النادي أمام حنان .

قلت : من حنان ؟!

ضحك وقال متهكما : لا تعرفين حنان !

قلت : لا أعرفها .

فصرخ في وجهي : بنت الدكتور باسم .

تأوهت وقلت : آه ! تلك السمراء .. وكيف أسأت لك ؟

قال : كنت أجلس معها نشرب الكولا ، وسلمت علينا من رؤوس مناخيرك ؛ كأننا حشرات ثم قلت لها: ألم تجدي إلا هذا المراهق تحبينه ؟ فقالت : نعم ، هو مراهق بغيض ؛ لكنه مسلي . . ثم ابتعدت عنا .

قلت : كم كان عمري يومها ؟

قال : ليس مهم العمر ..أسأت لنا ، وابتعدت عني قائلة قريبتك تحتقرك

قلت : ومن أجل هذا تزوجتني لتنتقم .

قال : نعم ، هذا أحد الأسباب .

صرخت في وجهه : يا لك من نذل ! خطر في بالي أنك أحببتني يوما ما دون أن أدري .. رغم سماعي الكثير عن قصصك من البنات والنساء المتزوجات قبلت بك .

قال : لتغطي على فجورك .

قلت : لست فاجرة أيها الفاجر الحقير ! ولكني سأصير فاجرة بسببك .

قال : غير مهم ؛ بل سأصاب بالسرور لو رأيتك في حضن رجل غيري .

طفح الكيل ، كان زوجي لا يقربني بالشهر أو أكثر بحجة معاقبتي ، وهو يعاشر عشيقاته والخائنات ، وأعرف بعضهن ، يدخلن بيت العائلة بثياب الشرف والعفاف ، وكانت أخته

شفاء التي تبغضني أكثر منه توفر له مثل ذلك ؛ لأنها بغي وتخون زوجها .
كان أخي ثاني خلال سنوات الجامعة قد فسد ، وأكثر من الزنا حتى فاحت ريحته وتعالج من السفلس كما قيل .. التحق بالجيش بعد الجامعة كسائر الشباب ، ولما أنهى تدريبه الأولي عمل في المدارس العسكرية ، ثم تزوج من ابنة مدير مدرسة ، ووجدنا أنه من سكان درب القلعة .. فتاة اسمها ميساء وكان زواجه في منتصف أربع وثمانين .. وفي هذا السنة علمت أن مالا نجح في الثانوية ، والتزم بالدين والتدين .. وتفاجأت حقا بذلك .. مال يتمشيخ وكتبت له حول ذلك ، وكتب بصحة هذه الاخبار ،وأنه سيدرس معهد متوسط لتخصص المحاسبة في القسم التجاري ، ففرحت له من كل قلبي وأحببت لقاءه فاعتذر بشدة ، وكتب لا أنسى تلك الليلة السوداء ، فبكيت لكلامه ، وعلمت أن الجرح كبير وذلك عندما أردته أن ينام معي ولو ساعة .

***

المعهد فيه رجال يعملون مثلي ، لاحظت أن أحدهم يطيل النظر إليّ ، ويحاول التقرب إلي أكثر فقررت أن أقبل صداقته ؛ لأخفف من التوتر الذي يحصل بيني وبين مازن .
فرافقته للمسرح والمطعم وخلال فترة قصيرة أصبحنا أصدقاء ، وانتشر ذلك في المعهد .. هذا الصديق وزميل العمل كان يكبرني بعدد سنين ، دخل في الأربعينات عندما صاحبته ، كان هدفي التسلية وإراحة أعصابي من مازن ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذ يظهر لي أنه محب لي منذ التحقت بالعمل معهم ، ويرى أنني الصديقة التي كان يبحث عنها .. طبعا لم أصدق ذلك .. وأعرف رغبته في جسدي .. وأنا تقربت إليه من أجل هذه الغاية ؛ لكن عليّ تمثيل دور الساذجة والبلهاء .. المهم أخذ يمهد لذلك بلمسي برغبة ، ويدعوني لبيته وشرب كأس معه .. وعلمت من الأول أنه مطلق أو هاجرته زوجته ..وأنا كانت لديّ الرغبة أن أسلم جسدي لرجل غير زوجي .. وأرى هذه التجربة ؛ لكني لم أحب أن أبدو متعجلة .
وبعد ستة شهور صحبته للبيت ، وتناولنا العشاء والشراب ، ولم يحدث بيننا أي جماع مدح واعجاب بي وبجمالي.. وخلال شهر كنت عشيقة له في الفراش ، ولم يختلف كثيرا عن مازن ، لم

يكن بتلك القوة الجنسية ؛ بل كان يأخذ أدوية لتقوية فحولته ؛ لكني رضيت به عشيقا يعبث بي كيف يشاء ؟

ورتبنا أن يكون لقاؤنا كل أسبوع مرة حتى يبقى الأمر خفيا عن زوجي مع أن ذلك لا يهمني .. فقد أصبح لي عشيق وإن كان يكبرني سنوات .. عشيق خير من لا شيء .

وكان يحاول إسعادي بهذا اللقاء وأن يظهر بالفارس القوي والعشيق الفريد مع أنني أرآه يتعاطى الأدوية لتقوية طاقته ، ولا يترك شيئا فيّ إلا قبله وداعبه موهمي بحبه وشوقه لجسدي .

قبلت به عشيقا مع أنه يكبرني بخمس عشرة سنة نكاية بهجر مازن لي ولكرهي لمازن .

كنت عندما أعود من العمل يوميا أمر على أمي إلا القليل من الأيام .. فلما أصبحت ذَا عشيق كنت استحم في منزلها قبل العودة للبيت ، وأتعشى معها واتصل بالبيت ؛ فإذا كان مازن في البيت أترك له خبرا بمكان وجودي أو أتحدث مع خالة أمي .. وهو لا يهتم بتأخري ؛ لأنه غالبا لا يعود للمنزل إلا بعد نصف الليل .. إما مع نسائه أو مع سهراته الماجنة .. فهو يسهر معهم في النوادي الليلية أو المنزلية .. وكانت والدته تعتني بالطفل أكثر مني بحكم أنني امرأة عاملة .

ذات يوم اتصلت بي امرأة تريد مقابلتي في البيت أو أي مكان .. وكان الموضوع عن مازن ، واتفقنا على مكان اللقاء في مطعم في أحد أحياء المدينة الراقية .

ولما التقينا وعرفتني على نفسها ، وأهم تعريف أنها صديقة لمازن ، ولها عليه أموال ، وأنها تفكر بتقديم شكوى ضده لدى المدعي العام.

فقلت لها : أنا لا أدري ما المطلوب مني ؟!

قالت : أنت زوجته فعليك التسديد عنه حتى لا يسجن .

ضحكت وقلت : أدفع عنه .. وهل هو معسر يا سيدتي ؟

قالت : لا يريد أن يدفع .. يتحداني ويقول : احبسيني .. وأنا من أجل خاطرك وسمعتك لم أقدم الشكوى .

قلت : ما طبيعة العلاقة بينكم ليستلف منك ؟

قالت : ضحك عليّ واتخذني خليلة ، وزعم حبه لي ، وأنه من غير امرأة ، وأخذ أموالا ؛ ليقيم بها مشاريع .. وأنا صدقت .. أنا امرأة مطلقة ؛ لذلك صدقته ، وظننت أننا في النهاية سنتزوج .

قلت : وبكم نصب عليك .

قالت : عشرة آلاف دينار .

قلت : مبلغ محرز .. هذا نصاب دولي وعلى مستوى .. ماذا تعملين أنت ؟

قالت : أنا طبيبة .

قلت دهشة : طبيبة .. وكيف تورطت معه ؟!

قالت : احتجت لحضرة محامي يا سيدة أولى .. فدلوني على مكتبه .. ورحب بي .. وأقنعني أن قضيتي ناجحة .. وإنني سأفوز فيها على زوجي الذي طلقني ، ويعيد لي الأموال التي أخذها مني ، وبعد عدة لقاءات أصبحنا أصدقاء ، ثم سلمته نفسي على أمل أن نتزوج ؛ لأنه زعم أنه غير متزوج .. وصدقت ذلك .. وأنت تعرفين كيف يضحكون علينا ؟

قلت : يضحكون علينا .. تابعي .

وتابعت : وخلال متابعة قضية طليقي أخذ يحدثني عن المشاريع والاستثمار وأنا مصدقة ؛ لأنني في النهاية سأكون زوجة له .. ثم عرفت أنه متزوج منك .. وأنا مجرد فتاة ليل وقضاء وطر ،فصممت على مقاضاته إن لم يدفع .

وبعد فترة صمت قلت : وهل تعتقدين أنني سأدفع عنه يا حضرة الدكتورة ؟ أتعرفين أين صرف تلك الأموال ؟

قالت : لا أدري .

قلت بزعيق وحقد : على السهرات الجنسية والقمار .

قالت : هو عرف كيف يضحك عليّ ؟ .. لعب على وطر الطلاق والزواج وهو محامي .

عدت للصراخ : هو فاجر ومجرم ، لا يمكنني أن أدفع فلسا .

قالت : وسمعة العائلة وابنك عندما يحبس أبوه .

قلت : أنا أدفع ثمن فجوره .. اذهبي لأمه فهي تملك الكثير من الأموال ؛ لعلها تصدق حكايتك وتدفع لك .. فهي يهمها سمعة العائلة أكثر مني .

قالت : أترين ذلك ؟!

قلت : نعم .

قالت : شكرًا لك .. يعني أنك غير مهتمة بحسبه .

قلت : ولا موته .. ولست أنت أول عشيقة وخليلة له .

قالت بانكسار : عرفت ذلك مؤخرا .

وودعتها متمنيا لها النجاح ، وعدت لبيت أمي وقصصت لها هذا المغامرة لابن خالتها .

فقالت أمي : قد تكون كاذبة ، وطمعت بقرشين منك .

ضحكت وقلت : ممكن يا أمي !

كانت حياة شقيقي ثاني صعبة بعد سنة زواج ، كانت ميساء ترغب بالولادة فور زواجها ، وهي من أسرة تحب ذلك ، ومضت سنة زواج ، ولم يحدث الحمل ، وبعد سنتين من الزواج زادت المشاكل ، ورغبت ميساء بالانفصال عن زوجها ، وكان ثاني متمسكا بها .. فهو قد ملّ من الزنا والبنات لما انتهى من الجامعة والجيش .. والمفاجأة أني سمعت أن مالا تدخل في عدم طلاق أخي من ميساء .. ولجأ ثاني إليه للتدخل في قصته ، ونجح في تأجيل الطلاق لسنتين أخريتين ، وأن صلحا حدث بين ثاني ومال أو عودة لماضيهما .. وسافر ثاني إلى الخليج للعمل كمدرس متعاقد ، ولما قضى موسمين رجع ، وتم طلاق ميساء بعد فشلهم بالحمل ، وأخذ يفكر بالزواج من جديد كما كان يتحدث مع أمي وأبي.. وكان البحث صعبا عن امرأة تقبل به كشاب عقيم إلا امرأة لا ترغب بالذرية .

لما رجع ثاني من العمل في الخليج ، وقد طلقت زوجته عادت صداقته لمال وكان يذهب إليه رغم أن مالا خلال عمل ثاني في الخليج درس في معهد شرعي ؛ ليكون شيخا حقيقيا وحصل ذلك .. عادت صداقته لمال ، وكان ثاني يريد الزواج .. وأنا اكتفيت بساعة أو ساعة ونصف

أقضيها مع عشيق المعهد في يوم من الاسبوع ؛ لذلك كنت غير مهتم بهجر مازن لجسدي فوجدت البديل كما يقال .. وكان الرجل يكتفي بهذا اللقاء ، ويرى أنه أشبع رغبته وقضى وطره .. وكان أحيانا يطمع بالمزيد من الزيارات فأقول يكفي مرة .. وكنا نرتب لهذا اللقاء من خلال المعهد .. وكانت أغلب زيارتي لشقته ليلة الجمعة ، فيجهز الشراب والدواء ولما يأتِ الليل أذهب لبيته بسيارتي ، وأقضي معه الوقت والخمر والزنا وأعود لبيت أمي .. وإذا لم تكن لديّ رغبة اعتذر له فيقبل اعتذاري .

ولما حضرت عشيقة مازن الطبيبة تطلب المال مني ، ورفضت الدفع، ذهبت فعلا لأمه ولم تحصل على شيء ، فرفعت قضية على مازن ، ولما عرف جديتها بعودة فلوسها إليها ، تفاهم معها واضطر لمصالحتي وأن نعود للفراش من جديد ، وأن عليّ الحمل لطفل آخر ، فقبلت وساهمت بسد دينه ، وهجرت صاحبي ، وقلت حين تعود المشاكل سأعود إليك ، فعرف الرجل الهدف من إقامة علاقة جنسية معه ، وتقبل الأمر ودعا لي بالتوفيق ، وفعلا أصبحت حاملا خلال ثلاثة شهور من الصلح ، ومازن التزم الهدوء خلال هذه الفترة ، ولما علم بالحمل بدا يتهرب من النوم معي بحجة أنني حامل ويعود للسهر والحياة خارج البيت .

وبعد حين ولدت طفلة بصعوبة كادت تذهب بحياتي ، وفرحت بمولودتي الجديدة ، وتم علاجي من مشقة الحبل بربط المواسير كما يقولون لمنعي من الحبل ثانية ، وحمدت الله على نجاتي من الموت.

وكان ثاني ما زال يبحث عن امرأة ، فعرض مازن الزواج من أخته الأرملة شفاء التي ترملت منذ شهور بعد حملي بشهر أو أكثر ، ونصحت أخي رغم معرفتي بفساده الابتعاد عنها ، فهي مستعدة لإحضار رجل للبيت أمامه إذا أعجب بها ورغب فيها .. فهي مستعدة لذلك ، وكانت تفعل ذلك في حياة زوجها .

ومن المعلوم في نظري أن أي علاقة تقوم بين امرأة ورجل خارج العمل نهايتها علاقة جنسية ؛ ربما تبدأ سريعا أو رويدا رويدا .. أما صداقة وأفكار هذا استدراج وسخرية من بعض .. وهذا

جربته لما تعاملت مع زميلي في المعهد بعد حين تكشفت نواياه ونواي .. وأنا قبلت ذلك ؛ لأني أريد ذلك وهو أكيد فعل ؛ لأنه يريد ذلك .. ولم أر أن مازنا يستحق المحافظة على شرفه .. وأنا لم يعد يهمني ما يقال عن الشرف .

منذ أن حملت ومازن ابتعد عني كزوج ، وعاد لمجونه ولهوه .. ولماذا الناس يتزوجون ؟ وأنا بدوري عدت إلى العشيق الذي تقبل العودة بكل فرح وسعادة.. أنا طبعا لم أزعم أني أحبه ؛ إنما هو شريك في السرير .. وكان يستقبلني كزوجة عادت إليه .. وأنا لا أعرف لماذا طلق زوجته أو طلقته ؟

في المعهد ذات يوم قلت له : قلت الليلة موعدنا .

فقال : أنا جاهز .

ولما ذهبت إليه ليلا وجدت أن لديه ضيفا ، فتظاهرت أني قادمة لزيارة عمل ، وسلمت على صاحبه ، وكان رجلا من جيله ، وبعد حديث يسير علمت أنه عاجز عن النوم معي ، وأن صاحبه مستعد ؛ لأن يكون بديلا له هذه الليلة . ففكرت قليلا وبعد شرب قليل من الخمر ، وافقت وسلمته جسدي ، وودعتها وأنا أزعم أني استمعت بصحبتها .

وعاتبت صاحبي في اليوم التالي ، فقال : كنت مريضا ، ولن أحقق لك رغبتك وأنا أعرف رغبتك .. وهو مثلي من غير زوجة ويعيش على احسان الصديقات.. والرجل مستعد للعودة إذا قبلت ذلك .

قلت : سأفكر.. الرجل أقوى منك جنسيا .

أصبح لي عشيقان ، كنت أحيانا أقبل لقاءهما بي معا ، ومرات أكتفي برفيق المعهد ، لم يعد الجنس عقدة ومحرجا لي .. كانت أمي تحس بسقوطي وبيعي لجسدي ؛ لتعويض هجر مازن لي .. فاضطررت أن أعترف لها باتخاذ العشاق وسكتت فماذا ستفعل ؟ وهي تعلم ما بيني وبين مازن .

والفتاة أو المرأة إذا تناولت الشراب وسكَّرت ماذا يهمها من يقضي شهوته معها ؟ الخمر مصيبة .. فهي ؛ ربما لا تميز رجل عن آخر .

تابت أمي وأبي بعد عودة شقيقي من السعودية ، ترك أبي وأمي الخمر ، وبدأت أسمع برغبتهما بالحج لتكفير ذنوبها ، وكان يكثران من الحديث عن مال الشاب الصغير كيف تاب ورجع للإسلام ودرس الشريعة وتعين اماما لمسجد ؟ وهذا كله ينقله لهما ثاني .. وتمنيت من كل قلبي أن تعود الأيام الخوالي ، وأن نعود لتلك الجلسات والمناقشات .. وأن يعود الحب الصامت لمال .. ما زلت أهواه رغم التغير الذي حل به .

ثم حدث الحج حقيقة ، ذهبت أمي وأبي للحج ، وأنا كانت حياتي رتيبة عمل في المعهد من الصباح حتى المساء ، أطفالي مع جدتهم منذ خروجي للعمل ، وفترة الصباح أجلس معهم بعض الوقت .. جلال دخل المدرسة .. وعشاقي لهم ليلة في الاسبوع أو ساعات .. وهكذا مضت الأيام .. وهجري من مازن كزوجة .. يزعم أنه لا يستمتع بمعاشرتي ، ويراني عجوزا .. وأنا تلك الأيام لم أبلغ الثلاثين من العمر ..وحاول عشيقي الثاني تكرار اللقاء مرتين في الاسبوع فقلت له : أنا أعرف أنني لست المرأة الوحيدة معك .. فلنبق على هذا الترتيب وإلا هجرتكما .

لما رجعت أمي من الحج مرضت ، وزارنا مال ، والتقيت به من جديد وعادت أحلامي القديمة والشوق للاستمتاع بجسده الشاب ،كما كان يحدث معي في السرير وأيام مراهقتي ؛ ولكنه أبعد ما يكون أن يحقق لي ذلك .. فهو اليوم متدين ومتمشيخ حقيقة وواقعا وإماما لمسجد ، ولا يعني هذا أن الشيخ ملاك ، ونصحت شقيقي ثاني أمامه بعدم نكاح أخت مازن ونصحه مال بعدما دار بيننا حوار وعتاب .. وتزوج ثاني من الأرملة شفاء وعاش سنتين في جحيم وشقاء كما يقول وأصبح مدمنا على الشراب والخمر ليل نهار حتى اضطر لطلاقها ، وطلقت أنا معه .. وأنا عدت لبيت والديّ وإن كانت أكثر أيامي فيه .. ولم تمكث أمي طويلا بعد طلاق ثاني.. وماتت .. وحزنت على أبي حزنا شديدا .. فقد أصبح وحيدا في شقته حتى أنني فكرت بالتقاعد من أجله وقلت : ماذا أفعل له ؟ أنا ابنته الابنة ليست كالزوجة .. وكان والديّ تقاعدا منذ زمن قبل طلاق ميساء .

غرق ثاني بالشراب ، وترك التعليم بإجازة طويلة ، وذات يوم رغبت بالاستحمام وخلعت

ملابسي كلها لدخول الحمام ، ولم أرتدِ الروب بعد وشعرت بدوخان .. وأنا كنت أنام في بيتي عارية من أجل إغواء زوجي وذلك في أول زواجنا ، ولما لم يهتم بي عدت للنوم بثياب النوم . نمت أو ارتميت على السرير حتى تزول الدوخة وأعود للحمام للاغتسال وكنت ليلتها قد عدت من بيت عشيقي ، ولم اغتسل بعد ؛ وبينما أنا نائمة دخل ثاني لا أدري لماذا ؟ فوجدني عارية فاقترب مني ودنا وهمس أولى أولى ففتحت عيناي وظننته يحاول اغتصابي .. فصرخت ففزع أبي وظن ما ظننته ، وقمت عارية ، وأحضرت سكينا من المطبخ وضربته بها ، فتلقاها بذراعه وبرر ذلك فقال : فكرت أنها مغمى عليها . وأبي يصفع به ثم قال : لماذا أنت عارية ؟

انتبهت لنفسي ، فوضعت الروب على بدني وقلت : كنت سأستحم ، وشعرت بدوخة فطرحت نفسي على التخت .

فهذه قصة الاعتداء عليّ التي بررها ثاني فقال : دخلت الغرفة أبحث عن دخان . فوجدني على تلك الهيئة فظن أن شيئا حدث لي اثناء الاغتسال ، وحضر يزيد الذي يسكن في الطابق الأرضي مع أبي بعد وفاة أمي .

وبعد ذلك بأيام وأثناء ترحيلي لبيت خالتي لقضاء بضعة الأيام حضر ثاني لبيت الأسرة كما علمت ، وتحدث مع ثاني ، ثم حدثت توبة ثاني ، وهجر البيت ؛ لأعود للعيش مع أبي ويزيد ، وعاد للتدريس ودراسة ماجستير الشريعة والدكتوراه فيما بعد .

وأنا بعد الحادثة هجرت صديق المعهد ، فقد اتهمني ثاني بالفجور ، وبيع جسدي .. ولا أدري كيف عرف مازن أو هو ؟

وسافرت إلى فرنسا للعمل في معهد هناك ،وقضيت سنتين فيه ، وكان لي صديق على طريقة الغربيين ، ثم عدت للبلاد ، وقد أنهيت علاقتي بالمعهد ، ووجدت صديق المعهد قد مات ؛ بل علمت بموته وأنا في فرنسا أثر مرض عضال .

وكتبت لمال رسالة أطلب منه أن يجد لي زوجا صالحا ، وإنني راغبة باللحاق بهما .. فوعدني بذلك إذا تيقن من توبتي .

مات أبي موسى أمير ، ولبست الحجاب كما أراد مال ، وعرضت نفسي عليه زوجة ثانية .

فقال معتذرا : لديّ زوجي ، ولا رغبة لي بالتعدد يا أولى .. وأنت أختي وسأزوجك .

وتحقق ذلك بعد شهور ووفى بوعده ، وأنا اليوم زوجة سعيدة ، لم أكن أول زوجة للرجل ، كان متزوجا قبل ذلك ، ولما تدين تركته ابنة عمه لتدينه ، وعشت معه لليوم أحلى أيام الزواج ، وأصلي وأصوم ، ولم يسألني يوما عن الماضي ، ويقول : الماضي للعبرة يا أولى ! ونحن أبناء اليوم .. وكنت أتمنى أن تلدي مني ؛ ولكن مالا قال لي : إنك كدت أن تموتي في ولادتك لابنتك وحدث لك ما حدث .

قلت : يا حبيبي وقرة عيني لم أعرف الدين إلا منذ عهد قريب من سنة ، ولم يكن باستطاعتي عدم التوقف عن الولادة .. كانت حياتي في نظرهم أهم وإذا أنت بحاجة لأولاد فتزوج عليّ فمال حدثني عن ذلك ؛ فأنا لديّ شاب وابنة .

وضمني إلى صدره بحنان وهمس في أذني : عندما يشاء ربي !

حديث ثاني

قصتي مع مال قصة حياة ، لم يكن الفتى ابن حارتي ، ابن النادي المالي نادي العائلة بحكم الوظيفة ، ولا نادي الأقارب وبعض الجيران الأغنياء ، تعارفنا في مدرسة الحسنات الكبرى في المرحلة الثانوية ، وسأذكر من خلال القصة لمحات عن المرحلة السابقة ، المدرسة جمعتنا ، لم نكن أبناء فصل واحد ، كانت شعب الأول الثانوي كثيرة ، كنت أحب لعب كرة اليد ومارستها في النادي المقاصد ، وفي المدرسة الثانوية ، جميع الملاعب كرة القدم واليد والطائرة والسلة وقاعة جمباز وحفرة الرمل للقفز ، كانت مدرسة مهمة فيها مختبرات ومكتبة متميزة .

التقينا في ملعب كرة اليد ، ومن خلال اللعب والاحتكاك تعارفنا ، ثم ازداد التعارف نتيجة التمرينات ، حدث بيننا نزاع خفيف ، وحين انتهى أخذنا نعتذر لبعض ، وكل واحد يبرر انفعاله .

ونتيجة لهذه المنازعة أصبحنا أصدقاء ، وكبرت العلاقة بيننا ، ووجدت أن الشاب يدخن مثلي فصرنا ندخن سرا في المدرسة مع بعض رفاقه ورفاقي ، ثم تطورت العلاقة لما استثنينا من اللعب مع فريق المدرسة ، واكتفينا باللعب لمجرد اللعب ، وعرفني على مقهاه المفضل في وسط المدينة مقهى الذهب في سوق الذهب ، وكان له رفاق يحبون الافلام السينمائية ، فشاركتهم تلك الافلام ، وكانوا لا يحبون المسرح كأسرتنا ، وتعمقت العلاقة بمال دون الآخرين ، ولما كان ينزل للمقهى ماشيا لوسط البلد يمر من عند بيتنا في درب القلعة ، ويأخذني معه إذا رغبت ،وكان من احترامه لي يعود معي حتى لا أرجع وحيدا في الليل يصحبني لبوابة البيت ويودعني ، ويتابع عودته لحي النزهات الكبير لوجود أحياء أخرى تحمل هذا الاسم .

وكان شابا مثقفا وقارئا ممتازا للكتب غير المدرسية ، وله هوايات أخرى ، وكان في الركض سريعا ، وكان في كرة القدم لاعبا ومشجعا للنادي الذي أشجعه ، فزاد تعلقي به ، وأخذ أصحابي في الحي يختفون من حياتي ، ويندر اللقاء بهم ، وخفت علاقتي مع البنات سواء في شوارع المدينة أو نوادي العائلة ، وقلّت زيارتي للنوادي ، وتلك الايام في الفترة الإعدادية لم

أكن ناضجا جنسيا كما نضجت في أول الثانوية حتى أنني تورطت في علاقات جنسية كاملة مع نساء متزوجات يعملن في الدعارة مقابل بعض المال ، ولكني كنت مقلا من الاتصال بهنّ .. كان مال يحذرني بقوة من الانزلاق في الجنس والعلاقات الآثمة ، وأن هؤلاء النساء قد يحملن الأمراض الجنسية لكثرة ما يمارسن البغاء مع رجال دون فحوصات وعلاجات ، فاقتنعت بكلامه ؛ ولربما يمر أكثر من شهر دون الوقوع في الزنا ، وعجبت من عفة صاحبي رغم حبه وكتابته لرسائل الغرام لرفاقه ، أو معارفه بناء على رغبتهم ، ومع حفظه لمعلقة أمرؤ القيس التي تتحدث عن غراميات ذلك الشاعر مع عُنيزة وفاطمة وغيرهن من النساء كحادثة سرق ملابس السابحات .

نتيجة لذلك سمحت لصديقي أن يدخل البيت لرغبة أمي باستقراري في البيت ، والابتعاد عن البنات ، فقد كانت لي صديقات من بنات العائلة والنوادي ، ولي غراميات لطيفة لم يدخلها الجنس لعدم بلوغي ونضجي الكامل ، مع وقوع ذلك لبعض رفاق النادي الأكبر سنا ، حتى أنني رأيت شقيقتي علا أكثر من مرة تعانق أو يعانقها بعض الفتيان ، فيعتذران ويزعمون أنهما محبان لبعض ، أما أختي أولى فلم يصدف أن رأيتها تعمل علاقة عاطفية مع أحدهم ، ولم أسمع وأمي علاقتي بها قوية ، وأطلعها على الكثير من أفعالي ، وتنصحني بضبط علاقاتي مع الفتيات وحدثتها عن أفعال علا ؛ لأرى ردة فعلها فقالت: مراهقة ! والمراهقات يحببن سماع كلمات الحب والغزل كما تفعل مع صاحباتك .

رحبت أمي بدخول مال لبيتنا وأحبته كما صرحت لي بذلك ، وكانت تقوم على خدمتنا ، وتجلس معنا ، ثم تقبل والدي هذه الصداقة ، ورآها جيدة لي للبقاء في المنزل وقتا أكثر والدراسة أكثر .

لم يكن مال صديقا ورفيقا مزعجا سواء في المدرسة أو الملعب أو المقهى اعتبرني أخا له وصديقا ويطلعني على أسراره وأخبار أصدقائه ،فكبرت الثقة بيننا حتى اعترفت له بمغامراتي الجنسية فلم يغضب مني ؛ بل أقر أن له أصدقاء وقعوا بما وقعت به ، وما كان له إلا أن ينصحهم كما

ينصحني ، فقلّت ذكرياتي السيئة مع البغايا ، كنت أخاف من معاشرة الأبكار لصغرهن وخشية وقوعهن في الحمل ، والاساءة إلى ما يسمى غشاء البكارة ، ثم الاجهاض ، مع أن بعضهن فقدن ذلك لقضاء رغباتهن الجنسية أو محاولة إيقاع أحدهم للزواج منهن ، كما حدث مع أحد رفاق المدرسة ؛ لكنني سقطت في براثن وحمى الاباحية ، وتمنيت وجود الجواري التي كانت في العهود القديمة التي قرأنا عنها في الكتب .

كانت علاقة مال في البيت في بيت العائلة محصورة بي ، وكانت أمي إذا لم يكن عندها أمر خارج البيت تسمح لنفسها بالجلوس معنا ، وكان مال يقبل ذلك ، ولا يتحرج منها ، ولم يعترض على ذلك .

ويقول : أمك خائفة عليك تخشى أن أفسدك بأفكاري وخيالي .

فأقول : ولا تهتم ، أمي تعرف من أنا ، وتعرف فسادي وغزلياتي ، ولا تقول شيئا إنها تريدني أن أنجح في الثانوية العامة ، وأتوظف مثلها ، وأدبر أمري في الحياة ؛ بل إنها حدثتني عن الزواج حتى ابتعد عن العاهرات .

فيقول: لو فعلت ذلك كان أفضل لك من الزنا .

كنت أرافق مالا للمقهى ، وذلك عصرا ، يمر عليّ إذا وافقت على ذلك في المدرسة ، وتعلمت منهم بعض الألعاب ، ولا أذكر أسماءها وقوانينها .

الحقيقة أن الجلوس مع مال ولو لدقائق ممتع تستفيد لعبا وثقافة وحتى أحيانا يتحدث في السياسة التي أمتعض من الحديث فيها ، ولا أحبها ، ممكن بسبب تكويني البيتي ، فلا ذكر وأهمية لها في البيت .

مضت السنة الأولى ثانوية بسلام ، وعلاقة حسنة مع مال ، وفي الصيف عرفت من مال أنه يعمل ويشتغل هنا وهناك ؛ ليصرف وينفق على نفسه ، فهو ابن أسرة فقيرة ، أولا بأول ، وله عدد من الأخوة والأخوات ، وقليلا ما يجلس في البيت ، النوم فقط ، وعلاقته جيدة مع الأسرة لكن الوضع الاجتماعي والحالة المالية تدفعه للعمل ؛ فهو يدخن ، ويشتري الكتب والروايات

وغرامه بذلك عجيبا .

يقول : إنه يشتريها من الصف الخامس ويقرأها ، وحتى في مكتبة المدرسة الثانوية كان محبا لذلك ، فأتحرر منه لما يذهب إليها ، وأخبرني أنه قرأ فيها بعض الكتب عن الجزائر والاستعمار يهوى سوى الأدب قراءة كتب التاريخ وسير التاريخ سواء علماء أو قادة .

لا أنكر أن صداقتي القوية لمال في المرحلة الثانوية حمتني من المغامرات الجنسية كثيرا ، وقللت منها ، كانت ثورة الاباحية والشهوانية تجتاحني بقوة ، فكنت أغامر قليلا حتى أني ابتعدت عن شباب أفلام الاباحية ، ومجلات العري التي كنا نتبادلها أيام الثالث الإعدادي ، حتى في النادي كنّا نتبادل تلك الصور زاعمين ؛ بأنها خفية عن الآباء والأمهات ؛ لكن الشهوة والرغبة والتجربة عندما تعصف بالمراهق مثلي الذي لا قدوة له ، ولا مانع يمنعه ، ولا أحد يزجره ويحذره ، فالراجح أن يتلوث ويزل ويهوي إلى الرذيلة .. انتفعت بصحبته تلك الأيام ، في أشهر الصيف قلّ لقائي بمال إلا ببعض الجمع عندما يزورني في البيت ، وأتمشى معه أحيانا في شوارع الحي ، لا أريد أن تسمع أمي أو أحد في البيت همومي الجنسية وسقطاتي ، فكان يقضي الوقت في لومي وخشيته عليّ من النساء الفاجرات .

عدنا للمدرسة وعدنا للقاء في البيت بكثرة ؛ ربما ثلاث مرات في الاسبوع.. وأنا أحب ذلك ؛ لأنه يمنعني من مرافقة شباب الجنس وفيديوهات الاباحية ، ويكثر من لومي ، وأنا فعلا أشعر بحاجة إلى ذلك ؛ فلم يكن لأبي ولا أمي أن يمنعاني من ذلك ، رغم أن علاقتهم ببعض عادية وقليلة النزاعات بينهم ، ويذهبون لنادي المالية في الغالب معا ، ونحن نذهب بمعيتهم خاصة في فترة الطفولة الاولى .. أنا بعد المرحلة الابتدائية قللت كثيرا من مرافقة هؤلاء الفتيان للسينما أو المسرح .

عدنا لتلك اللقاءات والسمر في البيت ، وقلت لكم الأسرة أحبت ذلك ، حتى شقيقتي أولى رغبت بالتعرف عليه مباشرة .

وأخرجت توأمي من قممها لما أكثرت لها من الحديث عن مال وحبه للقراءة مثلها ، كنت

أحب أن تجلس معه لتلهو بالحديث والكلام معه ، وأعرف أن مالا لا يحب محاورة البنات مثلي ولكنه استطاع الحديث مع والدتي ، وحتى والدي لما يكون تاركا للخمر ، ومحبا للثرثرة مع الشباب مثلنا ..فكنت أحزن على أختي المحبة للعزلة والانعكاف في حجرتها لقراءة الروايات وكانت أمي تقبل ذلك ؛ لأني مرة قلت لها : لا يمانع مال بحضور أولى جلستنا . فقالت : وأنا لا أمانع ، فالشاب محترم .. ما رأيته مرة يحاول الإساءة إليّ بالكلام وحتى النظر ككثير من رجال النادي ، فهو يراني كما تراني أنت ؛ ولكن دعها تفعل هذا بنفسها بقناعتها . وحدث ذلك ذات ليلة عادة كانت تبدأ زيارات مال للبيت بعد آذان المغرب أو العشاء ، وكانت الأسرة في الخارج ولم ترافقهم الفتاة ، وتطوعت بخدمتنا بدلا عن أمي ، والتقت بمال وأعجبت به وأريحيته وحبه للقراءة والروايات ، وأفسحت ليلتها المجال لها للحديث معه ، وهو تحدث معها بكل انبساط وكأنه يحدثني ، وكان هذا عجيبا في نفسي ، حتى ظننت أن لمال صديقات يتحاور معهن ، رغم تظاهره بكره الجنس النسوي ، وانبسطت ليلتها أولى به ، وشكرتني فيما بعد على سماحي لها بالجلوس معه ومناقشته ومجادلته. وأصبح هذا أمرا مقبولا لدى العائلة .

ولم أدرك عمق علاقة أولى بمال إلا في وقت متأخر ، أحبت الشاب أكثر من المتاح ، أنا لم أكن ضد أي علاقة عاطفية لها مع أي شاب .. هذا أمر لم يكن يهمني كثيرا ؛ ليس قلة غيرة ؛ إنما هكذا تربينا أن البنت مثل الشاب ، وكنت أعجب من عدم تكوينها علاقات مع شباب الناديين وحتى مع أبناء الاقارب ، بعكس علا التي أعتقد أنها عاشت لحظات وقصصا عاطفية سواء في مرحلة الاعدادية او الثانوية ، كانت تصغرني بعامين ، كانت علاقتي بهم علاقة أسرة أبناء وبنات رجل وأم .. كانت أمي لا تحب تهورات علا ، وكثيرا ما سمعتها توجهها ، والمهم لأمي أن تصل البنت لبيت زوجها عذراء بكرا ، وتغض الطرف عن علاقتها مع أبناء الاقارب.. وكنت أرى أولى جامدة ؛ فلذلك رحبت بوجودها معنا ؛ لكن أن تحب مالا كما ظهر فيما بعد فهذا أدهشني حقيقة ! وهي اكتشفت صعوبة الزواج منه بنفسها ، كان المستوى الاجتماعي يمنع ذلك .. فقر مال ، ونحن أبناء سن واحدة أحد الحواجز الأخرى ، وعادة يكون عندنا

الزوج يكبر الفتاة بسنة على الأقل إن لم يكن سنوات .. فكانت كما ظهر تحبه بصمت ، ومال لم يسع إلى ذلك ، ويعتبر فعل ذلك خيانة ؛ لثقتي وثقة أمي به ، حيث كانت تقبله وتستقبله كابن لها ، وتخدمنا بنفسها ، وتشاركه مشاكلها في النادي والعمل ، وتسمع رأيه ، وهو يبادلها الصداقة وكان الجنس بعيدا عنه وعنها ، رغم أنهما رجل وامرأة ، فلم أسجل عليه حكاية من ذلك ، فكيف مع أمي التي أحبته كابن لها واحترمته ؟ وحتى لو أحب أولى فعلا ما كان يقبل بالخيانة والعشق والمواعيد الخفية ، كانت صداقتنا قوية ، وأنا تساهلت مع أولى بالجلوس معنا ؛ لتنفس عن وحدتها وعزلتها ، وأمي وحتى أبي لم يبديا أي اعتراض على جلوسها وحديثها مع مال ، وأنا تفاجأت عندما رأيت رغبتها الشديدة فيما بعد للزواج من مال المجند بمبلغ بسيط ، لا يكفيه دخان ومواصلات ، ولما حاولت ذلك اعتذر لها ، وكان جيدا لها ولنا .

كانت فترة الصيف فترة انفلات مع الجنس الآخر ، بغياب مال أصدقاء السوء كانوا هم أصحاب النفوذ عليّ .. من أين كانوا يأتون ببائعات الهوى؟ لا أدري صدق ذلك ؛ لكنهن موجودات ، وبمبالغ بسيطة لا تكاد تصدق ..إنهن مومسات غير محترفات كما نسمع عن المحترفات .. ولا أرغب بالتوسع بالحديث عن هذا الالم القاتل .. مستنقع الجنس قذر وعذاب ..وكنت أعجب من مال وغيره ممن يملكون شهواتهم امام الموج الهادر من الاباحية.. لم يكن مال مسلحا بالحماية القوية للدفاع عن نفسه امام الاغواء والاغراء .

وجاءت السنة المهمة والاخيرة ، وعاد مال ؛ ولكن بزيارات أقل بسبب الدراسة المكثفة ، وكثرة دروس الخصوصي ومراكز التقوية لمادة الاحياء الكيمياء الفيزياء الانجليزية الرياضيات لم أكن ضعيفا دراسيا بكل هذه المواد ؛ ربما الموضة التي دفعتني لدراستها سواء في البيت أم مراكز تقوية كنت أعلم أن مالا لن ينجح ؛ لأنه هو يقول ذلك ، ولا يحب دروس التقوية رغبة أو قلة مال .. نجحت ونجحت أولى بعلامات أعلى مني .. وكان الفراق شبه الكامل أو الكامل هي ـ أعني الصداقة واللقاء البيتي ـ خفت في فترة الدراسة ؛ ولكنها بعد الثانوية ستصبح ضعيفة بالتأكيد .. نحن سنصبح في الجامعة .. وهو إما أن يعيد أو يذهب للجيش .. وفرحت

صدقا لما أخبرني بلقاء عابر أنه سوف يعيد لرغبة أمه بذلك ، فأبوه كما بدا من كلامه لا يهمه نجاحه أو رسوبه ، فله أخ شقيق ترك المدرسة قبل الثانوية العامة ، ولم يكترث له والده .

أنا بالنسبة لي مال أصبح خارج الأصدقاء ، وأما أولى فكانت تكتب له وتقول أحيانا يرد على خطاباتها .. أنا لم يكن بيني وبينه أي رسالة إذا التقينا بظرف ما نعاتب بعضنا بأدب ، ويتمنى كل واحد لصاحبه الخير والتوفيق .

علمت من أولى أن الرجل لم يكمل الدراسة ، وتركها والتحق بعمل الكهرباء والطوبار ، وكنت أسمع بعضا من أخباره من بعض معارفه الذين ألتقيهم بغير ميعاد .. وأنا ما زلت أحبه وأقول لأولى سلمي عليه عندما تكتبين له .

منذ وطئت قدماي الجامعة وكلية العلوم تعرفت على الجنس الآخر ، وبدأت أزعم لهن الحب والهوى ؛ وربما أمكث مع الواحدة أياما أو أسابيع ، وأنتقل لغيرها ، وهي تفعل مثلي ، وبعضهن أسهر معهن سهرات ليلية ، وراغبات بالعلاقة الجنسية الكاملة ؛ وكأنها جاءت للجامعة من أجل ذلك ، وإذا تيسر المكان فلم أكن أقصر ، حتى علمت أنني أصبت بمرض جنسي بكتيري ربما كان في أواخر السنة الثانية ، يسمونه الإفرنجي والسفلس والزهري .

كانت صدمة صاعقة وقاتلة ، وتذكرت نصائح مال ، وأخذت بالعلاج سرا ، ووقفت أمي وأبي معي . وقالت :كم نصحتك يا ثاني من تلك الأفعال وتقول لي إنك تبالغين يا أمي؟!

هجرت النساء والزنا مرغما كما يقال ، وأخذت بالعلاج ، وأخبرني الطبيب بالتحسن ، وأن عليّ أن لا أقرب الجنس قبل الشفاء التام ، في آخر السنة الثالثة رغبت أولى بالزواج قبل إنهاء الجامعة ..كان قريب لأمي قد أكثر من ذكرها ، وتحدث معي من أجل الضغط عليها ، وأنه مغرم بها ، وبأخلاقها وبعدها عن الرجال ، كما اشتهر ذلك عنها.

واعترفت لي بحبها لمال ، وأن حبه رغم بعده عنا ما زال في قلبها ، وكان ذلك مفاجئا لي حقا .. فمال ذهب للجيش ، وهو فقير لا يملك مالا ؛ ليتزوج ، ووضع أسرته لا يستطيع مساعدته في زواج ، وعرضت أنها ستعرض الأمر على مال ، وأنه إذا رفضها زوجة ستقبل بالسيد مازن

المحامي المتخرج من سنوات ، ويعمل في مكتب خالي المحامي ، وكانت أمه خالة أمي ، ورتبت لقاء خاصا بين مال وأولى في البيت بوجود أمي ، ولما عدت في الليل ، وجدت أن الحزن يخيم على البيت ، وأن مالا رفض الزواج من الفتاة رغم محاولتها إقناعه بذلك ، وأنها ستساعده ماديا حتى يقف على رجليه ، وأن عملها سيكون فور التخرج .

رفض السيد مال لصداقته لنا ، ولمعرفته بمن هو ؟ أنا لم أحاول وأسعى لإقناعه بها زوجة ويا ليتني فعلت ! .. نحن الفارق المالي والاجتماعي بيننا للأسف كبير ، وكان مهما في العائلة، ولم يكن بينهم أي اتصال عاطفي أيام الثانوية ، ولا بعدها كان حب من طرفها وحدها ؛ بل علمت من أمي فيما بعد ، بعد سنين أنها حاولت إغوائه بمضاجعتها فأبى وهرب .

تزوجت أولى في الصيف ، وأنهت السنة الرابعة كزوجة ، وأنا أعرف مازنا ، كان أسوأ مني في علاقته بالنساء والبنات ، وسمعته معروفة في العائلات القريبة ؛ ونحن نغرش عن أي علاقات جنسية خارج الزواج لأي رجل في العائلة ، فهذا معروف في العائلة التساهل بعلاقة الرجال بالنساء ، حتى البنات نسكت ونتستر إذا حدثت أي إساءة لبنت من أقاربنا أدت لفقد بكارتها وزناها ، وهذا المسمى الصحيح ؛ لكن هكذا تعلمنا .

وكان حظ أولى هذا الانسان ، فعليها أن تتعايش مع هكذا رجل . انهيت الجامعة بسلام ، وتخرجت من كلية العلوم ، ويمكنني أن أعمل كمدرس أو في مختبر .

وكان التخرج في عام اثنين وثمانين ، بعد أربع سنوات دراسة ، ثمانية فصول عليّ أن التحق بالجيش ، وفعلا في شهر أيلول ذهبت لدورة مشاة أساسية هكذا تسمى ، تستمر ثلاثة شهور وبعدها عينت في مدرسة عسكرية لتدريس الطلاب في المرحلة الاساسية ، ثم نقلت إلى المرحلة الاعدادية .

وعاد بي الحنين للنساء ، فكان الزواج وعن طريق زميل في التدريس عرفني على مدير مدرسة لديه بنات في سن الزواج ، والغريب أو القدر أن هذا المدير يسكن في حي درب القلعة ، وذهبت مع أمي ورأينا العروس ، وكانت حسناء ، وقد درست معهد متوسط ، وتعمل في مستشفى

محاسبة ، وتزوجتها فور إنهاء خدمة العلم .. زوجتي المحاسبة اسمها ميساء جميلة وذات خلق بمقياسي ؛ ولكن الزوجات ثقيلات في التعامل مع الازواج خاصة في العلاقة الحميمية ، تجده كأنه واجب عليها يجب أن تخلص منه ، لا يفعلن كما تفعل بنات الهوى من الإثارة والإغراء ، همها الأول من تلك العلاقة الحمل والولادة ، وليس إمتاع الزوج ، ومن كان مثلي قد يزيغ ويعود للانحراف ؛ ولكن مرضي الجنسي السابق دفعني للصبر ، وتحقيق رغبتها بالحمل ، قد فشلت ، فما زلت أعاني من تبعاته أقصد المرض .. وهذا أمر أخفيته عنها ورأيت بأن لا داعي لفتح صفحات الماضي ، وكانت الفحوص تؤكد أن الحمل قد يقع في أي لحظة ؛ لكن أسرة الفتاة خاصة أمها كانت تضغط عليها لتحقيق ذلك ، وأنا عاجز ، فمرات كنت لا أستطيع إكمال عملية الجماع ، فقدت الكثير من طاقتي الجنسية مع بنات الجامعة والنساء الماجنات .. كانت مأساة حياتي الجنسية أثناء الزواج .

علمت من أولى بنجاح مال في الثانوية ، وهو ويدرس المحاسبة في معهد متوسط ، يعمل لمساعدة نفسه وبمساعدة من أخيه بدفع تكاليف الدراسة والأهم أنه تدين.. وهذا أثار استغرابي .. وسعيت للاتصال به ، وتأكدت من تلك الاخبار .

علمت من والدها لميساء الاستاذ سعيد حسن أنه يعرف مالا كشيخ ، وأنه جاء لمسجد الحي لسماع بعض الدروس التي كان يقيمها إمام المسجد ؛ لذلك لما اشتد الضغط عليّ للانفصال طلبت تدخله ، وفعلا وفق بإصلاح ذات البين بيننا ، وأن أعطى فرصة أخرى ؛ لعل الحمل يحدث ، فتمدد الزواج لسنتين أو ثلاث .

وخرجت أعيش بعيدا عن بيت الوالد ، ثم تعاقدت للعمل في الخارج ، فغادرت لدول الخليج وعملت قريبا من خمس سنوات فيها ، وفي السنة الثانية لما عدت للبلد طلقت ميساء حسب الاتفاق ، وإنني عاجز عن تحقيق الحمل .

عدت من السفر نهائيا عام تسع وثمانين ، وأنهيت رحلة التعاقد ، وعدت مدرسا للعمل في مدارس الحكومة مادة العلوم في المرحلة الثانوية ، وعدت للقاء بمال ، وقد تعين إماما لمسجد في

إحدى القرى البعيدة ، فصرت ألتقي به في دكان صاحبه حسين خلو ، ونتذكر أيام زمان ، وأيام الثانوية ، وحدثته عن رغبتي بالزواج .

فقال : يا حبيبي يا ثاني أنت غير متدين.. تدين مثلي لأسعى لك في ذلك .

تجادلنا حول هذه النقطة .. التدين .. وأهمها ترك الخمر والشراب ، واستصعبت التدين ، ووعدته بترك الخمر والشراب ، وكان يظن أنني تركت الشراب لعملي في السعودية ، فأخبرته أن ذلك يحدث وإن بصورة سرية ، وهناك من يهرب الشراب .

حياة أولى مع زوجها كانت سيئة ، وكنت أسمع عنها من أمي ، وأحزن عليها ، وأدركت أن زواجها من مازن غلطة كبيرة ؛ ولكن ليس بيدي حيلة .. والصفات الحسنة لا تباع في الاسواق .. والرجل زير نساء ، وليست مغامراته نزوات عارضة ، وسفري ساعدني أن أبتعد عن مشاكلهما وسماعها ،وآلمني بأن الرجل هجرها في الفراش ، ولا يقربها بالأشهر ، وأنها ترغب بالطلاق .

تاب والديّ ، وهذا أمر نراه في العائلة الكبيرة ، بعد أن ينتهي الكبير من أعمال الدنيا ، ويدركه العمر الستين يترك الخمر والنسوان ، ويتوب ويسعى للحج ، فحجوا عام ثلاث وتسعين.

وزار مال أمي ووالدي ، وبارك لهم الحج ، ونصحني مال بعدم الزواج من شفاء شقيقة مازن .

لم أجد امرأة تقبل بي كزوج إلا هي تلك الفترة ، ولم أقبل اعتراض أولى ومال ، وسكنت مع والدي ، فشفاء شقيقة مازن وقريبة أمي ، ويومها بعد زواجي لأخته سعيت بعودة علاقته لأولى وتحسينها بحكم المصاهرة الجديدة ، ودعوته لترك هجرها في الفراش كما شاع في الأسرة ، فتظاهر أنه مضطر لهذا الهجر ، وأن السبب أنها تتخذ العشاق ، طبعا لم أستغرب ذلك الدفاع ، ففي النهاية أولى امرأة وأنثى ، ولها رغبات كغيرها من النساء ، وبما أن الرجل ابتعد عنها ستبحث عن ذكر غيره .. وبما أنه يخونها علنا ، فهي مستعدة لخيانته ؛ ولكنه أحب أن يؤكد لي أن زوجته تخونه ، كما يخونها ، وأن لها عشاقا ، وأنه مستعد أن يعرفني عليهم ، وليبين لي فساد أولى ، حتى لا أبقى مصدقا أنها له وحده ، فدفعني الفضول لذلك ، وفعلا جمعني بصاحب

أولى في المعهد . وقال لي : هذا الرجل العجوز عشيقها !

حاول الرجل في البداية تكذيب مازن ، ثم اعترف أن بينهما علاقة جنسية منذ سنوات ، وأن له رفيق يشاركه في النوم معها : فتساءلت أهناك امرأة شريفة ؟

ولما شككت بالأمر ، وأن الامر مرتب بينهم . قال مازن : أنت لم تصدق ذلك ، أنا لست مغفلا يا ثاني .. أنا الوحيد الذي لم أستطع أن اثبت أن له علاقة جنسية معها هو مال .. واليوم صاحبك شيخا وإماما للناس .

فرددت مقسما :أقسم لك إن مالا لم يعمل معها علاقة قبل الزواج ولا بعده .

قال :أنا قابلته قبل زواجي من أختك ، وأقسم لي كما أقسمت لي ؛ ولكنها تحبه ، وهي تعترف لي بذلك ، وأرادت أن تسمي ابني جلالا مالا .

قلت : سمعت يا مازن .. أهذا الرجل العجوز أأنت متأكد أنه عشيق لأولى ؟ كيف عرفت ذلك ؟

قال : الأمر ليس صعبا يا ثاني.. أنا لما تركت النوم مع أختك ، وهي لم تكترث ، ولم تسع لإرضائي .. عليّ أن أدرك أنها وجدت البديل ، وببعض الجهد وببعض الحوار مع موظفي المعهد الذين يعرفونني كزوج لها أخبروني عن أكثر الناس لقاء بها بعد الدوام والعمل ، وراقبت شقته ، وعرفت شريكي في الفراش .. والحق لم يكن بيننا فراش إلا أمام الناس .. المقربون يعرف أننا بعيدون عن بعض ، وإنني تصالحت معها بعد مشكلة تلك الطبيبة المطلقة ثم قابلت الرجل وبقليل من التهديد اعترف لي بما يجري في بيته ليلة الجمعة .

قلت : وهل يمكنني أن أتأكد بنفسي ؟

قال :إذا لم تصدق أفعل .

وأعطاني عنوان الرجل وموعد ذهابها إليه ، وفعلت ، ورأيتها تدخل وهي في غاية التبرج ؛ وكأنها ذاهبة للقاء زوجها ، لا تظنوا أنني تألمت ؛ فأنا أقبل ذلك ؛ لأن لي مغامرات حتى وأنا متزوج ، ولا يعني هذا عدم الغيرة ، ما دام زوجها يرضى بفجورها فهل أمنعها أنا ؟! وأنا

الرجل الفاجر مثلها ؛ لكن لمعرفتي القديمة بأولى استغربت ، إنها الشهوة الفتاكة لمن أرخى لها العنان .. رأيتها تخرج بعد أكثر من ساعة من بيت عشيقها ، والرجل يوصلها لسيارتها ثم قبل يدها عندما تصافحا ، ثم رأيت العشيق الثاني يخرج بعد وقت يسير ، ويركب سيارته ، عشيقان في ليلة واحدة عدت مغموما ، وانتهى الموضوع ، وأن أختي كسائر النساء .

بعد عدة أسابيع من زواجي من شفاء بدأت حفلات السهر والمجون في شقة شفاء .

لم ترع لي حرمة أو أني زوج جديد ، فبدا أصدقاؤها أيام زوجها الميت يهلون للشقة ، ويلعبون الميسر ، ويمارسون البغاء مع نساء بعضهم ، وعرضوا عليّ مشاركتهم المجون ، فاحتججت على ذلك . فقالت شفاء : ثاني لا تعمل حالك شريف .

فقلت لها : أنا شريف ، ولم يحدث أن تركت ميساء مع رجل غيري .

صاحت : أنا لست ميساء .. وأنا أعرف شرفك .. ولا تنسى مرضك الجنسي أيام زمان .

قلت بذل : في البيت لا داعي لذلك ، لا أحب أن أكون قوادا .

انسحب الضيوف تلك الليلة ، وتعهد أحدهم بأن يكون السهر في بيته ، وبعد أيام عادوا ، وكان لهم ما لا يحتمل .

فهربت للخمر من شذوذهم ومجونهم حتى أنني لم أعد قادرًا على إقامة علاقة جنسية معها ، وكانت تعيرني : أرأيت أنك لم تعد ذكرا ؟

وزادت الخمر عندي ، فهذا كان الحل في نظري ، وافتعلت المشاكل والنزاع ، ومن ثم الشكوى لمازن وأمها ، فيقول : أنت لم تكن تعرف علاقات شفاء أيام زوجها جميل ؛ لكنه كان أنشط منك ينام مع نسائهم.. المعاملة بالمثل .

قلت : أختك شاذة يعني !

قال : ماذا يسمى تبادل الزوجات يا ثاني ؟

قلت : لا أطيق ذلك .

قال : مع الوقت ستتعود .

لم أستطع التعود على تلك الانحرافات ، وسكنا بشقة عند مازن ، ثم صار أكثر وقتي في درب القلعة عند أمي أشكو لها غمي وشذوذ ابنة خالتها ، فكعادتها تصمت ، صبرت سنتين دون حل ، أصر أبي على طلاقي لها قبل هلاكي أنا ، وحصل الطلاق ، ودفع والدي حقوقها ، واضطر مازن لطلاق أولى بالمقابل زاعما أن ذلك ارضاء لأمه وأخته ، وانتهى ما بيني وتلك الفاجرة .

وبعد طلاقنا بأسابيع ماتت أمي حزنا وكمدا على حالي وحال أولى ، فهي كانت تعرف من أولى نفسها عن علاقتها بالرجال والعشاق ، كنت أتسأل أين هي الحياة السعيدة ؟

جاء مال وقدم لي العزاء ، وعزى كل الأسرة ، وأشفق على والدي ، وحثني على التوبة والتدين وترك الخمر ، فبدأت مقتنعا بما يقول ؛ ولكني ضعيف وعاجز عن فعل ذلك ، وكانت حالة أولى بعد موت أمي صعبة ، وغرقت هي الأخرى بالإكثار من السكر والاعتزال بعد الدوام حتى أنها كرهت طفليها ، ولم تعد ترحب بهما .

ذات ليلة احتجت لدخان ، لم يحضر يزيد لي الدخان ، فذهبت لحجرة أولى لآخذ علبة منها ، فوجدتها عارية تماما ، فظننت أنها كانت تريد الاستحمام ، وحدث معها شيء ، فاقتربت منها ؛ لأوقظها ففتحت عينيها ،وظنت أني كنت أرغب باغتصابها فصرخت وصاحت ، فجاء أبي الذي ينام في الطابق الثاني معنا ؛ لأن يزيد بعد موت أمي جاء وسكن في البيت ، وأنا ذكرت لهم أني دخلت أريد الدخان ، ولم يصدق أبي دفاعي ، وهي ذهبت للمطبخ وأحضرت سكينا وحاولت قتلي ، وجاء يزيد ، ولبست ثيابها ، وأخذوها إلى بيت خالتي خوفا مني ، وبعد أيام حضر مال ، وتحدث عن تلك المشكلة ، وبينت له أسباب ذهابي لغرفتها والحال التي وجدتها عليها ، وحدثني أن لا مخرج لي من هذه الورطة إلا العودة إلى الله ، وترك السكر وعاهدته على فعل ذلك ، واغتسلت وعلمني الصلاة والوضوء ، وكان كل أسبوع يأتيني لذلك ، وخلال شهور تخلصت من الشراب نهائيا بفضل الله ، وعدت للتدريس ، وكنت قد رحلت من البيت حتى تعود أولى إليه ، وعدت بتشجيع من العزيز مال إلى دراسة ماجستير شرعي ، ثم الدكتوراه

وعرفني مال على بعض رفاقه الشيوخ والعلماء أو طلبة العلم في حي النزهات ، ثم سافرت للعمل في إحدى الجامعات في دول الخليج ، وكان والدي مسرورا مما آلت إليه حياتي ، وصدق طبعا أن أولى فهمت ما حدث خطأ .

ثم علمت من مال بزواج أولى وتوبتها ، وأنها سعيدة مع زوجها الجديد ، وأنها قد تركت المعهد والعشاق ، وعلمت بعد حوالي أربعين سنة أن السعادة والنظافة فقط بالتمسك بدين الإسلام فهو الذي يحمينا من الخدن والخليلات والعشاق والزنا والخمر والاباحية الجنسية .

ثم يسر الله لي أرملة لديها طفلان قد مات زوجها بحادث سير ، وهم مغتربون مثلي وقبلت بي تلك الأرملة عن طريق زميل لنا في الجامعة .

وكنت أكتب لمال وأسمع أخباره ، وهو يسمع أخباري ، ثم قررت العودة للوطن بعد اغتراب لبضع سنين ، وكان السبب موت والدي ـ رحمه الله ـ وحضرت دفنه ، ثم على أثر ذلك تصالحت مع أولى ، وبكت ندما على اتهامي ، وتسرعها تلك الليلة في اتهامي للنيل منها.

وحياتي اليوم تمضي مع الكتب الدينية والاصدقاء المتدينين ومناقشات علمية ومتابعة بعض القنوات الفضائية .. هذا مختصر حياتي .. ليس فيها شيء مهم ؛ ولكن كاتب هذه الرواية أحب أن أتحدث عن أهم محطات الحياة كما فعل مال ثم أولى ..وشكرا .

الفصل الأخير

احتفل رفيق دربي مال وبعض الأصدقاء بزواجه من أولى ، وحملهم ثاني بسيارته من قاعة الحفل إلى بيتها وشقتها المستأجرة في درب القلعة ، ولما جلسوا في غرفة الصالون ، استأذن ثاني ، وغادر البيت ، وأغلق مال الباب عاد إلى حبيبته التي أخذت بخلع ثوب الحفل ، ثم قبلها قبلة انتظرتها أربعين سنة ، وضمها إلى صدره ، ووضع يده على رأسها وقال اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه

وقال : فلنتوضأ أيتها الحبيبة ونصلي ركعتين أيتها الحبيبة عملا بسنة حبيبنا محمد ﷺ فتوضآ ، وصلت خلفته ركعتين لله تعالى .

وقال بعد الصلاة : اللهم بارك لي في أهلي ، وبارك لهم فيّ ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير ، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير .

وقدم لها قطعة من الشوكولاتة ، وهو يقول : كنت تحبين هذا النوع منها يا حبيبتي .. وحين نسهر في بيتكم كنت تقدميها لي . واطعمها إياها بيده وقال : حبيبتي !

قالت : كم أحببتك يا مال ؟

قال : الخيرة فيما يقدره الله .. لو تزوجنا قديما ؛ ربما تطلقنا عندما تدينت يا حبيبتي ! وضمها إلى صدره ، وأخذت هي تبكي وتقول : رحمك الله يا أمي !

فأخذ منديلا ورقيا ، ومسح لها دموعها ، وهو يقبل رأسها ويداعب شعرها : الأمر لله من قبل ومن بعد .

قالت :رجعت بي إلى أيام الصبا .

قال : الرسول ﷺ تزوج أغلب نساءه بعد الخمسين .. المهم السعادة .

ضمته لصدره من جديد وهمست : رضيت بي أخيرا يا مال !

قال :تغيرت الاحوال يا ملكيتي ! أنت تعلمين أنني أحببتك وتمنيتك زوجة ؛ لكن تلك الأيام كان زواجنا صعبا .

قالت : صدقت .. هل غفرت لي تلك الليلة ؟

قال : فعلت أيتها الحبيبة .. فأنت الآن لي وأنا لك .

عانقته وقالت: حياتي أسعدتني وانسيتني عذاب تلك الأيام من الجاهلية

قال : حياتنا الحق في إسلامنا .

قالت : الحمد لله رب العالمين .

حضر ثاني صباحا ، وجلب معه فطورا وحلوى ، وقال : لعلكما قضيتما ليلة سعيدة .

حمدا الله وشكراه وقال مال : عدنا لإيام الصبا يا أخي الكريم .

قالت : شكرا يا ثاني ! وكم ندمت عندما طعنتك بالسكين !

قال : تسامحنا يا أخية .. أنت خير أهلي لي اليوم .. وها قد عاد القدر وجمعنا جمعا ، لم نكن نحلم به .. وجئتم بخبر سعيد .

قالت : ما هو ؟

قال وهو يقبل يدها : كيف عروسك يا مال !

قال : قلت عدنا لإيام الصبا ، ما الخبر السعيد ؟

قال : لنفطر أولا قبل أن يقبل الاصدقاء والاقارب للمباركة لكم . دخلوا المطبخ

قال ثاني : هل قرأتم قرآنا ؟

قالت : الحمد لله صلينا الفجر معا ، وقرأنا ما تيسر منه .. وجلسنا نتغزل ببعض مثل تلك الأيام .. ما زال مال يحفظ تلك الاشعار عن حب عنترة وعبلة .

دارٌ لآنِسَةٍ غَضيضٍ طَرْفُها ... طَوْعِ العِنانِ لَذيذَةِ المُتَبَسِّمِ

يا دارَ عَبلَةَ بالجِواءِ تَكَلّمي ... وَعِمي صَباحاً دارَ عبلةَ واسلَمي

أنّي عَداني أَنْ أَزورَكِ فاعْلَمي ... ما قَدْ عَلِمتِ وبعضَ ما لم تَعْلَمي

يا عَبْلَ لَوْ أَبْصَرْتِني لرأيتني ... في الحربِ أُقدِمُ كالهِزَبرِ الضّيغمِ

وقال :

وَلَقَد ذَكَرْتُكِ والرّمَاحُ نَواهِلٌ ... مِنّي وبِيضُ الهندِ تَقْطُرُ من دَمي

فَوَدِدْتُ تَقبيلَ السّيُوفِ لأنّها ... لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المُتَبَسِّمِ

وقال مال ضاحكا :

وَقَد يَجمَعُ اللهُ الشَتيتَينِ بَعدَما .... يَظُنّانِ كُلَّ الظَنِّ أَن لا تَلاقِيا

لَحى اللهُ أَقواماً يَقولونَ إِنَّنا ...... وَجَدنا طَوالَ الدَهرِ لِلحُبِّ شافِيا

قال ثاني : أكيد قضيت ليلتك تقص عليها أشعار الغزل .

أكلوا وشربوا الشاي من أيدي أولى ، ولما رجعوا لصالون الشقة قالت : طال انتظارنا للخبر السعيد ..هل وجدت عروسا كصاحبك مال ؟

قال : سأجد ـ إن شاء الله ـ الخبر السعيد أن شقيقنا المهندس يزيد سيفارق البيت قريبا بسبب زواجكما وينتقل لشقة في بنايته في العريقات وسيضعها تحت تصرفكم أنت ومال .. وهكذا نعود جيرانا .

قالت : خبر سعيد .. الماضي يعود يا مال !

قال مال : أنتم لم تقتسموا ميراث والديكم .

قال ثاني : قسم قديما .. ولماذا السؤال ؟

قال : كنت أظن أن له الارضي ولك الثاني .

قال : لا ، هو البيت الوحيد الذي ترك بدون تقسيم يا مال ! ظل للجميع وقبل أن أنسى ابنك المحامي وابنتك سيأتيان ليلا لتهنئتك بالزواج .. تحدثا معي بذلك .

نظرت أولى لمال ، وقالت : هددنني إذا تزوجتك سيقتلني !

قال مال باسما : أليس هو ابن زوجك الأول الذ ي كان يغار مني وأنا بعيد عنكم ؟

قال ثاني : لا تهتما بكلامه وتهديده .. هو فارغ مثل أبيه الميت .

قالت : يمر عليّ يا مال سنة أو أكثر حتى يزورني هو وأخته زاعمين أنني لم أربيهم ولم أهتم بهم قبل طلاقي من أبيهم ومن بعده .

قال مال : أهلا بهم ومرحبا يا ثاني .

قال ثاني : لم يكن من السهل نفسيا حضور زواج أمهم .

قالت : أنا لم أطلب منهم ذلك يا ثاني .

حضر جلال مساء وزوجته المحامية مثله لشقة أمه ليبارك لها زواجها ولما قرع الباب فتح له ثاني خاله وصافحه وحيا زوجته أم أمجد وتقدمهما لصالة الاستقبال ، وصافح الرجل أمه ؛كأنه يصافح امرأة أجنبية وقال بصوت جاف متظاهرا بأن زواجها لم يرق له : مبارك يا أم جلال !

وأشار خاله لمال وقال : هذا زوجها مال الدين !

فقال : مرحبا . وجلس دون أن يصافحه متجاهلا يده التي مدت فقال مال : أهلا بالمحامي الغاضب !

هنف الشاب :لماذا الغاضب ؟

وكانت زوجته تعانق حماتها ، وتبارك ، وتقول : لا تهتمي يا عمتي بحركات جلال الرعناء .. مرحبا أيها السيد الكبير !

قال مال : أهلا يا ابنتي ومرحبا .. تفضلي بالجلوس .

جاورت زوجها ، وقالت : كيف أنت يا خال ؟

قال ثاني : أهلا لمياء بخير .. وأنت ووالداك ؟

ـ كلنا بخير

رحبت أولى بلمياء وسألتها عن أهلها وعادت للصمت والوجوم ، وقال ثاني : أين أختك ؟

ـ لم تحضر من العمل ؛ لكنها ستأتي .. واجب علينا لابد منه .

ضحكت أولى : ومنذ متى وأنت تعرف الواجب ؟

قال مال : يا حبيبتي ! جلال مازال شابا صغيرا .

قالت لمياء : كيف أنت والسيد يا عمتي ؟

قالت أولى : أهلا بكم .

قال جلال : لا أدري كيف امرأة بسنك تتزوج ؟!

قالت زوجته ـ وهي تتناول العصير من خادمة ثاني التي أحضرها لما أحضر الغداء لصهره واخته ـ : كما تتزوج النساء .. وهل للزواج عمر ؟

صاح الشاب : أنا لم أطلب الاجابة منك يا حضرة الدكتورة .

هي دكتورة في القانون قالت بحدة : ونحن منذ متى نتدخل في حياة أمك يا جلال ! وكما قالت لك إنها تمكث بالشهور ولا تتفضل عليها بزيارة .

وقف جلال وقال : مبارك يا أم جلال ! واسمحوا لنا بالانصراف .

قال ثاني : هو الأفضل .. فأنت ابن من ؟

صرخ جلال : ابن الشيطان يا دكتور !

قالت أولى : أفعالك هذه لا تزعجني .. أنت ما زلت طفلا .. شكرا لك يا لمياء !

قال مال : عندما تهدأ أعصابك فأسمح لك بالحديث معي ، فلن أحدثك عن البر والاحسان .. فأنت جاهل فيهما مع السلامة .

فقال جلال بحدة : تطردني !

قال مال : هذا بيتي يا ولدي ! من لا يحترمه فلا يستحق الاحترام .

خرج ساخطا تتبعه زوجته ، وهي تعتذر لهم ولما خرجوا قال مال : فعلت ذلك ؛ لعله يعود للحديث معي .. فهو مسكين جاهل .

قالت : حبيبي مال لا تغضب .. فنحن علاقتنا مع بعض سيئة .. فقد أشبعه والده كلاما سيئا عني ، وأني تخليت عنه ، وعن أخته صغيرا وشابا .. وأنا لا أكترث ببره وإحسانه .. فهو لا يعرف مثل هذه المعاني .. وله قصص كثيرة مع والده وجدته خالة أمي .. هو قدم مجاملا ليس لي وإنما لأقاربه .

قال ثاني : علينا أن ننسى هذه الزيارة .

قال مال : بالنسبة لي هذا لقاء عابر .

وبعد حين يسير رن الجرس ، وفتح ثاني واستقبل ابنة أخته فقبلته ، ودخلت وقالت : زوجي يعتذر لأمر طارئ .

وسلمت على والدتها وقبلتها من وجنتيها وقالت : مبارك يا أمي ! مبارك يا شيخ مال !

وجلست ، ولما كررت التهنئة والمجاملة قالت : تحدث معي جلال وخرج غاضبا ما الذي حدث ؟

قالت أولى : اسمعي منه ، فلن تصدقي ولو قلنا شيء أنت ما أخبارك ؟

قالت : كيف حالك يا شيخ مال ؟

قال : أهلا ابنتي! أنا بخير ..وأتمنى أن أراك بلباس أجمل من هذا .. لباس الطاهرات .

امتعضت البنت للغمز وقالت : شكرا ؛ لعل ذلك يتحقق في يوم ما .. كان عليّ أن أزوركم بلباس شرعي ؛ لكني جئت من العمل مباشرة .

قال ثاني : للأسف أسرة صهرنا السابق لا يعرفون ذلك .

قالت فريدة : يا خالي نحن جئت لأبارك لأمي .. فدعنا من أسرة أبي وأسرة أمي .. مبارك يا أمي ! والسلام عليكم قد أتمكن من العودة مع نضال .

قالت : لا داعي يا فريدة! فقد قمت بالواجب على رأي أخيك مع السلامة .

ودعها خالها للباب ، ودعا لها بالهداية فقالت : آمين، شكرا لك يا خالي .. فزوجي نضال يصلي مثلكم ؛ لكنه غير متشدد .

قال : لا أعلم كيف نحن متشددون ؟ عليك أن تصلي مثل زوجك حتى لا يجد من تصلي ويطلقك .

ضحكت وقالت : يطلقني ؛ لأني لا أصلي !

قال : قد يفعل .. عمره ما قال لك صلي!

قالت : إنه يصلي من عهد قريب .. ولا أدري كيف انقلب ؟!

قبلته وقالت : سيأتي نضال للتهنئة لأمي فهو يودها .

قال : أهلا وسهلا وتشرفنا.

كانوا يجلسون بعد زواجهم بأسبوع في نادي القراءة في انتظار الكاتب الذي دخل عليهم محييا بكل حب وقال : كيف عروسنا ؟

قالت : جزاك الله كل خير ! لقد حققت لي حلما ما كنت أظن أنه يحدث يوما ما ؛ فأنا مدينة بهذه السعادة .

قال : أنت لستِ مدينة لي بشيء ، ولم أتعب بإقناع مال الدين ، قلت له اليوم الفرصة متاحة لتعود مراهقا صغيرا ، فقال : كيف؟ قلت : ما دامت السيدة الفاضلة متدينة مثلك ، وترملت فتزوجها ، فستعود مراهقا . فقال : وهل تقبل بهذا الشيخ العجوز ؟ فقلت : ستقبل إذا كانت تحبك .

فقالت : ويلك !!

قال : يا سيدتي كثير من النساء تنكح من لا تحبه ؛ لأنها ترغب بأن تكون زوجة ؛ فإذا أتيحت لها الفرصة ؛ لتنكح من أحبيته لمَ لا تقبل ؟

قالت : أي فلسفة هذه ؟

قال : وفقكم الله تعالى .. ودعونا من الفلسفة والحكمة .

جمال

تمت بحمد الله

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

حياتي قبل الحياة

هذه قصة ثلاثة رفاق

عاش اثنان منهم حياة رفاهية ومتع دنيوية

وثالثهم كان فقيرا ومكافحا البؤس

افترق عنهم عندما فشل في الثانوية العامة

والتحق بالعسكر خادما للعلم

ثم ترك الحياة الأولى إلى حياة التوبة والإيمان

وبعد حين لحق به أولى وثاني

إلى حياة أخرى

٢٠١٨



امرأة نزيــه

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

امرأة نزيه

جمال شاهين



نزيه في الجامعة

لما التحق نزيه يوسف في كلية التجارة حسب رغبته كان معه ابن عمه رافع محمد كلاهما في نفس الجامعة ، ذهب رافع إلى كلية التربية تخصص الرياضيات ؛ لتحقيق رغبته بأن يكون معلما لهذه المادة في قريته جمالة أو ما حولها من القرى رغبة في التدريس والعمل مع أسرته في الزراعة والحقول ، لم يكن محبا للحياة في المدن الكبرى كابني عمه نزيه وإبراهيم .

كان إبراهيم الابن الذكر الأكبر ليوسف الجمالي ، وقد سبقهم بعام دراسي واحد ، فبينه وبين نزيه من العمر سنة وبضعة شهور ، وهو طالب في كلية الحقوق السنة الثانية ، وكان مستأجرا شقة مع زميل من جمالة ، ولما حضر نزيه ورافع للدراسة الجامعية ترك الشقة عن رغبة واتفاق مسبق بينه وبين إبراهيم ؛ ليفسح المجال لهما ، وانتقل للعيش مع قريب له كما كان مرتبا بينهم فقد سمح له إبراهيم للعيش معه بدون مقابل من باب الإحسان والجيرة . وكان مع نزيه في الجامعة من بلدة جمالة كثير من أبناء الفلاحين والقرية ، فكان معه سوى رافع زميل شاب اسمه نعيم أشرف درس الثلاثة الثانوية في مدرسة واحدة ، ودخل نعيم ونزيه كلية التجارة سوية كذلك ، فكانوا رفاق درب ، وكان معهم طلاب آخرون من القرية قد سبقوهم للجامعة ، وممن انهوا الثانوية معهم . كان أهل القرى والريف الفلاحون يحبون إعطاء أبناءهم فرصة للتعليم والدراسة اذا اجتازوا الثانوية العامة ، والناس تحاكي بعضها البعض ، وتنظر وتقلد لبعضها البعض ، والشهادات تحقق لهم المستوى الاجتماعي ، وتعلي من شأنهم أمام بعضم البعض ، ويفخر الأهل بتعليم الأولاد وتدريسهم ، وقد يملك بعضهم مالا أكثر من مائة شهادة وشهادة . العادة أن أهل القرية والريف يعرفون بعضهم بعضا أكثر من أهل المدن ، فالقرية تعداد سكانها أقل كما هو معلوم ؛ فلذلك ترى الناس في القرية يعرفون بعضهم ، حتى أن بعضهم تراه يعرف نساء وبنات الناس ، هذه امرأة فلان ، وتلك بنت حمدان وهذه أخت زيد ، وحتى أنهم يمكنهم أن يعرفوا بعضهم بسبب اللهجة أو كلمات يلفظها سكان وأهالي منطقة ما فيعرفون أهل تلك البلدة ، فكذلك شبان وبنات جمالة تراهم يحيون بعضهم عند كل لقاء . أما

من ولدوا في المدينة فيصعب عليهم معرفة أبناء قريتهم من لهجتهم وطريقة لفظهم الكلام فأهل المدينة لا يعرفون بعضهم إلا اذا جرى تعارف واحتكاك بينهم .

وممن كان في فصل وسنة نزيه من أهل جماله زميله في المدرسة الثانوية نعيم اشرف كما ذكرنا ، وممن رافقهم وصحبهم من طلبة المحاسبة في كلية التجارة الطالب سليم عبد الله ، وهو من سكان مدينة سلام الدين ، هؤلاء الأربعة كانوا رفاقا وقريبين من بعضهم بعضا ؛ كأنهم أشقاء ثلاثة في كلية التجارة ، ورافع محمد طالب كلية التربية ، وهو رفيقهم بحكم أنه ابن عم نزيه يوسف وصديق لنعيم اشرف ابن بلدة جمالة . ونزيه ورافع يعيشان مع إبراهيم يوسف طالب الحقوق ، وهو يسبقهم بعام واحد فحسب ، وكان بيته المستأجر من عام قريبا بضعة كيلو مترات عن الجامعة ، وذكرنا أنه سمح لزميل أن يحيا معه العام المنقرض ، ونعيم سكن مع قريب له في قلب المدينة ، وأما سليم فيعيش مع أهله وبيت والده وأسرته .

وكان الأربعة يلتقون في غير الجامعة في مقهى الجامعة الذي يقع في شارع الجامعة ؛ حيث يلتقي الطلبة من جميع الكليات للحديث والدردشة وشرب الشاي والقهوة والمثلجات بأنواعها ، والمقهى هذا يستقبل الجنسين لم يكن خاصا بجنس كما في بعض المقاهي في المدن ، وهذا كان في الثلث الأخير عام ١٩٦٠. يجلسون للحديث عن المحاضرات والمواد الدراسية ، ويعلقون ويسخرون على المحاضرين والمدرسين ، وتصرفاتهم وحركاتهم والطرائف التي تحدث بين المحاضرين والطلاب ، وما يحدث من نشاط بين الطلاب والكتل الحزبية والإدارة والأمن الجامعي والأمن السري، وما ينشر بين الطلاب من نشرات سرية وعلنية وبيانات سياسية حول قضايا الداخل والخارج .

كان نزيه مجادلا ومناكفا من ثانوية جمالة ، ومحبا للنقاش والجدل ، ولا يتقبل المعلومات بسهولة ودون معارضة وعقلانية قبل أن يستسلم للمعلومة المطروحة ، وهو من عشاق القراءة والكتب والمجلات والجرائد وسماع الأخبار ، ومناقشتها ، ويتحدث في السياسة والعلوم والفلك والنظريات والبديهيات وتحركات الزعماء والأعلام ، وكان الأحداث المهمة تلك الفترة من

الزمن الثورات العربية في شمال أفريقيا والوعود الفرنسية لهم بالاستقلال ، وشغلتهم وحدة مصر وسوريا باسم الجمهورية العربية المتحدة ، وسعي إمام اليمن بالانضمام إليها ، وأن تحرير فلسطين قد اقترب ، وكان الاستعمار الأوربي يرحل عن البلدان العربية رويدا رويدا بعد أن زرع الحركة الصهيونية في قلب العالم العربي في فلسطين العربية .

فقد ظهرت قبل أعوام دولة اسمها إسرائيل على أرض اسمها فلسطين الساحلية ، واستولت مصر الملكية على غزة أو قطاع صغير من غزة التاريخية، وكانت الأحداث دائمة ومستمرة في هذا القطاع الجزء الفلسطيني على ساحل البحر المتوسط . وحديث فلسطين عنوان الصحف والمقالات والمجلات العربية والعالمية والإذاعات وهو الخبر المتصدر كتابة وصوتا ، والشباب والأحزاب ديدنهم نقل الأخبار والتعليق والتعقيب عليها ، كل حسب ثقافته وميوله الفكرية ونزيه ورفاقه شأنهم شأن الشباب في ذلك الحين ، وكان الطالب سليم من شباب فلسطين وأحد المهاجرين من حرب ما يسمى النكبة ـ فقد سمي عام الخروج الفلسطيني من قراهم والساحل الغربي نكبة فلسطين ـ إلى مدينة سلام الدين احدى مدن العرب في القرن العشرين ، وهو شاب من أسرة وطنية ، له أقارب وأعمام قتلوا سواء في جيش الإنقاذ العربي أو الجهاد المقدس جيش عبد القادر الحسيني المناضل الشهير الذي قتل على أرض القسطل ، بلدة مقدسية . عام النكبة والهجرة الفلسطينية عام ١٩٤٨، فقد طرد ما يقارب المليون إنسان من قراهم ومدنهم التي تزيد عن ٥٠٠ قرية ومدينة ، هي كارثة بحق رغم استخدام العالم لكلمات وألفاظ لتهون الأمر على المشردين لليوم ؛ حيث تسطر قصة نزيه يوسف .سقطت البلاد والعباد على أيدي شرذمة من اليهود كما سماهم القرآن على لسان المجرم العالمي فرعون ، فهم يزعمون أنهم أحفاد وذرية يعقوب وهو إسرائيل . سبعة جيوش عربية سوى مجاهدي فلسطين سعوا إلى صد ومنع قيام دولة صهيون حتى أن رافعا قال لسليم بتردد وحيرة : أيعقل أن تغلب إسرائيل الناشئة سبعة جيوش عربية؟!

ضحك سليم وقال : صحيح وهذا هو الواقع .. هزمت الجيوش السبعة يا أستاذ رافع!

ـ كيف تم ذلك؟!

ابتسم سليم لرافع قائلا: أنا كنت طفلا ابن عشر سنوات يا صديقي وأخي ! أدرك الرحيل من القرية مشيا على الأرجل ليلا نهارا إلى تجمعات شرقا.. حيث ما يعرف اليوم بالضفة .. ومنها إلى مدينة سلام مدينتنا هذه للحياة والعمل .. هذا ما حصل .. قام الجيش الصهيوني الهاجاناه بطردنا من قرانا ومدننا .. رحلنا عن الرملة .. مدينة مهمة وسط فلسطين غرب بيت المقدس مدينة شهيرة في التاريخ .. أول من أنشأها الأمويون خاصة الخليفة السابع سليمان بن عبد الملك وكما تعلم واشتهر تفرق أهل الساحل الغربي لفلسطين شرقا وشمالا وجنوبا وبعضهم ركب البحر جهة مصر خاصة من كانت جذورهم من مصر .. فلسطين تاريخ حافل وعجيب من الغزاة .

قال نزيه مؤكدا : فعلا تلك الديار كل أجناس العالم أو أغلبها جاءت إليها .. الحملات الصليبية جلبت بشرا من جل أنحاء أوروبا إليها.. تابع يا سليم.

قال : شكرا يا نزيه ! حتى من يسمون أنفسهم باليهود أجناس شتى فيهم الفرنسي الأمريكي الألماني الروسي البولندي .. يهود العرب المغرب مصر العراق .. الحديث ذو شجون كما يقال .. حقيقة حياتنا نحن الفلسطينيين عجيبة.. تشرد .. .. خيم .. مخيمات.. بؤس

قال نزيه مضيفا : طرد اليهود الملاعين يا رافع مليون فلسطيني سنة ٤٨ .. وانكسرت الجيوش السبعة .. وأصبح الفلسطينيون لاجئين هنا وفي الدول المحيطة بأرض فلسطين المقدسة .. حتى أننا سمعنا أن هذه الجيوش ذهبت للقتال بدون أسلحة وأدوات فعلية للقتال .. ظنوا أنهم ذاهبون لمصارعة الثيران أو شمة هوا أو فزعة عربية .. ولا ادري صحة ذلك !

قال رافع : معقول هذا!

قال سليم : هذا ما كان ! يبدو أن نزيها قرأ جيدا مادة القضية الفلسطينية .. الواقع أن هذه الدول كلها كانت تحت الحماية البريطانية والانتداب الإنكليزي وغيره .. وأسباب الهزيمة والنكبة الكارثة كثيرة .. سوريا ولبنان كما تعلمنا كانتا تحت الرعاية الفرنسية وإن كان ظاهرهما

الاستقلال .. الأردن والعراق كان الضباط الإنكليز هم الذين يسيطرون على قيادة الجيوش .. كانت بالمجمل دولا ضعيفة .. يعتمدون على الحماس والشجاعة الفردية والفزعة .. والسعودية دولة ناشئة وبرعاية الإنكليز والأمريكان بعد الحرب الكونية التي انتهت قبل نكبة فلسطين بثلاث سنوات وقوات من السودان والمغرب ..واليمن الشمالي في حالة تخلف وجهل فظيع أيام الإمامة .. كان أستاذ التاريخ مدرسنا في الثانوية يسخر بشدة من هذه الجيوش السبعة ..كان قوامها كما يقول ثلث جيش إسرائيل .. وإسرائيل تسليح من أحدث وأفضل الأسلحة والذخيرة .. وحتى الروح القتالية أفضل مما في جيوش الجامعة العربية .. كانت مجال سخرية للعالم .. وأستاذنا كان يقول : نشأت هذه الدولة كالخيال ، لم يكن الكثير من الشعب الفلسطيني يصدق أن هذه الشرذمة سيقيمون دولة وكيانا ؛ لكن هذا ما حصل طردنا وشتتنا وصارت لهم دولة يا رافع .. وقد دق اسفين كبير في أمة العرب .. والحديث أكثر من ذي شجون اذا كان ذا شجون .

قال رافع حزينا : معك حق ! ففلسطين مأساة وكارثة كبرى ليست نكبة فحسب .. فآلاف من الناس يعيشون في عشرات المخيمات بعد العز والسعادة والفلاحة .. نحن في الريف لم نشعر بمأساتكم .. تأثرنا بما سمعنا من مدرسينا الأفاضل .. ولكن لم يكن هذا التأثير كما نرى منك كانت مادة تدرس .. لا يعرف الحق والألم إلا من كابده .. المخيمات مؤلمة ويا لها من مخيمات! فربما أنت تعرف عنها أكثر بكثير منا .. عشت في المخيم يا سليم !

رد بحزن فقال : نعم ، عاشت فيها الأسرة في أول الهجرة بضع سنين.. ثم اشترى جدي بيتا واسعا له ولأولاده الأربعة .. منهم أبي .. كان الجد من الملاك في الرملة ، وله أصدقاء في مدينة سلام الدين ، وعمي تزوج منها بعد الخروج الكبير ، هو الوحيد لم يكن متزوجا في البلدة ذات التاريخ العريق منذ شيدها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك رحمه الله .

مقهى الجامعة

الشارع الممتد من وسط سلام الدين إلى بنايات وعمارات الجامعة شارع طويل عدة كيلو مترات وهو مليءٌ بالمطاعم والمقاهي والمكتبات ، وقرب الجامعة بيوت وشقق مفروشة لسكن الطلاب القادمين من الريف والمدن البعيدة أو المبتعثين من الدول الأخرى. وقرب الجامعة مقاهي كثيرة أحدها يحمل اسم مقهى الجامعة ، كان طلاب كلية التجارة وغيرها يترددون عليه لشرب الشاي والقهوة والمرطبات الشائعة ، ونهتم به دون غيره ؛ لأن نزيه يوسف ورفاقه يعتبرونه مقاههم المفضل ، سواء في العطل أو عند الخروج من أسوار الكليات وهو حمل اسم الجامعة فنال شهرة على غيره وربما هو أقدم مقاهي الشارع الذي يحمل اسم شارع الجامعة . ويتردد على هذا المقهى طلاب وطالبات القسم الداخلي ، وسكان الشقق المفروشة والمؤجرة للطلاب ، فهو مكان مناسب للقاءات والمناقشات الطلابية ، وسهل اللقاء به لشهرته وقدمه ، وهو مكان متسع ، وبجواره عدد من المطاعم التي توفر الطعام والوجبات الخفيفة للزبائن ، فتسطيع شراء ساندويتش وتتناولها في المقهى مع كوب شاي أو عصير.

وفيه تجد الأخبار ونقلها ، والسياسة ودواوينها ، والصحف ومقالاتها ، وشباب الأحزاب والتيارات الفكرية والثقافية والعلمانية والدينية ، طاولات للجدال وإظهار الأفكار والأحلام ، وهنا يتبادل الطلاب المعلومات والحكايات والتعارف ، وما يحدث في الكليات من طرائف وقصص للطلاب والمحاضرين والإدارات فتعلم كل ما يدور داخل أسوار وقاعات الكليات.

كان الحديث يدور تلك الأيام وذاك العام عن الصراع من أجل الاستقلال في الشمال الإفريقي ، والثورة الكوبية ، والصراع الكبير بين الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والشرق والغرب ، فالحديث في السياسة والانقلابات العالمية والعربية مستمر ودائم ، والصراع بين العلمانيين والإسلاميين ، وبين القوميين والوطنيين وحتى بين التيارات والأحزاب والطوائف الإسلامية اليسار واليمين . للحق كما سبق وذكرنا أن في شارع الجامعة المار ذكره مقاهي أخرى حتى الملاهي والنوادي متوفرة على جوانبه ؛ وإنما ركزنا على مقهى الجامعة ؛ لأنه المقهى الذي يرتاده

نزيه يوسف ورفاقه رافع ونعيم أشرف وسليم وعدد من أبناء جمالة الذين يتعلمون في تلك الجامعة ، ومن خلاله تعرفوا بشكل جيد على عماد مصطفى ونعيم احمد من كليات أخرى ، وهما من شباب حزب التحرير الإسلامي ، حزب إسلامي نشأ من قبل سنوات قليلة في الضفة الغربية ، وخلال القهوة والشاي والمثلجات والمشروبات يجري طرح القضايا الدينية والسياسية والعلمية والصراعات ، وأهمها الصراع العربي الصهيوني ، وكيف نجحت إسرائيل في قيام الكيان الصهيوني بين أمة العرب ، وهم لا يمتون للجنس العربي ، وهم بين الأغلبية ذات اللسان العربي ، وبين الصراع الغربي بزعامة أمريكا والاتحاد الروسي الشرقي ، ومشاكل الأحزاب العلمانية في بلاد العرب ، وفشلها في الحكم والاقتصاد .

وكان نزيه يرى أن حزب التحرير منشق عن جمعية الإخوان المسلمون ، وأنه يحمل أفكار فرقة المعتزلة في الصفات الإلهية ، واعتقاد عذاب القبر الذي لا يجزمون به ؛ لأن الاعتقاد يحتاج إلى جزم في الكليات العقدية ، واذا أنكر شباب الحزب ذلك ، التحرير والمعتزلة العقل هو عمود فقري ويقدمونه على فهم النصوص، وكان نزيه يحب ذلك ويقف معهم في أهمية العقل ومقارعتهم للشيوعيين ، ويمدح المعتزلة في التحسين العقلي والتقبيح للأشياء ، فالحسن ما يراه العقل . كان نزيه يحب المطالعة كثيرا ، وكان معظما للعقل مثل شباب حزب التحرير ، ويحب الجدال والاقتناع اقتناعا حقيقا بما يطرح للنقاش ، ولا يقبل الحقائق بيسر وسهولة ، ووجد نفسه محبا لشباب حزب التحرير المنشق عن الإخوان أو المتأثر بهم في مطلع الخمسينات على يد القاضي تقي الدين النبهاني ، ولم ينتم له ، فأهل القرى لا يعرفون الأحزاب ولا وقت لديهم للسياسة والأحزاب والاجتماعات ؛ ربما يسمعون بها ممن يرتادون ويعملون في المدن لاعتناقهم لها أو جلوسهم مع الحزبيين . قلنا عماد ونعيم من رواد المقهى كانوا من حزب التحرير الذي يسعى لعودة الخلافة ولو بانقلاب عسكري يدعمه الحزب ، فكل كلامهم حول السياسة وأمريكا وبريطانيا .

ففي بعض الأحيان يدخل الشباب اليساري الشيوعي للمقهى للقاء شخص أو تناول قهوة

وغيرها ، فيلتقون بشباب التحرير والإخوان ويحصل الجدل حول الماركسية واللينينية ، ويشترك نزيه ورفاقه معهم في الجدل والنقاش ، وعن فضائل الفكر اليساري والفكر الإسلامي، كل حسب وجهته وثقافته ، وماذا قدم المسلمون للعالم؟ وما قدمت المنظومة السوفيتية للعالم ومقاومتها للعلمانية والرأسمالية والليبرالية ، وكيف تحارب الشيوعية الاستعمار والاستبداد ؟ وما تكرسه الصوفية والدين لبقاء الطغيان والخضوع وإن الآخرة أهم وهم يشككون في العقاب والاقتصاص الأخروي .

فكان نزيه متشجعا ومبتهجا في مثل هكذا جدل ، ويحشر الفكر المعتزلي في الحوار والجدل والعقل وتمجيده وتفنيده لضلال الشيوعيين حتى لقبوه بالجعد بن درهم أحد رجال الاعتزال القديم ، واطلق عليه هذا الاسم تهكما ،فيقال قد جاء جعد نطق جعد ، وانتشر هذا الاسم في المقهى وساحات وقاعات الجامعة ، وعرفوه بهذه اللقب حتى من لا يعرف المقصود من هذا الاسم ؛ لأنه يدرس في كلية تجارية لا تعرف مثل هذه الأسماء بالمجمل، فهي كلية محاسبة وتدقيق وموازنة وشركات وأموال. انتهى الفصل الثاني ، وقفل الطلاب لقراهم وبلداتهم في إجازة صيفية ممتدة في فصل الصيف حتى الخريف ، وكان من المعتاد سخرية أبناء المدن من أبناء الفلاحين والقرى ويصفونهم بالرعاة والمزارعين والجهل والحمق والغباء والسذج ويعتبرون أنفسهم أذكى وأحضر .

كان رافع محمد قريب نزيه يقول له بعد تناولهم طعامهم في شقة إبراهيم طالب الحقوق ،وقد تركهم إبراهيم إلى حجرة النوم ليراجع ويذاكر ويقرأ : أنا لم أفهم كلامك عن حزب التحرير والصوفية !

وقد دار بين إبراهيم ونزيه أثناء العشاء ذكر عن الفريقين أحدهم يتابع السياسة والآخر يتابع حلقات الذكر بالقفز . ابتسم نزيه لابن عمه وهو يترك كوب الشاي فارغا : هذان الشابان عماد ونعيم رفيقه يزعمون أنهم مناصرون متعاطفون أعضاء لا تعرف الحق أنهم في الحزب الإسلامي قال رافع محمد : ما الفرق بينهم وبين غيرهم ؟ كل كلامهم في السياسة وأمريكا وبريطانيا

والأذناب يقصدون أذناب الاستعمار .. الخلافة الحل لتمزق الأمة ويظنون أنهم بتنصيب الخليفة تحل المشاكل وتحرر فلسطين .

ضحك نزيه وقال : هذه الخلافة عقدتهم وديدنهم ؛ بل ظنوا أن الخلافة ستكون بعد ثلاث عشرة سنة من تأسيس الحزب ، واقتربت السنوات على الزوال ، هم قاسوها على مدة الدعوة الإسلامية في مكة .. هذه أحزاب برزت بعد سقوط الخلافة العثمانية في مطلع القرن كما قرأنا .. حزب التحرير قبل سنوات ظهر بعد نكبة صديقنا سليم أو نكبة العرب .. قبل سنوات ظهرت أحزاب إسلامية معاصرة لإحياء العودة إلى الدولة الواحدة إلى خلافة إسلامية ، وهو نظام الحكم الإسلامي بعد موت النبي ﷺ .. الاستعمار الأوروبي استطاع إنهاء نظام الخلافة في تركيا اليوم .. والخلافة كانت مؤسسة رمزية دينية قائمة في إسطنبول التي كانت تسمى الاستانة .. انتهت على يد شخص عسكري اسمه مصطفى كمال أعلن الجمهورية التركية العلمانية التي تعني فصل الدين عن الحكم والدولة .. وكان ذلك سنة٢٣ أو ٢٤ لا أذكر بالضبط .. أنشأ الرجل جمهورية كسائر الدول والجمهوريات الإسلامية .. النظام الجمهوري ، كما في وقتنا .. جمهورية في سوريا في العراق في لبنان في ايران .

وتابع فقال : بعضهم جهر بالعلمانية وأعلنها ، وبعضهم أسرها .. وكما درسنا وعلمت .. قسم الاستعمار الغربي البلاد إلى دويلات سوريا لبنان العراق الأردن وسعوا لتقسيم سوريا أقساما أخرى .. وفلسطين كما في قرار التقسيم الدولي عام ٤٧ .. قل غربها أعطوها لليهود لإقامة دولة صهيونية وقطعة من جنوبها لمصر وشرقها للفلسطينيين ثم ضموه لشرق الأردن .. وركزوا لنجاح مكرهم على الأعراق والجنس عرب ترك كرد أرمن وغير ذلك من الملل والأديان ، كما ترى اليوم .. المنتصر يفعل ما يريد .. وقبل العرب بهذا التقسيم والحدود .. ومصر كبرى الدول العربية والأكثر بشرا كانت محتلة قبل سقوط الدولة العثمانية .. وشمال أفريقيا خاضع لفرنسا إلا ليبيا حكمها الطليان .. وها نحن نسمع أن الجزائر وتونس على وشك الاستقلال .. المهم من نتائج الحرب الكبرى تحول تركيا إلى جمهورية وقومية تركية.

قال: جيد الكلام ! ولماذا الخلافة ؟!

قال نزيه كأنه خبير تاريخي وفيلسوف : في رأيي أنا أن الخلافة الحقيقية انتهت بدخول المغول وأحفاد جنكيز خان بغداد بزعامة هولاكو عام ٦٥٦ هجري .. انتهت الخلافة الإسلامية العربية.. فلما ظهر المماليك كقوة في مصر مماليك الملك الصالح الأيوبي ابن أخ القائد الشهير صلاح الدين احتاجوا لدعم رمزي لتثبيت حكمهم فجلبوا عباسيا وتوجوه خليفة .. فسكت الناس فكان الخليفة كما نرى ملوك أوروبا ملوكا دون حكم .. شغل مراسم .. الذي يحكم ويرسم رئيس الوزراء وحكومته وحزبه المنتخب من الشعب .. وظل ظل الخلافة حتى فتح الترك القسطنطينية آخر معاقل الروم .. فغزا الغازي سليم الثاني الشام والعراق ومصر وضمها للحكم العثماني نسبة إلى عثمان بن طغرل ..فأخذ وساق الخليفة إلى الاستانة .. ثم تنازل الخليفة لسليم ؛ فأصبح خليفة المسلمين يا رافع يا ابن عمي .. وذلك قبل أربعة قرون .. وحكموا أجزاء من البلقان .. وبلاد العرب بلاد شاسعة .. حكمونا للحق باسم الإسلام .. وخضعت لهم أمم وأجناس شتى.. حقيقة انتهاء الرمز أصاب المسلمين في حسرة ذلك الوقت .. وحزب التحرير يسعى دون الأحزاب الإسلامية الأخرى لعودة الخليفة أولا .. أنت تعلم أن عرب الشام والعراق والحجاز انفكوا عنها تلك الخلافة خلال الحرب الكونية الأولى .. وقامت جامعة عربية لتوحيدهم .. وما زالوا يحلمون بذلك من سنة ١٩٤٥ أو من قبل .

قال رافع : لماذا جلبوا اليهود المناحيس الذين لا يتكلمون العربية مثلنا إلى بلاد العرب ؟!

رد نزيه ببطء : صنعوا هذا الكيان لأهداف خاصة واستعمارية ؛ لأنهم يدركون أنهم راحلون كما رحلوا عن الهند بعد قرون من ابتلاع خيراتهم وثرواتهم ، وقد قامت في الهند ثورات وحركات أدت لتحرر الهند واستقلالها عن التاج البريطاني ومن غاياتهم بقاء العرب منقسمون ومتفرقون .. فجلبوهم ؛ ليكونوا يدهم الطولى في بلادنا .. ظهرت حركات دينية وعلمانية تبغض المستعمر في وعي الشعب .. وهذا ما حصل .. وقيل خرجت القوات العسكرية وأبقت التوابع بأسماء مختلفة .. ظهرت جمعية الإخوان المسلمون على يد المدرس حسن البنا عام ١٩٢٨

وبعض رفاقه كجمعية دينية لإعادة الوعي الديني بين المسلمين والعودة للروح الإسلامية وتمهيدا لعودة الإسلام كمنهج حياة بين العباد وفي البلاد ، ثم جروا وانخرطوا في السياسة والعمل العسكري لإخراج الإنجليز من بلاد مصر .. وبعد الحرب الثانية تولدت حركات مشابهة في الفكر والعمل في بلاد الشام والعراق وبعض البلدان الإسلامية المستقلة .. وفلسطين قضية النظام العربي والفشل العربي ، حتى الكفاح المسلح الفلسطيني ضعيف ومشتت كما نقرأ ونسمع في الترانزستورات .. الراديو أقصد .. وأعتقد أن سليما ؛ ربما لديه معرفة عن قضيته أكثر منا .. والواقع كان الله في عونهم .. جزء ضم لشرق الأردن وجزء صغير ضم لمصر .. والقسم الأكبر أصبح دولة قومية لليهود الملاعين أخبث شعوب الأمم اليوم .. وحزب صديقنا عماد ونعيم كان مؤسسه الفلسطيني القاضي تقي الدين النبهاني من أسرة عريقة دينية دارسا الشريعة في أزهر مصر وتعرف على الإخوان ، ثم انشق عنهم حسب ما قرأت في بعض المجلات أو كما قيل ، وأسس حزب التحرير وشارك الحزب في انتخابات عام ١٩٥٥ في الأردن ؛ لأن القدس حيث عمل النبهاني قاضيا شرعيا في محاكم الأردن وفاز ممثلهم بمقعد عن مدينة قلقيلية وشعارهم طلب النصرة لإنشاء خلافة عربية تعم العالم ؛ لعلهم ينجحون يا ابن عمي والله أعلم حتى أنهم يؤيدون قيام انقلاب عسكري لهذه الغاية .. فالانقلابات تملأ الساحة العربية في مصر قبل سنوات وسوريا قبلها وبعدها .. وقبل ثلاث سنوات قاسم في العراق .. وفي وايران وأفريقيا السمراء .. انقلابات شغالة .

فلما صمت نزيه قال رافع : ما الفرق بين هذه المسميات ما دام كلها تعمل للدين؟!

تنهد نزيه وقال مفكرا في الإجابة : الفرق يا ابن عمي الإخوان يقال إصلاح من الفرد وتربية ، ثم الصعود .. التحرير إصلاح من الأعلى وفرض القوانين بقوة السلطة والحكم .. والناس تلتزم بها .. والصوفية والجماعات القادمة من الشرق لا يهتمون بالسياسة .. ويتعايشون مع كل النظم حتى ولو كانت كافرة في نظر الإسلاميين .. والصوفية طرق كثيرة يتوارثها الأبناء عن الآباء .. فموسى الطالب المعمم طرقي مختلف عن التحريرين .. والإخوان فيهم صوفيون وأشاعرة

وسلفيون اتباع السعودية والخليج العربي.. اهتم الإخوان بإصلاح الفرد والتحرير بإصلاح الحكم ..والجماعة يقولون لو أمر الخليفة بإغلاق الخمارات نفذ وأطاع الناس فورا .. اغلق البنك يغلق البنك.. أما جماعة الشيخ حسن تربية الفرد على الخلق الحسن التمسك بالدين رويدا رويدا نصل للحكم ، ويعملون مع الأحزاب العلمانية كالوفد في مصر والبعث في سوريا ، ويعملون بالسياسة والنيابة وأقول وفق الله الجميع .. لقد تعبت يا رافع !

قال : عافاك الله .. أحسنت !.. أختم .. أنت مع من؟!

قال نزيه : أنا مع المحاسبة مع أفكار المعتزلة!!



الرفاق في القرية

انتهى العام الجامعي الأول لنزيه يوسف ورفاقه فرجع لجمالة لقضاء فصل الصيف في ربوع وشوارع القرية ومزارعها ، عاد لمسقط الرأس للراحة ، وشم هواء ونسيم الصيف ، هم طبعا لم ينقطعوا نهائيا عن القرية خلال العام الأول .

وبعد حين يسير من العطلة دعا نزيه ورافع ونعيم زميلهم في الكلية سليما ودعوا أيضا رفاق المقهى عمادا ونعيما ؛ لتناول الطعام في بلدتهم وقريتهم المدينة الصغيرة ، فالقرى تكبر كما المدن وكانوا في الترحيب بهم في محطة الحافلات في جمالة ، وتعانقوا عناق المشتاقين ؛ كأن لهم سنوات لم يروا بعضا. في مزرعة يوسف والد نزيه وعم رافع كانت حفلة الشواء والغذاء ، وسر الضيوف من الضيافة والفواكه الطازجة والطيبة من فواكه المزرعة .

فقال عماد : حتى نبقى على تواصل أيها الأصدقاء خلال شهور الصيف.. لماذا لم تشتركوا في نادي الجامعة.. نلتقي كل أسبوع مرة على الأقل .. فالحديث معكم ومع أفكاركم ممتع ومثري فنادي الجامعة لا يتوقف نشاطه صيفا .. فهو يعمل على مدار العام .. فنلتقي ونرى ونسمع بعضنا بعضا.

فقال رافع : حدثني عنه زميلي طلال ورافقته إليه أكثر من مرة .. الحق يا نزيه أن فيه مكتبة كبيرة وتقرأ الصحف المحلية والدولية مجانا .. وللعلم المشروبات والمطعومات بمقابل والتدريب الرياضي كذلك .. الاشتراك فقط للدخول فحسب.

قال عماد : صحيح الخدمة بمقابل .. الماء والوضوء دون مقابل .. والاشتراك دينار واحد في الأسبوع الواحد .. يمكنك الدفع أسبوعيا أو شهريا .. فالمبلغ بسيط قد يرى الطالب المبلغ كبيرا خاصة على البسطاء ؛ ولكن والدك صاحب هذه المزرعة لن يعجز عن دفعها.. بارك الله لكم فيها نقول ما شاء لا قوة إلا بالله!

قال نزيه : شكرا لكم

ودعا وبارك الجميع وقال نزيه : الحمد لله.. الأمور المادية طيبة .. والوالد سخي حقيقة ..

واسأل جارنا نعيما .. فهو خير من يعرف الوالد .. فالوالد وأعمامي يقدمون ما تيسر لجمعيات القرية وحتى قرى مجاورة .. ونخرج الصدقة والزكاة .. فوالدي متدين ومتعلم ويحب العلم وطلبة العلم .

فقال نعيم أشرف : والسيد الكريم يوسف أبو إبراهيم معروف بالجود ومساعدة الأيتام في البلدة والبلدات الأضعف منا .. ويشارك في مناسبات ونشاطات القرية والبلدية .

فقال نزيه ممتنا : شكرا نعيم ! ولا تنسوا أننا نسكن بيتا في سلام .. فالوالد يدفع أجرته ومصروفاته .. ورغم الصيف فما زال مستأجرا ، ويتردد عليه إبراهيم ويقضي كثيرا من الوقت فيه .. وفكرة الاشتراك في النادي راودتني من العام الدراسي الماضي .. وكان المقهى يغني عنها وأنا على علاقة طيبة مع أبناء وبنات أخوالي وخالاتي في سلام فكنت أقضي معهم كل أوقات الفراغ ، وهم يرحبون بذلك .. ولم ألمس منهم الضيق .. ورافع يعرف ذلك .. فربما هذا سبب دفعني للتقاعس عن قضاء وقت في النادي وغيره.. ولكنكم شجعتموني الآن وصحبتكم مثيرة وممتعة .

تبسم رافع وعقب قائلا وممازحا : خاصة أن ابنة خاله باكر الآنسة مارينا تحب صحبته كثيرا .. وترافقه إلى المسرح ودور العرض .. وقبل ذلك إلى مطاعم وفنادق علية القوم .. الله أعلم أن الفتى راغب بالزواج منها كما يهمس إبراهيم .

ضحك الشباب ، وقال عماد: الكل يحب الزواج يا رافع ! البنت بنت خال .. بنت مال وجاه .

قال نزيه : نحن في الريف ليس من السهل إقامة علاقة عاطفية بين شاب وشابة .. ذلك يسبب مشاكل وحساسيات بين العائلات .. فقد يحدث الحب وينتهي بالزواج سريعا إلا اذا تدخل أبناء العم أو الخال ويتزوجون البنت سريعا .. تحدث القصص بحدود ضيقة.. أما في المدينة والجامعة كما سمعنا ورأينا فالأمر مقبول ، ولا وجود للأهل والعقارب قصدي الأقارب .

قال رافع : ألا تحبان بعضكم ؟

ـ الصراحة أنا أحب ذلك ؛ ولكن ليس بيننا قصة حب .. فعاداتهم يا عماد غير عاداتنا .. فلا

أرى والدي يا رافع يقبل .

قال سليم مستفهما : الالتزام لا يوجد عندها!

ـ نعم ، هذا هو الإشكال .. هي مجرد صداقة وقرابة ..والحب وقصصه أستحي أن أفعله معها.. ثم مستواها الاجتماعي والمالي أكثر من أسرتنا .

قال رافع : هذا صحيح .. فعمها مليونير ، وكذلك والدها .. وهم من رجالات السلطة والحكم

عاد الكلام لنزيه : وأنتم تعلمون .. كيف أتعامل مع فتيات الكلية والجامعة ؟ أنا متدين مثلك يا عماد ويا نعيم .. لكني وكثير من أهالي جمالة معجبون بأخوالي وصعودهم الكبير في الإدارة والمال .. شاكر نوار الجمالي وباكر نوار الجمالي من نجوم مدينة سلام . ولابد أنكم سمعتم بهذه الأسماء ما دمتم من سكان المدينة وتحبون قراءة الصحف .

هز عماد رأسه وقال : أنا أسمع بهما .. ولي قريب يعمل مع خالك شاكر .

وقال نعيم مؤكدا : نعم نعم ، فهم معروفون خاصة خالك شاكر فهو أحد رجالات المال والأعمال والدولة .

قال نزيه : أنا معجب بأخوالي وأعيش معهم خاصة العام الفائت ؛كأنني ابن لهم وابنة خالي التي أشار إليها رافع أنهت السنة الثانوية ، وستكون معي في كلية التجارة حسب ما قال شقيق أمي أما الزواج أيها الأصدقاء فأمره ليس سهلا رغم أن أمي أختهم.. فنحن فلاحون وأولاد قرى بالنسبة إليهم.

قال نعيم: الناس تتغير

قال سليم : كنا أبناء مخيمات ، ثم تعلمنا وتغيرنا إلى حد ما .

قال رافع : صحيح ما تفوه به ابن عمي .. فهم أخواله لزم كما يقال.. أبوه عمي يوسف متدين جدا .. وأخواله انفتاح كامل .. الإسلام في الهوية فقط .. رافقت نزيها مرة إلى مناسبة لهم فلم أعجب بتقليدهم للحضارة الغربية.

قال عماد مضيفا : قل الموضة الغربية !

قال رافع : اللبس والزينة والخمر عادة حتى أنهم سكبوا لنا خمرا حتى وقع في نفسي أن نزيها تعلمها منهم فصارحته بخاطري فأقسم أنه لم يتعاطها في حياته ، وهم لا يشربون أمامه إلا في مثل تلك الحفلة وما شابهها.

قال عماد مستهجنا : ابنة خالك عروس الغد تشرب ! أنت درويش يا صديقنا .

ضحك نزيه على وصفه بدرويش ونظر لرافع وقال : أنا لست درويشا .. هنا في القرية زاويتان فالزاوية زوايا عائلات .. حضرت بعض حلقاتهم من باب الفضول فلا أفكر بالدروشة يا سيد عماد .. وأما الأخوال فلي سنة أخلاطهم يا شباب.. نعم ، الشراب عندهم كالماء ؛ ولكن والله أعلم اذا صار نصيب بمصاهرتهم لا أقبل شربها.. أما اليوم فمجرد وجهات نظر .. لا سلطة وحكم لي عليها .

قال رافع محذرا : إلا اذا هزمتك ووقعت في حبها .. وجرفك تيار التغريب .. فهو محبوب من خاله باكر وزوجته .. وأغلب أبناءهم ، وحتى بنات خالك شاكر يتقربن إليك ؛ لكن مارينا أكثرهن اهتماما بصديقي نزيه .. أنا أقول ذلك أمام الأخوة حتى لا يصيبك الحرج في العام القادم أمامنا .. فهي سوف تلزق بك.

ضحك الشباب ، وقال سليم : ما دامت علاقتك بها قوية لهذا الحد سيحدث ما يتوقعه رافع! ما قولك يا نعيم بن أشرف .

تبسم نعيم وقال : أنا والأخ نعيم نحب الصمت

قال نعيم الثاني : معك حق يا نعيم ! فليقل خيرا أو ليصمت ، وقالوا الكلام من فضة والصمت من ذهب.

فقال رافع مداعبا : ذهب تركي عثماني ولّا ذهب محلي!

فقال سليم : الذهب ذهب في كل بلدان العالم

صاح نزيه معقبا على كلام ابن عمه عن مارينا : رافع صديق وأخ عزيز .. وكل أفكاري وأسراري معه .

ـ شكرا ابن عمي ! نزيه صاحب خلق ودين ..فعمي صارم في أمر الصلاة والصيام والدين عامة رافقهم للمسرح والسينما والمقاهي الخاصة بهم .. وفي الجملة هو معجب بحياة المدينة ربما أكثر منكم .. وهو يرغب بعد الجامعة بالعمل في المدينة بعكسي أنا .. أنا سأدرس هنا ـ إن شاء الله ـ بعد التخرج .

قال سليم عندما عم الصمت : الريف ممتع إلى حد كبير يا رافع ؛ لكن فرص العمل قليلة فيه للمتعلمين كموظف وصناعة .. هو مجتمع زراعي في الغالب.

قال نعيم اشرف: كلامك صحيح إلى حد كبير ! فأغلب مصانعه ورشات صغيرة لا تستوعب الكثير من الأيدي العاملة .. والمتعلمون أغلبهم يرحل للعمل في المدن .. ولكن بدأت القرية والقرى تكبر وتكثر المؤسسات والمهن والحرف والمصانع المهمة .. لم تعد القرية قرية يا إخوان بدأت مصانع تنقل مصانعها إلى أطراف البلدات.. والأسر تزيد وتزيد .. وتنتشر العيادات والمراكز الصحية والمجالس القروية لتطوير القرى.. وأخذ أبناء القرى الذين يعملون في المدن يستثمرون بعض أموالهم في قراهم لتخف الهجرة للمدن الكبرى .

قال نعيم الثاني : نفهم من كلامك يا رافع أن صديقنا عينه على ابنة خاله اذا سمح عمك العزيز رد رافع مبتسما من العودة لحكاية نزيه : تقول أمي إن امرأة عمي تريد ذلك بكل قوة وحماسة ، وتقول: كما تزوجني يوسف فلنجدد النسب والمصاهرة يا أم مروان مع أخي الكبير .

قال نزيه: أنا لا مانع عندي .. قلت لكم لعلي أهزمها وأعيدها لحظيرة المعتزلة أو .. أو حزب التحرير.

ضحكوا وقال عماد: لدينا نساء وزوجات وبنات وأخوات يحملن أفكار الحزب .. لكن هؤلاء يا شباب من الصعب عودتهم للتدين كما نقرأ ونسمع ممن هم أكبر سنا وأكثر خبرة .. لكن ليس هناك على الله بعزيز .. قد يتوب أحدهم ويرجع .. وفي الغالب يتوجهون إلى الطرق الصوفية أو إلى جماعة محمد الياس الهندية .

قال نعيم وهو يقف وينفض سرواله مم علق به : حان وقت العودة لسلام يا عماد ! نحتاج إلى

ساعتين للوصول لسلام.

قال نزيه : بإمكانكم المبيت .. فلكل عائلة كبيرة دار ضيافة في هذه القرى .. وبيوتنا أيضا ترحب بكم .

قال سليم : أنا أفضل العودة يا إخوان!

قال عماد واقفا : وأنا كذلك .. خلف الله عليكم خيرا .. نشكرك سيد جعد .. لا ندري أكان جعد القديم سخيا مثلك أم لا ؟!

قال رافع ساخرا : اسمه يدل على بخله ، والله اعلم !

قال سليم: أرى أن الاسم لصق بك يا نزيه ! ما تحدثت مع أحدهم في الكلية أو في المقهى وعطفنا على ذكرك إلا قالوا تقصد الشيخ الجعد .

تبسم نزيه وقال : صدقوا يا قوم لا أعرف الكثير عن هذا الجعد .. سمعت أنه ضحي به يوم أضحى

قال نعيم الثاني : يقال إنهم ضحوا به يوم أضحى .. هل يجوز ذلك يا عماد ؟!

صاح عماد : بالطبع لا يجوز لو صح ذلك .. الأضحية فقط من الأنعام الثلاثة .

قال رافع : ثلاث أو أربع!

قال سليم : سمعت أن بعضهم يجيز الأضحية بالديك والأرنب .

قال عماد: لا أظن ذلك صحيحا .. كيف سيوزع هذا الديك يا سليم ؟

قال نزيه: صدقوا لا أعرف الكثير عن الجعد وعن المعتزلة ؛ إنما رؤوس أقلام فقط وأظن أنها فرقة ضعفت أو اختفت ؛ ولكن إخواننا التحرريون يحملون بعضا من فكرهم في قضايا عقدية أشهرها إنكار عذاب القبر ، وجعلهم العقل الحكم على القضايا العقدية كما فعلت المعتزلة القديمة ؛ ربما احتاجوا إليه لمجادلة الملحدين والفرق الأخرى كالصوفية وغيرهم ومناظرة النصارى واليهود والعلمانيين.

قال عماد: التحرير يأخذ الكثير من الفقه من فقه الأحناف.. فالشيخ النبهاني قاضي شرعي

وتعلم في الأزهر .. والقضاء ما زال في بلاد الشام والعراق متأثرا بالفقه الحنفي.. فقه الدولة العثمانية كما هو معلوم .

سليم : حان وقت الانصراف أيها الكرام ـ وتصافح الشبان ـ وقال كما اتفقت مع عماد ونعيم على دعوتكم إلى الغداء في بيت والدي الأسبوع القادم .

قال عماد : أنا قبلت الدعوة .

وقال رافع رافعا سبابته : وأنا نيابة عن نزيه ونعيم قد وافقت.



نادي الجامعة

كان الشباب الثلاثة من جمالة يداومون كل نهار اثنين في نادي الجامعة ،فليتقون برفاقهم نعيم وعماد يتبادلون الأخبار، ونشاطهم الاجتماعي والسياسي ، خاصة نعيم وعماد ، فهما مهتمان بالسياسة والأخبار والكتابة في بعض الصحف اذا سمح لهما بذلك ، ويتابعان ما يحدث من قضايا وطنية أو عالمية ، وتعرفوا بشكل خاص على أحمد وفريد ومصطفى ، فهؤلاء من رواد النادي من طلبة الهندسة ومتدينون ، وسعت بعض الفتيات المترددات على النادي اختراق هذه المجموعة ؛ ولكنهم لأنهم جادون في القراءة ومناقشة الكتب الموجودة والقضايا السياسية والاقتصادية والثقافية ابتعدن عنهم ، وهم أيضا لم يفتحوا لهن المجال للحديث حول الفضائح والموضة والأفلام . كان رفاق الهندسة من أتباع حزب إسلامي نشأ من ثلاث أربع سنوات ، ليس لهم منهاج معين وواضح ، فهم حزب إسلامي قريب من السلطة ، ومدعوم من النظام بشكل واضح لكل ذي عين ، ويركز هذا الحزب على الأخلاق والصوفية أي البعد عن السياسة والبعد عن الحكم والتشريع الإسلامي الصريح .

قال احمد معرفا بحزبه وساعيا لتجنيدهم : بما أننا حزب فيحق لنا أن نتكلم في السياسة .. ولكن ليس كل حديثنا سياسة .. هناك أمور أخرى.. ثقافة الشعب اقتصاد الشعب .. أخلاق الشعب فالأخلاق السيئة تنتشر بقوة بين الناس الغش والغدر والخيانة .. فنحن نهتم بهذه القضايا التي لا تجد اهتماما كافيا من الفرق الأخرى .. إخواننا التحريريون ـ وأشار لعماد ونعيم ـ يريدون خليفة .. نحن جاء خليفة أو لم يجئ لا يهمنا .. وجماعة جمعية إخواننا الإخوان همهم السلطة ومجلس الشعب وتحرير فلسطين.. ولا ننكر جهادهم في مقارعة اليهود والإنكليز في مصر وفلسطين .. والخلاصة نحن نكمل بعضنا بعضا .. فنحن معترف بنا من النظام وبعيدون عن العنف والانقلابات كما رأينا في سوريا والعراق ومصر .

فقال نعيم : وهل لكم وزراء ونواب؟

قال مصطفى : لنا نواب .. أما وزراء لا.. فنحن حزب حديث يا أخ نعيم .. فنحن نمثل

الإسلام في الدولة ؛ لنكون مع الأحزاب الأخرى .. أحزاب اليمين واليسار .. فنحن الحزب الإسلامي الوحيد في الدولة مع العلمانيين والاشتراكيين والليبراليين .

قال رافع مبتسما : عظيم ! .. هذا عندنا ديمقراطية يا نزيه !.. نحن في القرى لا نسمع بذلك .. أنتم تختلفون عن الإخوان والتحرير والدراويش .. نحن عندنا في جمالة زاويتان للدروشة والقفز

رد مصطفى قائلا : الإخوان لهم نواب في المجلس.. الإخوان ليسوا حزبا .. إنهم مجرد جمعيات منتشرة في البلاد .. لكنهم يعملون في السياسة .. لذلك لمخالفتهم أنشأ الشيخ تقي النبهاني حزب التحرير والدعوة للخلافة .. وشاركوا في الأردن في الانتخابات وفازوا بمقعد أو اثنين فهم يعترفون بالحكومات وقام الحزب في القدس ابتداء.

وقال احمد : سعى هذا الحزب ليصل للحكم عن طريق الانتخابات والصندوق يا نزيه ! ولكنه لحتى الآن لم يصل.. لم يجدوا من ينصرهم لتحقيق الغاية .. ويعتبرون الحكومة في بلدهم منحرفة لا تريد دينا ولا إسلاما .

قال عماد متحمسا : الإسلام سيحكم كل البلاد

ضحك احمد وقال : والشيوعيون يقولون مثل ذلك .. الشيوعية ستحكم هذا العالم

قال رافع متهكما : والرأسمالية تحلم بذلك .

وقضى الرفاق صيفهم في نادي الجامعة خاصة شباب جمالة ، فكانوا أحيانا ينتقلون لصالات الرياضة قاعة ألعاب الجمباز والرياضات الحركية وممارسة القفز والقفز ، ثم يجتمعون على طعام الغداء في مطعم النادي ، وعلى نفقتهم الخاصة ، وقبل الغروب وبعد صلاة العصر يغادرون النادي على أمل اللقاء الأسبوع القادم .

قال نزيه لرافع وهم يجلسون في الحافلة الذاهبة لجمالة والبلدات التي في الطريق : رأيتك تجلس مع ليلى .. وفي غاية الانسجام.

ردد رافع كلمة انسجام وقال : هي زميلتنا في الكلية ، وأحيانا أتحدث معها كما تعلم .. وقلت لك أنا فلاح ابن فلاح .. وهي ابنة المدينة .. وأبوها كما نعلم رجل بنوك .. وأيضا هي ملحدة

ماركسية لينينية أحبت الحديث معي فقلت لها مستفزا : ألم تجدوا الاله بعد ؟ فضحكت وقالت : ليس لك إلا هذا السؤال يا رافع ؟ هل ترى أن لهذا الوجود ربا ؟ أنت تعلم أن هذا لا يشغل ماركس ولينين كثيرا .. فقلت لها للأسف ولدت بعد هلاكهما ، ولم أشرف باللقاء بهما ..وأنا يا ابن عمي اختلطت بها في نهاية الفصل عندما سمعتها ذات مرة تتحدث مع بعض الزملاء تشكك بالله أمام سارة وعيدة ، ثم رحبت بالحديث معي وتسعد بذلك كما عبرت وفرحت لما علمت أنني اشتركت في النادي .. وهي تطمع وتود بأن أتخلص من رواسب القرية وسذاجتها.

ـ وماذا قلت لها عن وجود الله ؟

قال : ماذا أقول؟ قلت لها مستحيل أن أرى هذا الكون سماء أرض بدون موجد يا ليلى .. العجيب أن الملحدين في الغرب وروسيا لا يفكرون في وجوده كثيرا ؛ إنما تشغل بال شيوعيي العرب وبلاد المسلمين .

قال نزيه : لأننا يا صديقي في بلاد لا تكفر بالله كما كفر أولئك .

ـ قلت المهم لا يمكن أن يكون هذا الكون يا ليلى بدون صانع .. لولا أن أبي تزوج أمي لم أكن أتحدث معك الآن .. هل رأيت مخلوقا بدون أبوين ؟ الكرسي الذي نجلس لا يقبل عقلي أو عقلك أن يكون بدون نجار أو حرفي صنعه وركبه .. لا أدري كيف تعتقدون أن الكون والقمر والأرض بدون مكون موجد ؟! كيف أوجد نفسه عشوائيا أو صدفة أو خلقته الطبيعة كما ترون فقالت : مذاكر جيدا فضحكت وقلت : لازم نذاكر حتى نستطيع الحديث مع أفكاركم الخبيثة والساذجة ، فقهقهت وقالت : لن تغلب.. نحن لا يهمنا وجود الخالق أو لا يوجد .. نريد أن نصبح أحرارا .. نأكل مما نزرع .. نلبس مما نصنع.. قلت :وهل الدين يعارض ذلك ؟ نتمنى أن نصبح أمة قوية قادرة على فعل ذلك يا ليلى . قالت: وما تقول في خلق الإنسان الأول آدم ليس له أب ولا أم ؟ قلت : هذا خلق خاص وبداية البشر .. لكل شيء بداية.. البرتقالة التي أمامك لولا المزارع والشجرة التي زرعها والماء والتراب والسماد والرعاية ما صارت برتقالة.. سيارتك التي ابتاعها والدك من صنعها واستوردها وهكذا كنا ندردش يا ابن العم

قال : المهم لا يوجد حب.

قال متعجبا : الحب تركته لك .. هل تريد أن يقضي عليّ أبي وعمي وحتى خالي الشيخ بالزواج من ملحدة ؟!

ـ قد تسلم من جديد.

ـ اذا تزوجت كما يحصل لكل ذكر .. سأتزوج من جمالة .. فبنات جمالة أفضل ونعرف عادات وطباع بعضنا يا بطل !

ـ أصيل يا ابن العم !



مارينا

منذ سكن نزيه المدينة مع شقيقه الأكبر إبراهيم أخذ يتردد على قصري خاليه شاكر وباكر ، ووجد منهم ترحابا وحفاوة ، وأكثر من اهتم به ابنة خاله باكر الآنسة مارينا التي تدرس في آخر الثانوية العامة ، ووجد انبساطا مريحا كذلك من والدتها ، فكان وجوده مقبولا من جميع الأسرة بشكل عام ، فهو ابن أختهم . وكان يسهر معهم خاصة مع مارينا وأمها رغم أنها لم تكن قريبة لخاله ، وتنادى بأم رشاد ، وكانت تبش له وتستقبله بحماس ، تقول ؛ كأنها رضيت به زوجا لابنتها في المستقبل رغم أنه ابن قرية ابن الريف ، وهو شاب محافظ متدين على غير ما هم عليه أما إبراهيم فلم ينسجم معهم ومع طباعهم وتقاليدهم المفرطة في محاكة الغرب ، فلم يجازف بالزيارة إلا في المناسبات المهمة كالأعياد وعيادة المريض ، ولا يطيل الجلوس بعكس نزيه الذي قد يقضي ساعات من الليل .

كان الفتى نزيه معجبا كثيرا بأخواله وصعودهم الكبير في الدولة والإدارة والمال ، وكان طامعا بأن يصير مثلهم في تفوقهم المالي والاجتماعي ، وكان معجبا وشاكرا لمارينا التي تهتم به كلما قدم وتخدمه بنفسها ، وتتحدث معه بكل أريحية ؛ كأنها فعلا راغبة بالاقتران به ، وكان يكثر تعليقهم بأنها سوف تغير من عاداته وتقاليده القروية ، وكانت تخفف من التبرج والسفور عند مجيئه ، وفي الحقيقة كان يمني النفس بقبولها به قرينا ، وأمه تلمح له حول ذلك وتهيجه بهذا الاتجاه ، وبتجديد المصاهرة بين العائلتين .

كانت مارينا منذ ظهر نزيه في قصرهم لا تظهر أمامه إلا بثياب محتشمة ، لا تلبس القميص القصير الذي يكشف الذراع ونصف العضد أو الكتفين ، وتلبس الفستان الذي يغطي نصف الساقين على الأقل حتى يتحدثان بحرية ، وبدون نظر منه إلى الفراغ خجلا من أن تلتقي عيناهما ولا تستخدم المكياج سوى أحمر الشفاه كانت منسجمة معه وأخذت تخفف من جلساتها مع أقاربها وأصدقاء العائلة لتقضي أكثر الوقت مع نزيه اذا زار البيت ، وما أكثر الزيارات المسائية! كانت تعلم أنه متدين ، وترى كما تحدث والدها وأمها أن ذلك يعود لطبيعة القرية والمحافظة

على تقاليد القرية ، كأن الدين لأهل القرى فقط ، فتركا الشابة تتعامل معه بدون تلميحات وتحذيرات كأن حالهم يقولون إنه العريس المناسب في الغد .

اجتازت مارينا الثانوية العامة بنجاح مقبول ، كانت درجاتها أقل من نزيه وبمساعدة والدها ، وعمها الوزير شاكر في تلك الفترة قبلت في كلية التجارة حيث يدرس نزيه . وهنأها نزيه على النجاح ، وقدم لها هدية ، وبارك لها التسجيل في كلية التجارة ، واختارت إدارة العمل للعمل في شركات الأسرة ، كما فعلت أخواتها الأكبر منها وإخوانها .

رحب بها نزيه في مطلع العام الدراسي الجديد ، وفعل مثله رافع الذي تعرف عليها من خلال نزيه العام الفائت ، ورافقهم لحضور بعض الأفلام والمسرحيات في المدينة سلام الدين . وأصبحت رفيقته في ساحات الجامعة والمطاعم والمشارب وأوقات الفراغ من المحاضرات.

وكان هو أيضا يجلس معها في أوقات فراغها ويترك رافعا ونعيما ، كان رافع يجلس قليلا معهم يتبادل معها التحية والصحة والأهل ، ثم ينصرف. كان جل حديثهم حول الملابس والموضة والطعام والسهرات وآخر الأفلام والمسرحيات والنزهات ، واذا توقفت معها بنات الكلية والقريبات يتركهم نزيه ـ لا يحب البقاء في مجلس النساء وحوارهن ـ كانت ابنة خالتها نادية تكثر من اللقاء بها ، فهن في شعبة واحدة ؛ فإذا لم تكن مع شاب أو شابة ترافق مارينا .

وكانت لها ابنة خالة أخرى اسمها جميلة مع رافع في كلية التربية ، وقد عرف ذلك بدخول مارينا الجامعة . وجميلة تفاجأت بقرابة رافع لنزيه ، فهي تعرفت عليه في العام الفائت ، وهي عرفت نزيها من خلال زيارتها لبيت خالتها أم رشاد ، ونزيه عرفها من خلال مارينا والأسرة .

فرافع طالب نشيط في كلية التربية، وطالب رياضيات ، ومعروف بفطنته وذكائه بين الزملاء ، وهو كما علمنا راغب بالعمل مدرسا في القرية أو القرى المجاورة حسب الفرصة ، هو لا يحب المدينة بعكس نزيه ، هذا ما يخبر به ، وحلمه الزواج والبيت والسيارة ، لا يحب الصخب والانفلات ، ويشترك مع نزيه بحب القراءة والمكتبة والنقاش ، ولا يحب السياسة والأحزاب فهي لا تشغل بال القروي كثيرا.

علمت مارينا أن رفاق نزيه يسمونه الجعد بن درهم أحد زعماء الجهمية والمعتزلة في الزمن العباسي القديم ؛ لأنه اشتهر بالدفاع عن أفكار المعتزلة وتعظيمهم للعقل ويقدمونه على الحديث والوحي ، ويحسنون ما يحسنه العقل ، ويقبحون ما يقبحه العقل والفكر.

وكانت أيضا تكره الكلام عن الماركسية ودارون ، كان أهم الحديث عندها الأفلام وآخر الأفلام والمسرح ، وآخر ما يعرض من اللباس والمكياج وقصات الشعر ، ولا تحب السياسة والمكتبة والكتب الثقافية ، تمارس الرياضة في الجامعة والنوادي الخاصة بالعائلة ، وكانت لا تفوت رحلة جامعية سواء في كليتها أو كليات أخرى مع صويحباتها ومعارف الأسرة اذا دعيت . أما نزيه يوسف فبعيد عن هذا النشاط ، وشارك مرات معدودة كل سنوات الدراسة في الرحلات الجامعية ، زار بعض المتاحف برفقة رافع ونعيم للفضول والمعرفة ، وكذلك بعض الأثار في سلام .

فكان رافع يقول لنزيه بحضور نعيم أشرف وسليم : لا أعرف كيف تنسجم معها ؟! لا عقل لها .. الفلم المسرحية معرض فلان .. جلب ملابس من فرنسا

قال : ماذا تريد من بنت هكذا ربيت؟ سينما مكياج حفلات سهرات عيد ميلاد ؛ لكني أستمتع بسخافتها .. فمعكم الجد ومعها الهزل والترفيه .. ما رأيك يا سليم؟

ضحك سليم وقال: منك مقبول ؛ بل يا رافع نزيه لا يفكر بابنة خاله .. هو يفكر بأخواله ومراكزهم وكيف يصير مثلهم ؟ وها هو خاله شاكر المليونير والاقتصادي يصبح ضمن الوزارة التي تكونت من شهور هذا المهم عند نزيه.

قال نعيم : هذا الصواب يا رافع .. هو يحب المدينة .. وسوف يعمل في المال مع أهل المال.

قال نزيه : هي تطالع ؛ لكن في مجلات الأزياء وحواء والأفلام يا رافع .. المال موجود .. والعمل لتمضية الوقت .. هل تظن أن راتب الوظيفة يشتري لها ثوبا أو بنطالا أو زجاجة شراب ؟ علينا أن نحمد الله كثيرا أننا ولدنا في الريف والدين .

ـ أخشى أن تذهب بك مع الوقت .

فكر رويدا وقال : عشت سنة معهم ، ولم أمسك كأس شراب ، ولم ألعب الميسر ولو عن درهم واحد .. الحامي الواقي هو الله .. وكما قال سليم أنا أحب أن أصل إلى ما وصلوا فنرفع من قريتنا وحياتنا .. أنت تعرف حياة الفلاح وكفاحه والمطر والموسم والجفاف .. حقيقة وليس سرا قليل من الفتيات جادات حسب علمي .. وما رينا يا رافع كغيرها من البنات جامعة وظيفة زواج وبعض الأطفال وأحلامها اللباس الأجنبي والمطاعم والمأكولات .. والمفاضلة بين المطاعم والطعام.. هل أحدثها عن المعتزلة والأشاعرة والتحرير والإخوان ماركس لينين ستالين خروتشوف الحروب .. هذه مواضيع لا تهتم بها هي وغيرها من الحريم .

قال رافع : ها هن بنات الجامعة ينشطن في الانتخابات ومجالس الجامعة !

قال : كم نسبتهن للذكور ؟ أنت تعلم حبي لطعام المدينة .. وأحب الطعام اللذيذ .. فما جئت المدينة يوما إلا زرت أفضل وأشهر المطاعم .. طعام الريف بسيط

ضحك نعيم وقال ضاحكا : والله سبب مقبول ! ومعقول للبقاء في المدينة يا رافع ! الحياة أكل وشرب ونوم وعمل لبضع سويعات.

ردد رافع: أكيد ابنة الخال تعرف ضعف نزيه نحو الأكل .. فهي تهتم بمعدته وطلب أفضل الأطعمة لعريس المستقبل.

قال نزيه باسما : دار خالي يا ابن عمي .. وهم يرحبون بي منذ وطئت قدماي ديارهم وقصورهم.

قال سليم : تزوجها وأنت تدرس .. فأنت تعلم أن راتبك الوظيفي في أي قطاع ما دمت تهوى أكل المطاعم الراقية لن يكفيك بضع وجبات .

قهقهة الشباب وتابع سليم: فهم سيؤمنون لك الطعام والبيت .

تنهد رفيقهم نزيه بعميق وقال هازّا رأسه : أبي يا سليم مع أنه نسيب وصهر لهم علاقته بهم ضعيفة وباردة ! .. ولا يراهم شيئا ، لا وزارة ولا رئاسة تعني عنده شيئا .. يرى حياة القرية أفضل حياة .. زراعة شجرة جديدة هي الدنيا والحياة ويقول: لولا الزراعة في رأيه لهلك الناس أمي الفاضلة ترى ذلك وترغبني في الزواج من بنات إخوانها .. وتردد من جاور السعداء سعد

وأخوالي منذ هجروا القرية قلّ اهتمامهم ورعايتهم للقرية .. وباعوا أغلب أملاكهم وضعفت صلتهم بالبلدة .. فلا يأتون إلا في عزاء مهم أو فرح يستفيدون منه .. رغم مشاريعهم الكثيرة في المدينة .. في القرية ولا مشروع حتى زيارتهم لأمي قليل جدا .. لا في عيد ولا في مرض ؛ لكنهم لا يقصرون اذا زارتهم .. فيقدمون لها المال والهدايا.. ولا أدري وصديقي رافع يؤيدني أنني لا أعرف السبب الحقيقي لهذا التباعد والبرود بينهم وبين والدي العزيز .. فهل تراه يقبل أن أتزوج مدنية ومتبرجة ؟.. فأبي وعمي أبناء الريف منذ ولدوا وشبوا.

قال نعيم مواسيا ومشجعا : قد تسطيع تغييرها وتعيدها لحظيرة التوبة اذا كانت راغبة بك حقا وهذا الملاحظ هنا .. فهي كما يبدو لنا تلبس ثياب مستوردة؛ ربما من باريس...

قال رافع متهكما : قالت أختها إنهم عندما يذهبون لأوروبا لقضاء إجازة يشترون من باريس ولندن، وحتى طعامهم كثير منه مستورد .. فهم يحبون الأجانب ويمدحونهم كثيرا .. وأنا أشفق على نزيه منهم إن سيطروا عليه .. وتركه للقرية سيضعف مقاومته .. أتمنى أن تعيش البنت معه بسلام إن قدر لهما الزواج .. أقول لكم عمرها ما زارت القرية ..قرية جدها وحيث ولد والدها وعمها .. ولا رأيناها ابدأ تدخل قريتنا للتعرف على قرية أبيها أو تصل رحمها عمتها أم إبراهيم .. والله من كل قلبي أحب أن يحقق أحلامه في المال والمنصب الذي يحلم به .. ها نحن نرى خاله شاكرا وزيرا .

قال نزيه مبررا بذخهم وإسرافهم : هم مثل طبقتهم هنا .. ويشترون الثياب من هنا مثلنا ؛ ولكنهم يتعاملون مع محلات وأسواق تناسب مستواهم الاجتماعي أدعو لي بالزواج منها .. فهؤلاء هل يقبلون بشاب قروي مثلي ؟!

قال سليم ضاحكا : ولماذا كل هذا التقرب والاحتفاء بك يا نزبه لا تتغابى ؟!

قال رافع : وهذه العطور التي تعبق أنوفنا منها !

ضحك نزيه وعلق : أغلبها باريسي .. مدينة العطور .. أكيد أن راتبي لسنة لا يغطي ثمن زجاجة عطر من عطر خالي .. كيف أعيش معها حياة التبرج والبذخ يا رافع ؟!

فأجاب سليم : الحب والهوى يا سيد جعد يذلل كل العقبات .

رافع : كلام سليم .. نتمنى لك كل توفيق معها أو مع غيرها !

قال نزيه باسما :كلنا ـ إن شاء الله ـ سيتزوج يا شباب .. والنساء حظ .. أنا صريح معكم أرغب بها قرينة .. والتغيير بيد الله تعالى اذا نظرت إليّ على أني فلاح سيفشل الزواج بلا شك .. أنا فلاح أرضى بالكفاف والقليل .. المشكلة الكبرى أنها تشرب الخمر ليس الثياب واللباس فقط .. أخبرتني بذلك .. وقللت تعاطيها فقط في الحفلات.

قال رافع : وما أكثر حفلاتهم يا رفاق ! لا يخلو أسبوع إلا ويدعى نزيه لحفلة وسهرة من سهراتهم .

تبسم نزيه معترفا : نعم : يتدربون على ذلك منذ المرحلة الثانوية لن تكون الحياة الزوجية معهم سهلة في نظري ونظر شقيقي إبراهيم .

المعتزلة

ورد لفظ المعتزلة وتردد أثناء حوارات الشباب نزيه وشلته الجامعية طالب كلية التجارة والاقتصاد فرع المحاسبة فمن هم المعتزلة ؟ المعتزلة فرقة من فرق المسلمين كما ورد في أحاديث افتراق الأمة المحمدية إلى طوائف وشيع وأحزاب وفرق ، وأشهرها الشيعة الروافض والقدرية والمرجئة والخوارج ، المعتزلة برزت في مدينة البصرة الكائنة في جنوب العراق المعروف لدينا ، ظهرت البصرة خلال الفتح الإسلامي لبلاد الرافدين فهي إحدى حواضر الإسلام وأمصارهم فقد كانت بدايتها في عصر الخليفة الكبير العادل عمر بن الخطاب ، وكانت من أوائل أمصار المسلمين التي شيدت في عصره وهي قرينة الكوفة.

البصرة مدينة العلم والعلماء والزهاد والفكر والفرق ، ففي هذه البلدة برزت طائفة المعتزلة كفرقة عقدية تخالف منهج وطريقة أهل السنة والجماعة في فهم العقيدة الإيمان والكفر والقدر والعقل والنقل والوحي والتحسين والتقبيح وفهم الصفات الإلهية، فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في أواخر العصر الأموي ، وقد ازدهرت في العصر العباسي ، وقد لعبت دوراً رئيسياً سواء على المستوى الديني والسياسي، ولقد غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل حسب وصفهم ، وقالوا بوجوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك ، وإذا تعارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع على الأصل، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل، فالعقل بذلك موجب وآمر وناه، لذلك فإنهم قد تطرفوا وغالوا في استخدام العقل وجعلوه حاكماً على النص بعكس أهل السنة الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكماً عليه

ونسبت الفرقة إلى حركة قام بها إمام المعتزلة واصل بن عطاء ، فقد كان من تلاميذ إمام أهل السنة في البصرة ، الإمام المشهور الحسن بن أبي الحسن البصري تلميذ أنس وعدد من علماء الصحابة العظام ، فأنس بن مالك كان مستوطنا البصرة ، وكان الحسن كذلك ، والحسن كان

واعظ زمانه في ذلك الثغر المهم في التاريخ ، وأدرك الحجاج طاغية العراق وبني أمية المعروف ، وابن زياد الثقفيان ، وحكم العراق الإمام الراشد علي على أثر اغتيال الخليفة الراشد عثمان بن عفان. كان واصل في مجلس للحسن أبي سعيد في حلقة علم فاعترض على مسألة مهمة وهي ما يقول السادة العلماء في الحكم على الظالم المسلم الذي يسفك دماء المسلمين على الشبهة هل هو مسلم أم كافر ، فكان الحسن يرى أنه مع ظلمه وبغيه مازال مسلما ، أما واصل واتباعه فرأوه في منزلة بين المنزلتين ، لا مسلم ، ولا كافر ، يعامل في الدنيا كمسلم ، وفي الآخرة كافر في نار جهنم واعتزلوا حلقة علم الحسن البصري فقال اعتزلنا واصل فسموا المعتزلة لاعتزالهم مجلس علم الحسن ، وقيل غير ذلك. أنكروا الصفات على فهم أهل السنة والجماعة وأهل الحديث كالبخاري ومسلم ، وبرعوا في المناظرات العقلية ، وانتشرت أقوالهم في التوحيد والقدر والعدل وخلق القرآن والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشاعت بينهم أقوال الجعد بن درهم وجهم وبشر المريسي في خلق القرآن حتى اقتنع بها الخليفة العباسي المأمون وخلفه ، وأرادوا إجبار العلماء على حمل ونشر مقالتهم ، وظهرت فتنة خلق القرآن في الأمصار ، واستشهد فيها علماء وأتباع العلماء ، وخاض فيها الخاصة والعامة ، واستمرت عقود حتى كان عصر الخليفة المتوكل ابن المعتصم وأوقف هذه البدعة ، وأحيا مذاهب أهل السنة ، وقدمهم على المعتزلة ، ثم أخذت تنحسر رويدا رويدا بدعة فرقة المعتزلة حتى أصبحوا مجرد تاريخ وتراث ، واليوم هناك بعض الفرق والأحزاب تحاول إحياء أفكارهم وأخبارهم بدعم من حكومات وجمعيات وتعظيم العقل، ودوره في العقائد؛ لكن إحياء الميت ليس أمرا بسيطا وسهلا بعد قرون من ضعفه وموته ، حقيقة أن الأفكار والمبادئ الضالة لا تموت ولكنها تضعف وتجمد ، ثم تحور وتعدل ،فتجد من يهيم بها ويسعى لإحيائها وتنشيطها.

التخرج

علمتم أن نزيها يسبق ابنة خاله بسنة جامعية واحدة ، وكلاهما من طلبة كلية التجارة ، فمضت الأعوام المتبقية بين مارينا ورفيقاتها وبين رفاقه في الكلية والمقهى والنادي الجامعي ، وكان يتناقش مع الفتيات مع وجود مارينا المواد الدراسية والأسئلة ومراجعة معلومة وموازنة عامة وكان يناقش ويحاور اليساريين والقوميين والناصرين وقبلهم التيار الديني ، وعندما فشلت الوحدة المصرية السورية ، كانت فترة من السخرية من الناصريين والقوميين والبعثيين والقوميين العرب حركة حداد وحبش الحركة القومية التي ظهرت على أثر نكبة فلسطين ٤٨ بين طلاب وخريجي الجامعة الأمريكية في بيروت . وكان يناكف الشيوعيين أتباع ماركس وأنجلز أصحاب البيان الشيوعي الصادر في ١٨٤٨، ورعاع الاتحاد السوفيتي ، ويذكر بجرائمهم اتجاه المسلمين في الشيشان وداغستان والقرم والقوقاز وأفريقيا وآسيا ، وحبهم لسفك الدماء مثل الرأسماليين وممتصي ثروات وخيرات البلاد والشعوب الضعيفة ، ولا يقلون عنهم إجراما .

ويجادل الإسلامين من تحريرين وإخوان وطرقيين والحزب الإسلامي، كان يهاجم الجميع دون هوادة ، ويدافع عن الفرق الإسلامية المنحرفة كالمعتزلة والشيعة الاثني عشرية والخوارج ، حتى اشتهر بين الطلبة بجعد بن درهم القائل بخلق القرآن ، حتى أنه كان يدافع عن عباد البقر وبوذا لإغاظة مناقشيه باسم حرية الاعتقاد ولا إكراه في الدين كما نصت آية البقرة . فكان رافع يطلق عليه المجادل الأول على مستوى الجامعة، وكما قلنا قضى سنوات الجامعة بين مقهى الجامعة والنادي وسهرات أخواله ومناسباتهم التي لا تنتهي ، وقليلا ما يفوت فرصة لزيارتهم حتى وضح واشتهر أن الشاب راغب بالزواج من مارينا ، وكانا كأنهما مخطوبان.

وهي نفسها كانت تحس وتشعر ؛ كأنها مخطوبة لابن عمتها بدون عقد ، وبدون خاتم ، ترغب بأن تتزوجه كفكرة مجردة ، وهي تزعم أمام صديقاتها وبنات العائلة بعدم رغبتها بالزواج المبكر والحمل والولادة .

إبراهيم سعى وكان يحاول كبح جماح نزيه عن ابنة خالهما باكر ، ويحذره من التمادي في العلاقة معها ، ولا يعود لزمن المراهقة ، وقصص الحب الفارغة ، وكان معجبا بشقيقه بثباته على الصلاة والصيام حتى أنه في شهر الصيام لا يذهب إليهم إلا قليلا ، فهم لا يوجد لديهم شهر رمضان ، وطقوسه وصيامه ، ومائدة إفطار لا أحد يصوم .

التقوا جميعا في مقهى الجامعة ، وكانوا يودعون أنفسهم بقرب التخرج والاندماج في سوق الشغل ، ويتذكرون الأيام والساعات الجميلة التي مرت بهم خلال السنوات الأربع والجدال والقيل والقال ، والأحداث الصاخبة، وهم على أمل أن تستمر الصداقة إلى النهاية ، وألا تدفعهم الحياة العملية على عدم اللقاء ، وعليهم الانضمام إلى نادي خريجي كلية التجارة الكائن في قلب مدينة سلام في شارع البحر الأحمر للحديث والحوار والتشارك في تناول وجبة جماعية ، فأيام الجامعة من اللحظات التي لا تنسى في تاريخ الطالب في المرحلة التي تفصل بين طلاب الثانوية والحياة العملية والأسرة والزواج.

جرت مراسم التخرج كما خططت لها إدارة الجامعة في حفل سنوي ، ولباس خاص ، ووزعت الشهادات ، وأخذت الصور الثابتة والمتحركة ، وودع الطلاب بعضهم ، وتمنوا لبعضهم النجاح والتوفيق والعمل . وتمنت مارينا وصديقاتها الحياة السعيدة لنزيه وابن عمه خريج كلية التربية وطلبت مارينا منه أن يزورها بعد عودته للريف ولا ينساها ، وأملت أن يوفق والدها بتعينه في وزارة المالية ، وتمنت أختها له ذلك .

قالت مارينا : أما زال إبراهيم في الشقة ؟

قال : نعم ، فهو يتدرب على المحاماة .. سنتا تدريب حتى يتمكن من مزاولة المهنة ، وهو يحلم بأن يكون قاضيا في الدولة، وسيحقق ذلك بمشيئة الله ، وهو على وشك الزواج من ابنة دكتور درسه فترة، فقد يلتحق بمعهد القضاء الوطني.

هتفت : يستاهل.. هو شاب جاد وناجح .. وأنت ماذا ستفعل بعد العودة إلى القرية؟ لا أدري كيف يعيش الناس في تلك القرى المغلقة؟!

نزيه يعلم جهل مارينا وأسرة خاليه بحياة القرى والفلاحين الشجر والبقر ، فهم يظنون أن سكان القرى في غابات وأدغال أفريقيا . أجاب مبتسما وعالما بضحالة فكر مارينا واختها : سأعود للقرية . وتنهد

قالت : مر علينا كلما تشتاق إلينا .. فنحن نرحب بك دائما .. فأنت كما تعلم جوليا أضفت لحياتنا شيئا جديدا .. فأمي وأبي يعتبرانك منا .. لقد فزت بقلوب الجميع .. وكنت فاضلا ومحترما ... فكم تحبك أمي !

ـ القلوب عند بعض .. لقد اعتبرتني كابن لها .. وأمي تعترف بفضلها ووقوفها وأسرتها وخالي باكر معي .

أكدت جوليا معنى كلام شقيقتها مارينا ، وكانت العائلة سعيدة بحبه لهم ، وأنها تهتم بسماع أحاديثك وأخبارك في القرية أو المدينة .

فقال مفعما بحبهم له : أعرف عمق الود بيننا .. وأربع سنوات بينكم أمر مهم .. وخالي وعدني بالمساعدة للعمل في وزارة المالية معهم .. وأن اختياري للمحاسبة كان موفقا .. وبارك لي نجاحي .

قالت جوليا مؤكدة: أبي جاد في ذلك .. ليس مجرد مجاملة .. ويتوقع لك مستقبلا جميلا مثله في مستقبل الأيام .. ولابد أنه وضح لك ذلك .

قال : نعم ، نعم ، لم يقصر جزاه الله خيرا .

قالت جوليا :لا تنسى صداقتنا يا نزيه! فمارينا تراك بعين المحب .

ضحكوا على الغمز والتلميح وقال : قد يتحقق ذلك وخلال شهور ستلحق بي ثم أنت .

قالت : أكيد أكيد يا ابن عمتي ! الأيام تمضي كغمضة عين .

قضى أياما في المدينة للحصول على وثائق الجامعة من شهادات وكشوف الدرجات وودع خاليه والأسرة ذكورا وإناثا ، وترك إبراهيم ، وعاد للريف وقلبه معلق بالوظيفة الموعودة وفوقها مارينا رفيقة السنوات الأربع .

الزواج والحرب

رجع نزيه يوسف للقرية مرغما، فقد انتهت سنوات الدراسة ، وترك قلبه ورغبته للحياة في المدينة وآملا بالعودة السريعة ، وقد قدم طلب استخدام وعمل في وزارة المالية كمحاسب ؛ وذلك حسب تعليمات خاله باكر . وكان يساعد الوالد في إدارة المزارع والتجارة في البلدة ، حدثه والده عن الزواج والاستقرار في البلدة ، وأن يدع التفكير في الحياة في المدينة والعمل فيها وليعمل مدرسا في البلدة وما حولها من القرى .

وأراد يوسف تزويجه ، فتحدثت أمه مع شقيقها باكر حول زواج نزيه من مارينا ، فتعجب باكر من سرعة يوسف في تزويجه ، وأدرك غاية يوسف من العجلة ، فشدوا الأخوان شاكر وباكر الرحال للقرية ، وتناقشوا مع يوسف في زواج مارينا من نزيه، والشاب لديه رغبة فيها ، والبنت لها رغبة فيه ، وأن الشاب مستقبله في المدينة ، وأمامه المستقبل في الدولة.

قبل يوسف رغبة ابنه في زواجه من بنت أخ زوجته ، واعتذر لصديقه قديس وشاع خبر الضغط على يوسف في البلدة الريفية فتألم وقبل ، ورحل نزيه للمدينة وقد تعين موظفا في احدى دوائر المالية ، وتزوج في مطلع عام ١٩٦٥ قبل أن تختم مارينا جامعتها بفصل واحد ، وهو الأخير ، وقبل حرب ٦٧حزيران الشهيرة ؛ حيث دمرت إسرائيل الدول العربية باحتلال الضفة الغربية من مملكة الأردن ، وسيناء المصرية ، وجبال الجولان السورية في حرب سريعة ، أيام قليلة حرب سميت النكسة ، وآخرون سموها حرب الأيام الستة ، وكانت هزيمة فادحة ولم يقم بعدها للعرب قائمة ، ولليوم الجولان مع إسرائيل ، وكذلك الضفة، وسيناء أخليت من إسرائيل بمعاهدات سياسية ، وبدون جيش مصري فيها. كانت هزيمة ساحقة ما زالت تعاني منها الدول العربية ، ونشأت منظمات فلسطينية لتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، ولليوم لم يتحقق هذه الشعار والهدف . نشأت في منتصف الستينات منظمة التحرير الفلسطينية ، وحركة فتح وغيرها من الحركات ذات توجهات أيدولوجية مختلفة إلى حد التناقض في الهدف والغاية والوسائل ، وزاد تشرذم العرب نحو الشرق والغرب والضياع.

اشتعلت الحروب الأهلية في الدول العربية في الأردن وسوريا ولبنان والعراق واليمن .
الفلسطينيون خاضوا حربا مع النظام الحاكم في عمان ، وسحقوا ، ورحلوا إلى لبنان ، وهناك وقعت حرب بينهم وبين طوائف لبنان ، استمرت لعام ١٩٩٠ حتى هدأت بخسارة للجميع وطردت المنظمة لعدة دول عربية بعيدة عن حدود فلسطين.

حرب لبنان شغلت دول العالم الكبرى ، تجمعت أجهزة مخابرات العالم ووكالات الصحافة والأنباء العالمية ، تورطت فيها إسرائيل سوريا العراق مصر الخليج العربي ، لقاءات اجتماعات لجان قمم عربية إسلامية اغتيالات انسحابات ، ولم يسفر ذلك عن شيء مهم .

وكان صاحبنا نزيه ـ كما سنفصل ـ قد اختفى وابتعد عن الحرب ، وعاش في الأرجنتين هاربا من مارينا وخاليه ،وفتحت عليه الدنيا والتجارة كما سيتبين في الصفحات القادمة.

هجرة

القرية تكبر بكثرة السكان ، وبكثرة البناء السكني ، ولما تكثر الأسر بالزواج تكبر القرية ، تدخل فيها الصناعات الخفيفة والمشاغل والمتاجر تصبح نصف مدينة ، لم تعد جمالة قرية صغيرة ، كثرت المدارس ، زاد عدد الأطباء ، كثرت العيادات ، تقوم على أطرافها المصانع ؛ فتصبح ؛ كأنها مدينة صغيرة .. هكذا أصبحت قرية جمالة التابعة لمدينة سلام الدين قرية السيد نزيه يوسف الجمالي .. نسبة إليها، ولم يكن المولود الفرد لأبيه يوسف كما ذكر آنفا .

القرية الكبيرة جمالة تسكنها عائلات من أصول شتى ، لم تكن من عائلة أو حمولة واحدة ، بل من أسر كثير؛ ولكنك تستطيع أن تقول إن العائلات تصاهرت مع الكثير من الأسر الأخرى عادة مشاكل ونزاعات القرية أقل من نزاعات المدن ، ولابد من المشاكل والصراعات ، والتنافس موجود في القرى كما هو موجود في المدن ، القرية مدينة صغيرة .

الحكومات تهتم بإنشاء الطرق والشوارع المسفلتة خاصة في القرى المهمة ؛ لتسهيل نقل الثمار والمزروعات إلى المدينة ؛ ولتقل حوادث الطرق ، المدينة بحاجة لخضار وفواكه من المزارع أغلب الأيام ، ومن الاستيراد الخارجي كذلك . كانت تتوفر الطرق والبنية التحتية في القرية جمالة ، وما جاورها من البلدات فكانت تتوفر فيها المدارس والعيادات والجمعيات وهي تابعة إداريا لمدينة سلام ، فبينها وبين المدينة سلام عدة بلدات.

والتنقل بينها وبين مركز سلام ميسور وسهل في أقل من ساعتين يكون الراكب في أحدهما . دخل نزيه الطفل المدرسة الأولى في البلدة مثله مثل سائر أبناء وأطفال البلدة وأخوته ذكورا وإناثا ، وتمتد الدراسة الرسمية عشر سنوات بعد سن السابعة وبعد انتهاء الثانوية ، إما أن يدرس في معهد فني حرفي لمدة سنتين أو يلتحق بالجامعة في مدينة سلام.

في القرية معاهد زراعية ؛ لأنها قرية تكثر فيها المزارع والحقول ، وتقام مثل المعاهد بين عدة قرى لخدمة أبناء عدة بلدات ، ومعاهد مهنية أيضا ، لا يوجد فيها جامعة ، فمن يرغب في تكميل الجامعة عليه الدراسة في المدن الكبيرة ، وينتج عن ذلك إما السكن في المدينة لتوفير الوقت وقت

التنقل بين البلدة والمدينة أو يسافر بأي وسيلة نقل بينهما كل نهار ، وكل الأهالي يكون لهم أقارب في المدينة للعمل كموظفين في دواوين الحكومة أو الشركات التجارية أو الصناعية .
كانت الدراسة في القرى عشر سنوات بعد سن السابعة ، ويدرس الصغار في مدارس الروضة قبل المرحلة الأساسية ، ثم عامان المرحلة الثانوية ثم الكليات المتوسطة بعشرات التخصصات أو الجامعة بعشرات الاختيارات.

كان والد نزيه صاحب هذه الحكاية متعلما ، ومحبا لتعليم الأبناء بغض النظر عن الجنس ، وكان يقرأ في كتب القدماء ويقتني ما تيسر منها ، ومجالسا لشيخ الجامع وعلماء القرية أثناء تواجدهم في القرية لزيارة أهليهم وأقاربهم رغم العمل الزراعي والحيواني ، أهل الأرياف يقبلون على التعليم مثل أهل المدن ، والأنظمة المعاصرة قوانينها تلزم الآباء بتعليم أبناهم المرحلة الأساسية على الأقل ؛ لذلك تقوم الحكومات الحديثة والعصرية بإنشاء المدارس في المدن والأرياف إما بناء أو استئجارا ، وتمنع القوانين المعاصرة عمالة الأطفال ، وتعاقب أصحاب العمل والأهالي فالابتدائي إلزامي لكل الأطفال .

انتقل الشاب اليافع للمدينة مع الكثير من أقرانه للدراسة الجامعية في مدينة سلام ليدرس في كليات التجارة كما أحب واختار ، وكما شجعه أشقاء أمه عندما باركوا له بالنجاح .

كان والده يوسف الجمالي محسوبا من الأغنياء في البلدة جمالة وما حولها ، فهو تاجر مهم يتاجر في المواشي الابل ، ويتاجر في الأغنام والعجول والألبان والأجبان والسمن والزبدة ، ويملك أراضي خاصة به يقوم على زراعتها ومتابعتها ، ويصدر فواكها إلى المدن الكبيرة المحيطة في البلدة نقول هذا لتعلم ؛ أنه لم يكن الشاب يعوزه المال واللباس للدراسة والحياة في المدينة تحت رعاية أخواله وشقيقه الأكبر الذي سبقه لدراسة القانون في سلام ، كان يتردد على منازل أخواله وخالاته في كل المناسبات ، وكانت تعجبه حياة المدينة أكثر من حياة الريف ، وهو دخل كلية التجارة ليعمل في شركات أخواله أو الحكومة ، مع اندماجه في سهرات وحفلات خاليه شاكر وباكر ما ترك الصلاة والصيام ، ولم يقرب الخمر والزنا .. ومن البداية التقى بابنة خاله مارينا ،

وكانت تقرب منه أكثر من غيرها من بنات العائلة ، وكانت تحرص على دعوته في كل مناسبة اجتماعية أو طعام في البيت حتى قيل إن بينهما مشروع زواج، مع أن هذا مجرد كلام رغم انسجامهما ، فالشاب بالنسبة لهم متدين ، ومارينا لا تعرف صلاة ولا طهارة ولا صيام إنما حوارات واحاديث ؛ ولكنها كانت تراعي اللبس أمامه وفي حضرته ، وكانت الأسرة ترى أن تغييره وتقبله لعاداتهم وطباعهم بعد هجرهم للقرية قد تسمح باقترانه بها .. فهو ابن أختهم .. إذن كانوا يرون تغيره من صفات القرية المحافظة إلى سفور وانفتاح المدينة قد يوافقون على زواجه منها.. فتعلم منها الجلوس مع الفتيات في منازلهم أو في الجامعة .. تعلم منها ومن إخوتها ذكورا وإناثا الذهاب لدور السينما والمسارح ، حضور حفلات خاصة في نوادي أخواله .. رأى الحياة المنفتحة كما يدعون في المدينة .. وكان يرى الكثير من المواقف والمشاهد السيئة حسب بيئة القرية ، وقد ترتكب من أجلها المشاجرات والمنازعات لو جرت في الريف . تخرج الابن الأكبر ليوسف من كلية الحقوق وكان الوالد يخاطبه على انفراد بعدما انصرف المهنئون وكان الحديث في الدكان في سوق البلدة : إذن ستعود للمدينة للعمل في مكتب محاماة .

ـ نعم سأتدرب كم سنة ، ثم اشتغل في وزارة العدل ، ثم سلك القضاء مع مرور العمر اذا شاء ربي .

ـ والزواج !كنا نتزوج قبل بلوغ العشرين!

ـ الدكتور نوار صاحبك ، حدثني عن ابنته المحامية نجاح التي ستتخرج الموسم القادم .. قال أبوك صديقي وابن قريتي فأنا أحب أن نتناسب يا إبراهيم ..وأنا عرفت معدنك خلال سنوات الكلية .. ونجاح تحدثت عنك ..ففهمت مغزى كلامها .. شاور الوالد .

عادت الذكريات بيوسف إلى أيام الطفولة واللعب والركض واللهو مع الدكتور نوار ، ثم رحيل الأسرة لسلام والدراسة والزواج فقال : صديق عزيز ! ونعم النسيب .. اذا أنت لك رغبة بمصاهرته أنا لا مانع لدي يا إبراهيم !

ـ أنا ما زلت أفكر يا أبي .

ـ نزيه ما أخباره مع أخواله؟

بعد صمت يسير أجاب أباه : كما يقال هم يرسمون عليه .. وكأنهم يرغبون به نسيبا لهم .. فعلاقته مع ابنة الخال باكر قوية .. دائما تعزمه على الحفلات والولائم وهو مندمج معهم وحتى أنها بحضوره تلبس ملابس حشمة إلى حد ما .. لقد قبلت بعض مناسبتهم .. ربما يحتاجهم المرء في بعض الظروف والمعاملات .

ـ الصلاة .

ـ هذا هو العجيب .. هو ملتزم بالصلاة وفي رمضان نادرا ما يذهب إليهم .. يتبادلون الاحاديث على التلفون .. فهم كما تعرف هجروا الدين والعبادات منذ فارقوا القرية.. وتجارتهم ومصانعهم كبيرة .. وخالي شاكر رأس كبير في الاستثمار وأوشك أن يكون وزيرا للصناعة .. والخال باكر رأس في وزارة المالية يشار له بالبنان.

ـ أنت غير منسجم معهم !

ابتسم إبراهيم : أخوالي ! ..لكن أحوالهم لا أرتاح لها الشراب والخنزير والتعري لا أحبه .. الناس تتغير لا تنحط هذا رأيي .. هم أحرار كما يقول نزيه هذا منهجهم وسلوكهم في الحياة تجد بناتهم وشبابهم في خلاعة .. لكن السيد جعد ـ ضحك ـ أعني نزيها الذي يتبنى بعض أفكار جماعة الاعتزال الذين يمجدون العقل والتحسين العقلي فرقة ظهرت قديما وقويت شوكتها من بعض أبناء الخليفة هارون الرشيد.. لابد أنك قرأت عنها .

ـ نعم ، نعم .. هم أتباع واصل بن عطاء .

ـ صحيح ! فنزيه يحمل بعض أفكارهم حتى يقال إن بعض رفاق الجامعة يسمونه جعد بن درهم الجهمي المعتزلي ؛ ربما مناكفة لزملائه .. ففكر المعتزلة أصبح ضعيفا .. ولا أحد يدافع عنه .. أصبح نظريا لا تأثير له على العوام ؛ وإنما حمله أناس سعيا للسلطة والحكم .

ـ اذا تحب الزواج فأنا جاهز والمال متوفر بفضل الله .

ـ بنت الدكتور نوار تحتاج لسنة حتى تنهي كليتها .. ننتظر ربما تغيرها السنة .. والكلام لأبيها

فحسب.

ـ وقتما تشاء.. فخير الله موجود ولو كانت ابنة صديقنا نوار.

فتخرج صديقنا نزيه يوسف من كلية التجارة كما تخرج سابقوه ، ويتخرج الدارسون بعد إكمال اربع سنوات في الكلية الجامعية ، وهو اليوم ابن ثلاث وعشرين سنة . عاد للقرية مستقرا فيها ليعمل مع والده في التجارة أو يعمل موظفا في ديوان الدولة أو شركات خاصة أو في أحد البنوك أو التعليم والمعارف إداريا أو مدرسا .. أمامه المجال واسعا.

تعاظمت علاقة نزيه بأخواله في مدينة سلام خلال سنوات الجامعة ، كان يتردد على بيوتهم بأريحية ويجلس مع شبابهم وبناتهم بدون حرج ؛ كأنه يجلس في مجالس ومطاعم الكليات، يشاركهم الكثير من الاجتماعيات ..السهرات ..المناقشات .. طرفهم .. ومواقفهم.. وقصصهم ، لم يشعر بينهم بأي حرج .. يحدثهم عن أخباره في البلدة في الكلية .. كان يرغب بالعمل معهم بعد التخرج كما لمسنا في حديثنا عن حياته أثناء فصول الجامعة ، وكان يرى مستقبله في مجاورتهم أو التوظف في قطاع الحكومة ؛ ليكون مثلهم أو أكثر .. فشقيقه إبراهيم ظل يعيش في سلام ، ومازال يقطن البيت المستأجر ، وهو يفكر بالزواج من ابنة الدكتور نوار للبقاء في المدينة والدراسات العليا وهذا ما حصل .

فهم أي أخواله من أثرياء المدينة من رجالات الدولة ، فهم باعوا أكثر أملاكهم في جمالة قديما وسكنوا المدينة وعملوا في التجارة والصناعة والقليل من الزراعة .. وكانوا أهل نفوذ مع رجالات الدولة .. وكانت ابنة خاله الأنسة مارينا تستلطف نزيه وقريبة منه خلال فترة الجامعة وكان معجبا بها ، وكانت أمه تود أن يقترن بها على غير رغبة والده يوسف الذي يراهم من غير أخلاق ،وهو من طبقة وهم من طبقة .. فحياتهم الخاصة خمور سفور اختلاط انحلال .. حياة لا تعجب الفلاح والقروي والمتدين .

كان خاله باكر قد أقنعه بالعمل موظفا في الحكومة ؛ ليكون شيئا ما في مستقبل الأيام مثلهم .. وسهل توظيفه بنفسه ومعارفه وقوة شقيقه الأكبر شاكر. فرحل إلى المدينة بتشجيع من أمه

وموافقة من أبيه على مضض وعدم ارتياح ، اشتغل في دائرة مالية لوزارة التجارة حيث يعمل أبناء خال له . عادة موظفو الحكومة الرسميين مرتباتهم أقل من أشباههم في القطاع غير الحكومي فراتبه ضئيل مقارنه مع القطاع الأهلي .

أخبره والده يوسف بعد أسابيع من عمله رغبته بتزويجه من ابنة أحد العاملين معه في جمالة ابنة صديقه قديس الأنسة نهلة قديس ، فلم يبد رفضا فبدل أن يبقى في شقته وحيدا رحب بالفكرة والعرض .

قال الوالد : أحببت أن أزوجك ابنة صاحبي قديس لتقوية الصلة والمحبة بيننا ، فنحن نعمل سوية من سنوات كما تخبر .. وعنده خمس بنات.. وحدثته بالأمر فرحب بذلك .. وقال شاور نزيه وأنا سأتكلم مع نهلة.. فاسمها نهلة وهي ستنهي الجامعة مطلع الصيف .

قال نزيه مجاملا : العم أبو أحمد رجل فاضل .. إن شاء الله الرحمن الرحيم أفكر يا أبي .. ويكون الأمر كما تشاء وتحب .

قال الأب : فكر فكر .. أنا أحب صديقنا وشريكنا في بعض الأعمال منذ سنوات ولا تقول إني أضغط عليك .. بما أننا زوجنا إبراهيم .. وأنت تلي إبراهيم فأحب أن أقوي علاقتي بالسيد قديس بالمصاهرة ، ولا يعني هذا إجبارك .. يجب أن تكون مقتنعا بالأمر وبالبنت يا ولدي .. أنت تعلمت وتخرجت من الجامعة وموظف فتعرف مصلحتك.. فكر فكر مرة ثانية ، ثم أسمعني جوابك .. سمعت من أمك أن أخوالك يرغبون بتزويجك من بناتهم .. أنا لا مانع لديّ اذا كانت رغبتك حقا ؛ لكن لهم عاداتهم التي لا تروق لي .. لكن أنت الذي سيتزوج ..

ـ جزاك الله خيرا

تابع الأب : وأنا أحب تزويجك ؛لأنك تسكن وحيدا في شقتك أو بيتك المستأجر

ـ إن شاء الله

ـ الله يجمعنا على خير اذا كان لك نصيب في بنت أبي احمد .

عرض الأب على نزيه الزواج من ابنة قديس أحمد وترك له الخيار والتفكير ، وأن يرد عليه في

زيارته القادمة للقرية .. فالشاب لما تدبر أخواله عمله في وظيفة مالية في المدينة سلام رحل إليها واستأجر شقة في حي جمال الدين الأفغاني والشارع يحمل نفس الاسم .

فلما سمع شاكر خاله الكبير بالمشروع ورغبة والده يوسف أقنعه بالزواج من ابنة شقيقه باكر مارينا ابنة خاله ، وهي متعلمة مثله وستعمل في شركات الأسرة ، ولها رغبة به ، كان بينهما ود أثناء إقامته في المدينة .

قال شاكر لشقيقه باكر بضيق : الرجل يريد أن يسبقنا .

وسافر شاكر للقرية ، وأقنع يوسف إبراهيم بحسن الزواج من ابنة خاله ، وزعم أن الشاب يرغب فيها منذ دخل سلام ، وأنهم سوى القرابة أصدقاء ، وأنهم سيدعمونه للزواج من ابنة شقيقه باكر ، وبعد جدل ونقاش رضخ يوسف لرغبتهم . فاضطر يوسف للاعتذار لصديقه قديس ، وحدثه عن رغبة أشقاء زوجته بتزويجه من ابنتهم ، وقبل الرجل الاعتذار .

والفتاة نهلة متعلمة ومتخرجة من جامعة الأندلس العربية فتزوجها ابن عمها خالد .

كانت مارينا باكر لديها هوى بنزيه منذ جاء للمدينة وحتى والديها كانوا يرونه زوجا مناسبا ، وأن تدينه سيذهب ويخف مع مرور الزمن كما حصل معهم .. فحياة المدينة تختلف عن حياة الريف ، ومشاغل المدينة أكثر من مشاغل القرية والرجل له سنوات قريبا منهم ، ولم يشكُ من طباعهم وتقاليدهم التي يعيبها المتدينون ويرونها بعيدة عن الدين . . والحق التدين في المدينة أوعى وأفضل من القرية ، فالجهل كبير في القرى ، وتدينهم فطري ، فتجد بينهم عادات وتقاليد جاهلية وبدع أكثر من المدن .

مارينا لم تكن متعجلة على الزواج ، وكانت أصغر سنا من نزيه بسنة تقريبا أي من نفس السن والجيل ، وكانا في كلية واحدة كلية التجارة كما مر معكم ، كان هو في شعبة المحاسبة المالية ، وكانت هي في شعبة إدارة المال والعمل ، ولقب نزيه بجعد بينهم ، وهو اسم أطلق عليه من رفاق الكلية لاهتمامه بفرقة المعتزلة القديمة أثناء محاضرة ، قال المحاضر : أنت مثل جعد بن درهم يا نزيه ! وانتشر الاسم كدعابة ونقلت هذه السخرية لخارج الكلية ،ولأسرة أخواله

فأصبح ينادى بنزيه الجعد ، فقبل الأمر . وكان نزيه بالنسبة لأسرة أخواله وأقاربهم متدينا وملتزما وشيخا حيث يطلق هذا الوصف على المتدين ، فهو يحافظ على الصلاة ويتردد على الجوامع ويصوم شهر الصيام هكذا تعود وتربى .

تزوج ابنة خاله ، واشتروا لها شقة خاصة كهدية ، فسكت الشاب فهو متخرج منذ شهور فقط ويعمل موظفا من شهور أيضا، وهم أهل، فأمه أختهم وعمة مارينا. كان سعيدا ومنتشيا بزواجه منها ، وقد راوده هذا الحلم عندما أكثر من الاختلاط بهم ، وكان يرى الأمر صعبا ، فلم ير أحدا تزوج منهم منذ تركوا القرية ، كانوا يرون أنفسهم أنهم أكبر من القرية وناسها، ولا يصاهرون إلا الأسر الثرية والنافذة مثلهم . كان نزيه يرى كيف يستقبلهم رجالات القرية عندما يحضرون لعزاء ، فيكون في رفقتهم سيد المجلس للقرية ويحتفون بهم كأنهم ملوك .

قبلت مارينا الزواج خشية أن تفقده ، لقد وافق هواها ؛ ولكنها كانت تفضل تأخر الاقتران ، فقد أحب والده أن يسارع في زواجه خشية زواجه منها ، وقد تدخل عمها شاكر بقوة من أجل ذلك ، وكانت أسرتها ترغب به قرينا لها عند الزواج ، ولدت له المرأة أربعة أطفال في بضع سنين في أقل من عشرة سنوات ، وكان الرجل محبا للذرية أكثر منها ، مثل والده ، وأهل القرى غالبا يحبون الذرية الكثيرة .

كان نزيه راغبا بابنة خاله باكر منذ وضع قدميه في دارهم وقصرهم ، وكانت أمها تحبه وتوده أيام الجامعة ، وتتصل بوالدته وتطمئن على صحتها وأحوالها باستمرار ، والشاب كان يأمل أن يؤثر على مارينا اذا نكحها أن تقلع عن عاداتها السيئة ؛ كأن تترك السفور ، ولبس ملابس التشبه بالذكور والخروج بالبنطال والقميص الذي يكشف الساعد ونصف العضد أو اليد كلها بحكم أنها زوجة ، وأصبح له عليها سلطة وقوامة ، لم ينجح ، لم تترك التبرج للشارع ، والاختلاط في الحفلات ، والرقص مع أصدقاء ، لم تترك شرب الخمر ولا التدخين ، وجد نفسه مجرد زوج وذكر ، لا صلاة ولا رمضان ، وجد نفسه ضعيفا أمام تيار التغريب ؛ بل وجدهم يسعون بقوة لتغريبه لتحويله إلى نمط حياتهم، فيدعونه لمصاحبة زوجاتهم وبناتهم والخلوة ، وأن هذا عين

الحرية والحداثة والتقدم والحضارة ، رغم السنوات العشر من المعاشرة الزوجية وصحبته لها لم تتغير لم تتأقلم ظلت على ما شبت عليه ، وهو بفضل الله ونصائح إبراهيم ظل ثابتا على أصالته فمارينا لم تقم بزيارة واحدة للقرية لزيارة عمتها أو حماها ، وكانت عمتها تأتي بشخصها وذاتها لتهنئتها بولادة وبمناسبة .. كانت زوجة إبراهيم تجاملها في المناسبات كولادة وأعياد وتزورها في شقتها ، أما هي فلم تفعل ولو مرة واحدة ، وتركت امرأة إبراهيم تلك المجاملة لما بدأت تنشب في حياتهما الزوجية النزاعات حتى لا يظن أنها تتدخل في شأنهم حتى إبراهيم كف عن تلك الزيارات الشخصية ؛ وإنما يطمئن على شقيقه بالهاتف أو يزوره نزيه أو يلتقيان في مكان عام .

ولدت مارينا بداية ابنها ناصر ، وبعد سنتين جاء سامي ثم ميساء ونداء وبعدئذ مرضت مرضا خطرا ، عجزت منه عن الحمل وهذا لا يهمها ؛ بل أسعدها وغم قرينها ، والأخطر أنها أصبحت كلما يحصل بينهما جماع واتصال جنسي تصاب بنزيف المهبل والرحم ، أصابها عقم ونزيف ، ولم يعرف سببه ، فبعد كل اتصال جنسي يحدث النزيف ، وتحمل للعيادات ، ولم يشخص الأطباء وأهل الاختصاص السبب ، وبعضم نسبه لمشاكل هرمونية ، وضاق الشاب بهذا الحال ، وأصبحت كل معاشرة فضيحة ودكتور ، وتبع ذلك نزاعات عائلية ، وكرهت المرأة أي اتصال جنسي وتعتبره اغتصاب ، وأخذت تشير له أن يبحث ويتصل بالخليلات ، فهي عاجزة عن تلبية حاجته تلك فيقول محتجا : أهذا حل يا بنت الحلال ؟! آلجأ للزنا والمومسات أنا لست عمك وعمي باكر .. أنا أصلي وأعبد الحي القيوم .. أنا لست في أمريكا أو فرنسا !

ـ ما الحل ؟! أنا أبحث عن العلاج والدواء ، فقدت الكثير من الدم جراء أي لقاء

ـ وأنا ما ذنبي ولماذا يتزوج الناس ؟!

قالت بصياح وحدة : الحل يا حبيبي الزواج عليّ .. أنا لا أقبل .. وأبي يرفض .. نحن لا نؤمن بالتعدد ..وليس عندنا دين.. أهلي تركوا الدين للمزارعين .. وعمي يرفض بشدة .. وكل إخوتي وأخواتي وأزواجهن .

قال بغضب وجنون : الزنا عندي مرفوض .. والخدن والعشيقات مرفوض .

ووصل الزواج لعشر سنوات دون شفاء مع كثرة المعالجات والفحوصات حتى أخبر الرجل أنه سيتزوج عليها ضرة وقد طفح الكيل. أخواله رفضوا هذا الحل ، وهي كذلك رفضت هذا الحل إلا بطلاقها ، ووالدها وشقيقه رفضوا الزواج عليها والطلاق .

زار شاكر الجمالي المليونير وباكر مدير الجمرك القومي بيت نزيه وبعد الترحيب والتظاهر بالغضب والضيق قال شاكر الذي كان وزيرا سابقا : يا سيد نزيه! نحن أحببناك لأنك ابن أختنا وعاشرتنا ولمسنا هواك معنا .. وكنا نراك قريبا من مارينا أيام انتقالك للدراسة .. ومارينا أعجبت بك .. فقبلنا أن تكون قرينا لابنة أخي ، وهذا المرض لم يجد له الأطباء لحتى علاج حاسم .. ويقولون إنه مع الزمن يزول .. صحيح أن لك ثلاث سنوات تعاني وزوجتك من العلاقة الخاصة .. فعليك الصبر .. وأنت متدين .

ـ لي ثلاث سنوات صابر يا خالي الكبير.. تربيتي يا جماعة لا تسمح لي المبيت مع بنات الهوى .. وهذا لا يتوافق مع تديني

ـ والحل يا أبا ناصر

قال متوسلا : الحل أن أتزوج أخرى .. أفضل لي ولها .. الحل أن تسمحوا لي بذلك.

قال باكر : يا ابن أختي هذا لا يرضينا ، ولا يرضي مارينا أم أطفالك الأربعة

ـ هذا اضطرار يا خالي العزيز

ـ لا نراه اضطرارا .. كما قال لك خالك شاكر الأطباء قالوا سيزول.. أرسلناكم لفرنسا من أجلك ، وهم فشلوا في منع النزيف.. اصبر بضع سنوات

قال : أنا لم تعد عند طاقة للصبر ؛ ليكن زواجي حالة استثنائية

قال شاكر : هذا مغلق.. لن نقبل زواجك ثانية

ـ هناك الطلاق .. ننهي العلاقة بالمعروف

قال باكر : نحن عندنا الزواج على رأيهم كاثوليكي

ـ نحن عندنا الزواج إسلامي

قال شاكر : فكر بحل آخر لا زواج ولا طلاق دبرك نفسك

قال : الحرام

قال شاكر : تجنب الاتصال المباشر

قال : كيف ستلد ؟!

وأصبحت الزوجة عصبية ، وزاد شربها للكحول ، واشتهرت بذلك ، وشاعت المشاكل والنزاعات بينهم واشتدت ، وتدفعه للبحث عن البغايا وبنات الهوى لقضاء شهوته ورغبته الجنسية ، فيقول : هذا الحل عندك.. أنا المتدين أقضي شهوتي في أحضان المريضات بالزهري

ـ طلقني

قال : أبوك وعمك يرفضان والشرع يجيز الزواج ...

قطعت جملته صارخة : أنا كما تعلم لا أعرف شرعا ولا دينا.. أنا لا أدري كيف رضيت بك شريك فراش وأنت مجرد فلاح ؟

قال بجنون : بل أنا الذي عليه أن يسأل هذا السؤال .. وهو يعلم أنك تسكرين وتخالطين القريب والغريب.. ولا احترام لزوج وتقدير

أمست مارينا باكر عصبية جدا ومتوترة دائما ، وتغضب لأتفه المشاكل ، وأصبحت حياة جعد حياة نكد ، وهروب إلى المقاهي والتجمعات ، ولم تنته النزاعات والحرد والزعل بهروبه ، فلما يحضر في نصف الليل تتجدد الصرخات والسباب والتعيير ، أو يجدها ما زالت تسهر وتخمر مع رفاقها وزوجاتهم وبناتهم .. فيتصايحون وينقلب إلى حجرته مغموما متمزقا .

فترك المدينة نحو القرية هربا من المشاجرات والفضائح والحياة الكئيبة، يغيب بضعة أيام ، وأكثر من أخذ الإجازات ، وترتب على ذلك كثرة الأخطاء في العمل فاضطرت الدائرة إلى تنزيل رتبته من رئيس قسم في دائرة المحاسبة إلى موظف في مكتب صغير ، وسمع من مديره أنه قد ينقل إلى قسم في احدى دوائر العمل في وزارة العمل والتشغيل في مدينة أخرى .

فقال ساخطا : أعرف أن السيد باكر الجمالي وراء كل هذا التضييق .. يريد أن يعرفني حجمي رغم كل هذه السنوات من العمل والانضباط !.. وكم أثنيت عليّ أنت يا عيسى .

ولما أصبح يكثر من المبيت في البلدة أشاعت مارينا أنه تزوج سرا في القرية ، واتهمته في ذلك رغم تأكيد والدها وعمها أنه لم يفعل ذلك ؛ إنما لجأ للقرية من التعب النفسي من المشاكل الدائمة بينهم ، وعجزهم عن حلها والتفاهم .

ذهبت مارينا لفرنسا للعلاج من النزيف ومشاكل الجماع ، ولم تخرج بنتيجة جيدة كما ذكرنا في سطور سابقة .وكان لنزيه ابن عم قد هاجر قديما للأرجنتين في أمريكا الجنوبية ، ولما جاء زائرا وسمع بمشكلة نزيه ، أقنعه بالهجرة معه ، ووجد ذلك ارتياحا لدى نزيه وتشجيعا من أبيه يوسف ، وكان الوالد يعلم شقاء نزيه مع زوجه وأهلها ، فوافق على رحيله خفية عن أهل امرأته وعن أمه أم إبراهيم ، وذلك نتيجة أنهم يرفضون زواجه عليها ، ويرفضون طلاقه لها ليتزوج أخرى .

وقدم استقالته للدائرة التي يعمل فيها قبل نقله لمركز عمل جديد ، وظن خاله باكر أنه يفعل ذلك للضغط عليهم ويغيظه ، وأنه ليس بحاجة للوظيفة ، وأنه سيعمل عملا حرا في القرية ، وتظاهر هو بذلك ، وطلب من مارينا أن تستعد للرحيل إلى القرية ، وهذا رفضته في أول زواجها فكيف اليوم ؟ فهي مع مرور سنوات على الزواج لم تقم بزيارة واحدة للقرية ، فرفضت من جديد ، وهو يعلم ذلك ، وأصرت على البقاء في مدينة سلام ، فتظاهر بالغضب والسخط ، ورجع للقرية زاعما النقمة والحرد ، وعلى حين غفلة من أهلها سافر مع ابن عمه طلال إلى إسبانيا ومنها لبيونس آيرس . ولما علم والد مارينا بسفره ، وتيقن منه ذهب للقرية وتشاجر مع أخته وزوجها يوسف، فانكرا معرفتهما بخطة نزيه .

فقال يوسف بعصبية وردة فعل غاضبة : الحق عليك وعلى ابنتك .. الرجل لا يستطيع يا باكر العيش والعفاف بدون زوجة .. أولادي وأنت تعرف لا يقبلون العشيقات وبنات الليل .. علمتهم على طهارة الذيل والعفة .. فابنتكم لم تعد صالحة للمعاشرة الزوجية .. وقد عالجتموها

في داخل وخارج البلاد ولم تتحسن ولها أكثر من سنوات .. صحيح المرض قدر والعلاج قدر فالزوجة الثانية تؤدي الغرض المطلوب .. واعلم يا باكر بأنني سأتزوج على أختك قبلتم أو لم تقبلوا .. لم .. لم أعد أخشاكم واحترمكم .



الصراع في سوريا

كونت سوريا صداعا وصراعا لبعض الدول العربية مصر الأردن السعودية العراق منذ رحلة الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي ، فكان المصريون يطمعون بحكم سوريا ، وتحقق لهم ذلك بما سمي الوحدة المصرية السورية ، عندما تنازل القوتلي لناصر وإعلان الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ . الجمهورية العربية المتحدة هو الاسم الرسمي للكيان السياسي المتشكل إثر الوحدة بين جمهوريتي مصر وسوريا ، أعلنت الوحدة في ٢٢ شباط ١٩٥٨ بتوقيع ميثاق الجمهورية المتحدة من قبل الرئيسين السوري شكري القوتلي والمصري جمال عبد الناصر .

اختير عبد الناصر رئيسًا ، والقاهرة عاصمة للجمهورية الجديدة ، تم توحيد برلماني البلدين في مجلس الأمة بالقاهرة ، وألغيت الوزارات الإقليمية لصالح وزارة موحدة في القاهرة أيضًا .

أنهيت الوحدة بانقلاب عسكري في دمشق يوم ٢٨ أيلول ١٩٦١ ، وأعلنت سوريا عن قيام الجمهورية العربية السورية، بينما احتفظت مصر باسم الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٧١عندما سميت باسمها الحالي جمهورية مصر العربية وذلك بعد موت الزعيم القومي ناصر . والهاشميون القادمون من الحجاز هم أول من حكم سوريا بعد الحرب الأولى وما سمي بالحكومة الفيصلية التي قضت عليها فرنسا ، واستعمرت سوريا عقدين من الزمان وشكلت جمهورية بعد فصل لبنان وفلسطين والأردن عنها ، وعجز ملك ومؤسس الأردن الحديث من ضمها لملكه ، والملك السعودي عبد العزيز وخلفه طمعا في السيطرة عليها ، فكان صراع كبير يدور حولها سرا وجهرا والعراق مرات وكرات سعى للوحدة مع سوريا ، نجحت مؤامرة سايكس بيكو في تفتيت أملاك آل عثمان ، تحررت سوريا من الفرنسيين ، وعاشت فترة انقلابات تقرب من العشرين حتى استقر الحكم للعلوين باسم البعث ، حزب قومي عربي حكم العراق وسوريا ، وحاول في دول أخرى.

سقطت سوريا البعثية في مستنقع لبنان في السبعينات ، وفقدت الكثير من شبابها وثروتها فيه ، مرة تقف مع المارونيين حكام لبنان ، ومرة مع الفرق الأخرى وتصارعت مع إسرائيل على أرض

لبنان ، وجرت حرب أهلية بعد الثمانين في ربوع سوريا مع الإسلام الإخواني ، وما زال حكم العلويين مستمرا باسم البعث ، وهي دولة غير مستقرة وفقيرة ، وقد فقدت جبال الجولان عام ٦٧، وما زالت لا تحرك ساكنا من أجلها ؛ ولكنها دولة يحسب لها حسابها في صراع الشرق الأوسط القائم منذ سقوط الحكم العثماني عن بلاد الشام ، وخضوع هذه البلاد للانتداب والاستبداد ، وفي سنة ١٩٩٠ همدت الحرب الأهلية في لبنان باتفاق الطائف بين الطوائف . لبنان وبلاد الشام كلها دول هشة بالجمل سياسيا واقتصاديا ، تعتمد على دعم الدول القوية والدول الغنية بالقروض والمعونات والهبات . وسمع نزيه الكثير عن سوريا ولبنان في مهجره الأرجنتيني لوجود أعداد كثيرة من المهاجرين السوريين واللبنانيين في الأرجنتين ، وفي دول أمريكا الجنوبية ، فهناك جاليات عربية كبيرة ، ربما الشوام أكثرهم.

عرب الأرجنتين هم المواطنون الأرجنتينيون أو المقيمون بها ذوي أصول عربية قدموا خلال موجات هجرة مختلفة ، لديهم هوية لغوية وثقافية واحدة ، ينحدر أغلبهم من لبنان و سوريا و المغرب، يقال عرب الأرجنتين من أكبر مجموعات الشتات العربي في العالم حتى مع التنوع العرقي والديني و اللغوي للأرجنتين فإن العرب الأرجنتينيين يحملون تراثا تشترك فيه اللغة ، الثقافة والتقاليد السياسية.

الزواج المختلط عال جدا ما بين الأعراق عند الجالية العربية، بغض النظر عن الانتماء الديني معظم أفراد الجالية لديهم والد واحد من أصل عربي ، نتيجة لذلك ، ظهر تحول ملحوظ عن اللغة العربية ، قلةٌ من يتكلمون العربية، غالبا ما تقتصر هذه المعرفة في الكلمات الأساسية عكس الأغلبية خاصة الأجيال الأصغر سنا، والتي تتكلم الإسبانية كلغة أولى لأنها اللغة الرسمية الأولى للبلاد .

فنزيه يوسف منذ حط رحله هناك تزوج امرأة شامية ، وولدت له أربعة مواليد مثل مارينا ، والشوام فتحوا له المجال للتجارة والعمل في الغربة والمهجر .

هو سافر مطلع ست وسبعين ، فأهل الغرب العرب يسعدون بزواج بناتهم من أبناء العرب ،

والمهاجرون يرونها فرصة للاستقرار ونسيان البلاد ، فهم يحبون ذلك لتقارب عاداتهم وثقافتهم وديانتهم ، والاشتراك في اللغة العربية ، وتأتي الأخبار الحسنة والسيئة عن أهليهم وأقاربهم في أوطانهم ، وقصة الجاسوس الإسرائيلي كوهين وحياته وقتا في الأرجنتين قصة متداولة بينهم ، وجواسيس الأسد موجودة بينهم ، وسمعوا عن مذابح الأسد والبعث في حماة وعموم سوريا وتل الزعتر في لبنان ، تردد صدى هذه المجازر بين أبناء سوريا الكبرى في الغربة . هي أخبار مثيرة ومؤلمة للأسر العربية الشامية، فمنهم من فقد بعض أهله وأقاربه. ولا ينسى الشوام وصول كارلوس منعم ذوي الأصول العربية السورية لحكم بلاد الأرجنتين .

حدثت ثورة تاريخية في ايران هزت دول العالم عام ١٩٧٩ ، بزعامة عالم شيعي اسمه علي الخميني على ملكية ايران ، وهرب الشاه ، وتسلم الحكم حكومة دينية شيعية إسلامية ، اهتز الشرق الأوسط والعالم ، قدم الخميني من آخر منافيه في فرنسا على طائرة فرنسية إلى طهران عاصمة محمد رضا بهلوي وبلاد فارس ، وانتهى حكم السفاك جهاز مخابرات بهلوي.

وقام الثوار بسفك دم الكثير من رجال هذا الجهاز وضباط الجيش بعملية تطهير ضخمة ، واستطاعت أمريكا وأتباعها تحميس العراق لمحاربة الخميني بحرب دموية كانت خدمة للاستعمار اكثر من خدمتها للقضايا العربية ، دفع فيها العراق الغالي والنفيس والرخيص ، خسرت البشر والثروة الكبيرة ، وخرجت من الحرب مهيضة الجناح ، غارقة في ديون ومليارات تحتاج لمائة سنة لسدادها ، وسميت هذه الحرب الطويلة حرب الخليج الأولى . كانت ورطة كبيرة سقط فيها العرب ،كما سقطوا في حروبهم مع إسرائيل، دامت الحرب ثمانية أعوام ، خسر فيها الفريقان ملايين البشر ومليارات الأموال ، ولم ينتصر أحد على الآخر، وكان القتال ؛ لأن العراق تطلق على الخليج العربي والطرف الثاني يسميه الخليج الفارسي ، وبعض الأرض الحدودية مختلف عليها . وكانت الثورة والحرب بعد سفر نزيه بسنوات ثلاث

أصبح العراق بلدا فقيرا وضعيفا بعد أن كان دائنا، أصبح مدينا لدول خليجية وغيرها من الدول التي زودته بالسلاح ، والحرب مجهولة السبب الحقيقي في النهاية .

ولما سكتت المدافع شرقا دخل العراق في حرب الكويت ، وجيشت الجيوش لتحريرها من الغزاة العراقيين ، وهزم العراق هزيمة ماحقة ، وتعرض لغزو أمريكي شرس ، وحوصر حصارا قاهرا لسنوات قبل أن يدخل الجيش الأمريكي بغداد . كانت مغامرات عسكرية رهيبة لقادة العراق أصابت الأمة العراقية بمقتل ، وحدث في مطلع التسعينيات انهيار المنظومة السوفيتية والشيوعية ، وسقطت سقوطا مدويا ، وأصبحت في خبر كان .

وكل هذه الأحداث التي أشرنا إليها وغيرها وصاحبنا نزيه يعيش في الغربة وراء الأطلسي غربه في حياة هادئة سعيدة .

كان نزيه كغيره يتابع ويسمع الأخبار والانهيار ، ويفرح اذا فرح المهاجرون ، ويحزن اذا حزنوا على أحداث الشرق ودمار الدول ، فبعد عام ٢٠٠٣ وسقوط بغداد المدوي والسريع ، وقد احتلها الأمريكان ، وانهوا حكم البعث فكر نزيه بالعودة لسلام وجمالة ، وكان تحقيق ذلك في العام التالي ، عاد بعد غربة امتدت اكثر من خمس وعشرين عاما.

الابن الأكبر ناصر

إذن ترك جعد المدينة تحت ضغط الواقع ، وخشية اشتداد النزاع بينه وبين زوجته أولا وأخواله ثانيا ، وفي النهاية خرج خفية مهاجرا جهة الغرب إلى أمريكا الجنوبية للعمل مع ابن عمه طلال وذريته وأنسبائه ، وترك زوجة غاضبة ناقمة وأطفالا صغارا أربعة .

كان بكره ناصر عند الهرب والهجرة ابن عشر سنوات ، وكان يرسل المال لأبيه للإنفاق على الأولاد ، والشقة في سلام كما مر معنا كانت هدية للزوجة من والدها وعمها عند الزواج ، فالغربة لم تنسيه أطفاله والأمانة الملقاة على عاتقه والمسؤولية التربوية ، حياته أصبحت جحيما في المدينة . كتبنا أن باكرا وشاكرا الجمالي عرفوا بهرب زوج ابنتهم إلى الغرب ونجح بالانفكاك منهم وعنهم ، فاسقط في أيديهم ، وهناك لابد أن يتزوج ، وهذا دافعه المهم للخروج للغرب وربما تطلق البنت غيابا في محاكم الغرب التي ترفض التعدد طبعا ، وأصابهم الغيظ والسخط والغضب حتى تسببوا بزواج يوسف على أختهم ، ولولا تدخل أخوة نزيه وأهل القرية لساقوا أم إبراهيم أختهم للمدينة ، والمرأة أيضا للحق رفضت المسير معهم ، وأن أبناءها شباب يستطيعون الوقوف معها والقيام بالواجب اذا قصر يوسف ، ولم يحصل أن مد يوسف يده عليها يوما أو قصر في حقها ، فهي أم أولاده الثمانية ، فاضطروا للصمت رغم العداء السافر بين الفريقين ، وهم في قرارة أنفسهم يرغبون ببقائها ، فأم إبراهيم لها خمسة من الذكور وثلاث إناث فقد رفض الأبناء الطلاق والرحيل ، والأب لم يتحدث عن طلاق ما دامت قابلة زواجه فصمتوا على الهزيمة المعنوية التي أحاطت بهم .

ومارينا نفسها رفضت أن تطلب الطلاق، ولن تتزوج مرة أخرى كما تحدث بعضهم حتى ولو جاءت قسيمة طلاقها من الغرب .

وقالت : سوف أصبر ، مصيره العودة .. ولن يطيق الغربة والبعد عن العائلة.

لم يصب ظنها وهاجسها، ولم تأت قسيمة الطلاق، بل أتاهم خبر زواجه فور استقراره في العاصمة الأرجنتينية. ولكن طال الرجوع ، ولم يأتهم كتاب بطلاقها حتى أنها كانت ترفض

أن يكتبوا له ليطلقها ؛ لأنهم سمعوا من بعض إخوته أبناء أختهم أنه تزوج هناك ويحيا حياة طيبة ، ويتقدم في عمله وشغله .

أهملت مارينا في تربية الأطفال نتيجة تركها وصدمتها ، ولم تكترث لهم ؛ كأنهم أولاد نزيه فقط وكان شغلها الشاغل الانتقام الانتقام من أولادها نكاية بأبيهم الهارب ؛ لذلك كانت المربية هي التي تقوم على رعايتهم ؛ فلذلك شب الأولاد لا يرونها أما لهم . ولم تكن تكترث بهم وبهمومهم ومشاكلهم اليومية ودراستهم ، وأخوالهم وجدهم باكر مثلها ومثلهم ، وكانت تلوم أمها ووالدها بتزويجها له وهو القروي الفقير ، ونسيت أنها هي التي كانت تهواه وتراه رجل الغد والزوج المطلوب .. فتقضي وقتا بسبه وشتمه ولعنه ولعن الساعة التي تعرفت عليه فيها، كانت المرأة في بعض المناسبات العائلية وما أكثرها تشرب حتى الثمالة زاعمة لأهلها أنها تريد نسيان سنوات الظلم والاغتصاب من زوجها .

ترك ناصر المدرسة بعد فشله في الثانوية العامة ، ولم يسع للإعادة ، واتجه للعمل مصلحا للسيارات الصغيرة الصالون بمساعدة زميل سبقه إليها تاركا المدرسة قبل سنتين ، وناصر هذا أعجبته مهنة تصليح السيارات والتحق في محل صديقه لؤي ، وكان يتردد عليه سابقا ، فقد استهوته فكرة تصليح السيارات ومغرما بها ويحلم بصناعة سيارة تطير ، فلذلك لما رسب في الدراسة اشتغل مع زميله لؤي ، وبعد حين فتحا محلا أو محطة تصليح مع شاب أكبر منهما بسنتين وأقدم منهما وأكثر خبرة منهما .

وسكت جده باكر على اختياره وفشله ، واعتبره ابن أبيه الفاشل ، ولم يعتب على ابنته بكلمة ولوم ، وترك ابنته تفعل ما تراه من فجور وفسق .

أما ناصر فنهاره عمل وليله فسق وفجور ، فقد غرق في الدعارة والحانات والسفر لقضاء الشهوات والبغاء ، وأمه لم تهتم بسيرته ؛ لأنها مثله أصبحت تصادق هذا ثم هذا ، وعرفت بالسوء والطيش في وسط الأسرة ، لا هم لها إلا الشراب والسهرات والحفلات، تريد الانتقام من نزيه ومن نفسها ، وحاول والدها وأمها وإخوتها بعض الحين صرفها عن التهتك والمجون

بدون مناسبة وهوس فتزجرهم بكل كلام نابي فيلوذون بالصمت فهم مثلها في الانحلال الخلقي.. وفاقد الشي لا يعطيه . فكانت تعمل حفلات وسهرات في بيتها ، وتخلق مناسبات وأحوال لهذا الضياع والتهتك ، تساير عصابتها في المجون والفساد لا رادع لها ، وكذا مرة غازلت أزواج صاحبتها ، وقضت معهم مغامرات جنسية شاذة كلما سمح لها بدنها العليل بذلك، فكان السكر والطعام والغناء والطرب أهم أعمالها في الليل ، ومنها تعلم ناصر وسامي الانحلال والفساد والزنا .

كبر ناصر في هذا الجو الماجن ؛ لذلك كان يرفض فكرة الزواج ، لقد تعقد منه ، وأمام ضغط جده باكر وللتغطية على فجوره وسيرته القبيحة أجبروه على الزواج ، فرضخ واستسلم لهم ، وتزوج من فتاة على شاكلتهم ، وبعد شهور من العيش معها وجدها أفجر منه ، فلم يعد يطيق معاشرتها والحياة معها ، فطردها شر طردة بعد أن لطمها عدة لطمات أثناء سكره وسكرها ، وحدث الانفصال بدون طلاق ؛ ربما البعد يحببهم ببعض هكذا اقترحوا عليهما ، لقد رفضها بكل قوة ، وظل يعيش مع العاهرات وبنات الهوى المومسات حتى أصابه حادث سير وهو عائد لبيت أمه من حفلة ماجنة ، وسبب الحادث له إعاقة ، وأصبح عاجزا عن خدمة نفسه ، ويتحرك على عجلة ، فزادت مشاجراته مع أمه ، ولم يعد يصمت ويحتمل حفلاتها وسهراتها وعشاقها في البيت ، وصار يتهمها بالفجور والفحش مباشرة دون حياء أو خجل، وأنها تخلت عن العناية بهم صغارا ورمتهم للشارع ، ويدعوها لتمارس فحشها خارج البيت ، وأنها هي التي علمتهم على الفحش والنساء والسكر ، ومضاجعة بنات صديقاتها ونساء أصحابها دون حياء دون أخلاق بحجة الانتقام من زوجها الهارب منها.

وتحدث المشاكل والصراعات والصياح واللعن والقبح والدفع والزق ، ويحضر الأخوال والأجداد لتخفيف حدة النزاع أو نقلها للمستشفيات والعيادات، ومرات تتدخل الشرطة ، وأصبحت حياة الأسرة لا تطاق ، وسفروه أوروبا للعلاج ، وقضى عاما في ربوعها حتى استطاع المشي على عكازات ، وتخلى عن العجلة ، وسعوا لإعادة زوجته إليه ؛ لكنها رفضت

وهو رفض قائلا: وأنا قوي تفجر ! فكيف وأنا ضعيف عاجز عن خدمة نفسي .
وطالبت المرأة الطلاق الرسمي ؛ لكنه رفض الطلاق بشدة ، وهكذا كان وضعه عندما رجع والده من غربته وهجرته .

****

سامي أصغر من ناصر بسنتين كانت فترة مراهقته سيئة كشقيقه اختلاط بالنساء والبنات ، والشراب كشقيقه وأبناء أخواله وخالاته في سلام ، بيئة لا تراعي السن والأخلاق الفاضلة.
لما نجح في الثانوية العامة التحق بكلية الحقوق في الجامعة الوطنية في مدينة سلام واستمر على منوال الأسرة ، يعني من التهتك والرضى بما يحدث في الشقة من حفلات ولعب ميسر وألفاظ بذيئة تقشعر منها الأبدان ، لا تحس أنك في بيت محترم حتى أن بعض الجيران تأذوا من سهرهم وصياحهم وطربهم ؛ كأنهم في ملهى ليلي صاخب . حتى أن باكرا تحدث معها أن تخفف من سهراتها البيتية وعبثها ، فقد تحدثت معه بعض دوريات ومرتبات الأمن والآداب ، والسيد شاكر أشار إلى ذلك في اتصال وقال: كأنك ما صدقت وتخلصت من نزيه .. أنت تنتقمين من نفسك ليس منه ! فغضبت منه فصرخ فيها هائجا : اعرفي مقامك يا ساقطة أنا عمك . وأغلق هاتفه في وجهها .
وجاءت الشرطة وأخذوها لنقطة شرطة ، وعملت تعهدا بألا تزعج الجيران ، ثم مشت بصحبة باكر إلى بيت أو قصر شاكر واعتذرت وترجت .
فقال مودعا : لك الحرية أن تفعلي ما تشائين ؛ لكن لا تؤذي الجيران حتى يصل الأمر أن تتكلم معنا الشرطة .. لعنة الله عليك مع السلامة .
لما تخرج سامي محاميا عمل في احدى شركات القانون ، وزوجه خاله شاكر من احدى بنات ابنه إسكندر الأنسة جود إسكندر ، وكانت معرفة بينهما قبل الجامعة فهي بنت ابن جده شاكر شقيق جده باكر ، وولدت له طفلا سماه ماهرا.
قال لأمه ذات مساء : سمعت أن جدي يوسف مريض فلدي رغبة بزيارته والاطمئنان عليه

مباشرة.

صاحت صارخة : مائة مرة مرضنا ، وما زارنا ، وأنا ما زلت امرأة ابنه.

ضخك سخرية وقال : جميل ! جميل قولك إنك امرأة ابنه .. فعلا جميل قولك هذا ! هو الكبير يا مارينا باكر ، وهو والد أبينا يا سيدة مارينا!

صرخت : كلم جدك ووالد جود قبل الجنون.. فنحن من سنوات لا نلتقي حتى في جنازات القرية .

قال : وما دخل هؤلاء في زيارتي يا مارينا ؟

ـ هم الذين اعتنوا بكم وزوجوك ابنتهم.

قهقهة عاليا وصرخ في وجهها : لا تكذبي ، لم يعتني بنا أحد .. ولم يربنا أحد .. هل تعلم الزنا والسكر اعتناء؟ .. دعينا من ذكرهم يا سيدة مارينا .. أنا قررت وسأذهب ؛ لكني أحببت إخبارك حتى لا تسمعي من المغرضين .. هم أهلنا شئنا أم أبينا !

قالت بهزء : صار لكم أهل بعدما كبرناكم !

فصرخ في وجهها : على حساب من درست وتعلمت وأكلت ولبست وصرفت .. لم تدفعي درهما واحدا أنت وأشقاؤك يا سيدة مارينا يا أم ناصر ! .. علاج ناصر كان من جيب أبي .. نحن كبرنا .. فسادنا وقبحنا أنت سببه .. انتقمت من الهارب منك منا نحن !

هاجت وماجت وشتمت ولعنت ثم قالت وهي تجلس نصف عارية : أبوكم تخلى عنكم .. هرب مثل الجبان .

صاح : أبونا لم يتخل عنا .. أنت تخليت عنا .. رفضت زواجه لما أصبحت غير صالحة للمعاشرة الصحيحة .. نحن لما كبرنا عرفنا التفاصيل .. فاضطر للهرب للأرجنتين .. أنتم منعتموه من الزواج والطلاق.. نحن اليوم نعرف كل شيء .. وضياع ناصر وهروبنا للسكر أنت سببه .. لما نراك تقبلين رجلا وتمزحين معه بشهوة .. كان علينا أن نصمت ونغمض أعيينا .. زوجتيه عاهرة.. بنت صديقة .. أبوها غني مثلنا أخوها كذا وكذا.. وفشل زواج ميساء أنت أيضا سببه

حتى أنها كرهت الرجال والبيت الخاص .. وهي تعيش في وسط كومة من الرجال الذئاب ليس لهم إلا الحملقة في النساء والسعي للفاحشة منهن .

صرخت : كبرت فعلا يا سامي !

ـ قطعا كبرت وصرت محاميا وأفهم في القانون.

صاحت: لا تنسى يا حضرة المحامي أن زوجتك جدها عمي .

ـ ماذا يعني هذا يا أم ناصر نزيه ؟!

قالت : يعني أنك تغضب زوجتك وأباها وجدها .

ـ كلام فارغ ! وهل زيارة الجد يوسف تضايق أباك وأهلك ووالد جود؟!

فقالت بضيق : طبعا هناك ضرر .. وسمعة وكرامة .. نحن أعداء .. ألم يرميني أبوك ؛ كأنني خرقة بالية بعدما عقمت ومرضت بسببه .

قال : من حقه الزواج .. هل يزني رجل متدين ؟ وأنت تزوجتيه وهو متدين يا أم ناصر .. لم يطرأ عليه التدين فجأة .. لم يتغير .. وتركك على ما ربيت عليه .. لم يصير مثله منا سوى نداء ضعنا وراء الكؤوس والفروج .. ماذا جنينا إلا الريب في زوجاتنا وأمهاتنا ؟! .. هو لم يهدد بالطلاق إلا للضغط عليك وعلى أهلك .

قالت : وهل من حقه طلاقي بعد أن جعلنا منه موظفا مهما ، وأتلف بدني بالخلفة ؟ يريد أن ألد كما ولدت أمه مليون بني آدم .

قال: للقربى لم يطلق كما علمت ..والدين يسمح له بالزواج عليك .

صرخت بغيظ وقهر : وهل له دين ؟ كان متخذا التدين تغطية لفحشه وتفحشه

قطع كلامها ليقول : لم يخبر أحد بذلك .. لا داعي للتبلي والافتراء.. أبي متدين منذ جاء لدراسة الجامعة في سلام .. ولقب بجعد المعتزلي ؛ لأنه متدين ويكرر اسم جعد وأتباعه في كل حوار يجري بين الطلاب .. فهو كان يصلي ويصوم .. وعلمت أن كل أعمامي مثله وعلى شاكلته .

قالت بسخرية : هذا أنت مطلع على سيرة حياة أبيك وأسرته !

تبسم قائلا : لست طفلا غرا يا أم ناصر .. لم يصدف أن أراك تسجدين يوما لله

ـ تركنا الدين في جمالة قبل أن أولد يا حضرة المحامي الفاشل !

ـ هذا اختيارك .. وتركتينا نعمل بالفواسق حتى ترتكبين فواحشك بحرية

قالت بسخرية : صلي ومن يمنعك ؟

صرخ : أنت!

قالت بدهشة : أنا ! كيف يا لعين؟

قال مبينا : لقد نشأنا على استهتارك بالشرف والكرامة.. الحياة ملذات وشهوات

ـ العري القائم والاستهتار بالشرف والأعراض! هكذا نشأت وربيت

قال حاقدا : لم تراع لنا حياء وأننا صغار .. تبرجك الصارخ قدام زوارك وسكرك .. لا تجعلي من نفسك امرأة شهيدة وصالحة ومظلومة .. نحن اليوم نعرف بعض أكثر .. فنفهم معنى التعري والتبرج .. ولنا كما للناس أعين .. وأنا صغير كم مرة رأيتك تخرجين من غرفة نومك شبه عارية ذاهبة للحمام ، ويكون بعضهم في فراشك كنت أسمع بعض كلامكم القذر لما كبرت فهمته .

قالت بغير اكتراث : يا لك من شيطان !.. لم أكن أحسب لكم أي حساب .. أنتم أبناء اللعين

ـ إذن دعي الشرف يا ...

صرخت بغل وجنون : أنا حرة .. هذه حياتي .. والجسد جسدي

ضحك عاليا وقال: هذا قول كل ... لك حياتك ولنا حياتنا .. سأذهب ..

ولم انتشر خبر زيارة المحامي سامي إلى قرية جمالة وزيارة الجد يوسف خاصة انزعج الجد باكر الذي أعلن الحرب على زوج أخته وذريته منذ هرب زوج ابنته للغرب الأمريكي ، وقد علم جده باكر وشاكر بزيارته لجده خصيصا في القرية وبلدتهم القديمة من مارينا نفسها ، فطلب منه شاكر جد جود طلاق حفيدته مدعيا الغضب والنقمة .

ففعل سامي الطلب بكل سهولة ، ودون تردد ؛ كأنه كان ينتظر ذلك ، فلم تكن حياته مريحة

معها ، وجود أيضا كانت تكرهه وتفضل الجلوس مع أصدقائها وصديقاتها من الجلوس معه وتزعم أنها تزوجته مكرهة لرغبة جدها بذلك . وترك الطفل لها على رغبتهم ، ولم يترج ، ولم يندم ؛ كأنه كان ينتظر هذه اللحظة بدا لهم ذلك ، فقالت أمه : أنت ما صدقت يا سامي !

فقال سامي وهو المثقف اليساري الشيوعي : ولماذا امرأة وبيت وطبيب؟! فالبغايا موجودات يا أم ناصر .. وفتيات الحانات يملأن الشوارع الراقية .. لما كبرت كرهتكم.. أسرة حاقدة ملوثة وهي قبلت الطلاق لما عرض .. وزعمت أنها تزوجتني مرغمة مع اني أنا قبلتها على مضض .. فهي سلمت نفسها لي قبل أن نتزوج يا سيدة مارينا ! بدل المرة مرات ، لم أتزوجها بكرا .

صاحت : يا الهي لم تتكلم بذلك!

رد قائلا : وبعد الشراب هل يبقى كلام ؟ وماذا ينتج عن مثل سهراتكم وحفلاتكم وتقليدكم للغرب إلا الانحلال والتهاون في مثل هذه اللقاءات .. عندما ترقصن شبه عاريات ماذا تردن منا ؟ وهل حقا هذه الحفلات بريئة ؟ مجرد غناء ورقص وطرب .. لا تتغابي وإلا كيف علقنا في هذه الأوحال والأهوال ؟

ميساء

أما ميساء فتخرجت من كلية الآداب ، وعملت في الإذاعة الوطنية قسم الترجمة ، لم تكن حياتها الخاصة بأحسن من ناصر وسامي ، عاشت شبابها في بيئة فاسدة في نظرنا ، تعلمت السكر والرقص والخلاعة والتبرج والسفور والسهر والهوى واللهو ؛ لذلك لما دخلت الجامعة كان حولها شلة من الفتيات والشباب ممن هم على شاكلتها الطيور على أشكالها تقع هكذا قال القدماء لم تتغير البيئة عن البيت والأسرة ، أحبها أحدهم اسمه أدهم أوهمها أنها أول أنثى في حياته ، ووعدها بالزواج بعد الحب ، وكانت قبل الجامعة تعلقت بصداقة وقصة حب مع ابن خال لها ، وتركها وتعلق قلبه بصديقة لها ، وهجرتها ولم تأسف على حب فاشل ؛ لذلك ادعت أنها أحبت أدهم رفيق الكلية وصدقته بزعم تعلقه بها ، وما فعلت ذلك إلا لتكون مثل رفيقاتها لها صديق وحبيب ، ولكنه ملّها سريعا ، قبل انتهاء السنة الأولى بشهور ، فاقترب منها زميل لهما يعرف علاقتها بالطالب أدهم ، وأشفق على حبها الفاشل من أدهم ، واستمر حبهما المزعوم حتى السنة الأولى ، ثم أعجب بفتاة أخرى ، واعتذر لها عن الساعات الجميلة التي قضاها معها ولم تطل الفترة فترة الانتظار فجاء فارس ثالث ، فهي تقبلهم كما تقول من باب المكايدة والمغايظة ، وحتى لا تبقى حياتها الجامعية خالية من حبيب ورفيق ككثير من طالبات الكلية ، وفي السنة الثالثة حدثها طالب عن الزواج فقبلت ، وتزوجا فعلا رغم اعتراض العائلة في البداية ثم سكتوا فالمرء حر ، وولدت منه طفلا على غير رغبة من كليهما ومن أسرته وأسرتها ، وقبل التخرج حدث الطلاق المتوقع ، فلما عملت بالإذاعة عرض بعضهم الزواج عليها فرفضت ، ورفضت أي علاقة جنسية خارج الزواج التي يسمونها علاقات عابرة .

لم تترك الشراب والدخان ، ولا الاتصال بالذكور والإناث بزعم الصداقة والزملاء ، مشاكلها مع أمها لم تتوقف منذ أنهت الجامعة ..حتى فكرت بالحياة وحدها لترتاح من حفلات وسهرات أمها .

وكما كان سامي يتهم أمه بإفسادهم كرها وبغضا بأبيهم ، وزرعت فيهم عادات الغرب في

الأكل والشرب والعلاقات الجنسية المحرمة باسم الحرية الفردية ، وتسمح لها بحضور حفلاتها ومجونها في شقتها أو عند أصدقاء العائلة .. منذ كانت فتاة صغيرة ومراهقة حتى رسخت هذه القبائح في وجدانها وكيانها ، ومن العادات القبيحة إظهار بدنها أمام الرجال والفتيان دون اهتمام لخلق وحياء.. الغناء والغنج والمغازلة حتى صارت أمور طبيعية بالنسبة لها ، تعقدت من فكرة الزواج والارتباط برجل واحد وأسرة وحمل ، كلما يطلبها رجل للزواج ترفض وأنها تعيش على راحتها ، وكان أهل طفلتها أخذوا الطفلة ، ولم يطمأنوا لتربيتها المستهترة ، ولسمعة أمها السيئة وقبلت ميساء الأمر بعد تردد ؛ ولكنها في وجدانها رأت المصلحة للبنت عند جدتها خوفا من تكتسب أخلاقها وفسادها وتهورها ، وكانت تقول لسامي : لماذا نعيش هكذا يا سامي شهوات سهرات؟ هل هذه حياة ؟ لماذا زرعت فينا انحلالها ؟ فهل هكذا تنتقم ممن هو أبونا ؟

قال ربما بحسرة : ربينا على ما هو أسوأ من عادات الغربيين.. لم نرب جيدا يا ميساء .. تركتنا نرى في أفعالنا أنها هي الحياة الجميلة .. المتع فحسب .. كنا نرى أمنا وما تقوم به هو الحياة .. اللذة المادية فحسب .. الحرية في كل شيء في البدن والأخلاق والطعام .. لماذا نحرم ونحلل ؟ ما يباع في الأسواق يؤكل .. نأكل الخنزير أو لا نأكله .. الخمر كالماء .. كانت تريدنا كذلك حتى لا نعترض على زلاتها وعشاقها .. كانت ترى بذلك انتقاما من الرجل الذي رماها عظاما كما تقول .. كانت ترى أن فعلها هو الصواب والمناسب للعصر .. ولما صرنا في الجامعات لم يتغير شيء.. وجدنا الكثير ممن رافقنا وصحبنا على شاكلتنا .. لم تختلف حياة ومجون الجامعة عن مجون البيت .. فلماذا نغار ونعقد الأمور ؟ ولماذا نفكر بالشيطان وشجرة آدم ؟وجدنا الكثير مثلنا ..كنا نرى أختنا نداء معقدة .. مريضة نفسية .. ومضللة مع أنها الصغيرة .. لم تنحرف وتسقط مثلنا كما تبين لنا اليوم .. رفضت السقوط في الخمرة والاختلاط .. لديها نزعة دينية بنت أبيها يقال .. كنا نقول دعوها بنت مريضة معقدة .. لم تهتم بأجواء الإباحية في العائلة .. وها هي تدرس في كلية الشريعة على غير رغبة منا جميعا .. ولا تتكلم معنا أو غيرنا إلا في الدين والإيمان .. قال الله قال النبي .. فنسخر منها وسميناها جعد الصغيرة تمييزا عن والدنا .. وكثيرا

سمعت أمك تقول لا أدري كيف تعلقت بالدين يا نداء ؟ لا أحد يصلي أو يصوم في البيت ؛ وربما كلنا يشك بوجود الله .

وتابع : فترد عليها بقوة وشجاعة الله الذي تشكين فيه حماني من خمركم من مجونكم وتبرجكم لمن هب ودب .. الله بغض لي سهراتكم ومجالسكم السيئة .. وهو الذي حبب إليّ قراءة الكتب الدينية .

فسكت ثواني كأنه يتكلم مع نداء : فكنا نسخر منها في البداية ..واليوم نكتشف أنها أفضلنا .. وأكثرنا سكينة وراحة .. وهمها وحلمها أن تتزوج رجلا صالحا متدينا .. وأعتقد بعد آخر حديث لي معها أنها وجدته .. فصديقتها فاطمة محيسن لها شقيق متدين؛ ربما يقترن بها بعد انتهاء الجامعة العام القادم .

قالت ميساء بضيق وربما غيرة : هي معقدة ! وليست الدنيا صلاة صوم عمرة .. لم أعجب يا سامي بخط سير حياتها ، ولا حياة هؤلاء المتدينين.. كانوا يزعجوننا في الجامعة والكليات المختلطة .. ولم أعجب بمجالسهم وحواراتهم اللباس اللباس يقولون لنا : أهذا لباس أحفاد الصحابة أحفاد عمر وأبي بكر؟ يريدون أن نعيش حياة أولئك المخلوقات .

قال منفسا من ضيقها : كل حر في حياته واختياره يا ميساء.. لكم دينكم ولي دين.. أنا محامي ورأيت وقرأت الكثير من القضايا .. وأنت كموظفة إذاعة تعرفين الرجال شبانا وكهولا .. فأولئك في رأيي حياتهم أهدأ من حياتنا .. ولا يعني ذلك أنهم أفضل منا .. لكن عيش نداء في أسرة مفككة مثل أسرتنا تعد معجزة .. لا زنا ، لا شراب ،لا قمار ، لا سفور وتعري تعد آية من آيات الله .. بدون مكابرة يا ميساء .. لا تقولي إننا سعداء ؛ إنما نحن عائشين.. أنت نفسك تركت ابنتك خشية عليها من مثل حياتنا .. وأنا طلقت امرأتي جود والطفل حماية له .. لم أحب أن يعيش مع أمي وصديقاتها الفاجرات.. فنجاة نداء من حياة ساخرة مستهترة في نظري أمر عظيم .. علمنا أن أجدادنا باكرا وشاكرا خرجوا من القرية لفسادهم وتهاونهم في علاقة الرجال والنساء وذوبانهم في الترف والاستهتار والخمر .. الدولة فيها من أهل الريف وزراء ونواب

ومحافظين .. الفرص هنا للمناصب أكثر .. لا أدري اذا كان هذا صحيحا .. فكانت المدينة أستر وخير لهم من القرية التي ما زالت محافظة إلى حد كبير.. وتدين الناس في القرى والريف بين ويستحي الشخص أن يفعل شيئا تعاب عليه كل العائلة .. فالتدين في القرى أمر مهم ولو نفاقا

تنهدت ميساء وقالت كأنها تأسف على حالها : تأثرنا بدعاة حق المرأة .. بتقليد بنات أوروبا الغربية والعيش مع رجل بدون زواج .. وكلهم خوّان تضحك في وجهه صديقتك يغدر بها ، ويذهب إليها .. وينسى الوعود والكلام المعسول مما تعرفه يا سامي .. نحن في الهوا سوا .. كل كان يزعم أنك الحب الأول والأخير .

فقال مؤكدا المعنى : وحتى البنات يا ميساء تترك الزميل والرفيق بحجج واهية .. كلمة خرجت غيرة أو خطأ تنهي علاقة شهور وتفسدها.

ـ هل حقا ستذهب للقرية لتزور جدك يوسف ؟

ـ أليس هو الذي أرسل الأموال لندرس في الجامعات ؟!

قالت : لا ننكر هذا ؛ ولكنها أموال أبينا .. ليس بيننا زيارات منذ هاجر ما يسمى والدنا .

قال موضحا : كانت الأموال تصل لجدنا ؛ لينفق علينا .. ونتعلم على نفقة الوالد فجدنا باكر لا دخل له ولا حتى أمك .. فقد علمت من بعض أبناء أعمامنا الذين نلتقي بهم صدفة فيحدثوننا عن النفقة .. وعلمت منهم أن السيد الأب يعيش في بحبوبة من العيش .. ولنا أخوة هناك .. فله شركات وأعمال هناك .

قالت : أسمع مثلك .. فالأموال لابد أنها تأتي منه يا سامي .. سنرى ماذا سينتج عن زيارتك المرفوضة من قبل أمي التي طلبت مني إقناعك بعدم التهور والزيارة ؟

قال : سيرافقني قريب لأبي إلى القرية كما رتبت .. زميل في المهنة تعارفنا في احدى المحاكم وتبين لنا أننا أقرباء وأبناء بلدة واحدة .. ولما علم ذلك الجد يوسف حثه على الإتيان بي للتعرف عليّ بعد ما كبرت .. فنحن منذ هرب أبي للأرجنتين أبعدونا عنهم .. وقفت أمنا ضد أي فكرة للذهاب والالتقاء بهم .. منعنا من الذهاب للقرية يا ميساء .. ممنوع التعرف على أعمامنا

وأبناءهم .

ـ حق هذا ! أمر شائن وسيء يا سامي .. الغريب نتعرف عليه.. ما دخلنا نحن في نزاعهم !

قال بقرف وضجر : هذا البغض والانتقام من الضعفاء.. عادات بغيضة مقرفة.

****

رغم الفساد والانحلال في بيت مارينا باكر كانت نداء صغرى بنات نزيه تحب التدين منذ نعومة أظفارها متأثرة ببعض معلمات المدرسة الابتدائية ثم الثانوية ، كنا يتواصين على رعايتها فكانت ترى أن ما يحدث في البيت من سهر وخمر واختلاط وتبرج أمرا سيئا وقبيحا وانحرافا عن الفطرة التي جبل عليها الإنسان وهي الطهارة كما جاء في الحديث النبوي عشرة من الفطرة ، لذلك كشفت بعضه لمعلمة الدين ، فاهتمت برعايتها ومساعدتها ودعمها نفسيا ومعنويا ، واتخذتها صديقة خاصة ، وتتصل بها هاتفيا لصلاة الفجر ، وتدعوها لحضور ندوات دينية ، وكانت معلمتها في الثانوية قدوة حسنة لها بتوصية من مربية المرحلة الأولى في التعليم ، وقد تغير نظام التعليم في البلاد ، سنوات الدراسة مرحلة أولى ست سنوات تبدأ من السنة السادسة حتى السنة الثانية عشرة ، ثم ثلاث سنوات مرحلة متوسطة إعدادية ، ومرحلة ثانوية ثلاثة أعوام ومنها للجامعة ، وتشجعها المعلمة على الصلاة ، وترك السفور والتبرج، وتدفعها للصبر والتحمل حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وأن الفرج قريب من المحسنين ، والفتاة تريد ذلك وترغب فيه ، الطهارة والصلاح ، فلم تنغمس بما يجري في البيت من موبقات واستهتار ، ولم تعر ذلك السفه اهتماما توفيقا وفضلا من الله ، وقد حاولت وسعت أمها الإيقاع بها ، وجرها لحماقاتها وفجورها ؛ لكن الله حفظها ، واستجاب دعاءها ، ودعاء معلمتها الخاصة ، لم تسقط في براثن الإباحية والمجون ؛ بل كانت تذهب سرا إلى قرية أبيها جمالة ، وتلتقي بجدها وأعمامها ، وتساعدها في ذلك قريبة لها من المدينة ابنة عمها إبراهيم يوسف ، وتعرفت على جدها وأعمامها واهتموا بها خفية . وكان الجد يدفع لها المال لتشتري الكتب الدينية والثياب الشرعية الحشمة ، وكانت تكتب رسائل لأبيها خفية عن أمها وتبعث له صورا لها ، ويرسل لها الهدايا الخاصة ،

ولم تر رغبة أبيها بالمزيد من الذرية معيبا ؛ بل هو الأمر الشرعي ومباحا وغاية من غايات الزواج كما فهمت من معلمتها الطيبة .

وكان الأب المهاجر يوصي والده بالإحسان إليها ويدعمها بما تريد ، ويرسل له المال المناسب .

وكانت نداء تقدم النصائح السريعة لأشقائها كلما سنحت الفرصة والمقام ، وكانت ميساء تنهرها مرات بلطف ومرات بحدة عن تقديم أي نصح لها ودعوتها للصلاة والحشمة ، وكانت تسخر مما تلبس هي ومن على شاكلتها من بنات الجامعة والشارع. دخلت كلية الشريعة رغم اعتراض البعض ؛ ولكن جدها يوسف شجعها على ذلك الاختيار ، وتكفل بكل مصاريفها ورسومها وثيابها ، والحق أن والدها نزيه هو الذي تكفل برسوم الجامعة ومصاريفها كما أنفق على ميساء وسامي ، وهذا أكده الجد يوسف ، وأنه كان يرسل المال لعم أمها شاكر حسب الوصول والأصول . كانت الفتاة تعيش في البيت في شبه عزلة ، شغلها الدراسة والقراءة ، ولم تقم يوما بدعوة زميلة جامعة أو مسجد لبيتها .

كانت فاطمة محيسن صديقتها الأقرب إلى قلبها وروحها في الكلية تعلم ظروفها البيتية ، وتدعوها كثيرا لبيتها للطعام للدراسة للنزهات للندوات والمحاضرات حتى أن فاطمة همست في أذنها أن شقيقها صديق يرغب بخطبتها بعد تخرجها . وفعلا حدث ما همست به فاطمة ، فلما تخرجت من كلية الشريعة خلال شهور أعلنت خطبتهما ، الشاب الصيدلي صديق محيسن ونداء نزيه ، وقد وافق عليه جدها نزيه وأعمامها قبل أمهم وإخوتها.

وعملت في قطاع التعليم والتدريس متأثرة بمعلمتها في الثانوية السيدة الفاضلة أمية محمود معلمة التربية الدينية ، كما حلمت ورغبت ، وكان زوجها صديق قد تخرج من كلية الصحة والطب كصيدلي ، وكان يكبرها بسنوات قليلة ، وكانت تحبه كما أحبت شقيقته فاطمة وأسرتها والشاب رغب بها قرينة منذ وقعت عيناه عليها في رفقة فاطمة .

كانت علاقتها الاجتماعية بأمها وأختها وأخويها بعد الزواج ضعيفة ، وهم ربما ما صدقوا وخلصوا منها فكانت تزعج ضمائرهم ، وعلاقتها ببيت جدها يوسف أفضل وأقوى منذ مدت

الجسور الرحمية بينهم ، ويدعونها وزوجها للقرية والمشاركة في مناسباتهم وأفراحهم وأعيادهم ويدعونها في شهر الصيام للإفطار هي وزوجها وحموها ؛ لأنه شهر تكثر فيه دعوات الإفطار ، وكانت تحبهم كثيرا وتفخر بهم . وسعد الجد يوسف بزواجها من صديق محيسن ، وأهداه سيارة صغيرة وبعد تردد قبلها ، وقال: أرى جدك يوسف يحبك حبا جما.

فقصت عليه فصلا من حياة أسرتها ، وأنها كانت تزوره خفية عن أمها ووالدها الحاقد على جدها وذريته ، فهم يبغضون أسرة جدها أشد الحقد والبغض لتركه وهجره أمها وهجرته للأرجنتين بعد أن رفضوا أن يتزوج عليها ولرغبته بالمزيد من الخلفة والبنين .

تعلمت القيادة للسيارة ، وقبلت عرض وهدية زوجها السيارة لما حصلت على الرخصة ، اشترى لها سيارة مما أغضب الجد يوسف من تصرفه .

فقال له: يا ولدي إن زوجتك درة في العائلة ، ونحن الله أعطانا الكثير رغم حياتنا في القرية الواسعة ، ووالدها صاحب أموال وشركات مع أولاد إخوتي هناك.. وله زوجة وأخوة لنداء وقد ولدت زوجة أبيها أربعة أخوة .. وهو سعيد بأخبارها .. وأخبرني أنها تكتب له من أيام مدرستها الثانوية ، ويتحدث معها في الهاتف عندما كانت تزورنا أو من بيت عمها إبراهيم .. فلإبراهيم بنت من جيلها .. وهما رفيقتان .. وقد يعود أبوها نهائيا للبلد .. وسيترك إدارة العمل لزوجته وابنه الأكبر جعفر .. وأولاد أخي يعقوب لهم زمن بعيد هناك .. الله وفقهم خير توفيق وقد جاء بضع مرات بعد وفاة أمه.. وقد رأته نداء في كل زيارة .. ولما مات أخي نائل أتى أيضا لكنه لا يمكث أياما كثيرة خشية أن يؤذيه أهل زوجته أم نداء .. زوجته أم جعفر لا ترغب بالمجيء معه .. فهي غير مقتنعة ببلادنا .. هي من عائلة قديمة هاجرت غربا.. هي من أصول شامية هاجر أهلها قبل قرن ونصف ، فلا تعرف هذه الدنيا .. فلا تأخذ يا ولدي الأمور بحساسية .. فما نجمعه سيبقى في الدنيا ، لن يذهب معنا للمدافن .. ونداء كما تعلم هي خير أبناء نزيه في هذا البلد .. وهي بنت رضية وطيبة .. ونحن لسنا بيننا وبين أولاد نزيه معاداة أو حرب .. هم اختاروا البقاء في حضن أخوالهم ؛ بل لما زارني سامي نزيه قبل سنوات غضبوا

منه.. وطلقوا ابنتهم منه .. وأحيانا يحتاج لبعض المال فيتصل بي.. وأساعده طبعا دون علم أمه فزوجتي المرحومة أختهم .. وهي عمة حماتك .. ولدي اضطر للهرب منهم يا صديق .. ووجد السلامة الخروج بدل الصراع .. وهم أصحاب نفوذ في المدينة .



مارينا

لم تكن تربية مارينا بين والديها تربية إسلامية في مجتمع مسلم ، كانت تربيتها متأثرة بتربية الغرب ومحاكاة العادات والتقاليد الأجنبية ، المشاكلة في الطعام والشراب وطريقة الأكل والتعري شبه الكامل ، ولبس موديلات حديثة ، استخدام المكياج في كل وقت ، وأمام الأب والعم والأخ والأخت والأجنبي ، الاختلاط بجميع الأصدقاء شبانا وفتيات ، مشاركتهم في حفلاتهم في الرقص والغناء ، والمزح بالأشياء والألفاظ البذيئة دون أدب أو حياء ، وسكر حتى الثمالة ولعب القمار . تقام الحفلات المختلطة في البيوت والنوادي العائلية ، تعرفت على نزيه عندما جاء المدينة ليدرس في الجامعة ، فأكثر من التردد على بيت خاله باكر وشاكر وخالته هيام وسلمى ، واحتك بهم ، وهم استلطفوه دون أخيه الذي سبقه في الدراسة في المدينة ودون الذين جاءوا من بعده .

أعجب الشاب القروي بمارينا من أول زيارة ، وكان معجبا بأخواله قبل الجامعة وقبل السكن في المدينة ، وهي كذلك أعجبت به ، ورأته شابا قويا ووسيما ، وحلمت به زوجا مناسبا عند الزواج. ولم تحدث بينهم قصة غرام وعشق ، وكانا يتحدثون عن الحشمة والسفور والمقارنة بين أهل المدينة وأهل الريف والقرى ، وطباع وعادات القرية والمدينة العصرية ، ورأت أن الإنسان يتغير مع تقدم الزمن والحياة في بيئة جديدة ؛ كما حدث مع أبيها وعمها ، وأن الشاب مع الوقت سيتطور ويتحدث ويتعصرن ، كانت الفتاة في نفس سنه تصغره بشهور ، وتدرس في نفس الجامعة كما سبق وفصلنا ، والإنسان في حياة منفتحة قد يزداد انحلالا وتقبلا لحياتهم الاجتماعية والثقافية وتنحصر تقاليد القرية مع الوقت .

وكانت تخصه بدعوات ومشاوير كابن عمة ، وبدفع وتشجيع من أمها ، وصمت من الأب ، فاعتقدت أنهم راضون عن علاقتها وانفتاحها على نزيه، وهو الآخر فتن بها وبلطفها وحسنها وقبولها الجلوس والخروج معه ، وهو تمناها زوجة في يوم ما .. مجرد تمني، وشجعته أمه على الارتباط بها ؛ لعل خاله يقبله قرينا لها .

فهو يعلم يقينا أن والده لا يقبل بها وهي على هذه الهيئة السافرة ، سيقان مكشوفة ، نصف أفخاذ

عارية ، قص شعر مثل الشباب ، أما هو فوجهة نظره أنه كان يرى أنها قد تتغير عند الزواج ككثير من الفتيات .. وتقل حركات لفت الذكور .

وكان باكر وزوجته يرونه العريس المناسب لها ، فأمه أخت باكر ، وشاكر عمها يراه مثلهم ، والفتاة لم تظهر الامتناع والنفور من زواجها منه ، كلما تشير أمها لذلك ، بل بشت في وجه وشجعته ، فهو في نظرها ونظرهم شخص بسيط طيب قادم من الريف ، وكان الشاب يومها يرى أخواله مهمين في مستقبله وعمله ، فهم سادة يجلسون مع الوزراء والحكومة ، وخاله شاكر كان وزير الجمارك ، وتذكر أن أهل القرية عملوا احتفالا كبيرا لما صدر قرار وزارته ، وظهر اسم القرية على خارطة البلد في الإعلام والصحف كبلدة الوزير الأولى ، وأضيفت إليه صفات كثيرة ، وفوق المنصب السياسي هو مليونير في مقاييس تلك الفترة من الزمن ، وخاله باكر موظف كبير في وزارة الاقتصاد والمال ، وتحدث والدها عن رغبته بتزويجه مارينا ، وأن لها ميلا نحوه ، ولم يعترض الفكرة، وشاكر خاله وعده بذلك بعد الجامعة . فلما تخرج من كليته يحمل بكالوريوس تجارة واقتصاد ، تم توظيفه في الدائرة المالية ؛ ليكون مسؤولا في الكبر كخاله ، كان يرى السعادة والطموح بقربهم ، والسعد بجوارهم وما هي إلا سنوات ويصبح رجلا مهما في الوزارة . واستقر في المدينة نتيجة العمل الوظيفي في الحكومة ، وأحب والده تزويجه من بنت صديقه قديس احمد ، واستطاع شاكر إقناعه بالزواج من ابنة أخيه مارينا ، وأن ذلك من مصلحته ، ومن رغبته بها ، وأن مستقبله الكبير مضمون ، ورضي يوسف من أجل خاطر أم إبراهيم زوجته التي كانت تميل إلى ذلك وقبل تدخل شاكر وضغطه.

وحصل الزواج كما ذكرنا في أول الحكاية ، وبعد أن وضعت مارينا ابنتها نداء بشهور أصيبت بداء هرموني كما تبين يسبب نزيفا في الرحم والمهبل، وأصبح اللقاء الزوجي يشكل عبئا وإرهاقا له ولها وللأسرة ، وتضطر لزيارة الطبيب عند كل جماع ولقاء ، مما أزعج نزيه والأسرة وتوقف الحمل والحبل ، فلم تعد قادرة على الإنجاب والمعاشرة الشرعية ، وأصبح النزف والدم حاجزا عن الحياة الجنسية الطبيعية، والعلاجات غير موفقة ، وهو من محبي الإكثار من الذرية ، ولا

يقرب الزنا والفواحش ، ولم يعرفهما . ورغب نزيه بعد فشل العلاج بالزواج من أنثى أخرى ، وطلب منها أن تختارها هي بنفسها ، وفكرة التعدد غير مقبولة في وسطهم في وسط أخواله وخالاته ، الفكرة مرفوضة أساسا دون تفكير ودون تردد ، ووجد أن الطلاق مرفوض أيضا ، فالأحسن عندهم معاشرة البغايا وبائعات الهوى أو من بنات المعارف الساقطات أو بنات الحانات ، وهو لا يرتاح لهذا الخيار للقضاء على الرغبة والشهوة .

هو لم يقبل فكرة النوم مع امرأة متزوجة أو مومس ، والنوم مع إحداهن بالحرام والزنا ، وقد استهجن بشدة وقبح هذا التفكير المنافي للفطرة الطيبة ، وأنها ستغض الطرف عن مثل هكذا علاقات ، دهش من شدة تأثرهم بالغرب حتى في الجماع من مومس وبنت داعرة ، نزيه المتدين يقع في الزنا ، ورغم قضاء هذه السنوات معهم لم يضعف أمام انحلالاهم وسكرهم ، ولم يستسغ فكرة اللهو والسهر الممارس في حياة أخواله وذريتهم ، فكان يهرب منها ، وقد سكت عن سلوك زوجته في بعض المرات تجنبا للصراع معها ومع أخواله ، وكان آملا بإصلاح زوجته في وقت ما كانوا لا يعتبرون الزنا والفاحشة جرما ما دام كلا الطرفين موافق على هذا الفعل الفاحش ، فهذا مباح في قانونهم الأرضي ، المهم رضا الطرفين .

أمام الواقع المر أكثر من الذهاب للبلدة ، هجر البيت ورحل للقرية ، التقى في إحدى الزيارات بابن عم له هاجر للأرجنتين قديما ، فحدثه عن همه وغمه ، فشجعه طلال يعقوب القادم في زيارة للقرية بالذهاب والسفر معه ، وترك البلد ، وأخذ بكيل المدح للهجرة والغربة والحياة في تلك الديار من العالم ، وأن أعداد العرب فيها في ازدياد ، وأنك تجد شوارع كلها من الجاليات العربية السوري اللبناني الأردني العراقي عرب شمال أفريقيا ، وتجد فيها مشروبات عربية وكل أصناف الطعام العربي واللباس العربي ، فما كاد طلال يسكت عن ذكر محاسن تلك البلاد والعباد حتى كان نزيه مقتنعا ، متقبلا الفكرة ، وأن الهجرة هي الحل السليم والصواب ، ورتبا لها سرا خشية أن يعرقل أخواله سفره وهجرته.

قدم استقالته من الدائرة زاعما الحياة في القرية تخلصا من المشاكل الزوجية، وظنت مارينا أنه

يسعى للزواج في القرية ، وكان له الهرب دون علمهم.

فجن باكر وشاكر ومارينا لما عرفوا بفراره إلى الغرب ، وبعد حين نسيت الزوج والشرف ، وأخذت تزيد من تبرجها وعريها وخروجها وسكرها وسفرها ، واللقاء بالرجال وسيدات المجتمع، وتقبل هذا وذاك، ويلمسها هذا وذاك دون حياء وخجل ، وحتى أنها سمحت لنفسها باتخاذ العشاق ؛ كلما سمحت صحتها الجنسية بذلك ، لا رقيب ولا حسيب ، أب لا يهتم ، وكذلك أم ، أبناء صغار فلا أحد يسأل ويعترض ، الطلاق لم يحصل لم تأت وثيقة الطلاق ، فتزوج هناك بدون اهتمام ، فلما تحركها الرغبة والغلمة تقبل أي عشيق وزان ، فصار الزنا أمرا طبيعيا في رأيها وحياتها ؛ بل كانت تترك أولادها وبيتها أياما وليال لتعيش مع الزناة في أكواخهم ونزهاتهم ورحلاتهم وشاليهاتهم ، وقيل إنها سقطت في وحل الرذيلة وهي في الثانوية قبل أن تلتقي بنزيه وتتعرف عليه ، لكن بعد هجرة نزيه لها اشتهرت بذلك الفحش ، فتسكر وتزني وتقامر ، ولا أحد يعترض على هذا الانفلات حتى أولادها علمتهم على تلك الأفعال الدنيئة وأوقعتهم في براثن الفسق واللذة المحرمة إلا نداء نجت من الانحلال الخلقي الذي عم البيت فدخل الثلاثة عالمها الفاسد القبيح باسم الحرية والديمقراطية ، وهي لم تكترث بهم وبنقدهم وتعليقاتهم ولهم ، حياتهم اللا مبالاة ؛ فاذا تحدث أحدهم واحتج تصرخ إنها حرة في حياتها وشهواتها فيلزمون الصمت ؛ فهم مثلها في الفاحشة والعلاقات الخبيثة فهم أتباع الهوى والشيطان ؛ فالذي يرضونه لأنفسهم عليهم أن يرضوه لأمهم ولأختهم ، استطاعت بفسقها أن توصلهم للهاوية وحب الشهوات والمجون ، فالكل في الهوا سوا ، وكانت تزعم أنها تنتقم من أبيهم عندما تكلمها أمها بالتخفيف من تهورها فبعض الشرف ، وأن أولادها كبروا.

لم ينجُ من نقمتها وغلها وحقدها إلا نداء كما علمنا ، فقد حفظها الباري في علاه ، ويسر لها من يوجهها التوجيه السليم ، فكانت القراءة ورعايتها من بعض معلماتها المخلصات في النصح والرعاية والإرشاد أن يوصلنها سفينة النجاة احفظ الله يحفظك

ومضت السنون بخيرها وشرها فبدت لهم في نظرهم وفكرهم أنها لم تكن أما صالحة ؛ إنها

تكرههم وتحقد عليهم ؛ فلم تظهر حبها وحنانها وعطفها لهم أو تحس بهم حتى رأينا أن ناصرا يأخذ بضربها وصفعها ودفعها وشتمها عند كل نزاع وحوار حاد ، وخاصة بعدما تعرض لحادث ، وتعرض فيه لشلل ، وعجز عن العمل ، كان عائدا من حفلة سكر وعربدة ، فوقع الحادث بعد خروجهم من بيت أحد الأصدقاء الماجنين .

فيقول ببغض : أنت سبب تعليمنا الشراب والسكر لأقصى حد.. ألم تشبعي من الفواحش والرجال يا ... يا ... .

عشرات من الأوصاف يطلقها في وجهها : لقد عجّزت.. ما زلت تزعمين أنك شابة بهذا التبرج والمساحيق والصالونات .

فتعود لكلمة الحرية وحقها في الاستمتاع بالحياة قبل الفناء ، وأن الأدوية تعيد لها قوة الشباب، ويبقى حولها الأصدقاء الذكور والإناث .

فيقول لها من غير أدب وحياء وبر أم : الذين ينامون معك كلهم عواجيز مثلك يا مارينا .. هل من شاب يغامر ويقضي شهوته في حضنك ؟ وضحك وتابع سخريته وتحقيره : لا أعتقد .. أنت أحقر أم في التاريخ القديم والحديث .

ويعود للشتم والسب فيصفها بأقبح الأوصاف ؛ كأنهما يجلسان في حانة من حانات السكارى وهي تصاب بالسرور مما توصف به لا تحتج ولا تتأفف ، وهو لم يشعر بأنه يخاطب أمه للحظة كان كأنه يخاطب فتاة في ملهى أو مرقص أو شارع بنات الهوى .

ويقول : أنت مجرمة وملعونة .. لقد نجا منك ذلك الجبان الهارب .. وهل ذاك الهارب يهمه فعلك فينا ؟.. وما تفعلين بروحك وشهوتك ؟..والذين يضاجعونك مجرمين مثلك .. يزعمون أن لهم قدرة وطاقة على الزنا، وهم يترنحون في مشيتهم وحركتهم .. هم يأتونك طمعا بالشراب والطعام والمال . هكذا كانت مجالسهم لما تعرض للحادث .

سامي ترك الزواج ، ولم يتصالح مع قريبته جود بنت ابن خاله شاكر ، وقال لأمه : عندما اشتاق للنساء فها هي نوادينا فيها من هي مستعدة لقضاء ليلة في حضني .. وهناك نساء ببضع دراهم

يؤدين الغرض وانتهى الأمر .. لا تقلقي عليّ يا أم ناصر

اعترضت وقالت بهمس : والأمراض الخبيثة !

قال بهدوء وعدم اكتراث : لم يعد للحياة قيمة .. وهل الزوجة شريفة يا شريفة ؟ ولماذا أنت لا تخشين الأمراض؟!

قالت بثقة : أنا أخشاها ، ودائما أقوم بالتحاليل والفحوص.

تنهد بأسف : الوحيدة التي نجت من قبحك وتربيتك الإباحية نداء .. لا أدري فعلا كيف نجت وفلتت من تربيتك الحسنة ؟وضحك .

سامي لا يخاطبها بأمي منذ عهد بعيد حذفها من قاموسه ، يناديها بأم ناصر أو مارينا ، وهي لم تعد تهتم بهذه الصفة العظيمة الأم ، وعندما يراها مقبلة من صالون التبرج والمكياج يصرخ : أنت مثل القردة ؛ ربما القردة أجمل منها كما يقول ناصر ! .. كيف ينظر إليك السفلة من الرجال؟! ألا تزهقون وتملون ؟!

قالت متحدية احتقارهم : مهما وصفتم وسخرتم ما زلت حية . . ولي رجالي وعشاقي .. ولن أغير طباعي ؛ فكما أنتم أحرار فأنا حرة .

قال بغيظ خفي : نعم ، أنت حرة.. المشكلة يا حرة يتغزلون بك أمامنا .. كأننا حشرات .. أليست عندك مشاعر وقلب ؟ كم أبغضك أيتها الحشرة ؟

الطلاق

ذكرنا أن السيد نزيها ترك البلاد تحت الظروف التي أحاطت به ورغبته بالزواج من جديد ، ولما قابل ابن عمه طلال يعقوب وشكى له حاله ، ولما سمع طلال مشكلته شجعه على الهرب والهجرة والخلاص من مشاكله ونزاعه مع أخواله المتنفذين في الدولة ، ولما وصل تلك الديار الكبيرة في الغرب الأمريكي ، دبر له ابن عمه الزواج من فتاة عربية والدها من أصول سورية ، فالسوريون وأهل الشام وصلوا الأرجنتين والبرازيل في القرن الماضي ١٨٧٦ ، يعيشون في تلك البلاد من مائة سنة . وكان العرب يشكلون عددا لا بأس به من الناس في تلك البلاد الواسعة والكبيرة ، حتى أنك اليوم قد تجد أحياء كلها من الجاليات العربية ، وأغلبهم من الشوام واللبنانيين والفلسطينيين خاصة بعد نكبة فلسطين المشهورة وطرد الناس من أوطانهم ١٩٤٨ . الحروب الشرسة تسبب الهرب واللجوء ، كانت الفتاة متخرجة من الجامعة وتعمل مع والدها في مصنع اسماك ، ويملك مطعما مهما للعرب لطهي وشوي الأسماك المختلفة الألوان والأحجام والأشكال. اشتغل قبل ذلك مع ابن عمه فترة ، ثم مع والد زوجته وإخوتها فترة أخرى ، ثم أسس شركة مالية لتبادل العملة صرافة ، والمشروع يولد آخر حتى ملك مكتب محاسبة خاص . مع كل هذا الفضل والثروة والشركات والتجارة كان محبا للعودة لبلده والموت فيه ؛ فلذلك لما تسلم ابنه جعفر الابن الكبير من امرأته العربية ازداد تفكيره بالعودة للقرية بعد أكثر من سبع وعشرين سنة من الزمن ، واقترب من الستين من العمر حسم أمر العودة لجهالة مسقط رأسه ، والزوجة لم تقبل مغادرة البلاد ، وفضلت البقاء حيث ولدت ، وعاشت كل هذه السنين ؛ وكذلك فضل الأبناء الأربعة منها البقاء ، ورفضوا العودة لديار العرب المجهولة بالنسبة ؛ وحيث الصراعات التي لا تنتهي وتنتشر أخبارها في كل العالم ، وكان آخرها سقوط بغداد في يد دول التحالف الغربي ، وإنهاء حكم البعث فيها .

كما خرج وحيدا عاد وحيدا وسعيدا ، وكان والده وإخوته أقاموا وشيدوا له قصرا صغيرا من سنوات مضت ؛ لأنه كان يتحدث عن العودة منذ وقت قديم ، فلما كبر جعفر وتسلم

الشركات والأشغال حسم أمره ، وغادر الديار للوطن .

فرح بعودته لجمالة محبوه ، والده الشيخ يوسف وإخوته وأخواته ، ورحبوا باستقراره بينهم ، حتى أن بعض صحف البلاد ذكرت عودته ، ورغبته بالاستقرار بين ذويه باقي عمره ، وهو رجل أعمال ثري قادم من وراء البحار ، فقد قام بالمشاركة مع إخوته بإنشاء وإقامة بعض المشاريع المهمة في المدينة سلام قبل العودة . ولما استقر في البلاد قام بتطليق زوجته رسميا ، وأشهر طلاقه من مارينا حسب القانون ، ونشرت بعض الصحف هذا الخبر ، وتلقت المرأة وإخوتها ووالدها وعمها الكبير شاكر الأمر بالصمت ، فهي كانت تعتبر بحكم المطلقة منذ هرب كما يقولون ، ولم يجد جديد على الواقع المعاش بين جميع الأطراف .

وكانت الفكرة أن يتزوج من جديد مرة ثالثة ؛ ليستقر نهائيا في القرية وربوع الوطن ، وقام بالبدء بالتخطيط لبضعة مشاريع في القرية لإشغال وقته فيها ، إقامة مدرسة في القرية مدرسة خاصة ؛ كما فعل في الأرجنتين حيث أنشأ معهدا لتدريس اللغة العربية ، وخطط لأنشاء مركز طبي في الزمن القريب ؛ ليخدم القرية والناس والبلدات المجاورة .. هذا ما بدأ يرسم له

سعى أخواله عن طريق وسيط بعد أن هدأت زوبعة الطلاق الرسمي أن يعيد مارينا إلى ذمته من أجل خاطر أولاده ، ويبقى الحال كما كان أثناء الهجرة كل في بلده .. هذا ما نقله الشفيع له فقال للوسيط متعجبا من شفاعته ورغبتهم : لنا عمر ؛ كأننا مطلقون .. أنا سأتزوج ثالثة .. وهم لا يرضون بأن تكون ابنتهم ضرة .. امرأتي هناك لم اطلقها.. ما زالت على ذمتي ؛ ولكنها أبت أن ترجع معي ، وكذلك أولادي منها .. ولا داعي للمشاكل .. ولي أشهر هنا ، ولم يطل عليّ ولد منهم يسلم عليّ باستثناء قرة عيني نداء كما تخبر.. فأي خاطر يهمهم.. ولا أرغب بأي علاقة مع أولاد أخوالي وأخوالي وخالاتي .. وسمعة مارينا في الحضيض .. وتزكم الأنوف ، حتى وأنا في تلك البلاد وصلتني أخبار طيشها وفسادها ، وأنها أفسدت ذريتي بزعم الانتقام مني إلا نداء الابنة الصالحة .. فأي خاطر يحتاجونه .. فالطلاق حصل هناك ؛ وإنما أعلنته هنا وشهرته ..ولا أعتقد أنها ترغب فيّ ؛ إنما هذه أفكار شاكر وباكر .

فبعد هذه الوساطة بأسابيع معدودة تعرض الرجل لمحاولة قتل في القرية من قبل مجهولين بعد خروجه من المسجد المجاور لبيته وقصره الصغير ، أغلق الموظف بوابة بيت الله ، وقف أمام المسجد بعد انتهاء صلاة الفجر ، وقف مع شابين كان قد رتب لعملهما معه في وقت سابق ، كانوا يتحدثون عن المركز الطبي الخاص ، وما تم إنجازه من بناء المدرسة والمركز ، وبينما هما يتكلمان أطلقت عليهم النار فأصابت أحد الشابين ، فصرخ ووقع أرضا ، وكانت سيارة تنطلق مسرعة لم يتمكنا من حفظ رقمها .

وعجزت الشرطة والأمن من معرفة الجانيين مطلق النار والسائق ، ومات الشاب قبل الوصول للمشفى ؛ لتأخر وصول سيارة الإسعاف لمكان الحادث ، وتحول المكان لمسرح جريمة .

وقال نزيه لمن اجتمع حوله : أعتقد أنني المقصود بالجريمة وليس المهندس . وهكذا ترجح لدى الشرطة ، فلم تستطع الشرطة اتهام أهل الحي أو البلدة ، وزعمت في النهاية أن الفاعل من خارج الحي ؛ وربما القرية كلها ، وأثار نزيه الريب والاشتباه حول أخواله وزوجته المطلقة. وترك الحادث الرهيب صدمة كبيرة في البلدة الريفية ، فجرائم القتل من الأمور النادرة فيها ، والكل اعتقد أن المقصود نزيه . وفقدت البلدة شابا مهندسا كان مشرفا على البناء الخاص لنزيه وترجح لدى نزيه وأبيه وأهله أن أعداء نزيه زوجته وأهلها هم وراء الحادث البشع ؛ لكن لماذا القتل اليوم ؟! فهو مفارقهم من عهد بعيد ، ومدينة سلام تأثرت بهذا الحادث الكبير وكتبت الصحف عن تعرض العائد من الغربة إلى محاولة اغتيال، ولم يعرف الدافع ولم يعلم الجناة لحتى اليوم .

فقلل نزيه نتيجة لهذا الإجرام السافر من الخروج للمسجد على الفجر والعشاء خشية تكرار الجريمة واستغلال العتمة وضعف الإنارة العامة ، كان نزيه يقول لنفسه ويجزم علنا أن الفاعل من طرف زوجته ومن والدها وعمها ، فهم أصحاب النفوذ والقوة ، فكلاهما اعتلى منصبا في الإدارة للدولة ؛ ولكن الاتهام بدون دليل لا يساوي فلسا عند القضاء والعدالة ، فسلم المتابعة للمدرسة والعيادة لوالده الشيخ وإخوته من زوجة أبيه أم نزار ، ورتب مع والده فقط للاختفاء

من جديد متوقعا أن يعاود المجرمون الكرة بعد هدوء ونوم أعين الحكومة ، وسيعود حتما بعد انكشاف الغمة .. هذا ما رآه حلا عاجلا ومؤقتا في الزمن الحاضر .

وكان قد رتب مع ابنه جعفر في بيونس آيرس أن يتحدث مع محقق أرجنتيني سوري الجذر حول قضيته استعان به في قضايا في الأرجنتين ، وأعطاه الرجل عنوان صديق له في دمشق عمل معه في الأرجنتين قبل أن يعود للشام ويستقر مثله بعد غربة عمل فيها مع شرطة ولاية العاصمة وافق الوالد على اختفائه سرا حتى تظهر أشياء جديدة في الأفق ؛ على نظرية أن المجرم لا يقبل الفشل ، وقد وجد الفاعل كما يظنان من يغطي عليه في الجريمة التي حصلت وذهب ضحيتها شاب صغير يعمل مهندسا مدنيا ، وأخبره أنه سيكتب له من منفاه الجديد ومخبأه ، وطلب من أبيه أن يبدو الأمر كأن أحدهم اختطفه ؛ ليثير الرعب والاستفزاز في أخواله ومطلقته ، فعلى الأب أن يجعل ذلك اختطافا كما سنرى ، فهما متأكدان أن القاتل سيكرر ما بدأه ، فهم يحقدون عليه حقدا شديدا ، حتى أنهم دمروا حياة فلذات كبده الثلاثة كما عرفنا ، واجبروه قبل ربع قرن على ترك الوظيفة بعد خدمة امتدت عشر سنوات ، والحياة تحت رحمة الاغتيال مقيتة وصعبة ، لم يتقبلوا الطلاق الرسمي واعتبروه إهانة لذواتهم وهيئاتهم فهي التي هاجر وهرب من الحياة معها .

اختفى من جديد على حين غفلة من أهل القرية والبلدة ، اختفى نزيه يوسف مع إشاعة وإذاعة أنه اختطف ليلا من بيته تحت تهديد السلاح ، وانتشر بعد ذلك أن الخاطفين قتلوه ، ولسوف تظهر الجثة ، ولو بعد حين ، ونجح يوسف ببث هذه الإشاعات دون أن تبدو أنها صادرة عنه ومن فمه . ارتبك الناس في البلدة ووجد الخبر صداه في مدينة سلام ، فهناك من صدق ، وكان ينتظر ظهور الجثة للصلاة عليها ودفنها ، وهناك من يشكك بحدوث شيء كهذا ، فالناس لا تعيش في الأميركتين حيث تكثر مثل هذه القصص والجرائم ، فالذي صدق حادث القتل دفعه للتصديق بقصة الخطف ، لم يطلب الخاطفون كالعادة فدية ، ولم تظهر جثة نزيه ، شك بوجود ذلك الخطف الكثير .

انتهى خطيب مسجد جمالة من خطبة الجمعة ، وقد كانت عن الإيذاء للمسلمين والتعرض لهم بالقتل غيلة أو الخطف لنزاعات دنيوية شخصية أو مالية ، ولما صلى الخطيب بالناس ركعتين صلاة الجمعة ، وسلم عن يمينه ثم يساره استدار بوجهه للناس فرأى الشيخ يوسف يصلي خلفه فأشار له بالانتظار . أخذ بعض المصلين بصلاة السنة البعدية للجمعة ، وفريق بذكر أذكار ما بعد الصلاة ، وفريق ثالث خرجوا من المسجد للصلاة في بيوتهم .

وحين قل المصلون نهض الشيخ وسلم وصافح الشيخ يوسف أبا إبراهيم الذي قام بدوره ، وكان معه ابنه نزار ، وبعد التحية والسلام قال الشيخ : ألا من أخبار عن أبي ناصر ؟

ابتسم يوسف : أنت ما أخبارك أولا ؟

ـ بخير .. كيف حالك يا أبا يزن ؟

ـ تمام بحمد الله .. سمعت من أبي أنك ستترك القرية وتعود للمدينة ؛ لعلك خفت !

ضحك الأمام عبد الله محمود : لي زمن في هذه الوظيفة .. وهناك موجة إحالات على إنهاء الخدمة .. هذا هو نظام الخدمة في الدولة والمساجد .. فكما يعلم الوالد الحبيب أنا لم أشهد الجريمة .. لما تنته الصلاة أذكر أذكار الصلاة البعدية ، وأغادر برفقة أبيك أو غيره حتى تفرق بيننا الطريق .. هل من أخبار عن نزيه ؟

قال نزار : لا أخبار .. ما زال مختفيا .. لا ندري هل حقا اختطف كما يتحدث الناس أم عاد للأرجنتين ؟.. لو خطف لم يطلب خاطفوه فدية ، ولم تظهر جثته لنقول كان مخطوفا صدقا وحقا.

الشيخ : الصبر يا أبا إبراهيم! هل توصلت الشرطة لجديد بشأن القاتل ؟

قال يوسف: يا أخي لا جديد .. لقد نجا الفاعل بفعلته .. وأشكر اهتمامك بنا .. سيعرف قاتل المهندس يوما ما.. الأمر لله من قبل ومن بعد يا شيخ عبد الله.. هل صدر كتاب التقاعد الخاص بك؟

ـ بعض الزملاء يخبرونني بذلك ، وبعضهم يخبر بعدم صدوره بعد .

الشيخ عندما جرى اطلاق الرصاص لم يكن في المسجد ؛ إنما الذي كان موجودا خادم المسجد وكان يغلق باب المسجد ، وقد غادر كل المصلين للجماعة ، وأخذ بإغلاق الأبواب بعد إطفاء الأنوار ، وأثناء غلق الباب الرئيس ، سمع صوت الرصاص ، ثم صرخ المصاب وترنح على الأرض أمام دهشة نزيه ومساعد المهندس ، وعاد الخادم وفتح المسجد ، واستخدم الهاتف متصلا بالإسعاف ثم الشرطة .

الإمام عبد الله له زمن يسير في المسجد من حوالي عشر سنوات ، نقل إلى القرية من سلام تأديبا ولأنه مزعج للأمن في خطبه ، فهو عضو سابق في حزب التحرير ، فهو يحب الحديث في السياسة والتعليق على أفعال النظام وسياساته؛ فلذلك تنقل في عدد من مساجد سلام ، ثم نفي لجمالة وتعرف على يوسف وبعض أفراد الأسرة ، تخرج من كلية الشريعة وعمل معلما بضع سنين ، وتحول لدائرة المساجد للعمل كخطيب جمعة وإمام .

تعرف على نزيه قديما عندما كان يأتي جمالة زائرا تعارفا ، وسر بعودته النهائية ، وكان يريد مساعدته بالزواج من احدى قريباته ، ولكن الحادث الغادر صرفهم عن الموضوع ، وكان مثل ناس القرية مستغربا لوقوع هذه الجريمة الغامضة ، فالمهندس القتيل متزوج وعنده طفلة من زوجته الطبيبة ؛ ليقال جريمة عرض وشرف ، وجرائم القتل عن العرض في الغالب فاعلها يسلم نفسه للشرطة . تيسر له الحج أكثر من مرة مع بعثات الحج التابعة لدائرة المساجد، وكان يستطيع الفتوى اذا اضطر لها ، وكما قلنا هو مهتما بالقضايا السياسية مع بعده عن حزبه ونشاطه.

خرج الشيخ بصحبة الشيخ يوسف ونزار المهندس وتوقفا أمام بوابة المسجد الخارجية فقال وهو يشير بإصبعه : هنا جرت الجريمة .. اتصل بي بكر المؤذن وصوته يغمره الرعب شعرت به على التلفون .. وقلت أنا قادم وقد أخبرني بإخباره الشرطة والإسعاف .. وصلت سريعا يا نزار وجدت جمهرة من الناس من ضمنهم الشيخ الوالد .. كان أحدهم يساعد الضحية بوقف النزيف والدم .. كانت أكثر من رصاصة ..كان صديقنا نزيه مصدوما وممتقع الوجه والدموع تسيل .. وقال : لما ربت على كتفه فداني الرجل ..كانوا يقصدونني .. فقلت بدهشة: من هم ؟

سكت . حضرت الإسعاف ومدير نقطة جمالة، وبعد حين حضر مندوبو مكتب مدعي عام سلام والتحقيق الجنائي .. ودخلت أنا ونزيه ساحة المسجد هذه ـ وأشار إليها ـ وجلسنا على تلك الدرجات ، ثم نقل نزيه والشاب غانم للعيادة لمعالجة الصدمة .. كان يوما عصيبا على نزيه والقرية ككل.

قال الشيخ يوسف : نعم ، أول مرة في حياتي أرى قتيلا بالرصاص .. شاهدنا الأموات .. حضرنا عددا منها.

قال نزار: أنا كنت في المدينة كما تعلم يا شيخ عبد الله !

ـ أعرف .. حضرت وإبراهيم وباقي الأخوة الكرام .. غمر الحزن البلدة كلها .. الكل كان يرى أنها ساعات ويعرف القاتل ؛ لكن مرت شهور.

ـ هذا يدل على أنها مخطط لها .. والوقت وعتمة ما بعد الفجر ، وخلو الشوارع من السيارات والمارة سهل إلى حد كبير بانفلات الجناة.

فقال نزار : هل فعلا استطاعوا اختطاف أخي ؟ فالأخ منذ عاد وهو يصلي خلفك يا شيخ عبد الله.. ويجلس معك ومع رافع ابن عمنا ، وذكر أن لك قريبا اسمه عماد درس معهم في الجامعة ـ وهذا الاسم قوّى العلاقة السريعة بيننا .. ويوم الحادث تغيب رافع عن صلاة الفجر .. وعلمت من أخيه حامد أنه بات في سلام عند شقيقته.

قال يوسف وقد مشوا نحو منازلهم : كانت مريضة .. وأدخلت مستشفى نادي الرماية لعمل عملية .

فقال نزار : ألم يكشف لك نزيه شيئا عن خططه بعد الحادث؟

ـ كان راغبا بالزواج لما استقر بيننا ، وقد تحدثت مع ابن عم لي في شأنه .. وقبل الحسم جرى ما تحدثنا به من دقائق .. وتأجل الموضوع .. كان موت المهندس صدمة كبيرة بالنسبة لنا .. وكنا نفكر بسبيل حمايته من الغدر مرة أخرى .. ذكرنا لما ترجح لدينا أنه المقصود بأن المجرم سيعاود الكرة ما دام طليقا قبل أن يقبض عليه .. وكان حزينا جدا على زوجة المهندس الأرملة الشابة

والطفلة .

قال نزار : ولماذا خطفوه هذه المرة اذا صحت إشاعة خطفه؟

قال الشيخ : لم يثبت الخطف ، كيف خطفوه ؟متى خطف ؟ والشيخ يوسف لم يبلغ عن خطف؟

قال يوسف : عن ماذا ابلغ ؟ وأنت قلت لم يثبت الخطف .. ونزيه قد سافر للأرجنتين سرا قبل عقدين ونصف .. ويأتي دون إخبار ، ويسافر دون إعلام أحد .. العداء عميق بينه وبين أخواله وها هو تعرض لمحاولة اغتيال!

ـ هل تعتقد أن أخواله يفعلون ذلك؟

ـ أنا أظن فقط ؛ إنما هو شعور فقط ؛ لذلك لم نوجه لهم أي اتهام .. فنزيه كما تخبر ليس له أعداء إلا هم .. وأنا لا أعتقد أنه خطف فلماذا يخطف ؟!

ـ وأنا أظن ذلك .. فالقاتل لماذا يخطف؟! لا أدري كيف شاعت إشاعة الخطف والقتل وكيف بدأت ؟!

قال نزار بتردد : خطف وقتل وأخفيت الجثة ؛ كما نسمع ونرى في جرائم أمريكا والله أعلم .

كانوا قد وصلوا عمارة يوسف فقال : تفضل معنا يا شيخ عبد الله نفطر معية ونشرب الشاي .. ونسمع حكايتك مع المشيخة ، ونزاعك مع السلطة ، فكان نزيه يحدثني عن حزبكم العتيد.

الاختفاء

وصلت هذه الأخبار والشائعات لمارينا وأولادها حتى ناصر ، فقال لها : أرجو أن لا يكون لك يد في محاولة قتل أبينا .. فأنتما دون زواج منفصلان منذ أكثر من خمس وعشرين سنة .. فلا أعتقد أن طلاقه يسيء إليك ولجدي أو حتى عمك .. فأنت بحكم المطلقة منذ رحل غربا .. فأنا مطلق وسامي وميساء .. فكلنا فاشلون بالزواج .. ولم نقتل بسبب ذلك .. وسامي كان زوج بنت إسكندر ابن عمك شاكر .. واذا تأكد ذلك .. وصدق ما يهمس به الناس سنضطر لقتلكم أنت وإخوتك دون رحمة وشفقة .. هو في النهاية والدنا ..ولا يعني أني أمشي على عكاكيز لا أستطيع استعمال السلاح.. أنا يراودني شك كبير بأن لكم يد في محاولة القتل التي أدت لقتل ذلك الشاب .

قالت باحتقار : دعك من التهويش .. فأنا لماذا أقتل أباك ؟! وكما قلت فلنا زمن مبتعدون عن بعض ..كنا بحكم المطلقين .

قال بحدة : يا مارينا ! أنا أعرف حقدك وحقد أبيك وحقد عمك على أبي الهارب منكم ..ولما جاء للحياة في وطنه اختفى .. ويشاع أنه خطف وقتل.

قالت بتهكم وهزء : أين الشرطة ؟ لم نسمع أن الشرطة تدخلت للبحث عنه وعن خاطفيه وقاتليه .. إنما هو عاد للأرجنتين ؛ لأنه جبان.. والهرب أسلم له .

تنهد بعمق وتأوه وقال : ليتني أصدق براءتكم ؛ فأنا أعرف خبثكم ولؤمكم .. إنكم تحقدون على أبي وجدي وكل أسرة يوسف .. كم من الألفاظ الحاقدة وقعت في قلبي منكم.. أنت وأبوك وعمك الحقود الأسود من زمن بعيد .. عمك سمعته يقول فلت اللعين مني .. كنت سأحرقه لكنه فلت وقال أبوك متبجحا أجبرته على الاستقالة ، واعتقدت أنه سيأتيني ذليلا لأعيده لمركزه.. استقال وهرب المنحوس .. وأنت أهملتي رعايتنا والعناية بنا .. وعلمتينا على كل قبيح لحقدك وبغضك عليه .. نحن دفعنا ثمن حقدك القذر وقذارتك ومجونك .. أنت والدة سيئة وهو أب جبان !

حركت رأسها مستنكرة : ولماذا نقتله يا ناصر؟ فما بيننا انتهى قديما.

ضحك وقال : ما دمنا أحياء لن ينتهي ما بيننا ..فهو أبونا .. والرجل لم يقصر في الإنفاق علينا وتدريس سامي وميساء ونداء.

قالت : يا ولدي العاق صدق أنه لا علاقة لي به ..فقد شطبته من حياتي .

دخل سامي المحامي وقال : أسمع صوتكم مرتفعا ..هل من شجار جديد ؟ ألا تنتهي المعارك بينكم ؟! أعتقد أن كل سكان العمارة يسمعون صراخكم .

قال ناصر : ربما هذه أول لم نتشاجر .. لكننا تعودنا على الصوت المرتفع والصياح.

قالت : تعال اجلس أيها المحامي النشيط !.. أخوك العتيد أبو العكاكيز يتهمني بخطف أبيك وقتله قبل أسابيع كما يشاع.. أتصدق هذا الاتهام ؟ وكما ذكرت بعض الصحف اللعينة

فقال بعدما جلس وأخذ يشعل غليونه الإنكليزي: والله معه حق يا أم ناصر !

صاح ناصر محتجا : ليست أمي نادها بيا سيدة مارينا .. تسميني أبا العكاكيز التي سمحت لي بالسكر منذ الصغر بعد هرب الأب اللعين الذي تركني لأم مجرمة

قالت بالكلام لسامي : اسمع .. لا يعلم كم أنفقت عليه للعلاج من الحادث ؟

قهقهه ناصر عاليا : هذا زعم يا سيدة مارينا ..لقد علمت أن أبي الهارب منك هو الذي دفع الكثير..

قال سامي : لا أعداء لأبينا يا سيدة مارينا إلا أنت وأبوك وعمك وبعض أولادهم .. فطول عمر الرجل في الخارج في الأرجنتين .. فهل في هذه الشهور تكوّن له أعداء ؟ لم يكمل السنة هنا وأنا أشك لا أتهم .. المنطق يقول ذلك.. هل لأبي أعداء في القرية ولأعمامنا أعداء يتربصون به لم نسمع بهؤلاء الأعداء .. فعمي إبراهيم قاضي كبير اليوم في المحاكم .. كبرت الناس.. السؤال المثير فعلا لماذا اختفى أبونا من جديد؟ لم ينتشر خبر سفره وهجرته.. انتشر خبر خطفه وقتله ، وما لم تظهر جثته سيبقى كمفقود .. والمدهش حقا لماذا اختفى ؟ ! لي اتصالات مع أولاد أعمامنا وأكدت لي نداء ابنة أبي أن والدها لم يعد في القرية .. فهي تتردد على القرية دائما وزوجها

الدكتور الصيدلي صديق صديق لجدي يوسف والد زوجك الشرعي

قال ناصر ساخرا : وهل لها زوج غير شرعي ؟ لم نحضر العرس يا سمسم .

تابع سامي السخرية : كان لها عرسان كثر يا ناصر علمتنا الوقاحة للأسف ؛ ولكنهم اليوم هجروها وملّوا منها ومن دعواتها .. أصبحوا ذكريات ورفقاء كأس فقط ، كما قال أحدهم العمر عبر.. والنساء تكبر بسرعة.

وتابع ناصر سخريته وقال : جميل يا سامي قولك زوجها الشرعي !.. اليوم لا أحد يتطلع في وجهها رغم تبرجها وصالوناتها وثيابها أمامهم عارية .. أمك أصبحت عجوزا يا حضرة المحامي .

ـ الحقيقة أمك عجوز منذ تخلص منها أبونا .

قال : لا ، لا ، ما زالت شابة .. أمورة وحلوة وتسهر وتلعب الورق والقمار.. بس دائما خسرانة آه لو تسمع ألفاظها الفاحشة مع شلة الأنس .. فتظن نفسك في كرخانة وسوق الخنزير في قلب المدينة حيث يجتمع الحشاشون وحثالة المجتمع حتى أنني مرات اضطر أن أخرج من غرفتي وأقف أمامهن ليخففن من قبحهن ويخجلن .. ومرات يتمادين بالقبح والزفت .. على كل دعنا من أخلاق هذه العجوز الشمطاء .

صاحت وماجت وقبحت ولعنت وقامت تقول : أنا عجوز شمطاء !! أنا أمكم يا ملاعين ! يا لكم من ذرية عفنة مجرمة !

غمرتهم القهقهة وقالوا: تربيتك يا طاهرة !.. أنت جنيت علينا .

عادت للجلوس وهي تشعل سيجارة من جديد وتقول موبخة : لا تلوموني يا همل .. لوموا أنفسكم .. أنتم جنيتم على أنفسكم .. ها هي نداء امرأة صالحة .. لو كنتم ترون أني أجرمت في حقكم كنتم أخذتم طريق نداء صغراكم .. كنتم قد جعلتموها هدفا ونصبا لسخريتكم .. كفوا عن تحميلي فشلكم في حياتكم وزواجكم .

قال سامي : أبناء من نحن ؟.. هل أنت فعلا بريئة مما يشاع يا سيدة مارينا أم ناصر

قالت بتأفف وضجر : ولمَ اقتله واشنق من أجل رجل تافه.. لن أرث عنه درهما واحدا .. أنتم ورثته .. فأنتم ربما تسعون للخلاص منه لترثوه.

قال سامي : لسنا وحدنا .. لنا أخوة أربعة في الأرجنتين .. فماذا سينالنا ؟ .. وأكثر مشاريعه شراكة مع ابن عمه الذي مات هناك كما خبرنا أو مع أهل زوجته الشوام .

قال ناصر : سمعت أنه انفصل عنه قبل موته .. فكل يعمل وحده مع ذريته .. هكذا علمت من أختنا الصغيرة أم محمد .. فهل لديه ثروة كثيرة يا سامي لنهتم بميراثه؟

قال المحامي: لم تثبت وفاته يا ناصر .. لم تظهر الجثة لنطالب بحصتنا .. فالأمر يا أخي البكر غامض.. هو يعتبر الآن مختفيا مفقودا .. لم تقم الشرطة بأي تحريات .. ولم تخطر ببلاغ .. فدعك من أحلام الثروة .. فها هي ـ هذه ـ كنزك .



الابن الأرجنتيني

مضت ستون يوما على انتشار خبر خطف المهاجر نزيه يوسف ، حضر البلاد ابنه جعفر المعروف لأقربائه في جمالة ـ قد جاء به نزيه قديما وهو شاب صغير ـ والتقى بجده يوسف وبعض أعمامه وأقربائه في جمالة ، وشاع أن الرجل قدم من وراء المحيط الأطلسي يسأل عن أبيه المفقود ، ويتحر عنه عن اختفاء أبيه .

ونشرت بعض الصحف الخبر ، وذكرت القراء برجل الأعمال والمال نزيه يوسف ، وكرر خبر اختفائه قبل ستين يوما ، وأن الاختفاء حدث بعد أسابيع من محاولة اغتياله الفاشلة والتي أدت إلى قتل شاب ، وأن الشرطة لم تعرف لحد اليوم القاتل للشاب أمام أحد مساجد البلدة .

وتعرف جعفر في الزيارة التي لم تكن الأولى على أخته من أبيه نداء ، وعلى زوجها صديق وتذكرهما ، وسعد بالتعرف عليها وبقرينها واللقاء بهما ، ووعده بفتح مصنع دواء على مستوى البلد ، وتابع جعفر مبنى المدرسة والمكان الطبي، واتفق مع صديق على إقامة صيدلية مشاركة بينهم بجوار المركز الطبي .

وأدرك الشيخ ومن حوله أن الشاب حضر باتفاق مع والده المختفي من أجل المدرسة والمركز ولتحريك قضية اختفاء أبيه ، وظهر أمام سكان البلدة بثوب الباحث عن والده المفقود . امضى جعفر شهرا في ربوع وطن أبيه ، ثم ودع الأقارب وغادر إلى الأرجنتين. فكانت زوجة يوسف أم نزار تقول لزوجها بعد سفر جعفر : أنا في حيرة !.. هل حقا جاءنا يسأل عن أبيه يا حاج يوسف أم لمتابعة مشاريع أبيه ؟ أنا فعلا في حيرة يا حاج يوسف من اختفاء ابنك ، ولم تحرك ساكنا ، لم تشكو للشرطة حتى نزار ابني البكر قال : أرى يا أمي أن أبي لا يهتم بأمر اختفاء نزيه أم أن أبي اعتاد على فراقه .. ومجيء جعفر وتحدثه عن ذلك الغياب ، ولم يخطرا الأمن والبوليس ولم نعرف لليوم أعداء أخي ..ولم نر تحقيقا .. وسين جيم

ابتسم يوسف لقرينته التي تصغره بما يزيد عن عشر سنوات وقال : يا أم نزار نحن استيقظنا من النوم ، ثم علمنا أن نزيها لا يوجد في البلدة ، لم نر جثة ، ولم نخبر بسفر أو وداع فماذا سنقول

للشرطة ؟ هل هو صغير فاقد للأهلية ؟ لم يهدده أحد بالخطف.. هو رجل عاقل مدرك .. صحيح هو تعرض لمحاولة قتل، ولم تستطع الشرطة الوصول للجاني .. وما زال دم خالد معلقا وأهله يقولون لماذا يقتل خالد ؟.. وكلنا يقول لماذا يقتل المهندس خالد ؟.. لا نشاط سياسي له ولا علاقة له مع عصابات ومهربات

قالت : هذا المحير! أجمع أهل البلدة أن المقصود ابنك نزيه .. ولماذا ؟! وهو حضر من السفر من شهور قليلة .. وليس له أعداء سوى أخواله ومطلقته .. وتبين أن لا علاقة لهم بالمحاولة والجريمة .

قال بشك بين : لكن هذا لم يثبت ؛ لأنه لم يقبض على القاتل .. هذا ما يجعلنا في حيرة .. ولو قتل نزية لظهرت جثته .. وإذا كان خطف لم يطلب أحد فدية.. هل غادر خشية أن يقتل ويؤذى وهل له أعداء في الأرجنتين طاردوه إلى هنا ؟ .. ومجيء جعفر إلى هنا يدل على أنه لم يذهب إلى هناك إلى تلك البلاد .. لم يتخلص من مشاريع أبيه ؛ بل تابعها ، وكلف صديقا وحسنا شقيقه بالاهتمام بها .

قالت بحيرة : رغم ما تقوله يا حاج يوسف أحس وأشعر أنك تعرف أين ذهب ولدك ؟ .. من البداية أدرك الجميع ذلك !

قال باسما : قد يكون شعورك صحيحا وصائبا

قالت : ألم يتصل ؟

ـ ولماذا يتصل ؟! الرجل كاد أن يقتل برصاص الغدر ، ورأى عجز الشرطة عن معرفة العصابة والجناة .. واختفى حتى يكتشف الجناة أو تمسك بهم الدولة .

******

بعد سفر جعفر بأيام حضر ضباط التحقيق الجنائي من مدينة سلام الدين بصحبة مدير نقطة الأمن في القرية وما حولها إلى منزل السيد يوسف الجمالي .

رحب الحاج بهم ، وهو على معرفة بزعيم نقطة الشرطة المحلية الذي عرفهم على بعض ،

وشرح للحاج الهدف من الزيارة من قبل رجال التحقيق ، وسألوه عن قصة اختفاء ابنه نزيه الذي أثار لغطا وإشاعات تنشرها الصحف والمجلات ومحاولة الاغتيال .

فرد يوسف :لا أعلم شيئا! لقد حققت الشرطة في جريمة قتل المهندس خالد أمام المسجد بعد انتهاء صلاة الفجر وانصراف المصلين ؛ كما يعرف حبيبنا الملازم أبو حسن .. فكان ابني نزيه والمهندس خالد ـ رحمه الله ـ وشاب ثالث عصام بناءة يتحدثون عن بناء مدرسة ومركز صحي جديد في البلدة ؛ وفجأة اطلقت عليهم النار من سيارة سوداء وهربوا، وترجح للأمن أن المقصود ابني ، والواقع يؤكد ذلك ، ودفع ولدي ألف دولار مواساة لأسرة القتيل .. ريثما تعرف الشرطة الجناة .. وبعد ذلك بحين يسير استيقظنا على اختفاء ابني من البلدة ، فخرجت تلك الإشاعات التي يتحدث الناس على أثر الاختفاء .. لعله سافر خفية كما فعل سابقا .. فلم نر جثة ولم نتلق طلب فدية ؛ كما يكون العادة من الخطف .. فكيف سنبلغ الشرطة عن رجل بالغ عاقل ؟! فربما والراجح أنه هرب حتى لا يتمكن منه خصومه الذين لا نعرفهم .. والشرطة كما يعلم الضابط لم تعرف السيارة ، ولا المعتدين .. فهل نستطيع فعل شيء غير واضح قبل ظهور جسم ابني اذا كان ميتا .

وحدثهم ببعض حكايته مع أخواله وزوجته المطلقة ، وهجرته للأرجنتين ؛ ولعله كما قلت لأبي حسن اختفى بإرادته؛ للحفاظ على حياته.

قال المحقق : نحن تحدثنا قبل المجي للقرية جمالة واللقاء بك سيد يوسف مع ابنك القاضي إبراهيم يوسف في المدينة سلام .. التابعون أنتم لها إداريا .. قال لنا كما قلت إن شفيقه هرب قديما من أهل زوجته أخواله للأرجنتين للراحة من النزاع والقيل والقال .. وقضى ثلاثين سنة هناك .. في البداية وأول الأمر لم يعرف أحد قصة السفر خفية ؛ فلعله فعل كالسابق ؛ لكن لما حضر ابنه من هناك يسأل عنه ارتفع الشك لدينا في خطفه وموته وإخفاء جثته في قبر مجهول .. وقال لنا القاضي : إن الأمر محير ، فأولاده يسألون عنه ، ولم يتصل بهم كما أخبر حفيدك عمه .. أنت ما رايك؟

قال الشيخ : رأيي يا سيدي أن الأمر غامض .. منذ اختفى لم يتصل بي ، ولا بابنته الطاهرة نداء في مدينة سلام .. وهو يحبها كثيرا ، فهي الوحيدة من أبنائه هنا على علاقات طيبة معه ومعنا ، وهي الصالحة من ذريته هنا ؛ وإنما سعى جعفر ابنه الأرجنتيني لمعرفة مصير والده لما وصلت الإشاعات إلى بيونس آيرس .. فذكرنا له ما سمعتم .. ولم نجد شيئا يستدعي دعوة الشرطة .. ماذا نقول ؟ فالشرطة كما قال بكري إبراهيم أخبرته أن اسمه لم يخرج من الحدود البرية والبحرية والجوية .. ومن أجل ذلك لم نقدم شكوى للشرطة.. فلعله مختفي داخل البلاد يا أبا حسن والأخوة الكرام .. وذلك خوفا من اغتياله والمحاولة من جديد اذا ثبت أنه المقصود من الاغتيال الفاشل كما رجح الناس ونحن .. وأخطر أعدائه أخواله وهم أصحاب شركات ونفوذ في المدينة وأيضا مطلقته .. والشرطة قالت لا دخل لهم في الجريمة .. فهي جريمة ما زالت مفتوحة على ما أظن .

قال : الشرطة لا تستطيع التدخل بشكل رسمي إلا باتهام معين أو معينين وبلاغ رسمي لدى المدعي العام أو الشرطة .

قال يوسف : نحن في الحقيقة تعودنا على غيابه .. فهو قضى نصف عمره اذا كان هناك نصف وربع للعمر في الأرجنتين وحضر من زمن قريب .. هو هاجر وتزوج وانجب في الغربة ؛ إنما أحب أن يكمل سنين عمره هنا بيننا .

فقال القائد : نعتقد من حديثك أنه اختفى بإرادته ، وما زلنا نبحث ونتحرى عن الجاني في قتل المهندس ابن هذه البلدة .. لم يستطع أحد أخذ رقم السيارة لسرعة اختفائها أو أخفي الرقم بطريقة ما .. وانشغال ابنك والشاب الآخر بالمصاب المفاجأة كان لها تأثير عليهم .. حتى اللون لم يتضح بشكل دقيق .. فعتمة الشارع وانطفاء أنوار المسجد ساعدت على إخفاء مواصفات السيارة .. ولم يكن أمام المسجد سواهم الثلاثة عندما اطلق الرصاص .

عقب يوسف : كان معد للجريمة بصورة جيدة .

قال القائد : صحيح ! أنا بنفسي راجعت ملف القضية قبل أن أقابل ابنك إبراهيم ووجهة

نظرنا قريبة من بعض .. علمنا أن ابنك قلل من الخروج بناء على نصح الأمن والضابط علي أبو حسن ؛ بل علمنا أنه كان يكثر من النوم في هذا المنزل بعد الحادث ؛ لأنه يعيش وحيدا منذ رجع من غربته يعني قل مبيته في بيته الخاص .. فنرى أنه أمام هذا الواقع فكر وهرب وخرج من القرية وكل البلد .. ما رأيك ؟

هز يوسف رأسه ورد : الواقع يقول ذلك ، ولم يخرج بشكل رسمي من البلاد خشية أن يعرف خصومه جهة هربه ..لديهم إمكانات لمعرفة جهة خروجه .. أو ما زال في البلد مجهول مكان الإقامة طالما القاتل مجهول .

ـ لم تثبت أي علاقة لهم بالحادث .. صدق أن مدير البوليس تحدث معهم بكل صراحة .

ـ ربما له خصوم غيرهم .. له شهران ونصف في البلد .. مهما فكرنا في الأعداء والخصوم والشر هل هناك غيرهم ؟

الضابط : أليس هم أخواله وأصهارك ؟ .. فهو تزوج ابنة خاله باكر .. حتى أولاده لم يلتقوا به عند عودته إلا ابنته الصغيرة.

قال: نعم ، كأنه ليس أباهم .. الشك موجود سيدي القائد ؛ لأنه لما حط قدمه هنا أول أمر فعله أشهر طلاقه من أمهم ؛ ربما أوقع لديهم ردة فعل .. وأرسل لها عقد الطلاق مع المحامي .. فهي كانت بحكم المطلقة منذ وطئت قدماه تلك الديار .

قال : على كل ما زلنا يا أبا إبراهيم نتابع التحقيق والبحث عن قتلة الشاب، ولم تغلق القضية ، واذا جد جديد سيكون لنا حديث .. وفعلا نفى أصهارك بحزم أي علاقة لهم في الاغتيال .. ولا مصلحة واضحة في المحاولة .. وقالوا ماذا نجني من قتله ؟ فهم لا يرثونه وأختهم زوجتك ماتت قديما .. وزوجته كانت في عداد المطلقات وموقف أولاده في السليم .. واستئجار قاتل يضع الجميع تحت الابتزاز فرقبته تحت حبل المشنقة لموت المهندس

قال: أكيد.؟ أنا أشكر اهتمامكم للقضاء على الشائعات.

إخوة المهاجر

أثارت رحلة جعفر لبلد أبيه إزعاجا وقلقا في أنحاء البلدة ، وتبعها مجيء الشرطة لبيت يوسف فزاد من الإشاعات والخوف والدهشة والحيرة بين سكان البلدة ، وما حولها من البلدات الزراعية ، وكذلك بين إخوة نزيه والعائلة الكبيرة ، في الأول غلب على ظنهم أنه عاد للأرجنتين سرا لدواعي أمنية بطريقة سرية وخفية ، وشاع وراج بين الناس أن الشرطة ربما وجدت جثة نزيه ، وجعفر أفصح لأقاربه بأنه لم يلتق أباه منذ ترك الغربة ، ولاحظ الأخوة أن والدهم لم يكترث كثيرا لغياب نزيه ، ولم يقلق فغلب على قلوبهم أنه علم بغيبته ومكان سفره ولكن مجيء جعفر وتر الأمر بينهم وأربك خواطرهم ، فتسألوا هل الاختفاء مدبر أم أن هناك جريمة قتل فعلا ؟! وجاءت الشرطة للبلدة فارتفع التوتر القلق بينهم ، وأجريت تحريات وسؤلات فزاد الغموض ، لا أحد لديه معلومات عن الاختفاء ، فهو بعد الحادث قلل الاختلاط مع ناس القرية إلا في منزله أو منزل أبيه من باب الحذر ، وقلل من الخروج للأماكن العامة ، كالمساجد والمقاهي والنوادي الثقافية والعلمية والشعرية ، وأوقف مشاريعه الجديدة حتى جاء جعفر ، وبدأ العمل فيها ، ودخل زوج نداء صديق في المشاريع والبناء والصيدلية ، والأب يوسف لم يتكلم لأحد بشيء خاص منذ اختفاء نزيه الغامض .

فقال أحدهم متمنيا : لو الشرطة ألقت القبض على قاتل المهندس المسكين لما وصلنا إلى هذا الوضع المحير والمربك !

قال إبراهيم : لو .. لو .. الشرطة عجزت فليس لديهم خيوط وإشارات عندما يصلون إلى جديد سيتحركون .. فاضطر أبو ناصر للاختفاء دون علمنا ، وليس له أصحاب ثقات ؛ ليكشف لهم أمره ووجهته .. هكذا فهمت الأمر ابتداء .. ولا أدري كيف شاع ، وبدأ أمر الخطف والقتل ؟ كيف بدأت الإشاعة ؟ ومن نشرها ؟! كيف قالوا قتل ولا وجود لجثة ؟ ولو وجدوا جثة في مكان ما لطلبوا منا أو من أبنائه مشاهدتها والتحقق منها .

قال نزار : ولكنك يا إبراهيم يومها لم تبد قلقا وخوفا وانزعاجا .. وأبي لم يهتم للأمر .. فترك

ذلك لدينا انطباعا أنكما تعرفان شيئا وتكتمانه .. واحترمنا سكوتكم أنا وبقية الأخوة والأخوات فقلنا بينكم سر خاص فلزمنا الصمت .

رد إبراهيم : قال نزيه تلك الأيام ما دام لم يثبت لدى الشرطة شيء لابد من حل .. لم يكن أمام نزيه البقاء ، فهذا ما خطر لي تلك الأيام العصيبة.. فالذي سعى لقتله أول مرة سيعيد الكرة .. فأصبحت حياته مقيدة كما تعلمون .. كان راغبا بالاستقرار والزواج حتى الموت وانتهاء الأجل لكنه لم يرد أن يموت مغتالا وغيلة .. وتألم وحزن كثيرا على اغتيال ذاك الشاب الطيب الذي أصابته رصاصات الغدر بدلا منه .. والشاب لم يكن غريبا عن البلدة ، فهو ابنها ولم نعرف له أعداء ؛ ليقال أنه المقصود .

قال نزار متمما : أجمع الناس والشرطة أن الهدف هو نزيه شقيقكم .. وأخوالكم هم أعداؤه وخصومه .. والشرطة تزعم وتؤكد أنهم أبرياء ولا مصلحة لهم في إيذائه وأبرياء من دم القتيل كيف تأكدوا لم يحدثوننا بذلك؟ .. والقاضي إبراهيم حاول معرفة أسباب ثقة الشرطة ، فأكدوا له أن مواقعهم الإدارية التي كانت لهم في الدولة تصعب مهمة إقدامهم على الجريمة .. خاصة أننا أقارب كما قالوا ، ولا فائدة تعود عليهم من قتله .. ولا دلائل على الجريمة سوى عداوتهم القديمة وإجباره على ترك الوظيفة .. أما نحن فلليوم لا نرى أنهم أبرياء .. وأن حقدهم دائم .. ومن أهم الأدلة على الحقد ـ ولو كان قديما ـ أنهم افسدوا ذريته عليه حتى مجرد سلام على أبيهم لم يفعلوا .. أليس كذلك أيها القوم؟!

قال زكريا : الظواهر تدل على ذلك ..لا يعقل أن ناصرا أو ساميا يستعجل قتل أبيه .. فناصر ضعيف الحركة وسامي محامي .. وله سمعة جيدة في المدينة .. ومطلقته مارينا ماذا تستفيد من مقتله ؟ فأمهم تملك الكثير من الأموال والأرصدة كما هو معلوم .. ودرس الشباب على نفقة أبيهم لم يقصر معهم ماديا .. وشارك في علاج ابنه عندما تعرض لحادث وهو سكران منذ سنوات .. والقاتل في الشريعة لا يرث مورثه كما هو معلوم في شريعتنا .. الصحيح أن لا علاقة بين القتل وأولاده ؛ لكننا خاصة من يعيش في المدينة يسمع أخبار أبناء أخوالنا وأخوالنا من قبل

فهم نجوم وأصحاب مراكز علمية وتجارية .. فأخبارهم معروفة لمن يهتم بهم.. والشرطة أكدت لإبراهيم أن لا يد لهم في الجريمة .. فقلنا لعل له أعداء من الغرب مع صعوبة هذا الاحتمال .. فله هناك زوجة وأولاد وأقارب .

قال القاضي : كلنا يعرف هذا التحليل .. ما الحل ؟ الخطف جريمة كبرى .. والعصابات تخطف من أجل المال الفدية أو من أجل الشاهد أو إسكات الخصم العدو بالخلاص منه .. وفي الغالب تظهر جثة المخطوف ولو بعد حين .. نحن نعيش في حيرة وارتباك أيها الكرام .. فسكوتنا عما حدث أصبح مزعجا لنا وللأقارب ولأهل القرية .. فكلما نقابل أحدهم يقول طال صمتكم .. يجب أن تتحركوا .. الابن البعيد حضر يسأل عن والده لما سمع بغيابه .. وأنتم صامتون .. ماذا نفعل لمواجهة الناس ؟ من أجل هذا طلبنا هذا اللقاء.

قال نزار المهندس : الحق أننا لا ندري ما يجب فعله! لو كان عند الشرطة شيء مفيد لأخبرونا به ؛ لأخبروا به على الأقل الدكتور القاضي .. فهو ابن الدولة مثلهم .. فعملك الكبير يلزمهم الهمس لك بما عندهم ولو مجاملة .. وأنت معروف لهم .. فلك عشرات السنين في سلك القضاء ولك أصدقاء في وكلاء النيابة .. هل فعلا أن السيد أبا ناصر مخطوف ومقتول .. عن نفسي من ناحية الإحساس لم أحس وأشعر بذلك .. والإحساس ليس دليلا على حياة البشر وموتهم.. صحيح أن بعض الجثث قد تختفي سنوات وسنوات ولا تظهر .. أنا متأكد أن هذا لم يقع في قلوبنا منذ اختفاء نزيه .. واعتقدت أن أبي العزيز بينه وبين الأخ المهاجر شيء خفي.. لم يظهر قلقا وخوفا وحزنا على غيابه.. واعتقدنا أنه عاد لزوجته وأولاده هناك.. ولا أدري لماذا يخفي الحاج الوالد عنا اختفاء نزيه؟!

فلما احدقوا النظر في وجه أبيهم تبسم وقال باسما : دعوا الكلام للزمن أيها الأعزاء فجعفر جاء كما فهمت منه لمتابعة مشاريع أبيه وموضوع الصيدلية الخاصة بصديق ؛ لأن نزيه تكلم مع صديق ونداء قبل الحادث .. وها أنتم ترون أن الرجل يتابع من مخبئه الأعمال والإعداد لإنشاء مصنع أدوية كبير على مستوى القطر والأقطار المجاورة كالأردن والعراق وبلاد الشام

قال القاضي : وليس كما أشاعت الصحف أنه أتى ليبحث عن أبيه !

هز رأسه وقال نافيا : هذا أمام الناس.. تحدثنا عن العمل، لم نتحدث عن الاختباء

قال إبراهيم بعد صمت أبيه : يمكن أن أقول لكم إن شقيقنا العزيز حي يرزق ؛ وربما هو في الأرجنتين ؛ فالوالد مطمئن جدا .. لكن كيف خرج بدون المرور على الحدود فهذا مثير .. فاسمه لم يظهر برا ولا بحرا ولاجوا لا بجوازه المحلي ولا الأجنبي .

قال نزار : ربما كان ذلك من ضمن الخطة بينه وبين أبي يا دكتور إبراهيم

إبراهيم : المهم أنه حي وموجود ، وأخفى أمره لحاجة في نفس يعقوب.

قال زكريا : نعم ، حاجة في نفس يعقوب.. وهذا المهم وبيت القصيد أيها الأخوة الأعزاء.

****

بعد هدوء دام لأسابيع أتى جعفر للبلدة من جديد ، وعادت الصحف أو بعضها تتحدث عن اختفاء نزيه يوسف الغريب ، وزعمت أنه قدم لمتابعة البحث والتحري عن والده المختفي منذ عدة شهور. وعادت الشائعات والقيل والقال ، وكان صديق قد انتهى من بناء المدرسة والمركز الصحي والصيدلية ، واتفق مع جعفر وأخوة نزيه على متابعة التشطيب وإقامة الكادر وأن يكون العاملون ممن يرغب من أهل البلدة وعلى رأسهم زوجة القتيل الطبيبة النسائية سميرة حسين اذا أحبت ترك العمل في الحكومة.

فالمدرسة متهيئة لتدريس الطلاب الذكور من الصف الأول الأساسي إلى انتهاء المرحلة الإعدادية الأساسية ، وشكل صديق وصهره جعفر مجلس إدارة للمدرسة وآخر للمركز الصحي ، وأخبر صديق جعفرا أنه وجد قطعة الأرض المناسبة لإنشاء المصنع ـ مصنع الدواء ـ وأنه يستطيع المساهمة بثلث المصنع ، وعلى جعفر تغطية الثلثين ، ووعده بالرد سريعا ومن ثم تحويل الأموال ، وربما يقتسم الثلثين مع أبيه ، واعلمه أن أباه على وشك العودة كما قال في حديث بينهما . وكانت الصيدلية الخاصة في البلدة باسم صديق ، ولجعفر نسبة بسيطة في رأس المال اتفقوا عليها ، ورغبه جده يوسف بإقامة مدرسة مثلها للإناث.. فاليوم إقبال كبير على

تدريس البنات في المدارس الأهلية .. وأقسم جعفر لعمه إبراهيم أنه لم ير والده منذ غادر الأرجنتين ؛ ولكنهما يتواصلان بالرسائل والهاتف في بعض الأحيان ، واعترف لعمه أنه في قطر مجاور ، وعلى وشك العودة للقرية تصحبه زوجة جديدة .

فسكت إبراهيم لثوان وقال : أصدقك ، وأنا الآن متأكد أنك جئت بأمر من أبيك الغالي . وبارك له على إكمال مشاريع والده ، وحياه على الاستثمار في البلد ، وأثنى على صديق زوج ابنة شقيقه نزيه.

كان جعفر على اتصال مع والده منذ حادثة الاغتيال ، وعلى علم بالمنفى الاختياري والغاية من السفر . وكان نزيه قد قطع الاتصال بوالده منذ خروجه ، وطلب من ولده جعفر متابعة المشاريع التي رسمها رغبة بعدم إشغال جده بمثل هذه الأمور ، وكان نزيه قد رتب لخروج سري وتهريب ؛ ليلتقي بضابط عربي أرجنتيني عمل في الشرطة الجنائية ، وصديق له في الشام عاد لبلده مثله الذي سلم أعماله إلى ذريته هناك ، يريد منه أن يكشف له من قام باغتياله ، وقبل الضابط المتقاعد خدمته مقابل أجرة ومصاريف ، وكان عليهما أن يلتقيا في دمشق الشام. قضى جعفر المهمة التي كلف بها من قبل والده ، وودعهم وغادر جمالة ليلا وخفية كما جاء على غير ميعاد .

عايش وعريفة

نعود لنزيه المهاجر كما يحب أن يسميه إخوانه وأهل البلدة ، فقد سمعوا من جعفر أنه سيعود قريبا بدون تحديد وقت معين ، وتركهم ينتظرون عودته من مهربه ومنفاه الاختياري ، خرج من جمالة كمغامر بترتيب معين إلى مدينة عمادنا ، وهي بلدة حدودية عن طريق شاب تعرف عليه في أحد مساجد البلدة الذي وعد بمساعدته بعد نجاته من الاغتيال ، فهذا الشاب أوصله سرا إلى رفيق له في بلدة عمادنا الحدودية ، تعرف عليه أثناء عمله على الشاحنات الكبيرة التي تعمل بين الدول والأقطار لنقل البضائع والخضار والفواكه ، ورتب له الهرب إلى الشام دمشق عن طريقه بدون أن يعبر نقطة الحدود الرسمية حتى لا يختم على جوازه زيادة في الحذر ؛ ليلتقي بالضابط السوري الأرجنتيني الذي عرفه أيام الهجرة الطويلة كما روينا ، وعلى السائق ابن تلك القرى تهريبه لسوريا بدون العبور على حدود رسمية كما يفعل مهربو المخدرات والممنوعات ، فاستطاع زياد رفيق أحمد الجمالي إدخاله سوريا دون المرور على نقطة الشرطة والحدود ببعض المال داخل شاحنة محملة بضاعة ، ولم يختم على زواجه بالعبور ، فلم يسجل عبوره برا ولا بحرا ولا جوا وذلك كما يرغب ، ونزل في قرية قريبة من أبواب دمشق بضعة أيام ؛ لينتقل منها إلى شمال غرب سوريا مدينة قريبة من البحر الأبيض المتوسط في منطقة إدلب السورية ، وهناك تظاهر وظهر أنه سوري أرجنتيني كما ظهر في جواز سفره الأرجنتيني والتقى بتاجر اسمه عايش حسين زوده باسمه زياد سائق الشاحنة ، وبعد تعارف يسير شاركه في متجره على أن يتزوج أخته الأرملة والمطلقة السيدة عريفة حسين الإدلبي .. هذا رتب له قبل الرحيل السري ، بعد حين تزوج نزيه من المرأة شقيقة عايش ، وكانت تملك شقة أو بيت قريب من بيت أخيها عايش الإدلبي ، وكانت أرملة لديها بنت واحدة تدرس في الجامعة ، فساعد في تعليمها والصرف عليها كما اتفق مع أمها وخالها.

نزل نزيه بعدما تزوج الأرملة مدينة دمشق ، واتصل بالضابط البوليسي نواس العائد من الأرجنتين قبله بسنوات ، والتقيا في صالة فندق كبير وسياحي ، ولما انتهيا من الطعام ذهبا إلى

غرفة نزيه ، وحدثه وروى له محاولة اغتياله في قريته الهادئة والوديعة ، ولما فهم المحقق القضية وما هو المطلوب منه غادر الفندق مستعدا للسفر إلى مدينة سلام .

وبعد أيام قضاها في ربوع دمشق رجع نزيه إلى إدلب وبيت زوجته الأرملة التي كانت تحلم بالخلفة والولادة من نزيه ، فهي لم تكن صغيرة كانت في الأربعينيات من العمر ، ففرصة الحمل ستكون ضعيفة لمن في مثل سنها ؛ ولكن ممكن أن تحمل وتلد المرأة في مثل هذا السن .

ووجد نزيه أن لديها رغبة قوية في الحمل والولادة ، وكانت تضغط في هذا الاتجاه ، وهو لا مانع لديه بالحمل وأن تلد ؛ لكن كما علم من شقيقها عندها بعض المشكل الصحية ، فاهتم بعلاجها والإنفاق بسخاء ، وهو يعلم أنه أحد أسباب دوام العشرة بين الزوجين ، ويتنازلون عن المشاكل التي تعصف في الأسرة من أجلهم ، والرجل يعتبر مليونيرا حقيقة ، غني قادم من الأرجنتين ؛ حيث نجح ماليا واقتصاديا ، وأصبح دكتورا في المحاسبة والإدارة المالية ، ويتقن الإنجليزية والإسبانية لغة الأرجنتين المكتسبة من الاستعمار الإسباني للقارة الجنوبية .

ومع التردد على العيادات في الشام وتركيا المدن القريبة من الشمال السوري لم تثمر عن شيء من جهتها ، فتحدث نزيه مع عايش شريك التجارة في المواشي والصوف الطبيعي أن تكف عن طلب الولادة بعد عدم الفائدة والعجز عندها ، وقد رافقها عايش في السفر إلى الشام ومقابلة أخصائيين العقم والنساء . وخلال فترة البحث عن علاج كان نزيه قد التقى بالضابط المحقق كارلوس سعيد نواس الذي قال له: يبدو أنك أخطأت في اتهام أخوالك وزوجتك المطلقة يا نزيه .

فرد نزيه متأملا : أنا أثق بكلامك .. هناك قاتل وجريمة حدثت .. لا أعتقد أن أحدا أتى من الأرجنتين ليغتالني في بلدي يا كارل! لابد من عدو ..والقتيل لا أعداء له ؛ ليكون هو المقصود فلماذا يقتل ؟!

فقال المحقق المتقاعد : ظهرت في المجتمع المخملي كمهاجر غني قادم من أمريكا .. تعرفت على بعض أصدقاء أسر أخوالك مدعيا الرغبة بالاستثمار في البلد كما اتفقنا .. قدمت لي مشاريع

متنوعة ، وخلال شهر دعوت للسهرات والحفلات بكل سهولة .. مستثمر قادم من الغرب .. حتى أنني شعرت بأنني مكشوف ومعروف رغم أني لم أر تلك الوجوه من قبل يا نزيه .. سهرات حفلات دون فائدة .. والتقيت بمطلقتك مارينا وابنك سامي المحامي.. ودعتني للبيت ساعية لعلاقة جنسية مع مستثمر أجنبي .. وبينت لها ولغيرها من نساء ذاك المجتمع كبري وضعفي فانصرفت عني.. كبيرة وما زالت تبحث عن لذة الجنس ..وتزعم أنها تلتقي بشباب .. ولن أصدق أن شابا يلتقي بها لمضاجعتها يا نزيه.. المهم أنها منحلة لأخر درجة كما ذكرت لي .. وابنك سامي لا يُكن لها أي احترام حتى زعمت لناصر ابنك وسامي أنني التقيت بك أثناء زيارة لأقارب لي في الأرجنتين فاعلمني أنك عدت للبلد ، ثم هربت بعد محاولة أحدهم النيل منك.. لم أجد أثرا ولو صغيرا يبين محاولة الاعتداء منهم عليك .

قال نزيه وهو يحاول أن يصدق ما سمع : هل أعود للقرية وأنا مطمئن ؟!

قال كارلوس نواس مفكرا : لماذا يغتالون المهندس ؟ لم يشتغل معهم يوما ، ولا يعرفونه ؛ لأنه ليس من نفس قريتكم.. هو من قرية قريبة ، لما تزوج الدكتورة بنت بلدتكم رحل إليها وسكن في جمالة .. لم أجد له خصماء إن كان له خصوم.. الشرطة لم تصل للمجرم .

تنهد نزيه وقال : الجريمة مدبرة ومخطط لها يا كارل! .. كلنا أدركنا ذلك من الوهلة الأولى .. لم تجب على سؤالي هل أعود للوطن ؟

قال المحقق على مهل : حاول أحدهم قتلك حقيقة يا نزيه .. ثلاث رصاصات في مكان مهم لنزيه .. بعد صلاة الفجر ، وبقاء بعض العتمة .. والشوارع خالية من السيارات والمارة .. ومطلق الرصاص أخطأ الهدف بسبب العجلة .. فأصاب المهندس بدلا منك .. القاتل يعرف ما يفعل .. فلا أستطيع أن أبث في قلبك السكينة يا نزيه يا ابن يوسف!.. فالذي أراد قتلك، ولم يُعرف بالتأكيد سيعيد الكرة .. لكن لماذا ؟ لا جواب .. الدافع الإجرامي غامض .. ما هي الغاية من قتلك ؟ فقط الكره .. والحقد . . فزوجتك لك عقود هاجرها وشبه مطلقها .. فلماذا تنتقم اليوم ؟! فهي لا تعرف عنك شيئا بعد الرحيل .. وأخوالك لماذا يا صديقي ؟ فأمك همزة

الوصل بينكم ماتت بعد سفرك بسنوات.

ـ قبل الحادث لقد سعوا لإعادتها إلى ذمتي لما أشهرت طلاقي .. ولم يتضح سبب ذلك.. والشفيع لم يعرف السبب ، زعم أن ذلك من أجل خاطر الأولاد الذين لم يقدم أحدهم القرية للسلام عليّ أو حتى يكلف نفسه بالاتصال باستثناء ابنتي منها نداء .. وقالت نداء : لم يفعلوا ذلك عندما لامتهم بأنني تركت تربيتهم لمجرمة

قال كارلوس مبررا : هم خافوا أن يفعل غيرك ببناتهم مثلك يا نزيه ، وتصبح مثالا ونموذجا لمن بعدك .. هم يدافعون عن نظام بنوه من قبل أن تولد .

ـ لقد طلق ابني سامي ابنة ابن كبيرهم شاكر ؛ بل هددوا بموتي اذا لم أتراجع عن الطلاق الرسمي، لا يقبلون الهزيمة ، واعتبرت تهديدهم ساعة غضب .. وأفهمتني الشرطة أن لا يد لهم .. قلنا طيب من ؟.. مثلك سكتوا .. كما أخبرتك .. أنا أعرف عظم نفوذهم في الدولة .. وهذا أحد أسباب تشجعي على قبول الزواج من مارينا طمعا بمنصب إداري كبير مع تقدم الزمن .

قال : فالغضب والكلام خلاله بالتهديد والوعيد والموت وجهة نظر مقبولة لدى الشرطة والبوليس .. بس فليس كل من يهدد يقتل .. يوضع موضع اشتباه فحسب.. الغاضب يكفر ويضرب وقد يقتل ويطلق .

قال نزيه منهيا العقد : غدا نلتقي لأقدم لك أتعابك كلها.. ومصاريف الرحلة انتهى أمرها أم بقي لك في ذمتي شيئا .

ـ لا ؛ بل زاد .

قال : مبارك عليك .. مسامح فيه ..غدا سأسحب من البنك وأسدد الفاتورة.

رجع للشمال حيث الزوجة وابنتها وشريكه عايش ، وكان محتارا في حسم الأمر وممن يريد تعجيل موته ؛ فإذا لم يكن والد زوجته وعمها من يكون ؟! هل أحد أبناء مارينا يسعى لذلك من أجل المال والميراث؟ .. والميراث .. لم يخطر ذلك في بالي .. هل يرغبون بميراثي ويتعجلون

ذلك ؟ فسامي عمله جيد ومحامي ناجح .. وناصر يدير مصلحة ، ويأخذ من أمه .. وميساء أمورها سالكة .. وكلهم فشلوا في الزواج وتكوين أسر .. سامي طلق بنت خاله إسكندر ، وناصر طلق ويمشي على عكاز .. مارينا ماذا تريد من قتلي؟ أتريد الانتقام ؟ نحن عشنا عشر سنوات وآخر ثلاث سنوات منها أغلبها قضيتها في القرية ، ثم هربت لأمريكا اللاتينية مع ابن عم لي ـ رحمه الله ـ خلصني من وجع الرأس .. الأولاد هناك كانوا يحبون بقائي بينهم .. وهذه المرأة عاد بها الحنين لولادة ذكر .. والأمر بيد الله .. وسعيت بإخلاص لمساعدة عريفة على الإنجاب والحمل رغم بلوغي الستين.. الأمر بيد مولاي عز وجل .. الطب يقول: إنها غير صالحة للحمل .



الأرملة عريفة

طلب نزيه من عايش شقيق الأرملة عريفة أن يقنع أخته بالكف عن عرض نفسها على الأطباء وأن الزواج والحبل بأمر الله وقدره ، وقد رحلوا في أنحاء البلاد وجنوب تركيا دون فائدة حتى يبقيها على ذمته لتعود معه لجمالة ، هذا ما أخذه في قضية عريفة ، وبعد عودة المحقق كارلوس من سلام ولقائهما كما روينا قبل سطور أخذ يخطط للعودة لبلده سلام .. سأل نفسه كثيرا من الأسئلة .. هل يهرب أم يطلق أم يرحل للأرجنتين من جديد ؟ .. هو ترك الغربة ؛ ليختم حياته في جمالة ، ويقصد الديار المقدسة والمساجد الثلاثة للحج ، يريد إقامة ركن الإسلام الخامس .. يريد الحياة في الوطن.. ملّ وشبع من الغربة .. أولاده في سلام نسوه ، ويحق لهم ذلك .. فقد ابتعد عنهم ثلاثين سنة .. وأولاده في الغربة رفضوا العودة ، فتلك الديار ديارهم .

فلما تحدث مع زوجته بما يفكر من العودة لموطنه ، فقالت : لماذا لا نذهب إلى بلاد الكفار ونحاول العلاج عندهم ؟

فابتسم لها قائلا : الطب هنا كما هو هناك .. الطب علم عالمي ؛ ليس خاص بدولة دون الأخرى قد تكون التطورات أو التقدم أكثر وأسرع من البلدان العربية ؛ لكسلنا ونومنا الطويل.. فالأدوية الموجودة هناك موجودة عندنا ..والعواقر بالملايين عندهم .. ليس مقصورا فحسب على بلاد العرب أوطاني .. وقد قام عايش بك بجولات شرقا وغرب ؛ لأنني أنا أحب الخلفة أيضا مع أن عندي ثمانية بين ذكر وأنثى .. أربع في بلدي وأربع في بيونس ايرس .. فأنت غير قادرة على الإنجاب .. والسن تقدم بك .. فالرحم شبه ميت .. ولم أبخل عليك بالمال والدراهم قالت بصوت واهن وربما فيه حسرة أو خيبة أمل : لا أنكر فضلك يا أبا ناصر ، ولا كرمك معي مع ابنتي .. وحتى مع شقيقي الباقي عايش .

قال : الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .. ماذا أفعل لك ؟ الأمر لله فهو صاحب الأمر.

تنهدت وبكت وقالت : أنا لما ترملت على هدى حزنت كثيرا ، وكانت رغبتي بالزواج من أجل الحمل والولادة .. مولود مثل كل نسوان العالم ، رغبت بمولود ذكر من أجل خاطري وخاطر

هدى ، وتزوجت ثانية من أجل هذه الغاية .. ولما عجزت عن ذلك طلقني الرجل .

فقال بعتب : ولماذا قمنا بكل هذه الفحوصات وأنت عاقر ؟ .. هذا تصرف شائن يا عريفة !

هتفت بحزن : الأمل يا سيدي ! الأمل .. وسخاؤك شجعني على المحاولة.. فأنت صاحب مال كما قال عايش وكريم .. الحمد لله أن عندي هدى .

قال بقلبه الكبير : الحمد لله .. اهتمي بها ، وادعو الله أن يحفظها لك ، ويهبها ابن الحلال ، وتلد لك البنين والبنات ، وترين أحفادك .

قالت : إن شاء الله .. سامحني يا سيدي الكريم .. المرأة خلقت ؛ لتكون أما يا نزيه .. وعايش طلب من البداية أن أسلم أمري إلى الله .

قال مشجعا : وهو الأفضل أن نسلم أمرنا في جميع أمورنا إلى الله.. فهو يتولانا بفضله ورحمته

قالت : ما رأيك بالسفر إلى الأرجنتين ؛ لتغيير الجو ونرى أسرتك وأقاربك وتعرفني بهم ؟

ضحك قليلا ورد : ترغبين بالسفر إلى آخر العالم .. فقبل قليل قلنا دعي التفكير بالعلاج .. فهم بلاد ضعيفة مثلنا يحكمهم العسكر والجنرالات ..وطبهم مثل طب بلادنا .. سنسافر إلى بلدي سلام عندما يشاء ربي .. وبعد تخرج هدى نفكر بالأمر .. ولعل زواجها يكون قريبا فابن شقيقك حاطت عينه عليها كما تقولون

قالت بضيق : صحيح .. وهو من أجل ذلك يكثر التردد علينا ؛ لكنها ترفضه ، ولا تريده .. ولمحت لي وله أكثر من مرة أن لا يفكر بها كزوجة .. ولها صديق راغب فيها كزوجة بعد الدراسة .

قال : تريده أكثر من ابن خالها .. وعايش يعرف ذلك.

قالت بفتور : قلت له ذلك .. وجلال ابنه عنده أمل أنها ستغير رأيها عندما يبتعد عنها رفيقها في الجامعة .. وستجده أمامها .. فهو مصر .. والأمر دائما لله يا أبا ناصر

ـ الله يستر يا عريفة!

قالت : لا تخشى شيئا .. أنا كنت أرغب بابن خالتي نبيلة ؛ ولكن قبل زواجنا مات ، فتزوجت

والد هدى الأستاذ عبد الحميد .. ولدت قبلها أنثى ماتت طفلة ، ثم جاءت هدى ، ثم لحق بابنته .. وبعد سنوات زوجوني من آخر .. وتبين أني غير قادرة على الحبل .. فبعد علاج فاشل حصل الفراق إلى أن يسرك الله من سنة زمان بعد ترمل أكثر من عشرين سنة .

قال : لم يتقدم إليك خلالها أحد .

قالت : النصيب يحكم .. تقدم الكثير ؛ولكن لم يحصل أي نصيب .. كلهم يرغب بالذرية .. وليس المتعة والمعاشرة فحسب .. أنت الوحيد الذي يريد زوجة والحلال .

قال : نعم يا عريفة ! أريد زوجة والحلال لم أعرف طول العمر بفضل الله طريق الزنا والفواحش وأمر الذرية أحببته ؛ ولكني سلمته لربي سبحانه وتعالى يا أم هدى!

****

هدى عبد الحميد ابنة السيدة عريفة لما نكحت أمها زوجها الثالث نزيه يوسف كانت تتعلم في الجامعة في المستوى الثالث ، وكان خالها عايش هو الذي يتولى الإنفاق والمصروف عليهما لفقر أمها وإحسانا عليهما . ولما التقى به زياد السائق وحدثه عن نزيه الشيخ وأنه يرغب بالزواج من امرأة أرملة أو مطلقة حدثه عن أخته ، وحصل النصيب المقدر ، وكان عايش ينفق عليها لتعيل أمها في المستقبل اذا بقيا على قيد الحياة .

كان ولده جلال يرغب بها حليلة ، وتخيل وتصور أن انفاق والده عليها سيدفعها للقبول به زوجا ؛ لترد على الأقل الجميل كما يقال ، وجلال يعمل مع أبيه في تربية المواشي ، ولا يحمل أي شهادة علمية ، واعتبر ذلك مقايضة ، ولم أحست البنت بذلك ، وضحت له أن لا يحلم بها قرينة وأن هواها مع زميل معها في الجامعة ؛ لكن الشاب جلال مقتنع أن ما بعد الجامعة يتغير ، وأنه أكبر منها سنا ، وذاك من جيلها.

أحبت الفتاة ابن الجامعة محي الدين العبد ، وأنه أفضل وأنسب من ابن الخال ، وكانوا يرون الفصل بعد التخرج ، وأمها صارحت شقيقها بموقف البنت ، ولا يضيع جلال عمره في الانتظار ، ولا يزعل من فشلها بإقناع هدى بالزواج منه.

فقال جلال : يا عمتي حب الجامعة حب فارغ ، ولا يثمر .. ونهايته الفشل والضياع .. ولا أدري لماذا أنت صامتة على هذا العبث يا عمة ؟!

قالت معتذرة ومجيبة : بنات اليوم يا ابن أخي لسن كبنات زمان !.. اليوم الشبان أمامها كثر .. ولا غنى لنا عن تعليم البنات.. صار التعليم الجامعي خطوة لطلب يد البنات والوظيفة .. أيام زمان تغيرت وولت .

فقال بحزن : الصبر طيب .. بعد التخرج يكون للقصة بقية .. فلتحب من تشاء.. وأنا يمكنني الزواج في أي حين .. لقد أحبت شابا قبله ، ولما رأى حشمتها وزيها وتمنعها تركها .. هؤلاء يرغبون بالشهوات الحرام .. ولولا تربيتها الجيدة من قبلك لذهبت في درب الإثم والخنا والحرام ربنا يستر عليها .

قالت : أنا لا أريد أن أخسر والدك .. فلم يبق من ذرية أبينا إلا أنا وهو .

قال : أولاد أعمامنا موجودون .. وأبناء أخواتك

قالت : أنا أقول عن ذرية أبي .

****

قالت الفتاة لجلال بحدة : أنت لن تكون زوجي يا جلال ! لن يكون زواجنا مفيدا للعائلة .. لم أشعر بأنني سأكون زوجة لك.

قال : أنا أشعر بذلك يا هدى ! ستكونين زوجتي يوما ما .. ولن أتزوجك رغما عنك كما نرى في الأفلام والمسلسلات السيئة الذكر .. أنا كما تعلمين ورددنا مرارا من سنين صارحتك برغبتي الاقتران بك.. والتخرج على الأبواب .. وسيقع حبك لي مع الزمن .

قالت بسخط وعصبية :لا تريد أن تفهم !.. أي زمن يا جلال ! هل لأن والدك ينفق عليّ أصبحت زوجتك .. دعني وشأني يا ابن خالي .

قيل هذا قديما ، وهذا الوضع تغير ، جاء نزيه الزوج الغني ، وأنفق على الفتاة بسخاء واضح ؛ كأنها ابنة صلبية ، وزادت تجارة عايش تجارة الغنم والصوف والأعلاف بالتمويل الذي قدمه

نزيه .

عارضت هدى في البداية نكاح أمها مرة ثالثة ، وذكرتها بزواجها الثاني والطلاق.

فقالت : هذا حال الدنيا يا هدى! .. وأخي خالك يريد ذلك .. والرجل غريب عن المدينة ، فهو من بلدة سلام .. ونخفف من العبء عن كاهل خالك .. والرجل سيساعد خالك في عمله .. ويساعدك لإنهاء هذا العام .. والرجل سيشارك خالك في شغله وتجارته.. والزواج شرعة الله يا حبيبتي .. وعسى أن أطعم بشقيق لك.. وأنت تعلمين أن أباك لم يترك لنا شيئا إلا هذا البيت ، ولنا فيه شركاء بحكم الورثة لو فارقناه باعوه ثاني يوم ؛ بل الرجل كما قال أخي سيدفع لنا أجرة رغم أنه بيتي وينفق عليك حتى تتخرجي وتتزوجي ابن الحلال.

حصل الزواج كما تعلمون ، وأحب نزيه دفع الأجرة ، ولا يعيش على إحسان الزوجة في بضع دنانير أو ليرات كما يتعامل السوريون . ولما فشل كارلوس في مهمته البوليسية فكر بالعودة إلى جمالة مسقط رأسه ، ويعيش حياته آملا بالسلام والأمان .

أنهت هدى الجامعة تحمل شهادة لتدريس اللغة الفرنسية لغة المستعمر لشمال سوريا الكبرى ، ووجدت فرصة عمل في العاصمة في إحدى الصحف الأجنبية .

أبدى الخال والأم الامتعاض والاعتراض على بداية العمل خارج المحافظة ، ولما تحدثوا عن الزواج ، فأخبرتهم أن صديقها تخلى عن الزواج قبل التخرج بشهور ، ولا ترغب بابن خالها ، وأما نزيه فقال : الأفضل أن يكون الزواج برضى الطرفين .. واليوم لا داعي للضغوط والإجبار وعلى جلال أن يقترن بغيرها .. وأنا سأتحدث معه . . فهدى أخبرتني بذلك ، وأعلمتني بترك صديقها الزواج منها قبل تأمين مستقبله في سوق العمل .

وسافرت هدى للعمل في العاصمة ، والتحقت فعلا في الجريدة الأجنبية التي تكتب للأجانب في البلد العربي السوري باللسان الفرنسي . ومضت السنوات الثلاثة في سوريا ، وحسم الأمر وحان زمن العودة للقرية والتوكل على الله ، وأخبر عايش بالأمر ، ولما يستقر في جمالة سيبعث لأخذ زوجته عريفة ، وأنه ترك وتنازل له عن أموال الشراكة .

ولما نزل الشام التقى بهدى في شقتها المستأجرة ، وودعها وأعطاها بعض المال ، وسافر جوا إلى مدينة سلام ؛ لعله يلقى فيها السلام والإكرام ، وكان قد اتصل بأبيه وأخبره بقرار العودة لمدينة السلام . تفاجأ أهل البلدة بعودته ، كما تفاجأوا باختفائه ، ورحبوا به بحرارة ؛ كأنه ميت وعاد للدنيا من جديد ، وعلمت الصحف المحلية بالعودة ، ونشرت الخبر في ثنايا السطور والصفحات ، وتبين لهم أن الخطف والقتل إشاعات وأباطيل .

****

لما استقر في البلد اتصل بأخ عريفة وطلب منه المجيء بأخته لجمالة حيث يعيش ، وطار بها عايش لسلام ، وصحب زوجته معه ، ورحبت بهم عائلة يوسف الجمالي خير ترحيب ، وقدمت لهم أفضل الضيافة وقدم عايش وزوجته الشكر الجزيل ، وتمنى له السعادة والحياة الطيبة برفقة وصحبة أخته.

وكان يهمس لأخته : هذا بيتك وقصرك الجميل .. وزوجك السخي الطيب وأهله الكرام .. حافظي على هذه النعمة .. واشكري العالي في علاه .. واعلمي أن سبب مجيئه بلادنا مشاكله مع أخواله ووالد زوجته المطلقة .. فاحرسيه قدر طاقك .. فالرجل كما حدث تعرض لغدر من مجهول ، ولم يعرف رغم مرور هذه السنين.

قالت : لم أكن أظن أنه سيد .. فأخوه الأكبر قاضي كبير في البلد ..وأخواله من كبار وعلية القوم كان أحدهم وزيرا .. وإخوته أصبحوا في مراكز متقدمة في البلد .

قال : لكنه أغناهم يا عريفة كما حدثني والده الشيخ .. فقد وفق كثيرا في هجرته لبلاد أمريكا .. ودفع بسخاء لعلاجك ولابنتك.. فقد كان سيدا كريما بحق .

قالت : نعم ، كان يتحدث عن أملاكه وأولاده في تلك البلاد البعيدة ، وأن زوجته أم جعفر من أصل سوري مثلي أنا.. وتحدث عن ضعف العلاقة بينه وبين أولاده من ابنة خاله باكر هنا .. وابنته الصغيرة نداء امرأة محترمة وفاضلة رحبت بي وتمنت لي التوفيق في الحياة مع أبيها .. أسأل الله أن يحفظه من يد الغدر .. وقد قام صهره بتشييد مصنع دواء كبير في طرف البلدة يتكلم عنه

البشر فهم فيه شركاء .

قال: صحيح والفضل لله سبحانه ، وهو موفق .. وسوف يشرع ببناء مسجد عن روح الشاب الذي قتل غدرا نيابة عنه .. وتعهد لزوجته الطبيبة التي تعمل في المركز الطبي بتعليم ابنها وابنتها على نفقته عندما يدخلان الجامعة رغم أن زوجها الثاني رفض ذلك التعهد فالطفل ابنه .. هكذا المفروض أن يكون من يملك .. هل يأخذ الإنسان عند الدفن شيئا ؟!

قالت بصوت منخفض : هل زال الخطر عنه يا عايش ؟

ـ لا أحد يدري .. انتبهي لمن يزوره .. من يرقب البيت ؟ هو وضع ثقته الكاملة بمولاه عز وجل ولا يرغب بالعودة لبلاد الأجانب .

ـ الأمر لصاحب الأمر يا سيدي !

قال : نعم ، الأمر لله .. خذي بالك .. وعليك برعايته ؛ لتدوم العشرة ، ولا تعودي لموضوع الخلفة والحمل .. أنا مسافر للبلد غدا أو بعده.

ـ والبنت !

قال لطمأنتها على هدى : البنت ـ يا عريفة ـ ليست بحاجة لك.. فهي تعيش في الشام وحدها منذ شهور .. بنات اليوم لهن طباع الرجال ؛ ربما تسعد برحيلك إلى جمالة .. وقد قل مجيئها إليك بسبب الشغل .. ولعلها تجد ابن الحلال .. وجلال يئس وتزوج بنت أختنا .. فماذا تفعلين لها ؟ والتلفون بينكم موجود .. اليوم الذكر لا يستطيع إجبار امرأته على أمر .. فكيف بابنة الجامعة؟ والطنطنة حول حرية المرأة وحق الإنسان شمخ بأنوفهن للسماء ؟ فكيف بابنته يا عريفة ؟!.. نقول الله يسنر عليها .. اشغلي بالك في نزيه

قالت : أمين أمين .. أسأل الله أن يكون قريبا ؛ لارتاح من همها يا عايش .. عاشت يتيمة كما تخبر.

قال مواسيا : كلنا أيتام .. كنت قلقا وخائفا من غضب نزيه عليك أيام فترة المعالجة من العقم خفت أن يثور ، وقد ارتحت له وأحبه قلبي ، والمحبة من الله.

قالت : الأمل يا أخي الأمل وكرمه .. والطب يوميا يتقدم كما يزعم كل حكيم قابلناه وتعالجنا عنده .

قال : هو يتحدث عن الحج ؛ ربما يذهب بك للحج معه .. الناس تحب أن تختم كبرها برحلة البيت العتيق والمدينة فتصبحين الحاجة عريفة.

قالت : إن شاء الله .. الله كريم .. أشكرك أنت وزوجتك يا ابن أمي وأبي.. واذا باع البيت الورثة سأتنازل عن حصتي لك .

قال : قد أؤجره ..فهو لن يباع في ساعات.. حتى أتأكد من ثباتك على ذمة زوجك .. فالغربة مرة ؛ ربما تشعرين بالوحشة بعد حين .



الختام في سلام

كان نزيه يوسف يدرك أن عدوه الخفي الذي فشل في صيده والغدر به سيكرر فعلته رغم خروجه لمدة ثلاث سنوات قضاها في شمال سوريا سيحاول مرة أخرى ؛ فكان يقول لأبيه الشيخ : أحس أنني متبوع ومراقب .. ففي المسجد رجل غريب ومريب .. أنا أعلم عظم حقد مارينا عليّ قبل سفري القديم .. خشيت أن تضع لي سما في طعامي في ساعة جنون .. وكذلك والدها وأنه هو وراء الجريمة إحساس لا يفارقني .. هم أرسلوا القاتل المستأجر .. أنا عشت قريبا منهم يا أبي.. كان باكر شرسا حقودا منتقما مخيفا ، وكذلك شاكر ولكنهم خاليّ .. كانوا لا يسمحون لأحد أن ينال منهم ..كان موظفو شركاتهم مرتعبين منهم .. ومن انتقامهم ، لا يسامحون المخطئ البتة.

قال الشيخ وهو يعود لستين سنة للوراء : أنا أعرف أخوالك الأربعة وأبناء عمهم حق المعرفة قبل أن تولد يا نزيه .. لقد رأيت وعرفت عنفهم هنا قبل أن يرحلوا للمدينة .. ويرتاح الناس منهم ومن شرورهم .. وأنا تزوجت أمك أختهم ـ رحمها الله ـ لمصاهرات قديمة بين عائلتينا ولظروف معينة ، ولكف شرهم عن أبي المسكين الذي ضغط عليّ لمصاهرتهم ولديون تراكمت عليه لوالدهم ووالده .. وكان بينهم عمل خفي شعرت به لما تزوجت أمك ؛ لكنني لم أعرف تفاصيله ولم أفهمه حتى زوجتي أمك لا تعرفه .. المهم أن أبي تورط معهم في تهريب مخدرات أو سلاح بسيارته .. ومات بظروف مريبة يا نزيه.. ولم تعرف التفاصيل .. مرض ثم مات قبل أي علاج ناجع .. ولكنك لما سكنت المدينة هويتهم واستلطفت الفتاة .. أنا سعيت لإنقاذك سريعا وبطريقة أدبية ..ولكن كان هواك معهم ، وترى المستقبل معهم .. فقلت الناس تتغير .. فهم يرسمون ويدبرون لاختيار أزواج بناتهم وأخواتهم .. والناس تريد المال والشهوات .. أنت كررت حادث أبي ، صحبهم حتى زوجوني أمك بظروف غير ظروفك بالتأكيد ؛ وربما مات أبونا مخنوقا ، لم يكن مرضه خطيرا كما قال طبيب القرية .. لم يكن معه أحد تلك الليلة إلا جدتك الضعيفة السمع والبصر ، ولم تسمع حسا وصوتا ،ولم تر شيئا حتى وقع الموت .. ولم يعرض

الوالد ـ رحمه الله ـ على الطبيب الشرعي قالوا وفاة طبيعية.. لم يخطر على بالنا القتل تلك الأيام ولم تعش أمي بعده كثيرا .. وماذا ستفعل أمام إحساسك المرعب مع ما قيل وقال عن موته ؟

قال نزيه : كنت أطمع أن أصير مثلهم ثريا من رجال الحكم. صمت لحظات ، وعاد يقول : لا داعي لنبش الماضي ، نكنت معجبا بهم وقوتهم .. صممت أن أعمل كمينا ؛ فإما أن أقتل أو أنجو .

ـ ولماذا لا تذهب إلى الأرجنتين ؟فلك أسرة وتخلص من الخوف من المجهول!

ـ وعريفة ؟

قال : تأخذها معك .

فكر قليلا وقال : هذا ليس حلا عدت لادفن هنا يا أبي !.. عمها كان يرفض الطلاق بشدة ؛ كأنني متزوج ابنته هو .. حتى لا أشجع غيري على فتح هذا الباب بزعمه .. ففرت إليكم تجنبا للمشاكل .. وابني سامي طلق ابنة ابنه إسكندر وصمت.. تشاطر عليّ فقط.

ـ ظرفك كان قبل ثلاثين سنة يا نزيه ! ولا تنسى أنه هو الذي جاءني ليمنع زواجك من ابنة قديس شريكي رحمه الله وغفر له ..فهو الذي زوجك بنفسه .. على كل ما هو الكمين الذي تفكر فيه؟

قال صافنا : الكمين أن رجلا كما قلت سكن حديثا في البلدة ، ويصلي في مسجدنا ، وشعرت أنه جاء لأمر خفي .. فسألت عنه فقيل سكن من أيام رغم زعمه التدين والفقر والمسكنة .

ـ يستغل الدين للجريمة .

قال : المراقبة فقط ..للأسف مثله كثير .. يستغلون لمثل هذه الأعمال القذرة من التلصص والتجسس.

قال يوسف : ألا ترى أن خوفك وقلقك جعلك تفكر بذلك وتشك في الرجل ؟!

رد نزيه : الكمين سيكشف ذلك .. أراه يتابعني بعينيه في المسجد بحقد ومكر.

الرجل قلق على حياته ، وهو يعلم قوة حقد مطلقته عليه وتهديداتها بقصف حياته أثناء فترة

زعلهما الأولى ، عندما كشف مرضها الجنسي ، وتلويحه بالزواج ، لم يتقبلوا الزواج عليها ؛ فكانت أشدهم سخطا وحمقا ا، وقد دمرت أولاده دون شفقة وعطف ، وتذكر كيف أجبروه على الزواج منها ؟ رغم رفض والده للزواج من بناتهم ، وسعى لتزويجه من ابنة صديقه قديس وصمتت أمه أمام ضغطهم ، وحدثته عن المستقبل أمامه بتقوية علاقته بخاليه .

وقال له أبوه مستسلما : تزوج .. أطعهم يا نزيه ! هم أخوالك تزوج كما تزوجت أمك .. نحن أهل وأقارب .

لما كبر عرف معنى هذه الجملة بشكل جيد ، فهجرته أنجته من مضايقتهم وحقدهم وبغضهم لهذا الخوف الذي تجمع في بدنه هرب سرا وخفية خشية الإيذاء البدني والعدوان ، كان يخافهم ومرعوبا منهم ومن تهديداتهم ، لم يعلم أن جده قد يكون مات خنقا وجناية ، الوالد لم يصرح بذلك إلا له ؛ فكان لديه شك كبير باغتيال أبيه ، فالذي يقتل مرة وينجو يفعل ذلك ثانية، بالتأكيد لم يفعل ذلك شاكر أو باكر .. قد يكون والده مخطئا في ظنه ، لكن أحاطت بجده ظروف سيئة جعلت أبي يشك ويظن .. ألم يتعرض هو لإطلاق النار أدت إلى موت المهندس خالد ؟.. الخال لا يقتل بيده ، يقتل بماله ونفوذه .. الشرطة لم تجد أدلة ملموسة على الجريمة ، لا تريد أدلة ظرفية يسهل إنكارها.

لما قرر نزيه العودة لجمالة كلف جعفر بإرسال سيارة مصفحة ضد الرصاص ، ومثل هذه السيارات منتشرة في القارة الجنوبية لسطوة وعنف عصابات المخدرات ، ووصلت بعد مجيئه بزمن يسير ، وأصبح يتنقل بها للمسجد والسوق والأعمال ، ولم يعد يمشي على القدم .. كانت هذه الوسيلة توفر الأمان بعض الأمان .

لما علم بمجيء الرجل للحي حديثا ، وتردده على مسجد الحي أو المجاور بعد عودته من الشام اشتغل به ، وظنه جاسوسا من قبل أخواله ومطلقته . ولما سئل الرجل عن سبب سكنه البلدة ، ادعى أنه يعمل في مشغل على طرف القرية بينها وبين قرية أخرى ، وهو يعمل في تصليح الآلات المنزلية كالغسالات والمكانس الكهربائية وما شابهها ، والمحل تبين أنه قديم ، وفيه

قريب للرجل الغريب ، وتشارك معه من زمن قريب ، فارتبك نزيه لما علم هذه المعلومات ، وكان كثرة اختلاسه النظر إليه شغله وأربكه ، وتبين أنهما قريبان يعملان في نفس الحرفة ، وأنه يعمل بيده كفني ، وأن نظره إليه مجرد فضول ، لما سمع من بعض المصلين أن هذا الرجل كاد أن يقتل على باب المسجد ، وقد قتل شاب بدلا منه ، فهو لا يستطيع قتل نملة، فكيف يقتل إنسانا خفية ويهرب ؟ فلم يبدو لنزيه بعد ذلك أنه عين لأخواله ، كان رجلا بسيطا ، فنزيه يعلم أن لأسرة أخواله علاقات جيدة مع أجهزة الأمن شرطة استخبارات ، فقد عاش بينهم عشرة أعوام ، ورأى قوتهم وعلاقاتهم ،وكيف يحلون مشاكلهم وقضاياهم مع الآخرين ، وكيف كان يعامل في وزارته ، فهو ابن أخت الوزير شاكر ، وحماه باكر ، فهم رجال مال وأعمال ، فكانوا يشكلون قوة اقتصادية في المدينة ، واليوم زادت وكثرت العائلات القوية والأسر الأخرى بزيادة عدد سكان المدينة ، وزادت المنافسات والمصالح بينهم على النفوذ والسوق والمال . كان نزيه يعلم قوتهم ومصاهراتهم وانحلالهم خاصة أبناؤهم وأحفادهم اليوم .. اعتقد نزيه أن خصوماته معهم انتهت بسفره إلى الأرجنتين ، وثانيا بفشل محاولة قتله ، وأصبحوا تحت عين الأمن ، وهو يرى نفسه أنه لا يقل عنهم ذكاء وفطنة ، وقد نجح نجاحا كبيرا في الأرجنتين ؛ ولكن لهم قوة في الأمن .

اختفى رجل المسجد رجل تصليح الآلات المنزلية ، وهل أدرك أن الناس يشكون بأنه عميل لأهل سلام أم أن الرجل شعر بضيق وعيون الناس ترنو إليه ؟ هل نقل إليه أحدهم قلق نزيه منه ؟ ربما .. فكما ظهر فجأة اختفى فجأة ، رحل قبل عمل الكمين ، وترجح لدى نزيه أن لا علاقة له بأخواله ؛ إنما تصادف سكنه برجعته ، وتوقف الكمين الذي كان يفكر بعمله .

وبينما هو في هذه الحيرة والارتباك ، اتصل به ولده ناصر دون إشارات ومقدمات ، وأنه أخذ رقم منزله من شقيقته الصغيرة نداء . وقال بعد التحية والتعريف بشخصه : أعرف أنك أبي .. وأنك هربت من أمي.. فلا داعي للعتب والاعتذار لا منا ولا منك .

وكان الاتصال دون تمهيد ، وطلب منه اللقاء لأمر خاص ، فرحب نزيه باللقاء الخاص وسعى

أن يكون اللقاء في البلدة ، فمن القلق والخوف همس لنفسه : هل هو شريك معهم رغبة بالميراث فهو ضعيف الحال كما فهمت من نداء الغالية ؛ ولكنها تقول إن علاقته بأمه وأهلها في غاية السوء ..كلها مشاحنات ومشاكسات .. وهمس : هل يستدرجونه للمدينة ؟

وكان اللقاء في القرية كما رغب ، وجاء ناصر بسيارة أجرة ، وجلسا في بيت أبيه يوسف وبعد الضيافة ، قال ناصر : أنا لا أزعم حبك .. فقد تعودنا على بعدك وغيبتك .. ولا أزعم الشوق إليك .. أنت بالنسبة لي مجرد أب .. قضى شهوته ممن هي أمي فجاء ناصر.. ولا انكر أفضالك على الإنفاق عليّ وعلى إخوتي وتدريسهم وعلاجي .. ولا أعتب عليك تركنا عند ممن تسمى أمنا .. وليس لي دين وأي مبدأ.. فأخوالي وأخوالك أعداء وخصوم لك .. وكرههم وبغضهم لك انتقل إلينا .. وحقدهم عليك وعلينا .. وربما وسوس لك الشيطان برغبتنا بقتلك من أجل المال ؛ كما لمحت بعض الصحف المجرمة .. صراع عائلي كاد يؤدي بمقتل نزيه يوسف رجل الأعمال القادم من الأرجنتين .. فأنا جئت إليكم رسولا منهم أحمل رسالة .. هم يعلمون أنك أرسلت لهم ضابطا غبيا عاش في وسطهم ؛ ليعرف دورهم في محاولة القتل .. الرجل الشامي الفاشل .. كما يقول خالك شاكر .. هم يرغبون في الصلح وإنهاء الإشكال والقيل والقال.

قال : الصلح ! أي صلح يا ولدي .. هم أعلنوا للبوليس أنهم أبرياء من دم المهندس خالد .. ولا يد لهم في مصرعه ، فهل سيدفعون الدية ؟

قال : لن يدفعوا دية ، ولا يؤمنوا بها .. أنت تعلم يقينا أننا لا دين لنا .. ولن يقروا بجريمة أنكروا فعلها قبل سنوات .. هم يريدون صلحا حتى لا تبقى الجرائد الحاقدة تتكلم في القضية وأن السيد امتلك سيارة مصفحة ناقلة جند يتحرك بها خشية الغدر به .. وهربك القديم والجديد.. يريدون فتح صفحة بيضاء .. لكم دينكم ولي دين .. أدركوا أن أمرهم مكشوف .. وأنك لو قتلت سيتهمون بدمك .. وأنك ربما تفكر بالانتقام .. ومن هي أمي كما تزعم فهي على وشك النهاية .. فيها علل كثيرة سوى أمراض الزمن.. أمراض الكحول والفحش .. فهي بعدك أصبحت عشيقة كل الرجال .. تنتقم منك بفعل القبح والفحش لا أدري كيف هذا

الانتقام ؟! لا يمر علينا يوم ، ولا يدخل طبيب المنزل لمعاينتها وكتب روشته طبية ، ويعيب على وصفات من سبقه .

تنهد نزيه أسفا وقال بكره بين : هي لا تعرف شرفا ولا عفة.. همها القمار والتبرج والسفور وبعض المخدرات .

قال : أنت أعرف بها منا .

فقال : وكيف يكون الصلح يا ناصر الذي سمحت لنفسك أن تكون فيه رسولا ووسيطا ؟ ! ومن يكفله ؟ ودم القتيل غيلة ...

قال ببرود : إن الإجابات والقصة القديمة لا أعرف عنها شيئا واضحا .. أنت كما علمنا شككت في جدي باكر وشاكر .. وأنا شككت في أمي التي كانت زوجة لك .. نفت أي علاقة لها في الجريمة .. وإنك بعيد عنها من عهد بعيد .. فلماذا تقتل اليوم ؟ .. وكما أحبتك شابا كرهتك وبغضتك كهلا وشيخا .

تنهد ثانية وقال : اذا لم يكونوا هم من يكون يا ناصر ؟ كيف الصلح ؟ ومع من ؟

قال : مع جدي الذي كلفني باللقاء بك وشقيقه اللعين .. آه كم أكرههم !.. أنا لا أحبهم .. ولكني اليوم عالة عليهم .

قال : أبهم قوة ومورة ؟

قال : بيتنا ميت ، وهما ميتان ؛ لكن عقلهما ما زال يمكر .. عقل مجرم .. ما زالا يديران الأعمال والمال ويسيطران على كل أفراد الأسر .

ـ وأنت ألم تفكر بالعودة للدين والحياة الهادئة والزواج ؟

قال : حياتي هادئة إلا اذا اعتبرت الشراب والبغاء ضد الحياة الهادئة.

قال بشفقة واضحة : الشراب الذي احترفته هو الذي حطمك.. ألم يكن هو سبب ما حل بك وبأمك كما قلت قبل دقائق ؟ .. والبغاء يجعل من الرجل حيوانا فحسب يتنقل من نعجة إلى أخرى .. الحيوان الذكر وظيفته النزو على الإناث والطعام .. الحياة في هذه البلدة هادئة جدا يا

ناصر .. أنت ماذا تعمل اليوم؟ قالت نداء : إنك لا تعمل منذ الشلل الجزئي الذي أصابك ، وتعتمد على جيب أمك ، وكلفت أحدهم بالشغل في محطة التصليح ، وإنك لا تستفيد منها شيئا ؛ إنما وسيلة للخروج من البيت، وإنك تشتغل كباقي الناس .

قال : جيب أمي ممتلئة ! أليست هي التي علمتني الشراب والنساء؟ .. أمي جيبها كان ينفق بإسراف وجنون على مجونها ومكياجها وسفورها.. أنا أتاجر بالسيارات المستعملة أيضا .

قال : ارحل هنا ، وسأعمل لك أحسن مصلحة ، وراتب شهري ، ونجد لك زوجة.

قال : أعلم أنك رجل طيب وسخي وثري .. ماذا أقول لعم مارينا العجوز ؟

ـ دم الميت القتيل لم يبرد.. ماذا قالوا بخصوصه ؟

ـ اذا صح ظنك لن يعترفوا بالفاعل والمدبر يا سيد نزيه!

قال : يا ولدي الدم في رقبتنا .. أنا صحيح قدمت للأرملة ووالديه مالا .. وهم يعلمون أن المقصود بالاغتيال نزيه .

قال : ماذا أقول لهم ؟

ـ أين اللقاء؟

قال : أنت أين تحب؟

قال باسما : هنا .. أتراهم يقبلون ؟

قال : ولم لا يقبلون ؟! هي بلدهم ، وما زال لهم أملاك فيها .

قال : رتب الأمر .. فأنا ليس لي عدو سواهم.. أنا ظننت أن حقدهم همد وبرد منذ مغادرتي أرض سلام .

قال بحقد وغيظ : هؤلاء عيلة لا ينام حقدهم وبغضهم إلا بزوال الخصم .. تعودوا على الظلم وسحق خصومهم .. فرغم كبر سنهم عندما تذكر أمامهم يفقدوا الصواب .. ويندهش السامعون لشماتتهم وبغضهم ، وأولادهم أسوا منهم حتى الأحفاد ورثوا كبرهم وحسدهم .. نحن من عاش في حضنهم .. قضيت عمري في النزاع والشتائم معهم ؛ لكنهم أقاربنا وأخوالنا

إنهم في ضيق .. يبدو أن الشرطة لما عدت حذرتهم من المساس بك.. فالشك منطقا متجه إليهم واليوم شقيقك إبراهيم عمي رجل كبير في الدولة .. وكذلك ابنه القاضي أيضا .. فاللعب ليس لصالحهم .. فلذلك يريدان أن يظهر الصلح أمام الناس ، وتكتب عنه الصحف .

ـ التقيت بعمك؟

ـ مرات بسبب الكثير من القضايا المالية والأخلاقية .. وساعدني في قضية مالية ، ودفع أتعاب المحامي.

****

ذهب نزيه وشقيقه الأكبر إبراهيم وابن أبيهم نزار وثلاثة من أبناء عمومتهم إلى فندق ذي نجوم خمسة في مدينة سلام في قلب المدينة الزاهرة للقاء أخوالهم لإجراء مصالحة تاريخية وعهد بينهم ليعيش الكل في سلام . حضر من الفريق الثاني باكر وشاكر وابن لهم وبعض الأحفاد ، وكانت امرأة كبيرة بينهم هي سكرتيرة قديمة للسيد شاكر .

كان اللقاء في صالة من صالات الطعام في الفندق ، والتفوا حول طاولة كبيرة أعدت للقاء ـ فهذا الفندق ملك لهما ـ فبعد الترحيب والتذكير بالقرابة والخؤولة قال شاكر : نحن بيننا صلة قرابة تجمعنا .. وأمكم يا حضرة القاضي أختنا وابنة أبينا ـ رحمهم الله ـ وبيننا مصاهرات قديمة وحديثة .. وسامي ابن أخيك تزوج ابنة ابني ؛ كما تزوج أخوك ابنة أخي .. ونحن قبل ذلك أبناء قرية واحدة ، وهي بلدتنا ، وإن تركناها .. ولم يبق لنا فيها الكثير من الأملاك والأراضي.. ونحن هجرناها بداية شبابنا.. وكانت بلدة صغيرة .. فطاب لوالدنا العيش في المدينة لخدمته في الجيش ، ووصل لرتبة عالية كما تعلمون ، ثم رحلت بعد استقراره في المدينة باقي أفراد الأسرة كلها .. أقصد فرعنا نحن .. والله أعطانا .. وصرنا على ما نحن فيه .. ولا داعي للخوض في تفاصيله.. ووفقنا في التجارة والصناعة بعد بيع الكثير من أملاكنا في القرية .. وقدر لنا الوصول لمنازل مهمة في الدولة .. وتزوجت أختنا من أبيكم الشيخ يوسف.. فنحن أخوالكم رغم أنوفكم ..ولم نكن نقصر في مساعدتكم بالتعلم والعمل في المدينة إلى أن جاء السيد نزيه المدينة

وتعمقت علاقتنا به على غير ميعاد .. وهو ابن أختنا ، وكان محبا لنا ومعجبا ومتعاونا ، ولم ينتقد طباعنا وعاداتنا التي تختلف عن طباع وعادات القرية .. وكان بينه وبين ابنة أخي استلطاف منذ حل في منازلنا ، وأحبه باكر ورآه مناسبا ومقبولا لابنته .. لا نريد أن نقول حبا وغراما .. وهو يومها كان شابا ذكيا .. وكنا نرى له مستقبلا واعدا في الدولة والوظيفة العمومية ..وبمساعدتنا قلنا سيصل لهدفه .. فرأينا أن نزوجها لامتداد الصلة بيننا وبين أختنا وبين عائلتكم .. ولم يعترض.. ولما هم والدكم يوسف بتزويجه اضطررت للضغط عليه وتزويجه من مارينا لما بينهم من استلطاف وحضوره بعض حفلاتنا ، وقبوله دعواتها وسهراتها ، واعتذر أبوكم من صديقه في القرية ، وتزوج نزيه من مارينا ، وعاشوا في انسجام ووظيفة جيدة ، وكما هو معروف رواتب الحكومة ليست كرواتب المؤسسات الخاصة .. ونحن كن نرسم له مستقبلا مهما مع تقدم العمر ابن أختنا وزوج ابنة أخي ..هذا كله تعرفونه أيها السادة ، ثم حدث بعد ولادة صغرى بنات مارينا باكر مرضا عجزت على إثره مارينا من الولادة مع أن أربعة مواليد كفاية في مثل هذا الزمن.. والأخطر المرض الجنسي وصعوبة الممارسة الجنسية كما تعلمون ..ولم يفلح العلاج وعانى نزيه .. وهو نظيف لم ير بجواز الاتصال بالنساء عن غير الزواج كما يفعل غيره .. فأخذ يفكر مبكرا بالزواج على مارينا .. وكانت مارينا ترفض بشدة .. وكذلك والدها وأنا .. فهذا أمر محذوف في قانوننا .. فرأى الطلاق ، وهذا رفضناه ذاك الزمن ؛ لأنه إساءة لنا قبل مارينا .. فمنذ رحلنا للمدينة حرمنا التعدد والطلاق .. ونزيه يعلم هذه المبادئ لمعايشته معنا .. وصبر قليلا .. ثم هرب إلى الأرجنتين كما خبرنا بعد حين .. وخف نزيف الدم عن مارينا ، لم تتعافى تماما رغم إرسالها للعلاج في فرنسا .. صحيح نحن قمنا بتهديده وتخويفه من الزواج عليها . . ومنعه من الطلاق ، ورغبناه عندما هاجر للقرية أن يعود لها ولأولاده الأطفال ؛ لكنه فضل الهرب ، ثم علمنا بزواجه ، ولم تصل ورقة الطلاق ، فتركنا الأمر .. وظلت مارينا في نظرنا زوجة زوجها مهاجر .. وهذا موجود في واقع الناس .. ولما عاد كما تعلمون أول فعل فعله أشهر طلاقه زاعما أنه طلقها في الأرجنتين حتى تسمح له المحكمة بالزواج ؛ ليتزوج من جديد ..

وتعرض كما يقال لمحاولة اغتيال .. وشكت الشرطة بأننا وراءها حتى سألتنا الشرطة على استحياء .. وبينّا لهم بعدنا عن الجريمة ..وصدقونا ؛ لأنه ليس لديهم شاهد أو دليل .. مجرد شك .. ولكن هناك جريمة .. هناك رجل محترم قتل .. فاتهام نزيه مجرد وهم .. والشرطة كما طلبت أنا منهم أن يتحروا جيدا .. فهناك ضحية .. ثم هرب أخوكم للشام ، وأرسل لنا محققا ساذجا وأحمق .. أراد أن يعمل هولمز علينا .. ومكث شهورا بيننا .. ويبدو أنه اقتنع ببعدنا عن الحادث الإجرامي .. رغم شدتنا في التعامل مع من يعمل معنا ويخدعنا .. ويبدو أن الشرطي الخاص اقنعه ببراءتنا من دم الرجل .

صاح نزيه : من قتله ؟.. هل انتحر ؟ أليس هناك قاتل ؟ .. رصاص أطلق علينا يا أبا سليم .. لماذا قتل ؟

قال شاكر بحدة : قتل نعم قتل ! هل يعني هذا أننا نحن قتلناه؟! اصمت والزم الصمت .. رغم سني ما زلت قويا ، وما زلت خالك.. نحن لم نقتله .. ولماذا نقتل؟! سألت نفسك .. وما الفائدة من قتلتك؟ .. لن نرث درهما منك .. لا نحن ، ولا مارينا .. الشك في أولادك أولى .. قد يستفيدون من موتك مع أنهم ليسوا في حاجة لمالك .. فسامي محامي كبير اليوم كما يعلم إبراهيم وميساء ناجحة ولها عمر في الإذاعة الوطنية .. وقد ارتكب سامي جرما كبيرا في نظرنا وطلق ابنة ابني ولم نقتله يا إبراهيم !

قال إبراهيم : العفو يا خالي ! المشكلة والقضية أن هناك قتيلا .. جريمة لم تكشف خيوطها .. ولم نعرف فاعلها .. هناك قاتل مجهول للعدالة .

قال الخال : ستصل الشرطة يوما ما إلى قاتله .. سمعنا عن جرائم في بلاد متقدمة كأمريكا وكندا بعد عشرات السنين عرفوا القاتل .. نحن نريد الصلح ليس ؛ لأننا قتلة .. نريد الصلح لنخلص نحن وأنتم من غمز الصحف ورجال الصحافة والأحزاب .. ونحن نقترب من الموت فنتعاهد على طي صفحات الماضي والهرب والجريمة .. فرأيت هذا الاجتماع ، وأننا أهل وأقارب وأبناء بلدة واحدة يا إبراهيم الغالي.. فأنت فخر لنا جميعنا ، ليس لنزيه ويوسف

فحسب .. فأنت ابن أختنا .. ونتعهد بالاعتذار علنا ؛ لينشر في الصحف أنه لا شيء بيننا ، وكل في بيته .. وبالنسبة لأهل المهندس القتيل سنقدم معونة ، وليست دية لوالديه وزوجته وابنه وابنته إلى أن يكشف المجرم .

قال إبراهيم : ومن يضمن هذا الصلح يا خال ؟ ولا يتعرض شقيقنا نزيه للقتل

قال شاكر : كل الموجودين هنا

حينئذ انطلقت رصاصة استقرت في صدر شاكر ، وكانت امرأة تقف بالباب

فصاح باكر : ويحك يا مارينا قتلت عمك!

قال العم : إذن أنت المجرمة التي سعت لقتل نزيه!

كان أمن الفندق قريبا من مارينا فطرحها أرضا قبل أن تطلق الرصاص ثانية

قال باكر : لعنة الله عليك أنت المجرمة إذن ! لماذا ؟!

ردت بحقد وغضب : دعوني .. لماذا ؟.. أنت تسألني لماذا ؟كان يجب أن يموت نزيه .. صبرت سنوات وسنوات .. كنت في أفكر بقتله قبل سفره وهربه .. وكأنه شعر بذلك .. وهرب للقرية وسافر خفية .. كان حقدي كبيرا عليه .. جعلني حقيرة لكل الأقارب والصديقات .. أنا تعلمت الرماية في نادي الرماية.. فلما عاد تجدد الحقد في هذا القلب الميت .. لقد جعلني هربه عاهرة تنام في حضن من هب ودب .. صرت في نظرهم امرأة ميتة لا تصلح أن تكون امرأة .. كل من نام معي رفض أن يكرر التجربة .. هو السبب جرح كبريائي بهجري ؛ كأنني امرأة عجوز .

القرية

لما انتهى التحقيق مع نزيه رجع للقرية في سيارته المصفحة ، وقد انتشر خبر حادث الفندق في الأخبار المرئية ومواقع الشبكات والإنترنت والصحف المسائية . استقبلت الأسرة نزيه ونزار الذي رافقهم للقرية ، وكان من ضمن المستقبلين الشيخ الكبير يوسف ، والشيخ عبد الله إمام المسجد المتقاعد ، وظل نزيلا في البلدة حيث تزوج امرأة منها ، واستقر فيها ؛ حيث أن زوجته توفيت قبل التقاعد بأيام .

هنأ الحاضرون نزيها على نجاته مرة أخرى ، ولما سئل عن إصابة خاله أجاب بأن الوضع حرج فقد استقرت الرصاصة الوحيدة في وسط الصدر ؛ ولكنها بعيدة عن القلب .

وأعلن أنه سيقيم وليمة لأهل القرية شكرا لله على نجاته من الغدر مرة ثانية ، ولانتهاء الغمة ، وزوال الخطر .

قال الشيخ عبد الله : الحمد لله على السلامة ، لم تكن مفاجأة كبيرة لك أنها طليقتك .. هل لها شريك في الجريمة الأولى ؟

قال مجيبا : تزعم أنها قامت بالفعل وحدها ، حضرت مرات متخفية للقرية ؛ حيث راقبتني ، وعرفت ترتيب حضوري لصلاة الفجر ، وفعلت فعلتها الجنونية ويبدو أن الشرطة لم يصدقوا كلامها ، ويعتقدون أن معها رجل ، لأن من عادتي الانصراف معك ومع أبي فور انتهاء الأذكار دبر الصلاة ونفترق قرب بيت وعمارة الوالد .. فكيف عرفت أنني سأقف أمام المسجد ؟! وذكرت أنها كانت تحضر مرتين للمنطقة عند الصباح ؛ لعلها تصدفني وحيدا خارجا من المسجد ..وجاءت الفرصة بأسرع مما توقعت .. وعندما أطلقت الرصاص تحرك الشاب فأصيب وأسرعت بالفرار ، وعادت لبيتها ؛كأن لم تفعل شيئا ، والأولاد لاحظوا في الشهر الأخير قبل القتل خروجها المتكرر ليلا ، فظنوا أنها تذهب إلى عشاقها للسهر والسكر إنما كانت تذهب إلى أحد الفنادق وقبل الفجر تأتي جمالة.

قال يوسف : هذه مجرمة كبيرة!

قال الشيخ المتقاعد : فكر شيطاني ! لعلها تقرأ أو تحضر أفلام ومسلسلات الشرطة فخططت ونفذت .

قضى القوم حتى الفجر يرحبون بالجيران والضيوف ، كلهم أقبلوا لتهنئة نزيه على نجاته ، والقبض على قاتلة المهندس خالد ، ولما ارتفع الآذان الكثير منهم انتقل للصلاة في مساجد البلدة.

أولم السيد نزيه وليمة كبيرة لأهل البلدة ، ودعا إليها كل من رغب حتى أنه دعا إليها عمادا وسليما ونعيما زملاء الجامعة ، وعلى رأسهم ابن عمه رافع.

كان اللقاء ممتعا وحدثا لا ينسى في جمالة ، وكان نزيه يقول لنداء : لا تحزني يا أم محمد على إجرام أمك.. فهي لم تحاول قتلي فحسب ، فقد قتلت إخوتك الثلاثة من شدة غلها عليّ .. كنت أراها مجنونة عندما نتشاجر ونتنازع عند مرضها .. قضيت أياما فعلا عصيبة .. كانت تهددني بالسكين أكثر مرة .. كنت أهرب للقرية خشية أن تنفذ تهديدها .. كنت أنام في غرفة وحدي مغلقا الباب بالمفتاح .. لا أكل من طعامها اذا طهت .. عشت معها في رعب .. لا أحس بالراحة والأمن إلا في هذه القرية وأترك المدينة .. أنا قادر على ضربها وإيذائها ؛ لكن نفسي لا تطاوعني تعودنا على احترام النساء .. وأعلم سطوة والدها وخالي شاكر لو آذيتها .. فكان الهرب .. ولما عدت يا بنيتي حاولت قتلي كما تعلمين ؛ لكن لم يشأ الله ذلك وكررت ذلك أمام أهلها .. المهم أن أموت قبلها فآذت عمها ، لم أمت كما رغبت .. حقدها كحقد بعير .. فلا أحب أن تحزني كثيرا يا نداء

كان سليم زميل نزيه في كلية التجارة قد حضر الوليمة التي دعاه إليها نزيه بصحبة ابنه خالد ـ وهو طبيب عيون في مستشفى خاص ـ والسيد سليم أكمل الدراسات العليا وحصل شهادة الدكتوراه ، وقد عمل أول أمره محاسبا في بنك ، وهو اليوم مدير عدة شركات ـ مجموعة من الشركات ـ واستمرت علاقته بنزيه ورافع ونعيم أشرف وعماد ونعيم محمد حتى اليوم وحتى ونزيه في الأرجنتين ، كانت بينهم مخاطبات ، تناول سليم الطعام وغادر عائدا للمدينة .

أما عماد فأصر الشيخ عبد الله على بقائه هو وزوجته في ضيافته ، ورتب لوليمة خاصة في بيته دعا

إليها نزيه والشيخ يوسف والمهندس نزار وزوجاتهم. ولما تناول الضيوف الطعام ، غادر نزار وزوجته وأمه المنزل ، وكان عماد يستعد للعودة للمدينة سلام بعد تقديم شكره الجزيل لقريبه عبد الله محمود . ولما جلسوا يشربون الشاي قال عماد : كبرنا يا نزيه ! والله ألف حمد لله على السلامة .. لقد نجوت بفضل الله.

أجاب : صحيح .. أنا أعرف بغضها من ذاك الوقت .. وأبي يعرف ذلك .. لذلك فضلت الهجرة مرغما ؛ ولكنه قدري .

واختلط الكلام ، وتحدثوا في السياسة ـ الموضوع الذي يستهوي عبدالله وعماد ـ حتى قال نزيه : ما أخبار الحزب ؟ منذ ظهرت الحركات الجهادية وحبها للعنف خفت صوتكم.

فال عماد : قبل الحديث عن حزبنا يا أبا ناصر .. لي صديق صحفي يرغب بسماع سيرتك وسيرة مطلقتك ونشرها .. فكر بذلك .. أما حزبنا فما زال قائما ، ويصدر بياناته ؛ ربما صار عددنا قريبا من المليون على مستوى العالم .. وما زلنا نسعى للخلافة ، وليس على طريقة القاعدة وغيرها من الحركات الجهادية ، ولابد من ظهورها قريبا كما أخبر النبي ﷺ في أحاديث ثابتة كما يقول الألباني في بعض كتبه صح يا عبدالله !

قال الشيخ مجيبا ومتذكرا : هناك أخبار نبوية بذلك منها قول الرسول : قال يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك . ورد هذا الخبر في كتاب سنن الإمام أبي داود وهو كتاب يعمل به أهل السنة والجماعة

قال الشيخ يوسف : كتاب معروف ومعتمد عندنا .. وفيه يا شيخ عبد الله أكثر من خمسة آلاف حديث .

ـ صحيح يا أبا إبراهيم .. وفي كتاب الإمام المبجل أحمد بن حنبل حديث آخر يخبر النبي ﷺ الأمة عن الخلافة الراشدة في آخر الزمان قال: تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها

إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت .

قال عماد : ولن تنسوا حديث فتح رومية كما فتحت القسطنطينية .

قال نزيه متعجبا من البشارة : يا الهي الإسلام يحكم روما!

قال يوسف : ألم يحكم هذه البلاد ويستقر فيها ليس على الله شيء بعزيز؟

قال الشيخ: نعم ليس على الله شيء بعزيز .. يرونه بعيدا ونراه قريبا.

جمال أبو الحسن

انتهت الحكاية بحمد الله



١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

أمــرأة نــزيــه

تعلق قلبه بحب أخواله في المدينة

حين تخرج من الجامعة تزوج ابنة خاله

أصيبت المرأة بعلة مؤلمة ، ولم تقبل أن يتزوج عليها

فهاجر إلى الغرب الأمريكي ليتزوج

ولما عاد بعد دهر تعرض للقتل

فعاود الهروب والاختفاء

هذه قصة نزيه وأسرته في بلدة جمالة

٢٠٢٠

رهاب الطلاق

جمال شاهين

منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

روايات اجتماعية

جمال شاهين

رهاب الطلاق

جمال شاهين

رهاب الطلاق

نادي الخط العربي

جلس مجموعة من الأصدقاء في نادي الخط العربي ؛ حيث يلتقي هواة ومحترفو الكتابة بالخطوط العربية التراثية والمتطورة والمعاصرة وأصدقاؤهم يثرثرون عندما لا يكون عندهم نشاطات ثقافية أدبية شعرية ، يتحدثون في أحوال البلاد ، وقضايا السياسة والاقتصاد والأسعار ، وكل يدلي بدلوه ؛ كأنه الخبير فيما يتحدث عنه.

وهؤلاء الأفاضل يعملون في مهن وحرف شتى ، الطبيب المهندس المحامي المدرس الشاعر الإعلامي ؛ الضابط ؛ لكن حب الخطوط يجمعهم كما يقال ، وبعضهم يتحدث عن همومه المتنوعة في العمل والوظيفة أو في البيت مع الأسرة مع الزوجة مع الأبناء مع الجيران مع الآباء والأقارب ، يسعون للتنفيس عن أنفسهم .

جلست مجموعة منهم تتحدث عن سيرهم بفشلهم في زواجهم ، وعلاقاتهم الزوجية ، ويشاركهم الإصغاء من يحب سماع قصص الطلاق والفراق ، فتراه معهم مصغيا لحكاياتهم ، مواسيا لنفسه أو لزميله في نادي الخط ، فهم أعضاء فيه لإشغال أنفسهم بالخط العربي وزخرفاته ونسيان القضايا والغموم أثناء الكتابة والتخطيط ، فالزواج والفراق حديث لا ينتهي ، فلان تزوج ، فلان طلق ، فلان ترمل ، ونظرة منك إلى دور المحاكم الشرعية ومؤسسات الإحصاء تتأكد من ذلك ، ناس فرحة وسعيدة بعقد الزواج ، وناس مقطبة وحزينة وهي تستلم عقد الطلاق .

أسباب التسريح والفراق كثيرة ، منها سوء الاختيار للشريك أو الشريكة ، ظروف معينة ، عادات وتقاليد لم تتغير بطول الأيام ، وأشياء أخرى منها الضعف الجنسي والأمراض والفرق الكبير في السن بين القرينين ، والحياة الصعبة والفقر والعجز ، وربما عدم الكفاءة والمجتمع المريض اجتماعيا ، ولا ننسى ضعف الدين وهجره ، والأفلام والمؤسسات الاجتماعية الضعيفة .

جلس المحامي طارق سليم ورفيقه عزيز وآخرون يستعرضون الأيام وحكايات انفصالهم ، لعلهم يواسون أنفسهم من هذا الفشل ونجاح غيرهم، لماذا فشلوا ؟! لماذا نجح غيرهم ؟!

نحن يهمنا أن نسمع القصة ونكتبها فأي تعليق قد لا يجدي نفعا !

بدأ المحامي طارق سليم بحكايته مع الطلاق في أسرته ، وعزيز فارس يصغي إليه بشغف وأسف . اذا كان هناك يوم أسود ويوم أبيض فكان طلاق أم طارق من سليم يوما أسود ، وسيزيد الظلمة في حياته ، وإن لم تكن الأيام جميلة وبيضاء في بيت والده فالمشاكل والنزاعات كثيرة في البيت ، فمنذ ولد وهو يسمع الصراخ والضرب والشتم واللكم ، وكلما كبر فهم أكثر.

لم تكن حياة سليم حياة مثالية فمنذ تزوج نهى شادير وهو يعيش معها حياة نكد ومشاجرات ، كانت في نظره سيئة وبلاء ابتلي به ، وتعتبره هي أسوأ رجل في العالم، وتلعن اليوم الذي رأتها فيه أمه ، ومالت إليها كزوجة لابنها سليم .

لما وضعت مولودها الأول عايدة ، ظن الأهل من الطرفين أن الأمور قد تتحسن وتهدأ المنازعات بينهما والتي تحدث في البيت كل ساعة ؛ ولكن الأمور ظلت على سابقتها .

ويقول له أخوه سعيد : لما تكبر زوجتك في السن ستتحسن وتبتعد عن المشاكل، فزوجتك صغيرة أربعة عشر عاما دون خبرة وتجارب ، فستكبر وستكبر الطفلة، فيرد سليم : أمي تزوجت في مثل سنها .. ساعة سوداء التي رأتها فيها أمي.

قال سعيد مبررا فعل أمه : أنت كنت ملهوفا على الزواج يا سليم ! لا تجعل الحق على أمك ، أنت لما رأيتها رأيت القمر ، وأحسن فتاة في العالم تشبه الممثلة المصرية فلانة ، لم تعد تحتمل الصبر عن الزواج ؛ بل أسرعت بالزواج ، لم تنتظر عودة أخيك سرحان من السفر للمشاركة في حفلة زواجك.

قال سليم مكسوفا : كنت أريد زوجة ، كنت أخشى على نفسي الفتن والنساء ، أصبحت ابن اثنين وعشرين سنة يا سعيد! ألا ترى الكاسيات العاريات أينما مشيت ؟!

قال سعيد : عليك أن ترضى بنصيبك وقدرك.

قال سليم مادحا حماه : والدها رائع! ويقف بجانبي .. المأساة أمها تقويها عليّ وتتهمني بالظلم وإهانة ابنتها التي هي امرأتي .. هل ضرب الرجل امرأته يصبح ظلما ؟!

قال سعيد : غلط أيضا أن يضرب الرجل امرأته!

قال سليم : إنها تثير أعصابي وغضبي يا سعيد! إنها لا تحسن الطبخ والنفخ ، ولا كوي الملابس ولا غسل الثياب .

قال سعيد : إنها صغيرة ! ولم تكن أكبر أخواتها ؛ لتتعلم قبل الزواج ، لم يلحقها دور التدريب.. الكبرى أولى ؛ لأن الناس تتوقع زواج الكبرى قبل الصغرى فتأخذ الأمهات بتدريب الأكبر على أعمال المنزل يا فهيم !

قال سليم : يا رجل ! لها عندي سنتان ، ولم تتعلم شيئا.

قال سعيد : سوف تتعلم يا سليم! الصبر مفتاح الفرج والنجاح.

قال طارق للسامعين : وضعت أمي مولودها الثاني ، وسموه طلالا ، بعد استراحة الولادة وزيارات الناس للوالدة ، رجعت المشاجرات والعنف والزعل والحرد والصلح حتى أنها صارت تسيء لحماتها بدون حياء ، ولا تجلس معها ، ولا تلتقي بها ، وتتهمها بأنها زوجتها وحشا لا بشرا.

ونتيجة لهذه الكلمات تنشب المعارك ، يضرب سليم زوجته ، ويرتفع الصراخ والعويل ، ويفزع الجيران والإخوان ، هذه حياة سليم، فطالبته أمه بأن يرحل لبيت مستقل ، لم تعد الجدة تحتمل مشاكله وأم طلال ، فرفض الطلب.

وقال : لا آمن عليها أن لا تخونني أثناء ذهابي للعمل.. تربيتها فاسدة ، فهي تهددني دائما بالهرب وترك الدار .

عاد يوما من الشغل ، ووجد الدنيا مقلوبة رأسا على عقب، فقدت مدت يدها على أمه ، دفعتها بقوة فسقطت على الأرض ، فقامت بناتها عماتي بضربها بالأحذية والشباشب ، فطردها سليم بعد ضربها إلى بيت أمها.

قضت بضعة أشهر عند والديها ، ثم تدخل أهل الإصلاح ، وردوها لبيت زوجها ، واعتذرت لعمتها حماتها وقبلت يدها ورأسها ، وخيم الهدوء والسكون على البيت عدة أيام فقط . وضعت

أمي مولودها الثالث ، وكانت أنثى سميت عالية ، شجع بعض أصدقاء سليم بالزواج على امرأته عساها تعقل ، ما دام عاجزا عن طلاقها بعد ولادة ثلاثة ، بقولهم الساذج لا يفل الحديد إلا الحديد ، ولا يغلب المرأة إلا المرأة يقصدون الضرة، وأخذ هذا الاقتراح حيزا من فكره ، وفكر أن يتزوج سرا عن أسرته وزوجته ،ولكنه لم يجد من تقبل به بهذه الصورة ، زواج بدون علم الأقارب وأمه وزوجته .

فأخذ يقلل من وجوده في البيت ، يتعشى بعد العمل ، ويخرج ويسهر في المقاهي وعند الأصحاب ، وزوجته غير مبالية بسهره ، وحتى أنها لا تفتح له الباب أو تقدم له الطعام بعد السهر ، تجعل من نفسها غارقة في النوم . ولد الرابع طارق سليم ، لم تخف وتقل المنازعات ، واعتاد سليم السهر في المقاهي ولعب الشدة لجوف الليل ، وبدأ السفر في رحلات خارج البلد بزعم الراحة والسكون والاستجمام.

وأخذت الإشاعات تسري عنه ، وتردد في البيت الكبير أنه يدخل الخمارات ودور البغاء ، وهو يقسم للأسرة بكذب ذلك.

فقال له أبوه : اذا كنت تفعل ذلك بسبب امرأتك طلقها، وتزوج غيرها.. خمر.. زنا ، لا أقبله لأي ابن .

قال سليم : والأولاد!

- يذهبون معها .

قال سليم : والنفقة عليهم !

فقال أبوه : ألست تنفق عليهم ؟ أنا لا أحب أن أسمع أنك تسكر وتزني بحجة المشاكل مع أم طلال .. فأنت لا تسيء لنفسك وحدك ، أنت تسيء لنا لأخواتك للعائلة ، لا تجعل زوجتك شماعة للفجور .. تمنعك من القرب منها ، طلقها وأرح رأسك.

قال سليم : والأولاد!

فقال له أبوه : لست أول من يطلق وله أولاد ، أو تزوج عليها.

قال سليم : لا تقبل تريد الطلاق قبل الضرة .. تناقشنا في الموضوع.

فقال له أبوه : خلاص طلق يا ولدي ! منذ تزوجتها وأنتما في فضائح ، ومعارك البسوس .

قال سليم : سأفكر بذلك .

فقال أبوه : إياك مما أسمع .. سأطردك من البيت العائلي ، وأغضب عليك.. لا يكون حل المشاكل بالخمر والزنا.

قال طارق: لم أدخل المدرسة عندما رحلوا من بيت جدي منذر ، سكنّا ببيت قريب من بيت جدي شادير كان الرحيل مؤلما وقاسيا ، حملت السيارة الأثاث من بيت أبي إلى البيت الجديد وعلمت من أخوات أمي أن أمي طلقت ، وفهمت منهن أن أبي تخلى عنا لأمي . برغم الطلاق واختفاء أبي من بيتنا وحياتنا ما زالت أمي عصبية ومتوترة باستمرار ، تصيح وتصرخ فينا لكل سبب مهم وغير مهم ، تتشاجر معنا بدلا من أبي ، وتتشاجر مع أمها جدتي حليمة في كل زيارة لبيت جدي بزعم أنها سبب زواجها من أبي وتزويجها بسن مبكرة ثم طلاقها ، وحرمتها من تكميل المدرسة والجامعة وأفسدت عليها حلمها ؛ حيث كانت تحلم بالعمل ممرضة ، مدرسة مثل شقيقتها أو قريباتها.

دخلت المدرسة بعد حادث الطلاق ، وعلمت أن أبي يرسل لنا المصروف وإيجار البيت ، لم يغمر السكون البيت ؛ كما كنا نرجو ونحلم ، كنت أرى الأكبر مني يبكون ، ويضربون ، ويصرخ في وجوههم ، ويتلقون البصق والسب ، كثيرا ما رأيت عايدة وعالية في بكاء ، وتمسحان الدمع باستمرار ، ولم تعودا تتحملان عصبية أمي ، فتهربان لبيت الجد شادير ، وعلمت أن جدتي بعد شهور من الطلاق والرحيل أخذت تسعى لإعادة أمي لزوجها أبي ، ولما فشلت في مسعاها فأخذت تسعى لتزويجها من رجل آخر ، وأمي ترفض الزواج ؛ ولو من الوزير ، وبينت رغبتها بالعودة للدراسة رغم بلوغها السابعة والعشرين ، وتحدث المشاجرات بسبب هذه الرغبة ، وأسمع والدها يشجعها على الزواج بدل المدرسة والكلام الفارغ ، وأن تعيدنا لأبينا بدل تحمل مسؤوليتنا ، وأمي ترد وتقول : لو رميتهم على سليم فلن أتزوج ، أريد أن أبقى مطلقة بدون

زوج .. هو الزوج غنيمة !

سمعنا بعد سنة وأكثر أن أبي وجد من تقبل به زوجا ، وأن زوجته ترفض قبولنا للعيش معها فلنعيش عند أمه ، ونحن الأربعة لم نحب العودة للعيش معهم، نريد البقاء مع أمنا المتمسكة بنا ، وترفض الزواج من أجلنا ، ونتمنى أن يغمر البيت السكون .

كانت عايدة تهتم بتدريسي ورعايتي في المدرسة ، كانت صبية قد بلغت سن الرشد والبلوغ ؛ كما أسمع ، وأصبح عمرها في سن زواج أمي نهى شادير ،كانت حياتي رغم صغري عذاب مع أمي ، لا تهدأ ، ولا تكل ولا تمل من النزاع والشجار حتى مع جاراتها ، الحياة مع أمي كانت صعبة وقاسية وبذيئة بألفاظها القذرة ؛ مسببة للحرج والقبح للذكور والإناث ، ونتعرض للصفع والرفس بسبب وبدون سبب ، وكان همها الأول العودة للثانوية العامة والدراسة . لم تكن حياتنا أصلح وأحسن من بيت أبي ، لم تكن حياتنا سعيدة في البيت الجديد صياح ضرب هرب لبيت الجدة ، كثرت المشاجرات الحادة مع الجدة جارتنا ، جدتي راغبة بزواج أمي قبل فوات الأوان ، وأمي ترفض بشدة ، وهمها التقدم لامتحان الثانوية العامة .

ولما أنهيت الثاني الابتدائي طلقت خالتي فايزة ، كانت مثل أمي كثيرة المشاكل وإن بصورة أقل طلقها الأستاذ عيسى احمد ، وسبب تركها وطلاقها عجزها عن الخلفة والولادة ؛ كما علمت عندما كبرت ، وأما جدتي فادعت أن زوجها هو الضعيف والعاجز عن الإخصاب ، وأن ابنتها سليمة وصحتها سليمة ، وكان طلاقها متوقعا كطلاق أمي نهى ، رجعت للعيش مع والديها ؛ ليس معها ذرية لتعيش مثلنا في بيت مستأجر ، وهذا أزعج كنائن جدتي ، وأنا الصغير كنت أفكر لماذا يتزوج الناس ويتطلقون بعد حين بعد سنوات؟! عقلي الغريزي لم يستوعب القضية ، أمي طلقت بسبب زواجها أبي رغما عنها ، وأنها تزوجت صغيرة على الزواج ، لما كبرت ونضجت فوجدت في الحياة أن هذا ليس سببا لحصول الطلاق ، فالكثير من الأمهات تزوجن في سن صغير ، حتى قانون الأحوال الشخصية يجيز زواج ابنة الأربع عشرة سنة ، ثم رفع إلى ست عشرة سنة لقلة زواج البنات في ذلك السن ، وإتاحة فرص الدراسة للبنات ، فتصل البنت

إلى ثماني عشرة سنة لإنهاء الثانوية، أقصد عندما يجيز القانون زواجهن بهذا العمر فهن أهل للمعاشرة والولادة . فأبي بعد طلاق أمي فتح مطعما خاصا به في المدينة ، انفصل عن شريكه غيث ، وكان يستقبلنا في الشهر مرة .

****

لما أنهيت السنة الابتدائية الثالثة علمت أن أختي الكبيرة كبرت وتركت المدرسة لتتزوج فهي في عمر يصح به زواجها، وجدتي تلح على زواجها ، وهي نفسها ترغب بذلك لتخلص من شرور أمها ، وكانت تصاحب أبناء الشوارع الذكور ، ولا تهتم لزجر وعادات حسنة ، فلما كثر الكلام على عايدة أخذت جدتي تبحث لها عن عريس ، فأمي غير مبالية بأخلاقنا ، فأولاد أخوالي وخالاتي وجدي مستاؤون من أفعال عايدة وعلاقاتها الغرامية مع شبان الأحياء الأخرى ، حتى أنها كانت تأخذني معها عند بعض مقابلاتها الغرامية ، وكنت استغرب اجتماعها بمثل هؤلاء الأغراب واسمع غزلهم لها وتقبيلهم لها في عتمة الليل ، وكلام الحب والغرام . وأبي لما سمع أن أحدهم تقدم إليها رحب بذلك سريعا ، فقد وصل إليه خبر مشيها مع المراهقين من أخوالي وأبنائهم ؛ لأنهم سعوا إليه ليأخذها من حضانة أمنا ويرفض أخذ بعضنا يطلب بأخذنا كلنا الأربعة ، وأمنا ترفض .

وخلال عطلة الصيف رحلت عايدة كزوجة ، كان زوجها شابا يعمل نجارا من حارة بعيدة عن حارة جدي ، وأمه صديقة لجدتي أم أمي ، واحتفلنا بزواجها كما يحتفل أهل الحي ، ويستطيع المرء السير إلى بيتها مشيا على القدم في أقل من ساعة نكون عندها ، أحسسنا ببعض الفراغ بعد رحليها ، ثم أصبحت ذكرى في حياتنا ونحن نصارع هذه الحياة بحلوها ومرها ، وبعد انتهاء قصة بكر أمي عادت الجدة تلح على أمي بالزواج ، أسمعها تقول : الأولاد سيكبرون ويتزوجون وتظلين وحيدة والسنوات تمضي ، وعليك بالزواج قبل فوات الأوان ، وأنك ما زلت شابة لم تبلغ الأربعين ،وستجدين من يقبلك كضرة مع نسائه .

ولكن أمي نهى ترفض فكرة الزواج نهائيا وبشدة ، وإنما كرهت الرجال والأزواج، وكانت قد

حاولت النجاح في الثانوية العامة ، ولم تفلح في المرة الأولى ومرة ثانية وفشلت ، ثم استسلمت للفشل ، وأخذت تفكر بالعمل خارج البيت بحجة أن ما يدفعه أبي أصبح قليلا لا يكفي الإنفاق على البيت مع أن البيت نقص مصروف عايدة ؛ ولكن جدي وأخوالي رفضوا هذه الفعلة . وبعد شهور من رحيل شقيقتي أخذت أمي وجدتي تكرران من زيارتها خلال الأسبوع فعلمت أنها حامل وعلى وشك الولادة بمولودها الأول ، فتذهبان لمساعدتها بأعمال البيت ، وطهو الطعام لزوجها.

أنا كنت أقضي نصف نهاري في المدرسة ، والنصف الباقي في اللعب مع أطفال الشارع ، كنت أحب اللعب والشارع أكثر من البيت ، صراخ وزعيق الشارع أهون على نفسي من زعيق وصياح أمي ، ورغم ذهاب عايدة ظلت المشاكل والنزاعات والعويل في البيت ، تحول وانتقل أكثرها لأخي الكبير طلال ولأختي عالية، وشتم الأب مستمرا في جو البيت ، وحتى لأبيها وأمها ؛ كما يشرب أحدنا الماء ، وأم أبي لها حصة في السب والقذف بألفاظ بذيئة واتهامها بالعهر والفجور كلمات أخجل أنا الذكر من نعت أحد بها ؛ لأنهم دمروا حياتها وحرموها من إكمال مدرستها ، وكانت تلعن الساعة التي رأتها أم سليم مع أمها وأحبتها ودخلت قلبها ، ورغبت فيها حليلة لابنها ..أبي.

كنا نذهب لمطعم الوالد في وسط المدينة ؛ حيث أصبح مالكا لمطعم ، كما حدثت سابقا ، وقد انفصل عن شريكه ، وكان يكرمنا بوجبة وببعض المال ، وكنت أحس بأنه غير مسرور من زيارتنا الشهرية ، منذ طلقنا لم يدعنا لبيت جدي أو التعرف على زوجه الأولى والثانية ، وكان يهملنا ويطلب من عمال المطعم عدم الاهتمام بنا كثيرا حتى نمل وننصرف بسرعة ، فيعطينا بعض قطع النقود لنعجل بالعودة لأمنا .

كنا نعلم وندرك أنه تزوج بعد ترك أمنا ، وطلقها بسبب عجزها عن الحمل العاجل ، ثم تزوج الثالثة ، وما زالت على ذمته ؛ كما نسمع من الجدة ، وهي امرأة مطلقة مثل أمي ، ولها أولاد من

طليقها الأول أو الثاني، وعلمنا أنها لم تلد من أبي حتى ذلك الوقت ، وسمعت جدتي تقول لأمي بأنه غير قادر على الإنجاب بعد طلاقها ، فقد قامت الجدة بعمل سحر لأبي وشعوذة أدت مفعولها فيه .

أنهى طلال الثانوية بنجاح كبير رغم بيئة بيتنا السيئة والظروف الصعبة ، ورغب بدراسة الطب ورفض أبي تقديم أي دعم ومساعدة بأعذار شتى ، لا صحة لها ، وطالبه بالعمل بدل تضييع سبع سنوات في الطب ، وتعلم غز إبر ، وحمل سماعة طبية على رقبته ، وأنه غير ملزم بتعليمه، فغضب طلال منه وهجره ، ولم يعد يصحبنا للمطعم وزيارة سليم أبي ، واستعان بمساعدة بعض الخيرين بجمعيات خيرية تقدم مساعدات للدراسة ، وقبلته الجمعية ، فصرت أذهب وحدي لزيارة أبي ، وأنقل له أهم أخبارنا ، وأحيانا ترافقني عالية للخروج من جو البيت ، ولعن أمي وصياحها الذي تعودنا عليه ، وكانت ترفض أي شيء يقدم لها من أكل وحلوى ومال . تفاجأنا لما استقر شقيقي في كلية الطب بطلاق عايدة ، ورغم التوقيت المفاجئ كان هذا متوقعا من كثرة المنازعات ، كانت نسخة عن أمي ، وصمد الزواج خمس سنوات ، نتج عنه طفلان ، ورغم الوساطات أصر الزوج النجار على الطلاق وأختي نفسها ترفض الرجعة ، وأنهت العدة الشرعية في بيت أمي ، وكانت أمي طلبت منها إعادة الطفلين لأبيهما ؛ لرفضه الإنفاق عليهما إلا بما قررته المحكمة وهو مبلغ بسيط ، لا يفتح بيت ، ولا حتى إيجار بيت ، وتنازلت عن حضانتهما لحماتها ، وخيم على البيت الألم والحزن على الخيبة والفشل ، ورحل طلال إلى سكن طلبة خارج أسوار الجامعة.

كنت أسمع وأصمت ، لم يشتد عودي للتدخل في مشاكل الكبار ؛ كما تقول لي أمي ، ثم أصبحت غير مبال بأمر الأسرة ، بعد شهور ستة من الطلاق تقدم رجل لشقيقتي المطلقة وقبلت به أمي سريعا ؛ كأنها تريد التخلص من عايدة ، هكذا بدا الأمر ، وعلمت أن هذا الرجل هو سبب طلاقها من زوجها ، وهو الذي شجعها على الطلاق ليتزوجها بزعم الحب والهوى ، وانخدعت به ، وكانت تلتقي به خفية وعرف زوجها بخيانتها وحبها ، فكان الطلاق. ورفضت

عالية أي زواج قبل الجامعة ، ووافقتها أمي على ذلك ، ولم تقبلا بأي عريس من قبل أم أمي ، ولا من قبل وطرف أبي ، وأخذت الثانوية العامة بنجاح وقبلت في الجامعة ، ووافقت الجمعية على مساعدتها ؛ كما تساعد طلالا .

اقترب امتحان الثانوية لي ، لحقت بهم ، طلقت عايدة من حبيبها رايق ، وقد ولدت له طفلا واحدا ، وسعى أهل الخير بينهما ، فرفض عودتها بحجة أنه بدأ بمشروع زواج جديد ، وأنها غير أمينة على شرفه وسمعته ، وهو الذي أفسدها على زوجها النجار .

أنهيت الثانوية بنجاح ، وكانت عايدة تزف لزوج ثالث ، رجلا يكبرها بعشرين سنة ؛ لكنه فتن بجمالها وملاحتها كما زعم لنا ، هي كانت تفرح بالزوج ، وكنت أفرح بكلية الحقوق ، وبدعم من الجمعيات وقرض تعليمي من الحكومة .

*****

تيسر لأخي الكبير الدراسة في كلية الطب ، كما حلم ورغب وعلى حساب جمعية الخير على أن يسدد نصف القيمة والمصاريف عند الوظيفة ، الطب يستغرق سبع سنوات تعليم ، وذكرت أن أخي ترك البيت عندما طلقت عايدة ، وعادت لبيت أمي ، وسكن مع زملاء في سكن خارج الجامعة ، وكان قليل الزيارة لنا ربما في الشهر مرة ، ويطلب بعض المال لينفقه على نفسه من جدي أو أخوالي، ومرات توجهه أمي لأبي ، فيضطر أمام ضغط الحاجة أن يذهب فيتحصل على القليل ، والكثير يتحصل عليه خاصة في سنواته الأواخر.

أبي كان يدفع أحيانا رغم رفضه لتكاليف الدراسة ؛ لأنه لم ينجب من نسائه بعد أمي ، وتزعم جدتي بأنها عملت له سحرا وحجابا قضى عليه ، وثانيا أصبح يقال له أبو الدكتور طلال ، فينتشي أمام رواد المطعم وأهله ، وكان طلال يستغل ذلك الإحساس فيغامر بالذهاب إليه وقد قضى أكثر من سنة لا يقابل أباه ، ونحن نراه بين الحين والآخر.

أمام إصراره تقدم في السنوات ، وكان لا يحب الشكوى ؛ فكان والد أمي يعطيه بين الفينة والأخرى خفية عن أبنائه ، ويمدح شجاعته وعزيمته .

أنهت عالية دراسة بكالوريوس اللغة الإنجليزية قبل إنهاء سنوات الطب السبعة، فشهادة الآداب أربع سنوات فحسب ، وفي آخر سنة تعرفت على شاب ؛ كما زعمت ، وجاء لأمي خاطبا فقط ، والزواج بعد التخرج والعمل ، وفعلا حدث ذلك تزوجا بعد التحرج ببضعة شهور ، وعملت عالية في قطاع التعليم ، وهو مثلها ، هما يزعمان أنهما تزوجا عن حب وتعارف ثم تبين أن هذا غير صحيح فبعد أقل من شهرين حردت عن بيت الزوج من مشاجرة صغيرة بينها وبين حماتها اضطر الشاب أن يصف مع أمه ، وحدث الصلح بعد أسبوع وعادت لبيت الحبيب بحلم أن يعيشا وحدهما خارج بيت الأسرة الكبيرة ؛ ولكنّ إيهابا عاجز عن تنفيذ هذا الاقتراح بحكم أنه أكبر أفراد أبيه ، وأنه تعلم على نفقتهم وماهم فهو لا يستطيع اتخاذ القرار وحده ، فبعد أن يتعلم أحد إخوته ويتزوج ، فيفرغ له الشقة ويستأجر بيتا ... متى هذا ؟ الله اعلم .

المحاماة أربع سنوات مثل الآداب ، طلال تخرج قبلي بعام ، عرض أبي عليّ الزواج من ابنة أخيه بعد تخرجي ، فرفضت ، ولا أرى الزواج مهما في حياتي أنا ، فاستعرضت طلاق أمي ، وطلاقه من زوجته الثانية ، وذكرت عايدة خلال سنوات تزوجت ثلاث مرات ، زواج نهايته طلاق لماذا ؟! خالتي طلقت ، عالية كادت تطلق ، أصبح زواجها على مهب الريح ، واذا فكرت بالزواج يوما ما سأتزوج أجنبية إنجليزية أو فرنسية.

فيضحك الوالد ويقول : ومن أين ستأتي بهذه الإنجليزية وأنت في هذا البلد الأسود العقيم ؟

فأقول : سأسافر إلى هناك إلى بريطانيا لدراسة الماجستير أو الدكتوراه ، سأعمل وأجمع بعض المال ، وأسد بعضه للجمعية التي صرفت عليّ مصاريف الجامعة ، وها أنا بدأت بالمراسلة لجامعاتهم.

فيضحك أبي ويقول : سنصاهر الإنجليز آخر الزمن ! ويصير لي كنة إنجليزية.. كيف سأتحدث معها؟!

قلت مازحا : تتعلم الإنجليزي.

قال معترضا : هي تتعلم العربية.

فصرت كلما ألقاه يهمس : تزوج بنت أخي، بنت عمك ، أخي بحبك .

قلت بقسوة : أين كان حبه لما طلقت أمي؟ أين كان حبه لما دخلت الكلية ؟ تخليتم عنا أنت وعليتك ، تسولنا من الجمعيات .

اشتغلت في مكتب محاماة متدربا حتى يسمح لي بمزاولة العمل ، تعليمات وزارة العدل.

عملت كمتدرب في مكتب أحد المحامين المهمين في البلد وذلك بشفاعة وواسطة خالي الدكتور رمضان شادير ، وكنت فعلا مقتنعا بفكرة الزواج من أوروبية لكثرة الطلاق في حياتي سواء من جهة أمي أو من جهة أبي ، أبي مطلق ، وطلق الثانية ومشاكل بينه وبين زوجته الثالثة معها ومع أولادها الذين شبوا كما نسمع ونخبر ، وطلاق أمي وخالتي ، الحق أن خالتي كانت مظلومة في طلاقها؛ لأنها لا تحبل عاقر ، وأمي كانت ترفض الزواج ثانية ، وحاولت الدراسة ولم تفلح ، ثم رأيت طلاق أختي الكبيرة كرتين ، ثم استقرت في بيت رجل يكبرها بعشرين سنة ، وأختي المتعلمة والمعلمة زواجها في مهب الريح ، ويرفض زوجها ترك بيت والديه ، وتزوجت خالتي العاقر رجلا لمجرد خدمته وإمتاعه جنسيا اذا كان عنده طاقة لذلك ، فزوجته عليلة، ولا يريد المزيد من الخلفة .

تخرج طلال وعمل في مستشفى خاص ، بقيت أنا مع أمي في البيت ، وأبي طبعا توقف من زمن من دفع مصاريف البيت ، فقد انتهت الحضانة . وطلال يشجعني على الزواج فأقول أنت الأولى أنت الكبير ، فأخبرني أنه قريب من الزواج ، فقد صادق طبيبة تكبره بسنتين منذ سنوات ؛ ربما يغامر ويتزوجها فاعترضت على كبر سنها.

فقال مبررا : عرفتها في الجامعة ، وهي طبيبة جميلة ومحترمة بمعنى الكلمة ، وتخرجت قبلي ، وجرى بيننا استلطاف وإعجاب ، وسأصبر سنة فإذا لم تتزوج سأتقدم لها وأغامر .

أخي يرى الزواج مغامرة ، وفعلا بعد تخرجه بعام ونصف تزوجا ، وقد ظلت الفتاة تنتظره ،

وتمهل أهلها ، حتى حصل بينهم المقدر الزواج ، وكان والدي سيد وديك الحفل ؛ كما أحب أن يظهر ، وكان يشيع أنه هو الذي تكفل بتدريسنا ونفقاتنا ، ونحن نعرف كذبه بهذا الاستعراض والكثير يصدق ويثني عليه ،ولما يتحدث أحدهم لنا بذلك ندهش ، ومضى العرس بسلام ، وطلال لم يكترث لما أشاع سليم للناس .

وقال بأدب : هو أبي ،والمقربون يعرفون من تكفل بتعليمنا .

فبعد زواج شقيقي قررت دراسة ماجستير في القانون ، وانتسبت لأهم جامعة في البلد ، وعملت في شركة قانونية كبرى ، واشتريت سيارة صغيرة ، وخططت لدراسة الدكتوراه في بلاد الغرب تعرفت على فتاة تدرس مثلي في الجامعة ، وأعجبت بها ، حسناء بمعنى الكلمة وراودتني فكرة الزواج منها ، ونسيان بنات الغرب ، وتركت مراسلة الأجنبيات اللواتي يتركن عناوينهن في صفحات المجلات الأجنبية للتعارف والمراسلة ، علمت منها أنها خطبت فترة قصيرة من قريب لعائلتها ، ثم تركا بعضهما ، سعيت لمعرفة سبب الانفصال والبعد ، فزعمت أنها لم ترض تصرفاته ، ولم ترتاح لأمه.

سمحت لنفسي بالجلوس معها والحديث عن حياتنا الخاصة ، وعن أحلامنا ، ونتناول الطعام في المطاعم ، وبعض السهرات في المسارح ودور السينما وتبادل الهدايا .

ذات جلسة قالت: أخبرتني بأنك ما زلت أعزبا .

قلت : نعم.

قالت : ألم تفكر بالزواج؟

قلت : أفكر فيه مثل خلق الله ؛ إنما أخافه.

قالت : لماذا؟!

فتحدثت لها عن طلاق أمي وأبي وأختي وخالتي ، وقلت: لماذا الزواج ونهايته طلاق ؟!

قالت : هكذا الحياة.. رجل لم ينسجم مع امرأته فماذا يكون؟ الطلاق هو الحل.

قلت : الطلاق سيء يا سامية! يقسم العائلة إلى عائلات مشاجرات حرب إشاعات ظلم

الأطفال .. كانت أمي أحسن حالا عند زوجها ، سمعتها طيبة .

قالت : أمك ليست هي المقياس، هي تزوجت في سن صغيرة لم تستوعب الزواج والحقوق والواجبات ، وتزوجت دون رضاها الكامل ، لتقبل وتتحمل مسؤولية خيارها .

قلت : ولماذا تتزوج بغير رضاها يا سامية ؟! كانت تصب سوء اختيارها علينا نحن .. تصب غضبها علينا ؛ كأننا نحن الذين زوجناها لأبي ، أبي كان مهملا لنا غير مهتم بتربيتنا ، وحتى الإنفاق علينا ، ولولا حكم المحكمة لما دفع لنا شيئا ، الحقيقة مرة حياة المطلقين .. صعبة وعذاب بصمت سواء للرجل أم المرأة.

قالت : لا يصح أن تجعل حياتك مقياس للمجتمع وللسعادة والشقاء ، فجداتك من الجهتين لم تتطلقا ، وأعمامك وأخوالك كذلك ، شرع الطلاق كما تعلم حلا لمشاكل زوجية يا طارق ؛ لذلك طلاق النصارى ممنوع خاصة طائفة الكاثوليك إلا بحدود ضيقة، لذلك يقال زواج كاثوليكي ، نتيجة لصعوبة الطلاق يقبل الزوجان الخيانة الزوجية بكل صمت .. فمشاكل الحياة لا تنتهي .. مشاكل في البيت في العمل في كل مكان .. ونحن محامون أليس كذلك ؟ تعلمنا لمعالجة ومساعدة الناس في حل المنازعات والقضايا .. فحياة الناس اليوم خاصة المدن معقدة وكثيرة .. وأنا متخصصة في قضايا الأسرة والمرأة الشرعية .. فالنساء ضعيفات أمام الأزواج والقهر من الزوج ومن أهلها .. وفي الغالب تنتهي القضايا بالصلح .

قلت : قضايا الأسرة كثيرة ، وبخبرتك ما هو أكثر سبب للطلاق؟

قالت بعد تفكير : الأسباب والدوافع كثيرة ، والأهل لهم دور كبير سواء من جهة الأب أو من جهة الزوجة، فعدم انسجام الزوجة بحماتها وحميها وذريتهم تكثر النزاعات والاتهامات ، وضعف استقلال الرجل عن الأسرة في حياته ومشاكله ؛ وربما عدم قيام الزواج على الكفاءة يسبب النزاعات ، وكذلك المستوى الاجتماعي بين الزوجين ، فالأهل لا يعرفون بعضهم إلا بعد زواج الشابين ، طباع عائلة الزوج تختلف عن طباع أسرة الزوجة ، والانصهار يحتاج لزمن لذلك تجد زواج أهل الريف أقل طلاقا من زواج أهل المدن ، وكل له طريقته في حل المشاكل ،

ويتعجلون في الإنجاب سعيا في تثبيت الزواج من أي هزة ومحنة ، والإنجاب السريع قبل التكيف يذهب ضحيته المواليد ، الأهل يرون الإنجاب سدا لنجاح الزواج والزوج أو الزوجة يريان الخشية من الضعف الجنسي في تأخير الحمل ، وتكثر الإشاعات والأقاويل اذا تأخرت في الحمل ، وعند الطلاق لا يقف الأطفال مانعا وعائقا للانفصال ، ولا الأخلاق تمنع ذلك .

قلت : الطلاق فعلا مشكلة يا سامية ! مشكلة اجتماعية تعم الأرض .

قالت : لذلك في الغرب يسمحون للعلاقات خارج بيت الزوجية خارج قانون الأسرة ، وهذا لا ينفع عندنا لارتباط اجتماعي كبير بين العائلات ، البالغ عندهم لا يكلف والده بالتدخل بحياته والإنفاق عليه ، ويكون بينهم الشباب والشابات علاقات شبه زوجية دون عقد زواج موثق.

****

كانت دراستي الماجستير مسائية وليلية ؛ لعملي صباحا حتى العصر ، فالدراسة سنتان أربعة فصول على الأقل ، وإعداد رسالة قانونية في نهاية الدراسة ومناقشتها أمام لجنة من رجال القانون في الجامعة. كانت صداقتي لسامية خلال هذه السنوات ممتعة ، نقضي ساعات الفراغ سوية في المطعم الجامعي أو مطعم خارج أسوار الجامعة ، حسب الفراغ بين المحاضرات نجلس في ساحات وحدائق الكلية أو مكتبة القانون في الجامعة لإعداد أبحاثنا الجامعية ، وتقليب صفحات المراجع الكبيرة . كانت حياتي أمامها ، علمت قصة حياة أبي وأمي والأسرة هي لم تكن لديها الشجاعة ؛ لتتحدث عن نفسها وأسرتها بالكثير من التفاصيل ، حدثتني عن أخ يكبرها بسنوات ، ويعمل مهندسا ، وبدا لي أن علاقتها به جيدة وممتازة رغم أنه متزوج ، ويسكن في فيلا بعيدة عن بيت الأسرة ، هو الوحيد الذي علمت منها بعض حياته وسيرته.

ذات يوم قالت: ألا تريد الزواج بعد الماجستير أم ما زالت عقدة الأجنبية في نفسك ؟

قلت : الحقيقة لم أتخلص من فكرة الزواج بأوروبية.

قالت بابتسامة : وهل لا يتطلقون أولئك ؟!

قلت : الطلاق في كل المجتمعات حسب معلوماتي حتى الكاثوليكية.

قالت : إذن جرب الزواج من عربية.

قلت : ما زال صراخ وصياح والديّ في أذناي ، طلاقهما حصل وأنا صغير ، نستيقظ من النوم على صياحه وشتمه وذلك قبل ذهابه للمطعم، معركة في الليل معركة في العطل .. معارك .. ولما حصل الطلاق ، لم أفهمه بعد يا سامية ! كنت على وشك دخول الصف الأول ، ولما رحلنا عن بيت أبي وأسرته ظلت أمي تصيح وتصرخ في وجوهنا ووجه أمها على الحامية والباردة كما يقال ، ولا نفهم لماذا الشجار مع الجميع ؛ كأننا نحن الذين طلقناها.

قالت : وكيف هي اليوم بعد أن خلت الدار ؟

قلت : تريد أن أتزوج وأسكن معها ، فأقول لتفضحيني بالشجار ، لو تزوجت سأهرب مثل طلال شقيقي الطبيب.. اليوم تذهب لجدتي أمها تتصايح معها، وما زالت تتهمها بتدمير شبابها وتركها المدرسة .. أبي رغبني بالزواج من ابنة أخيه ، وهي تلح عليّ بالزواج من ابنة أخيها أو أخواتها.

قالت : وهل بينت لها رغبتك بالزواج من إنجليزية كما تحلم؟

قلت : راسلت بعضهن ، فأنا أتقن الكتابة والقراءة بلغة الإنجليز حتى اذا ظهرت رواية مترجمة ولها دعاية وصورت فلما ، أطلبها بلغة الإنجليز ؛ ليس حبا بهم ؛ إنما لغتهم لغة عالمية يتواصل الناس بها في أنحاء مدن العالم الكبرى، لولا المال لأخذت الماجستير عندهم ؛ ربما الدكتوراه افعلها ؛ لعلي أفتح شركة واعمل في التدريس مثل هؤلاء المدرسين، أنت تعلمين قيمة شهادة بريطانيا فرنسا ، لها أهمية في البلاد المستعمرة عربية كانت أو إسلامية.. أنت لماذا تهتمين بزواجي أم مجرد حديث لتمضية الوقت ؟ هل مللت من جلساتي؟

قالت : أنا أستمتع بسماعك يا طارق ، والجلوس معك ومرافقتك للمسرح والسينما وأقدر احترامك لي !

قلت : ألا تتحرجين من ذلك يا سامية!

قالت : لا ، منذ دخلت الجامعة ملكت نفسي ملكا حقيقيا ، لا أحد يتدخل في حياتي الشخصية لا أب ولا أم ولا أخ ، المهم أن أحسن الخيار في الأصدقاء والصديقات ؛ كما يردد أبي وأمي .. هناك ثقة كبيرة بي.

قلت : أو لم تزل القدم بك نتيجة هذه الثقة!

قالت : قليلا ، رافقت فتاة وشابا في أول شركة عملت فيها ، لما سمحت النقابة لي بالعمل بعد حصة التدريب ، اشتغلت رسميا في تلك الشركة القانونية ، رأيت فسادا بينهم وأمورا سيئة فأسرعت بالابتعاد عنهما ، تبين لي أن بينهما أكثر من زمالة وصداقة ، بينهما علاقات جنسية ، وهذه لا تروق لي ، ولا يعني هذا أنني متدينة ، أنا لا أرحب بالعلاقات الجنسية قبل الزواج ، ثم اكتشفت أنهما يحملان أفكارا الحادية وشيوعية ، نعود نفكر الله موجود وغير موجود ، قضينا فصولا في الكلية والجامعة حول هذه القضية ، فتركت الشركة ونسيتهما ، سعوا لتجديد الصداقة معي ورفضتها ، ثم تعرفت على شاب ، وجرى بيننا استلطاف ومشروع زواج ، وعرضني على أمه وبعض أهله ، ودعاني لتناول الطعام معهم أكثر من مرة وبعد فترة رفضت الارتباط به ، لقد رأيت سيطرة أمه عليه في أكثر من زيارة.

قلت : ربما تظاهرت بذلك لتبعدك عنه .

قالت : لا أعتقد ، فشخصيته داخل الشركة قوية جدا ، أما أمام أمه فشخص باهت دون شخصية .

قلت : لكنه شجاع عندما زوّرك بيته ، وعرضك على أمه وأهله .

قالت : في الأول رحبت بي كزوجة لابنها في المستقبل ، ثم لاحظت من خلال الجلسات عدم راحتها للزواج من ابنها يا طارق ، لم تشجعه على الزواج ، صرنا نتحدث عن السياسة والاقتصاد ثم أحجمت عن الزواج منه ومن غيره.

قلت : لو فكرت بالزواج من عربية ؛ لكنت أنت يا سامية ! قد أفكر فيك .. خبرتك ، وخبرت عمق تفكيرك وتحليلك للمسائل والقضايا.

قالت : لكني أنثى ! أغضب وأفرح .

قلت : أعرف أنك أنثى ، وتحملين صفات النسوان .. اليوم الدكتور أنثى وذكر والهندسة والقانون .. الفروق تذوب في المدن .

قالت : ما أخبار جدك والد أمك ؟

قلت : جدي كما أخبرتك سابقا ، ما زال يرقد على سرير الشفاء والعافية ، لي خال طبيب ، وكان يقوم على مساعدتنا ماديا ومعنويا خلال الجامعة ، وعند طلاق أمي وهو بار جدا بأبيه ، فيقضي الكثير من الوقت معه في المستشفى ومع الأطباء ، وأشعر أن جدي مقبل على الموت ، والله تعالى أعلم .

قالت : ألا تريد أن تعرفني على أمك المجاهدة؟!

قلت : مجاهدة ! أمي لم تجاهد ، زهقتنا عيشتنا قبل الطلاق وبعده.

قالت : إنها أمك ، ورفضت الزواج من أجلكم .

قلت : مرات أقول كيف تحملها أبي خمسة عشر عاما ؟! ونحن أطفال كنا نظنها مظلومة حقا ولما بدأت أفهم رأيت أن أبي هو المظلوم بتحمله مشاكلها وصراخها ، الرجل عندما يعود من العمل يحتاج للراحة ؛ وليس الشكوى من أمه من أبيه من أخته من جيرانه ، يحتاج للسكون والهدوء قبل سماع القصص ، ما هو استوى من مشاكل الشغل والشارع .

قالت : إنك تلتمس عذرا لأبيك ، وتلوم أمك ، هل تساعده ماديا ؟

قلت : لا ، يرفض أي مساعدة بحجة أنه لم يدعمنا أيام الجامعة لضعف إمكانيته المالية ، وهذا صحيح ، كان يملك مطعما ، وما زال يملكه بعد طلاق أمي كاملا فخوفه من أمه يبدو مثل صاحبك الذي تحدثت عنه ، أقول إنه كان بخيلا ؛ بل مثل الناس ينفق ؛ لكن بدون سخاء وكرم.

قالت : ألم تختلف معه بشأن زواجك؟

قلت : هذا موضوعه الدائم.

مات شادير جد طارق سليم بعد هذا اللقاء بأيام ، وذهبت سامية لصيوان العزاء ، وصحبتها شقيقتها شادية ، وعزتا والدة طارق وطارق ، وتعرفتا عليها وعلى أمها ، وشكرها طارق على هذه اللفتة والمواساة ، فلما التقيا في الجامعة وبعد منوعات من الحديث ، قال فضوليا : الفتاة التي صحبتيها أصغر منك !

قالت : نعم ، تدرس في الجامعة سنة رابعة بكالوريوس رياضيات .

قلت : إنها لطيفة ! مخطوبة .

قالت : لا ، ترفض الزواج قبل التخرج .

قلت : إنها جميلة ألا تقبلني زوجا !

ضحكت و قالت : غيرت رأيك عن الأوروبيات!

قلت : العين لها دور يا سامية!

قالت : أتحب أن أحدثها عنك؟ حب من أول نظرة ؛ لكنك ستنتظر سنة أو باقي السنة.

قلت : أنت واثقة من قبولها!

قالت : لا طبعا ، سأقول لها عنك ، وستتعرف عليها اذا وافقت.

قلت : هل ترين أني أصلح زوجا ؟

قالت : عجيب سؤالك ! من معرفتي بك ومعرفتي بأختي أرى أنك مقبول لدى الأسرة.

قلت : سأدعوكم للعشاء يوم الخميس القادم أنت وشقيقتك شادية، هل تقبل الدعوة ؟

قالت : سأعرضها عليها .. أنت في نظري شاب جيد ومكافح.

قبلت شادية الدعوة والتقوا ليلة الخميس على مائدة العشاء ، وجرى تعارف موسع بينهم أكثر من ليلة العزاء ، وشكرته على الاهتمام بها ؛ كما نقلت سامية وقالت: عجيب أن تغير رأيك بالزواج من رؤيتي من أول مرة وفي العزاء!

قلت باسما : العزاء اليوم كأنه كرنفال احتفال يا آنسة!

قالت شادية : في صحة في كلامك ، لم يعد الحزن كما كنا نراه صغارا.

تناولوا الطعام مع دردشة وكلام حول الزواج والطلاق ، ووافقت مشاركتهم بعض السهرات للمزيد من المعرفة ، وهكذا كان.

تخرجت وسامية من الماجستير ، وقويت صداقتي بشادية ، وأصبحت ترافقني في السهرات بمعرفة سامية ، وأمر زواجنا أصبح واقعا مرحبا به من سامية وأهلها ، وتمنت لنا السعادة والتوفيق ، وتفاجأت بزواجها بعد الماجستير بأقل من شهرين، تزوجت أحد أخوة زميلة عمل ووافقت بسرعة أدهشتني ، ولما تخرجت شادية تزوجتها ، وفوجئت بكلام من شادية أن أختها كانت ترغب بي زوجا ؛ ولكنها لم تحب أن تبدأ هي في طلبي ، وكانت سريعة بتعريفي بشادية ، وشادية قبلتني بسرعة بدون تردد ، حصل الزواج بيني وبين شادية ، وكان الحفل في فندق مشهور ، دفعت الكثير مما أملك والدين ، واستأجرت شقة تليق بعروسي مع أن أمي انتقلت للعيش مع أمها لرعايتها التي فقدت نظرها وضعف جدا رغم وجود زوجات أخوالي في نفس العمارة ، ظلت الشقة مستأجرة ، أمي لم تعد الأم القديمة التي عشت معها ، منذ خلصت الكلية لم يعد جلوسي معها كثيرا .

بدت شادية زوجة طيبة وجيدة ، وتعد الطعام بشكل جيد ، وترحب بالضيف والصديق ، ولم تستثقلهم ، ولم تكن مشغولة بالحمل وملهوفة لتتأكد من صلاحها كم يزعم العرسان الجدد ، حتى اضطررت أن أسالها ألا تحبين الحمل ؟

قالت : أحبه ؛ ولكني لست مستعجلة.

قلت : وأنا مثلك ، فلنترك الأمر لله وحده.

قالت : وهو كذلك.

مضت سنة على زواجنا ، وكنا في غاية السعادة والانسجام ، كنا نزور سامية وزوجها المهندس ياسين ، وكان شابا جيدا ومهذبا وانطوائيا ، وكانت سعيدة معه وتحبه ، وأنهما يتعالجان من أجل الحمل. كانا يفرحان بكل زيارة نقوم بها لهما ، وكانت سامية تشجع شادية على الحمل خشية أن أسافر لبريطانيا والزواج من إنجليزية ، مع أني طردت هذه الفكرة من رأسي بعد زواجي من

شادية ، اعتقدت أنني خلصت من تلك العقدة ، وزواجي منها يؤكد ذلك.

طبعا لا تخلو حياتنا من المنغصات ، ومشاكل الحياة الدنيا ، ولا أنكر أني تزوجت زوجتي عن حب وعشق من أول نظرة . مرت صفحات حياتي في الجامعة والماجستير بكل احترام للجنس الآخر ، كلنا بشر ، ولم أحاول العبث بأي فتاة ، كانت صداقاتي واضحة بينة ، وكانت رغبتي فعلا أن أتزوج غير عربية ؛ ولكني لم أخطو خطوات جادة وصارمة ، ولا أنكر أن شادية فتاة جميلة وفائقة الجمال ، وأن حسنها وطفوليتها شدتّاني إليها بسرعة حتى أني تسألت مرات هل أتت بها سامية للعزاء عن قصد أو غير قصد ؟ فهي لم تكن تحدثني عنها أبدا ، كانت زوجة مثالية ؛ لكن بعد التحاقها بالوظيفة العامة بشهور أخذت حياتنا تتغير ، أنا لست ضد عمل النساء ؛ لكن عملهن أفسد حياة الناس ، الزوجة أهم عمل لها الوجود في البيت ، تعمل في البيت الحقل ، حدث التقصير ، أعود من الشركة لا أجدها ، الطعام تعمله مبكرا، تأتي مرهقة تعبانة ، تنام رأسها فيه صداع ، وبدأت تطرح فكرة جلب خادمة للبيت ؛ لتقوم بتنظيف البيت والطهي والغسيل ، فتسألت ليس بخلا هل هذه الأشياء تحتاج لخادمة ؟ نحن اثنان فقط ، والشقة صغيرة لا مكان للخادمة فيها ، كنت أرى الخادمات في بيت خالي الدكتور رمضان ، وبعض أخوالي الآخرين ، وتفاجأت أنها تريد مني أن أدفع راتب الخادمة ، فقلت بصورة مزاح الذي يريد الخادمة يدفع أجرتها.

فصاحت فجأة: أتقارنني بالخادمة ! هل أنا مجرد خادمة لحضرتك ، وفي نظرك.

قلت : لا ، أنت زوجة وحبيبة .. هل شرائي للخضروات والفواكه وكل شيء يعني أني خادم بمعنى كلمة خدم .. البيت لا يحتاج لخادم أو خادمة ليس لدينا أطفال بحاجة إلى مراقبة وحماية أثناء انصرافنا للعمل .. مجرد صحن طبيخ أو كوب شاي يحتاج لخادم .

المهم حدثت مشاجرات وبدأت تكثر ، واشتد الكلام حول استئجار خادمة ؛ لتقوم بأعمال شادية المنزلية ، ورفضت جلب خادمة بقوة ، لم ترق لي الفكرة وذكرتها بأني ما زلت أسدد ديون الماجستير والزواج . غضبت مني ، وطلبت الذهاب إلى بيت أسرتها لقضاء يومين أو ثلاث ،

فسمحت لها دون تشنج .

لم أكن أتصور أن تكون قضية الخادمة لتبق شادية أسبوعا في بيت أهلها حتى اضطررت للذهاب إلى هناك ومعرفة سبب التأخير ، وجرى النقاش في بيت أسرتها وعن ضرورة جلب خادمة ؛ لتخفيف أعباء البيت عن شادية ، فتعجبت من كثرة الأعباء التي يتحدثون عنها ، والراحة والشغل ، وذكرت لهم: نحن اثنان فقط فلماذا ندخل خادمة البيت؟! في النهاية انتهى الجدل بأن أدفع نصف أجرتها ، وهي تتكلف بالنصف الثاني، أنا استأت من شادية وحتى أهلها وشعرت حينئذ أن الفراق اقترب ساورني رهاب الفراق ، نحن نسكن شقة صغيرة فأين تبات الخادمة ، ولم ترتاح نفسي لهذا الضغط ، وتدخل سامية صديقة الماجستير وزوجها في فرض رأيهم عليّ.

تكفل زوج سامية بسؤال مكاتب تشغيل العاملات في البيوت ، وجاءت الخادمة فاضطررت لتغيير الشقة بأوسع من أجل غرفة لمبيت الخادمة ، والرحيل وما أدراك ما الرحيل ؟ تذكرت يوم رحلينا من بيت سليم حين طلقت نهى أمي ، الحق تطيرت ، ووقع في قلبي الطلاق من جديد ؛ كما حدث يوم نزاعنا على جلب خادمة ، آه أيها الرفاق على وجع الرحيل! واستسلمت للأمر خشية الطلاق ورهابه ، لا أريده ، تزوجنا عن حب متبادل واقتناع.

الشقة الجديدة لم تبعد كثيرا عن شقتي الأولى ، فلما استقرت الخادمة في الشقة بدأت أتأخر في العودة للبيت ، قلت ما دام لدى الزوجة من يسليها في البيت صرت أسهر مع الزملاء والمعارف القدماء والجدد من أمثالكم ، وعدت لنادي الخط العربي ، فأنا عرفته من أيام الكلية ووجدت راحة فيه ، وهربا من مشاكل البيت والأقارب ، ممتع تعلم فنون الخط والاستغراق في رسم آية أو حديث أو بيت شعر أو حكمة ، وعدت أدخل المقاهي من جديد التي كنت أتردد عليها قبل الزواج ، وسبب تغيير المنهج بمشاكل ونزاعات مع شادية ؛ ولكنني لم أكترث ولم أعد أرافقها في زيارة أهلها وسامية وغيرها من الشقيقات ، وامتلكت سيارة خاصة بها ، فقلت اسهري عند سامية وأمك.

فقالت بانفعال غاضب : تفعل ذلك ؛ لأني أجبرتك على استئجار خادمة!

قلت بهدوء : أنا لم أجبر يا سيدتي! اختصرت الشر والفتنة فحسب ، وقبلت ذلك من أجلك وأجل راحتك ، والأعباء الملقاة على عاتقيك ، ومن أجل خاطر سامية ، وزوجها دعاني أن لا أكبر المسألة ، وأنه متعاقد مع خادمة ، ونسي أن الخادمة ليست من أجل عيون زوجته ؛ إنما من أجل أمه الضعيفة التي تعيش معهم .

قالت بصوت عال : لا ، لا تضحك على نفسك ، أنت منذ طلبت الخادمة تغيرت نفسك ؛ كأنني طلبت رأس كليب ، ولبن العصافير ، واليوم تتأخر بحجة وجود الخادمة معي ، وأن تأخرك لا يضر بي.

قلت : بدأت أفكر بالضغط على أمي ؛ لتعيش معنا باقي عمرها ، فقد سمعت أنها تتذمر من الحياة مع أمها.

قالت بصوت عال : أتريد أن تفعل مثل سامية وزوجها ؟

قلت : بوجود الخادمة لن تؤثر عليك ، ولن تحتاجي لخدمتها ، والخادمة قادرة على خدمتنا نحن الثلاثة ، وبدل أن تبقى الخادمة وحدها تكون أمي معها .

قالت بتحد : لن تقبل أمك بالرحيل عن أمها ، أنا أعرف نفسية أمك يا طارق ! أنت لم تعد تحب الهدوء ، تبحث عن المشاجرات ، أنا صممت على الخادمة حتى لا تراني مقصرة في خدمة البيت وخدمتك.

قلت : يا عزيزتي! الخدمة .. من يغسل ملابسي ؟ لا أنت ، ولا الخادمة .. الغسالة تغسلها ، وكنت أغسل ثيابي في بيت أمي ، والملابس الخارجية البذلات نذهب بهن إلى المغسلة والكوى والطعام أكثره من المطاعم يا بطة !

قالت: ألا ترى في كلامك ظلما لي واتهاما بالتقصير في طاعتك ورعايتك ؟ وجبة الفطور هي التي تجمعنا ، الغداء بالمطعم وصار العشاء.

قلت : أنا لا أحب طعام هؤلاء العجم .. أقرف من طبخهم .

قالت بصوت عال : المطاعم من يعمل بها ؟ اذا السهر مع الشباب يريحك مني فافعله .. سأتحمل أيها الزوج العزيز.

أخذت أقلل من السهر ليلا ؛ لأني مدرك أن الانفصال قادم ، شعور تملكني بقوة ؛ لكنه ينتظر القشة ، فكنت أرجع عند العاشرة ليلا أو مع هبوط الليل ، وأعتقد أن زوجتي سكتت على مضض واختصار للشر ، وتركتُ زيارة أهلها أختها أخواتها انتهت في برنامجي إلا الزيارات الضرورية التي لا بد منها في حالة المرض ودخول أحدهم المستشفى ، أما السهر للسهر فاعتذر دائما ، وتذهب وحدها وهي تحمل اعتذاري ، وفور خروجها ، ولم تحترم وجودي أغادر الشقة فورا حتى قالت يوما : لم تعد الحياة معك تعجبني .

قلت : لماذا ؟!

قالت بعد أخذها نفسا عميقا : لم تعد طارق الذي تعلقت به من مدح سامية ، لم تعد الصديق الحبيب .. كل هذا بسبب دفع نصف أجرة الخادمة أنا سأدفع نصفك .

قلت : أنا لم أتغير يا شادية ! أنت التي تغيرت منذ استلامك للوظيفة .. أصبح العمل أهم مني لعل الحب برد اذا كان الحب يبرد.

قالت: أنا ما زلت أحبك ، وها أنا أذهب للطبيبة للحمل منك ؛ لتتأكد أني أحبك.

قلت : وأنا فعلت ذلك بعد زواجنا بسنة ، لما لم يحصل الحمل ، ولا تأخذين موانع فذهبت أطمئن على جودة المني .

اعترفت تلك الساعة أنها كانت تأخذ موانع حمل منذ تزوجنا ، تريد معرفة قوة حبنا ، وهل يثبت زواجنا ؟ وإنها تركت ذلك من شهور.

فقلت لها وأنا أسيطر على أعصابي : لماذا فعلت ذلك بدون علمي ودون اتفاق ؟!

قالت: ألم نتفق على تأخير الحمل؟

قلت : لا ، لم نتفق يا شادية ! نحن قلنا أن يأتي الحمل بأمر الله وحده وقتما يريده ، لا أن نمنعه نحن .. إني أتألم جدا من هذه الحقيقة.

قالت: لم أكن أرغب بالحمل سريعا ، فأخذت الحبوب ، وأنت تعلم أن الحبوب لا تمنع الحمل بالكلية مائة بالمائة.

قلت : لكنك بفعلتك هذه جعلتيني أخضع لفحوص طبية لا لازمة لها ، ولما أسمع نتيجة الفحص أظن أن خطأ حدث فاذهب لمختبر آخر ، ظننت أني عقيم .

قالت: لم أفكر بذلك ، ولم تقل لي أنك تفحص قدرتك الإنجابية ، وأنا أخطأت واعترف بذلك.

قلت : بهذه البساطة يا شادية!

قالت: أنا آسف ، دعني أسالك عن أمك.

قلت متهكما : دعني أسالك عن أمي ، ثم تابعت : أمي مريضة وعاتبة عليك ، فإنك لم تذهبي إليها ولم تتصلي بها، وقالت لي لعلك متزوج بنت الرئيس .

قالت: لم تطلب مني ذلك ، ولم تقل لي عن زيارتها ، وغدا سأمر عليها وحدي وأعتذر لها.

قلت : وأعتذر لها .. على كل حال أحب أن أخبرك بأنني سأسافر لليونان لمدة أسبوع تغيير جو وربما منها لفرنسا وبريطانيا.

قالت: فرنسا وبريطانيا لم تتحدث عن ذلك!

قلت : ها أنا تحدثت .. رحلة اليونان سياحة مع شركة سياحية.

قالت بسخرية : مجرد سياحة!

قلت : مجرد سياحة! أما إذا تمكنت من السفر لفرنسا أو بريطانيا فمن أجل الدراسة والدكتوراه.

قالت بتهكم : الحلم القديم!

قلت : حلم الدراسة ؛ وليس الزواج ، ولولا عشقي لك ليلة العزاء لما تزوجتك .

قالت: أما زلت تحبني يا طارق مثل تلك الفترة؟

قلت : لا أدري!

قالت بحزن : لا تدري! ومن يدري ؟

رافقت المجموعة السياحية بالطائرة إلى أثينا عاصمة بلاد اليونان ،كنا عشرين سائحا بين ذكر

وأنثى ، بعضنا فرادى مثلي ، وبعضهم أزواج رجل وامرأته أو أخته ، كان في صحبتي صديقي احمد ناصر المحامي ، تعرفت عليه أيام التدريب ، وظلت الصداقة مستمرة ، ونلتقي بين الفينة والأخرى، انطلقنا في حافلة إلى فندق الحجز ؛ كما رتبت شركة السياحة ؛ لنزور معالم أثينا السياحية التاريخية القديمة والمعاصرة ، وجولات تسوق في أهم الأسواق ، وبعد الجولة المرتبة سيسمح لنا التحرك بحرية داخل المدينة على أن نبقى على اتصال مستمر مع مرشد الرحلة خشية التعرض لإحداث وحوادث ، والأفضل أن يترافق كل اثنين أو أكثر في أي مشوار ، وعند الدخول للحانات والملاهي الحذر والانتباه من اللصوص وحرامية السياحة والنشل.

الأيام الأولى كان أغلبنا يدور ويتحرك قريبا من الفندق ، اللسان العربي متواجد في المدينة ، والمسارح بالعربي متيسرة لخدمة السواح العرب ، والسحنة الشرقية موجودة ، فقد علمت أن اليونان كانت تخضع للحكم العثماني كسائر بلاد العرب قبل تفكك إمبراطورية آل عثمان ، أنا لا أتعاطى الخمر رغم ظروف تفككنا الأسري ، ولم أمارس الزنا في يوم من الأيام رغم سهولة ذلك في مثل هذا الزمن ، ولست أحسب نفسي متدينا شيخا مع أن بعضهم يلقبني بالشيخ ، ولا أحافظ للآسف على الصلاة ، لم تكن أمي تهتم بذلك قبل الطلاق وبعده ، ما رأيتها تصلي أبي كان متدينا ومصليا ، كنت أيام المدرسة أصلي متقطعا ، أما أخي طلال فكان من أهل الصلاة ، ويرتاد المساجد ، ويصلي الجمعة ، وكان يمشي مع الجماعات الدينية ، واستمر على ذلك أيام الجامعة ، وكان نشيطا في الحركة الإسلامية ، لم أكن أهتم بذلك.

زوجتي شادية مثلي لم تعرف الصلاة ولا الصيام ، ولم نكن نتحدث عن ذلك في البيت ، تركت رفيقي يستمتع باللهو والحانات ، وأما أنا فأتركه وأمشي لمراكز علمية أخذت عناوينها قبل الرحلة ، وقمت باتصالات بفرنسا وبريطانيا لتأمين رحلة دراسة ، ووفقت بذلك في جامعة خارج لندن على أن أرسل لهم صورا عن البكالوريوس والماجستير ؛ لذلك لما عدت من السياحة تابعت المراسلة ، ثم كانت الموافقة في تلك الجامعة .

وكانت شادية تتابع ذلك بصمت وغير مبالية ، فهي تعلم كم راسلت قبل زواجنا والتعرف

عليها ، ولم تحاول تشجيعي على السفر ، فلما تمت الموافقة ،قالت : هل سأسافر معك ؟

قلت : أنا سأدرس على نفقتي وبعض القروض ؛ لست مبتعثا .. والحياة في أوروبا ليست كما هنا .. إنها مكلفة ، والدراسة لن تطول .

قالت بصوت عال : وهل سأبقى وحدي؟

قلت : الخادمة معك أو عيشي مع أمك ريثما أرجع .

وفجأة قالت : ما رأيك بالانفصال؟

هتفت رعبا ودهشة: الطلاق!!

قالت: نعم ، الطلاق.

قلت : أنا أحبك، وما زلت على حبك ، وأراك الزوجة والحياة يا شادية ! رغم الفتور بيننا.. أبغض الطلاق وحتى الكلمة !

قالت : لكني أخذت أفكر فيه منذ سفرك لليونان دوني.

قلت : صدقي يا شادية ما زلت كما عهدتيني ، لم أمس امرأة غيرك كل حياتي ؛ وكما قلت لك قديما أن عملك أبعد روحك عني ، ومن حقك العمل ؛ ولست ضد عمل النساء ، واذا كنت تفكرين أنني سأسافر للزواج من إنجليزية فأنت مخطئة ، فقد انتهى ذلك منذ تزوجتك.

قالت : أنت لم تعد طارق الذي أحببته.

قلت : أنا ما زلت طارقا ، وقبلت عذرك بالنسبة للحمل.

قالت: لنا قرب السنة ولم يحدث.

قلت : عندما يريد الله يحدث ، وعندما أرتب أموري هناك سأدعوك لزيارتي نحتاج لمال كثير ، وأنا كما تعلمين لست غنيا .

قالت : فكر بالانفصال.

كان يجلس في مكتبه ذلك اليوم الأخير للعمل ، وهو يستعد لترك الشركة للسفر إلى أوروبا ، ويفكر بالطلاق الذي تعقد منه يوم غادر بيت أبيه مرافقا لأمه لأنها طلقت ، يفكر فيه بعمق ،

وليس هناك أطفال سيرافقون شادية إلى بيت أمها ؛ لن يتأثر الأطفال بالطلاق ، إنه لا يريد الطلاق ، ولا يريد صحبة زوجته لبريطانيا ، لماذا تريد الطلاق بعد سنوات من الزواج ؟ هي التي كانت غير راغبة بالحمل والولادة .. الطلاق كم أبغضه وأخشاه ! أهو الحل في رأيك ؟ إنها مجرد سنتين وأعود ، قد أشتغل محاضرا في الكلية يا شادية!

كان طارق يتذكر الطلاق في أسرته عندما همست شادية برغبتها بهذه الصفة ، وعلمت برغبته بالسفر لبريطانيا كطالب حقوق ، وهو يرغب بالسفر وحيدا لتقليل تكاليف الحياة في دولة صناعية متقدمة ومن الدول العظمى الخمسة.

فقال لنفسه وهو يسرد مشاهد حياته ، والطلاق في حياة الأسرة : هل جاء الدور عليّ ؟ ها هو طلال يعيش سعيدا مع الطبيبة التي تكبره بسنتين ، ولم أسمع أن الأمر بينهما وصل للطلاق ، وكذلك عالية تزعزت حياتها قليلا ، ثم استقرت ، هل تطلق يا طارق شادية أم تطلق الدراسة ؟ ولو فعلت هل تستمر الحياة ؟

عاد للبيت مهموما ومحتارا ومفكرا ، ولما تعشى مع زوجته ، وقد اتفقا على ذلك العشاء معا ، ولما جلسا في غرفة المعيشة ، قالت وهي تسكب القهوة لهما : ما أخبار السفر ؟

قلت : سيكون قريبا يا حياتي !

قالت: وأنا!

قلت : أنا أحبك ، وقانون الغرب لا يسمح بالتعدد يا شادية! هما سنتان ، وأصبح دكتورا في القانون ، لو سافرت للعمل في الخليج ؛ كما يفعل الكثير من الأصدقاء والمعلمين لا يصحبون زوجاتهم .. أنا ذاهب للدراسة ؛ وليس للزواج ، ولن تطول الغيبة.

قالت: ولماذا لا أصحبك في هذه الرحلة؟

قلت : وعملك.

قالت: يسمح لي بإجازة دون راتب ، كما يفعل المعلمون المعارون لدول الخليج .. وهل تسمح

لي بالسفر للعمل هناك دونك؟

قلت : هذه المقاربة غير عادلة يا شادية ! هل تذهب زوجة للعمل هناك دون زوجها؟

قالت بصوت ساخط : لا فرق بين ذكر وأنثى.

قلت : نظريا يا سيدتي ! واذا سمحت نفسك بالعمل هناك دون زوج أو أخ فافعلي

قالت بصوت عال : إذن سأرتب سفرا للعمل هناك حتى تعود .

قلت : افعلي ذلك اذا كان هذا يمنع طلاقنا.

قالت بصوت كله غضب : واذا قلت إني مصرة على الطلاق.

قلت : لم أعد أصلح لك زوجا ! واذا رفضت السفر تصرفين نظرا عن الطلاق.

قالت: لا ، أنا ومنذ قضية الخادمة أفكر بهذه الفكرة ، ومنذ عرفت أنك اعتبرت ذلك هزيمة لذكوريتك ، كما تردد هذا الكلام.

قلت : حسنا يا شادية! سنحتكم لشقيقتك سامية.

قالت صارخة : وما دخلها في حياتنا الخاصة ؟!

قلت : نعم ، أدركت فيما بعد أنها هي التي كانت ترسم لزواجي منك ، وكانت ذكية في ذلك ، ولم يكن اللقاء في العزاء صدفة يا شادية!

قالت : بل صدفة أحبت أن أرافقها في أداء العزاء لصديقها في الماجستير ، وكانت سامية تتحدث عنك بإعجاب ؛ وربما كانت تعتقد أنك ستتزوجها يوما ما.

قلت : كانت أكبر مني بسنة ، وأسمع أن من أسباب فشل الزواج كبر المرأة عن الرجل.

قالت بصوت عال : كلام فارغ يا طارق ! فلا داعي لأخذ رأي سامية في هذه المسألة .

قلت : أهناك ذكر آخر ؟

أظهرت الغضب ، وبدا متصنعا ، وقالت : أنا محترمة يا طارق ! وأنت تعرف ذلك لا أسمح لنفسي بخيانتك ما دمت قد رضيتك ذكرا لي ، لم أحب رجلا قبل اللقاء بك .

قلت : وإلا ما السبب الحقيقي للطلاق ؟

قالت: السفر والدراسة ، وأنا متأكد أن حلمك القديم ما زال مخزونا في عقلك وخيالك .

قلت : جيد! هو حلم كما تفوهت .. ما كل ما يتمنى المرء يدركه يا حبيبتي! قلت لك مرارا وتكرارا إن هذه الفكرة طارت مع شوقي وحبك ، وتلك البلاد لا تسمح بالتعدد قبل طلاقك .

قالت ضاحكة : الرجال متقلبون ، غمزة من حسناء تنسون عشرة عمر ، لم أعد أحس بحبك يا طارق كما كنا قديما !

قلت : أنت تصنعين المشاكل والبرود.

قالت : وأنا أقول أنك أنت الذي يجعل من الحبة قبة ، وأنا صممت على الخادمة حتى لا أقصر في حقك وفي خدمة البيت ، وأنا وفية لك ولشرفي ، وأنت الزوجة عندك مجرد خادمة وغسالة .

قلت : هكذا هي الزوجة ، وهذه هي النظرة القديمة ، فلم أتعامل معك على هذا المبدأ .

قالت: هكذا الحال يا صديقي! لم تتحمس لوجود الخادمة لما اقترحت ذلك ، وقلت إن البيت لا يحتاج لخادمة .

قلت : ألا تريدين الحديث مع سامية ؟ ناقيشها في الطلاق .

قالت: أنا بكل قواي العقلية يا طارق لست بحاجة لمشورة أحد في حياتي الخاصة

قلت : الطلاق يعني أنك تقولين تزوج إنجليزية لتحقق حلم صباك!

قالت: أخشى أن ترسل لي خطاب الطلاق ؛ لأنهم كما تعلم لن يسمحوا بالزواج قبل تطليقي وأنت لا تقبل أن تتخذ خليلة لتجرب نساء الإنجليز

قلت : وهل تختلف النساء في كل أنحاء العالم عن بعضهن ؟ خليلة .. أنا درست في الجامعة ، وتعرفين الجامعة مسرح للهوى والعشق ، وقابلت فتيات شتى ، فلم تهفو نفسي للفاحشة ؛ إنما هي سنتان يا حبيبتي !

قالت: قد تغير رأيك وتستقر هناك .

أخذت تتحدث عن حرية أولئك الخلق وسعادتهم والتزامهم بالقانون والابتعاد عن المحسوبية والقبلية. ثم تسألت وقالت: أليس لديهم احترام للنساء ؟ كما نسمع وأن الناس سواسية أمام

القضاء أو هكذا نسمع، أما الواقع فالله أعلم.

قلت : حسنا يا شادية! اذا حدث السفر يكون لك ما شئت ، وسأدفع لك المؤخر كاملا دون تقسيط ، أنا أعلم أن السنوات الأخيرة معك كانت كلها كره وبغض لي ، وصبرت على أمل أن يعود الصفاء المفقود .. ما الذي قلبك وغيرك ؟ لست أدري ! وقضية الخادمة لا اعتقد أنها السبب .

قالت: أنت مخطئ .. الغِ السفر سألغ طلب الفراق .

قلت : ولماذا ألغي السفر ؟! ألا تريدين أن أصير كبيرا في البلد محاضرا أكاديميا وزيرا .

قالت : يسرني ذلك ، وفخر لي ، ويمكنك أخذ الدكتوراه هنا ، اذا الشهادة ستجعلك وزيرا .

قلت : أغلب قادة البلد الأكاديميين شهادتهم غربية ، وأنت تعلمين قيمة الشهادة من بريطانيا في بلد كان محكوما لهم في يوم من الأيام ، فمن درس في أوروبا الشرقية وموسكو يتأخر عملهم في الحكومة والسفارات والوظائف العليا ، ولولا الحاجة اليهم كأطباء لما عملوا إلا في القطاع الخاص ، فكيف بمحامي ؟

قالت: إنهم يحصلون على الشهادات بالمال والواسطة وبالدخول في الشيوعية والبلد يرفض النظام الشيوعي والاشتراكي والفكر الإلحادي يا طارق!

قلت : فلنفكر في حياتنا من جديد ما دمت أنا المخطئ .

قالت: أنا أريدك ومتمسكة فيك ؛ ولكني قلقة من سفرك لبلد قضيت سنوات تكتب لهم من أجل قبولك.

حياتي الزوجية كانت كما يقال على كف عفريت ، الدراسة في الغرب أو الطلاق كنت أتعامل مع الوضع بهدوء وروية ، بعيد عن الانفعال ، ورمي يمين الطلاق، فهو لا يربطني بها إلا الحب والاختيار وعقد الزواج الشرعي ، فتحدثت مع صديق، من أهل العلم والمشايخ الدكتور غازي محمود دكتور شريعة تعرفت عليه أثناء دراسة الماجستير ؛ لأن في دراسة القانون مواد الأحوال الشخصية والمواريث ، وكان اللقاء في منزل الدكتور عن موعد متفق عليه ، وبعد حديث

ذكريات قصير ، شرح له طارق قضيته وكرهه للطلاق وبغضه له منذ رأى طلاق أمه وأخته وأثره على نفسيته ، وقصة الاختيار بين السفر أو الطلاق .

قال الدكتور غازي : إذن هي خائفة من الطلاق بعد سفرك ،وتريد أن تسبق الأحداث.

قلت : هي تظن أنني عندما أحط رجلاي هناك سأجد زوجة في انتظاري ، وأرى طابورا من بنات الإنجليز يرحبن لاختار واحدة ، وإني ذاهب لتحقيق حلمي أو كلام رددته قبل الزواج أمام شقيقتها أثناء دراستنا الماجستير، وإني مفتون بالعيون الزرق والشعر الأشقر ؛ وكما غيرت رأيي وتزوجتها ، سأفعل ذلك هناك.

قال الدكتور غازي : أتعتقد من داخلك أن هذا هو السبب فعلا ؟ أم هناك أسباب خفية أخرى، كعجزها عن الحمل ، وزعمت لك بأنها كانت تأخذ مانعا للحمل .

قلت : أنا صدقتها بفعل ذلك ، وكانت مفاجأة لي ؛ لأننا من البداية اتفقنا على الخلفة بكل راحة لم تأخذ موانع لولب أو حبوب حتى تفاجأت بأنها خائفة من الطلاق فأحبت تأخير الحمل ، ولم يحدث الحمل ، فشككت في نفسي فقمت بفعل عدة فحوصات بدون علمها ، وكلها بينت أنه لا مشاكل عندي للإخصاب ؛ ربما الإعاقة من الزوجة ، واعترفت أنها منذ تزوجنا وهي تتعاطى الحبوب ثم تركتها رغبة في الحمل.

قال الدكتور غازي : وهل حقا ستتزوج أجنبية اذا سافرت؟

قلت : لا ، انتهى موضوع الزواج من غربية منذ نكحتها ، وأنا عندي المرأة مرأة في كل البلدان خاصة من ناحية المعاشرة ، هي خائفة من تجدد هواجس الماضي ، وأنا محب للدراسة في الغرب لأهمية شهادتهم في بلدنا وغيره من بلدان العرب والمستوى الاجتماعي والاكاديمي ، وفرصة تكون للعمل الجامعي بشهادة أوروبية وأنت تعلم وزن مثل هكذا شهادة في بلادنا.

قال الدكتور غازي : نعم ، أعرف ، وأنت لا تستطيع أخذها معك .

قلت متسائلا : وهل أخذها يا دكتور يمنعني من الزواج والطلاق ؟ عندما يريد الإنسان تدمير حياته الزوجية هل يصعب عليه ذلك ؟! لكن وجودها معي يعني تكاليف أكثر وأنا لست غنيا

أعتمد على الله وعملي يا دكتور غازي! فالواحد ليس كاثنين ، ستمل سريعا من الوحدة خلال شهور ، وتحتاج لشم هوا ونزهات ، وستحن لأهلها أريد أن أزور الوطن أرى أمي وأبي، ستمل من البيت وحدها ، هي لم تفكر بمثل هذه التفاصيل والأشياء ؛ ولكني فكرت فيها ، هي تظن بمصاحبتي ستمنعني من الزواج عليها ، غير مصدقة أنني ذاهب للدراسة فحسب.

قال الدكتور غازي : هل ناقشت أمرك هذا مع أحد غيري؟

قلت : لا ، كنت سأناقش الموضوع مع شقيقتها سامية التي درست وإياها إنك تعرفها، درسنا معا ، وكانت السبب في زواجي من أختها ، ولا أدري هل هي التي رتبت الزواج أم جاء عفويا ؟!

قال الدكتور غازي : اذكرها ، وتتحدث معي هاتفيا حول بعض القضايا الأسرية والأحكام الشرعية والنفقة والميراث ، والتقينا أكثر من مرة شخصيا ، وهي سيدة فاضلة ومتزنة ، ولاحظت ذلك أيام الجامعة .

قلت : نعم ، وأنا زوج أختها منذ أكثر من أربع سنوات.

قال الدكتور: أنت لا تريد الطلاق ، وتريد السفر ، ألا تفكر بالبقاء هنا ودراسة الدكتوراه هنا من أجل بقاء الزواج.

قلت : استطيع البقاء هنا ، والدراسة هنا ؛ لكني غير مقتنع باعتراضها وتوجسها وأنا اليوم أرى أن الطلاق حاصل في أي لحظة ، ما دام الطلاق دخل البيت .

قال غازي : ليس شرطا يا طارق! هي خائفة من شيء ، قد يكون خوفها وقلقها في محله ؛ ربما هي تعرف صفات وأحوال فيها تدفعها لهذا القلق والاحتياط ولا اعتقد أن في حياتها رجل آخر يدفع بها للطلاق .

قلت : أنا شككت بذلك ولا أعتقده .

قال الدكتور غازي : لو أنك متدين يا طارق! ربما دفعها هذا للثقة بك أكثر.. الصلاة حماية للأسرة.

قلت مستغربا : وما دخل الصلاة يا دكتور بالطلاق ؟ كان أبي مصليا وطلق أمي !

قال الدكتور: ما يجري معك غير ما جرى مع والديك ، الصلاة تزرع الطمأنينة بين الناس الفرد والمجتمع ، بين الزوج والزوجة ، فالذي يكون متصلا بربه تزداد ثقته بنفسه ، ويثق به الآخرون ويقولون إنه يصلي ؛ لذلك تجد من يريد خداع الناس يتظاهر بالتدين.. أعد حياة الدين لبيتك.

قلت : وهل بذلك ستسمح لي زوجتي بالسفر وتتخلى عن الطلاق؟

قال الدكتور غازي : أنا لا أرى أن السفر سبب الطلاق أو طلب الطلاق ، هناك أمور أخرى لدى زوجتك.

قلت : فكرت؛ ولكني لم أجد شيئا بيننا.

قال الدكتور: قل لها إنك ستأخذها معك عندما تسافر ، وتستقر في تلك البلاد وترى الأحوال .

قلت : والمال يا سيدي !

قال الدكتور غازي : أنا سأسلفك ما تشاء من المال.

قلت : أوه يا دكتور هذا كثير !

قال الدكتور غازي : أنا واثق أنك ستسدها يا صديقي !

قلت : والموت! قال الدكتور: إن مت قبلي سوف أسامحك بها.

الصلاة

تفاجأت شادية بصلاة طارق وعودته لقراءة القرآن ويجهر بالتلاوة ، وشراء كتب الدين وتعلم الصلاة ، كانت تراقب ذلك بصمت فبعد العشاء قالت : ماذا فكرت بطلاقنا بالمعروف؟

قلت : لا أستطيع فراقك ، أنت حياتي وقدري حتى ولو لم تلدي ، هذا أمر الله وستسافرين معي إن شاء الله .

قالت: غيرت رأيك!

قلت : تيسر لي قرضا حسنا .

قالت: دين .

قلت : نعم ، وسأسدده على أقل من مهلي .. تيسر المال .. عليك أن تطلبي الإجازة من عملك فاذا بدأت الدراسة سافرنا.

قالت: والصلاة!

قلت : عدت إلى الله نصحني غازي بالصلاة قبل السفر والتوبة.

قالت: من غازي؟

قلت : صديق في كلية الشريعة ، درسني بعض مواد القانون أيام الماجستير ، تعرفه أختك سامية.. درسنا معا.

قالت: حدث أمر.

قلت : أمر ! ما هو؟

قالت: حدثت سامية عن طلاقنا والسفر ، فنصحتني أن أسمح لك بالسفر وحدك .

قلت : لا ، لا، إن شاء الله سنسافر معا ؛ لتثقي أنني ما زلت على العهد ومخلصا لك ، وبأنني لن أتزوج أجنبية ، وشكرا على نصيحة سامية ، وأنت رفضت حشرها في الموضوع ما الذي جد ؟

قالت: لا أدري من أخبرها ؟

قلت : أنا لم أحدثها بذلك ، وأنا فعلا تيسر لي المال الذي كان عائقا .

قالت: ممن ؟

قلت : من الدكتور غازي .

قالت: ما قصة غازي هذا؟

قلت : لا قصة ، ولا حكاية ، ذهبت أسأله عن حل لمشكلتنا فنصحني بالصلاة والتوبة قبل السفر وعرض عليّ المال لبقاء حياتنا الزوجية قائمة.

قالت: إنه رجل فاضل كريم!

قلت : نعم.

قالت: إذن سافر دوني ، أنا أعلم قدر حبك لي رغم كثرة أخطائي وشطحاتي ، أنت تغيرت بعد طلبي للخادمة ، واعتبرت نفسك مهزوما ، وأجرة الخادمة ؛ كما قلت كلها عليّ ، وأنا أراجع الطبيبات من أجل الحمل.

قلت : ستسافرين معي يا شادية !

قالت: سأزورك يا سيدي ! أنا واثقة من عواطفك نحوي ، وأثق بكل أفعالك هذه الأيام التي أعادت السكينة لنفسي وقلبي ، وأتمنى أن أكون أمّا لأطفالك.

قلت : وهذا يتطلب مرافقتي .

قالت: سأكرر زيارتك في كل إجازة تلوح لي ، وسأصلي مثلك .

قلت : جميل أن أسمع ذلك ! أفضل سفرك ، والعلاج هناك ميسور ، والمال تيسر بفضل ربي ؛ بل الرجل سامحني بها اذا مت قبله.

رن جرس الهاتف ، فذهبت إليه كما هو مرتب بينهم ، فكانت سامية ، وتحدثنا قليلا والتفتت إليه : سامية تريد الزيارة هي وزوجها فأذنت لهم.

قلت : حسنا يا شادية ! سأذهب وألبس ثيابي .

فطارق لا يحب استقبال زائريه بلباس البيت والنوم ، يستقبلهم بلباس الخروج، في أقل من ساعة كانت الأسرة تستقبل سامية وزوجها وطفلها الصغير ناصر .

قام الترحيب والعناق ، وجلسوا يتسامرون ودار الحديث عن الصحة والحال والطقس والأخبار الخاصة بالعمل والأهل ، ووضعت الفاكهة والمكسرات أمامهم ، وجرى الحديث عن قصة صلاة طارق وتوبته ، فشكر ربه ، وحدثهم عن زيارته للدكتور غازي ، مما أدهش سامية فهي تعرفه ، وذكرت سامية أنها تتحدث معه حول قضايا فقهية ، وزارته أكثر من مرة ، وقال ياسين لشادية : ماذا حدث في موضوع الطلاق؟

نظرت إليه بحدة ، ثم نظرت لسامية ، وخيم الصمت فقالت سامية : تحدثت مع ياسين في ذلك وأنك ترغبين بالطلاق بسبب رغبته بالسفر لبريطانيا ، وأحب ياسين الحديث معكم بهذا الأمر الخاص.

قال ياسين : لا تجعل سفرك سبب طلاقك ، يمكنك الدراسة هنا حتى لا تخسروا بعضكم ، وتجعلوا السفر سبب الفراق وقطع العشرة.

قال طارق بضيق : سنسافر معا يا أبا ناصر استلفت مالا لتكاليف الحياة في الغربة.

قالت شادية بصوت جاد وحانق : قلت لك لا داعي للاستلاف ، وأعد المال اذا أخذته للدكتور غازي .

قالت سامية : استدنت من غازي يا طارق!

قلت : الرجل من نفسه عرض عليّ ذلك حتى لا يحدث الطلاق.

قالت شادية : أنا ضغطت عليك لأعرف عمق حبك لي

قال ياسين : لا داعي للدين يا أستاذ طارق !

قالت شادية : سيسافر وسأبقى هنا في الانتظار ؛ فأنا أثق به.

قالت سامية : ماذا يقول السيد طارق؟

قلت لهم بكل هدوء : أنا قررت أن أطلقك يا شادية !ولن أسافر .

صاحت سامية : هل جننت؟

قلت : لم أجن ؛ ولكن حياتنا أصبحت بأيدي غيرنا ، اشهدوا أنني أطلق شادية أنت طالق !

وغدا نقوم بين يدي القاضي .. لا تبكي .. عندما أشرت عليك أن نشرك سامية في المشكلة ، رفضت واعترضت ، وقلت لا داعي ليتدخل أحد في حياتنا الخاصة ، ولما استشرت الدكتور ، واستعد لمساعدتي ماديا لتسافري معي قلت إني اختبرك.. فهل هذا اختبار ؟ فنحن معا من سنوات ، وخدعتيني بأخذ أقراص منع الحمل سنوات خشية الطلاق وضياع الأطفال؛ حتى ظننت أني مريض عاجز عن الإخصاب ، وعملت عددا من الفحوص ، فذهبت وتحدثت مع سامية عن رغبتك بالطلاق ، ونصحتك بعدم ذلك وعدم السفر فاستمعت لها أما أنا فزبلت رأيي وقولي .

وختم فقال : وهكذا يا أخ عزيز كان طلاقي من زوجتي بعد أكثر من أربع سنوات زواج .. وأحمد ربي أنها لم تلد مني ، وتربطني بها ذرية ، كما حصل بين سليم ونهى.



الأرمل عزيز

قال المهندس عزيز فارس: أنا لم تطلق أمي ؛ كما طلقت أمك ، وسني أكبر من سنك ، كنت ابن عشر سنين في المرحلة الابتدائية لما ماتت أمي بسبب مرض عضال أصابها ، وبسببه توقفت عن الحمل ، فكنت أصغر الأسرة مثلك ، أختي فايزة تكبرني بعامين ، وفايز الأول بأربع سنوات ، وكلنا تلاميذ عند موتها ، لم يكن فايز ذكيا ونشيطا في المدرسة ، كان يستصعب الدرس ، وكانوا يحثونه على الوصول لنهاية المرحلة الإعدادية ، لينقله أبي إلى مصنع أو تجارة وعلى أثر موت أمي تعقدت حياتنا المنزلية واضطربت ، ترك فايز المدرسة ، ولم يهتم أبي لذلك وألحق بمتجر لقريب لأبي ، لم يمكث فيه طويلا انتقل للعمل في تصليح السيارات ، كان مهووسا بالسيارات ويحلم بأن يكون سائق شاحنة كبيرة. البيت بدون أم صعب يا طارق حتى ولو مطلقة ، لم تكن فايزة مستعدة للطهو والغسيل والتنظيف رغم أنها كانت فتاة ناضجة وبالغة ، لم تكن مستعدة للقيام بدور الأم ، لم يمض شهور حتى كانت الأسرة تحتفل بزواج أبي ، لقد دبرت له أمّه زوجة جديدة من الأسرة الكبيرة ، ونحن لم نعرفها قبلا إلا عندما دخلت بيتنا ، في البداية كانت طيبة ومحترمة ، ولما تأخر حملها من أبي بدأت تحدث المشاجرات بينهما ، والحديث عن العلاج والعقم ، وتبين أن المشاكل لديها رغم أن أبي لم ينجب بعد ولادتي والسبب عجز أمي عن تحقيق ذلك بسبب مرضها ، امرأته لم تصدق أنها الضعيفة والعليلة ، فصارت تفتعل المشاكل معنا ؛ كأننا نحن العاجزون عن الحمل وسببه ، وتتهمنا بالإساءة إليها ، وعدم التعامل معها كأم جديدة لنا ، أول الأمر صدق أبي كلامها واتهامها ، ولما أخذ يسمع عن مشاكل فايز خارج البيت ، ويدخن ويشرب الكحول أدرك أنه أخطأ في ضربنا وتوبيخنا، وأصبحت الشكاوى تأتي من الجيران وبنات الجيران ، وعلم أن زوجته سببت انحراف فايز وضياعه ، صعب عليه الحال ، كان الوالد صاحب متجر في مركز وقلب المدينة لبيع الأقمشة المحلية والمستوردة ، كان شريكا مع ابن عم له. كان من نتيجة زواج أبي فساد ابنه الكبير ، وكثرة تغيبه ليلا عن البيت ، ومشيه مع أصحاب السوء ، وشاع خبر انحرافه في العائلة الكبيرة ، وبدأ والدي مصدوما من تلك الأخبار ،

وانفلات فايز ويحمل الزوجة جهرا السبب ، وإنها لم تحسن رعايته في مراهقته ، ويسبها ويصفعها ويتهمها بالتقصير معه ، حتى جاء يوم وأخبره أحد الأقارب أنه رأى فايزة تتمشى مع شاب غريب في أحد شوارع المدينة ، فجن أبي واعتدى عليها بالرفس والشتم ، وهي تحلف بأنها ما فعلت ؛ وإنما كانت مع إحدى زميلتها لحضور مسرحية ، وإن الشاب عاكسها وتحرش بها ، ولما تكررت الحادثة حرمها أبي من المدرسة، وأصبحت سجينة البيت ، وزوجته الرقيب والسجان . الزمن يمشي ولا يتوقف، وقبلت فايزة ترك المدرسة ، وهي ما صدقت ؛ لأنها لم تكن شاطرة ومجتهدة ، وطلب أبي من أمه وزوجته وأخواته أن يبحثن لها عن عريس ، فزواجها خير للجميع ، ولما يسألني أبي عن فايز ، أقول يرفض العودة للبيت ، وينام في الكراج الورشة التي يعمل فيها ، وإنه لا يرحب بالعودة ، وأرسل إليه أبي بعض الأقارب ليعود للبيت ، ويدع التشرد والنوم في الشوارع والمحطات ، وكانت الإجابة تأتي بالرفض ، ولن يعود وزوجة أبيه في البيت ، ويقول للشفيع غدا تتهمني بالاعتداء عليها لاغتصابها ، هذه امرأة لا أخلاق لها ، فيسخط أبي ويجن ويصرخ ويشتم ، ويرقد الموضوع لأيام أو أسابيع ، ثم يثور من جديد ، أنا الوحيد الذي أحب المدرسة والتعليم والشهادة ، وأتقدم بكل قوة في الصفوف وقبل الوصول لنهاية الدراسة تقدم أحدهم للزواج من فايزة ، وبعد عدة لقاءات وافق أبي ؛ بحيث كان العريس يمت بصلة قرابة لزوجة أبي ، قرابة بعيدة قالوا وكما فهمت ، ولما تجهزت العروس خلال أشهر رحلت لبيت زوجها في شارع بعيد عن شارعنا ، ولم يشهد فايز زواج أخته رغم تبليغي به ، ثم علمنا بعد زواجها بسفره للعمل في إحدى دول الخليج الصاعدة ، فقد أصبح سائق شاحنة فعلا كما حلم وخطط، ومرت سنوات دون رؤيته لأبي ، ويرفض كل صلح ، وكل يركب رأسه ، ومضت سنوات على تهاجرهما ، أكملت الثانوية ، ونجحت وإلى كلية الهندسة توجهت بالمعدل المطلوب ، وتيسرت الدراسة على نفقة الوزارة المختصة ، فخفف ذلك عن جيب أبي ، وكان أبي يحب نجاحي ، وفرح بذلك ويعتبرني الأفضل بين اخوي .

كنت أكره قعدة البيت يا طارق ! كنت أعود من الجامعة إلى قلب المدينة أتناول الغداء أو العشاء

وأجلس على مقهى العين الخضراء شارع البرق ، مقهى في الطابق الرابع من البناية ، أكثر رواده من طلبة الجامعات والمثقفين ، هو مقهى هادئ وجميل أنا لم أكن أحب لعب الشدة ، كنت أحب الفرجة والجلوس معهم ، واذا مللت منه أجلس في شرفة أنظر المدينة والناس ، وليلا أعود للنوم واذا سئلت عن الطعام أخبرهم بأني تعشيت في المدينة، نظمت الجامعة رحلات عمرة إلى مكة ، فسجلت فيها ، وباشرت الصلاة منذ سمعت عن رحلات العمرة ، والسبب زميل متدين وحركي اسمه عبد الرحمن وكان من أفضل زملاء الكلية ، وسعى لضمي للحزب الذي ينشط فيه ، واعتذرت له بلطف، وبعدم محبتي للسياسة ودهاليزها .

فقال : نحن نعمل لعودة الحياة الإسلامية الصحيحة إلى حد ما في المجتمع ، وأنت ترى الضياع الحاصل في الشباب ، البعد عن الدين يعني القرب من المخدرات والخمور ، المهم قبل العمرة اتخذت بالصلاة ، وأصبحت مهتما بالرحلة ، وحدثت الرحلة ، وكانت ممتعة ورائعة ، وتعرفت على مهبط الوحي في مكة والكعبة والمدينة مدفن سيد البشر محمد ﷺ . قبل انتهاء سنوات الجامعة مات فايز بتدهور شاحنته في رحلة إلى العراق ، ومات قبل أن نراه حيا في المستشفى ، ونقلت جثته لمقبرة العائلة ، ورغم الجفاء بينه وبين فايز كان أبي حزينا ، وقال لي : تمنيت أن أراه زوجا ، وعائدا للبيت طالبا العفو والصفح .. رحمه الله الرحمة الواسعة ، وقبل مرور أربعين يوما على الوفاة طلق أبي زوجته ، ولما سألته عن السبب ، زعم أنه بغضها بموت فايز ، وهي سبب فقده وخروجه من البيت وعن طاعته ، وفايز بكر أبي ، وأخذ يرغبني بالزواج قبل إنهاء الجامعة ورفضت هذا العرض والعروس التي تقدم لي بها ، فلما رأى رفضي الشديد تزوج هو من فتاة دون الثلاثين ؛ لتنجب له ، فهو يطمع بمزيد من الخلفة.

سعت مطلقته للعودة إليه ، ووعدته بالسلام والطاعة ، والتزام البيت ، فقد كانت كثيرة الخروج تبدأ من الجارات حتى تصل لكل نساء الحي ، فاخبرها بسعيه للخلفة ، وقد تعب من عجزها عن الحمل ، فهددته بتطليق ابنته من قريبها ، ولم يهتم أبي بذلك الادعاء ، أما أنا فتوقعت حدوث شيء ، فهي لم تكن حسنة الخلق معنا ، كان البيت وكرا للنساء فترة ما بعد الظهر. كم يدخل

عليها من النساء الكبيرات والصغيرات ؟ وكنت أتسأل عن سبب تردد كل هؤلاء النساء بيت الوالد ، ثم اكتشفت أنهن يأتين لتقرأ لهن الفنجان والبخت ويعرفن المستقبل ، تجمع شعوذة وقراءة الغيب والحجب السحرية ، ولم تكن تهتم على اعتراضاتي ، على دخولهن وخروجهن ، لم أحبها يوما يا طارق ! لكنها زوجة أبي ، وشعرت بأن لها دورا سيئا في هرب فايز من البيت ، وكانت تشتكيه كثيرا لأبي . وكنت أرى وأبرر ذلك بسبب الجهل ، وعدم التعلم إلا صفوفا محدودة ، تركت المدرسة مبكرا ، والعمل في البيت ، أخذت فايزة كلما تزور أبي تشتكي له من طليقته وتتدخل في حياتها ، وتفسد حماتها عليها ، وتحرض زوجها على الطلاق ، وستزوجه امرأة أحسن منها ، وإنها غلطت وتسرعت في تزويجه فايزة ، قابل أبي الزوج وحذره من طليقته ، وأنها تسعى لخراب بيته ؛ لأنه طلقها ، وراسلته ليعيدها إلى ذمته ضرة ، فلما رفض هددته بتطليق فايزة ، ومنعه من استقبالها في بيته ولا فضل لها بتزويجه ، وأعلمه أن امرأته الجديدة حامل بفضل الله . ولم تعد فايزة تستقبل تلك المرأة ، وتشجعت من قوة وموقف أبي ، وكان زوجها طيبا وجيدا وذا شخصية ضعيفة ، ولدت فايزة طفلين قبل هذه المشاكل ، ولكن المطلقة لا تهدأ ولا تمل ، كنت أسمع عن حركاتها للإفساد مما دفع أبي على إقناعه بالرحيل من الحي ، وسيتكفل ويدفع أبي له أجرة البيت الجديد ، ورحلت أختي من الحي إلى حينا ، وبيت قريب من شارعنا وأنا بدوري أنهيت خمس سنوات في الهندسة ، وعمل لي والدي حفلة تخرج تحدث الشارع عنها لأعوام قادمة ، دعا إليها كل العائلة والجيران وذبح الغنم ، وكان يوما مشهودا في الحي . الأعمال كانت تعرض عليّ قبل التخرج ، تعلمت الهندسة المدنية وكنت مبدعا في الرسم الهندسي .

تسلمت العمل في إحدى شركات الإنشاء والتعمير ، وحينئذ فكرت بالزواج بشكل جدّي ، معي دراهم وفلوس ، خلال الدراسة كونت علاقات مع بعض الفتيات المهندسات ، ولم أعد واحدة منهن بالزواج ، فكرت بالزواج من ابنة خالي عماد الدين ، كان لديه بعض الأوانس في تلك الفترة ، فحدثت خالتي فاطمة عن ابنة خالي الآنسة جيهان. شاورت شقيقها برغبتي بمصاهرته ، فرحب بذلك وطلب الجلوس معي والتقينا في مقهى عام ، فنحن منذ وفاة أمنا

ضعفت علاقتنا الاجتماعية بهم إلا في الحالات الضرورية أو الطارئة ؛ كموت فايز ، زواج فايزة أو مرض أبي بمرض أدخل فيه المستشفى، أكدت له رغبتي بمصاهرته ، وقد تحدثت مع خالتي فاطمة .

فقال: تحدثت معي عن رغبتك بجيهان ، المشكلة يا عزيز أن هناك فتاة أكبر منها عزباء ، ومن الصعب تقديم الصغرى على الكبرى ، أنت رجل محترم يتاجر بك وبما أن هواك مع جيهان عليك أن تنتظر حتى يتسهل درب بسيمة أو تتزوجها .

قلت بحيرة : لا أدري يا خال! أنا فعلا طمحت نفسي للزواج من جيهان ، ورأيت الأمر ميسورا لم أكن أعلم بهذا القانون ؛ لذلك دفعت خالتي للحديث معك حتى لا أسبب إحراجا لكم ، وأسمع ردكم.

قال : ردنا عليك.. نعم ابن الأخت .. فبسيمة أكبر من جيهان .. لماذا لا تأخذها؟

قلت: أنت تعلم أننا لما ترمل أبي ، لم نعد نرى بعضنا إلا في المناسبات الاجتماعية فظلت جيهان في نفسي من الصغر اذا قدر الله لي الزواج دون أخواتها ، هي تصغرني بسنة أو سنتين .

قال : سنتان ، إنها على مقاعد الجامعة بعد.

قلت: فالآنسة بسيمة على الرأس والعين يا خالي.

قال : هل تصبر حتى يأتيها النصيب؟

قلت بحيرة : كم سأصبر؟ شهر شهران سنة.

قال : النصيب والقدر هو الذي يحدد الوقت.

قلت: نخطب ، ونؤجل الزواج حتى تتزوج بسيمة.

قال : الخطبة الطويلة مزعجة يا عزيز!

قلت : نتزوج دون مراعاة السن .

قال : لا أريد أن أحرج بسيمة .. أجرح شعورها يا عزيز ! فلتصبر حتى يأتيها نصيبها .. أنا لا أزوج بناتي لأي عريس .. اصبر بضعة أشهر.

قلت بحيرة : حسنا ! سأصبر ستة أشهر يكفي.

قال : جيد يا ابن أختي! لعل الله يحدث أمرا.

قال : أرجوك يا عزيز لا تتحدث عن هذا الاتفاق لأحد ، وسأطلب من فاطمة الصمت ، وأشرح لها الأمر .

قلت: افعل ما تراه.

مضت الشهور الستة يا طارق ! ولم تتزوج بسيمة ، ولم أسمع بأي خطيب ، وتحدثت مع خالي وقال: الأمر لله يا عزيز ! إما أن تتزوج بسيمة ، وإما أن تبحث عن آنسة أخرى ، أنا عاجز عن تقديم جيهان على بسيمة ..اقبل عذري يا ابن أختي.

قبلت عذره يا طارق ، وخطبت فتاة عن طريق صديق لي ، وبعد فترة قصيرة حدث الانفصال ولم نكمل المشوار ، ولم تكن الزوجة المناسبة ، وخرجنا كما يقال بأقل الخسائر . وأثناء البحث عن زوجة جديدة تمكنت مطلقة أبي بإقناع زوجها بالزواج على أختي ، ولما علم والدي بذلك خيّر فايزة بالبقاء أو الطلاق ، فقبلت أن تبقى زوجة ثانية على الطلاق ، وتوقف أبي عن دفع أجرة البيت ، وأصبح جل وقتها في بيت أبي ، وبدأت المشاكل مع زوجة أبي ، مما اضطر أبي بتهديدها بالطلاق . وظلت المشاكل تعصف بين المرأتين ، وأنا أتلهف على الزواج للخروج من بيت العائلة لراحة النفس، استطاعت عمتي أن تجد فتاة تقبل بي ، وكانت فتاة تعمل مديرة مؤسسة خاصة ، خلال شهر كنت زوجا لمنال عبد الرؤوف ، سكنت في شقة في حي راق ، وكانت الفتاة جميلة وطيبة ونشيطة ، اعتبرت نفسي محظوظا بالزواج منها ، وإنني أحبها وتحبني وكانت تملك سيارة ، كما أملك أنا واحدة . ينطلق كل منا لعمله صباحا ، ونجتمع مساء قبل الغروب ، وبعد زواجي بوقت يسير دعيت لحفلة زواج ابنة خالي جيهان قبل زواج بسيمة .

كنت أتأخر في العودة للبيت لطبيعة عملي من مكان العمل إلى مكاتب الشركة لتقديم تقرير العمل اليومي وحضور الاجتماعات الإدارية . كان بيننا انسجام وتفاهم ، والأمور تسير بريح طيبة بفضل الله ، كنا نتغلب على أي صعوبة تحدث ، مضت نصف سنة بكل هدوء وصفاء ،

وبدأت تتعالج من أجل الحمل ، وقد أصيبت بالتهابات ومشاكل صحية ، أنا مثلك لم أكن أهتم بالحمل بأي لهفة ، تركت الأمر على أقل من مهله ، وتعرضت لعمل اختبار لمعرفة جودة المني وقوته ، وتبين أن أمري جيد ، والحمل سيتم بإذن الله ؛ فكان هذا الموضوع الحساس يعمل لنا بعض المنغصات ، حصل الحمل ، ولم يثبت حدث الإجهاض ، وارتحنا لحدوث الحمل نفسيا ، ولسوف ينجح مرة أخرى بعد حين. مضت سنتان ، ولم نوفق في تثبيت الحمل ، ورغبتها أمها بالطلاق ، وأنني مريض غير قادر على التلقيح والإخصاب مع أن المشاكل طبيا من جهتها ، تحمل ويفشل الحمل ، طلبت منها أن تكف أمها عن تنغيص حياتنا ، وسنعيش بدون ذرية ؛ كما يعيش ملايين الأزواج في العالم بدون خلفة. تهدأ الأمور حينا أسبوعا شهرا وتعود للفحوص والعلاج والأدوية دون فائدة، ثم حسمت أمرها ، وقالت : خلاص تعبت ، ليكن الطلاق بيننا يا عزيز! أنا فاشلة في الحمل منك ، ولن تكف أمي وإخواني من حشر أنفسهم بيني وبينك ، وأنت تعبت ، أقنعتها أمها بالزواج من رجل آخر ، وسيتحسن الحمل ، وأكد لي أحد الأطباء قائلا : ممكن هذا يا عزيز! الرجال يختلفون عن بعض ؛ كما تختلف البصمات ، القدر هو الفصل في ذلك ، قد يكون نصيبك عند امرأة أخرى . وذكر لي قصصا في ذلك ، ولما رأيت إصرارها ورغبتها ذهبنا للقاضي الشرعي وحصل الطلاق ، ودفعت مؤجلها رغم أنها سامحتني فيه ، وها أنا اليوم مثلك أبحث عن شريكة جديدة ، فالزنا والحانات لا تحل شهوة الرجل الشريف مثلنا!

زوجتي ابنة عمي

اسمي عمر تركت المدرسة صبيا ، ولحقت بالعمل مع أبي في سوق التجار ؛ حيث يبيع أبي الثياب والملابس الجاهزة الرجالية والنسائية للصغار والكبار ، وعدد كبير من العائلة الكبيرة وأصهارهم يعملون في هذه التجارة من زمن بعيد ، وكان المكسب جيدا ، والله بارك في التجارة كما نسمع ، حتى أن السوق اشتهر باسم العائلة فتعلمت المهنة وتشربتها من الصغر ، البيع والشراء والمفاصلة ، ولم أكن الوحيد الذي يعمل مع أبي ، فالمحل كبير والزبائن كثر ، فالمحل يحتاج لكثير من العمالة ، ومن يكبر منا يستطيع فتح محلا ودكانا لنفسه وحيدا أو شريكا في نفس السوق أو غيره ، فالدنيا واسعة ، والرزق على الله ، وعلينا المشي والسعي .

تزوج أخي الكبير محمد من قريبة لنا ، والدها يعمل مثلنا في السوق ، وانتقل للعمل مع حميه ؛ لأن ابنه ترك العمل مع أبيه لمهنة أخرى أو قل كره تجارة الملابس والثياب والقماش ، وتزوج أخي الآخر محمود ، وبقي يعمل معنا ، ووقف الدور عندي عند عمر ، وكنت وأتوقع أن يكون ذلك خلال العامين القادمين إن عشت فأخي محمد تزوج عند العشرين ، ومحمود نحوه وأنا قريب منها ، فبدأت أهيئ نفسي لهذا الحدث الكبير في حياة كل إنسان عاقل ، وبيت العائلة يكبر ولاحظت أن عمي فوازا شقيق أبي حسان أخذ يهتم بي أكثر من اللازم فأدركت أن العروس ستكون ابنته ، ويرغب بمصاهرة أبي شقيقه حسان ، كانت العائلة تفخر بتزويج بناتهم من نفس العائلة ، أما الذكور فيتزوجون من غير العائلة بدون حرج ، كانوا لا يحبون تغريب نكاح البنت إلا في الحدود الدنيا فتصلني الهدايا من البنطالات والقمصان عندما تعرض أول مرة ، قناني العطر ، فتأكد لي أني المرشح للزواج من إحدى صبايا العم ، وذلك من تقاليد العائلة الكبيرة .. أحب ذلك بصراحة ، كنت معجبا بنعيمة ، وكانت في الإعدادية البنات عندنا آخر صف لهنّ الثانوية العامة ، ثم الزواج ، ويتوقف التعليم وإن لم تتزوج ، فأكثرهن يصبحن سيدات بيت قبل الثامنة عشرة ، ونحن الذكور عشرون سن النكاح ، ولم يكن لديّ مانع من الاقتران بها ؛ لكن هناك اثنتان أكبر منها أو من سنها ، لدى عمي توائم واهتم بي أولاد العم أكثر من الطبيعي

ويدعونني لمشاركتهم الغداء وشرب الشاي أو القهوة في بيتهم ، كان اهتمامهم بشخصي بعد زواج محمود زائدا وبينا. مضت الأيام حتى أتى وقت الزواج ، وتحدثت أمي مع أمها، وانتقل الكلام للأب والعم ، وتيسرت أمور الزواج حسب ما رتب دون عوائق ، وحسب عوايد الناس في الزواج والأقارب ، نكحت ابنة عمي نعيمة فواز وفرحت بها ، وتعلمون لهفة الشباب إلى النكاح لغض البصر وحفظ الفرج ، وأحببتها كما يحب الرجل الزوجة وانقضى شهر العسل ، لم يكن شهرا فقط أسبوعا ، وفي داخل البلد، وصرت بعد صلاة المغرب في مسجد السوق أعود للبيت ، وأنا أسكن مع والديّ بيت العائلة في شقة في العمارة الخاصة بالعائلة ، وأصبح إغلاق المحلات من اختصاص أبي والعمال ، وبدا العم يشجعني على بناء بيت مستقل لي وللغد ؛ كما يفعلون والعيش مع ابنته دون والديّ ، ورحب والدي بذلك ودعمني بقطعة أرض سجلها باسمي ، كما فعل مع أخوي محمد ومحمود ، وخلال سنة كان البيت معدا للرحيل بدعم من عمي وأبي وأخوة نعيمة فواز، كان سخاؤهم واضحا ،ورحلنا للبيت الجديد .

كان الهم المزعج للعائلة كلها عدم حصول الحمل لنعيمة خلال هذه الفترة، فبدأ الإزعاج من عند أمي ، ثم حماتي وأبي وعمي ، وعملنا الفحوصات الطبية لمعرفة سبب التأخير والإعاقة ، فتبين أن السبب البنت ، وبدأت رحلة العلاج بين الأطباء والمختبرات ، والمراكز المختصة في علاج العقم ، ومشاكل الجهاز التناسلي انقضت خمس سنوات دون فائدة ، ودون حمل ، وأنا كلي شوق لرؤية ذريتي ، وكنت أتألم عندما تلد زوجة أخي محمد أو محمود وأخواتي وإخواني الأصغر الذين تزوجوا بعدي ، كنت أعيش في ظلام دامس ، أعيش في حسرة أريد طفلا كسائر الخلق ، اللهفة موجودة فيّ بقوة ، وبدا الهمس أن أتزوج امرأة أخرى أتزوج من جديد ، وأجرب حظي مع أخرى ، وهمست بذلك لنعيمة ؛ لكنها رفضت التفكير بهذه الفكرة ، وأن تكون ضرة ، وانتقل الكلام لأمي وحماتي وأبي وعمي والعائلة كلها ، وغضب العم وأعمامي من هذا الهمس وعاب القوم الزواج على ابنة العم حتى لو لم تلد ، وعليّ الرضا بالقضاء والقدر والنصيب واستقرار العائلة، وأنا أصيح ، وأصرخ في وجوههم أريد ابنا ، أريد أن أصير أبا ، فيقال لو كان

العوق منك أتقبل بتركها لك ، فأصبح الشرع سمح لنا بالتعدد ، الشرع هو الذي سمح لنا بالزواج ؛ ولأنها ابنة عمي فلتبق على ذمتي ، لا أريد طلاقها ، أريد طفلا ينادي يا بابا بابا.

****

أريد الطلاق بقوة ، وهم يرفضون بقوة ، تركت العمل مع والدي ، وبدأت بمحل صغير وحدي ، خلال سنتين كبرت المحل في سوق آخر ، أصبح عندي شريك في التجارة ، أهملت زوجتي لم أعد أقربها ، واعتبرت أن اللقاءات بها إهدار لما بقي معي من قدرة على الإنجاب ، شكت لأمها ، فطردتها من البيت ، أجبروني على ردها ، نتشاجر كثيرا ، كل وجباتي الغذائية في السوق ، حتى حرمتها من وجودي معها طوال يوم الجمعة ، كنت أخرج للجامع ولا أعود إلا في الليل ، فتضطر للمبيت عند أهلها خشية المبيت وحدها أو يسأ لسمعتها ، سافرت عددا من البلدان .

قال لي شريكي وهو من العائلة : يا عمر لك عشر سنوات في عذاب ، تزوج سرا ولما تلد زوجتك ضعهم تحت الأمر الواقع ، إما أن يقبلوا الطلاق أو التعدد.

ساعدني حسام وساقني إلى شيخ يعالج بالقرآن والطب الشعبي ، ورحب بنا الشيخ عبد الرحمن ووعد بالمساعدة على تحقيق الزواج ، وقال مشجعا على التعدد : لما تتزوج الثانية لسوف زوجتك الأولى تحمل بإذن الله .

قلت بحيرة : معقول هذا الكلام يا سيد حسام ! معقول تتأثر النساء ببعض

- ربما يحدث معها هذا التأثير .

لم أقتنع أن نعيمة ستحمل لما أتزوج عليها ، لنا عشر سنوات ، وقلت :سأحتفظ بها اذا لم تطلب الطلاق لعل فكرتك تصح يا مولانا .. هي لو لم تخضع لضغط العائلة لقبلت الطلاق .

استأجرت شقة بمعاونة حسام في حي شعبي ، واستطاع عبد الرحمن من تدبير زوجة فقيرة من عائلة مستورة ، وتزوجت على سنة الله ورسوله ﷺ . وولدت قبل ذكرى زواجي بسنة ، وغمرني الفرح ، وأعلمت أمي بأني صرت أبا بعد طول انتظار ، ولما علمت نعيمة بزواجي وأني خلفت

تركت البيت ، حدثت ضجة في العائلة ، وكنت متوقعا لهذه الزوبعة ، قابلت الأمر ببرود ، طلب مني أبي طلاق نعيمة ؛ لأنها لا تقبل أن تعيش ضرة ، طلقتها ؛ كما رغبوا وعدت للحياة في بيتي لأن نعيمة أخذت الكثير من أثاث الشقة ورحلت ، ولدت منى ابني الثاني ، وأصبح أمر منى مقبولا عند والديّ ، ولم تتزوج نعيمة فبدأت الشفاعات لعودتها ، وبضغط عائلي قبلت العودة ولكن بعد بناء شقة ثانية وساعدني أبي في ذلك للتعجيل بعودة نعيمة إلى شقتها التي ساعدني والدها بإقامتها ، تم البناء ، وانتقلت منى للشقة العليا ، وتزوجت نعيمة من جديد وعادت لشقتها ، وبعد فترة جفاء لانت وتقبلت الزوجة الثانية ، وتقبلت منى بيسر الضرة ، وكنا نأكل جميعا ، وفي الليل ليلة مع منى ، وليلة مع نعيمة ، ولما وضعت منى ابني الثالث حملت نعيمة ، وصدقت نبوءة الشيخ عبد الرحمن وأرسلت للشيخ هدية من نعيمة ، والحمد لله .. فاليوم عندي أربعة من منى ، واثنان من نعيمة ؛ حيث أمست أما بعد أن صرت أبا .



اختفاء أبي

قال طارق : صديقنا حمزة قصته مؤلمة أكثر منا ، وهو ضابط شرطة فاطلع على الكثير من تفاصيلها في ملفات الشرطة والادعاء العام.

قال عزيز : تابعت بعض فصولها في صفحات الحوادث في الجرائد قبل التعرف عليك.

تنحنح الرائد حمزة وقال : نعم ، الطلاق مأساة فعلا ، وسبب خطير لانحراف ضحاياه انحراف الأبناء ، وانحراف الزوجة ، وحتى الزوج .. قصتي بدأت وأنا طفل مثل صديقي المحامي طارق ولدت أمي فاطمة أبنائها الخمسة في حي البطن ، كان آخرهم حمزة عندما طلقها زوجها حسام براهم ، فاضطرت للرحيل إلى حي أبي حية في دار السلام ، فقد دبر لها شقيقها مالك بيتا فيه ، فهو من سكانه، ولما طلقت فاطمة زكريا لم تكن تملك من المال إلا مؤخر صداقها ، وكان عمر حمزة يومئذ خمس سنوات ، ولم يستطع أهلها تقديم الكثير لفقرهم وقلة المال بين أيديهم ، فاضطرت أن تعمل في بيوت الأغنياء كشغالة وخادمة في أبي حية وخارج أبي حية ؛ لأنها لما طلقت كان عمر ابنتها الكبرى سهيلة ابنة ثلاثة عشر عاما ، وهي طالبة في المرحلة الإعدادية وكان السيد الوالد كف عن النفقة على أولاده نسي أنه أب لخمسة آدميين .. وفي عام ١٩٨٠في هذا العام سيتخرج ابن فاطمة الصغير حمزة من كلية الشرطة كضابط ، وهو الابن الوحيد الذي استطاع اجتياز المرحلة الثانوية بنجاح ، واستطاعت والدته بحكم عملها كعاملة فترة من الزمن في بيت وقصر وزير داخلية أن تتمكن من إدخاله كلية الشرطة ، فلما لجأت إلى الوزير المتقاعد شفع وتوسط له في كلية الشرطة ، وقبل فيها بعد اجتياز الاختبارات والفحوصات اللازمة ، وها هو هذا العام على وشك التخرج.

ولم يوفق ابن فاطمة إياد من إكمال الدراسة وعمل في مهنة الحدادة ، وأما بناتها فقد زوجتهن قبل إنهائهن الثانوية ، كان زواج البنات في ذلك الزمن سهلا ، يتزوجن دون بلوغهن العشرين خاصة اللواتي لا يرغبن بالدراسات العليا ، ويرين تكوين أسرة أفضل من الوظيفة والشهادة ، في سنة ثمانين قد بلغت الكبرى حوالي ثلاثين سنة ، ولديها أربعة أطفال ، وكانت قد تزوجت

وهي ابنة خمس عشرة سنة ، وبعدها بثلاث سنوات تزوجت سالمة التي سميت على اسم والدة أبيها حسام براهم ، ثم تبعتها سلوى ، وواحدة منهن أخذها ابن خالها ، وما زالت تسكن في الحي ، أما إياد عندما بدأت الحكاية فقد بلغ الرابعة والعشرين ، ولم يتمكن من الزواج بعد .. عشرات مئات من البنات تطلق وترمل في الدنيا وهذا شأن يومي؛ لكن الذي جعل قصة هذه المرأة حكاية تكتب ، الأحداث التي ستقرأها في سطور هذه القصة.

حسام براهم تعرف على والد فاطمة السيد زكريا ؛ حيث كان يعمل مناديا للركاب والمسافرين إلى البلاد المجاورة في سيارات التاكسي ، ويعمل فراشا في مكتب السفريات الخارجية في مجمع كبير في المدينة لنقل الركاب ، ومن خلال عمله تعرف على فاطمة وأبيها وقبله الأخير زوجا لابنته بعد قبولها ، وكان ذلك في مطلع الخمسينات . ولما خلفت الخمسة جرى طلاقها ؛ لأن حضرة الزوج تعرف على أنثى شابة تاجرة تكثر من السفر لخارج البلد لشراء الثياب بسعر زهيد وبيعها في محلها، أغرته بالزواج منها ، ووقع وسقط في غرامها وهواها ، وقبلت الاقتران به اذا طلق امرأته ، وامرأته فاطمة قبلت أن تعيش ضرة على أن تبقى على ذمته ، ولم تنفع الشفاعات والواسطات لرده لعقله ، وحتى أن تعيش على ذمته وبجواره، ورفضت تلك المرأة حلوة بكر تلك الفكرة إلا طلاقها ، وأن يبقى لها وحدها ، والرجل كان مفتونا بجمالها وبقبولها له ، وحصل الطلاق وخرجت من بيت حسام ورحلت إلى أبي حية وسكنت فيه بجوار شقيقها مالك ، واضطرت للعمل في البيوت لتقوت نفسها وعيالها الخمسة .. قد عرفتم سبب طلاق فاطمة أم إياد ورحيلها لحي آخر ، والذي طور القصة عن المعتاد هو سكن الزوج في أبي حية بعد حين ، وشفع بعض أزواج بناته ، وبعض رجال الحي بالشفاعة له عند مطلقته للزواج من جديد ، وأنه مستعد لطلاق حلوة بكر ، ورفضت فاطمة العودة والزواج ، وأنها رفضت الزواج بعد طلاقها وله سنتان يحاول ويوسط دون فائدة ، وأعلمت المرأة الوسطاء بعدم حاجتها لرجل وزوج ، وأخبرت أنها لن تنسى أيام الطرد والبهدلة ، وتخليه عن النفقة على ذريته كل هذه السنين ، فله سنتان يتوسل ويشفع الناس ، وهذا دفع للتشاجر مع ابنه إياد، وطلبه منه الرحيل عن الحي،

وأخبر امرأته عن حياة زوجها في أبي حية ورغبته بمصالحة امرأته المطلقة ورغبته بطلاقها، فجاءت المرأة للحي وبهدلته أمام سكان الحي وأخذته لبيته في حي البطن قهرا ، وأغلقت الدار وأخذت المفاتيح ، ووعدت صاحب العقار بدفع الإيجار آخر الشهر .

وسبب هربه وسعيه للزواج من مطلقته فاطمة زكريا أنه عرف أن حلوة سيئة الأخلاق وشكا له بعض جيرانه من تردد بعض الغرباء عليها أثناء عمله.. حلوة كانت مطلقة قبل زواجها من حسام ، وطلقت لأنها لا تلد ، وطمعت بالزواج منه لتلد ، وقد أنجبت فاطمة منه خمسة ، وظلت تتردد على أطباء النساء والعقم خمس سنوات دون أمل في الحمل ، وحملت حساما لعدد من الفحوص ، وتبين لها أن لا مشاكل عنده ، ولكنها لا تقتنع بذلك ، واتهمته بالعجز والضعف ، وبدأت تنحرف وتتواعد مع الزناة حتى فاحت رائحتها في الحي ، وعلم الزوج بخياناتها ، ونشبت المشاجرات باستمرار ، ويترك البيت بالأيام والأسابيع ؛ حيث ينام في مكاتب الشركة ، ومرات في الفنادق الشعبية ، ثم استأجر شقة في أبي حية طمعا بالعودة لفاطمة وهربا من الحياة مع حلوة . ولما علمت بحياته في أبي حية ذهبت إليه ، وجرته لبيته الذي كتبه باسمه واسمها ، وقد تنازل عن نصفه لها ، ولما وصل الحي غافلها وهرب ، وذهب صباحا للمحكمة وطلقها غيابيا ، واختفى من الحي ولما بلغها طلاقه ، ما عادت تبحث عنه ، وأن عليها الذهاب للقاضي ؛ ليحدث بينهما الطلاق القانوني بعد الشرعي بعد أخذ حقها الشرعي من المتاع ومؤجل المهر .

****

غادر حمزة مكان ولادته وهو ابن خمس سنوات ، وتلقى سنوات تعليمه الأولى في حي أبي حية ولما تخرج أو نجح في الثانوية، بواسطة التحق بكلية الشرطة العربية ، ومنذ غادر طفلا لم ير والده ؛ إنما يسمع عنه القليل من الأخبار حتى تفاجأ من سنتين أن والده يسكن في الحي، وجاء ليعيد أمه إلى ذمته ، فصدم بل حذر أمه أن ترضخ لهذه الرغبة ، ولم ينجح حسام في مسعاه ، وخلال هذين العامين رفض الشاب اللقاء بأبيه والجلوس معه ، وشجع أخاه إيادا بكشف أمره

لزوجته حلوة ، وفعلا كانت عند حسن ظنه ، فأقبلت وقلّت قيمته ،وجرته لحي البطن ، وتنفس حمزة الصعداء ؛ لأنه عندما كان يراه في شوارع الحي ينتقل لمكان آخر ، ويتعوذ من الشيطان ، وكان يكرهه للمعاناة التي عانتها الأسرة من طلاق أمه ، ومن عدم صرفه عليه ومن كثر لعانات أمه عليه ، خلال السابعة عشرة سنة التي مضت لهم في الحي ، جاءت الأخبار لحمزة عن طلاق أبيه لحلوة طلاقا شرعيا ، وينتظرون الطلاق القانوني حسب تعاليم القانوني المدني من توثيق العقود الشرعية كالزواج والطلاق والوصايا والميراث .

كان من المتوقع أن يتخرج حمزة خريف هذا العام من الكلية كضابط شرطة ، ذات نهار طلب منه أحد المدرسين بالذهاب لمكتب عميد الجامعة الشرطية ، فدهش لهذا الطلب، وسمح له المحاضر بالخروج ، فزاد توتره ، وظن أن مكروها أو موتا أصاب أحد أفراد العائلة، دخل مكتب سكرتير العميد ، فلما رآه رحب به ، ودخل مكتب العميد يستأذن له، ثم أمره بالدخول فدخل وألقى السلام وأدى التحية العسكرية ، ولما أشار له العميد بالجلوس شاهد والده يجلس في الغرفة وبجواره رجل آخر ، فذهل وأصابه مغص وضيق.

قال العميد لما جلس الضابط له : مرحبا ملازم حمزة! أتعرف هذا الرجل ؟

رد وبدون أن ينظر إلى أبيه قال : نعم ، يقال هذا أبي.

قال : جاءنا يشكوك !

قال : يشكوني ،أنا لا أعرفه يا سيدي ! .. أنا من عشرين سنة لم أجالسه ، لقد طلق أمي وتخلى عنا وأنا ابن خمسة أعوام ، وهو يعلم كما شقيت أمي لتنفق علينا ، اشتغلت في البيوت ، ولم يرسل لنا مالا ولو أجرة البيت ملابس العيد مصروف .. بماذا يشكوني يا سيدي؟

قال : يزعم أنك اعتديت عليه ، ولا تساعده ماديا..

قال : هذه أول مرة يجمعني به مجلس منذ طردنا من بيته .. هذا يا سيدي الذي حاول ضربه شقيقي الأكبر ، ثم عرفت امرأته الثانية بهربه لحينا ، وجاءت وضربته أمام الناس، وأغلقت الدار ، وسلمت البيت لصاحب العقار ، وجرته معها ، وأسرتي لم تحضر المشاجرة؛ إنما سمعنا

بها من الجيران ، ولدينا عشرات الشهود.

قال العميد لحسام : أسمعت ؟!

قال متلجلجا :أنا لم أقل ضربني بيده يا سيدي ! انهم وزوا امرأتي عليّ ، وعرفوها بيتي، وأنا جئت مع هذا السائق المحترم ؛ لتصلح بيني وبين أولادي.

قال العميد: هذا يا سيد مكان دراسة ، كان الأولى بك أن تذهب لمركز شرطة أو محكمة.

ضغط على جرس والتفت للضابط قائلا: اذهب إلى محاضرتك.

دخل السكرتير فقال له العميد : فليذهب الحارس بهذين الرجلين لباب الكلية وقال لحسام : الرجل الذي أرسلك إلى هنا جانبك الصواب وسخر منك مع السلامة.

***

لما التقى حمزة بصديقه في الكلية نائل قال : أصحيح ما انتشر بين الطلاب عن مجيء أبيك المجهول لك منذ طلقت أمك كما أخبرتني يوما يشكوك للآمر للكلية؟!

قال باسما : نعم ، أرأيت الوقاحة يا صديقي ؟! بعد أن رمانا في الشارع جاء يتسول عندنا ، إنه خبيث .

قال : إنه أبوك !

تنهد وقال : هذه المأساة يا نائل !

بعد ظهور السيد حسام في كلية الشرطة بأيام علمت الأسرة أن زوجة أبيهم رحلت لحي أبي حية ، واستأجرت نفس دار حسام زاعمة أنها تنتظر عودته ؛ لأن المحكمة أجلت النظر في طلاقها لاختفاء الزوج ، وعدم حضوره جلسة المحكمة ليبت في دعوته بالطلاق منها ، وأعلنت أنها أجرت بيتها.

فكان سلمان يتحدث مع إياد حسام في مقهى الحي قائلا : ولماذا جاءت لتسكن هنا وهي التي أخرجت زوجها غصبا منه ؟!

تنهد إياد بأسف وقال : الله يستر يا عم سلمان ، هذه المرأة سيئة ، أعرف عنها سوء الأخلاق قبل

أن أعرف أنها زوجة أبي ، أنت تعلم أن أبي تزوجها بعد ما طلق أمي ، ورحلنا من حي البطن ولم نره منذ ذلك الزمن ، ولم يحاول أن يرانا وينفق علينا إلا لما زهق من فجورها ، وفاحت ريحتها بين الجيران ، وأنها تمارس الدعارة ، وسكن في حينا هذا.

فقال أبو مالك : لقد علمت قصتكم بالتفصيل منذ رحلت أمكم لهنا ، وخالك مالك صديق لي .. لا أحد يدري لماذا رحلت إلى هنا؟!

ـ نحن كشفنا أمر أبي لها لتأخذه إليها وإلى بيته ، فالبيت هو الذي امتلكه وصاحبه ؛ لكننا عرفنا من زوج أختي أنه تنازل عن نصفه لها لما تزوجها.

قال هازئا: قال وقع في حبها

ـ سمعنا هذا من أمي ومن خالي وجدنا الحاج زكريا ، لا أعلم ما هذا الحب !

ـ أمك أم صابرة ومجاهدة ، ربتكم بكدها وتعبها وصحتها .. المهم كونوا على حذر ، لم تختر هذا الحي منتظرة عودة أبيكم ..أبوكم لما سكن هنا كانت تظن أنه مسافر مهاجر كما زعم لها ، وهي غير مهتمة به وصدقت الزعم ..هي لها دكان ملابس في حي البطن .

قال : سمعنا يسمونه اليوم نوفتيه .

ـ صحيح ، والكلمة الفرنسية يا سيد إياد ! ويقصد بها محلا صغيرا يبيع ملابس متنوعة.. ألا أخبار عن أبيكم ؟

ـ منذ ذهب يشكونا في كلية الشرطة لم نعرف عنه شيئا.

وقص مختصرا قصة كلية الشرطة ، استغرب سلمان هذه القصة وقال : الناس تشكوا في المخافر والمحاكم.

ـ هذا ما حدث وطرد شر طردة من مدير الكلية .

فقال سلمان : مجيء هذه المرأة إلى هذا الحي وراؤه أمر ما يا إياد احذروا القرب منها ..ألا تعلم مكان اختفاء أبيك ؟

هز رأسه نافيا معرفته بمكانه وقال : طوال سنوات مكثه هنا كانت تظن أنه مهاجر إلى أوروبا

كما تخبر وكما شاع ، لما نقلنا لها خبر حياته في أبي حية دهشت.. وقبل أن أطرق بابها أخبرني صاحب بقالة قريب من بيتها أنها امرأة سيئة وفاجرة ظن أنني أحد زبائنها .

صاح سلمان : تمارس الدعارة في بيتها !

ـ هذا ما فهمته من البقال ..وأنا لم أقل لها أنا ابن من ؟ أخبرتها بسكن زوجها من الباب ، ولم ادخل

ـ نعم، أحسنت بهذا التصرف.

ـ لكن لما عرفت ذلك عنها ولما قابلت البقال وأنها امرأة أبي صدمت يا عم أبا مالك!

فقال : لماذا ؟!

قال : تذكرت أني دخلت الحي قبل سنوات وإلى ذلك المنزل .. كنت أعمل مع شاب يتردد عليها للبغاء والزنا ، وكان يحدثني عنها ويراودني لمرافقته إلى دار الخيانة ، فذهبت معه لتصليح خزان ماء مخروم في منزلها .. تخيل لو طاوعته في فجوره ، ثم اكتشفت أنها امرأة أبي لما طفح الكيل ومضايقته لأمي ولنا وللبنات !

قال: تزوج يا إياد ! فالزنا فاحشة ومقتا وساء سبيلا ، فأنت سمعتك ليست على ما يرام

قال بحزن : إنك تذكر لما عشت فترة في اليونان تعلمت الفجور ، ولا تنسى طلاق أمي وبؤسنا يا أبا مالك ، فوقعت في الشراب والبنات ..

ـ لكنك اليوم تعمل، وعليك بالزواج خذ بهذه النصيحة يا ولدي خلينا نسمع عن أخلاقك الحسنة.

فكان الشيخ سلمان كلما يصطدم بإياد في مقهى الحي يتحدث معه حول والده وزوجته التي تعيش في الحي فقال ذات مساء: ما بال امرأة أبيك تستقر هنا لتعيش في شقة أبيك المختفي ؟

ـ نحن مثلك مستغربون لقد علمنا أن أبي طلقها غيابا وهرب بعدما بهدلته كما تخبر قبل شهور مضت .

قال: ألم تطلقها المحكمة؟!

ـ بلى ، لا تطلق تماما حتى تقر باستلام حقها بالكامل بلقاء أمام القاضي وقيل إن الطلاق معلق قانونيا حتى يمتثلان أمام قاضي التطليق، أما لماذا جاءت للحياة وفي نفس شقة أبي ؟! لا نعلم وهذ يحيرنا ولا اتصال بيننا .

قال بفضول : كيف تعرف عليها والدك ؟

قال إياد بعد ضحكة قصيرة : ذكرت لك قصة طرد أمنا المسكينة الفقيرة كان بسببها، أبي كان يعمل مناديا للركاب في السفريات الخارجية في شركة سفريات المحيط في منطقة غاية ومراسل أيضا في مكتب الشركة ، فتعرف على والد أمي وتزوج ابنته على سنة الله ورسوله ، وكان له بيت يملكه في بطن امتلكه قبل الزواج ، وعاشا بسعادة ، وولدتنا الخمسة في بطن ، كانت حلوة بياعة ، وتسافر لشراء ملابس داخلية خاصة بالنساء ، فعرفها من كثرة سفاريتها ويساعدها في التحميل والتنزيل ، فصار بينهم كلام ومعرفة ، وللسيدة محل بيع دكان ملابس كانت متزوجة عندما عرفها أبي حسام، فلما طلقت صار لها اهتمام أكثر بأبي ، ولها شريكة في الدكان ، وكان أبي يمازحها أثناء التحميل والتنزيل ، وتقدم له البقشيش بسخاء ، وقع في هواها واشتهاها ، لابد أنها أوقعته في غرامها ، وصدق أنها تحبه ، وهي غنية ، وتعمل ، وهي مطلقة، أقنعته بالزواج منها وشرطت عليه طلاق أمي ونصف الدار ، وصدق ونفذ شروطها وتزوجا وطردنا من بطن.

قال : كيف اقتنع بها؟

قال إياد : لما رأت لهفته نحوها ، قالت تتزوجني يا حسام ما دمت أنا حلوة في عينك أنا مطلقة من فترة.

قال : عندي امرأة وأولاد يا حلوة ! هذا تحدث به مع خالي مالك وهو يشفعه للزواج من أمي

قالت : أنا احلى منها وأنا معي مصاري وفلوس.

تكرر هذا العرض ، فوقع في شبكة المطلقة ، فطلق وطردنا حتى لم يقبل أن تعيش والدتي في الحي في بيت مستأجر ، رفض ، وأخذنا صاحبك الخال وعشنا وكبرنا هنا ، وتزعم للجيران

بدخول الزناة على بيتها أنهم تجار تعقد معهم صفقات ملابس، وتبين للجيران أنها صفقات زنا .

قال : أمر مؤسف يا إياد !

قال إياد : مؤسف جدا ! ولما تقاعد تظاهر بالسفر لليونان وسافر إلينا رغبة بالعودة لأمي ورفضت بقوة ورفضنا ، فاضطررنا لفضحه ليخف عنا وعنها ، وطلق واختفى.

قال السيد بهزة رأس : سنعرف سر الرحيل.

قال إياد : نحن سنرحل من الحي اذا لم ترحل ، سنرحل بعد تخرج حمزة ، نحن نحب السلام

قال: كما نصحتك دائما تزوج ودعك من الهمالة والشراب ريحتك ظاهرة يا إياد

قال إياد : سقطت للأسف في الرذيلة ، وافكر بنصحك ونفسي بكل قوة

نهض سلمان داعيا له بالتوفيق: وفقك الله ها هو الشيخ سمور يتنحنح لرفع الآذان صافحه ، وانتقل إياد إلى طاولة الشلة وغادر أبو مالك المقهى متوجها للجامع ولما أصبح خارج المقهى كان رجل أشيب قد ترك تاكسيا يقف على الرصيف يتلفت شمالا ويمينا ، فلما رأى سلمان صاح : يا أخ يا أخ ، فالتفت سلمان وقال :نعم ، نعم أيها السيد

قال الغريب : هذا جامع حي أبي حية .

ـ نعم ، ولا يوجد غيره

قال : شكرا ، أنا عائد للوطن ، لي أخت كانت تسكن في بطن ، ولما وصلت شقتها قيل إنها رحلت لأبي حية ، وهناك مقهى بجنب الجامع يمكنهم إرشادي لبيت حلوة بكر شقيقتي .

ـ حسنا من أنت ؟

قال : أنا حامد بكر

ـ أهلا أخوك سلمان مالك.. من أختك قلت؟

قال : حلوة بكر وزوجها حسام براهم

قال : آ .. انتظر

رجع المقهى ونادى إيادا وحدثه عن المهاجر وقال : هذا شقيق زوجة أبيك يريد بيتها
تصافح الرجلان : هذا الشاب سيدلك على شقة أختك سيد حامد بكر.
ودخل المسجد وساقه إياد إلى شقة حلوة بصمت ، وأشار لشقتها ورجع للمقهى سريعا ،وقد رآه يطرق باب بيتها.

****

لاحظ وأدرك حامد خلال أيام أن شقيقته مستاءة من وجوده معها ، وكررت أكثر من مرة تحثه على الرحيل والعودة لمهجره على غير مرات سابقة في حي بطن قال مرارا : أين حسام ؟ ولماذا رحلتم من شقتكم وتسكنون بالإيجار ؟

صرخت : تطلقنا!

قال : تطلقت، لم تقولي منذ جئت ! ومن الرجل الذي زارك تلك الليلة قرب نصف الليل؟

قالت : تاجر

فقال : شكله أزعر وهامل .. تاجر في نصف الليل وسكران .. أين حسام؟!

قالت: هجرني منذ عامين يا حامد! ثم قدم طلب طلاق للقاضي غيابيا ولم اذهب للمحكمة

قال: ولماذا أجرت بيته؟!

أجابت في ضجر وملل: البيت مشترك ، كان من شروط قبولي له بعدما طلق امرأته نصف البيت وله سنتان مختفي من حياتي وظننته مهاجرا مثلك ، ثم عرفت بعد سنتين أنه يعيش في هذا البيت يسعى للزواج من أم أولاده من جديد ، وأنا هنا لأن مطلقته وأولاده يحيون هنا فرحلت أتابع الوضع.

قال : المرة الماضية لما جئتك من أوروبا شجعتيني على البقاء والاستثمار هنا وقلت : كفاك غربة .. المرة تطلبين رحيلي .. أمورك غير طبيعية ، أنا أخوك على استعداد على مساعدتك

قالت: أعرف أنك أخي .. المشاكل تعصف بي بهرب زوجي الغادر.. تظاهر أنه هاجر وكان يسكن في هذه الشقة ، وله سنتان يطارد فاطمة مطلقته ، وترفضه هي وذريتها حتى كشفوا لي

اختفائه في حي أبي حية فأخذته عنوة لبطن ، فهرب من جديد بعد أن دخل على القاضي وسجل طلاقي واختفى ، فجئت لعله يظهر ونخلص

قال: اسمعي المرة الماضية قبل سنوات سمعت عنك أخبار سيئة لم أصدقها ظننتها وشايات ، أما زيارة الليلة فدعتني أصدق ما قيل ، فالزائر ليس على هيئة تاجر وبياع هيئته هيئة مجرم وحشرة.

صاحت: حامد لا تتدخل في شأني وحياتي حتى ولو صحبت حمارا .. ماذا تفعل أنت في أوروبا لا زوجة ولا أولاد ؟

قال بهزء : اشتغل

صرخت : أتريد أن أصدق أنك لا تسكر ولا تقرب النسوان

قال : لو حصل ليس عندي زوجة أخونها .. أنت لك زوج محترم يحتاج لاحترامك

قال : عندما يحترم شرفي أحترم شرفه وسمعته

ضحك قليلا : أتريدين أن أصدق أن حساما يصاحب النساء إنه رجل بسيط وغلبان

قالت: متى ستسافر؟

قال : لما أقابله سوف أسافر

قالت : له زمن مختفي ، لا أعلم في أي بلدة مختفيا!

قال: سأبحث عنه ، وأعرف الحكاية، كان مجنونا ومغرما بك عندما تزوجك

قالت : تغير

قال : سبب التغيير

قالت : المهم تغير ، لا أعرف السبب

قال : لابد من سبب

قالت : لا أريد أن تعيش في بيتي.

قال : سأستأجر شقة في الحي ، وكلمت صاحب المقهى في ذلك ، لست حريصا أن أعيش معك

مع أختي .

حدث أمر قبل رحيل حامد ، استيقظ ذات ليلة عند الثانية صباحا متحفزا ومنزعجا على صوت طرق ضعيف على باب الشقة ، فقام حامد وشق ستارة النافذة ، فأرخى أذنيه وسمع أخته تمشي في الممر ، وتفتح الباب ببطء وتهمس مرحبة بالتاجر الذي زارها من أيام ، لم يدخل الرجل الشقة ، خرج الرجل للشارع حيث كانت تقف سيارة نقل صغيرة أمام بوابة العمارة ورأى التاجر يتحدث مع سائق السيارة ، وأخذا يحملان صناديق كرتونية إلى داخل الشقة لمدة نصف ساعة، اقترب من الباب بعد توقف حركة الإدخال ، وسمع الرجل يطلب البقاء معها ساعة زمان ، فهمست أن حامدا نائم لم يرحل ، فقال متى سيرحل؟ لماذا لا نتزوج ونخلص من لقاءات الخفية ؟ ألم يطلقك حسام اذهبي للمحكمة وتطلقي ؟ لم يسمع ردها ، وسمعه : علينا أن نتزوج .. ألسنا نحب بعضنا ؟ أنا مشتاق لك اذهبي للقاضي.

قالت : أنا سأبحث عنه واحضره للقاضي يا عيني!

سمع غلق الباب ، فعاد للنافذة ، وشاهده ركب السيارة ، ويبتعدان، عاد للفراش يفكر بفساد أخته وفرار زوجها وقال : أكيد أنها بضاعة مسروقة! من أين يسرقها هذا الحرامي؟ قالت: إنه لا يعمل .. سرقة مصنع .. ماذا تستفيد من الشراكة مع لص ؟ عليّ معرفة هذا الرجل .

****

الحداد إياد يقف على باب المقهى والجامع منتظرا المهندس بلال وكان الحاج سلمان يغادر المقهى لصلاة المغرب فلمح إيادا فقال مداعبا وداعيا : هل ستدخل للصلاة؟

تنهد إياد : يا الله ليتني أصلي!

قال : لماذا يا ليتني ؟! ادخل مرة مرتان تتعود

قال : إن شاء الله يا عم سلمان أنا أترقب المهندس بلالا بيننا موعد.. ها قد ظهر

تقدم المهندس منهما مسلما ومصافحا قائلا : خير أيها الشباب

ضحك سلمان: أدعو صديقنا إيادا ليجرب طعم الصلاة، اليوم يكثر تردد الشباب والفتيان على

المساجد، لم تعد تقتصر على الكهول والشيوخ

قال : إن شاء الله لما أتزوج أصلي كما نصحتني.. سوف أتوب .. التوبة حلوة نلتقي بعد الصلاة يا باش مهندس أبا محمد.

قال سلمان : آه من سوف !

قال بلال : حسنا لن نلتقي في المقهى ، في فناء الجامع .. وكيف حال العم سلمان شيخ شباب أبي حية؟

قال : والله أنت نوارة الحي وصهر حبيبنا أبي خالد

دخلا المسجد لصلاة المغرب الذي ارتفع آذانه لعنان السماء مناديا أهل الصلاة ليقوموا للصلاة

قال بلال : للأسف كثير من الشبان يظنون أن الجوامع والصلاة لكبار السن يا عم أبا مالك

قال : صحيح ، بدا الأمر يتغير وصرنا نرى الشباب مثلك في المسجد وحتى الأطفال

قال : تأثر الناس بالصحوة ، ولها تأثير وأنصار في الجامعات والأحياء .. هزيمة ١٩٦٧ قضت على القومية واليسارية ، وضعف صوتهم ، لم ير الناس البسطاء خيرا من القومية والشيوعية حتى بدأت تتسرب أنباء أن الاتحاد السوفيتي يعاني اقتصاديا وسياسيا .

قال : الغرب يضغط لموته بشدة وبكل قوة ، فحرب النجوم وعسكرة الفضاء مخيفة .. الله يجعل كيدهم في نحرهم.

خرج الناس من الجامع بعد الصلاة ، ودخل إياد للقاء المهندس، فوجده ينتظره على مقعد حجري في ساحة الجامع حيث يستريح عليها كبار السن للاستراحة أو الحديث رحب بلال بإياد فقال : جئت من أجل الحديد

قال : نعم ، تكلم معي شريكي زاهر مخبرا أن المهندس محمودا تحدث معه عن أبواب حديد وطلب مني أن اتصل أو أمر عليك

قال : أنت تعلم أن محمودا قريب لزاهر

قال إياد : عرفت ذلك ، وعملنا لبيته شغلا وقدمت إليك لمعرفة العنوان

قال : جيدا! سأعطيك عنوان الفيلا ، غدا إن شاء الله تعالى قبل الظهر سأكون فيها وعليك بأخذ المقاييس ، ثم نتفق أو تتفاهم مع شريك زاهر مع محمود

قال : حاضر يا سيدي أبا محمد

ذكر له عنوان الفيلا التي بحاجة لحمايات وأبواب معدنية وشكر الشاب المهندس فقال بلال: أراك غدا إن شاء الله قبل المغادرة ماذا حدث مع والدك ؟

ضحك إياد : لما رجع لبيته عاود الهرب ، فامرأته غير شريفة ، فطلقها غيابيا ، واختفى فأجرت امرأة أبي البيت ورحلت إلى هنا طمعا بأن يعود إلينا ، وها هو أخوها المهاجر يسكن معها ، وعلمنا أنه يبحث عن شقة في الحي ، وتفكر بالزواج من الحرامي السابق مهراوي

قال : سمعت أنه ذهب لكلية حمزة يشتكيه ، ويطلب مساعدة مالية.. هو يبقى أبوكم مهما فعل الإحسان مطلوب .. هو كيف يصرف وينفق؟

قال إياد : هو متقاعد له دخل من صندق التأمين الوطني الاجتماعي، وله بيت ، ولكن هذه أخذت نصفه باسم الزواج ، هو لما تركها أول مرة وسكن هنا لم يطلب منا مساعدة.. جاء هنا سعيا للعودة لأمي فرفضت ، ونحن شجعناها على ذلك ، وهي تعقدت من الرجال ، ورفضت الزواج قبل أن يأتي أبي للحي ، تفاجأنا بذهابه لكلية الشرطة بطلب مساعدة ، وحمزة ما زال طالبا ، وطلب منه آمر الكلية أن يتجه للمحكمة ويطلب نفقة ، حمزة لا ينفق فلسا علينا أنا أنفق على أمي وعليّ الفواتير والإيجار فحسب

قال بلال : المهم البر ولو كان الأب كافرا ، ألم تعرفوا لماذا رحلت إلى هنا حقيقة ؟

قال : هذا لغز ! سيكتشف قريبا ؛ ربما عودة أخيها خربط المخطط ؛ ولكنه سيترك الشقة ويعيش وحده ، فبيتها بيت للحرامي مهراوي ، قبل ليالي أزعجت سكان العمارة قبل الفجر لقد ادخلوا صناديق كرتون ، ثم تبين أنها أحذية مسروقة من أحد المصانع أو غير مسروقة ، لم يتضح الأمر وهي لها محل في البطن وآخر وسط البلد ، هي طول عمرها بياعة ؛ لكنها تعمل مومسا ، وكما تعلم هؤلاء البغايا مع التقدم في السن يهجرن من الزناة ، وهن في الكبر يدفعنا للغواية ، فهذا

المهراوي الحرامي السابق يرغب بإعلان الزواج منها ؛ ولكنها ما زالت على ذمة أبي لم يحصل الطلاق كاملا ، فهم يبحثون عن والدي ليكتمل الطلاق كما قال لي مهراوي فأنا أعرفه قبل أن يظهر هنا ، تريد الطلاق رسميا حتى يصح العقد عليها

قال : هداها الله يا إياد ! أتمنى أن أراك في مسجدنا

قال : أتمنى أنا نفسي ذلك

قال : اقدم على الخطوة الأولى وسترتاح

قال : العم سلمان دائما ينصحني بالزواج والصلاة انتظر تخرج حمزة.

أصبح حمزة حسام ضابط شرطة ، وأقامت كلية تخريج ضباط الشرطة حفلا للخريجين ، وتخرج الفوج الجديد من طلبة الكلية الشرطية بعد أربع سنوات دراسة شرطية ، واحتفلت فاطمة زكريا في شقتها وحيها بتخرج ابنها حمزة كضابط شرطة في الشرطة الجنائية ، وقدمت الحلوى والمشروبات للجيران وأصدقاء وأقارب العائلة.

وبعد إجازة التخرج عين برتبة ملازم أول في دائرة شرطة شماليا في شمال البلاد ، لم يتعين في العاصمة كما كان يأمل .

البضاعة التي سرقها مهراوي وخزنها عند عشيقته حلوة بكر في حي أبي حية ، شاع أمرها في الحي ، وشاهد حامد بكر الضيف القادم من أوروبا تلك الصفقة ، فاسرع بترك الشقة بعد أيام حيث وجد شقة يعيش فيها ريثما يقرر السفر أو البقاء في الوطن ، وقد استطاع معرفة مصدر ومكان السرقة ، فقد عرفت الشرطة أن الحارس الليلي ساعد في سرقتها من مخازن المصنع والشركة ، وقبض على مهراوي والحارس جرور وقبض على السائق بعد مطاردة شرطية وكذلك التاجر الذي تلقى البضاعة من الحرامية ، وهم ينتظرون المحكمة.

*****

كان أحد الرعاة يرعى في واد السعدانة قرب مدينة شماليا عندما شاهد أحد الكلاب يجري نحو جسم فظن في أول الأمر أن حيوانا قد هلك ، وأن رائحته هي التي تعبق المكان ، فمشى حيث

ينبح الكلب، فوجد جثة إنسان ميت ، ووجده مطعونا بسكين عدة طعنات فعاد لأول مدينة أو قرية مسكونة ، واتصل بالشرطة وتبين للشرطة أنها جثة حسام براهم ، وأن القتل منذ عهد قريب ، وتبين أن القتيل والد زميلهم الجديد حمزة حسام ، وكلف حمزة بالمشاركة في التحقيق ، المشتبه الأول في جريمة القتل أقرب الناس للضحية ، أجرت الشرطة التحقيقات الأولى ، وتتبعت الأيام الأخيرة من حياته قبل مقتله ، تبين لهم أنه يسكن في شارع ندى في مدينة شماليا الشمالية ، كان يعيش في بيت هالك وحده ، وقريبا منه ابن عم له اسمه حميد الدين وعلموا أنه كان في المستشفى مريضا ، وأن ابنه ايادا زاره باتصال من حميد ومن حسام نفسه رغم سوء علاقاته مع أولاده الذين يعادونه ، وذكرت التحقيقات زيارته قبل سنة لكلية الشرطة ، وتبين للمختبر الجنائي أن القتل تم بالخنق والطعن ، ونقلت الجثة إلى واد السعدانة .

اخبر إياد أنه تلقى اتصالا أثناء وجوده في المقهى من قريب أبيه أولا، ثم اتصال من أبيه ، وزاره مريضا ، ووعده بزيارة أخرى لما يخرج من المستشفى ؛ ليتعرف على مسكنه .

اشتبهت الشرطة بحلوة الهارب منها حيث علمت الشرطة بزيارتها له ، وتحدثت معه على الطلاق في المحكمة ، وأكد حميد الاتفاق على ذلك ، وأنها كانت تبحث عنه منذ هرب عنها ، ولم تعرف مسكنه وخرج دون معرفتها ، فأخلي سبيلها دون توجيه أي اتهام ، ولكن أحد الجيران كشف أن امرأة زارته قبل اختفائه .

انتقل حمزة إلى بيت في مدينة شماليا قريبا من مكان وظيفته ، وانشغل إياد أمام هذا الواقع الجديد بالبحث عن زوجة بشكل جدي وسيطلق العزوبية.

خرج مهراوي من السجن بعد شهور ستة ، وعاد لبيته يخطط للزواج من حلوة بعد ترملها وانتهاء عدة الوفاة خلال فترة السجن .

كلفت الشرطة حمزة متابعة قضية والده بعدما عجزوا عن معرفة الفاعل، فقد اشتبه بإياد أولا ثم حلوة ومهراوي ، ولكنه كان سجينا عندما قتل الرجل .. تزوجت حلوة من مهراوي وأصبحت علاقتهما الجنسية شرعية ، ذات ليلة زارهم حارس مصنع الأحذية جرور الذي مهد

لسرقة المخازن ، وطلب منه مالا بسبب طرده من العمل وحبسه ثلاثة شهور فأعطاه مهراوي ، وطلب منه أن يبحث عن عمل بدل التسول ، وتكرر الطلب فتضايق مهرواي ورفض أن يدفع له ، فقال غاضبا أمام حلوة : أنا ساعدتك في الخلاص من حسام ، ولم تدفع شيئا .

فقالت حلوة بارتباك : ماذا تقصد يا ملعون؟!

جحرها وصرخ في وجهيها : أغراني زوجك بقتله وخنقه ليتزوج حلوة بكر .

صاح مهراوي: اخرس يا ملعون .. لم أطلب قتله يا مجرم ، قلت لك هدده ؛ ليسرع في طلاقها لنتزوج بعد خروجي من الحبس ، مللت من الزنا وبنات الهوى ، فقلت لي رفض الذهاب معها للمحكمة وصفعك وبصق في وجهك، فخنقته وطعنته غضبا لروحك يا جرور!

حدث شجار بينهم ، ووعده مهراوي بمال ، وطلب مهلة ، وبعد أيام وجدت جثة الحارس في بيته ، أخبرت حلوة بعد مقتل الحارس شقيقها حامد بأن الحارس هو الذي قتل زوجها بمؤامرة بينه وبين مهراوي وزوجها قتله ، وأنها ستخرج من البلد خشية على حياتها منه ، فاتصل حامد بحمزة والتقيا وحدثه بقاتل أبيه ، واختفى مهرواي وحلوة ، ولم تطل مطاردته ، وحاول إلصاق التهمة بزوجته حلوة بكر ، وكانت قد أخبرت شريكتها بالدكان بغدر مهرواي بزوجها ليتزوج منها قانونا ، وتبين للبوليس أنها بعد مقتل الحارس جرور غادرت البلاد خوفا على حياتها من مهراوي .

قال طارق: هذه قصة صديقي حمزة حسام انتهت بمقتل أبيه حسام رحمه الله تعالى

قال عزيز : عظم الله أجرك يا صديق النادي وإن جاء العزاء بعد عمر .. فقد اهتمت الصحف يومذاك بجريمة واد السعدانة البشعة ، ولم نكن نعرف الرائد حمزة.

وقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون .. وهل أنت سالك مع أهلك؟

شكرهم حمزة وقال : عشت مع أم مطلقة ـ رحمها الله ـ ماتت من سنوات ، وزوجتي طيبة وولدت لي ثلاثة ، فأنا أحسن نصيبا من طارق ، ولي سنوات ارغبه بالزواج ، وليست كل النساء شادية .

قال: أهاب النساء ، يكفرن العشير ، وتعودت العيش بدونهنّ وأنسهنّ ، وأتمنى لكم النجاح معهنّ لديّ رهاب الطلاق.



الدكتور والطلاق

قال عزيز : ها قد التقينا مرة ثانية أيها الفضلاء ! وقلنا عند انصرافنا تلك الليلة عندما نجتمع سنسمع ونفسح المجال لباقي قصص الأخوة الكرام وحكايات طلاقهم أو طلاق أهاليهم .. تحدث دكتور جمعة العامد .

قال : شكرا عزيز والشكر لكل الأخوة الجالسين معنا .. كما تحدث الصديق الخطاط حمزة ، نحن هنا نحمل صفة خطاط .. خطاطون وتجمعنا هذه الهواية الممتعة ، ننسى هنا مهننا وأعمالنا وأشغالنا وبيوتنا ، وتجمعنا هذه الهواية الممتعة الجميلة ، وأكيد لكل واحد منا قصة لطيفة في غرامه بالخطوط العربية والزخرفة ، وكيف تعلق بها وهويها ، وأنا حدثت طارق سليم بقصتي منذ تعرفنا هنا على بعضنا ؛ ولكن بعض الإخوة لم يسمعوها ، ذكر طارق أن شقيقه طلالا الطبيب تعرف على زميلة أثناء الدراسة ، وتكبره بعامين وانسجاما ، وما زال زواجهما ناجحا على غير ظن صديقنا طارق أن السن قد يكون من أسباب فشل العلاقة الزوجية ، تعمقت معرفتي بالزميلة الطبيبة لمياء السيد ، وأصبح حلمنا الاقتران ، ونسينا فارق السن بيننا ، فنحن في نفس العمر ، وحلمنا بتكوين أسرة بيننا ، أمرأ ينتظر إنهاء الدارسة والبكالوريوس ، وعشنا سنوات الكلية الطبية على هذا الأمل ، والإنسان يحيا بالآمال والأحلام ، وتمنى لنا زملاء الكلية التوفيق والنجاح ، وابتعد عنا العابثون والعابثات، فقلّ التحرش بها ، وقلّ تقرب الزميلات مني ، والأيام لا تتوقف ، وفور التخرج ، وقبل التدرب في مشافي الدولة تناقشت وأبي تيسير العامد في أمر الزواج خشية أن تغير الدكتورة لمياء السيد رأيها ، دعوتها لمكتب أبي في شركة هندسة النحاس والكوابل ، وتحدثنا عن الزواج والقران ، وأبدت قبولها بأريحية حتى قبل أن تشاور أسرتها في موضوع مصيري ، وهي رحبت كذلك بالزواج قبل العمل رسميا أنا وهي ، فنحن على قائمة التوظيف والتشغيل الحكومية ، المفاجأة أن أمي اعترضت ، وقال : إن حب الكليات والجامعات نهايته الفشل ، ولا ينهض على أسس قوية ، ولا يحتمل الهزات ، وسخرت من هذا التبرير والرفض ، وجرت نقاشات حادة بيني وبين أمي ؛ ولكنها أصرت على موقفها

ورفضها وعدم قبولها زواجي من الزميلة لمياء السيد، ووقف أبي معي ، وتعجب مثلي من رفضها وذكر عيوب الطبيبة وهي لم ترها بعد ، وكان الزواج الشرعي رغم معارضة أمي وأخوالي ، واشترى لي والدي شقة تزوجت بها ، ثم عرفت سبب شدة غضب والدتي عليّ وعلى لمياء ، كانت ترسم على زواجي من ابنة أخيها الآنسة هيفاء ، وكانت متفقة معهم على ذلك دون علمي، وعلم أبي المهندس خالد العامد ، وكان خالي والد هيفاء يظن الأمر كله بيدها ، وأوقف كل مشاريع الزواج من ابنته هيفاء على أمل زواجي منها بعد الكلية ، ولم أكن اعلم بذلك البتة مما أدهشنا هذا الخبر وانتشاره بعد الزواج وصممت أمي على محاربة لمياء والنزاع معها واتهامها بسرقتي منها ؛ نتيجة لموقف أمي المؤلم معنا ندر أن نذهب لبيت الوالد خشية أن نعود بمشاجرة وأوصاف سيئة وقبائح ، وبعد زواجي بسنة لم تخمد نيران والدتي وبناتها معنا ، فلم تتغير البغضاء بمضي الوقت ، وحدث ذات ليلة أن دعاني أبي ولمياء للعشاء معهم ، فقد أقام وليمة لوالده الشيخ وأعمامي وعماتي بمناسبة عودة والده من العمرة ، فبعد تردد ذهبنا لنشارك في الدعوة والعشاء ، ووصلنا مع دخول الطعام الجاهز من سيارة والي ـ مطاعم والي الشهيرة في المدينة ـ وجلسنا كما كان يجلس الآخرون ، جلست وبجواري ويساري لمياء كالمعتاد ، وكانت أخت لي اسمها ساري على يسارها هي وزوجها ، وزوجها ابن خال لي اسمه ياسر ، جاء معها لأنه زوج شقيقتي ، فما كدنا نجلس ، وقدم خادم البيت الطعام حتى نهضت أختي بنفرزة وهي تقول :شبعت هيا يا ياسر ! لم يبدأ القوم يا إخوان الطعام ، ما زال الخدم يوزعونه على الأواني ، مختصر القص حردت أختي، وهي كبرى ذرية أبي ، وبدا حردها واضحا لجلوسنا بجوارها وتبعها زوجها ، فقال أبي بغضب : لا أحب أن أراكم في البيت، لعنة الله عليك وعلى أمك. وهاجت أمي وتوقف الأكل، وارتفع الزعيق والشتم والسب، وكان يا إخوان من نتيجته غضب جدي من أمي وابن خالي وحرد هو الآخر ، وطلق أبي أمي قبل انصراف جدي وأعمامي وقال لابن خالي : خذ عمتك معك غدا نقف على باب المحكمة لعنكم الله .

قال الدكتور جمعة: وبالفعل أيها الزملاء انفصل أبي عن أمي، وذلك من نتائج زواجي من

الدكتورة لمياء السيد دون رضا ومباركة أمي ، لحد ذلك الزمن ظل الزواج بيننا صامدا ، خلال الشهور الماضيات وبسبب الزواج من لمياء ، كان يتردد علينا بين الحين والآخر جارة لمياء وشقيقها في بيت أسرتها ، وكان الأمر مقبولا ، جيران قبل أن أتعرف على زوجتي، وتعرفت عليهم أثناء فترة الخطوبة الرسمية ، ورأيت الأمر عاديا ؛ لكنني تفاجأت في سهرة في شقتي بعد كارثة أمي أن صرحت الجارة سميرة بقولها إن شقيقها سامرا كان راغبا بالزواج من زوجتي ، وينتظر تخرجها فسبقته إليها ، تطلعت في عيني لمياء والشقيق سامر فقال سامر: أنا تفاجأت فعلا بزواجك منها يا دكتور جمعة !

قالت زوجتي دون مواربة : كان بيننا ود قبل الجامعة ، وأثناء الجامعة ولم يصل إلى الزواج يا سميرة.

قالت سميرة : كنت أظن أن هذا سيحدث.

قلت محدقا في عيونها وتبرجها للمياء ومعاتبا بلطف : لماذا لم تكشفين ذلك يا لمياء؟!

قالت : اخترتك أنت ، كان كلامك وحبك أقوى مما بيني وبين سامر .

قالت سميرة بضحكة مقتضبة : أنت مليتي من سامر أحببت التغيير .

صاح شقيقها محتجا : لماذا هذا الحديث يا سميرة؟! الزواج نصيب

قالت : كنت تحلم بالزواج منها وما زلت ؛ ولكنك تفاجأت بخطبتها لا تنكر ذلك.

قال جمعة : ما وظيفتك بالدنيا يا سامر ؟

قال : درست إدارة واقتصاد ، ومدير عدة مصانع مع أبي.

قلت بوقاحة وغيرة : أصدقني هل نمت معها ؟

قالت سميرة مجيبة : وهل هناك حب بدون ذلك يا دكتور؟!

التفت لزوجتي وقلت بارتباك: هل... هل ...؟

قالت دون خجل أو مواربة : هذا قبل الزواج .

قلت بسخرية ومرارة في نفس الوقت : قبل الزواج !

قالت : وهل نحاسب على أفعالنا قبل الزواج؟!

قلت : أنت طالق يا لمياء ! مباركة عليك سامر

قال : جننت يا دكتور!

قلت : كلا ، خذوها معكم ، خدعتني بزعم الحب ، ومرات كثيرة قالت إنها عذراء مع أنني شككت أيام زواجي الأولى بعذريتها.

قال سامر لأخته : لماذا كشفت المستور يا سميرة؟!

قالت بحدة : تزوجها ، لا داعي لاستمرار الخيانة يا سامر !

قلت مصعوقا : ما زالت تخونني!

قالت لمياء : هددني بكشف الأمر إليك إن ابتعدت عنه ، ولم أسلمه جسدي.

قلت : يا الهي! وضربته لكمة على وجهه، وأنا أصيح :حقير نذل خائن !

قالت مقرة : ماذا افعل يا جمعة ؟! كنت سكرانة لما غدر بي واغتصبني قبل الزواج ؟

قلت : انصرفوا.. احذر أن أراك .. تأتينا يا فاجر لترتيب الغدر والفُجر يا فجرة!

قال: لن أنسى اللكمة.

قلت : أرجو أن لا تنساها يا خائن! صعقت ذلك الليل وأصابني الإحباط واليأس أيها الأحباب.

قال حمزة : كان موقفها صعبا ! كيف ستوضح لك جريمتها واغتصابها؟

رد جمعة : كيف تقبل الزواج بي وهي عاهرة ؟!

قال: حبك أعماك عن رؤية عيوبها .

قال طارق : تابع حكايتك .

قال جمعة : خرجوا ، فسميرة لم تعد تحتمل ثقتي العمياء بزوجتي الخائنة، أخبرت أبي بطلاقي للمياء دون الإفصاح بالحقيقة ، وطلبت منه مصالحة أمي وردها ، وأعلمها أني تخلصت من عدوتها لمياء زاعما أني لا أقبل بكارثة أمي بعدما فكرت بعمق ، وصدق أبي زعمي ، وتحدثت

مع أمي وقلت لها الموقف ، وإني تخلصت من لمياء لتعود للمصالحة مع أبي ، وحدث ذلك بفضل الله وتزوجا من جديد ، سمعت بعد شهور بزواج مطلقتي من سامر للملمة الفضيحة .. لي قريب يعيش في أوروبا ، فلما سمع بفشل زواجي فحدثني عن شقيقة زوجته، فسافرت مهموما مقهورا إلى تلك البلاد ، وعرفني بعد أيام على البنت ، وقضيت شهرين معها ومع قريبي ، أتعرف عليها أحدثها عن نفسي ، وتحدثني عن نفسها حتى استطعت أن اتخذ قرار الزواج منها وحصل فعلا الزواج واحتفلنا به ، وعدت بها لأرض الوطن ، ولم يطل البحث عن عمل ، ولا أنسى أن أذكر لكم أن أبي يساعدني ماديا سواء في الدراسة ، سواء في الزواج الأول والثاني ، ولم أكد استقر حتى ظهرت عداوة أمي لزواجي من أوروبية مع أن هيفاء ابنة أخيها تزوجت قبل طلاقي من لمياء ، حتى سألتها ما العيب أن أتزوج غربية ؟ وهي أخت زوجة السيد مالك قميص.. هل لازم أتزوج عن طريقك ؟ لما رأيت حقد أمي لزوجتي والإساءة إليها في الصغيرة والكبيرة هاجرنا لكندا دون علمها ، وسمح لي أبي بترك البلاد ، وأعلمني أنه على وشك الزواج على أمي .. الحياة مع أمي وأشقائها صعبة ، ويتدخلون في كل شيء .. وفعلا تزوج الوالد من أرملة ، وطلق أمي من جديد ، وحصلت مضايقات ومشاجرات بينه وبين البنات ؛ حيث وقفن مع أمهن دون تردد ، حتى أن ابن خالي طلق أختي ساري التي سببّت طلاق أمها قبل سنوات .. مرضت أمي بعد حين يسير ، وأصابتها جلطة عاصفة هدت كيانها ، وعاشت بضعة أشهر تعاني صحيا ، وتكررت الجلطة وماتت ـ رحمها الله ـ وجاءتني نداءات بالعودة ، قضيت سنتين في الغربة ، وعدت لأبي، ووجدته سعيدا بزوجته الأرملة ، وأسعدني ذلك حقا ، كان أبي محبا وعطوفا عليّ اكثر من أمي ، وعدت لهواية وعضوية نادي الخط العربي والزخرفة الإسلامية التي ما زالت تزين قصور ومساجد العرب في الأندلس ، وأنا سعيد حقيقة بزوجتي الأوروبية وها نحن نسعى للخلفة بعد أن استقر زواجنا وتعمق الحب بيننا ، وقد تعلمت العربية في مؤسسة تعليم اللغة العربية للأجانب ، ونحن اليوم سعداء نأمل بمولود يزيد دفء الحب والحياة بيننا ، هذه قصة طلاقي باختصار أرجو أن يكون واضحا للجميع.. فالحياة عجيبة

وقصصها أعجب ؛ ولكنها دنيانا وحياتنا ، علينا أن نحياها بحلوها ومرها ، وشرفت بالتعرف على طارق وعزيز والتاجر عمر وعلى الجميع وعلى حبيبنا حمزة حسام.

قال طارق : عفاك الله ، ومن قلبي أتمنى نجاح زواجك الثاني ودوامه، لقد حلمت يوما كما رويت لكم بالزواج من أجنبية ؛ فأنا حلمت وجمعة حقق ذلك الحلم.

فقال عمر : أليس لها أخت يا جمعة ؟ كما ساعدك قريبك مالك من الزواج من شقيقة أهله ساعد طارق لنكاح أختها .

ضحك الدكتور وقال : والله فكرة ؛ لكن حسب معلوماتي لا اذكر أني سمعتهم يتحدثون عن أخت ثالثة ..سأسال زوجتي الليلة.



إخوة نعمان

قال عمر باسما : جاء دورك يا مهندس نعمان بدير !

قال طارق سليم : يا نعمان بن بدير هات مع عندك من قصص الطلاق والفراق والتسريح بإحسان كما نص القرآن .

قال عزير متفكها : التسريح اليوم بفضائح وصحف وجرائم ، قديما كان الطلاق سهلا وبدون محاكم وقضايا ومشاهدة .

قال حمزة معللا : الحياة تعقدت ، ومشاكل الناس زادت وتنوعت وتضخمت ، اليوم نعالج قضايا شرطية فيصيبنا الذهول من تفاصيلها ، نواجه حرق أصابع كي أجساد حرق بيوت ، انحلال غريب ، وخيانات رهيبة بهيمية وحيوانية، لا تدري كيف تحدث بين البشر ؟

قال طارق مفسرا : الكحول والمخدرات والسموم خراب البيوت ، ضاعت العقول والقلوب وهناك تضخيم للحرية المطلقة والشخصية .. تكلم يا سيد نعمان .. فنحن في المحاماة نسمع ونرى قضايا قانونية عجيبة ومثيرة مثلك يا حمزة .

قال نعمان : أنا يا دكتور طارق لم اطلق كما طلقت ، ولا أبي بدير طلق ، كما طلق والدك يا حمزة واختفى ـ رحمه الله تعالى ـ ولا أمي طلقت ، أمورنا بفضل الله طيبة ، والغيب علمه عند الله أنا أختي طلقت وكذا أخ لي ، درست شقيقتي دينا بدير الجامعة ، ودخلت كلية الإعلام ، كانت ترغب بالعمل في التلفزيون كمذيعة أو محررة أخبار ، وخلال الجامعة كونت علاقات صحفية مع بعض الصحفيين ، وكتبت ونشرت لها تلك الصحف والمجلات مقالات خواطر تعليقات تخرجت أختي من كلية الإعلام ، وقدمت أوراقها للعمل في محطة التلفزيون الوطني ، وقبلت كموظفة وداومت فترة تحت التمرين ؛ ولكن بدا لنا أن الراتب لم يوافق هواها كما وضحت لما تركت التلفزيون ، بعد أقل من نصف سنة تركته للعمل في الصحافة في صحيفة الثورة مع ابن عمتي جبير المحرر فيها ، وبعد شهور علمنا رغبتها بالزواج من الصحفي جبير تزوج السيد جبير دينا ابنة خاله بدير ، فرحنا لهما فرحا كبيرا وعمنا السرور ، فهي الكبيرة في ذرية أبي ،

وأول زواج في الأسرة . لم تكن دينا والعائلة أسرة متدينة؛ لنهتم بأخلاق جبير وخفاياه وصلاحه وفساده ، رجل وبس ، وجبير على نفس الشاكلة ، لا يختلف عن دينا ، لا دين ولا صلاة ، أقول صراحة أن الشاب كان زانيا وسكيرا وهذا معروف للجميع ، والرجل صاحب سهرات ومجون وقلنا هذا اختيارها ، وهي أنثى ناضجة ، ولا طاعة لنا عليها ، وكما نوهت آنفا نحن أسرة غير متدينة لنقيس على مقياس الدين والصفات الحسنة والخلق الحسن، ولكننا نقدس الزواج ، ولا ترتاح نفوسنا للخيانة الزوجية ومقدماتها ولا توابعها، وقلنا وأملنا ؛ لعله بعد الزواج يعقل ويرتاح للحياة الزوجية الشرعية والحلال ، ويترك الفساد والمواخير والحانات وعلب الليل والساقطات ، رائحته تزكم الأنوف حقا .

تخرجت كشقيقتي مهندسا كالأخ عزيز ، واشتغلت بشكل رسمي في شركة كبيرة يديرها الوالد وبعض أشقائه رحم الله أبي ، فهو اليوم في دار الحق في مدافن العائلة ـ ترحم الأصدقاء على والد نعمان وآبائهم ـ وتابع نعمان فقال : وأخي منير أصغر مني بسنتين لم يكن صالحا درس المحاسبة المالية ، واشتغل في شركة مالية كبرى على سمعة وأموال الأسرة المودعة فيها خاصة أبي وأعمامي ، تزوجت أنا العبد الفقير إلى الله بعد ممارسة العمل بسنة ، صديق لي ساعدني على الزواج من شقيقته ، وهي لحد الآن نعم الزوجة والقرينة ، وما زلنا حبايب ولا داعي لذكر باقي أولاد الأسرة ، فهم مثلي سعداء والحمد لله ، الصغير منير المحاسب تعرف على أنثى في المؤسسة المالية اسمها دانيا ، هذا اليوم أمر طبيعي ، فالشركات والمصانع يعمل فيها من الجنسين ، فالتعارف حاصل ، فكانت دانيا اختيار منير بدير كزوجة ، قبل والدي الاختيار ولو على مضض لأن أبي كان يرغب وتكلم بذلك لو منير يتزوج شقيقة جبير ابنة عمته ، فكما تزوج ابن عمتي أختي ابنة خاله ، فعلى أحدنا الزواج من بنات العمة ؛ لتزداد أواصر العائلتين وتمتد الصلات.

سكتت العائلة على اختيار منير حسب قانون الحرية والديمقراطية التي يتغنى بها أهل الشرق قبل أهل الغرب، ولا يجوز لأحد الرفض والاعتراض والنصح على خيار الآخر ، فكيف الرفض ؟!كان ابن والدي منير صاحب خمر وميسر ، علق بهما من عم لنا قريبا من جيله وتساهل

أبي في ردعه وزجره وتربيتنا ، حرية شخصية يقال ، والتهاون شعار الوالدين، المهم عدم إيذاء الآخرين بدنيا ومعنويا ، التساهل مع الجميع ، وقلت ذلك لكم لأنه بدأ لنا أن الفتاة تفاجأت بذلك وشكت من ذلك ؛ كانت تراه مدخنا ومحبا للأفلام والسينما والمسرح والحفلات والقليل من الشراب في المناسبات ، عرفت فيه شيئا أو أشياء لم تكن تراها وهي ترسم عليه كزوج، رأته رجلا منفتحا أنيقا محبا للزينة والعطور والأطعمة الغربية والبذلات الغربية ، فلما طفق يستلف من مالها للقمار وشرابه وسهرات البيت ، ويجلب البنات والرفاق للسكر والقمار عرفته على حقيقته ، وأنه مولع بالقمار فهجرت البيت ، وظن منير أن الأمر لبضعة أيام ، ثم تعود أو تتصل به ليأتي لأخذها ، ويا دار ما دخلك شر ،وهذا حدث كثيرا منذ اقترنا ، ونسمع به من أمي أو عمنا رفيق منير أو بنات أمي كتسلية ، كانت مشاجرات البيت كثيرة بينهما بسبب القمار والعربدة ، هذه المرة طالت المدة ، مضى أكثر من شهر ودانيا في بيت والدها ، وركب أخي رأسه ولم يسع لإعادتها والتصالح معها ، وحتى هي غيرت دائرة العمل تجنبا للقاء به ، انتقلت لفرع آخر تابع للمؤسسة المالية ، ونحن نراقب المسرحية دون تأثر كبير ، ونسمعه يتذمر من النساء والغدر والخيانة ولعن النساء والعاهرات ، نتركه للحظات ، فقد وصل لمسامع العيلة أن دينا شقيقتي علقت بشاب صحفي يشتغل معهم في صحيفة الثورة وأحبا بعضهما ؛ كما زعمت لأمي وأبي، وكان ردهما السكوت كعادتهما لعدم جدوى التعليق والنصح للجميع ، فاللامبالاة أفضل في قناعتهما ، لما وصلت المعلومة لجبير وأدرك أن الزوجة تخونه مع زميل له تزوج صديقة لها قبلته وليحطمها كما قال ، ولم يطلقها ، وشرّط للطلاق أن تعيد أمواله إليه ، المهر وحفلة الزواج، فخضعت وأعادت جزءا كبيرا منها تفاهما عليه مع العشيق ورئيس التحرير للجريدة خشية التأثير على مقالات وإعلانات الصحيفة القومية والثورية، فطلقها رسميا ، ولم يعقد عليها زميلها وحبيبها، وجبير انتقل للعمل في صحيفة أخرى ، والأسرة نبذتها بدون قرار رسمي، والكل يتجنب مجالستها مما دفعها لاستئجار شقة للعيش وحدها ، كنا ننتظر زواجها لترحل ، فلم تتزوج كما قلت من حبيبها ورحلت ، فتنفس والدي الصعداء كما يقال ، وعدنا لزيارتها

كما عودناهما ، وكان رحيلها يا أحباب حقيقة بطلب من أبي ، فهو لا يحتمل سكرها ورفاقها في بيته، ولا يحتمل وجودها وعشيقها فرحلت ، ثم ماتت بعد حين في شقتها وهي تتعاطى المخدرات ، وقيل جرعة مخدر زائد ، وجرى تحقيق مع شلة تلك الليلة ، ولم تكن هناك جناية أو جريمة حسب قول الأمن ، ثم علمنا أنها بدأت التعاطي منذ تزوجت جبيرا ؛ بل قيل تعلمت ذلك أثناء الدراسة الجامعية وقد يكون ذلك صحيحا ، أما أخي منير فذكرت لكم أن زوجته هجرته لما كثرت الديون عليه لها ولغيرها ، ويتملص من سدادها حتى قالت لي شخصيا استدان منها خمسة آلاف دينار محلي ، وتفاجأ منير بوقت متأخر أن زوجته المهجورة من سنة ونصف بأنها حامل ، في البداية ظنها لعبة ليردها ويتصالحا ، وسعى للتحقق من الخبر ، وأكدت له أمها بحصوله رغم أنفها ، وأنها تعرضت للاغتصاب ، فجن جنونه وطلب منها الإجهاض ، ولن يعترف بابن الزنا ، ووعدها بالصلح والعودة بعد الإجهاض ، وهو مستعد لتطليق صديقتها والزواج من جديد ، فأصرت على بقاء الحمل والوقت فات ، وأنها غير مستعدة لمخاطر الإجهاض ، رغم الجهود والتوسلات ، وتأخر وقت أخباره ، وضعت طفلها ، وحمل الطفل اسمه قانونا ، وفقد منير الصواب رغم الجهود التي بذلها لنفي الأبوة ، ولدت سفاحا ، ووقع الطلاق رسميا ، واختفى الرضيع ، واتهمته مطلقته بخطفه وقتله .. هذه قصص الطلاق في أسرتنا وعائلتي أيها الهواة في الخط العربي وزخرفته.

قدم لهم المهندس عزيز أكواب الشاي الكبيرة التي أعدها ، وهو يقول : تمتعوا بعصير العصر الشاي السيلاني.. اذكر أنهم كانوا يقولون لنا ونحن في المدارس أن الشاي ظهر ميلاده في الصين.. واليوم اسم على كل لسان.. ميد أن جاينا.. صنع في الصين.

قال حمزة : صحيح .. اكتشفه راعي صيني ، وانتشر في الهند وباكستان وجنوب آسيا وشرقها.

طلاق الابنة

حسن شماس عالم هندسة ذرية ، وهو عضو في نادي الخط العربي في البلاد دار السلام ، وكان يتردد على نادي ابن مقلة نادي الخط العربي قبل سفره إلى أمريكا لدراسة الهندسة الذرية ، قرأ مقالا عن الخط العربي وجماليته في احدى المجلات الأدبية، وتعلق بالخط ؛ حيث كان يمارسه عند الملل من الكتب المدرسية والثقافية ، ووجد ترحابا من قيم النادي وتشجيعا ، والتحق بدورة في تعلم الخط الثلثي والكوفي والديواني مع المدرب الأستاذ الخطاط علي المطاط نجح نجاحا كبيرا في الثانوية العامة الفرع العلمي ، وساعده خاله العالم في أمريكا بالسفر والالتحاق بجامعة في فرجينيا الشمالية قسم الفيزياء والهندسة الذرية ، تعلم اللغة الأمريكية والتحق في الكلية بأشراف ورعاية من خاله ياسين دروب، والمحاضر في تلك الجامعة ، وبعد سنوات عاد للوطن لوعكة صحية أصابت أمه ، وترجح لهم موتها ؛ لكن الأعمار بيد الله والوقت للرحيل بيده سبحانه ، وكل نفس ذائقة الموت ، لا مفر من الموت ، وفي هذه الزيارة أصر والده على زواجه من ابنة صديقه غالب كلمان خوفا عليه من فساد الإباحية المنتشر في الغرب ، قال حسن : وبعد الزواج عدت لمتابعة الدراسة والسعي لتمكين زوجتي هدى من السفر ، ولم يطل سفر هدى ، فلحقت بي ، وولدت لي محمدا وقبله مايا ، تخرجت من الجامعة بتفوق كبير ، وعملت في جامعة مدرسا خمس سنوات أخرى ، ولما توفي خالي ياسين اثر حادث سير عدت للعمل في جامعة دار السلام الكبرى ، وعدت للنادي هذا للترفيه والعودة لهواية الخط العربي ، وها نحن نتعرف على الكثير من الوجوه الجديدة المرحة ، ووجدنا رئاسة النادي بوجه جديد ، ورحم الرب سبحانه الوالد والصديق وحيد الدين العالم في العربية والخط ، وقد سمحت لنفسي بالجلوس معكم لما لمحت انسجامكم ، وأسمع حكاياتكم العجيبة والغريبة في قضية الطلاق المؤرقة لكل دول العالم ، والعجيب أنها تحدث في بلاد المسلمين والعرب بمثل ما تحدث في عالم الغرب ، أما قصة الطلاق في أسرتي فكانت مع ابنتي مايا التي أنجبتها في أمريكا ، كان أبي قد وافق على زواجها من ابن أخي حسين ، ويمكن القول بكل صراحة أنه أجبرنا على القبول به ،

وما كان أمامي إلا إرضاء أبي سيد العائلة ، وهو الذي تكلف أموال السفر والدراسة في الغرب وكانت البنت بارة بنا وعند حسن ظننا ، وبعد تردد قليل منها ، وسماع كلام أبي وأمي جديها استسلمت للزواج لاختيار الجد ، ورضيت أمها هدى وباركت لها ، وتزوجت مايا ابن أخي داود حسين ، وأنجبت منه طفلا بعد حين ، لم تحمل إلا بعد سنة ونصف من الاقتران ، وبدأت وهبت العاصفة، فهرب ابن أخي من المدينة دون سابق إنذار ، وسافر للعمل مدرسا في دولة عربية ، وسبب الهرب كما زعم لأبيه حسين فيما بعد أنه تعلق بمعلمة تعمل هناك ، عرفها عن طريق صحيفة أو مجلة وكان يراسلها وتراسله ، وتتصل به عن طريق الهاتف ، وتزوجا سرا عنا فور وصوله لذلك القطر ، ودون علم ابنتي وحتى أحد من ذويه ، فصدمنا من طريقة خروجه من البلد لتلك الدولة ، ثم الزواج بتلك السرعة ، زعم لأبيه فعل ذلك ؛ ليضعنا تحت الأمر الواقع ، ولا يسمع اعتراضا وهو مدرس فهمان ، فما كان من ابنتي أن قالت : كما ضغطتم عليّ للزواج منه، فعليكم الضغط عليه ليطلقني أنا لم أحبه يوما ، فسافرت إليه أيها الأخوة الطيبون وطلبت منه العودة وطلاق البنت ، فضغطت عليه الزوجة الثانية ، فعاد مرغما ، وطلق البنت ، ثم سافر ، وتزوجت ابنتي بعد شهور ، وزواجها بفضل الله صامد ، وأبدلها الله خيرا من ابن أخي حاول أخي أن يزوجها لابنه الآخر أو ابن اختنا كضرة ، فرفضت ، ثم تيسر الزواج من أحد معارف صديقة لها ، وهي تعيش بسعادة وفضل من العزيز الحكيم ، وولدت من زوجها محمد ربحي ثلاثة أطفال ولله الحمد والفضل .

وأضيف وأختم وعاد ابن أخي بعد سنوات بلا حبيبته ، فقد طرد من وظيفته وفصل ، وزوجته رفضت ترك العمل والعودة معه ، ورفضت العيش في بلادنا ، وهو اليوم يعيش بلا امرأة .. هذه قصة ابنتي وطلاقها.

قصة عبد الواحد

حسنا أيها الأصدقاء! جاء الدور أو وصلني الدور .. قصص طلاقي لا تبدو مثيرة ومزعجة ، كنت أتزوج بأمر ، وأطلق بأمر بما أنكم اجتمعتم للسمر والثرثرة في مثل هكذا موضوع سأدلي بدلوي .. اسمعوا بارك الله فيكم .. ترملت أمي ـ رحمها الله ـ وأنا ابن عشر سنين ولم تلد غيري هكذا قال الخطاط عضو النادي عبد الواحد منازلي: فلذلك عجلت الوالدة بزواجي وأنا لم ابلغ العشرين سنة ، ولم يكن لي الاختيار بمن تكون الزوجة ، زوجتني من ابنة أختها الآنسة نادية بليل ، مضت سنة زواج دون أن تلد نادية مثل زوجة الصديق عمر فزوجتني أمي من ابنة أخت ثانية خالتي الثانية السيدة سعدية محمود ، ولدت سعدية بنتا ثم بنتا ثم بنتا ، وذلك لا يعجب أمي تريد ذكورا ذكورا ، كانت ولادة سعدية كارثة ومناحة بدلا من الفرح والاحتفال وترفض أمي التهنئة بالبنت ، وقبل أن ابلغ الثلاثين زوجتي امرأة غريبة من خارج الأقارب ، كما قيل لها من الحجابين والفتاحين والدراويش بتغريب النكاح ، مع أن سعدية ولدت ثلاث مرات ، غربنا النكاح ، المهم تزوجت مريم من بلدة أخرى عن طريق الأجاويد لتلد الذكور لأمي ، وطلبت السيدة نادية بعد زواجي الثالث طلبت الطلاق ، ووافقنا على ذلك ، دون أي اعتراض ، للتذكير أنا كنت دخلت الجيش بعد الثانوية ، وتزوجت نادية كضرة من ابن عم لها وهذا تقليد موجود في العائلة أن تتزوج المطلقة أو الأرملة اذا رغبت من الأقارب ، والعجيب لنا طبعا أنها ولدت من ابن عمها ذكرا ، مما أغضب أمي منها ومن أختها أم نادية ، واتهمتها علنا بأخذ موانع الحبل ، مع أنها لما تزوجتها كانت ابنة خمس عشرة سنة ، لا تعرف بمثل هذه الأمور فهي تركت المدرسة عند زواجنا ، ولما اعترضت عليها ، قالت: أمها علمتها ذلك ؛ لأنها تكرهنا يعني خالتي تكره أمي ، وأكثرت من قول الإشاعات وكيل الاتهامات ، وإنها كانت تعشق ابن عمها بعلم خالتي ، فضاق زوجها بالأقاويل والاتهامات ، حتى طلقها ليرتاح من قيل وقال ، ووقفت الشحناء في العائلة ، وسعت أمي لإرضاء أختها أم نادية لتزويجها لي مرة أخرى ، فرفضت بكل قوة ، وتزوجت أختا لها طلقت قبلها لمشاكل لا داعي لبيانها ، فهدأت المعركة

تماما ، وعادت نادية لابن عمها ، وولدت له من جديد ، وأختها لم تلد لي كما لم تلد لزوجها الأول ، قمنا بعمل فحوص وتحاليل لمدة خمس سنوات يا عمر ! وظلت عاقرا ، وعملوا الحجب والرقى والشعبذة دون نتيجة ، زوجتني أمي امرأة أخرى ، فصار عندي أربعة في العمارة لمزيد من الذرية والذكور ، وطلبت مني خالتي أم نادية تطليق ابنتها ليلى بليل ، ففعلت لأني صرت حيوانا لمزرعة الخراف ، وتزوجت وولدت من زوجها الثالث بدون علاج وبدون حجاب الأمر لله من قبل ومن بعد .. وهكذا حياتي زواج طلاق حتى ماتت أمي ـ رحمها الله ـ وعندي اليوم جيش من البنات ، والقليل من الذكور ، والآن عندي ثلاث زوجات يتنافسن على إرضائي وأصبحت عجوزا قبل الأوان .. نسأل الله الرحمة والعفو والبركة وحسن الختام.

قال عزيز ضاحكا : كان الله في عونك.

قال: وفي عون الجميع .. لي خمس سنوات بدون حالة ولادة .. وقد زوجنا بعض البنات ربنا يستر عليهن وعليكم بفضله جاء دورك يا عدنان أعندك حكاية ؟

قصة منار

قهقهة الشيخ عدنان مسرورا ، وهو دكتور لغة عربية ، ومدرب خطوط وزخرفة في النادي وقال باسما ومسرورا : حقيقة طربت واستمتعت بقصص وسير حياتكم في قضية الطلاق ومآسيه وغرائبه ، حكايات عجيبة ! غرابة طلاق المحامي طارق ، كادت مشاكله العائلية تنتهي ، سمحت له زوجته بالسفر ، وقدم له غازي المال ليبقى الزواج ؛ ولكنه طلق لتدخل أخت زوجته زميلة الماجستير وزوجها في حياته الخاصة مع أنه رغب بذلك كما سمعنا ، وهي التي رفضت تدخلها بينهما لماذا طلقت ؟!

ضحك طارق وقال بترو : تأتي لحظات يا دكتور عدنان يتصرف فيها الإنسان بأفكار وأفعال وانفعال بنت الساعة والموقف ، ويصعب التراجع عن القرار ، سألت نفسي مرارا ، لو لم يحضر هؤلاء سامية وزوجها تلك الليلة هل سيحصل الطلاق ؟ الجواب أن الطلاق سيحصل أدركت ذلك منذ طلبت الخادمة ، وفرضهم ذلك عليّ بطريقة الاستحياء واختصار الشر ، لم اهضم التدخل بسهولة ، ومن ثم قصة أخذها موانع الحمل دون معرفتي ، مع أن ذلك كان في النهاية لمصلحتي ؛ حيث طلقت ؛ وليس معها عايدة وطلال وعالية وطارق .

قال عمر : ولم تتزوج بعدها !

تنهد فقال : حاول بعض الأصدقاء وأخي طلال تزويجي ، وما زلت رغم بلوغي الخمسين دون زوجة، ولا أمارس الزنا لتصريف الطاقة الجنسية ، العفة تاج فوق الرؤوس .

صفق الجمع وقال عدنان : وشادية !

قال : سعى بعضهم للصلح بيننا ، واستعانت سامية بالدكتور غازي أستاذنا في الجامعة اعتذرت فلما يئسوا مني تزوجت قريب أو صديق لزوج سامية ، ثم اختفت من حياتي لحد الآن .. قص علينا ما عندك .

قال عدنان : قبل قصي أقول لحمزة حسام براهم صديقنا الشجاع ، سمعنا أن أباك ذهب للمحكمة لطلاق امرأة أبيك ، ولم يكتمل الطلاق ، فتسبب فيها بعد بمقتله ؛ لأنه لو طلق لما

التقى بالحارس القاتل ، فلم تبين لنا سبب عدم اكتمال طلاقه ـ رحمه الله ـ وشغلتنا بأخبار شقيقك إياد وأبي مالك .

غمرهم الضحك وقال حمزة : لا أحد ينجو من عمق فهمك ، أنا لم يكن لي دور كبير إلا في النهايات ؛ لأني كنت في الجامعة الشرطية ولا أعود إلا نهاية الأسبوع ، فأسمع من إياد من خالي مالك من أمي من البنات ، وحدثت الجريمة في منطقة وظيفتي ، أما قضية الطلاق فذهب الوالد للمحكمة متهما لامرأته بالفاحشة . فقال له القاضي: هذا يحتاج لشهود وتحقيق وهذا من مهام الشرطة والمحاكم المدنية ، وليس لك عندنا إلا الطلاق ، وأن تدفع حقوقها المالية ، فطلق حتى تحضر المرأة وقد استلمت مؤجلها ، وتقر بذلك أمام القاضي، ووالدي لا يملك المؤخر المقدر بعشرة آلاف دينار ، فتابع رحلة الاختفاء.

قال عدنان : أحسنت أبا علاء وضحت الصورة .. قصتي ليس لي قصة ، لم أطلق البتة لي ابنة أخت عاشت قصة طلاق لا بأس من قصها وسردها على آذانكم في هذا الاجتماع المحترم.

قال طارق مستفسرا : أذكر أنك قلت لي قديما أنك خطبت وتركت.

قال عدنان :صحيح ، لم يحدث طلاق يا دكتور طارق!

قال: تفضل

قال عدنان : أبدا بقصتها ، أعجبت بطالبة معنا في الجامعة ، واتفقنا على الزواج بعد انتهاء الجامعة ، كنا كلينا في قسم اللغة العربية ، وذهبنا وتحدثنا مع أهلها، وتم قبولي كزوج لها وسعدت بذلك ، وقبل التخرج بفصل لاحظت اهتمامها بزميل ، ثم طلبت بفسخ الخطبة ، ولم أتردد في فعل ذلك ، وفعلا اعترف لي الزميل بحبه لها ، وشكرني على فسخ الخطبة والفاتحة ، وما يفعله الله تعالى فيه كل الخير ، وإن بدا قاسيا ، وبعد الجامعة والعمل في قطاع التعليم والمعارف تزوجت امرأتي أم احمد من ربع قرن ، وأمورنا تمام وعلى خير ما يرام بفضل الله ورحمته ولكن لديّ قصة يمكنكم سماعها وإضافتها لحكاياتكم ، ابنة أختي منار راضي تخرجت من كلية الطب، وتقدم خاطبا من أقاربها الكثير ، فاختارت طبيبا يعمل معها في المستشفى ،

وسأروي القصة على طريقة طارق وحمزة.

قال الطبيب جهاد لمنار في مطعم القسم مكان الاستراحة : كيف حال الدكتورة منار؟

قالت : أهلا دكتور جهاد اجلس اشرب قهوتك.

قال: جئت لأجلس معك ، دلتني عليك الدكتورة سمية رشيد.

قالت بحيرة : دلتك عليّ ! ما نحن نعرف بعضنا منذ اشتغلنا هنا وفي هذا القسم .

قال: اعرف ، وكم شربنا القهوة والشاي ؛ إنها حدثتها عن الزواج والرغبة فيه ، فقالت: فاتح الطبية الفاضلة منار بذلك ، فهي عزباء مثلك.

قالت باسمة : أهلا وسهلا .. عروس ..لي شهور في العمل، متخرجة حديثا .

قال: لا اعتقد أني أول من يتقدم إليك .. خاصة طبيبة جميلة ومحترمة مثل الطبيبة منار

قالت : يسعدني أن أسمع هذا الغزل اللطيف

قال: ما هذا بغزل!

ضحكت وقالت : سمعتك تقول جميلة ! .. حسن .. كيف أنت وحرية المرأة والسفور ؟ كيف تراني؟

قال: لست ضد حرية النساء وتبرجهن للشارع .

قالت : وأهلك الأم والأب.

قال: أنا الذي سيتزوج.

قالت : هل يعني هذا أنهم لا يحشرون أنفسهم في حياتك ؟ كم أخا لك وأختا؟

قال: لم نخطب بعد

قالت : أنت طيب ! وسمعتك جيدة في القسم سوف أفكر في عرضك.

قال: أرجو ألا يطول التفكير .. فأهلي يرغبون بزواجي ويفرحون بي.

مرت أيام على عرض السيد جهاد ، وحدثتني منار بعرض طبيب المستشفى ، وقالت: هل من الضروري يا خالي الزواج ؟ منذ التخرج والعروض تنهال كما أحدثك دائما .

قلت: أشكر ثقتك بي يا منار ! هذا قانون البشر .. قانون التزاوج لإعمار الدنيا .. ولا اعتقد أنك ترفضين الزواج كفكرة وحياة ، ولولا التزاوج ما كنا أنا وأنت نجلس هنا .. والدكتور بعد إنهاء الجامعة كغاية أولى حققها يحتاج لزوجة وأولاد .. هل تحبين أن اسأل عنه وعن أهله كعادتنا نحن الشرقيين أم معرفتك به كفاية.

قالت :لا أعرف عنه إلا أنه زميل عمل يسبقني بسنة أو سنتين طبية لا اعرف عنه الكثير

قلت : يمكنك سؤال مديرة القسم والتي وجهته نحوك أو ممن خالطهم أكثر منك.

قالت : الصديقة راوية لم تسمع عنه شيئا لافتا للنظر .

قلت : الأفضل سماع الأطباء الذكور

قالت : أتحرج من ذلك ، علاقتي بهم رسمية في حدود العمل .

قال: حسنا ! فاطلبي منه بعض أرقام الهاتف المُعرفة به، وأنا اكلمهم واسمع كلامهم

قالت : أشكرك خالي ، أمي ترغب بزواجي ، وأبي يطلب التأني وعدم العجلة في الاختيار

قلت : السن يا خالي مهم في النساء .. أنت تجاوزت الست والعشرين .. أنتن بخلاف الرجال .. التأخير ليس في مصلحتكن .. كلما كبرت البنت عندنا قلّ الخطاب .

قضت اكثر من أسبوعين تسأل وتسمع ، ولما التقت مباشرة بالطبيب جهاد على فنجان قهوة في مطعم المستشفى ، قالت : ما زلت تراني أهلا للزواج يا دكتور أم هناك أخريات .

ابتسم وقال: أنا لم أعرف قصص الحب يا دكتورة ، كانت حياتي الشخصية جادة ، ورغبت بالزواج من طبيبة مثلي مع أن بعض الناس لا يرجح هذا الاختيار .. دوامنا أول النهار في المساء في الليل .. هل فكرت كفاية ؟

قالت : فكرت ، والكل يرغبني بالزواج والعمر وفرص الزواج تقل مع الكبر ؛ كأنني عجوز اذا كنت يا دكتور مناسبة لحضرتك فأهلا وسهلا ، وكل من سألناه عن شخصك أثنى عليك الثناء الحسن.

قال مظهرا السرور : شكرا سأقوم وأمي بزيارتكم لوضع النقاط على الحروف .. والتوفيق

بيد الله .

قالت : نحن في انتظاركم .. وهذا عنوان السكن .

وهكذا كان ، ذهب جهاد ووالدته وأخته لزيارة بيت الدكتورة ، وجلس القوم في جلسة تعارفية واتفق القوم على الاتفاق بعد ثلاثة أيام لإعلان الموافقة ، وتمت الخطبة الشرعية الإيجاب والقبول وتحدد أن يكون الاقتران بعد أسابيع ، وتدوين العقد في المحكمة الشرعية ، وتعيين يوم الزفاف واحتفل الزملاء بخطبة الشابين .

قال عدنان : لم يتم الزفاف ، ولا كتب العقد ، السبب أن حضرة الدكتور تبين لنا أنه قبل عمله في مستشفى منار الوطني الحكومي قد اشتغل في مستشفى خاص وفصل أو طرد بسبب علاقة أو تحرش مع ممرضة ، وتكتم على تلك الحادثة ، وكشفت لما نشرت الصحف خطبة جهاد ومنار ووصلت المعلومة للممرضة المتحرش بها فسعت للوصول إلى هاتف منار وكشفت لها قصتها وزارت منار مدير المستشفى ، وأقر ببعض أفعال الدكتور ، ولما حدثت جهادا بقصة الممرضة حاول الإنكار وزعم أنها هي عرضت نفسها وصداقتها عليه .

فقالت : بصراحة أنت تكذب ، وأنت فصلت وطردت .

وأخذ يحلف ويقسم ببراءته فقالت : أنا قابلت مدير المستشفى وأكد لي قصة الممرضة جميلة حوشن وغير ذلك .

قال: حسنا ! انتهى الموضوع يا دكتورة

قالت : الكذب حباله قصيرة يا جهاد ! كل تكاليف الخطبة سأعطيك إياها كما دخلنا بالمعروف نفترق بالمعروف.

قال: كما تريدين

قالت : لم تكن صادقا معي ، وزعمت أنك لم تعرف الحب والبنات ، وأنك تعيش حياة جادة

قال: أتمنى لك التوفيق.

قالت وهي تنهض : وأتمناه لك.

وفشل الاختيار ، وانتشر سبب الانفصال مما سبب فضيحة للدكتور جهاد وانتقل لمستشفى آخر يبحث عن زوجة ، تقدم مدير المختبرات في المستشفى لمنار بعد هدوء العاصفة وبعد عدة لقاءات ، قبلت منار به زوجا وتزوجت الدكتور رمال حسني ، واحتفلوا بالزواج في صالة أفراح شهيرة في ضاحية المدينة ، وفرح المحبون ، وتألم المبغضون ، وبعد الزواج بشهر تقريبا قدم الدكتور رمال حسني استقالته لمدير المشفى ؛ لأنه كان ينتظر الرحيل لدولة خليجية للعمل في مستشفى عالمي .

قالت : هل من ردود ؟ لك ثلاثة اشهر تنتظر .

قال: حينما اصل سأقدم أوراق سفرك وأوراق عملك سواء معي أم مع الحكومة.

قالت : الغربة مرة يقولون

قال: لن نشعر بالغربة ، أغلب وقتنا في العمل، ولي أقارب كثر سبقوني ، وأنا عن طريقهم قدمت أوراقي ، والراتب ضعفي راتبي هنا

قالت : هو هذا المغري في تلك الديار ذات الحر وارتفاع الرطوبة

قال: الإنسان يتكيف يا منار .. ولسنا أول من يهاجر إليها .. بعضهم يهاجر إلى أمريكا وأوروبا .. كل بلد لها محاسن ومساوئ .. لم يحصل حمل

قالت : أراك متعجلا

قال: أمي المستعجلة كلما اتصل بها تسأل

قالت : بعد مضي الشهر السادس اذا لم يحصل المطلوب، ولم تسافر نجري فحوصات تناسلية وطبية .. طمن أمك .

قال: إن شاء الله.

قبل دخول الشهر السادس لزواجها رحل رمال حسني للقطر العربي لممارسة العمل كمدير مختبر طبي في الدولة العربية ، وعادت منار للحياة في بيت والديها حتى يتيسر أمر رحليها وقدمت استقالتها لمديرها ، ونقلت ما يلزمها من ملابس وأغراض ، وعرضت الشقة للإيجار

كشقة مفروشة ، لأن الشقة ملك الدكتور رمال حسني ، أجرت منار فحوصات مخبرية لجهازها التناسلي ، وأظهرت التحاليل المخبرية وصور المبايض والرحم أنها صالحة للحمل ، لم يكشف عن عيوب وعوائق تمنع الحمل والإخصاب ، وكانت تنتظر الرحيل بهوس وشوق ، ورحلت فور قبول سفرها وهجرتها ، ورحب بها زوجها بشوق وحنان ، ونقلت له نتائج الاختبارات ، واطلع على التقارير ، وغمرته الغبطة والحبور ، وطمأنها على تحاليله التي أجراها في مختبر المستشفى ، وأنه أيضا لا يعاني من معوقات إنجابية ، وخلال شهرين تمكنت من العمل في احد المراكز الطبية ريثما يتيسر لها الوظيفة في مستشفى حكومي ، وقد استطاع رمال حسني من توظيفها في مكان عملة في مستشفى الشرق الأقصى الأوربي الذي يعمل في المنطقة العربية الخليجية.

مضت السنة الأولى بينهما دون أن يتحقق الحمل، وارتفع منسوب القلق والتوتر في علاقاتهما الجنسية من عدم إنتاج بيضة مخصبة ، السنة ذهبت من عمرهما دون ثمرة ، كثرت الفحوص وزيارة عيادات المشاكل التناسلية دون معرفة العوائق ، ولديهما لهفة للخلفة ، انقضت أخرى سنة ، تزوج الطبيب سرا أو خفية عن زوجته منار ، تزوج طبيبة من بلده تعمل هي وشقيقها منذ عهد قريب في تلك المدينة ، وبعد زواجها عاد اخوها للوطن ، فلما علمت منار بزواج رمال حسني دون تمهل وتردد طلبت الطلاق ، وعجل رمال حسني به ، وكأنه كان ينتظره، لم يحب أن يأتي الطلاق منه ابتداء، فزوجته الثانية تقبلت الأمر ، عادت منار إلى بلدها ووطنها بعد ما يقارب خمس سنوات ، واستقرت طبيبة في احد المشافي ، وكانت في حالة نفسية صعبة ومؤلمة لها وللعائلة ، تجاوزت الثلاثين سنة ، ولم تلد وحتى لم تعد زوجة ، مضت الأيام عندما عرضت عليها أختي أمها أن تتزوج من عيسى مسلم ، قريب لنا على ضرة ، ومن ضغطنا قبلت، وتزوجها الدكتور عيسى ضرة لأمراته ، والمفاجأة أيها الفضلاء أنها حملت من الكهل عيسى ، وعمنا وغمرنا الفرح ، وذبحت أمها النذور كما قيل ، وولدت أخيرا الطبيبة بنتا جميلة ، سميت هبة ، ثم ولدت ابنا سمته خالدا ، وهنا بعد ميلاد خالد بشهور أخذت تطلب من الدكتور عيسى

مسلم طلاق زوجته أم الأولاد الأربعة ، أحدهم ابن اثني عشرة سنة، مما أثار دهشتنا وحيرتنا، والحجة أن ضرتها أم وائل لا تحترمها هي وذريتها ، كل مشكلة تصير معركة ، وأصرت على طلاق أم وائل أو طلاقها هي فقلت لها :يا أم خالد ما بك؟

قالت مستهجنة : شكى لك يا خالي!

قلت : أمك أختي هي التي طلبت مني أن أتكلم معك

قالت : لم اعد أطيقها ، واخشى على أولادي منها ومن غدرها

قلت : إنهم أخوة أولادك ، ووالدهم واحد.. فهذا وسواس يا دكتورة فنحن فرحنا جدا لولادتك وسعادتك ؛ فليس لك الحق في تطليق ضرتك، فالرجل لم يتزوجها لكره أو بغض الدكتور رغب في التعدد ، وعيسى كان يبحث عن امرأة ثانية ليس لبغض لها ، فعلت أمك ذلك شفقة عليك ومحبة لك.

قالت :كرهت الشراكة والخوف

قلت لها : خوف وهمي ، ولن تضرك أم وائل وهي سيدة فاضلة ومحترمة

قالت : أنا حامل في البطن الثالث ، فعليه أن يفكر يا أنا يا هي

قالت : هذا ليس عدلا أنت في شقتك ، وهي في شقتها ؛ بل صارحني أنه أمام الصراع بينكما يفكر ببناء شقة ثالثة ليتزوج ثالثة

قالت : هددني بذلك مرات

قلت : نصيحتي قبل انصرافي تمسكي بزوجك وأحبي أولاده ، فهم أخوة خالد وأخته هبة فالرجل لو لم يردها لطلقها قبل قبولك به .

ظلت النزاعات العائلية بين منار وزوجها حتى وصلت لصفع أم ووائل لمشاجرة بدت بالكلام عندما شكى الصبي لأمه أن خالته صفعته وبصقت عليه، فعتبت أمه على منار فما كان منها إلا أن شتمتها وأهلها ، وضربتها على وجهها ، فما كان من الدكتور عيسى لما علم بالمعركة أن طلق منار التي رفضت الاعتذار لأم وائل والصبي المراهق؛ بل تحدته قائلة : يا أنا يا هي!

قال : أنت طالق ، غدا نطلق أمام القاضي.. أنت طالق.. يا دكتورة لولا خاطر أمك وخالك ما تزوجتك، كما رضيت صفية بك ضرة كان عليك أن تحمدي الله على زواجك مني.. أهلك أولى بك ، وأنا كنت افكر ببناء شقة ثالثة لأتزوج أرملة أخي عفيف .. قلت من هنا حتى أبني واذا لم تتزوج سأضمها لكنّ حتى أربي أطفال أخي معنا.

حصل الطلاق ، ورفض عيسى التراجع من أجل الجنين قال عدنان :وثق الطلاق وأخذت منار عفش الشقة وحقوقها المالية ، وبدل أن يبني عيسى شقة جديدة أثث الشقة من جديد ، وتزوج فعلا أرملة عفيف ، وكان لديها ثلاثة أطفال ، فعفيف أصغر من عيسى .. لما ولدت منار سعى بعضهم لدى عيسى بالزواج منها من جديد ، فرفض وقال: نسائي مستعدات لتربية أولادها اذا لديها رغبة بالتخلي عن حضانتهم ، اضطرت منار لاستئجار خادمة لرعايتهم أثناء عملها ودوامها وامتلكت شقة خاصة بها ، والتزم عيسى بدفع الحضانة القانونية حسب قرار المحكمة وهي اليوم تعيش مع ثلاثة أطفال وترفض الزواج لأن كل من يتحدث عنها فوق الخمسين ، إما أرامل أو مطلقين أو يرغبون بالتعدد لعجز نسائهم عن الجماع بسبب الأمراض والسن .

قال عمر : هل انتهت قصة ابنة أختك؟

قال : لم يبق الكثير أيها التاجر القماش! أنت عندك اثنتان ابنة عمك وبنت كانت يتيمة لأن اليتم بعد البلوغ ينتهي

قال ضاحكا : زمان انتهى قبل أن أتزوجها .. بس الناس تظل تقول اليتيمة يا دكتور عدنان

قال طارق : اكمل السطر الأخير يا أخ عدنان

قال : بقي اكثر من سطر .. أربعة أو خمسة اسطر

غمرهم الضحك وقال عزيز : هات الفصل الأخير من مأساة الدكتورة منار التي طلقت نفسها بنفسها.

قال مبينا موقفها الغريب : هي توهمت يا أخ عزيز أن عيسى مسلم تزوجها من نفسه وعن غرام وإعجاب .. لم تعرف بدورنا أنا وأختي لزواجه منها .. ظنت أن الدكتور اغرم بها لما رآها

في عرس أخيها ، وتهامس مع أمها وهو يحدق بها فاعجب بها ، ومال إليها ، هكذا ظنت إنما كان قصد أختي تعريفه بها ؛ ليفكر فيها كزوجة ثانية ، ولما شاهدها قال لي : اذا قبلت فحي هلا .. وقدر الله الزواج أيها الاحبة .

قال حمزة :السطر الأخير يا سيد عدنان

قال : السطر الأخير يا عمر ! عاشت الطبيبة وحدها مستقلة ، وما زالت ، وقد كبر خالد والبنتان ، والكبرى دخلت الجامعة وقد يتزوجها أحد أولادي اذا قدر الله ذلك ؛ لكن السطر الأخير أن الدكتور رمال حسني زوجها الأول رجع للوطن ، تصحبه زوجته وأولاده أنجب بعد زواجه الثانية ، ولما علم بأن السيدة منار مطلقة اتصل بها عن طريق وسيط أنه مستعد للاقتران بها ، فأخبرت الشفيع أنها تقبل اذا طلق امرأته التي تزوجها ، وكانت سبب انفصالهما فعجز عن ذلك، فكيف يطلقها وهي التي أعادت له فحولته وبسمة الحياة ؟.. الإنسان المسلم عندما تذهب من نفسه فورة الجنس والشهوة والرغبة يريد الأبناء " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين" انتهت الشهوة للجنس الآخر ، فيحتاج الولد ثم المال والخيل

قال حمزة: أحسنت يا دكتور ترغب بمصاهرة ابنة أختك!

قال : هي صديقتي ولست خالا فحسب ، وتحب سماع رأيي وكلامي ، وبحكم ذلك عرفت الكثير من تفاصيل حياتها ، وزوجها والد بناتها صديقي ، وقريب ، فأمه ابنة خالة لأمي وكلاهما الابن والبنت مرحب بذلك

قال : والبنت مرحبة.

قال عدنان : البنت وابني لحد الآن لا اعتراض لديهما .. بقي الأستاذ ماهر الخطاط لم يرو قصة طلاق عاصرها.

الجارة

قال ماهر : أنا نفسي طلقت مرتين يا دكتور عدنان ، أنا عجبت من اهتمامكم بهذا الموضوع ، والتركيز على الطلاق؛ لأن ظاهرة الطلاق موجودة ومنتشرة في كل بلدان مدن وقرى العالم بصور مختلفة بقانون وبغير قانون ، أنا كما يعلم كل أعضاء النادي .. أنتم وغيركم .. أعمل خطاطا ورساما كمهنة ، وليس كهاو فقط أرسم لوحات وآرمات للدكاكين والمهرجانات والأطباء والمحامين والمدارس والسيارات حرفة جميلة ، تعلقت بالمهنة شابا مراهقا ، كان في شارعنا خطاطا ومحلا لعمل اليافطات واللوحات الصغيرة والكبيرة للبيوت والكرنفالات والانتخابات ، فتعلقت بمهنته وتدربت عنده بعد العودة من المدرسة ، والرجل لم يبخل عليّ بمعرفته وخبرته ، فلما أنهيت الثانوية العامة فلم أتابع الدراسة التحقت بسوق العمل عملت مع الخطاط في شارعنا ، ثم فتحت محلا خاصا بي ومع صديق، ولما التقيت بالدكتور عدنان قبل عمر طويل صرنا رفاقا ، حضر لأعمل لهم لوحة لحفل أو مناسبة ثم تطورت العلاقة ، وجذبني للاشتراك في النادي لقضاء أوقات الفراغ والمشاركة في نشاطاته ومعارضه ومعرفة فنون الخط العربي القديم والمعاصر .

قال عدنان : نعم ، ماهر حسان موهبة كبيرة في تخطيط اللوحات واليافطات ، وكثيرا ما قمنا بتكليفه بالخط والرسم بالخط لنشاطات النادي ومعارضكم .

قال طارق : كل الموجودين هنا يدركون ذلك ، كلمنا عن حكايات طلاقك يا أبا لؤي لنختم هذه الفقرة من رهاب الطلاق .

قال : نعم ، كانت عيني لما صرت في الثانوية ونضجت جنسيا على سعيدة ابنة الجيران ، كانت في نظري أجمل بنت رأتها عيني ، ونقلت هذا الإعجاب لأمي ، فقالت : أنت صغير يا ماهر انتظر حتى يتزوج أخوك حمدي أولا ، ولما تخلص الجامعة .

قلت : لا ارغب بالجامعة ولا المعهد ، سأعمل مع الخطاط برهان الدين ، وافتح محلا

قالت : لما تفتح محلك وتستقل سنخطب لك سعيدة بنت أم راسم

قال : كان كلامي في السليم ، ولما أصبحت صاحب محل ، ولي دخل خاص بي تزوجت سعيدة وسعدت بها ، وكانت نعم الزوجة ، حملت كذا مرة ثم يسقط الحمل، كان يقال السبب الجنين مشوه ، لم يكتمل خلقه فيسقط ، بعد عشر سنوات زواج حل بي مرض أضعف طاقتي وقدرتي الجنسية ، وعجزت عن الاتصال الجنسي والإخصاب ، علاجات أدوية من غير فائدة ، فطلقت سعيدة بالاتفاق وشفقة عليها ؛ لعل الله يعوضها خيرا مني ، وتزوجها بعد حين ابن عم لها يعيش في شارعنا ومتزوج ، لم نكن نرى تلك الأيام في التعدد مصيبة ونقمة ، وكانت الأرملة تتزوج والمطلقة مثلها ، كان الأمر لدى الحريم مستساغا ، وبالفعل لحد الآن خلفت منه اثنين .. هذه قصة المرأة الأولى في حياتي .. سافرت مصر للعلاج من العجز الجنسي وبعد علاجات عدت لأتزوج حتى أرى هل عادت إليّ القدرة على المعاشرة ، فسعى أهلي لزواجي من امرأة عاقر كتجربة حتى لا تزعجني امرأة بالخلفة والحمل ، فوافقت على هذه الأفكار ، ووجدوا امرأة فيها هذه الصفة ، العجز عن الحمل ، وسمعت قصتي وعجزي عن المعاشرة وغشيان النساء وأن مهمتها الأساسية خدمة ماهر ، قبلت لعلها حينئذ وازنت بين خدمة العائلة وخدمة فرد ، تزوجنا ، وجددت الأثاث لكسب حبها ، هي موظفة ، رتبنا على أنها فور انتهاء العمل تعود للبيت ، وأنا عادة أنهي العمل بعد العصر بقليل إلا في الأيام التي تحتاج لتأخير ، ولما يكون عندي مشوار للنادي هذا أسوقها إلى بيت أمها الأرملة أو بيت أمي الأرملة أيضا ؛ حيث مات أبي ـ رحمه الله ـ قبل طلاقي لسعيدة .. بصراحة كل العلاجات هنا أو في مصر لم تفد ، بقيت طبيعتي ميتة ؛ وربما أن هرمونات معينة عاجزة عن تنشيط القوة الجنسية ، لا تحدث أي إثارة فقبلت واستسلمت ، وأدوية البروستات لم تعيدني حيا ، عاشت السيدة ماري معي سنة دون مشاكل ، واعتقدت أنها تقبلت الوضع وعجزي الجنسي ، ولم اقصر معها في الثياب والنزهات والمطاعم سعيت لتعويضها بعض متع الحياة ؛ ولكن بعد سنة وشهور صارت تتأخر في العودة للبيت ، حججها ذهبت مع زميلة لحفلة لسهرة ، تضايقت من تكرار ذلك ، ولم تسكن النفس لتبريراتها ، فقلت لابن عم لي في الشرطة : يا يامن جئتك في قضية وغوشت قلبي ، وهو يعرف

مشاكلي الصحية.

فقال : تكلم يا سيد ماهر الحبيب

قلت : أنت تعلم أني تزوجت ماري وأنا لا أصلح للنساء ، وقبلتها عن طيب خاطر ؛ لأنها لا تصلح للولادة ، وهي قرب سني

قال : نعم ، هذا معروف

قلت : لها فترة غير طبيعية ، تتأخر في العودة للبيت بحجج شتى، وأشم روائح عطر على ثيابها وتارة أشم الخمر ، وتظنني لا أعرف رائحة الكحول بسبب عملي بالدهان والبوية والمذيبات .

قال بصراحة : تراها تزني !

قلت : هذا ما وقع في نفسي، قد حنت للرجال كما يقال .

قال : أوه ! وضع خطير يا ماهر !

قلت : حتى لو كنت عاجزا ، لا يمكن يا يامن أن أكون خنزيرا أو ديوثا.

قال : صحيح ، سأعرف لك الحقيقة.. سأتحدث مع بعض الزملاء وآتيك بالخبر اليقين.

قال ماهر : طلب بعض المعلومات عنها ، ووعدني بانتظار أسبوع ، قبل اللقاء معه لسماع تحرياته السرية ، وكنت عائدا من هنا للبيت ، فوجدت أخي مرادا ينتظرني أمام البيت ، فسلمت وسلم وقال : لا تنزل من السيارة.

قلت : هل حدث لأمي شيء؟!

جلس بجواري وقال: لا ، زوجتك ماري عملت حادث سير ، ضربت سيارة وهي سكرانة وهي في مخفر راس برقوق .. تحدث معنا زوج أختها بعد أن بلغته الشرطة .

قلت : سكرانة ! ما المطلوب؟!

قال : سنذهب للمخفر ، ونراها أولا ، ونعرف تفاصيل الحادث ، ونعرف ما حدث بالضبط وما حدث مع السيارة الأخرى

قال : انطلقنا إلى راس برقوق ووصلنا موقع الشرطة ، وقابلنا شقيقها مجيد أولا فأعاد على

مسامعنا ما تكلم به مراد ، ودخلنا فرأيتها ، فأخذت في البكاء ، فقلت : لما قلت لك رائحتك رائحة خمر قبل أيام أقسمت أنك لا تشربين ، التفت إلى شقيقها وشقيقه وقال: منذ اشهر أخذت تعود للبيت متأخرة ، وندر أن تعود مبكرة ، وتزعم أنها في سهرة عند الزميلات خطبة زواج عيد ميلاد أسماء أخرى ..أشم رائحة العطر والشراب تنكر .. لا تبكي .. ماذا صار للموجودين في السيارة الثانية؟

قال شقيقها : رضوض وجروح ، واعتقد أنهم خرجوا الآن ، وستتكفل زوجتك لتخرج معنا فقد تم فحصها وتأكد تعاطيها للكحول .

ارتفعت الأصوات قليلا وأخذت مرادا وقلت : امرأتي سكرانة يا مجيد!

قال : الآن ليس وقتا للوم .. كل العالم يسكر.. اذهب على بركة الله.. غدا نلتقي سيد ماهر

قال : تكلمت معهما بحدة ، وغادرنا المخفر في غاية السخط .

وقال مراد: لا أدري يا ابن أمي ! هل ستقف على السكر فامرأتك ليست نظيفة؟!

قلت : قد يبدو كلامك صحيحا ، منذ أيام صارحت ابن عمنا يمان ببعض المعلومات عنها حتى اطلقها بيقين وبدون ندم .. كفى سنة ونصف معها.

قال : صبرك الله .. نصيبك .

قلت : نعم ، نصيبي.. المرأة شابة يا مراد وتحتاج لذكر ولو أنها لا تنجب.

قال : صحيح ، الله يستر عليها.

صباح اليوم التالي أحضر مجيد شقيقته لبيت زوجها ، وقبلت رأسه ورجله ، فقال ماهر : أنا مجيد كما تخبر غير صالح للنساء ، وأختك بحاجة لرجل ، فأشرف لي ولكم أن نفترق بالمعروف كما دخلنا بالمعروف ، والله يستر عليها وستأخذ حقها كاملا.

قال : اخز الشيطان ، وستخدمك بعيونها ، وحتى ستترك الوظيفة وتقر في البيت ، فسمعتك سمعتنا يا سيد ماهر .

دخل مراد وابن عمي يهان أبو سعيد وسمعوا آخر الكلام ، فقال يهان: الأفضل يا مجيد أن تأخذ أختك فابن عمي رجل طيب وغلبان ، وسمعته لا تحتاج لتلويث .

صاح مجيد : من أنت ؟وما مكانك من الإعراب لتتحدث عن سمعته ؟

قال ماهر : هذا ابن عمي أبو سعيد ، وكما قلت نخرج بالمعروف يا مجيد.. الله يبعث لها من هو خير وأصلح مني ، ولا داعي لنشر غسيلنا.

قال : غلطت يا ماهر وسكرت وندمت .

قال : قلت أمس في المخفر ليست المرة الأولى يا أبا مروان!

قالت وهي تبكي : سامحني يا ماهر الشيطان والصبايا اغوينني .

قال يهان: دعونا من إبليس وأتباعه.. نخرج بالمعروف يا مجيد .. أختك تتردد بصراحة على النوادي الليلة قبل زواجها من ماهر ، ولها قضايا عند شرطة الآداب ، لقد خدعوا ابن عمي عند زواجه منها.

صرخ فقال : كلامك خطير وشنيع!

قال يهان : أنا شرطي وابن العم قبل أيام قبل الحادث طلب مني معلومات حول سلوكها فالرجل ارتاب فيها من شهور وحتى لا ينتشر شيء ، فالأفضل لها ولكم أن تخرجوا بالمعروف لقد خدع الرجل ، فأنا لم ذكرت اسمها الكامل لبعض الجهات قالوا يا رجل كيف تزوجها ابن عمك ؟! فيا سيد نحن لن قبل أن تعيش بيننا مومس .

قال : مومس !

قال : أتريد أن أصدق أنك لا تعرف أختك حق المعرفة ؟! أنا تفاجأت بالمعلومات التي نقلت إليّ يا مجيد ، واستغربت كيف ضحكتم على ماهر وخدعتموه ، ونحن ظننا أنه سأل عنها كفاية لكن حادث السيارة زاد من كشف الأمر ، الآن سنذهب للمحكمة ونطلقها لننسى أمركم ويا دار ما دخلك شر.

هجمت المرأة على يد يهان تقبلها ، وهي تبكي وتقول: استر عليّ .. استر عليّ أبا سعيد فلنذهب

يا مجيد للمحكمة.

قال ماهر : أدركت تمام الإدراك أن شقيقها يعلم فجورها وفسقها ،وأنني خدعت فيها ، وكنت ستارة لدعارتها ، وحسن ظني بهم، وبمن رشحوها للزواج مني .

قال : ومشينا لأقرب دار قضاء وطلقتها ، ورفضت أخذ مؤجل المهر ، وطلب منا مجيد الستر عليها ، ووعدناه أن نزعم أن سبب الطلاق السكر فقط إلا اذا سأل شخص عن الزواج منها سألنا نحن الثلاثة .. وافترقنا على باب دار القضاء الشرعي.

فقال عدنان : هذه مأساة الأخ العزيز ماهر بلونة ، وهو منذ عشرين سنة لم يعطر أنفه برائحة أنثى ، وقنع بالحياة بدون نساء كالرهبان ، وهو يردد لم يبق من العمر الكثير.

دعا له الجميع بحسن الختام ، وقال طارق: رحمك الرب يا ماهر ! هذه أول أسمع مأساتك ؛ ربما أنت أكثرنا إيلاما .. النساء بلايا بجلد أملس ، وهنّ حبائل الشيطان.

قال عزيز : لكن يا إخوان لا تحلو الحياة إلا بهن، هن الأوانس والأمهات والأخوات والبنات والحبيبات .

قال عدنان: رفقا بالقوارير يا أنجشة ، ولا تحلو الجنة إلا بهن يا إخوان.

قال عمر : وحتى الدنيا وحياتنا ، وها قد وجدنا عند كل منا حكاية مع الطلاق .. ويا لها من نهاية.

قال الدكتور جمعة : صحيح الزواج والطلاق لا انفكاك عنهما ، سعيد بزواجه ، حزين بطلاقه .. هذه الدنيا وأحوالها وتقلبها .



شعر

أبيات من قصيدة أو نونية الإمام الشهير بابن القيم عن النسوان في الدنيا والآخرة

لا تسبينّك صورة من تحتها ... الداء الدوي تبوء بالخسران
قبحت خلائقها وقبح فعلها ... شيطانة في صورة الإنسان
تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أكفاؤها من دون ذي الإحسان
ما ثم من دين ولا عقل ولا ... خلق ولا خوف من الرحمان
وجمالها زور ومصنوع فإن ... تركته لم تطمح لها العينان
طبعت على ترك الحفاظ فما لها ... بوفاء حق البعل قط يدان
إن قصر الساعي عليها ساعة ... قالت وهل أوليت من إحسان
أفكارها في المكر والكيد الذي ... قد حار فيه فكرة الإنسان
فجمالها قشر رقيق تحته ... ما شئت من عيب ومن نقصان
أما جميلات الوجوه فخائنا ... ت بعولهن وهن للأخدان
والحافظات الغيب منهن التي ... قد أصبحت فردا من النسوان
فانظر مصارع من يليك ومن خلا ... من قبل من شيب ومن شبان
وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ ... ـباقي بذا الأدنى الذي هو فان
كملت خلائقها وأكمل حسنها ... كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها ... والليل تحت ذوائب الأغصان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ... ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها ... وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود ثغورهن لآلئ ... سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها ... فيضيء سقف القصر بالجدران

أمثال في النساء

يُقَال أشأم من البسوس ، وأحمق من دغة ، وَأَمْنَع من أم قرفة ، وأقود من ظلمَة ، وَأَبْصر من زرقاء الْيَمَامَة .

إِذا قَالَت حذام فصدقوها ** فَإِن القَوْل مَا قَالَت حذام

وقالوا: إياك أعنى واسمعي يَا جَارة

قَالُوا : رمتني بدائها وانسلت

وَقَوْلهمْ : النِّسَاء حبائل الشَّيْطَان

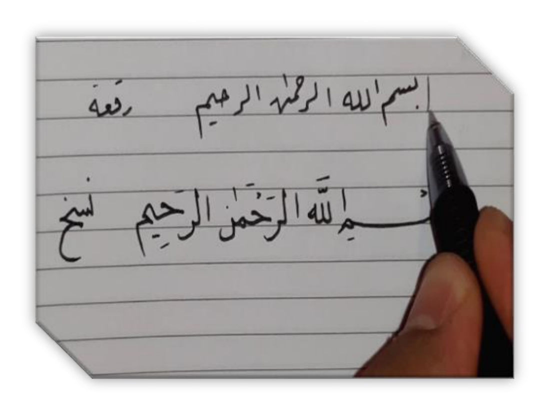
وَقَوْلهمْ : كل ذَات صدار خَالَة

وقَوْلهم : كل فتاة بأبيها معجبة

وقَول النَّبِي ﷺ :خياركم خياركم لأَهله

وقَول مُعَاوِيَة : إِنَّهُنَّ يغلبن الْكِرَام ويغلبهن اللئام

وقَوْلهم : تجوع الْحرَّة وَلَا تَأْكُل بثدييها



الفهرس

١	ليلة العرس	٢	شمس عمري
٣	أيتام الحداد	٤	صديق أمي
٥	الأخ شريف	٦	أستاذ الفرنساوية
٧	غربتي وابنتي	٨	حي أبو خروف
٩	الحفل بالقط الأسود	١٠	الشقق السوداء
١١	حياتي قبل الحياة	١٢	امرأة نزيه
١٣	رهاب الطلاق	١٤	

رهاب الطلاق

اجتمع ثلة من أعضاء نادي هواة الخط العربي

في أمسية وسهرة من سهرات النادي يتسامرون ويقصون

وكان القص عن حكايات طلاقهم وفشلهم في علاقة زواجهم.

فتكلم المحامي عن الطلاق في حياة أسرته

وتحدث الآخرون

وتكلم الضابط كيف تسبب الطلاق بموت والده ؟

وكيف ولدت امرأة احدهم بعد زواجه عليها؟

عشر حكايات مسليات

٢٠٢١

جمال شاهين



منشورات المكتبة الخاصة

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جمال شاهين



جمال شاهين

عرض زواج

دعوة الجد

كان أمين بشبش تاجر الحبوب أو أحد تجار الحبوب والبقول في وسط سوق المدينة توتة يجلس في متجره الكبير عندما سمع جرس الهاتف يرن فأشار لأحد العمال عنده بالرد ،ويسمع ماذا يريد المتصل ؟ ظانا أنه صاحب متجر صغير يطلب طلبية ، ولم يرد بنفسه ؛ لأنه كان يتحدث مع تاجر مجاور له في السوق اسمه حمدان .

فقال العامل أو الموظف : المعلم فريد ابن حضرتكم يا معلم أمين !

تناول السماعة هازّا رأسه بشكر الموظف وقال : أهلا فريد .. الحمد لله .. جدك يرغب بلقياك أنت وغسان .. ما الموضوع ؟!

قال فريد : لم يصرح بشيء ؛ ولكنه راغب برؤيتنا الليلة .

ـ أنتم فقط !

ـ نعم ، نحن الاثنان ما الأمر يا أبي ؟ اعتقدت أن لديك فكرة .

رد أمين باستغراب: لست ادري ! قد يكون الموضوع عن زواجكم .. عن زواج لكما إذا كان هو نفس حديث قبل أيام .. فلزمت الصمت ؛ ربما هذا الموضوع .

ـ زواج من ؟!

ـ زواجك أنت وغسان باشا ، وليس زواجي بالتأكيد .. فأم حاتم حية بعد !

ضحك فريد وقال : جدد وعدد .

قال مجاملا : لو لم تمت أمكما ما جددت .. النساء غم ، ولابد منه .. فاعتقد أن هذا هو الموضوع

فقال فريد باستغراب وحيرة : وما دخل الجد في زواجنا نحن الاثنان ! أتراه مشفقا علينا من العزوبية ؟!

تبسم الوالد وقال : عندما ترياه سيتضح لكما الأمر وستفهمان القصة الغريبة

ـ أنا تزوجت ابنة الصياد صاحبك ، وفشلت وهجرتني أو طلقتني من سنوات؛ ربما خمسة أعوام

قال أمين مبررا فشل زواج ابنه من ابنة صديقه الصياد : تريد ذرية وأنت لا تريد !

قال : أنا أريد ؛ ولكنني لست مستعجلا قلنا على مهل .. لم أكن مرتاحا معها فخشيت على الأطفال

ختم التاجر قائلا : حسنا ، نلتقي بعد مجيئكما .. هل سيذهب غسان ؟!

ـ حدثني أنه سيذهب .. وهو مثلي محتار ومندهش من طلب الجد عيسى .. فهو من النادر أن يتحدث معنا .. مع السلامة

وضع أمين السماعة وقال لحمدان : فريد يحييك ويسلم عليك أبا وطفا .. من أين استوردت هذا الاسم ؟

ـ صدق لا اعرف .. لا ادري حقا أبا غسان ! كانت بكري فسماها أبي غفر الله له ولنا وطفا فقلنا ولا الضالين أمين يا حج أمين !

ـ أمين أمين

ولما انصرف حمدان لدكانه خاطب نفسه : هل هو نفس موضوع شقيقي عمار المهاجر إلى الغرب البعيد منذ عشرات السنين؟! هناك قصة بينه وبين أبي .. بنات عمار المطلقات .. لقد تعلمن تعليما عاليا طبيبات على ما اذكر وحسب قول الوالد .. ولم يرغبن بالزواج من أقارب أبيهن ؛ كما لمح أبي .. فأمهن كندية ومنفصلة عن عمار من سنوات طويلة ، وهن صغيرات ، وترك كندا وسافر إلى أمريكا هكذا كان يحدث أبي ومن قبله أمي .. أخي المهاجر حياته عجيبة فله ثلاثون سنة هناك ، ولم يأت توته ولو مرة واحدة .. ما الذي يعجبهم في تلك الدنيا ؟! أتختلف عن دنيانا هذه ؟

ثم عاد للبيع والوزن والحبوب والبقول .

***

غسان أمين شاب ممتلئ البدن ومعتدل الطول يقف أمام محل التصليح الخاص به ـ فهو يعمل فنيا لتصليح السيارات الصغيرة الحجم مع ابن خاله طارق؛ وذلك بعد أن ترك العمل على

الشاحنات والحافلات الخارجية ، فهو تعلم المهنة قبل الثانوية العامة وبعدها ، ولما رخص له بالقيادة للمركبات الأكبر ترك محطة التصليح ، وعمل على النقل الخارجي إلى العراق وسوريا ولبنان والأردن ومصر وليبيا وبعض دول الخليج العربي ـ فسلم عليه فريد وقال : آ .. يا صاح هل أنت جاهز للقاء الجد عيسى ؟ ألم يحدثك عن سبب اللقاء الخاص ؟!

قال غسان وهو يرحب بشقيقه الأصغر : لا ، سنرى بعد قليل .. وأنت هل علمت شيئا ؟

ـ أبونا يظن أنه مشروع زواج .

صاح غسان دهشا: زواج ! ..زواجنا نحن.. من سيزوجنا عيسى بشبش ؟!

ـ أبي يتوقع ذلك ، وأن الزوجات بنات عمك المجهول عمار .

قال : عمار الذي لا نعرف عنه شيئا ، ولا حتى نعرفه ، فقط نسمع باسمه ..عنده صبايا كبيرات هو اصغر من أبينا .

قال متذكرا : سمعت أن لديه بنتان .. سمعت ذلك قديما .. وانهنّ طبيبات ، وأمهم كندية عرفها في الأرجنتين ، وهي أخت امرأته التي قتلت ؛ كما سمعنا، فبعد مقلتها هاجرا معا إلى كندا وتزوجها بدلا من أختها ، وولدت له ثم انفصلا .. فغادر مونتريال أو تورنتو إلى نيويورك أمريكا

ـ هو بناته صغيرات ولم يتزوجن

قال مجيبا: كيف صغيرات وقد تعلمن الطب يا رجل ؟!لا اعتقد أنهن صغيرات أو متخرجات من الكلية .. ولا اعرف تفاصيل حياتهنّ .. فالكلام عن عمار ؛ كأنه مات منذ هاجر .. لا يتواصل إلا مع أبيه عيسى فقط .

ـ هذه حكاية يا أبا السعد !

ـ والله فعلا إنها حكاية ! متى ستغلق محلك ؟

صاح مناديا على طارق شريكه : طارق طارق !

خرج شاب من جوف المحل وقال : آ .. يا سيدي !

ـ هل سيتأخر عبده ؟

قال طارق مصافحا ابن عمته فريد : أهلا فريد كيف أنت ؟ لماذا؟

ـ ألم اقل لك أن الجد عيسى اتصل بي وطلب اللقاء بي لأمر هام أنا وفريد .

ـ قلت ذلك امس ظهرا يا ابن الأجاويد .. ما أخبارك يا فريد ؟وكيف الوالد وإخوانك ؟

قال : كلنا بخير وأنت كيفك والأهل ؟ وكيف الخال الأمير ؟

قال : بخير مثلك .. اذهب يا غسان وأنا سأغلق المحل لما يحضر عبده وينور .

قال فريد : شكرا .. اركب يا غسان !

ـ سأتبعك بسيارتي .. عندنا الليلة سهرة مع عدون الضاوي والشلة .

قال : من عدون ؟

ـ عدنان يدلعونه بعدون .

***

كان الجد عيسى بشبش يسكن في فيلا كبيرة ، فهو من أثرياء توتة ، ومعروف للكثير من سكان المدينة ، وفتح الخادم جودة لهما البوابة الرئيسة مرحبا بهم ـ وهو معروف لهما فهو في خدمة جدهم منذ وعوا ـ وساقهم إلى غرفة الاستقبال ، وسألهم عما يشربون ، ورحبت بهم زوجة جدهم الأخيرة ، فالجد تزوج ثلاث مرات بدون تعدد ، أم أمين وعمار وعماد وبنات ، ولما هلكت تزوج الثانية ، وبسبب عجزه عن الخلفة تطلقت ، ثم تزوج هذه الأرملة أم سليم الحاجة فايزة ، فلما رحبت بهما ، وقدم لهما الخادم جودة القهوة والماء حضر صاحب البيت الحاج عيسى بشبش وهو يقترب من السبعين عاما ، وقام العناق والتقبيل ، ثم عادوا للجلوس ، وسمح لهما بالتدخين لعلمه بأنهما مدخنان ، ثم قال : أنتم لا تعرفون عمكم عمارا شخصيا .. فأنا لي ثلاثة ذكور وثلاث بنات من جدتكم بامية كما تعلمون .. فعمار هاجر قبل زواج أبيكم بأشهر ولم يأت زائرا ولا مرة .. فهاجر في البداية للأرجنتين ، وتزوج امرأة أرجنتينية من أصول كندية ؛ ولكنها قتلت لأسباب لا اعرفها بالتفصيل ، فرحل لكندا مع شقيقتها وهناك تزوجها ، وعاش في كندا

وولدت له بنتين قبل انفصالهما حسب ما قال ، والبنتان عاشتا مع أمهما حسب ما قال وحسب قوانينهم ، وهاجر بعد الانفصال إلى أمريكا واستقر فيها لليوم حسب معلوماته ، وكبرت البنتان وتعلما طبيبتين وتزوجتا من أبناء كندا ، وأمهن وجدت من يعاشرها ، والآن البنات مطلقات ويرغبن بالزواج من أقارب أبيهم ؛ لأنهن طُلقن بسبب عربية أبيهم وأنه من أصول مسلمة وعربية ، فهنّ راغبات بالزواج من أقارب أبيهنّ كما يزعم عمار .. وتحدث معي بهذه الغاية ، فرحبت بالفكرة وقلت لأمين بذلك وأنني رشحتكما لهذه الغاية ؛ فأنتما مطلقون وهنّ مثلكن .. فإذا قبلتم بالزواج منهنّ ، فهو يبدو مستعدا للحضور بهن للزواج ، واذا أحببتم السفر للزواج والحياة هناك ؛ فهو مستعد لذلك ، وهو الأفضل والأحسن في رأيه .. والأمر ميسر فحسب كلام عمار يرغبن بالاستقرار العاطفي ، فلم ينسجمن بأزواجهن الكنديين .. فهؤلاء الكفار لا يرتاحون لامرأة واحدة ؛ كما هو شائع في تلك الديار .. وللأسف انتقل هذا التأثير لبلاد العرب والمسلمين فأصبحت تستساغ الخيانة الزوجية ؛ فاذا وافقتما على الاقتران والزواج .. فنتابع المشروع ونتوقف عن عرضهن على غيركم من الأقارب .. فيمكنكم العيش بهنّ هنا أو العيش هناك اذا رغبتم بالزواج منهن .. فالاختيار لكم ولهن .. فبالزواج تحصلون على الجنسية الكندية أو الأمريكية جنسية عمار ..ويمكنكما العيش في أمريكا كما يفضل عمار .. فأمريكا وكندا تقريبا نفس الحياة والنظام والعادات .. هذا ما عندي .

خيم الصمت للحظات فقال غسان مذكرا جده : أنا لست طبيبا يا جدي !

تبسم الجد وقال : عمار يعرف ذلك .. ذكرت له وظيفة كلٌ منكما.. فقال عادي لا ينظر هنا للشهادة المهم العمل والمال .

فقال فريد : وهل هنّ يعرفن ؟

قال بحزم : الجد أكيد أكيد .. أنا لا اعرف البنات إلا في الصور التي يرسلها عمكم .. هات الألبوم يا حجة فايزة بارك الله فيك .

نهضت أم سليم وهي تبتسم ، فقال غسان : أيمكنهن الاستقرار هنا وهنات بنات كندا والغرب

أم مجرد كلام ؟

رد الجد : الأجانب الغربيون هنا تهتم بهم الدول اكثر من المواطنين يا بني .. فسفارتهم ليست كسفارتنا .. فهم يرعون مواطنيهم باحترام ومسؤولية .. فالسفير يهتم بهم .. هو اقتراح من عمك .. وقلت لكم هو يفضل الهجرة .. ومع الوقت قد يقتنعن بالعيش في بلادنا.. ومثله موجود في البلد .. فزهير حماد متزوج ألمانية وتعيش معه هنا .

فقال فريد : أنا تركت زوجتي مها الصياد لعدم رغبتي بالولادات وعكفت عن الزواج .. أفتراها تقبل بذلك الشرط ؟

قال الجد : هذا امر خاص بينكم .. فكروا بروية .. فمرة سمعت والدك يقول إنكم تفكرون بالهجرة مثل عمكم عمار إلى الغرب.. وهذه فرصة على طبق من ذهب كما يقال .

اهتزت الرؤوس تبسما فقال فريد: نطقت بذلك يا جدي العزيز ولم أحاول ! والله إنها فرصة لكن هؤلاء النسوة صعب إرضائهن ؛ فحتى العربيات المهاجرات تطبعن بأخلاقهن وعاداتهن .. لي اكثر من صديق هاجر وفشل زواجه منهن .

قال غسان: أنا سنحت لي فرصة للهجرة غربا مع صديقنا جهاد بعبع يا فريد وشجعني على ذلك كثيرا خاصة بعد طلاقي لسامية البيروتية .. ربما مواساة !

قال الجد : هذه هي الحياة بين فرح وترح وحب وكره وسفر واستقرار .. كثير من أهلينا ومعارفنا هاجر للخليج العربي للتعليم والتدريس والعمل ويهاجرون لأوروبا الشرقية للتعلم والدراسة وقد تزوج بعضهم من بناتهم وللانبهار بالمعسكر الشرقي كما ترون بعضهم سعد وبعضهم الآخر شقي وطلق .. هذا الموضوع هو أيها الاحبة ..فأنا فكرت بكما أولا .

فقال غسان : وكيف اقتنع عمنا بزواجهن من أقاربه ؟

قال عيسى : هذا كلامه معي .. فأنا لا اعرف التفاصيل والسبب الحقيقي لرغبتهن من الزواج من أقاربه بالذات .. فتلك البلاد تكثر فيها الجاليات العربية والإسلامية .. قال إنهن مقتنعات بذلك .. وبعد الموافقة المبدئية قد نعرف وسنفهم سبب هذه الرغبة .

قال فريد: ليس لديهن أطفال من أزواجهن الأُول .

ـ نعم ، لم تطل فترة زواجهن ، ولم ينجبن حسب ما نقل .. عليكم بالتفكير فاذا لم تحسموا امر الزواج نبحث عن غيركم من أبناء عائلة بشبش

قال فريد : سأفكر يا جدي كما تريد.. وأدرس القصة والغربة .. وغدا سأتصل بك مخبرا برأيي

وقال غسان : وأنا مثله مثل فريد سأفكر وأقرر .

هجرة عمار

عندما كان عمار شابا في الثانوية العامة كره المدرسة والتعليم فتركها وانصرف لسوق العمل فكان الحال في مطلع الخمسينيات صعبا على العرب في الشام والعراق ومصر بسبب نكبة فلسطين ، وولادة دولة صهيونية مجرمة على ارض فلسطين ، دولة لسانها عبري ودموي ، وكان الشباب ساخطا ناقما على أنظمة حكمه ، وكثرت الانقلابات في سوريا وانقلاب في مصر وآخر في العراق واليمن ، وتشرد اكثر من نصف شعب ارض فلسطين ، وظهور بما يسمى مخيمات اللجوء في فلسطين وما حولها من تقسيمات سايكس بيكو ، وفتحت أبواب الهجرة للشباب العربي في الأميركتين ودول الخليج العربي وبعض أوروبا .. فتعلق عمار عيسى بشد الرحال للبرازيل أو الأرجنتين فكانت الهجرة إليهما ذلك الحين اسهل من دول الخليج ؛ حيث لم تكن ثروة النفط قد برزت بشكل كبير ، وكانت محتكرة من دول الاستعمار .. فتيسرت لعمار فرصة لمرافقة أفراد من عائلة بشبش وغيرها للهجرة إلى بيونس آيرس في الأرجنتين ، وكانت تلك البلاد مفتوحة للعرب والشوام من عهد الدولة العثمانية للهروب من الخدمة العسكرية الإجبارية ولضعف الاقتصاد العثماني ، فقد كانت الدولة تغرق بالمديونية.

للعرب تجمعات صغيرة وكبيرة في تلك البلاد الشاسعة في غرب الكرة الأرضية .. العمل متيسر للشباب العربي سواء مع العرب بأجناسهم المختلفة اللبنانية السورية الفلسطينية المصرية المغربية لم يجد صعوبة في العمل في المطاعم الشرقية المقاهي الملاهي المحلات التجارية الصناعية الزراعية والمخدرات ونقلها بين دول أمريكا الجنوبية والشمالية ، ومن يشتغل بزراعة الحشيش فعليه بعمل يغطي عمله هذا ؛ لأن زراعتها ممنوعة والتجارة فيها كذلك ؛ ولكنها موجودة ، ولها عصابات منتشرة في كل بلدان أمريكا الجنوبية من بوليفيا وكولمبيا والبيرو وتشيلي لأن قادة العسكر والانقلابات متتابعة فيتبع ذلك الفساد والفوضى والفلتان الأمني .

كان عمار يعمل مع فتاة مهاجرة من كندا بصحبة أبيها في التهريب لكندا ونيويورك وتزوجها بأمر من والدها لتيسير انتقالها للولايات المتحدة وكندا والمكسيك ، وصراع العصابات دموي

ومرعب في تلك البلاد ، وتعرض والد الفتاة الكندي وزوجة عمار للقتل ، وحبس حتى برئته المحكمة من مؤامرة اغتيال الأب والزوجة ، وأن القتلة عصابة معروفة للبوليس ، فهرب مع البنت الثانية إلى وطنها الأول في كوبيك ، وهناك تزوجها رسميا ، ثم ولدت له توأما كاترين وجاكلين ، وكان عمار يتنقل بين نيويورك ومونتريال ؛ وكلما يعود يجدها بين يدي عشيق جديد فاتفقا على الطلاق خشية أن تلد وتنسبه اليه ، وانتقل إلى نيويورك إلى العمل في شركة ملابس كبيرة ، وظلت له علاقة ودية مع زوجته الكندية ، وترك الزواج بسبب تنقله بين الولايات في نقل البضائع وجلبها ، ثم امتلك شركة خاصة بنفس النمط ، وكانت هذه الشركة المملوكة تساعده في تهريب المخدرات بين الحين والأخر .

***

فهذا حديث يذكر عن الجريمة بأشكالها في الأرجنتين ثاني أكبر دولة في أمريكا الجنوبية بعد البرازيل ، وتخضع حدودها للاختراق من قبل عصابات التهريب والجرائم ، مما يسمح للمخدرات والأسلحة وغيرها من السلع غير المشروعة بالدخول إلى البلاد وعبرها بسهولة .

ساهم الفساد المتجذر في مختلف فروع الحكومة الأرجنتينية في تأجيج الإجرام المستمر في الأرجنتين ثاني أكبر دولة في أمريكا الجنوبية .

تنتشر في الأرجنتين العديد من الجماعات الإجرامية المحلية ذات الانتشار الدولي، لكن المنظمات الإجرامية قامت منذ فترة طويلة بأنواع مختلفة من الأنشطة غير المشروعة في البلاد.

الجماعات الإجرامية المحلية صغيرة نسبيًا إلا أنها طورت روابط مع جهات فاعلة، لذلك زادت تطورا وقدرة على العنف.

هناك عصابة مخدرات دولية يتركز نشاطها في منطقة لاماتانزا ، بمقاطعة بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين. قامت العصابة بعمليات اتجار مخدرات محلية في حي فقير يسمى لاس أشيراس. وقد صادرت السلطات كثير من جرعة الكوكايين ومن الماريجوانا وأسلحة من العيار الثقيل .. وهذا يتكرر بين حين وآخر .

نشرت العديد من وسائل الإعلام بأن عصابات أمريكا الوسطى المسماة ماراس قد أقامت عمليات في الأرجنتين، لأن هناك تواصلا وتعاونا دائما بين هذه المنظمات الإجرامية في كل القارتين شمالها وجنوبها وجيل يسلم لجيل .

أنشطة عصابات المخدرات فاعلم أنه يتم تهريب الكوكايين من بوليفيا المجاورة للأرجنتين عن طريق الجو والبر ؛ كما يتم تهريب الماريجوانا والكوكايين عبر الحدود الشمالية الشرقية مع باراغواي في المقام الأول عن طريق النهر.

بدأ سوق المخدرات المحلي في الأرجنتين في التوسع خلال فترة السبعينيات، وفي أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، تواطأت الشرطة في المناطق الحضرية مع أفراد الجريمة المنظمة من خلال تعاونها لإنشاء مناطق محررة تشير إلى المناطق التي سمحت فيها أجهزة إنفاذ القانون للجماعات الإجرامية بالعمل مقابل خفض من أرباحهم غير المشروعة ، ويقال إن هذه الممارسة مستمرة حتى يومنا هذا ، وتلعب دورها في تسهيل نمو شبكات توزيع الأدوية بالتجزئة.

قامت عصابات اللصوص الأرجنتينية بإحداث فوضى في قلب الأراضي الزراعية في الأرجنتين، حيث قاموا بالعديد من عمليات السطو والسرقة المتمثلة في ذبح الماشية وسرقة الخيول علاوة على سرقة أطنان الحبوب من الصوامع. وقامت عصابة سطو مسلح بقتل سائح بريطاني بالرصاص استهدفه اللصوص لسرقة ساعته الراقية عند وصوله إلى مطار إيزيزا الدولي خارج فندق فخم في بوينس آيرس ، وأصابوا آخر في منطقة سياحية فاخرة تعرف باسم بويرتو ماديرو ، وتم إلقاء القبض على أربعة أعضاء من العصابة يشتبه في تنسيقهم للجريمة.

يمكن أن تحدث الجريمة في أي وقت وفي أي مكان في الأرجنتين حيث يرتدي المجرمون ملابس أنيقة لذلك يصعب اكتشافهم.. يبحث اللصوص عن المجوهرات والساعات والهواتف المحمولة والكاميرات باهظة الثمن، كما يستهدفون المحافظ وحقائب الظهر وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأمتعة، وغالبًا ما يستخدمون طرقهم الاحتيالية ، لذلك يستغرقون بضع ثوانٍ فقط لسرقة الأشياء الثمينة.

تركز عصابات السرقة نشاطها في سرقة الحقائب من الكراسي ومن بين الأقدام في المقاهي والمطاعم ؛ بحيث يكون اللصوص على الأقدام أو يركبون الدراجات النارية ويُعرفون محليًا باسم **motochorros** حيث يحتجزون الحقائب وحقائب الظهر وأجهزة الكمبيوتر المحمولة والأمتعة بالإضافة إلى استهدافهم السيارات خاصة خلال حركة المرور المتوقفة من أجل التحطيم والاستيلاء.

حدثت سرقة للشاحنات بشكل رئيسي على الطرق السريعة في مقاطعة بوينس آيرس الشمالية، خارج المدينة ؛ وعلى الطرق الجنوبية لمقاطعة سانتا في .. ويشار إلى لصوص الطرق السريعة باسم **piratas del asfalto** قراصنة الأسفلت .

العصابات الأرجنتينية والسياح على الرغم من ندرة محاولات السطو العنيفة ضد السياح في بوينس آيرس، إلا أن الجرائم تنتشر بصورة كبيرة ؛ حيث أصيب سائح سويدي برصاصة في ساقه خلال عملية سطو مسلح على الحي السياحي الشهير سان تيلمو ، كما تعرض رجل كندي للطعن في محاولة لسرقة هاتفه الخلوي في نفس المنطقة من المدينة.

تعد بوينس آيرس موقع تهديد خطير للجريمة الموجهة أو التي تؤثر على المصالح الرسمية للحكومة الأمريكية. يعد المواطنون الأمريكيون من أوائل ضحايا السرقة و السطو غير العنيف، خاصة في الأحياء السياحية.

تمثل جرائم الشوارع في المدن الكبرى (مثل بوينس آيرس وروزاريو وميندوزا) مشكلة مستمرة للسكان المحليين والسياح ، يجب أن ينتبه زوار الوجهات السياحية الشهيرة إلى اللصوص والنشالين والمحتالين وخاطفي الحقائب. حيث تزايدت عمليات السطو المسلح العنيفة في ضواحي بوينس آيرس الشمالية ، يجب على السياح الذين يسافرون إلى منطقة لابوكا في بوينس آيرس أن يقصروا زيارتهم على الشارع السياحي المحدد خلال ساعات النهار فقط.

وفقًا للأساقفة ، فإن تجارة المخدرات قد رسخت نفسها الآن في جميع أنحاء البلاد ، مع تغلغل قوي خاصة في أفقر الأحياء في ضواحي المدن الكبيرة ، مما أدى إلى تدمير العائلات وزرع الموت.

وكتبوا : كل ما يتعلق بالمخدرات ينزع الصفة الإنسانية ، ويلغي هدية الحرية ، ويغرق خطط الحياة بالفشل ، ويخضع العائلات لتجارب قاسية . وبحسب المعلومات التي وردت وكالة فيدس ، يدور صراع دموي في روزاريو من أجل السيطرة على سوق المخدرات ، الذي يرى مهربي المخدرات من جهة وبعض أفراد الشرطة والسياسة والقضاء من جهة أخرى ، وكما تقول المذكرة: "لقد تحقق هذا الوضع الخارج عن السيطرة بتواطؤ وفساد بعض القادة ، يشتبه المجتمع في كثير من الأحيان في أن أعضاء قوات الأمن ومسؤولي العدالة والسياسيين يتعاونون مع جماعات المافيا. تعرب اللجنة الأسقفية عن تضامنها وقربها من فريق أبرشية الرعوية الاجتماعية في روزاريو ، حيث تعيش المدينة في ظل حالة من الظلم ، بسبب عدم وجود إجابات من مختلف مستويات الدولة الممثلة في القضاة والمسؤولين في الديمقراطية. علاوة على ذلك ، لوحظ الارتباط بين هذه العصابات الإجرامية المنظمة وهياكل التهريب وغسيل الأموال وآليات التهرب الضريبي.. بالإضافة إلى ذلك ، يجب مراعاة أن هذه المنظمات الإجرامية كثيرا ما تشارك أيضا في الاتجار بالبشر لأغراض العمل والاستغلال الجنسي والاتجار بالأسلحة هذا ملخص عن الجريمة والعالم السفلي في الارجنتين إلى يومنا هذا .

جلسة مع أمين

ذهب غسان اكبر أبناء أمين إلى سهرته ، ودخل فريد بيت الأسرة ، وقالت له أخته مريم من أبيه : أبوك في انتظارك في صالة الجلوس .

لم يتجه لغرفته في بيت والده فإنما مشى جهة غرفة الجلوس ، وألقى السلام على الموجودين أبيه وزوجة أبيه أم حاتم ومن يجلس معهم .

فقال أمين مرحبا : عدتما من عند أبي .

قال : نعم ، وسلام الله عليكم جميعا .. كيف حالك يا أم حاتم ؟

قالت : تفضل بالجلوس يا فريد !.. أهلا وسهلا .. قبل أن أنسى ..حمزة الوائل سأل عنك ويسلم عليك .

قال : سلمكم الله .. كنا على موعد لزيارة أخ لنا مريض .. هو أستاذ معنا في المدرسة .

فقال أمين مستفسرا : ماذا يريد الجد ؟

ضحك فريد وقال : كما قلت .. زواج .. زواج من ابنتي عمنا المهاجر ابنتي أخيك .. فابنتاه ترغبان بالزواج من عربيين ؛ لأن والدهما عربي، ومن أقارب أبيهما العم عمار ..هل رأيته منذ هاجر ؟

ضحك أمين بدوره وقال : لا ، منذ سافر نسمع أخباره .. نسمع من أبي فقط ، وحتى لما ماتت أمك ـ رحمها الله ـ لم يعزينا .. لقد رحل في ظروف صعبة كانت تمر بها بلاد العرب خاصة المحيطة بفلسطين .. كانت نكبة فلسطين مأساة وصدمة لجميع العرب.. والعمل والوظائف كانت شحيحة .

قال فريد أستاذ اللغة العربية : كان عدد السكان قليلا .. وكانت دول إفريقيا العربية تحت الاستعمار الفرنسي ، وحتى الدول المستقلة كانت تخضع للسيطرة البريطانية فجاءت النكبة العربية كارثة لكل العرب والأنظمة .

قالت أم حاتم : صحيح .. فسكان قليل يحتاج لوظائف اقل.. أليس هنّ متزوجات يا أمين ؟

قال فريد مجيبا : كانتا متزوجتين من أجانب ؛ ولكنهما مطلقتان اليوم مثلنا بسبب فساد أزواجهن وبسبب نظرة الأجانب العنصرية لجنسنا العربي.. وهنّ حسب كلام الجد طبيبات أي متعلمات وليس شرطا أن نكون نحن الأولى ؛ لكننا اختيار الجد عيسى ؛ فاذا لم نوافق سيتحدث مع غيرنا من شباب العائلة .

قال أمين : وأنتم ماذا قلتم ؟

ـ سمح لنا بالتفكير للغد ؛ لأننا قد نضطر للهجرة في مرحلة من مراحل الحياة لتلك الديار وهناك احتمال أن يعشن هنا في بلادنا اذا مالت قلوبهن لذلك .. وأرى ذلك استدراجا إما من الجد وإما من شقيقك عمار .

فقالت أم حاتم معلقة : حياة الأجانب أولئك غريبة وفيها كثير من الانحلال .

فقال أمين متذكرا عربية زوجة غسان : ما هي امرأة غسان فضحتنا !

فقالت محتجة : فضحت نفسها .. وهو التقطها من بار وخمارة يا أمين !

فقال فريد : كلام أم حاتم صحيح كان اختيارا سيئا كاختياري .

قال أمين محتجا على كلام فريد : لم يكن اختيارك سيئا .. المرأة تحتاج إلى أطفال لتسكن وتستقر والسيد الصياد رجل محترم وصديق فاضل .

ـ قلنا نصبر عشر سنوات قبل أول مولود .

قالت أم حاتم : لما تكبر المرأة يا أستاذ فريد يضعف الرحم ويفسد عن الحمل ..وهي اليوم قد تزوجت ولها طفل .

ـ الحمد لله .. خلصت منها .. لا ادري كيف تزوجتها ؟!

قال أبوه : كما يتزوج الناس .. أهلها أصحابي وناس محترمون ؛ لكن الذرية قضية مهمة في حياة المرأة كما أشارت امرأتك أبيك .

ـ أكيد .. أنا لست ضد مبدأ الولادة والحمل .. فهذه سنة الله في خلقه .. هذ هو موضوع الجد زواج بنات شقيقك منا .

قالت أم حاتم :الزواج هنا أم هناك ألم يحسم ؟ !

ـ محير .. غامض.. لم يحسم بعد.. والأغلب هناك ..فذكر هنا تشجيع واستدراج والله اعلم .

***

مضت أيام على سماعهم عرض جدهم ، ثم طلب عيسى من ولده أمين أن يحضر مع ولديه غسان وفريد للحديث حول زواجهما من بنات عمار ، فعيسى تلك الأيام يباشر العمل من داخل البيت ، فقد سلم التجارة لابنه الصغير عماد الذي عمل معه من عهد ليس بالقصير.

التقوا ليلا أمام قصر الجد ، وفتح لهم الخادم جودة البوابة كالعادة ، والتقوا بعيسى في غرفة الاستقبال فجرى الترحيب والاطمئنان ، ولما وضعت القهوة أمامهم قال عيسى: آيا أمين ما تقول أنت في هذه الزيجات التي لم تخطر على البال ؟

ضحك أمين ضحكة خفيفة وقال وهو يرفع كوب القهوة ويثني على الخادم : لست أنا من سيتزوج يا أبي ! الرأي للشباب .. ولهم أسبوع يفكرون .

التفت الجد جهة غسان الابن الأكبر لأمين : آ يا غسان كان موعدنا يوما ثم شغلنا بموت عصمت رجب ما قلت ؟

قال : الأمر جيد ! والعرض مقبول .. ولكن لا تنسى أنها طبيبة كما ذكرت لنا.. وأنا لا شيء ابن الثانوية العامة .. هل هذا مناسب يا جدي ؟

أجاب ببطء وتفكير : هؤلاء الناس لا يفكرون مثلنا بالشهادات والمستوى العلمي .. ممكن دكتورة عندهم تتزوج عامل ملهى أو حانة .. المهم أنه يعمل وله دخل .. فهم شركاء في البيت والنفقات.. لا يتكلف الرجل وحده بالنفقة مثلنا .. الرجل يعمل والمرأة تعمل .. فالمشاركة من الطرفين على حد سواء وبرضا .. فلذلك عندهم يعيش رجل وامرأة بدون عقد شرعي أو قانوني .. وممكن أن تنجب المرأة بدون زواج قانوني .. وبعد عمر يعترف بأنهم أولاد شرعيون واذا كان هناك عقد مدني أو زواج مدني فالانفصال سهل بتقاسم المال بينهم .. فهناك مسموح العقد بدون كنيسة وشريعة .. يسجل العقد في مؤسسة معينة بدون شهود بدون ولي كما عندنا

هناك يكون الطلاق اعقد اذا عقد عن طريق الكنيسة والمؤسسة الدينية .. لكن نحن هنا أو هناك لابد من عقد زواج شرعي قبل القانوني .. فديننا يفصل وينظم ذلك .. لذلك تتحرك جمعيات النساء في بلداننا لفرض الزواج المدني في المجتمعات العربية والإسلامية ؛ ولكن الذي يقف ضده أولا الدين وثانيا العادات والتقاليد المعقدة .. الكاثوليكية الكنسية كما هو معروف تمنع الطلاق للابد إلا حالة الضرورة القصوى .. أما البروتسنتية فهي اسهل منها إلى حد ما .. عندما يسجل الزواج في سجل ومكتب الزواج المدني اصبحا زوجين بدون حفل أو رقص اذا أحبا ، ولهما أن يحتفلا بصالة ومرقص أو مطعم أو ملهى ليلي ويشهرا زواجهما بصحيفة محلية أو قطرية فالمرأة قد تجلب حبيبها وعشيقها للبيت والزنا رغم معرفة الزوج أو حتى بوجوده .. فالزنا مباح ما دام برضى الطرفين .. فحياتهم إباحية .. نحن نتميز عنهم في الزواج .. عندهم الزنا بالتراضي لا يعتبر زنا حتى لو كان لاحدهم صديق أو صديقة .. فزواجنا موثق بولي وشهود .

فقال فريد: ونحن كيف سيكون زواجنا منهن ؟

قال : على ديننا .. يسجل الزواج مدنيا كما عندهم ، ويوثق العقد شرعا حسب الشريعة والتقاليد الإسلامية كما تزوجتم هنا .. هم اخترعوا الزواج المدني حتى يتخلصوا من الزواج الكاثوليكي الذي يمنع الطلاق وغيره .. هل أنتم موافقون من حيث المبدأ ؟

فقال غسان مكررا : المستوى العلمي ليس ذات أهمية .

ـ لا ، لا ، وتناقشنا في هذه النقطة مع عمك .. وأنت يا فريد .

قال : إغراء الهجرة هذا ما يحملني على القبول والموافقة .

قال الجد : أنت يعني ترحب بترك الوطن ؛ ولكن ماذا ستعمل هناك ؟ أنت مدرس لغة عربية

قال فريد : نعم ، أنا أستاذ لغة عربية للمرحلة المتوسطة ، وهذا عمل موجود في كل دول الأرض

تبسم عيسى وقال : لكنهم لا ينطقون اللغة العربية والقواعد العربية ولا يهتمون بها كلغة علم

فقال أمين: ربما يحتاجها أهل التجمعات العربية والإسلامية

ـ صحيح هذا يا ابني ! لكنهم يهتمون باللغة الإنجليزية اكثر من لغتنا ؛ بل كما نسمع أن أبناءهم نسوا العربية .. فمن يتزوج أمريكية هل سيتكلم أمامهم بالعربية .. سيتكلم الأب المهاجر بلغتهم لتفهم عليه ، ويأخذ الأبناء ما يسمعون يا أبا غسان .. فحتى المهاجرين نسوا عربيتهم وتقاليدهم فلا اعتقد أن بنات عمار يعرفن شيئا عن العربية وعن الدين ؛ ربما بضع كلمات فإنهن كنديات عشن اغلب زمنهن في كندا الفرنسية ، فكندا لغتها الرسمية الفرنسية والإنجليزية ؛ لكن الإنسان يتعلم مع الزمن .. فستضطر يا فريد لتعمل عملا آخر .. هلا فكرت بذلك ؟ أما غسان مصلح السيارات فلغته عالمية .. كل البلدان تصلح السيارات .. فهي مهنة عالمية في الصين الصاعدة وفي أمريكا وفي أفريقيا

ضحك الجميع مع إعجاب بثقافة الجد وخبرته ، فقال غسان : معك حق ..أنا تعلمت المهنة قديما قبل العمل على الشاحنات الكبيرة ..وأحببت اخذ رخصتها للسفر للتنقل هنا وحول البلاد .. ولما تركت القيادة والشحن عدت إليها مع ابن خالي المعلم طارق من جديد

فقال فريد موضحا لجده : أنا فعلا منذ فارقتك من أيام .. وأنا أفكر بمهنة جديدة اذا لم يتيسر العمل في التدريس ، ففكرت أن اعمل في الترجمة فأني احسن الإنجليزية إلى حد كبير، واذا قويت نفسي بها وبلغة الأمريكان فهما من نفس الفصيلة والقرابة قد اشتغل مترجما .

فقال الجد : أكيد عمك سيساعدك في البحث والعمل .. وكذلك البنت .. فأنتم افهم لا تمانعون من الهجرة إليهم ..وافهم أنكم موافقون على الزواج .

فقال غسان: مبدئيا نعم ؛ لكني أنا احب الرؤية قبل حسم الأمر .. أراها وتراني حقيقة .. ليس صورة كما شاهدنا المرة الفائتة

فكر الجد لثوان وقال : دون قبول أولي وحاسم فلا اعتقد يحضرن .. لماذا يحضرن ؟! هل يحضرن لمجرد رؤياكم ؟

قال أمين مبررا : سياحة التعرف على أقاربهن .. يتعرفن على جدهنّ وأعمامهم وعماتهنّ

قال بتأمل : سياحة.. تعارف علينا .. لم يفكر السيد عمار بزيارة منذ رحل .. كان يرفض فيقول

لا شيء لي في البلد .. تعقد منا منذ قتلت زوجته الأولى في بيونس ايريس ويتهمنا بالتخلي عنه، ولم نساعده ماديا ولو بمليم واحد.. مع أنه لما سافر سافر على حسابي

قال فريد : وهل يسمح لنا بالزيارة ؟

قال أمين مجيبا عن أبيه : حسب ما اعرف أنه يسمح بالزيارة القصيرة بتقديم العم طلب للخارجية ونحن من السفارة الأمريكية .

قال الجد مستوضحا : هل معكم نفقات رحلة ذهاب وإياب؟ قد يحتاج النفر اكثر من ألف دولار .. فأمريكا بلاد بعيدة.. الوصول إليها يكون بالجو .. والتذكرة ذهابا وإيابا.. وتحتاجون لنفقات فندق وطعام فالرحلة حقيقة مكلفة.

فقال أمين: حاول مع عمار أن يرسلهن كزيارة .. فالمشاهدة افضل من الزواج دون معرفة ومقدمات.. والمشاهدة والمحادثة أفضل لهن ولهم .. أجرة الطيران يتكلفون بها .. والسكن والعيش لمدة أسبوع أو اقل نتكلف به نحن .. والمهر كم سيكون اذا وافقنا عند حضورهن .. فغسان دخله بسيط ، فهو ينفقه على الخمر والنسوان .. أحيانا يستلف مني ليدفع إيجار شقته الصغيرة والدخان .. فنهاره عمل وشغل وليله لهو ومسكر .

صاح غسان محتجا: كل ستة أو سبعة أشهر اشحذ منك .

قال : لتدفع أجرة هذه الشهور .. فريد وضعه احسن حالا .. فهو يدخن ولا يسكر.. والنسوان لا اسمع عنه شيئا .. ولكنه شغل مقاهي وملاهي وسينما ومطاعم ومسارح .. فلا تظن يا أبي أنهما يملكان الكثير .. فالمهر والطلاق يجب أن يكون واضحا قبل المغامرة .

تبسم فريد وفهم قصد أبيه والرسالة التي يجب أن يوصلها عيسى لعمار وابنتيه وقال على سبيل العتب : مغامرة ! .. يقال على قدر فراشك مد رجليك .. أليس هذا مثلا شعبيا يا جدي ؟ .. حسب ما نعلم أن أولئك النسوة مهورهنّ قليلة .. فلذلك يتزوج منهن الشباب المهاجر والمتغرب .. إنما السكر والحفلات الكبيرة المترفة هي عند المشاهير والمليونيرات

قال الجد : سأتحدث مع عمار بمثل التفاصيل والرغبة بالمشاهدة لمجرد المشاهدة والرؤية وعن

فكرة الزيارة لهن ولكم ونرى ما يكون الكلام .. قبل الجد هو مجرد كلام وثرثرة .

قال فريد مستفهما : هو عمي عمار متزوج بعد خروجه من كندا .

ضحك الجد وقال : بعد فشله مع الكندية أم البنات تركهن وهجر الزواج .. وأكيد اتخذ له صديقة أو عشيقة .. فعمار سافر وهو لا يفقه من الدين والإسلام شيئا .. وحتى وهو هنا لا يعرف الغسل من الجنابة .

فقال فريد : هجر الزواج فقط

عاد يقول متبسما وغامزا : نعم ، ولابد أنه يتسلى ببنات الهوى والمومسسات .. وهل يستغنى عن النساء يا فريد ؟

ابتسم فريد ورد : أنا بعد طلاقها لم أعاشر امرأة شريفة وغير شريفة .

التفت إلى عيني ابنه وقال :هل تصدق ذلك يا أمين؟!

ضحك أمين وقال : بنات الليل موجودات في كل بلدان العالم جهرا وسرا ؛ والمواخير منتشرة ولكنني لم اسمع صدقا عن فريد ، أما غسان فقد سمعت ، ونقل لي اكثر من مرة من اجل أن أزوجه من جديد .. وهو لا ينكر عندما يُسأل ؛ بل يذهب لقبرص واليونان للترفيه عن شهوته

فقال غسان مستفزا لهم : وتركيا مثل أوروبا

قال عيسى : تركيا بلد أتاتورك.. هؤلاء مثل العرب تراهم يطورون البلاد بالفن والخمارات ونوادي الماسونية والقمار !

***

مضت عشرة أيام على آخر من لقاء الأحفاد مع الشيخ عيسى بعد إظهار موافقتهم على الاقتران من ابنتي عمهم عمار ، واشترطوا على الجد أن يتيح لهما بمقابلة شخصية معهن قبل القرار النهائي والحاسم ، وسواء كانت الرؤية في توتة أم نيويورك ؛ حيث يستقر عمار عيسى وبناته بعد مضي هذه الليالي بدون همسة ، فتحدث فريد مع أبيه عن آخر التطورات مع أمريكا ، فقال له : لم يتكلم جدك معي منذ تلك الأمسية .. وقال ممتعضا : أنا هذه القصة لا تدخل مخي ،ولا

تدخل لي من زور .. وظهرت ضحكة ساخرة : قلة رجال هناك .. فاليوم العرب منتشرون في كل بلاد العالم وبقاع الدنيا .. وما دمتم ترغبون بالزواج فبنات البلد أخير وأفضل !

قال فريد : هذه أظن رغبة عمي أكثر من البنات طمعا باستقرار حياتهن الزوجية ..وهنّ يبحثن عن الاستقرار كما فهمت من أبيك .

فقال بحسم وشبه أمر : اسمع يا فريد ! أنا نصيحتي لك ولأخيك بغض الطرف عنهن ، وتزوج من بنات الأقارب ففي العائلة أحسن منهن .. فهواء بلادنا أطيب وألطف .

قال مبررا قبولهم بالزواج منهن : إنها أمريكا .. هذا عصر أمريكا .. هذا المشجع !

ضحك أمين : لا عصر أمريكا ، ولا عصر الاتحاد السوفيتي .. كلها بلاد كفار وضلال وملاعين لعنة الله عليهم .. وما حروبنا وأحزابنا المتناقضة إلا بسببهم .. قسم مدعوم من الغرب وأحزاب أخرى مدعومة من الروس والصين .. وهل الغربة مكسب ومربح؟ .. أبدا أبدا .. خسارة ما بعدها خسارة

عقب على فضفضة أبيه : إنهم يحكموننا ويصرفون علينا بأبناء من جلدتنا تارة باسم الأمم المتحدة وتارة باسم المعونة والهبات الدولية .. وهم الذين نهبوا خيرات البلاد التي استعمروها وأفقروها قبل أن نصير تحت ألويتهم الماكرة .

قال : هذا صحيح إلى حد ما ؛ وإن زعم غير ذلك .. اسمع عند صديقنا أبي بلال من أبناء العمومة بنات مثل العسل .. أكثرهن متعلمات والأهم متربيات .

ـ تعرفت على بعضهن في حفلة نجاح آخر واحدة نسيت اسمها .. رافقتك إلى فندق أو صالة الحفلة

قال : الآنسة إيمان .. لقد تخرجت من كلية التمريض في جامعة العاصمة .. لكني سمعت من أمها أنها مخطوبة قبل التخرج من ابن خالتها .. ثم اختصر فقال : على كل ظلك مع جدك حتى ينتهي الفيلم .. عمار رغم أنه أخي لا يُتاجر به ، ولا يشرفنا نسبه .

ـ أبي !!

قال : صدق ذلك .. لقد كان متعبا لأمي قبل هجرته .. أقول ذلك بدون تأنيب ضمير .. سفره كان خيرا لنا رغم قسوة الغربة والفراق .

- هل هو متعلم ؟

قال بضيق : درس الثانوية العامة ، وتوقف عندها .. لا ادري اذا تابع هناك .. ورافق أقارب لنا إلى بيونس آيرس في الأرجنتين ، وانقطعت أخباره إلا ما نسمع من الأقارب أثناء زيارتهم للبلد .

قال فريد : يبدو أنك غير متحمس لمصاهرة شقيقك !

قال : لا ، أنا عن نفسي غير متحمس ..الكلام لكم ولأبي .. هل تدخلت في زواجكم الأول ؟

لم أفعل .. أنا ناصح والاختيار لكم يا بني !

قال :الحصول على الجنسية الأمريكية جيد في مثل هذا الزمان

ضحك أمين عيسى لهوس الشباب العربي بجنسيات الغرب وأمريكا : ماذا ستفعل بالجنسية الأمريكية ؟ أنت لست مطاردا امنيا ، ولست ممنوعا من السفر والحركة .. ولا تعمل بالسياسة والأحزاب ، ولست بالحاجة للعمل هناك .

قال : حيرتني يا أبي !

- لا تحتار ولا على بالك .. فعمار يبقى أخي ابن أمي وأبي .. وهو عاش معنا اثنتين وعشرين سنة .. فمنذ هاجر لم أره .. وأنا بالجملة لا ارتاح لبنات الغرب ؛ وربما مع السن تعقل أنت وأخوك وتصيران من أصحاب الصوم والعبادة بدل الرقص والطيش والأفلام

قال : هل أنت متدين من صغرك يا أبي ؟

قال باسما : ولدت متدينا .. ولست ملاكا.. الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والصيام والعفة والشرف .. كان موت أمك كارثة بالنسبة لي ؛ لكنه قدرنا ورضينا به وصبرنا .. كنت ابن خمس سنوات عند موتها .. وقضيت خمس سنوات قبل أن أتزوج من أم حاتم .. لم أكن أتخيل أن أعيش مع امرأة أخرى .. رحمها الله رحمة واسعة .

محطة التصليح

كان فريد في منطقة تصليح السيارات ، فقد تعرضت سيارته لصدم وكسر احد الأضواء الخلفية فتركها عند كهربائي السيارات ومشى لمحل غسان وطارق ، فوجده تحت سيارة فحياه وصافحه طارق قائلا : أهلا بالمعلم فريد .. كيف حالك كيف الوالد يا ابن العم ؟

قال : الحمد لله .. وأنت كيف امك وأبوك الخال العزيز والعيلة؟

ـ الحمد لله كلنا بخير وعافية .. سمعنا أنك ستسافر أمريكا أنت والضبع .

تبسم فريد على لقب الضبع ، فهم يطلقون ألقابا كثيرة على غسان مثل الوحش الضبع وقال : لم يحدث شيء بعد .. لم تهبط السفينة على القمر .. أمريكا في آخر الأرض ـ وضحك وضحك طارق ـ جئت أصلح السيارة .. ليلة امس باسني شفير طائش أو أنا نائم فانكسر ضوء خلفي ومصباحه فتركتها عند سميح جاركم .

ضحك طارق وقال مداعبا : أنا فكرتك جئت صلة رحم .. فأبي شقيق أمك رحمها الله تعالى تهكم فريد وقال : هل تجوز صلة الرحم في الكراج ومحل الصيانة يا معلم طارق . وضحك ثانية وتابع : لا يا عمي جئت ادفع مالا .. نحن نجيء لهذه المنطقة للدفع وعلاج سياراتنا

ضحك وهو يقول : الله يعوضك خيرا .. أنت فريد وابن الحاج أمين .. آ .. ماذا صار في السفر ودندن بمطلع أغنية" أمريكاني يا سيدي أمريكاني "

قال مداعبا : من يغنيها ؟

قال طارق : أنا .. كلماتي والحاني يا معلم فوفو ! بس الأمريكان لا يتكلمون العربي .

عاد فريد للإجابة فقال : لا شيء حدث .. انتشر الخبر دون دخان ودون نار .. تحدثت مع زوج عمتك ـ رحمها الله ـ فقال : لا شيء جد .. يبدو أن عمنا مشغول بقضية من قضايا الأمة العربية أمة العجايب والمصايب . وضحك عاليا

قال : هو عمكم المنحوس ماذا يفعل هناك ؟ من يوم ما وجدنا على هذه الأرض ونحن نسمع أنه يعيش مع نسوان أمريكا ولا زار البلد يوما واحدا

قال بابتسامة : صدق نحن مثلك لا نعرفه حق المعرفة فقط اسمه .. فنحن وجدنا في هذه الدنيا بعد سفره فلا نعرف عنه شيئا .. يقولون يشتغل شغل حر ولا افهم ما معنى الشغل الحر هنا أو هناك .. يبدو أنه يعمل عملا قبيحا يستعرون من ذكره صريحا .

قال : أنا قلت فرصة منك نستفيد .. فالعم غسان لا يعرف شيئا إلا أن عروسا أمريكية أو كندية يبحثون لها عن ذكر قريب لها ولأبيها فوجدوا ضالتهم عندكم .

قهقه فريد وقال : آه ! وألف آه من لسانك يا طارق ! هل تعرف ما يعنون بطارق ؟ هلا سألت نفسك عن معنى أسمك ؟

أجاب بتبسم : نفرض انفسنا في درس معلم فريد .. هو سورة في القرآن ، ويقولون اسم نجم وبما أنك أستاذ قاموس .. هل هذا صحيح ؟ اعطنا درسا عنه يفيد ؟

غمر الضحك فريد وغسان وقال طارق : أنا بحكي جد

خرج غسان من تحت السيارة وصافح فريدا وقال : اشرح للطالب النجيب معنى اسمه .

قال فريد باسما : لا بأس فأنا مدرس عربي ولست قاموسا .. الأول : أن الله يقسم بالسماء والطارق ، والطارق هو النجم الثاقب ، أي : المضيء ، والثاني أي المعنى الثاني : الوافد ليلا يسمى طارقا ، وهو بمعنى اسم علم مذكّر عربيّ، ويقصدون أيضا : الرّجل الذي يأتي في وقت متأخر من اللّيل ويطرق الباب، وقد حدّد الوقت بالليل ؛ لأنها تكون مغلقة أي الأبواب .. هذا معنى طارق عند العرب .. وأنا مثل غسان لا اعرف شيئا إلا أن بنات العم المطلقات يرغبن بالزواج من عرب أو من أقارب أبيهن .. لماذا الغاية؟ الله اعلم .. الزواج من أقارب أبيهن العربي .. كأن العربية عند عندهم وصمة عار .

رد طارق بضيق : نعم ، العربية اليوم وصمة عار.. الحكام الفجرة يستعرون منها .. فيقول احدهم للغرب .. هو أنا عربي .. والسينما الغربية لما تريد تصوير مشهد حقارة يصورن خيمة وجملا وبدويا .. صرنا سخرية لمن يسوى ولمن لا يسوى .

قال فريد مادحا : أنت فعلا مثقف يا طارق !

قال بنوع من العتب : هو الميكانيكي جاهل واحمق .. فيقال مئات الملايين من العرب عاجزون عن تحرير فلسطين ، وهم عدد اليهود عشرات المرات .. ولا يفقهون أن الأمور ليست بالعدد فالصين كانت قد اليابان عشرات المرات ومحكومة لهم .. وكذلك الهند محكومة بألوف من الإنجليز .

قال : العرب يا طارق يحاربون أمريكا والدول الغربية الظالمة .. وأحدث الآت الحرب .. المسألة لا تقف على محاربة إسرائيل وحدها .. كل أسلحتهم الفتاكة تستقر في إسرائيل ؛ لتجرب على العرب ودول الطوق .. لكن كل شيء له نهاية كما كانت له بداية .

قال طارق : أكيد كل شيء له نهاية .. هيا ندخل المحل لنشرب الشاي .. فإسرائيل لها اكثر من أربعين سنة تتربع في بلادنا ، وشردت الشعب الفلسطيني في بقاع الدنيا   كلها .. فمتى نهاية إسرائيل ؟

ـ لا ادري ! ولا احد يعلم ! ما دمنا أعداء ومتفرقين ستبقى إسرائيل قوية تلطم بنا وتصفعنا لقد قرأت وقرأت وسمعت كثيرا عن صفة طرد أبناء اللد ويافا وحيفا من أرضهم قرى ومدن فقال غسان : وقبل سنين قليلة رأينا كيف طردوا جيش فلسطين من بيرت ولبنان ولم يحرك العرب ساكنا؟   والعجب العجاب أننا نشتري أو قل يشترون السلاح من أمريكا وأوروبا الغربية وأكثر من إسرائيل .. فإسرائيل لديهم صناعة ذاتية .

قال طارق : هل الحرب أسلحة يا فريد ؟ وهو يقدم له كوبا من الشاي الثقيل ـ الحرب إرادة وعزيمة .. هل الفيتنام انتصروا على أمريكا الأقوى من إسرائيل بالأسلحة .. بالإرادة أولا

قال فريد : صحيح بس الفيتنام كان من يدعمهم ماديا ومعنويا الصين والروس .. من يدعم الشعب الفلسطيني بقوة وجسارة .. يدعمونهم فقط للدفاع عن النفس لا غير والكل يتاجر بقضيتهم.. فإنهم يحاربونهم ويتأمرون على قضيتهم

ـ والحل يا فريد !

ضحك فريد ورد : الحل بيد الله تعالى .. وهو معروف للجميع .. ولكل شيء نهاية مثل البشر

وستصل السفينة إلى مرساها

ـ يا ترى هل نكون أحياء يا ابن العمة رحمها الله ؟

قال فريد : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ولا ينسى

ـ هذا قرآن !

ـ نعم قرآن أجاب به موسى عليه السلام على فرعون زمانه

قال طارق : كل زمن له أخيار وأشرار .. وله دول ورجال

ـ الأمر كله بيد الله أوله وآخره .. هل هناك مزيد من الشاي ؟

قال طارق : لدينا المزيد .. أتصلي يا فريد ؟

ـ لا .. منذ دخلت الجامعة تركنا الصلاة والصيام

قال :أتشرب ؟

قال باسما : لا .

قلق الشباب

مضى شهران على مشروع زواج غسان وفريد ، فكلما يتصل فريد بجده يعتذر بأن عمارا انقطعت أخباره ، ولا يرد على الهاتف ، ولا يعرف أرقام البنات ، وهو يجهل جهلا تاما لغة الأجانب فقال فريد لغسان : الأمر ملغوص كما يقال .. كنت أظن أن القضية عاجلة وما هي إلا أيام ويحسم الأمر ونعرف رأسنا من رجلنا .. حتى أن عزاما زميل المدرسة اشفق عليّ لما شعر برغبتي بالزواج من جديد .. ويقول :إن له أختا عزباء ممكن أن تقبلني ، وتعمل في التدريس مثلنا بدل بهدلة أمريكا ونسوان كندا .

قال غسان سارحا في النساء : تزوج .. تزوجها .. أنا لديّ البديل عن اقتناء زوجة

ضحك فريد وتابع : يقول ما دمت قد غيرت رأيك وتريد الزواج فأختي سأقنعها بك رغم معرفتها بقصة طلاقك وعقدتك من الخلف والأطفال .. لقد تحدثت أمامها والعيلة بعقدة تحريم الخلفة على نفسك .. وتسببت العقدة بترك امرأتك بنت صاحب أبيك الصياد .

قال بعد صمت فريد : فعلا نحن لا نعلم لماذا طال الجواب كل هذا الوقت ؟ لماذا كل هذا الغموض ؟ .. ها أنا افكر بإجازة لقبرص مع أخ طارق منذر هل ترافقنا ترفه عن روحك ؟
تطلع في عيني شقيقه وهتف : أنا لا اقرب بنات الهوى .

ـ ومن قال لك اقرب بنات الهوى .. أنت شم هوا .. هواء قبرص مثل هواء بلادنا

قال : أشمه هنا .. ولماذا ترحلون لقبرص ؟ فالدعارة في كل بلدان العالم .. صحيح بعضها سرا وخفية .. كم تكلفكم شمة الهواء القبرصية ؟

قال مجيبا مع ضحكة قصيرة : السبب لنا رفاق من أيام العمل على النقل الخارجي ..أما التكاليف فقد تكلف الشمة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ دولار أمريكي لمدة أسبوع .. عندهم خمور من احسن طراز في العالم لو تتعاطها مرة واحدة لصرت تنافسنا عليها .. صناعتها جيدة !

ضحك فريد على حمق أخيه السكير وقال : الخمر خمر ، ولو تغيرت الألوان والزجاجات .. هذه كلها تحسينات لا قيمة لها إلا الضحك على السكارى، سواء في نيقوسيا أم لارنكا أم تل أبيب أم القاهرة .. فهنا كل أنواع خمور العالم .

قال : عمرك شربت !

ـ مرتان أو ثلاث .. لست ملاكا .. في حفلات زواج لبعض الصحاب .. وكانت غلطات كبيرة

قال غسان ابن الثلاثين عاما مبررا عشق الخمر : الخمر تنسيك المشاكل والعالم .

قال فريد : ضحك على اللحى .. تنسى ساعة ساعات ثم ... هو أنت مسؤول عن مشاكل العالم .. المشاكل هي الحياة .. لا توجد حياة بدون مشاكل .

قال معللا لشربها : أنا تعلمتها أيام الشغل على الشاحنات الخارجية والسفر إلى العراق وسوريا ولبنان ومصر بزعم عدم النوم أثناء السير .

قال فريد : للأسف الخمور تباع في بلاد المسلمين بزعم دعم الاقتصاد والدخل القومي .. وتباع كما تباع الكولا والعصير بزعم خشية خروج ثروة البلد لخارج البلد مع أن البلد تستورد كل خمور الغرب وأمريكا .

غير الموضوع فقال : في فيلم جديد في سينما شيرين هل حضرته ؟

قال : الأفلام يا غسان ليست كالخمر والنسوان .. فيلم الغد ينسيك فيلم قبل أيام

- جيد !! نعود لقصة العم عمار وبناته .. ألم يخبر أبوك عن ذلك بشيء ؟

قال : أبونا غير مقتنع من البداية بهذا الزواج ، ولا يحب لنا الهجرة حتى لا يحصل منا ما حصل لعمار .. هجرة بلا عودة ، فقد خرج من توتة ولليوم لم يعد لتوتة ، ولو لشمة هوا مسقط رأسه وأبوك غير مقتنع بسعادة الناس في تلك المدن والديار يعتبرها بلاد فسق وفجور ومافيا

- هو بلادنا احسن .. بلاد الجوع والبؤس .. يغمرها البؤساء والفساد وما عم وطم .. عندهم مساجد ومعابد مثلنا ؛ كما نسمع ممن زارها وعاد

قال : متى سفركم ؟ لعلنا نسمع شيئا قبل رجوعكم

- عن قريب سنسافر بالطائرة ، وسنقضي أسبوعا على الأكثر في بارات وحانات قبرص

قال : حالنا مدهش يا غسان ! حياتنا اللهو والعبث

- وماذا سنفعل ؟ ولماذا نعمل ونحصل على المال ؟

قال متأملا كلمة المال : المال مال يا سيد غسان ! لولا المال ما رأيت قبرص وأثينا

- هل نتركه لأبيك وزوجه ؟

ضحك الأستاذ ورد : أبونا وأنت خير من يعلم ليس بحاجة لمالنا .. وهذه القصة اللعينة شغلتنا شرقا وغربا

قال بادعاء السخط : أنا صرفت نظر .. لا أريد كندا ، ولا بنات عمي .. ولا اصدق أنهن يرغبن بالزواج من عرب !.. قلة عرب في أمريكا وكندا .. عشرات من العيلة في أمريكا الشمالية أو الجنوبية .. هذا فيلم من عمك يبدو أنه يريد مالا من جدك فاخترع هذه القصة

قال باستغراب لهذا التعليل : كيف ؟!

- لم افكر بكيف ؟

قال فريد : ما هنّ معهنّ مالا ما دمن طبيبات عاملات .

عاد مقترحا على أخيه فقال : واذا لك رغبة بالنساء الحلال تزوج شقيقة عزام الذي لا اعرف من هو عزام إلا أنه زميلك في المدرسة .

***

دخل فريد أمين مقهى زرقاء اليمامة في وسط العاصمة ، فقد كان على موعد مع رفاق الجامعة ووجد أصدقاءه الثلاثة في انتظاره فعانقهم جميعا ، وعادوا للجلوس والترحيب به ، ولما استقر المكان وعاد الهدوء ، وقد وضعت أمامهم أكواب القهوة ، قال عصام : أهلا بالعزيز فريد التقيت بصديقك حامد الوزة قبل أيام فحدثني عن زواج وسفر لأمريكا بلاد العم سام .*

ضحك فريد ضحكة قصيرة وتلفت في عيونهم الواحد تلو الآخر وقال : حتى أنتم وصلكم الخبر !

قال مالك : اخبرني عصام أنا وعبد .. فقلت له يا ابن الحلال قبل أيام أجريت اتصالا بفريد ولم يذكر شيئا عن السفر والزواج فاستغربت، فقلت لعصام رتب لنا لقاء وموعد .. فهل ما أشار اليه عصام صحيح ؟

فريد: صحيح وغير صحيح .

قال عبد : هذا لغز من الغاز فريد أمين !

مالك : ستسافر من اجل الزواج .

---

* يعود اسم العم سام إلى القرن ١٩ إلى حرب سنة ١٨١٢ ، الاسم مأخوذ من اسم جزار محلي أميركي يدعى صموئيل ويلسون ، كان هذا الجزار يزود القوات الأميركية المتواجدة بقاعدة عسكرية بمدينة تروي الواقعة بولاية نيويورك، بلحم البقر، وكان يطبع براميل هذا اللحم بحرفي **U.S.** (أي الولايات المتحدة) إشارة إلى أنها ملك الدولة ، فأطلقوا لقب العم سام على التاجر. فحرف **U** للرمز **Uncle** أي العم و **S** **Sam** أي سام. توفي بتاريخ ١٣-٧-١٨٥٤ عن عمر يناهز الـ ٨٨ عاما. ودفن في مدينة نيويورك.

فريد : تقريبا . وقص عليهم مختصر عرض جده عيسى

فقال عصام : وهل انتهى الموضوع؟

فريد : لا ، لا كما يقول الجد .. فالعم بعد العرض وبعد الموافقة الأولية اختفى .. لم يعد يتواصل مع أبيه .. ونحن أبي وأنا لا تواصل بيننا من ثلاثين عاما .

عصام : من المرة

قال فريد موضحا سبب القطيعة : من المرة .. فنحن ولدنا بعد هجرته .. هو يتواصل مع الجد من سنة لأخرى .. فأبي وعمي عماد فلا يتواصل معهم البتة

فقال العبد : وكيف هذا الزواج المفاجئ ؟ وهل لتجديد العلاقة المقطوعة ؟!

قال : بصراحة أنا وغسان هدفنا الجنسية الغربية أولا .. وافقنا جدنا رغبة بذلك .. جربنا بنات العرب قلنا نجرب بنات كندا

فضحك الرفاق وقال عبد معلقا : ماذا ستفعل بجنسية أمريكا أو كندا أو بجنسية العم سام ؟ فهي لا تنفع إلا الجنس الأبيض إلى حد ما .. ولم يعد احد يهتم بها .. والأبيض لا يهتم به احد إلا الكبار والرسميين .. أما الشعوب قاطبة في بلدان العالم الثالث أو الرابع فلا تحبهم ولا تكترث لوجودهم لعنصريتهم وتكبرهم ودعمهم لإسرائيل .

رد فريد وعلق : ما زلت تعشق السياسة ! وهل احد يهتم بجنسيتنا ويسعى للحصول عليها ؟ كم ولد عندك اليوم ؟

ضحك عبد ورد: ثلاثة، وأنت ولا واحد .

فقال مالك : فريد طلق من سنوات للتذكير .

فقال عصام : حضرنا العرس والرقص ، وسمعنا بحفلة الطلاق والمحكمة

قال : طلقت من اجل الخلفة .. تريد أطفالا وانا لست متعجلا وقلت بكير على الأطفال

قال عبد مستفسرا ومعلما: لماذا أولا تزوجت ما دمت لا ترغب بذرية ؟! وثانيا لماذا أنت لا تريد الأولاد زينة الدنيا ؟ وثالثا وهل يأتون بأيدينا يا عم فريد؟ الأولاد هبة الله وعطيته وحده

وفضله قد يخرج ويموت بعد الخروج أو حتى قبل الخروج من السبيل .

رد فريد : لم اكن بعجلة .. والزواج أيضا للمتعة وقضاء الوطر

قال عصام : لو امك حية ـ رحمها الله ـ لأجبرتك على الخلفة .

قال مالك : هذا حق يا عصام ! الأمهات الجدات يحببن الأولاد الأطفال بأسرع وقت.. فأمي يوم عرسي كانت تظن أن العروس ستلد بعد أيام ـ وقهقهه الشباب وطلبوا شايا من النادل ـ نعود لموضوع الهجرة .. ففريد له وجهة نظر معقدة ؛ كأن اليتم الذي عاشه عقده ويخشى على أطفاله من اليتم .

قال فريد : بالنسبة لموضوع الهجرة للنكاح انتهى الموضوع يا مالك وتوقف حتى يظهر العم من مخبأه .. وزميلي في المدرسة يرغبني بالزواج من أخته المعلمة مثلنا الزميل عزام خازن .

قال عبد : من عزام خازن ؟

ـ مالك يعرفه أستاذ معي في المدرسة زميل وظيفة .. وما زلت أتهيب ولا ارغب بالذرية

فصاح عبد : لعلك مريض يا فريد ! فالعلاج حسن هذه الأيام .. تزوج أنت تقترب من الثلاثين

ـ نعم ثمانية وعشرون .

جلسة عائلية

لما رجع فريد ليلا من العاصمة إلى توتة وقبل أن يدخل إلى غرفته الخاصة في فيلا والده ـ فهو بعدما طلق اجر شقته، ورحل للسكن مع والده ؛ كما كان قبل الزواج ؛ وذلك طلبا ورغبة من أبيه ومن زوجته أم حاتم السيدة عزيزة عبد الرحيم ؛ ليساعدها في تعليم الأولاد فوافق وقبل العرض ، أما غسان فهو قبل أن يتزوج يسكن في شقة صغيرة خاصة به مستأجرة ؛ لأنه يمارس الزنا ويسكر ، فطلب منه والده أن يستقل بحياته وسلوكه فاستقل عن الأسرة ـ توجه إلى غرفة الجلوس ؛ حيث يجلس الوالد وزواره ، وسلم على الجميع ، ثم جلس فقالت أم حاتم : أترغب في العشاء ؟

ـ شكرا أم حاتم ! كنت في العاصمة وتناولت الغداء متأخرا مع رفاق الجامعة ، فقد دعوني

من أيام للقاء .. وهم يسلمون عليكم يا أبي !

فقال أمين : هل بينهم عبد ؟

قال : عصام ومالك وعبد الحليم .

ـ أما زال يتكلم في السياسة والأخبار ؟

ضحك فريد وأجاب : من شب على شيء شاب عليه

قالت مداعبة : ما زلتم شبابا في مقتبل العمر لم يغزكم البياض والشيب

قال فريد : هو يعتبر أن السياسة هي الحياة .. والذي لا يتكلمها ميتا غير حي .. ويزعم أن سبب ضعف الشعوب واستعبادها هجرها للسياسة فساسهم الأنذال .. ميت يمشي على الأرض

قالت : ميت يمشي على الأرض ! كيف هذا ؟!

قال أمين ضاحكا : يعني أن الناس مجرد أحياء يأكلون ويشربون وينامون فحسب .. مثل الحيوان اكل شرب نام .. السياسة والأخبار والأحوال هي الحياة .. ما أخبارهم ؟

فريد : كلهم بخير .. وسبب اللقاء حكاية الزواج والسفر .. يرغبون بالتفاصيل والحقيقة ويرغبونني بالزواج من جديد ومن بنات البلد .

قال : جيد ! اتصل الوالد ، ويسلم ، ويرغب برؤيتكم من جديد .. اتصل معنا ها هنا تحدث مع أم حاتم

قال : هل جد جديد ؟

قال الوالد : لم يقل لها شيئا ؛ ولكن هذا الظاهر .. تحدث معه ، فقال لها لما يعود للبيت ليتصل بي فاتصلت به أنا لما عدت .. فقال ، لما التقي بهما يقولان لك .. فقلت له ظهر عمار فقال مجبرا ظهر كان في رحلة عمل خارج نيويورك ، ولا اعرف ما يعمل هناك هذا الابن .

ـ أخبرتم غسان ؟

قال : اتصلت زوجة أبيك أم حاتم به فقال : رغم أني نسيت الموضوع والأمر ؛ لكن سأذهب

ونرى آخر أخبار العم والجد .. ظننت أن القصة انتهت .

قال :حسنا يا جماعة ! سأتكلم معه بعد قليل ؛ لعله ما زال مستيقظا .

قال أمين مفكرا بعادات أبيه : يتأخر عادة في النوم .. ربما ينام أو يغفو قليلا ثم يصحو طول الليل .. هكذا الكبار المسنون .. فاذهب واستريح لابد أنك متعب من طول الطريق .. وسلم على الرفاق عندما تتحدث معهم أو يتحدثوا معك .. فالسياسة عندي شغلة المفاليس .. الوزير راح الوزير جاء .. الذهب نزل الذهب ارتفع .. أمريكا عملت .. السوفييت عملوا .. بالمختصر المفيد نحن كباش صراعاتهم وجنونهم .. كان مسليا زميلك عبد اكثر من عصام ومالك

عقب فريد : الحياة كلها تسلية ! ولادة زواج طلاق ترمل موت حياة .. مشاكل لا تنتهي .. تصبحون على خير

قالت : وأنت من أهل الخير .. الحمد لله على سلامتك .. كان أخي إبراهيم يرغب بالحديث معك

قال باستغراب بدا على وجهه : إبراهيم أبو احمد ماذا يريد ؟!

ضحكت وقالت : مثل جدك لم يفصح .. هل بينكم موضوع؟

فكر للحظات ثم رد : إبراهيم.. لي شهر أو اكثر لم أره أو اسمع صوته، حتى هنا قلّ مجيئه

فسرت قائلة : مشغول في العمارة .. عقبال عندك

حوار في المدرسة

كان فريد في غرفة المعلمين يشرب الشاي ومعه عزام خازن وأستاذ التربية الدينية فاروق السيد وكان الحديث بينهم عن زواج فريد والغربة وخطرها على الشباب المسلم ، فقال فاروق : حدثني زميلنا العزيز عزام عن قصة زواجك من ابنة عمك المولودة في كندا ، ونيتك بالهجرة وترك الوطن لوطن آخر .. فمن حبي لك يا فريد أنصحك بالبقاء بيننا .. فأنت أخ عزيز على قلوبنا ، ولنا سنوات نعمل سوية ، فالغرب ليس كما يلمع لنا .. ستخسر نفسك ودينك أو الكثير منه مع الأيام .. ولي أقارب حدث لهم ما حدث لعمك من الذوبان في مستنقع الغرب

والجهل والإباحية .. ستموت الغيرة عندك ؛ كما ضعفت وماتت عند غيرك .. في تلك البلاد لا تستطيع ردع زوجة ولا ابنة ولا ابن عن الفواحش والمنكرات .. مهما كثر المال فلا يغني عن الكرامة والشرف والعرض .. والزواج متيسر هنا وافضل .. والأخ أبو أنس قال لي إنه مستعد للمساعدة في زواج أخته منك اذا كان المقصد النكاح فقط .. ولا أقول هذا الكلام لترغيبك بأختنا أخت عزام .. فالبنات كثر هذه السنوات بسبب ارتفاع نسبة التعليم بينهنّ وتشجيعهن على الشغل فأصبحنا نلاحظ تأخر زواجهنّ .. فزواجك من أجنبية لا تدري لماذا تركها زوجها بشكل حقيقي وواضح ؟! .. كلنا نزعل ونتنازع مع نسائنا وأخواتنا وحتى أمهاتنا .. أنا افضل من باب الأخوة أن تفكر بعمق بالعواقب .. فأنا من انصار عدم ترك البلاد لأجل الدولار والعيون الزرق .

قال فريد مذكرا : إنها قريبة لي ومحسوبة على العيلة .. نصها عربي ومن العظم كما يقال

قال فاروق : صحيح ! أنا أقصد البيئة ..فهي أكيد تحمل عادات وطباع كندا ، ولا اعتقد أنها تحمل عادات المسلمين وطقوسهم .. فالقاعدة تقول فاقد الشيء لا يعطيه.. ففهمت من عزام أن شقيق أبيك هاجر بدون علم شرعي وشهادة .. فالكثير لا يرتاح مع نساء الغرب.. وسيتنازل عن الكثير من أخلاقه من اجل عادات وأفكار الغرب .. أعود وأكرر فكر ولا تتلهف على الهجرة والجواز الأمريكي .. وليست السعادة ببلادهم .. فالسعادة يا صديقي بالإيمان وراحة البال ومع الأهل ومع الصالحين

ـ أنا لم أسع لهذا المطلب .. هو جاءني كما يقال .. عمنا راغب بتزويج بناته من أقاربه ، وهنّ راغبات بذلك .. وعلى كل حال لم يحدث شيء ؛ كما أخبرت عزاما .. هو عرض لم نعرف نهايته بعد .. والأمر لله يا أبا يوسف شكرا على نصحك وغيرتك

قال عزام : كفيت ووفيت يا أبا يوسف .. وأنا تحدثت عن شقيقتي لفريد لعمق الصداقة بيننا ولمعرفتنا الفساد الكبير في تلك البلاد .. ولا يعني هذا أن بلادنا لا يوجد فيها فساد .. فالفساد نسبي كما تعلمون ؛ لأننا بشر ولسنا ملائكة .. وأنا أجدد القول عن محبتي لك يا فريد ! أحببت

أن تسمع نصيحة من الشيخ فاروق .

قال فريد : بارك الله فيكم .. والله يختار لي الأحسن .. وأشكركم شكرا جزيلا .. وأنا افكر بجد بزواجي من أختك يا عزام .. أنا مشكلتي كما تعلمون .. لم ارغب بالخلفة السريعة من مطلقتي بنت صديق أبي ؛ وليس بالطبع كرها بالأطفال .. رغبت بالتمهل حتى أتأكد أن الزواج سيستقر ولا يهتز من صدمات الحياة .

قال فاروق : هذه أمرها عند الله يا صديقنا .. يتزوج المرء عشرين سنة أو اكثر ولا يستقر زواجه تحدث مشكلة ويحدث الانفصال .. فهذه أمور غيبية الموت والطلاق والمرض والنكبات عامة

***

استقبل خادم عيسى حفيديه وساقهما مرحبا إلى صالة الاستقبال وأثناء تناولهما الشراب والترحيب قال فريد : علمت من أبينا أن عمنا ظهر .

هزّ رأسه وقال : نعم ، زعم أنه كان في رحلة شغل خارج أمريكا أو خارج ولايته ، ولما تحدثت معه عن موافقتكم على مشاهدة البنات قال غاضبا أو متظاهرا بالغضب إن واحدة منهن التقطت واحدا من الشارع أثناء رحلته أي خلال فترة غيابه ورحلت لتعيش معه .. هؤلاء يعيشون بدون عقود يسمونه بوي فرند .. صديق وصديقة وليس بعقد مدني فبقيت واحدة وتناقش معها فوافقت على الاستمرار بالزواج من أحدكم .

فقال غسان : الحمد لله .. ها هو فريد مستعد للزواج والارتباط !

فصاح فريد : تزوج أنت بنت عمك .. وأنا أتزوج أخت عزام زميلي في المدرسة ، فقد حدثني عنها لما سمع برغبتي بالزواج من جديد

ـ أنا ليس لي رغبة بالسفر لأمريكا فتكفيني قبرص واليونان .

فقال الجد بسخرية وسخط : ما زلت تعاشر البغايا !

فرد بجفاء : احسن من الزواج وهمه وغمه والخلفة !

قال الجد : لا مثيل للزواج والحلال .. الزواج ليس قضاء وطر فقط .. الزواج مودة وسكن

وحب كما قال الله عنه .

ـ مات الحب بخيانة مطلقتي .

قال : يا ابني أنت لم تكن طاهرا ! فقد خنتها مرات ومرات رغم زواجكما .. هي قالت لي ذلك لما سعيت للإصلاح بينكم .. وكان إخبارك بذلك سيئا يا غسان ! .. من منكم يرغب بالسفر لرؤية ابنة عمه ؟

فقال فريد : الأفضل أن يذهب غسان ؛ لعله بالزواج يبتعد عن الفساد .. أنا لديّ عروس

فقال غسان : الأفضل يا جدي أن تبحث عن غيرنا طال الانتظار .. وعمنا يرغب بتزويجها من العائلة ؛ ولس بالضرورة نحن .. لا ارغب بالهجرة .. ضعف تعلقي بها .

قال عيسى : أنا من رشحكم .. على كل حال فكرا وتشاورا وردا لي قراركم .

فقال فريد: لا داعي للتفكير أنا خلال هذه الفترة عرضت عليّ اكثر من عروس رغم أنني لا أريد النكاح

تبسم الجد مداعبا : وطاقتك أين تصرفها ؟

ضحك فريد : لم تعد لديّ طاقة .. ذهبت بزواجي الأول ؛ لكنهم يقولون لابد من امرأة في البيت .. ولكن بنات اليوم في الوظائف والعمل .. لا يقبعن في البيت ولا يقرن في البيت

تابع الجد سخريته منهما : غسان نفس عن نفسه مع الزناة والدعارة في أوروبا .. الزواج نعمة وفضل .. غدا تحدث معي يا فريد !

فقال غسان وظهر عليه الضيق بينا : حسن يا جدي ! الآن اسمح لنا بالمغادرة .. فالنساء بلى وهم وسم .. أريد .. أريد .. نسوان اليوم لا تشبع من الطلبات والأمراض .. وفي النهاية تجد في بيتك رجل طفران في فراشك .

قال : وهل ذلك يمنع الزواج ؟ ! والأمراض تصيب الناس بدون زواج .. الأطفال يمرضون وهم غير متزوجين

قال بحدة اكثر : وبعد سنة أو اقل من سنة تسمعها تعزف نزل في السوق موديل جديد دعنا

نغير طقم الصالون .. نغير غرفة النوم

قال : هكذا السوق.. الموديلات والطرازات تظهر لدفع وترغيب الناس بالشراء والتغيير

دخل الخادم وسلم الرجلان على الجد ، وقادهم جودة إلى بوابة الفيلا وصافحهم ، واغلق البوابة الرئيسية وعاد لخدمة صاحب القصر وهو يقول : انصرفا يا سيدي !

ـ أين سيدتك ؟

ـ مع التلفزيون

ـ هيا لغرفة التلفزيون

نصيحة أمين

استمع أمين لولديه وما جرى في نيويورك لبنت عمار فقال معقبا : اسمعا نصيحتي مرة أخرى فدعكما من الزواج بالأجنبيات الغربيات ، ودعكما من فكرة الهجرة والجنسية الأمريكية أو الكندية .

فقال فريد : أنا حسمت أمري سأتزوج شقيقة عزام ، ولا داعي لترك الوظيفة .. خلاص الأمر لك يا سيد غسان .. صدق أنني أتكلم من قلبي؛ وليس إيثار وتضحية .. أنا لما تزوجت قديما أنهيت أي أحلام عن السفر والغرب .

قال غسان : حسنا ! سأفكر بعمق فإذا تكفل عمي أو جدي بمصاريف رحلة لمدة أسبوع أو عشرة أيام سأسافر لمجرد رؤية عمي وابنته؛ فإذا ارتاحت نفسي للبنت احسم الزواج منها

قال أمين : تفكير سليم مائة بالمائة ! مطلوب المعرفة والنظر .. فهذا زواج على امل أن يدوم.. وأنا قلت رأيي ونصحي .. فتزوج أنت أيضا من بلدك ومن معارفك ودعك من أمريكا وحياة أمريكا فافعل كما فكر فريد .

قال غسان : يقال أن المال هناك بالشوالات .. هنا نعمل ونشتغل دون توفير فلس واحد .. الطايح رايح .. وما نشتغله في النهار نصرفه بالليل ، ولا مجال لتوفير قرش واحد

قال أمين مبينا : اقعد شهرا واحدا بدون سهر وخمر ونسوان ستجد معك مالا كثيرا .. حين

تمرض من الكحول والزنا هل تجد مالا للعلاج ؟ تراك تستقرض من هذا ومن ذاك .. غير خطاك وفكرك للفضيلة والبيت المستقر .. أنا لو ساعدتك مرة مرتين ثم اقف .. وهكذا فريد والناس يا ولدي ! أصحا .. أنا عارف أن هذا لا يعجبك ؛ لكن مطلوب منا نصحك وتذكيرك لعل وعسى ألا يصيبك الغيظ .. تب إلى الله .. هناك اذا لم تشتغل باستمرار سترسل لنا ابعثوا لي حق تذكرة

قال معترفا : لقد تعودت على الفسق والخنا

قال الأب بجفاء : أنت تعودت قبل زواجك .. لم أعودك أنا .

قال بانكسار : اعرف! وكيف سأقبل خيانة الخائنة ولو كنت افجر البشر ؟ أنا كنت حسمت امري عند الجد بنسيان الزواج منها .. ولما رأيت فريدا قد حسم أمره ، ومصر على الرفض غيرت قراري وقلت لابد من رحلة قصيرة .. وفهم القصة على ارض الواقع .. رحلة تعارف ومعرفة قبل الإقدام على الزواج الفعلي .

قال فريد : قد لا تكون من أصحاب العيون الزرق

قال أمين: أمريكا .. شغل .. سكن .. ستعيش

قال غسان: لي معارف هاجروا ورحلوا إليها .. بعضهم سعيد .. وبعضهم أشقياء ومتعبون .. تكلم يا فريد مع جدي وبين له أن الاختيار وقع عليّ .. وأن عليهم أجور الرحلة الأولية

ـ غدا بعد العودة من المدرسة سأتصل بجدي أو نذهب إليه سوية في الليل

قال بحسم : اذا رأيت تحمسا لسفري لمدة أيام سأفعل واذهب للسفارة في حي السفارات

قال أمين: أمريكا ليست جنة الله في الأرض.. لا انكر تفوقهم ونفوذهم ؛ ولكنها بلاد كبيرة وواسعة وغنية .. وفيها السعداء والأشقياء والصناعات الكبرى والازدهار والإجرام والمخدرات والأفلام والعلم والثقافة والظلم والقتل وغير ذلك

فقال غسان : كل البلدان فيها العصابات والإجرام والمخدرات والقتل ؛ لكنها بلد الدولار وأنت اعلم الناس بقيمة وأهمية الدولار .. عملة العالم .. أنا مسافر لست لأكون مليونيرا..

أريد أن اجرب كما يقال .. واذا فشلت فلن اخسر شيئا.. وها هو أخوك له قرن يسكن هناك ولم يحتاج إلينا حسب معلوماتي !

ـ أخي ليس قدوة يا ولدي !

***

حين غادر والده قرب نصف الليل ظنوا أنه منصرف لشقته القريبة من ورشات التصليح إنما هو سار نحو ملهى حيث ينتظره ابن خاله منذر الذي هو على شاكلته في الشراب والفجور واللهو ، وقد قيل قديما الطيور على أشكالها تقع ، بعد السلام وتناول أول كأس قال منذر الذي لم يكن وحيدا كان معه زميلان لهما : حان الرحيل وشد الأحزمة .

قال غسان : أي أحزمة ؟! عصفورة طارت .. التقطها رجل من الشارع على قول أبيها .. وظلت واحدة .. ورست القرعة عليّ .. فريد سيتزوج أخت زميله في المدرسة .. وأنا سأسافر للتعارف أولا اذا تأمن ثمن الرحلة .

منذر : ومن سيدفع عيسى أم أمين ؟

ـ لم ينتخ احد منهم .. فبقي العم أو العروس فهي تعمل بالطب .

علق احد السكارى : آخرتها تتزوج حكيمة !

وعلق الأخر : تتعالج ببلاش .

قال منذر : في أمريكا يا سادة لا يوجد شيء ببلاش ..كله بدولارات .. أنا قلت للشباب الليلة سنحتفل برحيل غسان وسأبحث عن رفيق لقبرص وتركيا واليونان

قال غسان : الله اعلم .. هل عادت ابنة العم ؟

ـ ما زالت حردانة عند عمي .. لماذا تزوجت أنا لا ادري ؟!

قال شاب : أبوك وعمك زوجوك ؛ لعلك تهتم في شغلك؛ ولكنك خيبت أملهم فيك

قال غسان : المشكلة أنهم يعرفونه حق المعرفة

قال الآخر : يا عمي تحدث الزوجات أحيانا للخلاص من البنت.. ظل راجل ولا ظل حيط

فقال منذر : الأمر لغز ! أنا رفضت وغسان بيعرف ؛ لكنهم اجبروني .. وهذه ليست أول حردة ربما تزعل في السنة كل فصل مرة

فقال سكير : تأخذ الأولاد معها

قال منذر : مرات واكثر المرات عند أمي

قال غسان : لماذا لا تتطلقان ؟

ـ سمعت بمثل ذلك ؛ لكن أبي يرفض وينتظر أن اعقل وأصير رجلا يملأ هدومه

قال شاب : ممكن يا عم منذر !

قال منذر متوجها بكلامه لغسان : الخيار وقع عليك .. أنا يعز عليّ فراقك يا ابن عمتي الله يرحمها رحمة واسعة .

***

اتصل فريد في اليوم التالي بالقصر فاخبر أن جده ذهب للمركز الطبي لعلاج دوري ، فوعد بالاتصال ثانية بعد ساعات ، وكان ذلك بعد العصر مساء ، فلما اطمئن على صحة الجد عيسى فبين له الجد أن هذا خطب دوري ومكرر ، فحدثه فريد بأفكار غسان ورغبته بالسفر لرؤية الفتاة والجلوس معها قبل الزواج ، فوعد الجد بنقل الرسالة لابنه عمار وابنته ، واتفقا على الاتصال من جديد فقال فريد : أنا غالبا وعادة بعد العشاء أكون في البيت ؛ ليس عندي سهرة الليلة اذا حدث شيء اخبرني أو كلم غسان مباشرة ؛ لكنه في الغالب سيكون ليلا في ملهى أو خمارة أو مقهى .

في العادة الجد عندما يحتاج لغسان يتصل به في محله ومكان عمله ، فلا يعرف هاتف غسان البيتي ولم يهتم به ، ونادرا ما احتاجه لتصليح سيارة ، فلشركاته محطات تصليح خاصة بها ، فلم يتمكن عيسى شبشب من الحديث مع عمار إلا بعد يومين أو ثلاث ، ولما تم الاتصال وجد رد عمار غير مشجع وقال : ندفع ثمن رحلة من جيوبنا واذا لم تعجبه أو يعجبها كيف ستعود الأموال والتكاليف ؟! وتابع متعجبا : هذا ما معه مصاريف رحلة ! وهذا كيف سيعيش مع طبيبة ؟!

قال عيسى : كما يعيش البشر .. دع البنت تدفع .

احتج ورفع نبرة صوته فقال : تدفع ! ولماذا تدفع وهي لا تعرفه ؟! رجل ما معه ثمن تذكرة !.. يبدوا أنني تورطت معكم .. أنت اسلفه .

قال مجيبا ومعتذرا :أسلفه .. هو لا يسد .. كم شكى منه أمين ؟ يأخذ ولا يسد يا عمار .. وأنت لما سافرت سافرت على حسابي يا عمار !

قال بسخط : كانت يا عيسى أيام بؤس وفقر تحل بالوطن ..والحل؟!

قال عيسى بصراخ : الحل .. تتزوج رجلا من طرفكم .

قال محاولا تهدئة الوضع : راغبة أن تتزوج من أقاربي وأهلي ومصرة على ذلك .. وحسمنا هذه الإرادة فلنحاول يا ابي !

قال بحدة : اسمع يا عمار .. نحن أقارب .. وأنت ابني .. وفي الحقيقة نحن نجهل بعضنا .. اسمع سأعطيك رقم أخي عطوان .. آمل أن عنده من يملك المال ويسافر إليكم

قال : سأتشاور مع البنت .. أنا كنت راغبا بأولاد أمين .. على كل حال هات رقمه .. واذا وافق على تكاليف رحلته سأنقل لك الأمر .. فسلم على أمين وعماد والبنات وعلى غسان .. قلت لي يعمل ميكانيكي تصليح سيارات .

قال : نعم ، تعلم قديما وتركها وعمل على قيادة الشاحنات وتزوج امرأة بيروتية ، ثم انفصلا وعاد للعمل في محطة التصليح مع ابن خاله هذه سيرة حياة ابن أخيك .. وكان قد دعس رجلا فدفع كل ما يملك .

قال : اذكر أن أمهما ماتت وهم صغار بعد سفري بشهور

قال الأب : صحيح .. كانت مريضة بعد ولادة فريد وعانت ثم هلكت بسلام رحمها الله

قال : هات الرقم .

بحث عيسى عن رقم شقيقه في دفتر أو سجل الهاتف المنزلي حتى وجده وقرأه على مسمع عمار ووضع السماعة وتنهد وقال للخادم بنكد وضيق : زواج شؤم .. قلة رجال هناك !!

علق الخادم مخففا عنه : هذا الأفضل !

امرأة في المطعم

كان غسان وصديقه منذر يجلسان في مطعم يغلب الجلوس فيه على الأجانب أي غير العرب ولهما عادة بتناول وجبة العشاء فيه بصحبة الخمر وفتيات الليل والفاحشة ، تلك الليلة لاحظ غسان على مائدة قريبة من طاولتهم امرأة متبرجة غاية التبرج بحيث تلفت أنظار رواد المطعم الأوروبي ، ويصحبها رجل بثياب راقية ، بذلة زرقاء وقميص وربطة عنق تلمع ، ورائحة عطرهما تفوح في المكان ؛ وبدآ لغسان ومنذر ؛ كأنهما يحتفلان وحدهما دون ضيوف بعيد ميلاد أو عيد زواج إن كانا زوجين .. وكانت المائدة في رؤية عينيه ، ولاحظ اختلاس المرأة نظراتها المتكررة نحوه فأبدى اهتماما بها ، وهي تفعل مثله ، وإن كانت تتظاهر بالأكل والشراب ، حتى أن منذرا قال : ما بك ؟! استحلتها عيناك .. معها رجل قد يكون زوجها .

قال مفتونا : إنها فاتنة بهذه الملابس المبهرجة ! هي عارية أم لابسة !

رد منذر وهو يحد النظر إليها : تبدو ساترة بدنها ؛ ولكن سيقانها واذرعها دون شيء .. وتضع عطرا يملأ أنوفنا .. تفوق على رائحة الشراب الذي بين أيدينا

قال : هي تنظر إليك أم إليّ !

تبسم منذر وهو يرد بخبث : علينا الاثنان ، حتى زوجها يلاحقنا بطرف عينيه .. هيا كُل قبل أن ندخل في عراك مثل عراك ليلة السبت .. اليوم الشر يملأ الأماكن .

علق غسان : كأنهما أول مرة يحضران إلى هنا إلى مطعم جوني .

بعد أيام كانت المرأة الفاتنة في المطعم وحدها ، والتقطت العيون الشهوانية بعضها ببعض ، فدعاها غسان للجلوس على مائدتهما ، ففعلت دون تردد ، وعرف أن الرجل الذي كان في صحبتها المرة الماضية زوجها ، وأبدت ترحيبا بالتعرف عليهما ، وعلما منها أن زوجها مدير شركة خاصة وأنها تعمل سكرتيرة معه من سنوات ، وعلمت أن غسان ميكانيكي سيارات ، وقريبه يعمل سائقا في شركة كبيرة ويحبان الاستمتاع بشبابهما وحياتهما .

لما خرجا بعد العشاء قال منذر مستغربا : ماذا تفعل بمثل هذا الوقت في مطعم جوني؟

أجابه غسان : هل من رأيناه معها فعلا زوجها يا منذر أم عشيق ؟!

ـ علينا الحذر .. فهذه امرأة لعوب من أول لقاء حدثتنا عن حياتها وعن زوجها

قال : لم نفعل شيئا !

قال منذر : إنها تمهد لفعل شيء .. العيون لها لغة يا ابن عمتي !

ـ وهل هي أول امرأة نلتقي بها يا ابن خالي ؟ في بيروت الجلوس معهن امر طبيعي خاصة قبل سنوات قبل الحروب الدينية .. تراهن يمزحن ويقهقهنّ ويرقصنّ معك ، ويرفضن أي علاقة جنسية

قال : نحن في توتة ؛ وليس في عاصمة الطرب والصخب .

***

تلقى فريد هاتفا من أبيه طلب منه الاتصال بجده قائلا : يبدو أن مبادئ غسان رفضت ، فلن يدفع العم فلسا واحدا ولا البنت إلا اذا جاء للزواج دون تردد قد يساعدونه ببعض المال ، أما المشاهدة مجرد الرؤية فلا .

لما انتهى الكلام مع الوالد اتصل بالجد ليتأكد من الرد الحاسم ، فدعاه الجد للقاء جديد بعد صلاة العشاء ، وبالفعل زار قصر الجد ليلا ، ولما استقر بهما المقام قال الجد : عمك المحترم يريد زواج دون تفكير وفور وضع رجليه في أمريكا .. ويرفض دفع أي قرش لمشاهدة أو حتى الزواج فليذهب شقيقك على نفقته ، واذا وافق على الزواج فيتفق مع البنت على التكاليف والمهر والحفلة ، وهي كما قال عمار لا يمكنها الدفع لمجرد الدفع .

فاتصل فريد فورا بغسان من تلفون جده ونقل له التطورات ، فسمعوا غسان يقول بجفاء : انتهى الموضوع بالنسبة إليّ ادفع واستدين ثم اجد أمامي فيلا أو دبا أو لم تعجب بي البنت أنا ما صدقت وخلصت من دية الرجل الذي دعسته .. ربما تكون برميل يا فريد سلم على الجد والجدة وقل شكرا على جهده .. في ميزان حسناته .

فقال فريد للجد وكان قد سمح للجد بسماع الرد : هل انتهى الموضوع الآن ؟

قال الجد : بالنسبة لنا انتهى ، وتوقعت رده هذا .. في المرة الماضية أعطيت رقم هاتف شقيقي عطوان لعمار، صل لعله يجد عنده من يدفع ويتزوج .. فهو الآخر لديه أحفاد وقد يقبل احدهم بالزواج من بنت عمار والسفر لهذه الغاية

قال فريد :الحمد لله على كل حال .. فهناك لطفي زياد ، فهو مثل غسان مضرب عن الزواج من العربيات .. فهو لم يتزوج لليوم وهو من عمر غسان .

قال عيسى : اعرفه شخصيا .. اشتغل معنا مدة .. وهل هو غير متزوج لليوم ؟

أجاب الأستاذ :خطب مرة ثم فسخ ولا اعلم السبب .. فنحن علاقتنا بهم رسمية مناسبات فرح وحزن .. ولقاءات عابرة سلام ومرحبا .. كل شيء من عند الله .

ـ أكيد .. أكيد .. نحن حاولنا معكم ؛ ولأن عمك ترجاني أن ادبر عريسين لبناته .. والآن حولناه لعطوان وذريته ؛ لعله يجد من يرغب بالهجرة والزواج من نص عربية .. سواء لطفي أم غيره

تنحنح فريد وهمس : هو المغري بالموضوع ليس الزواج بحد ذاته ؛ إنما الهجرة للغرب وجنسية أمريكا ؛ نعم ليس الزواج بحد ذاته .. هناك من يتزوج صوريا ؛ كما نسمع للحصول على الجنسية للولايات المتحدة

قال : سمعت كما سمعت .. زواج شكلي؛ بل منهم من يدفع شهريا أو مرة واحدة للفتاة التي يتظاهر بأنها زوجته .. تحايل على قانون الجنسية .. فمشكلة العفة والطهارة غير موجودة عند بعض نسائهم .

قال فريد : بل كلهن في الغالب .. من النادر أن تصل بنت لبيت الزواج عذراء .. فمن النادر أن يتزوج الأمريكي بكرا ؛ وكأنهم لا يحبون ذلك .. لا يوجد لديهم عذرية .. على البنت الزنا قبل البلوغ وقبل الزواج والجامعة .. عليها أن تجرب قبل أن تستقر على ذكر واحد .

قال بقرف : حياة جاهلية ! وأنت ما جرى معك بأخت عزام زميل المدرسة .

ضحك فريد وقال : العرض ما زال قائما .. وما زال يضغط عليّ للرضا بها أو حتى من غيرها ولكني حقيقة مرعوب وخائف من الفشل

ـ هل أنت معاق جنسيا ؟

رد بدهشة :معاق جنسيا ! ما يعني هذا المصطلح ؟

ضحك الجد بدوره وقال : يعني أنك غير صالح للمعاشرة الزوجية ، وتتحجج بالخلفة والذرية

أجاب باسما :أنا عشت ثلاث سنوات زواج فقط .. وعمري ما راجعت عيادة إخصاب ونساء

قال : ما دمت صالحا تزوج .. فالزواج نصف الدين

أجاب : أنا لا يوجد عندي النصف الأول

ـ عاجز عن الصلاة !

قال بحيرة : لا ادري !

قال عيسى : أبوك من نعومة أظفاره يصلي ويصوم وقد حججنا معا

ـ اعلم ، وحتى زوجته أم حاتم شيخة

قال : يبدو أنك عامل شيئا خطيرا في مرحلة من حياتك !

قال ضاحكا : لم افعل شيئا استعر منه ، وقد تزوجت ابنة ماهر الصياد كما تعلم

قال الجد : تب إلى الله تعالى يفتح عليك من البركات والخيرات .

لطفي زياد

بعد أسابيع من صرف الاختيار عن غسان لعجزه عن تحمل نفقات الرحلة للغرب ، وبينما كان غسان في مشغله يدخن ويثرثر مع الزبائن توقفت سيارة خاصة أمام الورشة ، فلما التفتوا إليها ظانين أن احدهم قدم لتصليح سيارته ، نزل منها شاب تمطى قليلا ، وخلع نظارة الشمس وتقدم نحوهم باسما ومسلما ومصافحا لهم جميعهم ، فهمس غسان : أهلا لطفي أهلا وسهلا وقال معرفا : قريب لي

ولما انتهى من مصافحة الجميع قال : كيف حالك معلم غسان ؟ كيف الإخوان ؟

ـ أهلا بابن العم .. الحمد لله .. وأنت هل من مشكلة في السيارة ؟

نظر لسيارته الصغيرة ورد : لا ، لا ، المشكلة عندي أنا .

ـ ماذا ؟!

قال لطفي : معذرة يا شباب ! هل ممكن نتكلم في السيارة ؟

ـ خير !!

قال : خير يا معلم !

تعذر الشابان من الشباب ولطارق ، وجلسا في مقعد السيارة الخلفي واشتعلت السجائر وقال لطفي : معذرة جئت اسمع منك موضوع ابنة عمك الأمريكية عمك عمار .. حدثوني عنها عن الزواج منها .. فقد قيل إنها عرضت عليك قبلي .

هزّ غسان رأسه فتابع لطفي : فهمت أنهم يصرون على السفر والزواج منها دون مقدمات .. وعلمت أن عمك عرضها عليك أولا ولماذا رفضت ؟ أتعرفها ؟

ـ ولا عمري شفتها ، لا هي ولا أبوها . وقص عليه القصة من البداية للنهاية

قال لطفي : هكذا سمعت من جدي عطوان .. فقط الفلوس التي فشلت الموضوع ومنعتك من السفر .

ـ هذا المهم في القضية .. المال .. وهو زواج غامض ! أسافر وادفع مالا وأجدها فيلا أو دبا أو مشوهة أو أي شيء آخر

قال مبررا تقبله الزواج : أنا المهم عندي الجنسية يا رجل ! فالجنسية أهم من المرأة .. لا يوثق بشرف نسائهم رأيتها فرصة لدخول بلاد العم سام .

ـ هل وافقت عليها أنت ؟

قال مجيبا : عرضت عليّ كما عرضت عليك .. رشحوني لذلك الزواج الغامض كما قلت

قال مشجعا : فاذا تهمك الهجرة والجنسية فاقبل .. واذا معك مال كافٍ للسفر اذهب ، وتزوج كما يرغبون .. اذا كان لا يهمك جمال وحسن البنت فقط الجنسية فتوكل على الله .. أنا فلوسي

على قد حالي كما تعلم

قال لطفي مقتنعا بظروف غسان : أكيد اعلم واسمع وأعرف ظروفك وأحوالك فنحن من نفس العيلة .. جدك أو أبوك لم يقدما دعما أو حتى عمك

قال بحسرة وأسف :نعم ، أبي رفض من البداية ..من أول يوم .. وجدي لم يبدُ على استعداد لتقديم شيء أو تشجيع .. والعم عمار مثلهما

ـ أنا افكر بالزواج عندما أحط رجلاي هناك كما يرغبون .. فهي تحمل جنسية أمريكا ؛ وذلك سيسهل حصولي عليها .. وهجرتي لبلادهم حلم .. وأنا احلم بالحياة هناك من زمان ، وحاولت اكثر مرة عن طريق السفارة والهجرة العشوائية السنوية ؛ لكن بدون فائدة .. وهذه فرصة جاءت لباب الدار كما يقال

قال بفتور : اذا هذا هدف نبيل فتوكل على الله ..اذا كنت لا تفكر بحسن وأخلاق فتوكل على مولانا

قال مهونا على نفسه من الخيانة الزوجية الشائعة في تلك الديار :اذا لم تعجبني اطلقها بعد التجنس كما فعل زوجها الأول .

تبسم غسان وعلق : دخول البيت ليس مثل الخروج منه .. أنت لست في فيلم هوليوودي

قال باستهتار : ماذا سيفعلون لي ؟ لا املك الكثير لتأخذه مني .

قال مشجعا : على كل حال رحلة موفقة وزواج ممتع ! أنا سبب اعتذاري عجزي المالي؛ وليس بيننا معرفة ؛ ولست متحمسا للجنسية ؛ وفعلت مثلك عن باب السفارة وفشلت وحاولت من لبنان مرة دون فائدة .. رفضت الزواج الفوري .. قلت نتعرف نرى بعضنا .. نتفاهم قبل الاقتران ؛ لأنه غير واضح لي سبب رغبة عمي بتزويجها من العائلة .. قلة عرب هناك .. وهي تزوجت كنديا وطلقها أو انفصل عنها .. كنت سأذهب ضيفا وزائرا .. أنا لا اعرف عمي لأفهم الأمر ؛ لذلك قلت زواج غامض .. ولا اعرف البنت ، ولا سمعت صوتها ؛ لأنها لا تتكلم العربية

ـ تنصحني بها .

قال متعجبا : أنصحك ! أنا مثلك لا اعرفهم .. البنت كما فهمت ترغب بالزواج من عربي من أقارب أبيها بعد فشل زواجها من معارف أو أقارب أمها

قال لطفي : أنا كما قلت لك رغبتي الأقوى في الجنسية أكثر وأهم من الزواج .. شكرا إلى اللقاء

ـ مع السلامة

نزلا من المقعد الخلفي للسيارة وتصافحا وأشار لطفي لشباب المحل مودعا وانتقل لمقعد السائق وانطلق مبتعدا عن الكراج .

***

لطفي زياد قريب غسان وفريد فجديهما أخوان ، وهو ابن ثلاثين سنة ، تزوج فتاة بعد تخرجه من الجامعة ، صاحبها وصادقها أثناء الدراسة ، ثم فسخ الزواج قبل إتمام مراسيم الزواج الشرعية والقانونية ، ويعمل شريكا لأخيه الأكبر في متجر لبيع مواد الإنشاء كأدوات الصرف الصحي والمغاسل والأنابيب وأدوات الكهرباء المنزلية والدهانات والخردوات الخاصة بالإنشاء وهو شريك لأخيه جلال كما سبق آنفا ، فلم يعمل على شهادة الجامعة ، فلما قابل غسان أمين واستمع بوعي لسبب فشله بالزواج من ابنة عمه ، التقى ليلا ابن عمه محمود عليان وصديقهما جبر راعي ، فقد علما بمشروع زواجه من ابنة قريبهم المهاجر من عقود ، فنشطوا لزيارته لفهم القضية ، فجلسوا في غرفة واسعة ، فله شقة كسائر إخوانه في عماره أبيه ، قام بإنشائها على نفقته رويدا رويدا ، وصنع لهما شاي الضيافة والترحيب ، وصبه في الأكواب ، وتحدثوا عن السوق والعمل والأسعار ، فكلهم يعمل في التجارة ، فقال محمود : ماذا حدث بينك وبين غسان ؟ ولماذا تركها ؟

فقال جبر : هل يعرفونها ؟

ضحك لطفي ، وقال محمود : منذ هاجر السيد عمار عيسى لم نره في البلد ولو حتى زيارة .. هو

سافر أولا للأرجنتين .. سمعت أبي قال ذلك أمامنا .. نسمع عنه طراطيش كلام وأخبار خاصة حين قتلت زوجته الأولى في الأرجنتين فعرفنا بوجوده ؛ لأن خبرها وصل إلى هنا ، ثم هاجر لكندا برفقة شقيقة امرأته ، ثم تزوجها وولدت له البنتين المعروضات للزواج بعد طلاقهنّ وتركهما لكندا ثم استقر في أمريكا ؛ حيث يعيش لليوم .. وها نحن نعلم إنهنّ تعيشان معه في نيويورك ، أخبار نسمعها من الكبار في مناسبات اجتماعية .

قال لطفي معقبا : هذا ما نعرفه عن ابن عمنا عمار عيسى ، لم يأت الديار ولا مرة ، حتى لما ماتت أمه يقولون لم يحضر البتة ، ولا أتت بناته للتعرف على أقارب أبيهن ، فهو غير متزوج بعد تركه الكندية أم البنات ، ويعيش في نيويورك عاصمة المال العالمية كما نطق محمود ، ولا أحد سمعته يتحدث عما يشتغل فيها .

قال جبر : وقصة الزواج .

روى لهما لطفي القصة والعرض فقال محمود: المال هو الذي منع غسان من السفر !

قال لطفي : زعم هذا وأنا مصدقه ، وقال لي اليوم ظهرا ادفع واقترض ثم لا تروق لي واجدها فيلا أو ابشع أنثى على وجه الأرض ماذا استفيد ؟ الجنسية التي لن احصل عليها فورا .. المانع المال .. جده لم يتبرع ولا أبوه .. وهو غير متحمس لزوجة من أمريكيا ، ولو ابنة أخ أبيه .. كانت البنتان ترغبان بالزواج من أولاد العم أمين .. ثم وجدت واحدة منهنّ رجلا تعيش معه طبعا بدون عقد .. صديق عشيق .. فهؤلاء يقبلون العيش بدون عقد ودين أو ارتباط ما .. ويفترقان بلا حقوق والتزامات .. واذا ولدت المرأة يمكنها التخلي عنه للجمعيات والملاجئ أو لعائلة تتبناه .

فقال جبر : وأنت ما تقول ؟

قال : أنا احلم بالجنسية الأمريكية .. ومحمود يعلم ذلك الهوس .. وسعيت مرات نحو السفارة دون فائدة ونجاح .. فها هي الفرصة تحضر دون جهد يذكر .. فهي وأبوها تريدان زواجا سريعا دون مصاحبة وتعارف وحب وانتظار .. وأنا احسن الإنجليزية وسأتكلم معهم بالهاتف

والقصة أن الجد عيسى تحدث مع شقيقه جدي عليان برغبة عمار بتزويج ابنته من أقاربه وعليان حدث أبي زياد وعرضت البنت عليّ .

قال محمود : وماذا ستعمل هناك؟

رد : أمريكا بلد الشغل كل أنواع الشغل فيها .. كل البلاد فيها شغل لمن يرغب فيه .. بعض من نعرف وسافر إلى أمريكا يعملون في المتاجر الكبيرة في محطات الوقود في النقل وسيارات الأجرة وأنا معي شهادة كلية التجارة

قال جبر مرشدا : لو تزوجت واستقررت هنا لكان افضل لك .. هذه أمريكا بلد الظلم وعدو الأمة العربية والإسلامية

قال بجفاء : العرب عدو بعضهم بعضا .. هل رأيت ولايتين تتصارعان منذ قرن منذ الحرب الأهلية الأمريكية ؟ الحرب ناشبة بين بلداننا .. لا تكاد تنتهي تهدأ في قطر وتنشب في آخر .. منذ أن تركتنا تركيا ونحن نتصارع على حدود سايكس وبيكو

فقال محمود ناصحا :فكر بتأنٍ يا لطفي ! فالغربة مرة ومعقدة .. فهل تظن بنات عمار يعرفن العربية ؟ .. سيضيع أطفالك كما ضاعت بنات عمار .

***

قام زياد وابنه لطفي بزيارة لبيت عمه الحاج عيسى بشبش ، واستقبلهم الخادم كالمعتاد وأدخلهم لغرفة الجلوس، واخبر السيد بوصولهم ، فلما حضر قاموا يسلمون ويحيون العم وعادوا للجلوس ، واطمئنوا على صحة وأحوال بعضهم البعض ، وبعد قليل قدم لهم الخادم الشاي والماء ، وسألهم عن شقيقه عطوان وصحته ، ووصلوا للحديث عن سبب الزيارة ، فاختصر لهم السيد قصة رغبة عمار بتزويج بناته من أقاربه ، وسعيه مع ابني ابنه أمين واعتذارهم عن السفر للزواج .

فقال زياد : أنا تحدث مع أبي بذلك ، فاقترحت الأمر على لطفي ؛ لأنه الوحيد من أولادي الأعزب لليوم ، وكنت قديما اعلم رغبته بالهجرة ، ففكر في الأمر ، وأبدى استعداده للسفر

والحياة هناك

قال عيسى : وهو المطلوب .. ونحن دائما نقول الزواج قسمة ونصيب

قال زياد : لماذا ترغب البنت بالزواج من شخص مجهول لها ولأبيها ؟

قال معللا : مجرد رغبة .. لم يتحدث عمار عن سبب آخر .. الذي فهمته منه أن البنات تزوجن في كندا حيث تعيش أمهن الكندية .. وعمار لم يكن لا دخل في زواجهن وربما حتى أمهنّ .. عندهم يتزوجون بدون ولي ، وبدون أب وشهود .. المهم الذكر والأنثى يتفقان على ذلك .. وهنّ درسن طبيبات أعني متعلمات .. المهم تزوجن حتى بدون علم عمار .. وعلم بزواجهنّ لما انتقلن لأمريكا .. اتصلن به وطلبن منه أن يسمح لهن بالعيش معه في نيويورك أي في شقته فرحب بذلك واشترط عليهن ألا يأتين بعشاقهنّ وأصدقائهن لشقته فوافقن .. وبعد حين جرى بينهم حديث عن زواجهن من أقاربه فرحبن بذلك .. وأخبرني بهذه الرغبة وأن انظر في شباب الأسرة الكبيرة بمن هو راغب بالهجرة والزواج من بناته ، فوقع الاختيار على أبناء أمين الكبار والفاشلين في زواجهم مثلهنّ .. وأثناء الترتيب لمثل هذا الزواج صاحبت ابنته الكبرى اسمها كاترين ذكرا ـ استدرك فقال ـ هي الكبيرة بزمن يسير ، فهن توءمان لكنها الأول ولادة ـ ورحلت عنده حسب تقاليدهم المعاشرة بدون عقد .. والصغرى ظلت مصرة على الزواج من أبناء الأقارب .. هذا فهمته فيما بعد ومن دردشاتنا المتكررة .. فريد انسحب فصديقه في المدرسة يلح عليه بالزواج من أخته .. وغسان يريد رحلة للتعارف قبل عقد الزواج ؛ لأنه ملسوع من قرينته المطلقة .. وهو كما تسمعون يعيش مع بنات الليل هنا وهناك .. وأنت يا لطفي لعلك فكرت جيدا

فرد قائلا : أنا لم أتزوج بعد .. كنت مرة سأتزوج ؛ ولكن حدثت ملابسات وفسخت وتركت الزواج لليوم .. ولما حدثني السيد الوالد بالموضوع رحبت رغبة في الهجرة حقيقة .. فهجرة وزوجة امر جيد أليس كذلك ؟

قال : الله ييسر أمرك ؛ فاذا لديك المال .. مبارك عليك الهجرة والزواج .. أو نقول جرب لعلك

قال زياد : أنا أشكرك يا عمي ! رغم مرارة الفراق ؛ كلٌ له حياته .. وأنا لا تهمني الهجرة الذي يهمني زواجه .. كلُ الأولاد والبنات الكبار تزوجوا إلا لطفيا

قال : جيد يا زياد ! وأنا حضرت رقم عمار ليتحدث لطفي معه ؛ كما رغبتم. وقدم لهم الرقم على ورقة

قال : شكرا يا عمي ! وسنطلعك على ما يجري إن شاء الله واسمح لنا بالانصراف .

قال عيسى : القهوة في الطريق

ودخل الخادم بصينية القهوة ووزعها عليهم وانصرف .

اتصالات

كان عمار يسكن في منطقة بريتون بتش ، واشتهر بالحي الروسي فيها ، وهو يطل على المحيط الأطلسي، وهو قريب من منهاتن الجزيرة حيث تمثال الحرية الشهير ومركز التجارة العالمي والأضواء المبهرة في ميدان سكوير وحديقة السنتراك ذات الألفي فدان .

ضرب لطفي رقم شقة عمار عيسى في مدينة نيويورك عن طريق مركز الاتصالات الدولي وبعد دقيقة أو تزيد سمع صوتا خشنا يقول : ألو ، نعم

قال : أنا لطفي زياد جدي عطوان بشبش

سمع ضحكة قصيرة وصوت يقول : أنت المرشح للزواج من جاكلين !

قال : نعم ، كيف الحال ؟ العم عمار عيسى

عمار : نعم ، نعم ، أنا عمار عيسى .. أهلا لطفي زياد .. كيف أنت كيف الأهل ؟ أنت اختيار عمي الحاج عطوان بشبش .

قال : نعم ، اختاروني لأكون نسيبك .. وليلة أمس كنت مع والدك عيسى بدل ابن أمين أخيك

ـ أهلا سيد لطفي .. هل فكرت؟ ومستعد للهجرة للعيش هنا .. وماذا تشتغل أنت ؟

قال : أنا شريك أخي في تجارة الأدوات الكهربائية والصحة المنزلية .

ـ هل أنت متعلم يا سيد لطفي ؟

رد فقال : تخرجت من كلية التجارة ..وعمري تسعة وعشرون سنة وشهور

ـ من سن جاكلين تقريبا فهي تقل عنك سنة .. ابنتي تعمل طبيبة في مستشفى هنا .. هل أنت راغب بالزواج منها فور وصولك والحياة معها هنا .

قال : نعم ، أنا مستعد للزواج فور وصولي إليكم اذا قبلتم بي .

ـ نحن المهم أن يحصل الزواج ؛ وليس تعارف ثم افكر .

قال : أنا قبلت بالزواج فورا .. فلديّ رغبة في ترك البلد

قال عمار : هل أنت عازب ؟

ـ نعم ، لم أتزوج بعد

قال : سبب السؤال ؛ لأنه هنا لا يسمع القانون بالتعدد ؛ كما هو عندكم .

ـ اعرف

قال : جيد ! معك فلوس السفر

ـ أكيد

قال : ليس مثل ابن أخي أمين الطفران

قال : مستورة

قال : حسن يا لطفي ! تحدث مع جاكلين الليلة.. فهي ليست هنا ..أنت تحسن الإنجليزية ما دمت متعلما

قال لطفي : إلى حد كبير

قال : حسن اذا كنت الليلة في البيت سأترجم بينكم .. يبدو أنك فهمان وراغب بالمجيء

قال : صحيح

قال : حسن ! لعلنا نتفق ويتم هذا الزواج .

ـ إن شاء الله

قال مفاجئا الشاب : أتصلي يا لطفي ؟

استغرب لطفي السؤال عن الصلاة وتساءل في نفسه : وهل هو يصلي ؟! ورد قائلا : لحتى الآن لا .. الله يهدينا .

قال عمار :جيد ! هدى الله الجميع .. إلى اللقاء .. اتصل في الليل على نفس الرقم سأتصل بها لتنتظر مكالمة منك .. واذا حضرت المكالمة سأفهمكم ما تحتاجون إليه من ترجمة .. كما ترى لم أنسى العربية رغم قلة الحديث بها ؛ ولكنني اقرأ الصحف أو المجلات العربية التي تتوفر واسمع المحطات الإذاعية العربية أو التي تبث العربية من هنا أو أوروبا

***

تلقى لطفي هاتفا ، وكان من العم عمار ، وبعد لحظات سمع صوت ابنته تحييه وتعرفه بنفسها وترحب به في أمريكا ، وبينت له رغبتها الجدية بالزواج من أقارب أبيها العرب لأسباب ستذكرها له عندما يستقر في نيويورك ، فأبدى قبوله بها شريكة العمر ، وشجعته على السفر ، وسيحدث بينهما انسجام اذا هو فعلا راغب بالحياة المستقرة ، كما هي عادة نساء بلدهم ، ففهم الغاية من زواجها من رجل عربي مسلم ..الاستقرار في الحياة الزوجية، والابتعاد عن الخيانة الزوجية من الطرفين ، واحترام عقد الزواج .

فقال : كيف سيكون السفر ؟

قالت : سأقدم لك على تصريح زيارة عن طريق مكاتب الخارجية والهجرة وعندما تجهز المعاملة تذهب وتراجع السفارة لأخذ تأشيرة دخول الولايات المتحدة .

قال : هل انتظر ؟

قالت : انتظر حتى اتصل بك .

قال مستفهما : ستأخذ وقتا طويلا .

قالت بثقة : اقل من أسبوع .. المهم الجهة الأمنية والرقابية أن تقبل سفرك .. ألديك نشاط سياسي في بلدك ؟

قال : لا ، ولا اعرف السياسة ولا احبها .

قالت مطمئنة : حسنا.. أنا في انتظارك .. وجيد أنك تحسن لغة الإنجليز سنفهم بعضنا بسرعة

قال مبينا : تعلمتها في المدرسة والجامعة .

قالت : مرحبا فيك يا أستاذ لطفي .. ها هو والدي سيتكلم معك . وانتقلت السماعة لعمار وأبدى ترحيبه به في بلاد العم سام وأن تكون حياته معهم سعيدة وبسيطة ، فقدم لطفي شكره وتمنى أن يعيش معهم على خير ما يرام .

وتحدثا بأمور عامة ، وعن الحياة المالية في بلد المال ، وعن الشغل المتيسر خاصة الشغل الحر في المطاعم والنقل ومحطات الوقود وسيارات الأجرة ومحلات البيع والبقالة ، وأنه سيجد فرصا كثيرة للعمل والثروة ؛ وبما أنه يحمل شهادة جامعية قد تتاح له فرصة للعمل في مؤسسات رسمية أو خاصة كموظف في الحكومة أو غير الحكومة، وتحمس لطفي اكثر للرحيل والهجرة وترك الوطن وتوقف الاتصال على امل أن يرسل لهما صور جواز سفره على عنوان أعطاه إياه العم عمار وانتظار موافقة الجهات الخاصة بدخول الأجانب إلى بلادهم للسياحة والزيارة .

***

التقى جبر ولطفي في السوق فقال جبر : اخبرني محمود عليان ابن عمك أنك كلمت السيدة جاكلين وأن الأمور مشجعة وأن لديها أسبابا للزواج منك أو من عربي من أقاربها

رد لطفي : صحيح تحدثت مع محمود وجلال أخي وشريكي وحتى أبي عن الاتصال وترتيبات الزواج والسفر ، وادعت أن لديها أسبابا خاصة للرغبة من الزواج منا أي رجل من عائلة شبشب من أقاربها .

قال متأملا : لعلها حجة حقيقية .. متى السفر إن شاء الله ؟

ـ أرسلت صور المعلومات من جواز السفر الساري المفعول ، ولما يأت التصريح والإذن سأذهب لسفارتهم هنا للحصول على الموافقة .. وسيكون العم عمار عيسى في انتظاري

قال جبر : وهل سيتم الزواج فورا ؟

ـ إلى حد ما ستجري الإجراءات بعد الوصول بقليل حسب التساهيل

قال : المحل وشراكتك مع السيد جلال !

قال لطفي : سيشتري حصتي أخي جلال كما تناقشنا واتفقنا .

ـ وماذا ستعمل هناك ؟

ـ عمي أو من سيصير عمي يقول العمل كثير جدا .. عشرات آلاف الفرص موجودة .. يقول بعض المصانع تستوعب آلاف العمال والأشخاص .. إنها أمريكا يا جبر ! المهم أن يقبل الرجل ما يعرض عليه من شغل وما يناسبه .

ـ ماذا يعمل عمك ؟

قال متفكرا: لم يتحدث ، ولم يلق إشارة تشير لعمله ، ولا حتى ابنته أشارت بكلمة ، ولا أحد من العيلة يتحدث عن وظيفته وشغله هناك ؛ ولكن يبدو من حديثه المرن أنه يعمل والبنت فهمت أنها تعمل في مستشفى خاص .. وأكيد سنسكن وحدنا ، لا اعتقد أن نعيش في شقة عمار

قال جبر : هو غير متزوج !

ـ هذا ما هو معروف عنه بعد تركه أم البنات ..ولا نعرف أتزوج بعد ذلك .. لم نسمع بذلك أو أنا لم أسمع بذلك .. وهل له أولاد غير البنتين ؟ .. هذا سأعرفه لم اصل لتلك البلاد .

ـ لماذا لم يأت عمك للبلاد منذ سافر ؟ أليس هذا غريبا ؟

قال مفسرا : لا اعرف حتى أبي لا يعرف سبب هجرته إلا اذا كانت البطالة وقلة الأشغال قبل ثلاثين سنة هي السبب للغربة .. لما كبرنا علمنا أنه تحمس ورحل للأرجنتين أولا ، ثم تعرضت زوجته للقتل ، فهاجر لكندا ثانيا وتزوج من أختها هناك ، وولدت له البنتين ، ثم تركها وهاجر إلى نيويورك واستقر فيها لليوم .. لا يذكر أو يتحدث أحد عن التفاصيل أو لا أحد يعرفها ربما هو الأصح يا أبا سفيان !

قال متمنيا : والله أيها الصديق أتمنى لك الخير والتوفيق ؛ لكن لا تحلم كثيرا وتظن أن المال يغرف بالأكياس .. فلي أقارب ذهبوا لتلك البلاد وعادوا بدون شيء ، حتى أن بعضهم لما كان

يأتي زائرا لمناسبة ما .. فرح .. عزاء .. صلة رحم لوالديه يأتينا ببذلة أمريكية آخر موديل .. ولما يأت آخر .. وتذكر سيرة فلان يبين لنا أنه يعمل هناك في مهن يستحيل أن يشتغل بها هنا إنما يأتي بملابس ثمينة للتظاهر بأنه باشا أو جنرال في تلك المدن ؛ ولكنه في الحقيقة يعمل بالمهن الدنيا .

تبسم لطفي : يعني ديكور !

قال : نعم ، يعني ديكور .. فأتمنى لك الغنى والتوفيق .. وأنت تحمل بكالوريوس اقتصاد ؛ وربما توفق كالذين وفقوا ونجحوا ؛ فليس كل أمريكا سعادة وثراء

قال مؤكدا : هي أرزاق يا صديقي ! لكن مطلوب منا الحركة والسعي .

قال جبر منبها لإخطار الواقع الأمريكي :احذر أيضا الشراب والمخدرات والعصابات .

***

من المعروف أن ساعات الانتظار تبدو للمنتظر طويلة ، عائلة بشبش انشغلت بسفر لطفي زياد للزواج من ابنة قريبهم عمار عيسى ، خاصة أسر عطوان وعيسى الأخوان ، فكثرت بينهم التلفونات والهمسات ، منهم فرح له ليتزوج ، فهو مضرب عن الزواج منذ ترك خطيبة الكلية مضت اكثر من عشرة أيام دون اتصال فساوره القلق من الفشل في الهجرة من جديد .

التقى غسان ولطفي ذات ليلة في مقهى ، وجرى حديث بينهم حول الأمل في السفر فقال: تكلمت مع العروس .. أنت صحيح تتكلم الإنجليزية دارس كلية

فقال لطفي : وتحدثت مع عمك كذلك وأرسلت لهم صورا عن جواز سفري

تبسم غسان وهتف : جاءتك فرصة ذهبية للسفر والهجرة !

قال باعتذار : نصيب

قال : نعم ، والله نصيب.. موفق بإذن الله .

قال كأنه ما زال يتعذر لقريبه : حظي كما يقال ، لو سافرت أنت ما عرفت أو سمعت صوتها

قال مواسيا لنفسه : لم اكن متحمسا للسفر .. زواج غامض مشكلة يا لطفي ! أنت تحب

المغامرة ولا ترى حرجا بمواصفات السيدة .

قال مبررا موقفه : ما هو الواحد هنا يخطب أو يتزوج ثم يترك أو يطلق .. فحياة النساء ليس لها في نظري مبدأ أو قاعدة ثابتة يا غسان .. ولا تخضع لأي قانون .. أنا عشت احلى سنوات العمر مع صديقتي في الجامعة .. وكنا على وشك تكوين أسرة ؛ فكان منها موقف خبيث طلبت فورا إنهاء الموضوع .. على السريع قبلت ، وفي اقل من شهرين تزوجت صديقا آخر زعمت أنها قدمتني عليه وتبين العكس .. هكذا نساء الجامعة تصاحبها أسبوعا ثم تراها مع عشرات غيرك أي قانون يحكمهنّ .. لا تعلم .

رد الآخر متذكرا زواجه الفاشل : وأنا مثلك حبيت سامية في بيروت وعطفت عليها ، ثم تزوجتها وأحضرتها لتوتة لتبدأ حياة نظيفة بدل العمل ساقية في خمارة ، ثم اكتشفت خيانتها مع شاب لا ادفع فيه ميلما واحدا ..مثلما قلت النساء لا قواعد ثابتة للعيش معهن .. كيف يفكرن لا تدري ؟

ـ ولا تفكر بالزواج من جديد .

قال : كل عاقل يرغب بالزواج ؛ لكن متى ؟ لا اعلم

ـ إذن أتمنى لك زوجة صالحة .

ضحك غسان : هذه المشكلة بالنسبة لي ! فأنا لست صالحا ! أنا اعلم أني غير نظيف

قال : اصلحنا الله

قال : إذن أنت تنتظر الموافقة على السفر

ـ نعم ، أرسلت الأوراق ، وانتظر وقت السفر والذهاب لمراجعة السفارة باسم السياحة

ـ ميسرة الزيجة والرحلة .

تصافح الرجلان ، وافترقا ، وعاد كل منهما إلى مجموعته في المقهى الواسع ليلعب الورق .

***

بعد اللقاء العارض بين غسان ولطفي اتصل عمار ببيت لطفي زياد وأمره بمراجعة السفارة لأخذ الموافقة بالسفر ودخول أمريكا بتأشيرة سياحية وزيارة لمدة معينة ، وفعلا بدأ لطفي يحضر نفسه للسفر ويودع الأصدقاء والأحباب ، وأخبر والده أنه اذا استقر دون عوائق سيسمح بالتخلص من ممتلكات الشقة ببيع أو إهداء ، ولما تحددت ساعة الرحلة عن طريق شركة طيران ورحلات دولية اتصل بعمار واطلعه على يوم الرحلة وساعة الطيران ، فبين له عمار أن الرحلة تحتاج إلى سبع ساعات قد تزيد ساعة أو اكثر إن لم تكن مباشرة ، وسيكون في انتظاره في مطار كنيدي الدولي ، وبما أنها رحلة سياحية فعليه أن يمتلك تذكرة ذهاب وإياب .

وقضى الشاب ابن الثلاثين سنة يزور ويودع الأحباب والأصدقاء حتى ازفت الساعة ، ونقله أخوه جلال إلى المطار الدولي في عاصمة الدولة ، وبعد منصف الليل ركب في الطائرة الأمريكية المغادرة إلى لندن ، ثم مطار جون كنيدي الرئيس المغتال سنة ١٩٦١، وهو اهم مطار في نيويورك ؛ حيث تعيش أسرة عمه وكثير من العرب والهنود والباكستان .

ولما وصل المطار الأمريكي كان عمار في استقباله فاحتضنه وعرفه من خلال الصور التي تبادلاها معا ، ثم أخذه إلى احد فنادق المدينة ، وكان قد حجز له غرفة بسرير واحد لمدة ليلتين حتى يهيء بيته للعيش معهم حتى يتم الزواج ، وكانت البنت تسعى إلى استئجار شقة ؛ ريثما يتم عقد زواجها منه .

قضى اليومين حول الفندق حيث المطاعم وشوارع المتاجر والمباني الشاهقة والأضواء الفاتنة ؛ وبما أنه يحسن اللغة الإنجليزية لم يعانِ كثيرا ، فاغلب الناس يتحدثون بها خاصة القدامى ، ثم استقبله عمه في شقته ، وتعانق من أول لقاء مع ابنة عمار، فوجدها نحيفة وحجمها صغيرا ؛ ليس كما توهمها غسان بأنها فيل أو دب قطبي ابيض .. فقال عمار بعد التعارف : هذه ابنتي جاكلين تؤام كاترين التي ستأتينا للتعرف على قريب لأبيها ، فهما عاشتا طفولتهما مع أمهما في مونتريال الفرنسية ؛ حيث أن أمها من جذور فرنسية .

وكانت ذات العيون البنية تنظر اليه في ابتسام وتابع الأب : هي لا تعرف العربية ؛ فلذلك تجدني

أتكلم بالعربية والإنجليزية .. ففي كندا على المثقف أو المتعلم أن يعرف اللغة الإنجليزية والفرنسية فهما لغتان رسميتان للأمة الكندية .. واقصد بالخلط حتى تفهم جاكلين معنى دردشتنا .

قالت بإنكليزية كندا : أنت قلت لي تخرجت من كلية الاقتصاد في بلدكم !

قال محدقا بعيونها : اجل ؛ ولكنني لم اعمل عليها ، ولا في مؤسسة أو بنك أو شركة كنت اعمل مع أخي في تجارة الأبنية .

قالت : أنت اعزب كما ذكرت لنا .

ـ نعم ، سعيت للزواج ولم يكتمل

قالت : أنا لي سنتان عند أبي .. لما تطلقت وهجرني زوجي كرهت بلدي اذا جاز تسميتها بذلك ورحلت عند أبي الذي رحب بي .. ونحن كنا على تواصل وإن كان متقطعا يطول ويقصر ، وكان يساهم في تربيتنا وتعليمنا .. فنحن من اصل عربي من جهته .

قال عمار مضيفا : هكذا اتفقت أنا وأمها سونيا .. والقانون هناك قصدي كندا ؛ كما في اغلب سائر البلدان فترة الحضانة للأم حتى ينفصلا عنها ببلوغهما سن الثمانية عشر .. رغم طلاقنا كنا على اتفاق من اجل البنات .

قالت جاكلين : أبي جيد لما عاشرته وعشت معه وعرفته أكثر ! .. وكان يزورنا في كندا في المناسبات فلم يهجرنا تماما .. ظل على اتصال مع ماما .

فقال عمار : هن بناتي وحبيباتي ؛ لكنهنّ يا لطفي يحملن عادات بلادهن من لبس وصحبة وشراب .. فهذه مأساة الهجرة لبلاد الإباحية والحرية الشخصية .. فيعني هذا أنك قد تحتاج لزمن للتأقلم مع طباع الناس هنا ؛ فربما تراها تعانق صديقا زميلا .. فلا تدع الغيرة هنا كما في توتة .. وكذلك موقفك من الشراب والسهر وكثرة الحفلات .. عليك التأني في ردة الفعل وأشياء أخرى ستعيش معها ..حل مشاكلك بالتروي لا تكثر من الشكوى .. دائما تذكر يا ابن أخي أنك في أمريكا ولا تكثر من المقارنة بين طباع البشر هنا وهناك ومع الزمن ستزداد معرفة

بعاداتنا هنا وتتأقلم معها

قضى أسبوعا يتلقى إرشادات ونصائح من عمار حول العيش والتكيف مع أهل البلاد وتقاليدهم حتى يستطيع النجاح في حياته الزوجية ، ولما سأله لطفي لماذا لم يتزوج بعد رحيله من كندا ؟ فكر قليلا قبل الإجابة ، ثم ضحك : ستعرف ذلك مع الأيام .. الزواج ليس هدفا بحد ذاته .. مع الوقت ستعرفني اكثر واكثر .

قبل انقضاء الشهر كان لطفي يتزوج جاكلين رسميا في مكتب تسجيل الزواج ، واستأجرت الفتاة شقة ، ورحلا للعيش فيها كزوجين .

زواج فريد

التقى زياد عطوان وأمين عيسى في دعوة عرس لقريب لهم ، وعادة في مثل هذه المناسبات يتبادل الناس الأخبار حول الذرية حول الصحة والمرضى والموتى ، وهكذا مواضيع أو تعقيبهم على حادثة سمع بها احد المتكلمين ، فجاء ذُكر لطفي وسفره ، فأكد زياد لأمين زواجه منها ، وهما يسكنان معا دون شقيقه ، وأن ابنه يعمل في سوق خاص مع معرفة للسيد لعمار ، ومهمته محاسبة الزبائن وتصدير الغلة للبنك يوميا ، وهو مرتاح ومنسجم مع البنت ؛ مما دفع أمين أن يسأل : هل عرفتم لماذا رغبت وهي الأمريكية بالزواج منا ؟

قهقهة زياد قليلا ثم عاد يقول : الكل يسأل عن سبب هذا الاختيار .. وهذا بينه لي لطفي ذات ليلة .. فأنا في البداية كنت أتحدث معه شبه يومي .

قال : فعلا يا زياد كان الأمر غريبا بالنسبة لنا !

ـ السبب بسيط جدا .. فلطفي سألها هذا السؤال ؛ فكما تعلم لطفي يحسن اللغة الأجنبية بحكم تعلمه في الجامعة .. فسمع الجواب منها .. يا سيدي الفاضل هي وأختها التوأم كن ولدن في كندا ، وعشن مع أمهن ، وكبرن هناك بعيدا عن شقيقك عمار بانفصاله عن الكندية سونيا اسمها سونيا كانت متزوجة في الأرجنتين من أرجنتيني ، فلما قتلت أختها قرينة عمار قررت العودة لوطنها وتطلقت من زوجها ، وسافر معها عمار وتزوجا في كندا، وبعد حين وضعت

البنتين وأثناء نزاع كما يحدث لكل الناس اتفقا على الطلاق ، وكان عمر البنتين ثلاث سنوات ، فغادر عمار البلد بعد ترتيب الطلاق والاتفاق على رعاية البنات، وتعلمن طبيبات ، وهن على اتصال مع أبيهن باستمرار، وتزوجن من زملاء كنديين من معارف امهن ، وكلما يحدث خصام بينهن وبين أزواجهن يعيرن بأن دمهنّ عربي ، وطباعهن طباع العرب مع أنهنّ ، لا يعرفن العرب ولا العروبة ، إنها العنصرية الغربية ! .. هن عشن في كنف أمهن ، ولا يعرفن كلمة عربية ، وطباعهن طباع الكنديين ، فلم يعشن بين عرب قطعيا ؛ فكلما يخون الزوج امرأته وتعاتبه وتعيب ذلك يقولون لهن أنت عربيات ودمكن عربي ، واستمر هذا الإشكال .. انتن عرب انتن مسلمات على هذه الصورة .. فتطلقن ورحلن لأمريكا عند عمار ، وعملن هناك وأخذن جنسية أبيهن الأمريكية ، وخلال احاديثهن عن الزواج ، وما معنى تعييرهن بطباع العرب والدم العربي والإسلامي ، بين لهن عمار أن العرب يحافظون على الزواج حتى الموت .. في الغالب طبعا وحتى لو تزوج العربي بقانون التعدد لا يطلق المرأة إلا اذا رغبت بذلك ، ومع تكرار الموضوع في مجالسهم كما قال لطفي طلبن من شقيقك تزويجهن من أقاربه العرب طمعا بالاستقرار على رجل واحد ، فتشجع عمار وعرض الأمر على والدك .

كان أمين خلال الاستماع يهزّ رأسه باستمرار فعقب قائلا : شيء معقول ! شيء معقول !فربما العرب والمسلمون خاصة الأجيال الكبيرة اقل الناس طلاقا .. فالنساء الأمهات والجدات كن يقبلن أن يكون لها ضرة أو اكثر .. نحن لم نسمع مثل الكلام والتفصيل إلا الآن .. كيف لطفي معهن أو معها ؟

وعاد زياد يقول : وسمع لطفي من كاترين لماذا عادت للزواج من أمريكي بعد قبولها بالزواج من عربي ؟ زعمت له أنها خشيت من الفشل مرة أخرى وغضب أبيها منها .. وأما جاكلين زوجته فيقول إنها لا ترغب بالحمل قبل سنوات فقال لها لست مستعجلا .. هذه تفاصيل الرغبة للزواج من العرب ومن أقارب عمار ـ لحظة سكوت ـ سمعت أن فريدا راغب بالزواج من جديد كما قال لخالد وجلال .

قال : صحيح ! لما تزوجت كاترين كما قلت تخلى فريد لغسان عن الباقية ، وكان زميل له في المدرسة شجعه ورغبه بالزواج من شقيقته لما علم برغبته بالزواج من جديد .. وهذا ما سيحدث قريبا .. فقابلت والد الفتاة والفتاة نفسها وسيجري الأمر كالمعتاد .

عشيقة غسان

حضرت يارا لورشة غسان وطارق بزعم تصليح عطل تكرر في سياراتها ، وكان غسان وحده في المحل ، ففحص السيارة واجرى صيانة لماتورها الصالح ، وخلال عملية الفحص دار بينه وبين المرأة حديث عام فقال لها : لم أعد أراك تأكلين في ذلك المطعم مطعم جوني ؟

قالت : أما زلت تتذكرني يا سيد ...

ـ غسان

ـ أنا ذات زوج .

قال مفكرا : ذكرت ذلك لنا وأنك متزوجة ، وأول مرة رأيتك في المطعم الأوروبي كان معك وزوجك كما قلت مدير مؤسسة تعملين فيها سكرتيرة .. أذكر إنني سمعتك تخبرينا بذلك وكان بصحبتي تلك الليلة منذر .. وطابت جلستنا معك .

وعالج الخلل المزعوم وشارك المرأة السجائر وطلب لها من بوفيه الكراجات القهوة ، وأخذت رقم تلفون المحل ، وانصرفت بظهور عبده العامل معهم والشريك الثالث لهم .

ولما انصرفت عندما حضر عبده المعلم الذي يشتغل معهم قال : ماذا تريد مدام يارا ؟

حدق فيه غسان ، وقال متفاجأ : أتعرفها يا عبده ؟!

ضحك وقال : قبل أسبوع حضرت بزعم أن عطلا في سيارتها وأن احدهم دلها على محلنا وحاولت مغازلة طارق ، فصرفها بالتي هي احسن .

قال بحيرة ودهشة : حاولت مغازلة طارق ! ومن هو الذي دلها علينا ؟

صاح الشاب مستغربا سؤال غسان : أنت !

ـ أنا !

ـ هي قالت ذلك ، وإنها تعرفك وتعرف قريبك منذر .

قال مفسرا : فعلا أنا اعرفها يا عبده ! التقيت بها في مطعم وكان معي منذر .. كنا نتناول طعاما وشرابا

ـ وهل كانت سيارتها بحاجة لتصليح ؟

ـ كلا ، جاءت لتذكرني بنفسها ؛ ولكنها ذات زوج ، وهو مدير مؤسسة تستورد أدوية وحلوى

ـ يعني أنها تخون زوجها !

ـ هذا واضح من عيونها وحركات بدنها .

ـ أتراها تلف عليك إذن ؟

ـ هذه المرة الثالثة التي أراها فقط .

بعد يومين اتصلت به المدام عصرا ؛ حيث ادعت تعطل سيارتها في احد شوارع توته ، وطلبت مساعدته ، فركب سيارته مع بعض العدة ، ومشى إلى شارع العطل ، وعالج الخلل وصافحها مودعا وانصرف للورشة ، وبعد أيام تحدثت معه شخصيا ، ودعته لشرب كأس شراب معها في حانة في حي النوادي الليلة والخمارات ؛ لأنها تعلم أنه يتعاطى الخمر ويشربها كالشاي والماء فوافق على الدعوة ، وتناول معها العشاء ؛ كما فعلت قبل شهور عندما دعواها لمشاركتهما الطعام في ذلك المطعم والمشرب ، ثم انتقلا لخمارة في نفس الحي للسكر ، فعرف منها أن زوجها له أماكنه الخاصة للمتعة والشراب والقمار ، وأن حياتها غير مريحة معه ، ولم تنجب منه رغم زواجهما من عشر سنوات .

وتكرر اللقاء والطعام والشراب بينهما ، وهو بطبعه وخبرته الدنيوية ادرك أن المرأة لها أصدقاء يتمتعون بممارسة الفاحشة معها ، وكان غسان يتجنب الزنا مع المتزوجات في بيوتهن الخاصة ، ولكنه ضعف أمام إغراء وعرضها نفسها على عليه ، وأنها سترتب له زيارة لبيته وشقته ، فتردد كثيرا ، فهو من النادر بجلب بنت هوى لبيته ، فهو يعيش في شقة ضمن عمارة من أربعة طوابق لكنه أمام الرغبة الجنسية والاشتهاء مارس معها الجنس في بيته ، وبين لها أنه لا يحب إتيان النساء

لبيته ، فهو في عمارة مسكونة ويطرقه أصحابه في هذه الحياة كثيرا في أي ساعة من الليل ، فعرفته على بيتها ، واتفقت معه على الاتصال به أثناء غياب زوجها في نواديه ، فقبل العرض رغم عدم ارتياحه لعلاقة مع متزوجة وفي شقتها ، ونصحه طارق ألا يفعل ويغامر بالتردد على المنازل الخاصة ؛ لأنه قد يداهمه أخ لها أو زوجها أو أقاربه وأقاربها .. فقال مشجعا نفسه : إنها وحيدة لا خلفة عندها ،وتزعم أنها تحبني وأنها اذا طلقت ستتزوجني ؛ كأني راغب بالزواج فاضطرت أن أوعدها بذلك الأمل .

قال طارق ناصحا : خليك على كارك .. النساء المتزوجات لسن كالمطلقات والعزباوات .. بنات الليل لا خطر عليك منهنّ .. كثيرا ما نصحتك أنت ومنذرا بترك الزنا والمواخير لكنكم لا تسمعون .. فاحذر منها .

منذ عهد بعيد لم يعد يستمع ويهتم بالنصائح والحذر من النساء ؛ لذلك كان كل أسبوع أو نصف شهر تسنح له فرصة لقضاء بعض الوقت معها ، واستمر الحال القذر لمدة لبضع شهور ولم يهتم بنصح طارق ولا عبده ، ولا بنصح رفاق الفجور وزملاء اللهو ،وظل يصاحبها ويلبي رغباتها ويصاحبها في نزهات إلى المنتزهات والحدائق العامة ؛ كأنهما متزوجان حتى فاحت ريحة حبهما حتى أنه قال يوما لطارق ؛ كأنه مقتنع : ربما لو تطلقت تزوجها ؟

ضحك طارق واستخف عقل شريكه وابن عمته فرد عليه : ولكنها خائنة كأمراتك السابقة ومن تخون زوجها ستخونك .. فكر بشيء آخر

فقال مبررا : لا ادري وجدت عندها ما افتقدته بسامية !

قال : لا شيء عندها إلا الفجور والإغواء لقد حاولت معي مرة فأنبتها

قال : معك ! مع انه لمح له عبده بذلك .

قال : نعم ، وقبلك

قال غسان : كيف ؟

قال : جاءت مساء بحجة عطل في السيارة ، وسألت عنك وأنها التقت بك في مطعم ومشرب

نسيت اسمه ولما قلت لها أنك في عمل خارجي .. حاولت إغرائي بحركاتها المبتذلة ، وعادت مرة أخرى حتى صادتك .. وأنت لما ذكرت لي اسمها تذكرت أنها ذكرت نفس الاسم فعرفت أنك وقعت .. وعبده حدث بلقائك بها هنا

قال : هي تعترف أنها تخون زوجها ؛ كما يخونها ، فهي زوجة مدير مؤسسة

قال : هي تزعم ذلك لعلها أرملة أو مطلقة .

قال : لها زوج .. رأيت غرفة نومها وملابسه فيها .. وأول مرة رأيتها كانت معه في مطعم العشاء الأوروبي .. وفعلا هو زوجها .. رأيت صورا له في غرفة الصالون في شقتها .

فطارق يعرف ابن عمته منذ صغره وفساده : المهم خذ بالك سوف تملك كما ملت غيرك .

قال غسان : إنها تبحث عن المتعة مثلي ؛ وليس على المال كبنات البارات والنوادي الليلة .

ـ إني خائف عليك !

قال مستمتعا بالحديث عنها : وعدتها بالزواج ذات مرة .. فقالت تمهل سوف أسعى للطلاق عندما أتأكد من حبك لي وما زالت تتأكد

قهقهه طارق وقال : احمق أنت ! هذا أنت قد أصبحت ألعوبة بين يديها

قال بجفاء وإنكار : هذه حياتي .. هكذا حياتي شغل في النهار ومتعة ولذة في الليل

قال ساخرا : ماذا تراها تفعل لما علمت بذهابك لقبرص ؟

قال : تمنت أن تكون معي

ضحك طارق وقال : يا لها من أمنية يا غسان ! ألم تظهر الغيرة عليك ؟!

تبسم ورد : تظاهرت بذلك ..وأعلم أنها تمثل !

قال : مسكين أنت يا رجل ! هذه أكيد لها زبائن غيرك .

ـ بالتأكيد لست الأول .. أنا معرفة من شهور فحسب

قال : ولست الأخير .. ألم تكشف لك عنهم ؟!

قال : تحدثت مرة عن شقيق زوجها قبل أن نلتقي .

قال مصعوقا : يا لها من قحبة يا رجل ! ابتعد هذه غانية ومجرمة تجامع الأخوين

قال : لكنه مات .

ـ مات !!

زوج العشيقة

الإنسان السيء لما يألف العمل السيء يقل حذره وتوتره من أضراره وعاقبته ، ذات ليلة بينما يقترب الوقت من نصف الليل وغسان على موعد ليتسلل إلى بيت العشيقة في حي الشهاب، وهو من أحياء توتة الراقية بمقاييس المال والغنى ، ولما وصل لباب الشقة وطرق الباب ـ فهما على موعد ، فبعد أن خرج زوجها لنواديه وميسره اتصلت به فلبى نداء الفاحشة ـ سمع صوتا يقول بتهكم : أهلا أهلا بعشيق زوجتي الأخير .. كيف حالك يا سيد غسان يا مصلح السيارات ؟

استدار إليه غسان وقال بصوت منخفض : من أنت ؟

صاح الزوج ضاحكا : قلت لك أنا زوج الأنثى التي قدمت إليها يا هامل !

قال : أنت زوجها ! وهل لها زوج ؟

قال بغضب : نعم ، تتغابى يا منحط .. أنا زوجها يا مجرم ! رأيتني في المطعم تلك الليلة . وكان يخفي عصا سميكة وراء ظهره فانهال بها على رأس غسان وبدنه ، ولما صرخ غسان من الألم ، وقد سالت الدماء من رأسه ، فحاول إخراج موس يحمله ، فصاح الرجل الغاضب : معك موس يا خائن !

وخرج مجموعة من الشباب من شقة أخرى ، وأخذوا بضربه ورفصه ، وأخذوا منه السكين وظل الضرب والرفس حتى فقد الوعي ، فحملوه والقوه في الشارع مغمى عليه قرب سيارته فقدم لهم الزوج الشكر فقال أحدهم : أين المرأة ؟ زوجتك الملعونة .

قال الزوج المتظاهر بالغضب : سأرسلها عند أهلها أو سأرسلها عند أبيها الفاجر .

وفتح الشقة ودخل وتبعه اخوه وصديقاه ودخلوا حتى غرفة حبست فيها الزوجة ، ورفع

اللاصق عن فمها ودفشها بقدمه وقال : قد اخذ نصيبه يا فاسدة ! وستذهبين الليلة إلى بيت من بزرك وتقصين عليه خيانتك الأخيرة .. وسيكون الطلاق قريبا.. لقد مللت من فجورك .

قال اخوه صقيل : بل العمارة كلها ملّت من فجرها وفحشها

قالت : هل قتلموه ؟!

قال سفين الزوج : لعله لم يمت .. خائفة عليه ..خليه يتزوجك الهامل .

صاحت وهي ترفع نفسها : سيفعل يا مجرم ! الذي يسمعك من هؤلاء يقول إنك شريف ولا تضحك على بنات الناس .

رد بقهقهة : عمري ما أحضرت واحدة إلى الشقة .. إلى هنا .

ردت بوقاحة : كله فجر يا فاجر !

ضحك وقال دون حياء ، فهم يعرفونه حق المعرفة : فاجرة تعير فاجر .. بيت أبيك وامك البغي أولى بك .. أنت بنت من ؟

صاحت بغل : اخرس يا وغد !

صفعها وقال : جهزي نفسك للطلاق .

قالت بهياج وسخط : سأفضحك في كل مكان .

قال : افعلي ما تريدين .. هيا جهزي حقيبتك ليقوم صقيل والشباب بتوصيلك

فقال صقيل : هيا يا قحبة عجلي قرب الصبح .. العيلة منذ زمن تعرف قرفك ..قلت لك أنا نفسي ازني وافجري خارج الشقة .. فنحن نعرف أنك لا تشبعين من الزنا .

نهضت وأخرجت حقيبة الحرد ، ووضعت بعض الثياب وهي تقول بسخط : كلكم أولاد حرام .. ما كل العمارة زناة وكلاب .. كم مرة لمحتك تجلب الساقطات يا صقيل ؟ !

صاح وهو يدفعها : اخرسي .. أنا اعزب ليس عندي زوجة .. تزوجي من الميكانيكي .. اذا بقي حيا

ودفعها سفين أيضا وهو يقول : كان يجب أن اطلقك لما كشفت أمرك مع شقيقنا مسلاط ؛

لكنه انتحر ؛ فكان عليّ أن اصبر حتى تبرد القضية

فقالت بسخرية : ما هذا ـ وأشارت إلى صقيل ـ مثل أخيك .

صفعها صقيل على وجهها بقوة وقال : تريدين الإيقاع بينّا .. صدق يا أخي ما لمستها ولا قربت من جسدها الأجرب .. أنا لم اعرف فاجرة مثلك .. أنا لا اعلم لماذا كل هذا الفساد فيك وأنت ذات زوج .

صرخت وولولت وردت : وهل هذا زوج ؟ إنه امرأة مثلي !

قال سفين : خذها يا صقيل هذه احقر امرأة في الدنيا .

قالت بحقد : هل أنا اكذب ؟ افحصوه

دفعت للخارج وتبعها الشباب ووضعوها في سيارة صقيل، وهم في السيارة قال صقيل : ما دام زوجك امرأة مثلك لماذا لم تصري على الطلاق بدلا من جلب الرجال لسريرك وتفضحينه ويفضحك وتفضحينا

قالت : لا يريد طلاقي لو طلق سينكشف أمره ، وتعلمون أنه مريض جنسيا وانه عنين

قال : وماذا يفعل في الملاهي والنوادي والمواخير ؟!

قالت بدون خجل : تحسيس ولمس وتقبيل حتى يعتقد أمام رفاقه بأنه فحل وانه قادر على الفاحشة والخنا .

صقيل قد سمع عن عجز شقيقه الجنسي؛ ولذلك تورط شقيقه مسلاط لإشباع رغبتها وشهوتها حتى اشتهر أمره بينهم وخيانته لأخيه فانتحر وسكت سفين فقال : أمركم عجيب يا يارا !

قالت : المرأة لماذا نتزوج ؟ لتأكل وتشرب وتلبس ونتبرج

فقال : خلاص يا بنت الناس ! عليك بالطلاق وأنا سأجبره على طلاقك .. لا يصلح أن تعيشان معا ، وتضحكان على أنفسكم .. أنا أخي الميت لمح لي بعجزه قبل أن ينتحر ؛ ولكنني ظننته يقول ذلك ليبرر جرمه وخيانته لأخيه .

قالت : أخوك سفين يعرف بأمرنا من أوله .. وتظاهر بأنه لا يرى .. فهو يعرف نفسه

قال مقرا : كلامك صدق ! حدثت أشياء لم اكن افهمها .. الآن وضحت .. كان عليك أن لا تصمتي وتبحثين عن الرجال والبديل .. فهذا الشاب ذهب ضحيتك اذا مات .

أهل العشيقة

عرف أهل المرأة قصة عشقها الجديدة وما حدث لعشيقها من الأذى ، واتفقوا على الطلاق بدون أن يدفع الزوج شيئا لهم ، ولها الحق بأخذ مجوهراتها ورصيدها الخاص بها ، وأخذت القضية منهم ما يقارب ستين يوما ، واتفق الأب وألام المنفصلين بدون طلاق شرعي على أن تسعى للزواج من السيد غسان أمين ما دامت تحبه وهو يحبها ، وكان يمنيها بالزواج ، لأنهم علموا أنه لم يمت ، فقد وجدته دورية شرطة ، ونقل لاحدى المستشفيات للقطاع العام ، وزعم للبوليس والأمن أنه كان سكرانا وعائدا من حانة وتشاجر مع شلة وأثخنوه بالعصي والرفس والضرب وأنه لا يعرف أحدا منهم ، وقضى أياما يعالج ، ثم عاد لبيته ملفوف الرأس بالشاش مثخن بالجراح والأورام والرضوض ، وأخذ رفاقه يزورنه ، ويطمئنون على صحته وحاله ، وظل صامتا عن قول الحقيقة حتى لشريكه طارق ابن خاله ، وشقيقه منذر ، وانه تعرض لعصابة من عصابات الشوارع كما اخبر البوليس ، وقضى اكثر من شهرين عاجزا عن العمل بشكل صحيح للكسور في ساقيه ورأسه ، وكانت كسوره من الكسور الخفيفة والرضوض ، وكانت المرأة بعد علمها بنجاته من الموت تتصل به في شقته ، وتطمئن على صحته وتبرىء من معرفتها بما حاك ضده من قتل وغدر ، وسعت لزيارته فاعتذر لها بكثرة الزوار ، وأنه لا يستطيع معاشرة امرأة ، وتأذت خصيته من الضرب والرفس ، وتابع قضية طلاقها ، وهي تأمل أن تتخذه زوجا ولما تحسن وضعه الصحي بعد شهور سافر لقبرص كالمعتاد ، وقضى أياما بين أحضان بنات ومومسات قبرص ليطمئن على أدائه الجنسي ، ثم عاد للوطن ، ولما تلقى منها اتصالا قالت : كيف وجدت نفسك؟

فرد ميئسا من نفسه : لا اصلح للنساء ؛ لذلك اختصرت الرحلة

قالت : تحتاج لعلاج

قال بتحزن وتحسر : تضرر مخي من ضربي على الرأس ومعرض لجلطة دماغية بسب النزيف الذي أصابني من عصا زوجك المجرم

قالت : كيف سنعمل ؟ فأهلي يلحون بالزواج .

قال : تزوجي فأنا غير صالح .

قالت : تتعالج ونحن زوجان .

قال منبها : واذا لم اصلح يصير معي ما صار مع زوجك .. حدثني صقيل بسبب انحرافك

قال بدهشة : هل قابلت صقيل بلول ؟

قال بحقد : هو زارني واعتذر عما أوقعوه بي .

قالت بجنون : يا للوقاحة ! يقتلون القتيل ويمشون في جنازته

قال : هذا ما حدث .. وعرفت منه سبب خيانتك لشقيقه .. واخشى أن يتكرر معي .. وأنا كما تذكرين طلقت زوجتي البيروتية لخيانتها لي

قالت بغضب : ليس هناك زواج

قال مدعيا : أنا راغب بالزواج ؛ لكن تقبلين أن نعيش بدون قضاء رغباتنا الجنسية

صمتت لحظات ظنها دهرا : سأفكر يا غسان ! قد أتكفل بعلاجك ، لأن أهلي ينتظرون أن نتزوج .. لأنك تسببت بفضيحتي وطلاقتي

قال ناصحا : الأفضل أن تعيشي وحدك .. فالزواج قد لا يناسبك

قالت : لماذا ؟

قال : أنت تعودت على التعدد ، فلن تتوقفي على احدهم

قالت بضيق : كلام قاس ومؤلم يا غسان !

قال : هذا كلامك أنت لي اكثر من مرة .. وهل أصدق أنك قضيت هذه الشهور دون صديق ورفيق ؟ نحن عرفنا بعضنا بعضا .. وأنت ذكرت أنك لك أصدقاء غيري أيام حياتك مع

زوجك العاجز .

قالت مقرة بأنها نطقت بذلك : لابد أني كنت في حالة ثمالة .. لابد أن نلتقي مواجهة

قال : نلتقي في مقهى أو حديقة عامة .

***

جلس غسان والمرأة يارا هواربية في احد المقاهي المختلطة في توتة ، وأعاد تأكيده عن عجزه عن إتيان النساء ، وأنه يفكر بالسفر لأوروبا للعلاج بزعم أن طبهم متطور اكثر من بلاد العرب في هذه الأمور بسبب كثرة الانحلال الجنسي لديهم ، وأما هي فعرضت عليه وكررت أن يتزوجا وتسافر معه ، وأنها مستعدة لمساعدته في تكاليف العلاج ، فرد بقوله السابق والمتكرر فقال : واذا لم يفلح العلاج معي هل تتحملين أن تبقي على ذمتي وبدون معاشرة ؟ ثم بين لها أنه لا يملك ثمن الرحلة والعلاج ، ونصحها بالبحث عن رجل غيره خشية أن تتكرر مأساتها معه والتقوا مرة أخرى وأخرى ، لا هي اقتنعت بتهربه ، ولا هو اقتنع بارتباطها به حتى اضطرت أن تجمعه بشقيق لها ـ وهو اشرس إخوتها وافشلهم ويعيش على جيبتها المالية ـ ليفهم سبب رفضه بالزواج منها ، ولكن الأخ صدومة هواربية لم يقتنع بعذره وتأذيه بسبب تلك العلقة أمام شقتها ، وإنما هو يتهرب من وعوده لها ، وأنه يتناسى تسببه بطلاقها وهو يقول ويردد : لو تعالجت وفشل العلاج لحظتها ماذا سأفعل لأختك ؟ وتشاجر الرجلان في المقهى العام أولا بالصراخ والشتم والتهديد ، وتعرض للضرب من جديد من قبل شقيقها وابن عم له كان يقبع في المقهى دون علمه ، وحضرت الشرطة باتصال مدير المقهى ، ونقلوا للمستشفى للعلاج من الإصابات ، ثم تم توقيفهم في مركز البوليس للنظر في قضيتهم ، وبعد أيام عرضوا على قاضي التحقيق ، وغرمهم خسائر المقهى ، وأمر بحبسهم شهرا للتأديب والزجر ، فكان طارق يقول : كم نصحتك يا ابن عمتي أن تبتعد عن هذه المرأة اللعوب ! ولكنك كابرت ، وربما ظننتني غرت منك ، ولم تصدق أنها راودتني قبلك

تنهد بحرقة وقهر : للأسف ظننته مجرد كلام عابر ! ها أنا للمرة الثانية أتعرض للإهانة .. مرة من أهل زوجها الديوث .. وعجلت بطلاقها منه .. وها أنا أتعرض للضرب من أهلها .

نصحه طارق : عليك بالصبر الآن ، ولا تتحدث معها بعد خروجك شهر السجن . كان هذا الحوار في زيارة لسجن المدينة حيث يقبع لقضاء مدة الحجز .

قال : عليّ أن افعل أيها الأخ الفاضل ! لو يسمع الناس النصح من أول مرة ما تعرض احد للذل والأذى .. لابد من التجربة يا صديق العمر .

ونصح مجددا : ولا تحاول الانتقام والثأر !

***

قبع غسان وشقيق المرأة وقريبه في سجن المدينة ، فقد حكم على كل منهم الحبس لمدة شهر ، وهذه لم تكن أول مرة يسجن فيها ، فقد تعرض للسجن والتوقيف اكثر من مرة بسبب حوادث السيارة والدعس حتى يتم الصلح بينه وبين الذين ضررهم أو دعسهم .

ومضت الأيام كما تمضي غيرها من الأيام ، وكان ما زال يتلقى من شقيق المرأة التهديد والوعيد ولا حل له منهم إلا بالزواج منها ؛ لأنه سبب طلاقها من زوجها الديوث ، فيقول له غسان : لا اصلح للزواج وللنساء ، فقد تسببت بإيذائي منهم ، وتعرضت خصيتيّ للأذى والعطب من ضربهم لهما .. واختك بصراحة لا تصبر عن الرجال .. وأنت تعرف ذلك اكثر مني

ضحك صدومة وأجاب : كلامك غير صحيح ! أنت ورطتها بالفاحشة وتحاول النفاد بجلدك

قال بغل : أتريدني أن اجلب لها الزناة ؟ فلنقل ذلك بالمفتوح وبصريح الكلام .. كانت أختك تنام مع مسلاط شقيق سفين بلول .. وكان سفين يعلم وصامت ، لأنه عاجز عن غشيانها .. كله يا صدومة مكشوف كنت أنا آخر من يدري !

صاح فيه : أنت حر

صاح : أنت مجنون

قال صدومة : أنت سافل ! تغرر ببنات الناس وتعدهن بالزواج ثم تغدر لن اقبل ذلك

رد غسان بغضب : سافل .. سافل .. لا اشتغل قوادا من أجل عيون أختك

ـ ألست أنت الذي تسببت بفضيحتها ؟ وكشفها للعالم

صرخ في وجهها : هي مفضوحة من قبل أن أتعرف عليها .. وأنتم تعرفون ذلك .. تكلم معي صقيل شقيق سفين عن غرامياتها .. أنا ضحية لفجورها ! أأتزوج عاهرة ؟

وقضى المدة وهو يتراطن معها ، وخرج من السجن ذليلا خائفا من غدرهم ، وبعد أيام استلف مالا من فريد وأبيه وشريكه طارق ، وسافر إلى اليونان خشية التصادم معهم من جديد ، ثم سوف يستقر بقبرص ، ويشتغل فيها مع صديق يوناني وآخر لبناني عرفهما أيام الرحلات على الشاحنات الكبيرة .. والتنقل بين تلك البلاد .

زواج فريد

كان فريد أمين خلال هذه الشهور الماضيات يعاني من مشاكل مع زوجته أخت زميله عزام ، ذكرنا أنه تعرض لضغط من والده وزملاء المدرسة وحتى من عزام نفسه للزواج ولو من أي أنثى ، ثم حسم الأمر وتزوج شقيقة زميله عزام منذ التقيا في المدرسة لتعليم الأطفال ، ما كادت تمضي السنة حتى بدأت ترغب فيه بالسعي لولادة ولو طفل واحد ، ووصل الأمر بينهما إلى أن تدخل عزام ليقنعه بالفكرة وأمها ؛ ولكنه يصر على عدم الرغبة بالخلفة والإنجاب حتى أن أستاذ التربية الدينية في المدرسة الأستاذ فاروق زميلهما المعروف لفريد تدخل في الأمر بطلب ورجاء من عزام .

فقال : ارغب بالحديث معك بأمر خاص جدا

تبسم فريد وقال : شكى لك عزام

قال : عزام كلمني فعلا ،وهو لا يريد طلاق أخته كما بدأت تلمح .

رد فريد : أنا صارحتهم بذلك يا أستاذ فاروق ونحن على البر وقبل قراءة الفاتحة ! ووافقوا على شرطي ..أنا قلت لا ارغب بالأطفال والذرية .. زواج وبس .

قال فاروق : هذه شرط باطل شرعا يا زميلي الغالي

تروى فريد للحظات ثم رد قائلا : أليس الإنجاب من حق الرجل ؟

فأجابه : ولكن من حق الأنثى أن تكون أما فهي غريزة بها وفطرة

قال : عندما ارغب بالذرية أحاول .

قال : عجيب أمرك يا أخ فريد ! وهل الأمر بأيدينا ؟

رد بجفاء وضيق : لا عجيب ولا غريب .. تخيل لو أني احمل تقريرا طبيا أنني انجب معاقين .. هل يمنعني الشرع من ذلك ؟ أليس كان بعض صحابة النبي ﷺ يعزلون ؟ وقرأت أنهم كانوا يتسرون بالجواري ويحذرون الإنجاب .

قال فاروق بإعجاب : هذا أنت مثقف يا صديقي ! لابد من جلسات معك لنتناقش بشكل واعي .. ولماذا الناس يتزوجون ؟

أجاب : للاستمتاع .. أليس يقول ربنا : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أكيد تعرف زواج المتعة قبل تحريمه عند أهل السنة والجماعة .

قال : يا الهي ! أنت رهيب قال تعالى : ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ جامعوهن واطلبوا ما كتب الله لكم من الولد .

رد فريد باسما : هذا احد الأقوال .

قال : ازددت بك إعجابا يا أستاذ فريد ! لكن لماذا لا تصلي وتصوم ؟

قال : صليت صغيرا وصمت صغيرا

قال : كنت أظنك ملحدا لا دينيا .. متى نجلس ونتناقش علميا أيها الزميل الفاضل .. فكما تعلم أن الدين حث على الاستمتاع وحث على الأبناء والأحفاد ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾

أجاب : أنا لا انكر ذلك ؛ لكنني لست مستعجلا على ذلك .. لم يأت زمن الخلفة .

ـ إلى متى ؟ وهل تظن أن ذلك متيسر وقتما نريد ؟ ذلك بيد الله وأمره وقدره .. تمضي سنوات وهو يعاشر الزوجة ، ولا تحمل ؛ لكنه راغب بالحمل والذرية .. صحيح نحن نستعمل الموانع

لعدم الإنجاب من حبوب وغيره لغاية صحة الزوجة وتنظيم النسل والمباعدة بين المواليد

عاد فريد يقول : أنا ذكرت لعزام واخته وحماتي بأن الخلفة مشطوبة من قانوني يا أستاذ فاروق ووافقوا على ذلك وبناء على القبول للشرط وافقت على النكاح .

فكر فاروق قليلا وسأل : أعندك مشكل في الإنجاب ؟ عقدة.. قصة

قال : لا عقدة ولا حكاية .. لم افحص ؛ لأنني فعلا غير راغب .. وانصح صديقنا وزميلنا عزاما أن تكف أخته وهو عن هذا الطلب إلى أن يحين الوقت المناسب لي .

قال بحيرة : فكرك وتصميمك احد عجائب الدنيا .. هل أنت صالح للخلفة ؟ هل أنت متأكد من ذلك .. كثير يتزوجون ويمكثون سنوات قبل أن يوهبوا بطفلهم الأول .

***

زاد الجدال في استقرار زواج فريد مع أهلها ومع زملاء المدرسة ، وكثر تدخل الإدارة والأساتذة لتغيير فكره نحو الإنجاب ، وحول استقرار زواجه من أخت عزام صديقه منذ عملا معا في المدرسة ، وتعرض للوم بعضهم وعتبوا عليه من الزواج أصلا ، واستغرب بعضهم كيف قبل عزام وأهله هذا الشرط ، وأبى كل الإباء للخضوع لضغطهم ولتركه لموانع الحمل الخاصة بالرجال ، وزاد التلويح بالانفصال وهذا ما توقعه الزملاء ، حتى أن البنت أخذت تشجعه على الطلاق ، وأنها ملّت منه لتستفزه اكثر ، وطفق عزام يتصلب منه ومعه ، ويقلل من اللقاء به سواء في المدرسة أو خارج المدرسة ، وهو يعزف على أنه بعد حين سيلين ويسعى للبنوة ، واذا كان يعاني طبيا لسوف يتحرك للعلاج لاستقرار زواجه ، ولما مضى العام الثاني وكل فريق على موقفه وافقا على الانفصال ، وكان الطلاق ودفع مؤخر الصداق، وعادت إلى بيت والدها بما ترغب من العفش .

فقال له فاروق : ما كنا نأمل أن تصل إليه يا أخ فريد !

ـ كان متوقعا .. لما بدأت تتحدث عن الأطفال .. اخوي صار عنده أربعة وأختي خمسة

قال فاروق : بنات الشرق والمسلمين يحببن كثرة الخلفة والتنافس فيها .. انظر لأمهات الجيلين

الماضيين كم كانت تنجب الأمهات ؟ اليوم أربعة خمسة وقليلا من يزيد وحتى أقل مما ذكرت تأثرنا بالأوروبيين واحد اثنان كفاية

قال فريد : الحياة المادية متعبة يا أستاذ فاروق .. لذلك تجد أهل الريف والقرى يحبون كثرة المواليد فنفقاتهم متيسرة .. وما يأتيهم من دخل يغطي أحوالهم .. وأما أهل المدن فيتقللون حتى أنك تلاحظ الأغنياء .. الأغنياء ولد وبنت وكفى .. والفقراء كما قلت خمسة ستة حتى دزينة لا تفرق عندهم

ـ على كل قدر الله وما شاء فعل !

ـ أحسنت هذا مقدر !

قال فاروق : كان بإمكانك ولد أو ولدين .. لن تعجز عن العناية بهم وامرأتك عاملة مثلنا

ـ ذلك سيفتح الباب للثالث والرابع

قال مستغربا : أنا اعجب من وجهة نظرك نحو الأطفال .. وأنت لم تجرب ، وقلت لي كذا مرة ليس لديك موقف وعقدة إلا اذا كان يتمك أنت وشقيقك غسان سبب لك هذا الخوف مع أنني اعلم أن والدك من الأثرياء، لم تحتاج يوما لطعام ولباس .

قال بحيرة : لا أدري فعلا السبب في عدم حبي للأطفال والإنجاب .

لطفي وأمريكا

أما في أمريكا فذكرنا أن لطفيا تزوج البنت بنت عم فريد ، وتقدم لدائرة الهجرة للحصول على الجنسية لزواجه من أمريكية الجنسية ، وتبين أنه بعد حصوله على الكرت الأخضر عليه أن ينتظر ثلاث سنوات ؛ ليحصل على الجنسية بسبب زواجه من مواطنة أمريكية .

واشتغل السيد في سوق كبير قريب من حي سكنه مع ابنة عمار عيسى ، وكان مسئولا عن محاسبة الزبائن على صندوق الكاش أي المحاسبة للمتبضعين ورواد السوق .

ذات مساء أصابه تعب اضطره لمغادرة السوق قبل انتهاء فترة العمل ، فذهب للعيادة واشترى الأدوية ، وعاد للشقة معتقدا أن جاكلين زوجته في مثل الوقت في المستشفى كالعادة ، ففتح

الباب بمفتاحه الخاص فخرجت المرأة من غرفة النوم ؛ كأنها متفاجئة من عودته مبكرا، وكان يتبعها رجل ، فصعق لطفي وهو ينظر إليهما ، ولم يتكلم ولم يحتج ، ثم سمع الرجل يودعها ويعدها بلقاء قريب ، فلما أغلقت الباب خلفه عادت للصالة وأشعلت سيجارة . وقالت بهدوء : تكلم لهذه الدرجة الصدمة !

كان يحد النظر إليها وقال بصوت هامس : بماذا أتكلم ؟!

قالت : أي كلمة .

لم يفعل ولم يستفسر ؛ بل ذهب لغرفة النوم ووضع ثيابا في حقيبة ، وقال وهو يقف على الباب : وداعا

قالت بنفس الهدوء : كما تريد ألا تحب أن تعرف من هو ؟

رد : غير مهم

وغادر إلى احد الفنادق ليقضي ليله ، وهو يقول لنفسه : خائنة ! ولم تكن أول مرة .. تلك البطاقة قرب السرير لابد أنها من احد العشاق .

في اقل من أسبوع تعرض لإطلاق نار في المتجر الذي يعمل فيه ، ولم يقتل ؛ لكنه أصيب بذراعه ونقل إلى احد مستشفيات الحي وقال الذي اطلق عليه النار : عد لبيتك هذا إنذار .

وخلال التحقيق كلف زميلا له في المصلحة بحجز تذكرة إلى بلده ، ورفض اللقاء بجاكلين وبأبيها عمار ، ولم تحسن وضعه من الإصابة سافر سرا إلى بلاده ؛ ليكمل العلاج والنجاة من عصابات نيويورك ، فله خبرة تكونت خلال سنتي المكث في ارض الأمريكان .

رحلة فريد لمصر

طلق فريد أخت عزام وقدم استقالته من المدرسة المتوسطة ، وسافر إلى مصر لدراسة الماجستير في جامعات مصر أو الأزهر أو دار العلوم ، ولما بدا الدوام باشر الدوام والدراسة .

لما توترت الصداقة بينه وبين عزام واخته أخذ يحسم خَطبه في الدراسات العليا ، كان قد راسل مكتب محلي لتأمين مقعد ماجستير في مصر ؛ لأنه توقع حصول الطلاق ، لما تكثفت الشفاعات

من اجل تحقيق غاية من غايات الزواج الولادة ، فلما أتم قضية الطلاق ، ودفع الحقوق المترتبة عليه تجاه المطلقة سافر للتعلم وقدم استقالته من التدريس ، لم تكن أول مرة يدخل فيها مصر فلما تزوج الزوجة الأولى بنت الصياد قضى شهر العسل في الإسكندرية .

وتعرف على القاهرة والجيزة حيث تقبع أهرامات مصر الثلاثة ، وكان يفكر برحلة للأقصر وأسوان ، ولم يتمكن من ذلك ، التحق بقسم اللغة العربية في جامعة الأزهر لدراسة ماجستير في قواعد العربية النحو والصرف ، وهناك التقى لأول مرة بالدكتور الشيخ حميد الدين ، وسعى لتقوية العلاقة معه بعدما عرفه جيدا ، واعجب بعمق سعته بالعربية وفروعها ومع الوقت اصبح يزوره في مكتبته الخاصة التي تحوي عشرات الألوف من الكتب والمجلات في اللغة والتاريخ والثقافة ، وتبين له أنه ورثها عن أبيه ، واستمر يزيدها حتى اصبح مرجعا معروفا لطلاب اللغة العربية والثقافة الإسلامية في أنحاء العالم العربي والإسلامي وبعض الدول التي فيها جاليات إسلامية كبيرة .

ولما تعمقت العلاقة بينهما تعجب حميد الدين من عجزه عن الصلاة والصيام مع شغفه بقراءة القرآن وتفسيره وفهمه وقال له : لم التناقض ؟

قال موضحا : أي تناقض يا دكتور ! منذ بلغت هجرت العبادات والروحانيات

قال حميد : قد يتوقف الإنسان لفترة وجيزة تأثرا بفكر الملحدين والعلمانيين ، ثم يعود خاصة من هو مهتم بالقرآن والتفسير .

قال فريد بحزن : والله احب الدين والإسلام ؛ لكنني ضعفت عن الالتزام به

قال الدكتور : هل من أسباب للضعف ؟ فأنت محاور جيد .

بين فقال : ثقافة يا سيدي ! التدريس في المدارس لا يحتاج لجهد كبير ..كل سنة تعيد تكرار ما علمته في السنوات الماضية .. المتغير هم التلاميذ .

فعقب الدكتور : يستطيع النبيه أن يطور الأساليب ويرغب الأطفال بحب اللغة العربية التي كرهها لهم رجال الاستعمار وبغضوها في قلوب الأجيال المنبهرة بالغرب والروس .. فها هو

الاتحاد السوفيتي تفتت وانهار ، ولم يبق لديه فكر ، بقي على القوة العسكرية التي امتلكها أيام عنفوانه .. كانوا يظنون بفكرهم الإلحادي سيحكمون الغرب والعالم ؛ ولكنهم سقطوا بدون رصاصة واحدة

قال : الرأسمالية يا سيدي الدكتور ما زالت قوية !

عقب حميد الدين : تتظاهر بالقوة ؛ لأنه لابد أن يكون في العالم قوى تتصارع .. هكذا تبين صفحات التاريخ القديم والمتوسط والمعاصر .. كم مر على تاريخنا نحن المسلمين من تقلبات ودول وأنظمة .. أين هي الآن الرأسمالية يا أستاذ فريد ؟ ضعيفة من أساسها .. والدليل الحروب العالمية .. كم بذلوا من المال والعقول ليصنعوا الأسلحة ..وهم رأسماليون يتصارعون أين كانت بريطانيا قبل قرن وفرنسا ؟ لكنهم يطورون انفسهم كلما ضعفوا .. فاخترعوا التأمين الاجتماعي لإبعاد الناس عن الشيوعية .. فيجدون البديل لعيوبهم لا يصمتون .. الروس لم أرادوا الإصلاح فشلوا وتهاوت الشيوعية التي فتكت بالعالم في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لو قرأت عن الثورات في أوروبا لادركت ضعف الرأسمالية .. ولما رأيت النازية تحكم أوروبا ولو بضع سنوات والفاشية في إيطاليا ؛ ولأنهم اعتمدوا على العنف والقتل سقطوا سريعا

قال : في رأيك أن الرأسمالية ستزول !

قال بحزم : أكيد ؛ لكن لابد للناس بديل .. يا سيد فريد هل رأسمالية النهضة الأوروبية مثل رأسمالية اليوم ؟ كيف كان عمال المصانع أيام الثورة الفرنسية وعمال المصانع اليوم .. قديما لم يكن للعمال ساعات للعمل وتأمين اجتماعي وضمان اجتماعي وصحي وتأمين إصابات عمل حتى في النظم الشيوعية تجد مثل هكذا مؤسسات .. أنا المهم في النهاية ارغب بأن أراك مصليا ونافعا لنفسك وامتك .. ولست أول من يتزوج مرة أو اكثر ويطلق .

***

لما أعلم أمينا بحصوله على الماجستير في اللغة العربية ، وأنه سجل للدكتوراه تفاجأ بزيارة من والده أمين ، ووجده يعيش في شقة مع طالب إندونيسي اسمه عبد المجيد محمد يوسف وقضى

معهم أسبوعا ، وخلال الأسبوع حاول إقناع فريد بالعودة لتوتة وإكمال الدكتوراه في البلاد
فقال فريد : طاب المقام في هذه البلاد .
فقال أمين : يمكنك دراسة الدكتوراه في جامعات الوطن .
ـ إنها مصر يا أبي ! وفيها الأزهر أعرق جامعة في الأرض .
ـ لا أنكر ؛ لكن أيام الأزهر التاريخي ولت .. فهو كأي جامعة عربية
ـ الاسم له رونق بين العامة والخاصة .. وشهادته مقبولة في كل بلاد الدنيا
واعتذر لأبيه ، وأنه احب مصر ، وأنه يفكر بالزواج من فتاة مصرية ، وبين له الوالد الحاجة إليه بقربه بعد اختفاء غسان في قبرص أو اليونان فقال مواسيا : سأفكر بالعودة بعد الدكتوراه اذا لم أتعاقد مع احدى الدول الخليجية مع جامعة أو العمل في جامعات أوروبا أو أمريكا ، لم يعد هوى بلادنا يطيب لي .
فعاد أمين لتوتة على امل عودته لبلدهم .
كان فريد قد تعرف على طبيبة مصرية أثناء تردده على عيادتها لوعكة صحية المت به ، والطبية فتحت له المجال للحديث معها ؛ بل أصبحت تواعده للقاء في احد مقاهي القاهرة الأدبية حيث يلتقي أدباء وشعراء للحديث حول الآدب والثقافة ؛ فكلما تتصل به يذهب لذلك المقهى الأدبي كان لديه رغبة بالزواج منها .

رسائل جاكلين

في مدينة توتة تلقى لطفي رسالة من جاكلين تدعوه للعودة لأمريكا لإكمال إجراءات الحصول على الجنسية أو إكمال عملية الطلاق بشكل رسمي .
وبينت له في الرسالة أن لا دخل لها بما تعرض له من اطلاق نار في المحل ، وهذا امر شائع في أمريكا كلها ، وان الرجل الذي وجده معها هو زوجها الكندي أتى ليعيدها لذمته وأنه ندمان على آذاه لها وهجرها ، ويرغب بها ويسعى لإقناعها بالعودة لكندا والتخلص منه ، ولكنه لم يصغ لتوسلاتها ، وعاد للعمل في مواد البناء مستقلا عن أخيه جلال .

ولما لم تتلق إجابة أرسلت رسالة أخرى تهدد فيها ، إن لم يطلقها رسميا فستحمل وتزعم أنه منها ، فقال جبر : لا تصدق ذلك يا لطفي فلك سنوات هنا وكيف ستحبل منك وأنت تعيش معنا .. وعن طريق السفارة طلقها رسميا

قال لطفي : ستطلب مالا أو نصف مالي

قال : الك رصيد هناك ؟

رد : سحبته حين هربت

قال جبر : اتصل مع عمار ووكله بإجراءات الانفصال

قال بتردد : سأتزوج من هنا ؛ فأنا لم احصل على الجنسية ، وسأطلق عن طريق السفارة وعن طريق محامي دولي

قال بفضول : من ستتزوج ؟!

قال مفهما لصديق العمر :التقيت بامرأة مطلقة وحسناء ، وتطلقت من زوجها بسبب عجزه عن الجماع .. وهي امرأة غنية ليست محتاجة لمالي

قال : أين التقيتها ؟

قال مشبعا فضول جبر : كنت من أسابيع في مسرح أغير من جوي العكر ، وجلست بجوارها وخلال المسرحية تعرفنا على بعض

قال : وماذا تعمل ؟

أجاب : بناء على كلامها لا تعمل بيدها ، تستثمر أموالها ، وبعد كم لقاء وعدت بدعم عملي واذا حصل الزواج ستصبح شريتكي .

قال مستغربا : وصدقتها !

قال ضاحكا من دهشة جبر : ولم لا اصدقها ؛ إنها تبحث عن زوج ؛ كما نبحث .. هي تبحث والتقينا .. واعجب كل منا بالآخر وتناولنا الطعام في كذا مطعم .. وسأزورها في بيت أهلها للحديث بشكل جدي .. فقد عرفتني على شقيقها اسمه صدومة

قال : يعني لها أهل .. ما اسم عائلتها ؟

قال : اسم عائلتها غير شائع هواربية

قال جبر : سمعت بهذا الاسم .. أين لا ادري !.. أتمنى أن تجد فتاة تناسبك .

قال : هي أنثى كغيرها .

زواج لطفي ويارا

لما شاع زواج لطفي في الحي وبين الأقارب سر والده زياد من ذلك ، وادرك أنه نسي أمريكا ومن فيها ، وساعده بالانفصال رسميا عن جاكلين بواسطة مكتب محاماة ، وتكفل بنفقات الدعوة والطلاق ، وكان رصيده المالي في توتة وأمريكا صفر ، فجرى الأمر سريعا دون معوقات كبيرة .

ولما جاءت الرسالة الثالثة من جاكلين شكرته على الطلاق ، وتمنت أن تكون معه للابد ، وأعلمته أن والدها منذ بدأت تكتب له لم تره ، فهي قد عادت للعيش في شقة عمار فقالت : خرج ذات يوم ولم تعلم أين ذهب ؟ وهو من الأصل لم يطلعها على تفاصيل عمله وحياته ،كان جل وقته مع صاحبته وأصحابهن ، كانت شقته مجرد منام لها ولأختها ، وكل وقتهن في العمل والإجازات في السياحة إلى الشواطئ والغابات بين أمريكا وكندا ، وتطلب منه أن يبقى على تواصل معها ؛ لأنها لم تنس الأيام التي عاشت فيها معه وتمنت لو لم يتعجل بالهرب .

فقال متهكما : كدت أخسر روحي من أصدقائك

فقالت : صدق أنهم ليسوا أصدقائي ، ولماذا اطلب منهم أن يعتدوا عليك بالرصاص ؟ وأنت تقبلت الأمر بروح رياضية ، لم تحتج معي ولا مع زوجي الأول

ـ زوجك الأول خرج من غرفة النوم وكنت في ملابس النوم .. ولقد طلبوا أن ارجع للوكر

ـ الوكر !! هذه قسوة لا تناسب اسمك اللطيف اذا فكرت يوما بالعودة لتحقق حلمك بالجنسية الأمريكية ستجدني مُرحبا بك .

ـ لم تعد تناسبني ، فقد تزوجت ابنة بلد كما نقول هنا

ـ أهنئك من كل قلبي .

طارق يصدم غسان

نقل طارق لغسان في رسالة اسم زوجة قريبه لطفي زياد وهو نفسه صدم من زواجهما وكيف وقع ،فاستغرب غسان بدوره من هذه الزيجة ، وطارق وعبده استغربوا قبله ، وكيف سقط في شباكها ، فكتب لأبيه أن يرسل له تلفون ابن عمه زياد وحصل ذلك ، فقال لزياد بعضا من قصته معها ، فدهش زياد للخبر وصعق ، وأعطاه رقم لطفي ، وطلب من لطفي الحديث مع ابن ابن عمه بدون علم زوجته لكلام خطير سمعه منه ، وكان الاتصال فصدم لطفي مما سمع فهو أثناء مغامرة غسان معها كان يعيش في أمريكا ، ولم تشتهر قصته مع المرأة إلا أنه تعرض لمشاجرة كما قال للشرطة ، وتلقى رسالة فيها تفاصيل المغامرة ؛ مما دفع لطفي للسفر إلى قبرص للقاء غسان ، وكان كل هذا دون علم الزوجة .

***

هاجر السيد غسان كما نخبر إلى اليونان ثم انتقل منها لقبرص اليونانية هربا من أهل عشيقته يارا وتفاديا للصراع وهربا من الزواج بعد أن كان العشيق الذي تسبب في طلاقها من سفين، كان غسان يعمل فنيا في محطة تصليح مع شاب عربي لبناني عرفوه أثناء عمله على الشاحنات الكبيرة وآخر قبرصي يوناني صديق حمودة العربي ، ويتشارك سكنا مع آخرين ، استقبل لطفيا في مطار قبرص ، وذهب به لأحد المطاعم التي يرتادها ، ثم جلسا في مقهى ، وروى له قصته مع المرأة التي نكحها لطفي منذ تعرف عليها وحبسه بسبب رفضه الزواج منها بعدما طلقها رجل الأعمال ، وذكر لطفي أنها صدفها أول مرة في مسرح ، وتحدثا ثم تطورت إلى علاقة عمل وصداقة ثم زواج ، وهي ساهمت معه في توسيع نشاط المحل وأصبحت شريكته وشقيقها صدمة يعمل معه نيابة عنها ، وحدثه عن فشل زواجه بابنه عمه عمار عيسى ، وطلب نصيحته قبل الذهاب لاحد الفنادق فقال : الأمر بهذه القصة معقد أعني الشراكة التجارية ؛ لكن تأنى بالانفصال ؛ لعلها انصلحت بعد هذه السنوات من الفساد ، مع أني لا اعتقد أنها لم تصاحب

خلال هذه السنوات التي هربت منها ومن أهلها .. تأنى .. وعليك بمراقبتها دون أن تعرف بأنك عرفت أفعالها القبيحة ولا تتورط معها بإساءة، وذكر لها قصتها مع شقيق زوجها حتى أدت إلى انتحاره بفضيحة .

فدهش كثيرا من قصة مسلاط شقيق سفين .. وكيف قبل أهل الزوجين بمثل هكذا علاقة شيطانية ؟

فأجاب غسان : الانحلال الجميع منحل !

فقال لطفي مصعوقا وهو الفهمان كما يدعي كيف وقع صيدا سهلا لها ولأهلها : من اجل ذلك جئتك للاستبصار .. فأنا وإياها شركاء .. والشراكة هي سبب عماي عن ماضيها .. ظننتها مجرد امرأة مطلقة ومتعثرة في زواجها .. فاليوم النساء تطلق بسبب وبدون سبب ..فأنا لي النصف ولها مثله .. والخبيث صدومة يسكر ويزني على حسابي ، وهو لا يعمل شيئا في المحل يحضر قبل الظهر يتأفف ويتذمر .. وبعد الظهر أو قبل العصر بقليل يأخذ فلوسا وسجل على الدفتر وعند آخر الشهر لا يقبل الحساب واخته اللعينة اخصم مني .

قال غسان : قضيت أنا وهو وابن عم قريب لهما شهرا معا في سجن الشرطة ..هو عايش على جيبها .. وهي كانت تلهف من سفين لتصمت عن عجزه معها ..عيلة فاسدة ..ظروفك تتطلب التأني .. فأهلها تسببوا بحبسي شهرا كما رويت لك ..غير ما دفعناه لصاحب المقهى بدل التالف والمكسر .

قال آسفا : ومن يومها وأنت تعيش هنا

قال بغم : اجل ، اختصرت الشر .. هؤلاء أناس أشرار ومتعودون على الحبس ، كما سمعت من الشرطة

الدكتور فريد

قبل أن يناقش فريد رسالته في الدكتوراه توفي جده عيسى ، فترك القاهرة وشارك مع أهله ووالده في جنازة الجد وعزاه بوالده وعزى عمه عماد وعماته الثلاثة ، وقضى معهم أيام العزاء

الثلاثة ، وسأل والده هل أخبرتم العم عمار بوفاة أبيه فقال : أنا لم اخبره ، ولم نستلم برقية منه فلا ادري هل بلغه عماد؟ .. أنا عمار شطبته من عهد ليس بالقريب .

وقبل السفر التقى بعزام حيث قدم لعزاء والده أمين ، ودار بينهما عتب لطيف ، وتمنى عزام لو استمر النسب بينهم ، وعلم فريد منه أن زميلا لهما تزوجها بعد انتهاء عدة الطلاق ، وقد ولدت طفلا وهي حامل ، فدعا لها بالبركة والسلامة ، وغادر لمصر لإكمال الدراسة العليا .

***

ذكرنا أن فريدا تعلق قلبه بالطبيبة هالة بلاسم ، وصار يرافقها لمقهى الأدب طمعا بأن تلين وتقتنع به زوجا ، فهي كانت متزوجة من طبيب لقي حتفه بحادث سيارة ، وكان أيضا يحضر ندوات الدكتور حميد الدين عالم البلاغة في جامعة الأزهر ؛ فكان معجبا بشيخه ومدرسه ، وكلما فاتح هالة الطبيبة برغبته بنكاحها ترفض وقالت : بعدما ترملت لم أتزوج وليس يعني ذلك وفاء لزوجي ؛ إنما كرهت تلك العلاقة معهم .. وأعلمته أنها عندما تكتب رواية خير من معانقة رجل . ورشحت له زميلة لها تحضر معهم جلسات الأدب والروايات .

عودة لطفي

لطفي قضى ثلاثة أيام في صحبة غسان ، وعلم كل منهما تفاصيل علاقتهم بالمرأة ، وقال وهو يغادر الجزيرة : عليّ أن أتصرف بذكاء .. أنا بعد معرفة كل هذه المعلومات عنها أتعجب كيف وقعت بهواها وتحررها ؟!

رد غسان سعيا للتفسير والتحليل : اعتقد يا صديقي أن فشل زواجك من جاكلين عمار ساهم في زواجك منها ؛ لتشعر أنك انتهيت منها نهائيا .. كانت حياة صعبة في أمريكا

ابتسم ورد : كنت سعيدا .. وأحس أنها لي وحدي ، وأنها متزوجة بعربي عن قناعة وحب ؛ ليس كيدا بزوجها الكندي ، حتى وجدت مرة في غرفة النوم بطاقة عليها اسم رجل لم اسمع به .. فتشوشت وقلت هل وقعت منها ؟ ولكن لما سألتها من هو صاحب الاسم المكتوب قالت : من أين عرفته ؟! تفاجأت من السؤال فعلا ، وانتهى الموضوع بنظرة غريبة منها ، ثم

صارت تذهب لسهرات خاصة مع صديقة لها وحاولت هذه الصديقة إغرائي لمضاجعتها ، ومرة قالت بأسلوب المزح جاكلين مع وذكرت اسم صاحب الكرت وأنا معك نعم ذكرت اسم الرجل المكتوب على البطاقة .. فعادت لقلبي الوسوسة إلى أن عدت للبيت مريضا من العيادة .. ووجدته يخرج من غرفة النوم فأدركت انه وضع البطاقة في غرفة النوم عمدا لأعلم أن لها عشيقا حتى لا أتفاجأ بها .. فعرفت أنها خائنة .. وأنها زانية من قبل ارتباطي بها ولا تعرف الشرف ولا تهتم به .. وزعمت فيما بعد برسالة أنه زوجها القديم يسعى لعودتها إليه ويسعى لذلك في غرفة النوم .. ولكني عرفت اسم زوجها من أختها بسؤال خبيث فعرفت أنه عشيق جديد .

***

عملت المرأة يارا تحقيقا مع لطفي لما رجع من رحلته القبرصية ، وكان أهم شيء في نظرها كيف امضى وقته مع النساء في قبرص ؟ فنفى فعله ذلك ؛ كما لم يفعله هنا . وذكر لها قصة خطبته لفتاة درسا معا وكيف فسخ الزواج ، وتفاجأ بسؤالها عن غسان أمين فقال متظاهرا بالحيرة : من غسان ؟!

فقالت بخبث : ميكانيكي تعرفت عليه وكنت اصلح سيارتي عنده وهو وشريكه طارق .. فهو من نفس عيلتك من آل بشبش

فقال بسذاجة : آ .. لدينا كذا غسان في العيلة الكبيرة .. تذكرته لابد أن يكون غسان أمين .. أبي ابن عم أبيه كيف تعرفينه ؟ أنا لا اصلح عنده .

قالت كأنها تتذكره : قلت لك كنت اصلح سيارتي القديمة في ورشته .. كان متزوجا فتاة من بيروت وطلقها

ـ تذكرته جيدا ؛ كنا نقول عنه زوج اللبنانية .. ولكن علاقتي به علاقة مناسبات عائلية كبيرة حتى قبل زمن قريب مات جده عيسى بشبش شقيق جدي عطوان ولم يحضر الجنازة .. ولم نره

قالت متظاهرة بمصدر معلوماتها : علمت من شريكه أنه هاجر اليونان أو قبرص .. انتم

أقارب لزم

ـ نحن كما قلت أبناء عمومة .. جدي اخو جده

قالت بزعم الفضول : هل بينكم علاقة ولقاءات ؟

فعاد مؤكدا ومجاريا جهله : لا ، فقط علاقة مناسبات اذا تصادفنا .. سمعت أنه سافر أوروبا

فعادت تقول : هل قابلته في قبرص ؟ لأني علمت علم اليقين أنه يعمل هناك .

قال : لا ، لم أقابله .. ولماذا أقابله؟! .. أنت إذن تعرفينه بشكل جيد .. استشف من كلامك .

تجاهلت الغمز فقالت : عن طريق مكان التصليح .. معلم جيد ومخلص في الشغل .. وأثناء وجودي سمعت بعض قصته وزواجه من بنت بيروت

كرر فقال : لا اعرفه جيدا .. مجرد أقارب ..واعرف والده بنفس المستوى ..وقد حضر عرسنا فهو عاش يتيما من الأم ..وتزوج امرأة من بيروت كما قلت ، وخانته في عرضها ..وتركها تعود إلى أهلها.. قصص كهذه تنتشر وتشيع في العائلة

قالت :كأني سمعتها منه أثناء انتظار تصليح السيارة .. هل تعلم أنه عرض عليّ الزواج ؟

ـ لا أعلم .. ولماذا لم تتزوجيه ؟

ـ أمي جاهل وأنا معي جامعة ، لم يدرس المسكين .. والزواج نصيب

متظاهرا أنه مقتنع بالجواب : صحيح .

***

سعى لطفي زياد ـ وهو يستغرب معرفتها الغاية من زيارته لقبرص ، ولكن الحوار معها أكد له صواب قصة غسان ، وأنه كان بينهما علاقة إباحية ـ لمقابلة زوجها الأول ، والتقيا ذات ليلة في نادي السيد نادي رجال الأعمال الخاص بنشاطهم وتسليتهم ، وقال له بعد الضيافة والتعارف : التقيت بمطلقتك في مسرح وتزوجنا ؛ ولكنني علمت أن سبب الطلاق فسادها واتخاذها العشاق .

أجاب بدون تردد : نعم ،هذا صحيح .. ولابد أنها خدعتك .. ومن أرسلك عليّ بعد الزواج

قال : المحزن أنني سمعت عنها حقائق بعد الزواج لأن فترة التعارف كانت قصيرة

قال سفين : للأسف الناس تكذب .. أنا تزوجتها عندما أصبحت سكرتيرة في شركتنا الخاصة لقد اشتغلت معي في المؤسسة التي أديرها .. هي متعلمة تحمل شهادة كأي موظفة لدينا فأحببتها كعادة الناس أو توهمت أنني أحبها وتزوجتها وعشت معها عشر سنوات .. وكنت ـ دعني أقول بصراحة ـ قبل معرفتي بها متعلقا ببنات الهوى واذهب إليهن .. فضعفت طبيعتي الجنسية ، وصرت أتعالج في الداخل والخارج ثم قررت الكف عن معاشرة المومسات والزواج بزعم الركاز ..فكانت هي الزوجة ، ثم اكتشفت أنني عاجز عن إتمام عملية الجماع .. فتساهلت معها وصرت أمارس الفاحشة مع بنات الليل .. فهنّ يقدمن خدمات مقابل المال .. وبدون اتصال جنسي .. لم تطلب الانفصال .. وهي استطاعت أن تصيد شقيقا لي فأصبح الزوج البديل ..فلما عرفت تألمت وكلنا لزم الصمت لحين ، لم تحبل منه ؛ لأنها من قبل معرفتي بها تأخذ موانع الحبل وصدمت أنا وأهلي وأهلها فلما شاع الأمر في الأسر فقتل مسلاط أخي نفسه .. أنا كنت أظن في الأول أنها التهت بالرحلات والأفلام والمسارح ومداعبات اقدمها لها وفي الحقيقة أنها كانت قد وجدت البديل ، ولم تطلب الطلاق وبعد انتحار أخي لم اعرف عشاقها إلى أن علقت بشاب يعمل في تصليح السيارات فوقع في شباكها ؛ لأنه فاسد في الأصل وبعد حين أخذت تجلبه للبيت حتى عرف أهلي وانكشف الأمر ، فاعترفت لأهلي بأني غير رجل .. وأني مريض جنسيا ..فأجبرت على طلاقها بطلب من إخواني والتخلص منها .. فقمنا بتأديب الشاب الميكانيكي .. وها أنا اعلم أنك تزوجتها .. كنت أظنها ستقضي شبابها في دار دعارة تنتظر الزبون كل ليلة

قال لطفي بحسرة وندم : كما رويت لك .. التقينا في مشاهدة مسرحية ، ثم تطورت العلاقة إلى صداقة إلى أن تزوجتها وأشركتها في شركتي الصغيرة .. فهي تملك المال فأغرتني به كشريك اذا حصل زواج بيننا وحصل فنحن شركاء بالنصف لكل منا .

كلام في المسرح

بعد أيام من الاتصال بزوجها الأول ، وكان لطفي وزوجته في مسرح الشرق يحضران مسرحية بعنوان (سيدتي الأميرة) مترجمة عن الأدب الغربي قال بشكل فجائي : هل تعلمين بأني تقابلت مع رجل ، ثم تبين لي أنه كان زوجك الأول ؟

نظرت في عينيه دهشة : زوجي سفين

قال بسذاجة : نعم ، هذا اسمه .. كنت أحاول أن أتذكر اسمه ..كنت مع صديق في شركته وتعرفنا فذكر لي هذا الصديق هذا الرجل تزوج من مطلقتك فتعجبت ثم قال : وكانت هذه المرأة شريكتك موظفة عنده فقابلته فقال لي : هذه كانت امرأتي فعلا في يوم من الأيام فقلت له : أنا اعلم منها أنها قد تزوجت مدير مؤسسة خاصة ولم تذكر لي اسمه فقال : أنا هو عشنا عقدا معا .

فقالت قبل أن تعرف سبب الزيارة للمؤسسة : وهل تحدث عن سبب طلاقنا ؟

قال : أشار إلى أن ضعفه الجنسي السبب ، ولم افهم عليه

قالت بابتسامة صفراء : كان عاجزا عن ذلك العمل .. مريض بالعنة عنينين

فقال : خجلت فلم أتوسع معه في ذلك ، ولكنه حقيقة أساء لي ولك مما دفعني لعدم تصديقه

فقالت بسخط بين : ماذا قال الملعون ؟!

قال : قال إنك خنتيه مع شقيقه مما أدى لانتحاره ..هل هذا يمكن ؟ شيء لا يصدق !

قالت بحدة : في البيت نتكلم

قال : هو الأفضل .. هو الذي ذكرني اللقاء حديث الممثل عن خيانة الأزواج .

قالت بصوت ارتفع قليلا : عندما نعود نتحدث

ولما رجعا البيت أعادت فتح الحوار فقالت : ولماذا أخذك صديقك لشركته ؟!

قال بسذاجة : قريب له اسمه زاهي .. تعرفت عليه أيام الجامعة ولما علم بزواجي وسأل من أي عيلة عيلتك .. وعن الشراكة بيني وبينك فبدأ مستغربا وقال علينا أن نذهب لمقابلة ها القريب فقد كان متزوجا من امرأتك .. فالفضول دفعني إلى المسير

قالت بتفكر : زاهي لا اعرفه

قال : وهل تعرفين كل أقاربه ؟

قالت : لا وأنت كيف تعرفه ؟

رد ببلاهة : هو مهندس ، ويأخذ بضاعة من عند شقيقي شريكي السابق .. لعل جلالا حدثه عن زواجي وعنك فأحب اللقاء بي لذكريات الجامعة .. ربما أراد أن يعرفني أن قريبه زوجك السابق بحجة الحاجة

قال : لعبة .. أنت منذ عدت من قبرص لم تعد لطفيا الحبيب

قال : سأسافر إليها قريبا

قالت بحيرة : لماذا ؟

ـ سياحة اذا أحببت مرافقتي فمرحبا وأيضا عقد صفقات .. استيراد مواد للبيع هنا

قالت : وماذا افعل ؟ أنت تذهب للسكر والفجور والفحش ..والمواد حجة وتبرير لست حمقاء يا لطفي !

رد بجفاء : السكر موجود هناك وهنا ومثله الفجور .. وكثير من بضاعتنا نشتريها من هناك فبضاعة اليونان ودول البلقان توجد فيها .

قالت : كم يوما ؟

قال : لا ادري ! سوى الصفقات .. لقد وعدت ابن عمي بزيارته واللقاء به فقد ذكرتيني به فتحدثت مع طارق ابن خاله فأعطاني عنوانه .

صاحت : غسان !

قال : غسان .. سأسمع منه حكايته معكم

انهى فريد الدكتوراه، وكانت الطبية هالة عرفته على زميلة طبيبة مثلها اسمها ميسون ونشيطة مثلها في الحركة الأدبية المصرية وكتابة الروايات والمقالات الصحفية ، فعرفها من خلال جلسات الاستمتاع بالأدب والشعر في ذلك المقهى ، وأعجبته وهي طبيبة مطلقة مرتين ولم تلد من كلا الرجلين ، فقال لها : أنا لا احب المواليد لا تقلقي من هذه الناحية .

فقالت : سمعت ذلك من هالة ، وأنا اجتهدت أن احمل يا سيد فريد

فقال : ندع الأمر لله

ـ أنا فعلا احب الأطفال وتمنيت ذلك .

قال مرغبا بها : أنا في هذا السن لو رزقت طفلا سأقبل

ـ هل كتبت أو تكتب شيئا بما أنك دكتور لغة عربية ؟

تبسم وقال : لا ، لا ، كنت قبل مجيئ لمصر ادرس في مدرسة متوسطة .. واحب القراءة والتلخيص ؛ لكني لم أسع للتأليف أو حتى النقد والتعليق على ما ينشر .. لقد حمستني الدكتورة هالة للمحاولة منذ التقينا .. ولم أجد للحظة قوة لذلك .. وأنا قرأت بعض مقالاتك الصحفية والقصص القصيرة المنشورة في صحف الآداب والثقافية ولست ناقدا .

وأقام حفلة صغيرة بمناسبة زواجهما ، وكانت الزوجة ميسون مراد ترغب ببقائه في مصر والعمل ؛ وحاولت مساعدته بالاستعانة بأقاربها ومعارفها ؛ ولكنه لم يوفق للعمل في قطاع الكليات المصرية ، فبعد حين عاد برفقتها لتوتة وسافرت مع على مضض ، وسكن في شقته القديمة ، وتمكن من التعاقد مع جامعة أهليه في العاصمة لبلاده ، ورحل إليها بعد استئجار شقة ، وعملت زوجته الدكتورة ميسون في مستشفى خاص .

حاتم أمين

تزوج حاتم أمين بعد عودة فريد بأشهر ، وكان قد اصبح هو الآخر دكتورا في الشريعة الإسلامية عن رغبة أمه ، وحبها للتدين ، وتزوج من بنات أخواله فتاة متدينة ، واشتهرت بذلك

وسكن في عمارة والده أمين ، وكانت أختاه الاثنتان قد تزوجتا من أقارب أمهما قبله أيضا ، ولم يعترض الأب فعلاقته بعائلته لم تكن بتلك العلاقة الدافئة فقال فريد لحاتم عند حضوره وميسون للمباركة بالزواج فهو قد بارك له بالدكتوراه : زواج مبارك يا حاتم ..لك وللأسرة

قال : شكرا لك يا أخي الكبير وشكرا للدكتورة ميسون وجزاكم الله خيرا

والتفتت ميسون لأم حاتم : كل التهنئة أيتها الأخت الفاضلة وان شاء الله تفرحين بذريته

قالت : الشكر لك يا حبيبتي أنت والدكتور فريد .. أستاذ الأولاد يا دكتورة !

قال أمين : شكرا لكما أنا زرت مصر لما انهى فريد الماجستير رغب بدكتوراه مصر والأزهر

فقال فريد : الحياة العلمية والأدبية في مصر مميزة عن سائر الدول الناطقة باللسان العربي .. فأحببت أن أتعايش مع هذا الصخب والثراء .

قالت ميسون : مصر بلد التاريخ والحضارات والسلم والحرب يقصدها السياح والطلبة من اهم مدن العالم .

قال أمين : تاريخها كما قلت عريق ودولة بمعنى دولة .. والأزهر عراقة وعلم .. كان حلم كل شاب متدين أن يحصل على شهادة الأزهر مع أن ازهر عصرنا غير ازهر محمد عبده والعلماء الكبار

قال فريد : كثير من الأسماء الكبيرة في كل عصور الحضارة الإسلامية في مصر مثل العز بن عبد السلام وابن حجر العسقلاني والسيوطي كما في الشام والعراق .

أين لطفي ؟

سافر لطفي إلى قبرص مدعيا السياحة والشراء وعقد صفقات توريد للمحل ، وانتظرت يارا أسبوعا ، ثم آخر دون رسالة تلفون برقية حتى أنها أرسلت صدومة يسأل جلال زياد فعلم منه أنه سافر ولم يتصل بعد ، ولما مضى الشهر ولم يظهر والمحل منذ خرج مغلق ، وفجأة جاءها كتاب إشهار طلاق غيابيا مما صعقها هي وأسرتها كلها ، وبلغها محامي أسرة لطفي طلاقها غيابيا وسيعيش في قبرص مع قريبه غسان أمين ، ودفع لها حقوقها المالية كلها، وفسخ الشراكة

بينهما ، وعرضت البضاعة في المحل للبيع ، وابتاعها جلال وأخذت حصتها كاملة بإشراف من والدها وشقيقها صدومة .. وشرحت لأهلها أن زوجها الأول سفين قص على مسامعه خيانتها له وهذه نتيجة لقائهما ، فقال الأب : المهم حصلت على حقك المادي كاملا .. أنا لو كنت اعرف أن رجلك ابن عم لغسان لرفضنا هذا الزواج

قال صدومة : أنا عرفت القرابة بينهما بعد العقد في المحكمة .. وقلت لها هذه زيجة ستفشل ردت عليّ : أنا أظن أنه يعرف قصتي مع قريبه .

فقالت : سافر إليه قبل شهور فعرف ما كان بيني وبينه في البداية ، هو لم يعرف القصة ؛لأن الملعون غسان سافر فور خروجكما من السجن تحاشيا وتجنبا للسجن مرة أخرى

قالت الأم : كان عليك ترك سفين منذ عرفت أنه عاجز عن المعاشرة ، لكنك استغليت شقيقه المجرم وسقطتم في براثن الزنا

قالت بدون مبالاة : لما رأيته سكت وغير مهتم قلت زواج بدون عقد

قال الأب : الوضع كان خطأ ؛ لكننا نحن الآخرون لزمنا الصمت

فقال صدومة : عليك بإفراغ الشقة مما فيها .. فوالده زياد سيستولي عليها بدلا من الأموال التي دفعها .

***

كانت يارا في حالة يأس قاتلة ، فسافرت وشقيقها إلى قبرص للبحث عن لطفي والتفاهم معه للعودة وإلغاء الطلاق ، ولم يتمكنا من إيجاده ؛ إنما وجدوا غسان في مكان تصليح سيارات فقالت بصراخ وهياج : أين لطفي ؟ لقد انتقمت مني يا مجرم .

ضحك وقال : من لطفي ؟

قالت : لطفي زياد قريبك .. هو قال ذلك .

قال : لا اعرفه ، وليس لي قريب بهذا الاسم

قال صدومة : لا تستهبل علينا .. مرة أخرى انت سببت طلاقها منه من جديد

قالت بهياج وغضب : أنت بشبش وهو بشبش

رد ساخرا : آلاف الناس بشبش

قال شقيقها بحقد وبغض : أنت تعرفنا يا غسان وسجنا مع بعض قبل أن تهرب يا جار السجن أيها الجبان النذل

فقطع غسان سيل شتائمه وصاح : اسمع يا ولد .. أنا ازعر من قبل أن تولد .. أنا لا اعرف أين لطفي ؟ولماذا لطفي في قبرص ؟ هل ضربتوه وغدرتم به ؟ واعلموا أنني لو أعرف مكانه ما قلته لكم .

صاح صدومة وتهديد : اذا لم يأت لطفي إلى هنا غدا ظهرا ستندم .. أنت طلقت أختي من الرجل سفين ومن لطفي قريبك . وانصرف بأخته وهو يتوعد

***

ولما أتيا في اليوم التالي وكان غسان يقف عند صندوق السيارة الأمامي يصلح شيئا فيه وكان بالقرب منه صاحب السيارة يتابع التصليح وكان شريكهم العربي ينظر إليه عندما اقتربا منه المرأة وشقيقها ، وكان رفيقهم اليوناني يقف أمام المحل يدخن ، فقال غسان وهو يترك زردية وأداة أخرى ويلتف إليهما : ماذا تريدان من لطفي ما دمت طلقت منه وقبضت كل أموالك ؟

قالت : إذن قابلته وأعلمته أننا نبحث عنه

قال : اضطررت أن أتحدث مع أخيه جلال وافهم الموضوع

قال صدومة : بيننا حساب يا سيد غسان .

قال : هل لطفي زياد هنا ؟ هذا ما فهمته منكم أمس

قالت بسخط وغضب : نعم ،هو قال ذلك قبل هربه وإرسال المحامي

عاد للإنكار فقال : لا اعرف الرجل شخصيا وبشكل خاص ؛ وربما يكون قريبي كما تزعمان

قالت بصوت مرتفع غاضب : ألم تتحدث مع أخيه كما ذكرت قبل قليل ؟

رد وهو يرمي سيجارته : بناء على كلامكما امس اتصلت بأخيه لأعرف ما قصة لطفي معكما

وأين هو لطفي اليوم ؟ .. فهو كان يصلح سيارته أحيانا عندنا في توتة

اخرج الشاب مسدسا وصوبه على صدر غسان وهدد قائلا : اذا لم تقل أين هو الآن سأقتلك هنا ؟

ضحك غسان قليلا وقال متحديا : افعل إن كنت على قد الكلام

صاح صدومة : أنا مجنون يا غسان بشبش .. أنا مجنون .. لا تتحداني .

قال غسان بغير اكتراث لتهديده بالمسدس : أنت مجنون على حالك ونفسك .. انصرف أنت واختك .. وابحث عن غريمك في مكان آخر .. أنا تركت لكم البلد ؛ لأنني عرفت أنكم سفلة لا حياء ولا دين

صاحت يارا : تكلم يا غسان فأخي عصبي ومجنون !

قال : عصبي على حاله .. في مواخير هنا اعملوا فيها

انطلق الرصاص وسقط غسان وهو يصرخ ، وهجم الناس عليه ، واخذوا منه المسدس وحضرت الشرطة والإسعاف ومات غسان في المستشفى ، فالرصاصة اخترقت القلب ،وحبس الشاب وشقيقته ، ثم حكم عليه فيما بعد بالمؤبد ومات فيما بعد السجن ، وقضت المرأة خمس سنوات قبل أن ترحل لبلدها لتكمل العقوبة فيها .

***

ونقلت جثة غسان للبلد ، ودفن في مقابر الأسرة بجوار جده عيسى ، كانت صدمة كبيرة لأسرة بشبش حادثة قتل غسان الذي رحل من سنوات اختصارا للشر ؛ كما يقولون ، واكثر من تأثر باغتياله لطفي زياد ، ورأى أنه السبب في مقتله بتركه البلد ؛ كما فعل غسان؛ وبينما هو يعيش مهموما مغموما تلقى رسالة من جاكلين عمار تعزيه في قريبه غسان ، فاستغرب معرفتها بذلك رغم أن الصحف نشرت الخبر ؛ وربما وكالات أخبار أيضا ، فاتصل بها على عنوان المستشفى الذي كانت تعمل فيه ، فأخبر أنها انتقلت لمشفى آخر ، وبعد أيام تمكن من الحديث معها ولما سألها عن والدها ، وأنه اتصل به في شقته ، ولم يرد ، ولما سألت لماذا ؟ فقال :كيف عرفت

بمقتل غسان ؟ فضحكت طويلا وقالت : عن طريق أبي فأبي قد لا تعلم أنه مسجون بسبب قضايا ادين بها .. فهو يقبع في سجن أمريكي فلا ادري كيف عرف بموت غسان ؟ فاتصل بي وحدثني بذلك ، فلما سمعت الحكاية أحببت مواساتك فعشنا معا سنتين

قال : يعني لا تعرفين من اخبر والدك

قالت : لم يقل لي ولابد انه من احد أقاربك أو شقيقيه

قال : ما هو في السجن كما ذكرت

قالت : السجن فيه تلفون ويسمح للشخص المسجون بمحادثة بين الفترة والأخرى .. وأنا أتواصل معه ؛ ولعله قريبا سيخرج

سأل : ما مشكلته ؟

قالت : اعتقد ضرائب .. تهرب من الضرائب .. فأبي لا يناقش بأموره الخاصة .. ولا تنسى أننا عشنا أول عمرنا بعيدين عنه .

وأخذت تكرر الاتصال به بين فترة وأخرى ، وعرضت عليه العودة والزواج من جديد ؛ بل عرضت أن تأتيه هي لتوتة فقال : سأفكر .. كفرت بالنساء أنت سخرت مني واتخذت عشاقا بجعلي مغفلا .. والثانية اكتشفت بعد زواجي منها بأنها أسوأ أنثى على الأرض قتلت عشيقها ابن عمي ، وجعلتني أعيش بألم وندم لليوم .. وهي كما علمت تقبع في سجن قبرصي .. لكني سأفكر مع أنني تعرضت للاغتيال في وطنك أمريكا .

فريد وميسون

فريد شقيق غسان من أمه وأبيه تأثر كثيرا أيضا بمقتل غسان ، وأصابه الذهول والاستغراب من قصة مقتله ، ومن تأثره بالصدمة وفلسفة الموت وقصر الحياة اخذ بالصلاة والعبادة حتى أن امرأته ميسون دهشت من توبته وسعيه لتوبتها مثله ، فطلبت بدل التوبة العودة لمصر ، فرفض وقال : العمل في بلدكم ليس سهلا كما رأيت عندما أنهيت الدكتوراه .. فمصر مليئة بالشهادات والقامات ، وسمح لها بزيارة لأهلها فسافرت وحدها ، واختفت ، وطال الانتظار

لأكثر من شهر دون فائدة دون رسالة أو برقية أو فاكس ، فقام مضطرا برحلة قصيرة للقاهرة ولأسرتها وتفاجأ أنها لم تقرب أهلها ولم تلتق بهم ولا بالدكتورة هالة التي ربطتهم ببعض وشجعت صديقتها بالزواج منه ، وثبت أنها دخلت البلاد مصر حسب قائمة دخول المطار ، ولم يثبت خروجها .

التقى ببعض معارفه وأساتذته الأحياء ، وعلم منهم أن الدكتور حميد الدين رحل لمكة للعمل في جامعة مكة ، فكتب إليه يبارك له العمل في الديار المقدسة ، فارسل إليه حميد الدين للتعاقد مع الجامعة التي يعمل فيها لحاجتهم لمدرسين اللغة والنحو ، فوافق ذلك هوى في نفسه فارسل كتابا لرئاسة الجامعة المكية ، فطُلب منه الحضور للمقابلة ، ولما يئس من العثور على الزوجة ميسون ترجى هالة بلاسم بمتابعة اختفائها واذا لديها راغبة بالانفصال عليهما اللقاء والتفاهم والاتفاق ، ثم غادر مصر لتوتة ، وبعد حين استقر في مكة مذهولا متقوقعا من موت شقيقه بالغدر ، ومن اختفاء الطبيبة زوجته ، وندم حين لم ينفع الندم انه لم ينجب ممن تزوجهن .. وتأكد أن الأولاد عامل استقرار للزواج خاصة عند المسلمين والعرب .

وتتابعت المراسلات بينه وبين الدكتورة الكاتبة هالة بلاسم حول اختفاء زوجته ميسون ولماذا تصرفت بهذه الطريقة السيئة ؟ وأمضى موسما في جامعة مكة دون أي خبر عنها حتى أن الدكتور الكبير حميد الله دهش من قصة الاختفاء الطوعي واستعان بمعارف له في الحكومة المصرية ونبيء أنها ما زالت على قيد الحياة لم تدخل في سجل الوفيات ودائرة الإحصاء المركزية .

راجع فريد سجل حياته معها منذ التقى بها برفقة هالة حتى وافقت على الاقتران به بضغط من صديقتها بلاسم ، وأكدت في كل اتصال بينهم أنها منذ اختفت لم تتصل بها وهي تعيش في دهشة وحيرة ، ولولا أن شرطة المطار أكدت دخولها للقاهرة لشكت بأنه تخلص منها ، وعذرها بهذا الشك والاتهام .

ولم يجد في السجل المراجع أي موقف يدفعها لهذا التصرف والغموض ، ولم يؤذها بشيء ولو يسير إلا أنها تغيرت بعد مقتل غسان وتوبة فريد المصدوم ، فقال للدكتور حميد الدين أثناء زيارة

له في شقته : لا أخبار من مصر .. ولا اعلم أسباب هذا الاختفاء .. كنت أرى أنها آخر زيجة لي يا سيدي أبا حفص .

قال الدكتور حميد : اغرب قصة تمر عليّ حقا .. أنت تبت لله تأثرا من موت أخيك واغتياله في قبرص فراجعت حساباتك ورأيت أن الحياة الدنيا قصيرة ، وما هي إلا طلقة واحدة من شاب مهووس فانتقل غسان إلى حياة البرزخ .. والطبيبة ميسون المصرية كما فهمت منك لم تكن ملحدة لتفر منك بسبب عودتك لدينك ، ولا حتى علمانية بحق لتكره الدين والمتدينين ؛ إنما هي مثل الكثير من المثقفين لا صلاة ولا صوم ولا دين بمعنى الدين .. حياة مجرد حياة !

قال : هذا المثير .. دعوتها للتوبة مثلي ورفضت قلت لنفسي الأيام دواء للجهل ولم أناقشها أو اصر عليها بالتوبة أو العودة للإسلام .. بدا لي أنها لم ترحب بهدايتي فقلت ذه شأنها .. هي طبيبة عامة وتعشق الآدب والكتابة ككثير من الأطباء .. وهذا كما تعلم في الغالب هواية لا أكثر

وضع الدكتور كوب الشاي وقال لفريد : اسمع يا سيد فريد .. أنا عندي خيال .. لما عرفتك بلاسم بها هل كان لها صديق مقرب سواء أكان طبيبا أو كاتبا أو هؤلاء الذين في صناعة الأفلام والإنتاج ومسلسلات الحب وتزوير وتشويه التاريخ

فكر للحظات وأجاب : أكيد لها زملاء مهنة سواء نساء أو ذكور أو زملاء النوادي الأدبية والصحفية ، فهي كانت تصافح الكثير منهم أثناء وجودنا في المقهى أو في بيت أحدهم ، لكني لم انتبه لهم أو التعرف على بعضهم .. تحية وعلى الماشي ؛ لأني تعرفت عليها لما لم تقبل بلاسم بالزواج مني وأحبت أن تجمع بيننا لما رات شغفي بالزواج من مصرية .. ما الذي تريد أن تصل إليه يا شيخي الكريم ؟

وضع الكوب الفارغ وقال : لعلها كانت ترسم على الزواج على شخص دون علم الطبيبة بلاسم ولما عرضتك بلاسم عليها قبلت وتزوجتك لتضغط عليه بأن يفعل ولم يفعل إلا بعد أن تزوجتك فرحلت اليه .

فقال متعجبا : وتعيش معه بدون طلاقي وبدون عقد شرعي .

ضحك حميد الدين وقال : عندنا في مصر يا دكتور فريد ما يسمى بالزواج العرفي بدون ولي وبدون حفلة زواج وبدون وثائق قانونية ورسمية .. ورقة يكتبها مأذون شرعي أو مزور

ـ والأولاد !

زاد قائلا : بعضهم يتزوج عشرات النساء بهذه الحيلة .. وفي الغالب لا ينجبن باتفاق بينهم .. فهي أمام أهلها متزوجة من شاب غريب بصورة قانونية ورسمية .. وفي مصر زوج بورقة ، كما تسمع عن الصديق والعشيق في المانيا أو أوروبا ما يسمى بوي فرند .. صديق فراش بدون وثائق

ـ أيعقل أن تفعل ذلك وهي الطبية والمثقفة ؟!

قال حميد : الزواج العرفي منتشر في مصر وغيرها من بلاد العرب خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات .. قصص حب مزعومة ووعود بالزواج الشرعي بعد التخرج

ـ واذا حبلت الواحدة

ضحك حميد وقال : اذا فعلت الواحدة منهن ذلك؛ إنما للضغط على الزوج العرفي ليتزوجها شرعا وقانونا .. وفي الغالب يتركها ويهجرها ولا يعترف به ؛ لأنه يعتقد أنها تعاشر غيره ؛ كما تزوجته عرفا ؛ ربما له غيره عرفا .. هو في النهاية زنا وفاحشة باحتيال كما يحتالون للخلاص من الزكاة وغيرها من العبادات والكفارات

انتظر قليلا ورد : تحليل منطقي وغريب وكيف سأعرف ؟!

ـ لسوف تظهر فجأة كما اختفت فجأة .. وأكبر ظني أن صديقتك بلاسم تعرف ذلك وتتستر عليها .. ففي أي لحظة تفشل علاقتها معه تعود إليك بأعذار شتى يا ولدي الطيب .. لذلك إنساها وطلق غيابيا وتزوج قبل أن تلد .

ـ لم تلد ممن تزوجت قبلي .

ـ ما دامت حية لابد أنها تعيش حياة أخرى يا ابني .. وتزوج من جديد هذا خيالي وفكري وخبرتي حتى أن بعض الشيوخ يحللون مثل هذا العقد الفاسد ..وهذا نصحي لابني فريد أمين

ـ لو لا الدين لأبغضت النساء .. كان مصرع شقيقي بسبب النساء الفاسدات

اعترض حميد وقال : معذرة يا دكتور ! أخوك فاسد مثلهن .. والغريب في قصته أن قتلته لا يربطهم به أي رابط .. فمن كلامك عنها أنها مرت حياتها الماجنة بعشرات العشاق .. والمرأة اذا فجرت زال كل حياء منها .. وذكرت لي من فجرها أن شقيق زوجها الأول كان هو زوجها الحقيقي والزوج مجرد ديكور وغطاء

هز فريد رأسه وهمس قائلا : لقد نصحه ابن خالي شريكه في الشغل قبل الهرب لقبرص من أول لقاء أن يبتعد عنها امرأة تطارد الرجال والزناة في الكراجات وغيرها .. فهي لا أمان معها .. ونصحه والدي كثيرا أن يدع سكة وطريق الفاحشة وبنات الهوى فلم يكترث . . شكرا يا سيدي على فكرتك عن الزواج العرفي وسأطرحها على زميلتي الطبيبة هالة بلاسم قد اجد عندها تفسيرا بهذا الاتجاه ، ثم سأسعى للطلاق لاختفاء الزوجة عن طريق مكتب المحامي في مصر .

***

عاد فريد لمنزله وهو مشغول الفكر بالزواج العرفي الشائع في مصر وغيرها ، فقد سمع به أثناء دراسته العليا في جامعة الأزهر ، ولكنه لم يصدف أن التقى بأحد متزوجا عرفيا أو فتاة ، وبعد أن استوعب الفكرة تحدث مع الدكتورة هالة ولمح لها بهذه الفكرة وقال : أيمكن أن تفعلها صديقتك وتختفي بهذه الطريقة ؟!

قالت : فكرة معقولة ! وهذا الأمر كنا نسمع عنه ؛ بل نراه من بعض فتيات الكلية الطبية ؛ لكن لم اسمع عن ميسون فعل ذلك .. ولا يعني هذا أنني اعرف كل شيء عنها يا دكتور فريد أمين .. فهي ليست بالصديقة المقربة جدا لأطلع على كل أسرارها .. وأنت تعرف ذلك .. أنا تعرفت عليها وصاحبتها بسبب الآدب والصحافة

قال مستفهما : كيف سنعرف ؟

ـ حسن .. أنا اعرف صديقة لها علاقتها اقوى مني معها مع أنني سألتها عنها من أول أيام

الاختفاء الغامض فأنكرت رؤيتها بعد عودتها من توتة

قال مشجعا : على كل اسأليها من جديد .. وأنا سأكلف مكتب محاماة بطلاقها غيابا بسبب اختفائها هذه السنة .

وشجعته بدورها : هو الأفضل .. واذا علمت شيئا سأنقله لك .. فأنت إنسان طيب.. صدق لو رغبت بالزواج بعد فشلي فيه لكنت أنت الأفضل

ـ هذا من لطفك شكرا لك إلى اللقاء

اتصل فريد بعد أيام بصديق مصري درس معه في الكلية وكلفه بترتيب موعد مع مكتب محامي للأحوال الشخصية لإجراءات الطلاق الغيابي ، وارسل المال اللازم للقضية ، ولما ثبت لدى المحكمة اختفاء الزوجة من اكثر من سنة وقع الطلاق ، واستلم والد الدكتورة ميسون مؤخر الصداق نيابة عنها .. وانتهى زواج فريد الثالث بطلاق ثالث وغريب ، وكانت هالة نفت لفريد معرفة صاحبة ميسون بزواجها عرفيا واخبرها فريد بإجراءات الطلاق الغيابي .

وقال الدكتور حميد الدين : عليك الآن بالزواج من الرابعة

ضحك فريد : اخبرني أبي أن العروس تنتظر أن أقول نعم .

تمت بفضل الله تعالى

عرض زواج

٢٠٢٣



الحفل بالقط الأسود

الشقق السوداء

حياتي قبل الحياة

امرأة نزيه

رهاب الطلاق

عرض زواج